البحر الابيض المتوسط

برقة

منطقة

درنة

منطقة

بنغازى

طرابلس الغرب

منطقة

طرابلس

الجوف

الطريقة العسكرية الجنوبية

السودان

الانجليزى

المصرى

صاحب السمو أمير ليبيا المعظم السيد محمد ادريس المهدى السنوسى

961.3
A825bA

برقة العربية
أمس واليوم

بقلم الاستاذ

محمد الطيب بن احمد ادريس الأشهب

طبع على نفقة

صاحب السعادة عبد الله الملوم باشا
عضو مجلس الشيوخ

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

ثمن النسخة ٧٠ م

79416

مطبعة الهلال ١٧٧ شارع محمد علي بمصر

Cat. Oct. 52

بسم الله الرحمن الرحيم

الاهـــداء

صاحب السمو الأمير الجليل مولاى السيد محمد إدريس المهدى السنوسى
أطال الله بقآءه وأعز لواءه

مولاى الأمير : ان تاريخ (برقه) شيء لاستطيع تنميق الفاظه بالبديع ولكننى أستطعت تدوين معانيه معتمدا على توفيق الله وحسن تشجيعكم .

مولاى : أتقدم وهذا كتابى بيمينى لارفعه الى مقامكم العظيم وأملى أن يكون كمرآة الآلة المصورة تثبت فيها الاشياء كما هى لتظهر إلي الرائى كأنها هى ؟

بنغازى فى { ربيع الاول سنة ١٩٦٤ — خادمكم المخلص الامين
مارس سنة ١٩٤٥ — محمد الطيب بن إدريس

١٣ ١٣٩٨

مقدمة الكتاب

فى سنة ١٩٣٣ وأنا إذ ذاك بجداية فكرت فى جمع ما أستطيع جمعه من تاريخ بلادى « ليبيا » وهي ما تتكون من طرابلس وبرقه وكان بودى الكتابه لو قدر لى عن جميع البلاد الليبية وحياتها الاقتصادية والسياسية والاجتماعية وسكانها وما تعاقبت عليهم من الاحوال والظروف والتطورات ، خامرتنى هذه الفكره وليس هناك ما يشجعني على تحقيقها فانى لى بان أفكر فاسمى فأنفذ وظروف العسف الايطالي تسيطر على الافكار وتغل الايدى وتقيد الالسن وتمنع السعى في كل ناحية من نواحى الحياة وبالرغم من ذلك ما انفكت الفكرة المتغلغلة تصارع الطغيان وتأبي الخضوع لسطوته لاشك أن مثل هذه الفكرة تحتاج الي بذل مجهودات جبارة منها المجازفة والتضحية ومراجعة المصادر الموثوق بها وهذه الاخيرة ليست بالامر السهل وتحتاج الفكرة الي الاتصال بالخبراء من أهل بلادنا وسؤالهم والاستفادة بمعلوماتهم وهذا النوع محضر وبيني وبينه اوحال واهوال ، أما الاتصال بجميع طبقات الشعب وسؤالهم عن الحوادث التى مرت بهم وشاهدها كل فرد من أفراد الامة في زمانه ومكانه تلك التي أن جهل أحد شيئا منها علم الآخر بشيء عنها فبيني وبين هذا ما بينى وبين سابقه .

إن هذه الفكرة التى إختمرت براسى فاصبحت عقيدة راسخة تحتاج إلى كل شيء ولم يكن بيدى شيء مما تحتاجه أو يساعد على الظهور بها فكرة محاطة بالتكتم الشديد مخبأة بين حنايا الضلوع مطوية فى زوايا الكيان ، فكرة لا أريد إهمالها والتراخى على الظهور بها ومن العسير ايجادها والظهور بها ، أصبحت بين مختلف العوامل القوية يجذبني كل من هذه العوامل نحوه بشدة وعنف ، عامل الضعف الذى لا يحتمل معه ظهور الفكرة وعامل الخوف من ان يتسرب أى شعاع عن هذه الفكره فيقضى عليها في المهد أما سلطان الفكرة فقد إستحوذ على جميع حواسي واستولى علي جميع مشاعرى وحتم العمل من أجلها رغم كل صعوبة الاقيها ، تناوبتنى هذه العوامل زمنا ليس باليسير وأنا أعاني همومها وأهوالها وأخيراً إهتديت الي ممر ضيق على اسلكه من بين الاوحال المحيطة بى واجتيازه بين المشاكل المتجمعه حولي هذا الممر الوعر الذى إرتسم بمخيلتى هوان إتخذ

مذكرة خاصة أدون بها بعض الحوادث والتطورات التى شاهدتها بنفسى في زمانها وارجيء الظهور بها إلي زمن أكثر ملاءمة إبتدأت أقتطف مايتسني لى اقتطافه من بعض الكتب والصحف التى تمكنت من العثور عليها والتي لها علاقة بتاريخ بلادى وقد طلبت من بعض مواطني الاعزاء أن يمدونى بما يدهم من الكتب أوالصحف القديمة التى سطربها شيء عن موضوعنا فكان بكل أسف جواب كل من قصدته أن مصيبتنا واحدة واننا فقدنا كل ما بأيدينا وكبرنا عليه أربعا .

أعترضتني كل هذه العراقيل في سيرى ولكنها لم تهن من عزيمتى وتقعدني عن العمل وان كان العمل شاقا ، اخذت اقيد بشبه مذكرة خاصة كل مايتعلق بتاريخ البلاد نقلا وكونت بعد مدة من الزمن مجموعة لابأس بها يصح أن توصف ب«متنوعات» واحتفظت بها بحيث لايمكن أن يطلع عليها أحد حتى من الخواص عندى وصرت أحرص عليها كاعز شيء يقتنيه الانسان في حياته ويفخر به .

هناك عوامل أخرى حفزتني للسير نحو غرضى والاستمرار فيه منها تناول بعض الكتاب والمؤرخين بالشرق العربي تاريخ بلادنا في فترات متقطعة وبالاخص فى مصر لوكانت تلك الكتابات إن لم تكن بواعز اجنبي فهي لاتمت للحقيقة بشيء لجهل أهلها بحقيقة بلادنا هذا فضلا عن الكتب التى كانت تصدرها الدعاية الايطالية باقلام بعض إخواننا الشرقيين ومنها كتاب الشيخ نور الخيري ، ثم من هذه الحوافز أيضا شهادة حق صدرت من عدو لبلادى والفضل ما شهدت به الاعداء وهأنا ذا اذكر هذه الشهادة لقيمتها التاريخية .

فى سنة ١٩٣٧ عين الايطالى الدكتور (دوكاني) كنائب لمتصرف منطقة اجدابية وكان ملما ببعض الشيء من اللغة العربية تكلما وكتابه ويتطلع الى زيادة معلوماته بها ويسعى لذلك بحافز خاص وقد ظهر لنا أنه يحب الكتابة عن بلادنا فاتصل بكثير من معارفي باجدابية ومن بينهم عبد الرزاق أفندى شقلوف مدير اجدابية وقتذاك وبواسطته اتصل بي وطلب منى قائلا مامعناه أريد التكلم معك لا بصفتى ايطالي ولا بحكم مركزى ولكن أتكلم معك كصديق أورفيق يريد التفاهم الصريح الصادق البعيد عن التعصب فكان جوابي له (نعم) وعندئذ اطلعنى على مذكرات قيدها بقلمه تتعلق بتاريخ (ليبيا ثم قال

وها ناذا أكتب قوله بالحرف الواحد (أنى أميل الى الكتابة عن هذه البلاد ولا يمكننى التكلم عنها بدون أن أتناول شيئا عن السنوسيين لانهم العنصر الاول لتاريخ هذه البلاد الحديث إن لم أقل إنهم من أهم عناصر التاريخ الاسلامى والافتكون كتابتى عن بلادكم مبتوره وتفقد قيمتها التاريخيه وقد أصبحت محتاجا الى معرفة حقائق تاريخ السنوسى ولم أعثر الاعلى متفرقات ببعض الكتب الايطالية كتبت باقلام مسخرة علي ماأعتقد ، ان للسنوسيين بعض العيوب لأنهم من البشر وقد سجلتها عنهم هذه الاقلام المسيرة مع المبالغة ولكن فى الوقت نفسه لهم محاسن لاتنكر وأعمال مجيدة لا يمكن إخفاؤها ومغالطتها بيد إني لم أقف عليها واذا إعتمدت ما كتب عنهم من الخطأ أكون قد أخطأت أنا الآخر ولا يمكن لكتابتى أن تلاقى الرواج الذى أطلبه لها فى الاوساط العربية وقد اتصلت بعمر بك المحيشي وأنا ببنغازي وطلبت منه نفس الطلب فاخبرنى عن المكتبة السنوسية التى جاءت بها الحكومة من الجغبوب والكفرة وأكد لي بأنني سنجد بها ما يكفينى مؤنة التوسل أو علي الاقل أهتدى ببعض الشيء وفعلا لقد راجعتها فعلمت ان الكثير منها قد نقل ولم أعثر علي ما أريده وقد أخذت منها جزئين أعجباني لحسن تسفيرهما بالجلد الاحمر ثم صار نقلى الي جدابية فاخبرني عمر بك المحيشى اننى سأقابلك وعبد الرزاق شقلوف وغيركما من اهل جدابية وانكم لن تضنوا على بما أريد .

قدمت له أنواعا من الاعذار المختلفة فلم تلاق عنده قبولا وردها قائلا أما إن تساعدنى بما لديك من المعلومات التاريخية واما أن تكون ملوما للتاريخ نفسه وغرضى أن لاتوصف كتابتى عن السنوسيين بغير الصحيح وقلب الحقائق ووضع المختلقات موضع الحق. وحيث أنى لم أجد بدا من مجاملة مكانى وتحققت لى نواياه علي مايظهر وكما أخبرنى السيد شقلوف وعدته خيرا واتفقت معه ان يمهلنى رثيما أتمكن من مده بالشيء القليل وكان رأيي ان أقدم له بعضا من سيرة الامام الاعظم السيد محمد على السنوسى وابنيه السيد المهدى والسيد الشريف مكتفيا بذلك عن سيرة السيد أحمد الشريف والسيد محمد إدريس وهذا لحكم الظروف العصيبة .

فمثل هذا التصريح من هذا الايطالى ولو فرضنا أنه يقصد منه الاستدراج لهو إعتراف ظاهر علي مايكتبه الايطاليون عن السنوسيين من تلفيق الاقاويل والهراء

بالهزليات التى لاتعدو أن تكون هذيانا وان كنا لانحتاج الى دليل على مدى كذبهم ومغالطتهم للحقائق وإعتمادهم على أو هى الروايات من أخس وأوضع الرواة .

أخذت فى مراجعة مذكراتي الخاصة «متنوعات» وكنت أنقل شيئا وأعرض عن أشياء لأقدمها إلى مكلفى ولم يطل الوقت حتي نقل الدكتور الي بلاده و كفي الله المؤمنين القتال .

كنت أثناء نقله متغيبا بطرابلس لمصالح تجارية وهناك تسنى لي أن أتصل ببعض شخصيات عليمة ببعض تاريخ البلاد ملمة بكثير من الحوادث التى تخصني نحو فكرتى وقد خدمتني الظروف اذ دونت كل ماوقفت عليه ومن بين من ساعدني حضرة السرى النبيل سالم بك المنتصر وسيادة الفاضل الوجيه السيد محمد بك الفقية حسن وابنه الاستاذ الفاضل أحمد بك الفقية حسن مدير مكتبة الاوقاف الاسلامية فقد فسح لي المجال بالمكتبه وصرت أقلب ماتحويه هذه المكتبة بقدر المستطاع وفي الحقيقة إنني إستفدت منها ومن معلوماتة الخاصه وان كنت لم أعثر على كتاب أو كتابة خاصة بتاريخ البلاد إذا استثنيت المنهل العذب في تاريخ طرابلس الغرب لمؤلفه احمد بك النائب الانصارى الاندلسى احد أعيان طرابلس في أوخر القرن الثالث عشر الهجرى والتذكار لصاحبه ابن غلبون وللاول قيمته التاريخية وكلاهما مختصر محدود فى ناحية خاصة ولقدلفت نظرى كتاب مخطوط بالمكتبة وهو باللغة الفرنسية وقد أخبرنى السيد احمد بك أن مؤلفه زار طرابلس واهداه لاحد ولانها فى وقته فلم أقف علي محتوياته لضيق الوقت ولعدم الاستعداد «١» الي تحويله للغة العربية وفي الحقيقة إننى استفدت واستعنت بكثير من أعيان روجهاء طرابلس فى مهمتى المذكورة ومن بينهم عبد الرحمن بك زبيده واحمد بك راسم كعبار والعلامة الشيخ إبراهيم باكير وسماحة الاستاذ المفتي أبوالاسعاد والشاب الغيور الوطنى السيد الهادى المشيرقي وامثالهم من الشيوخ والشباب وكل من علمت أنه ملم بتاريخ البلاد والوقائع والحركة الوطنية .

---

(١) تذكر بعض المؤلفات الافرنجية عن طرابلس الف المسيو لومير قنصل فرنسا بطرابلس كتابه عن رحلته بها بامر لويس الرابع عشر ملك فرنسا وكانت هذه أول رحلة لاوربي بطرابلس ثم زارها بولس لوكاس سنة ١٧١٠ و سنة ١٧٣٣ ثم زارها الدكتور توماس شاو سنة ١٧٣٨ وزارها جمس بروس سنة ١٧٧٢ وفى أوايل القرن التاسع عشر ساح بطرابلس

عدت من طرابلس وكانى أحمل بحقيبتى أعظم ثروة وأى ثروة تعادل فيما إعتقد هذه المجموعة الثمينه التى لم تكن من تأليفي ولكننى جمعتها من بطون الكتب التاريخية التى أمكنني الوقوف عليها وان كانت قليلة ومن بعض الصحف القديمة وما نقلته عن السادة الفضلاء من الشيوخ والشباب الطرابلسيين فلهم شكرى وعاطر ثنائي.

صرت أشعر بان سعيي كلل بالنجاح والفوز ولكن ماذا تكون النتيجة؟ عندما وصلت إلي جدابية حيث إقيم جاءني أحد معارفى وهو عبد الله بن الحاج الطيب أبو فروه البرعصي وهو من رجال البوليس الايطالي واسر الي قائلا سيحصل تفتيش عام بالمنازل ومنزلك في مقدمتها فهالنى الأمر ولم أخش شيئا مثل ما أخشاه على مجموعتي فذهبت بها الي التاجر الشيخ يونس الشرداخ وسلمته جميع الاوراق التى كنت أعتز بها واعدها أعظم ثروة دونها كل ثراء ورجوته اخفاءها بعد ان اخبرته بالواقع أما باقى ما أملكه من الكتب فقد تركته بمنزلى ويفعل الله فى ملكه مايشاء وقد ظهر فيما بعد أن التفتيش المزمع قد اوقف باشارة من ولاية بنغازى وهو على ماوصل الينا حول كتاب حاضر العالم الاسلامي.

بقيت الاوراق التى أودعتها عند الشيخ يونس إلى أن أعلنت إيطاليا الحرب فى يونيو سنة ١٩٤١ وهنا تخوف المؤتمن مما سيحدثه هذا الاعلان فسلمنى ما كنت وضعته عنده وذهبت به ثوا الي الشاب الغيور السيد أحمد عبد الله الحبيب فقبله بكل شجاعة وذهب بذلك الي مالا يقل عن عشر كيلو مترات في الجانب الشمالى من إجدابية كما أخبرني وأخفاه تحت التراب بمكان لا يعرفه سواه.

لقد فترت الهمم وسكنت الثورة التى كانت تتثابني نحو فكرتي وفي شهر فبراير سنة ١٩٤١ كان الاحتلال الاول البريطانى لبرقه فاغتنمت فرصة الاحتلال وكان هذا التسرع في الحقيقة غير محمود فرجوت السيد أحمد أن يأتينى بما كان اخفاه فجاء به وكانه أهداني جميع ما أطلبه وأتمناه فى هذه الحياة ولسوء الحظ فقد انسحب البريطانيون

الدكتور الايطالى سرفلى فوصل من طرابلس الى درنه ثم زار درنه من طرابلس الايطالى ولا سيلا مع جيش يوسف باشا قره ماتلى فكتب رحلة رجمت الي الانجليزية سنة ١٨٢٢ ثم زار برقه والجبل الاخضر الاب بأسفيك من طرابلس سنة ١٨٢١ ثم ساح بطرابلس الضابط بيتشى وصور المواقع بالضبط وفى ١٨٢٤ و ١٨٢٦ قام باشو الفرنساوى

انسحابهم الاول من برقه فى شهر إبريل سنة ١٩٤١ فيها جرت عقب ذلك الى مصر بصفة يجب الاضراب عن شرحها لشدة ماينتابنى من الانفعال عند ذكرى تلك الهجرة وما عقبها من قبض الطليان على شقيقى الصغير المختار الذى بقي فى السجن ٩ أشهر حسب الامر العسكري الذى يقضى بمحاكمته وعقابه بالموت كما قضي علي رفاقه لولا أن من الله عليه ووقاه ومطاردة شقيقي الثاني الذى اختفي هو الآخر ٩ أشهر والهجوم على منزلى باجدابيه وإتلاف كل ما به ولم يكن أسفي على شيء مما حصل أكثر من أسفي على ضياع تلك المجموعة التى سعيت وراء جمعها السنين الطويلة وتكبدت المصاعب وعانيت الأهوال فضاعت سدى ولم أزل متأثراً بضياعها ، وبعد المدة التى مكثتها بمصر ثم منها إلي السودان بعد كل ذلك قدر لي ان أعود الى بلادى فعدت وكلي اسف علي ضياع تلك المجموعة وقد عبثت بها يد الفساد حسبى الله وحده .

رجعت الى تنفيذ الفكرة التي أخذت فى العمل لتحقيقها من عشر سنوات مضت فعدت الى العمل أواخر سنة ١٩٤٣ كما كان الابتداء سنة ١٩٣٣ ، حاولت عبثا أن أجمع شتاتا آخر لكنه استعصى وصعب واعترضتنى نفس العراقيل التى كانت قد اعترضتني فى السنين الاول من اختمار هذه الفكرة برأسى الا أن هناك فوارق ظاهرة بين الزمنين ففي زمن الفكرة الاولى كانت جميع السبل المؤدية لتحقيقها مقفلة فى وجهى علي النحو الذى ذكرناه والحذر كل الحذر على من يفكر فى مثل هذه الفكرة فما بالك في من يفكر في تحقيقها وبالرغم من كل ذلك تمكنت من ايجاد شيء وان كان قد كلفنى وجوده مصاعب (ولكل جهد فى الحياة ثمار) أما الفكرة فى هذه المرة الثانية فكانت فى زمن أكثر ملاءمة حيث انتهى عهد سيىء طالما كنا نخشاه خصوصا فى حالات كهذه فالمجال إذا فسيح للظهور بالفكرة ولكنها تحتاج لمجهود جبار لا يقل عن سابقه ان لم يكن اعظم تحتاج الى البحث الشديد المتوالى وهذا يتطلب وقتا ليس باليسير ولا يجهل أحد

رحلة فى القطر الطرابلسي وكتب عنه أربع مجلدات وكان المسيو دربورفيل قنصلا لفرنسا ببنغازى وذلك سنة ١٨٥٥ فجمع من الآثار القديمة التى وجدها فى الجبل الاخضر وهى بمتحف اللوفر وفى سنة ١٨٥٥ ساح المستر جيمس هاملتون من بنغازى الى اوجله والي سيوة والى مصر وفي سنة ١٨٦٠ اجري هذه السياحة الفبطان مردوك سميت والكمندور

ما لظروف الحرب من تأثير يجعل كل شيء عسيراً الامر الذى جعلنى أكتفي بالكتابة عن برقه دون طرابلس .

ان لبلادنا « ليبيا » تاريخاً حافلا بجميع مامن شأنه يحلى جيداً التاريخ وقد يستخلص الباحث من تاريخ ليبيا اثناء تتبعه سحراً يحيى به مآثر الآباء والاجداد اولئك الذين انطوت أخبارهم وفي قبورهم تتمثل العظمة والروعة وفى حديثهم يتمثل الفخر والجلال فلو نطقت تلك القبور التى ضمتهم لاخبرتنا عن المآثر وجليل الاعمال ولاملت على الايام ماجاء به ساكنوها من روائع الاقوال والافعال ولا نارت لنا سبلا ومنهاجا نسلكه اقتداء بهم فنصل الى الغاية التي ماتوا فى سبيلها .

تبوأت بلادنا المقعد الأول فى الصف الامامي من تاريخ الامم المجاهدة فتوجت جبين التاريخ وسجلت منه الصحفات الذهبية الخالده ومازال يحفظ لها التاريخ ماتستحقه من الاشاده بذكرها كشعب عربى مسلم جاهد ويجاهد من أجل حقوقه بكل بطولة وفخار ولا يفوتنى وأنا أطاول السماء فخرا باسم بلادى وقومى أن اقول ان أبناء هذا الشعب العريق لم يعنوا بتسجيل حوادثه في الوقت الذى اصبحنا نلوم فيه اسلافنا لعدم اعتنائهم بهذه الناحية غير أننا انتحلنا عذراً للاولين ولاشك أن للجيل الحاضر من عذر آبائه أو في نصيب . لقد كفي هذا الشعب النبيل من التاريخ ماقام به اثناء الغزو الايطالى ١٩١١ الي ١٩٣١ في الوقت الذى كان الشعب فيه مشغولا بالحرب مع فرنسا فى الصحراء فلو دونت تلك الحقائق لاصبح بها تاريخ مستقل بنفسه له سلسلته الوطنية الحقة التى تصل حاضره بما ضيه وتنير امامه سبل المستقبل ولكن لامبرر لهذا اللوم فللجيل الليبي الحاضر اعذار تتلوها اعذار ولاذنب فى الحقيقة عليهم لان الذنب للظروف وحدها وانما الذى يجب أن نعرفه هو ان التاريخ حق من حقوق الامة مناط باعناق ابنائها ومن واجب كل فرد من افراد الامة حفظ ما للامة والوطن من التاريخ مهما

بورشر الانجليزيان وكتبا كتابا طبع سنة ١٨٦٤ أما الاتراك

فقد كتب بعضهم عن ليبيا كتابات مختلفة ومنها كتاب على ماسمعت أنه عند الفاضل السيد سالم بن عامر وقد كتب الايطاليون وهم على ما أظن اكثر من كتب عن برقه ولكتاباتهم العلمية وبحوثهم الفنية وماكتبوه فى المسائل الاقتصادية قيمة لاتنكر فلو قدر

كانت الظروف فقد قال المرحوم سعد باشا زغلول (للتاريخ حكم لا ينبغى مخالفته وللحقيقة سلطان يجب طاعته وللامة حقوق لا يصح المماللة فيها (وعندى على ما أعتقدان حفظ تاريخ الامة واجب من الواجبات وهذاهو سلطان الحقيقة الذى تجب طاعته وهذا هو الحكم الذى لا ينبغي مخالفته وهذه هى الحقوق التي لاتصح المماللة فيها ويقول أمير الشعراء احمد بك شوقى :

غال بالتاريخ واجعل صحفه ... من كتاب الله فى الاجلال قابا
مثل القوم نسوا تاريخهم ... كلقيط عيى فى الناس انتسابا

ان الظروف التي مرت علي بلادنا منذ الفتح الاسلامى كانت ظروف قاسية فلم تبرح البلاد فى حروب داخلية وفتن متواصله تارة بين سكان البلاد انفسهم لدواعى تحتم تلك الحروب كما ذكرناه تحت عنوان . ما أهمله التاريخ . وطوراً بين أهل البلاد والدخلاء وحينا بهم وبين الحكومة الحاكمة لسوء تصرفات هذه الاخيرة وعدم إهتمامها بصالح الشعب واستنزاف اموال الشعب بالضرائب الفادحة مما يؤدى الى شق عصا الطاعة كما حصل فى مواطن كثيرة لهذه الاسباب وغيرها لم يستقر قرار الشعب حتى يستكمل بناء حضارته ويتفيأ ظلال السلام فكل من تتبع الحركات الفكرية والحرية والحياة بأنواعها من اقدم العصور الى يومنا هذا وعلم بما مر على أمتنا من ظروف متباينة وما تعاقبها من تطورات مختلفة لعلم أن تاريخنا مشوش وانه يحتاج الي مجهود عظيم وتصفية تامة وعناية تجعل العاملين يضحون بكل عمل سوى التاريخ ليظفروا بالنتيجة التى لا بد من الوصول اليها الا وهى المفخرة التاريخية التى يتلاشى امامها كل فخر .

لم تعرف برقه فى عصر من العصور انها خلت من ابطال التاريخ ومن الرجال الذين كان لهم قدم السبق فى مضمار التاريخ العربي الاسلامي وقد قلبوا أوضاع التاريخ ببرقه من حال الي حال فانظر مثلا الى تاريخ قبايل العبيدات تحت زعامة البطل المشهور حبيب عبد المولي

لشبابنا الكريم أن يسعى لجمع ذلك وتحويله الى اللغة العربية لاستفادت منه البلاد ولكن كتابة الطليان عن تاريخ البلاد العربي والاجتماعى فهى بعكس الحقائق وكلها مختلقة ولم تكن بها حقيقة مشوهة فحسب بل كلها تشويه مختلق املته عليهم ضمائرهم الاستعمارية ومقاصدهم السيئة ونواياهم التى انتووها للبلاد :

الأبح وقبائل البراعصة تحت زعامة أبي بكر بك حدوث وقبل هذا الأخير قبائل الفوائد تحت زعامة حمدى أبى مرابط وقبائل الجوازى تحت زعامة عبدالنبى أبى مطيريد وقبائل العواقير تحت زعامة أبى شنيف الكره وأمثاله من العواقير كالشيخ الكيلاني أبى ديهوم والشيخ الكاسح وقبائل المغاربة تحت زعامة على بك الاطيوش ومدينة بنغازى تحت زعامة الامين بك بن شتيوى والحاج محمد كاهيه وامثالهما ممن يضيق المقام عن سرد أسمائهم وأخيرا جميع القبائل العربية ببرقة من بدوية وحضرية تحت الزعامة الروحية والسلطان الزمنى اللذين البسهما الله تعالى الامام المعظم السيد محمد بن على السنوسى ذهب كل هؤلاء إلى المصير لسكان هذا الكون ولم يكونوا باقل ممن حفظ لهم التاريخ مركزهم فى العالمين الشرقى والغربي من رجالات التاريخ العالمى وبقيت أعمالهم ليرثها أجيالهم فمنهم من دان له الهيئة الاجتماعية فى هذا الكون ومنهم أبطال الحرب ومنهم قادة الصلاح والاصلاح ومنهم من يحفظ كتاب الله ومنهم هداة الامة بعلمهم وعملهم ومنهم رجال المال والأعمال ومنهم عباد المثل العليا فحفظوا لبلادهم كرامتها ولقوميتهم عزها ولمعتقداتهم كيانها وجاؤوا بكل مامن شأنه تخليد ذكراهم ولكن الظروف كما قلنا لم تمكن لاحد أن يسجل عنهم ذلك وأن أحفاد أولئك العباقره ومن تحدر من أصلابهم لا يزالون يتوجون جبهة تاريخ بلادهم على الرغم من كل ما أصيبوا به .

(ولا المصائب إذ يرمى الرجال بها بقاتلات إذا الاخلاق لم تصب)

لقد حاولت كما يعلم الله تعالى أن تكون كتابتي عامة عن بلادنا ليبيا وهى طرابلس وبرقة ولكن للاسباب التي تقدم ذكرها لم أتمكن فى الوقت الحاضر من الكتابة عن الجزء الأول من ليبيا وهو طرابلس اللهم إلا اشياء متممة لما كتبناه عن برقة مع العلم بأننى لم أوفق للتوسع واستيعاب الحوادث التاريخية الهامه لبرقه ولا حتى عن الاشياء التي شاهدنا البعض منها وعلمنا الكثير عنها والان بين يدي وانا اكتب هذه المقدمة مسودة كتابين أحدهما (القبايل العربية ببرقة) والثاني أعيان برقه من سنة ١١٦٥ هـ إلى سنة ١٣٦٥ لم أوفق حتى الان لاكمالهما فاجلتهما إلى ظرف أوسع ووقت أكون فيه أكثر استعدادا وكل مالم يمكن تحقيقة الان فلا بد من تحقيقه مابقيت الحياة .

لا أقول أترك ما تركته الان لا تولاه بنفسى مرة أخرى ولكن ليتولاة كل من

يستطيع القيام به من أبناء الوطن العزيز أولئك الذين عرف عنهم كل من عرفهم غيرتهم على كرامة وطنهم ووطنيتهم ونعرتهم القومية الحقة واخلاصهم فى العمل وصدقهم فى القول وتفانيهم من من أجل الوطن .

فهذه بنغازى عاصمة برقه تعج ولله الحمد بالشيوخ المفكرين والطبقة المستنيره والشباب الناهظ وهذه اختها درنه درة برقه لاتقل عنها وهذه مدينة المرج الخضراء ومدينة اجدابية بها من الشباب المتحفز لكل مكرمة مايجعلنا نتفاءل وهاهي ذى القبايل العربية البدوية تحفل بالشيوخ المبرزين من بقية المجاهدين وابنائهم ومن ثقاة رواة تاريخهم المجيد الأمر الذى يجعلنا نطمئن لمستقبل بلادنا وحفظ تاريخها الناصع وأنى واثق من أن شباب برقه الناهظ وخصوصا النخبة الممتازه منه عاملون كل منهم على حدته للظهور بتاريخ بلاده الادبى والاجتماعى والقومي وهذا ماأعتقده عن صحه .

وأخيراً . . . وأخيراً أتقدم الى آبائى الكرام وإخوانى الاعزاء من أهل برقه الفيحاء بكتابى هذا وقد جمعته بعدأن توخيت الاختصاروجعلت الحق رائدى وخدمة الوطن هدفى مبتعداً كما أعتقد عن التحيز المشين بكل عمل خصوصا فى حالة كهذه متجرداً عن التعصب الشخصي ولم أترك للعاطفة علي سلطانا ممتثلا امر سمو مولاى الأمير الجليل السيد محمد ادريس المهدى السنوسى مسترشداً بتعاليمه الغالية متبعاً نصائحه الثمينة فى هذه العبارات الكريمة التي أحلي بها مقدمة كتابى وقد وصلت الى أثناء تدوينه وأنا اذ ذاك ببنغازى سنة ١٩٤٤ قال حفظه الله .

« وقدعلمنا بأنكم ترغبون تأليف كتاب كتاريخ للبلاد ونشر للحقائق كماسبق ان سمعت ذلك أثناء زيارتي الوطن وانا لشاكرون لكم مثل هذه العواطف ونسأل الله تعالي أن يوفقكم ويسدد خطاكم ، غيراً نه يجب علي المؤرخ أن يتحرى الحقائق ولا يكتب كل مايسمع بل يكتب كل ما تتحق له صحته لان العبرة بما يشمله المؤلف من الحقائق لابما يحشي فيه من الاخبار »

لقد راجعت فى كتابى هذا ما تحصلت عليه من المراجع التاريخية التي ذكرتها بهذا الكتاب عربية كانت أو أفرنجية ومن أهم المصادر ماتكرم به علينا صاحب السيادة الحسيب النسيب سيادة السيد صفي الدين السنوسي مما يوجد لديه من الوثائق الرسمية

التاريخية التي لها قيمتها ثم انني لما وصلت الى مصر غمرني صاحب السيادة الحسيب النسيب شبل المجاهد الكبير السيد ابراهيم بن السيد احمد الشريف السنوسي فقدم لي كل ما طلبته من سيادته من الآثار التاريخية الجليلة والوثائق الرسمية فضلا عما تحصلت عليه من مختلف الطرق ولا أنسى بأن لبعض الوثائق الايطالية السياسية الخاصة ببلادنا وقد تحصلت عليها قيمة تذكر ثم انني بذلت جهدي للاتصال بشيوخ القبايل ورواة تاريخهم وبقية المجاهدين الذين عاصروا الحركات الحربية في بلادنا ثلاث مرات في عهد انور باشا وفي عهد المجاهد الكبير نائب الخليفة السيد أحمد الشريف السنوسي وفي عهد صاحب السمو الامير الجليل السيد محمد ادريس حفظه الله هذه هي أهم مراجع تاريخي التي مكنتني من سرد بعض الحركات والوقائع الحربية والمعلومات الوطنية المختلفة ما يصح أن يكون أساساً لأيفاء المقام حقه في وقت آخر أو في الطبعة الثانية .

ان هذا الكتاب الذي اقدمه بين يدي القراء من أبناء وطني العزيز بعيد عن تنميق العبارات وتضيد الالفاظ وترصيعها بالبديع والمحسنات ولكنه كتاب جمع بين دفتيه ما تشتت من أخبار بلادنا تحت ضغط الاستعمار فلعلي اكون قد وفقت لما انتويته وقبل ان أختم كلمتي أرى لزاما على أن أتقدم بشكري الى سعادة عبدالله باشا لملوم عضو مجلس الشيوخ المصري على ماقام به نحو طبع هذا الكتاب كما سيأتي بيان ذلك في كلمتنا الختامية .

وما توفيقي الا بالله عليه توكلت واليه أنيب

المؤلف

القاهرة في { ٢٢ شوال سنة ١٣٦٥ / ١٨ سبتمبر سنة ١٩٤٦ }

محمد الطيب بن ادريس

القسم الاول

التعريف بليبيا

تبتدىء ليبيا من راس قدير وهو الحد الفاصل بينها وبين تونس الى معطن الرملة الواقع فى خليج السلوم علي حدود المملكة المصرية وتمتد علي ساحل البحر الابيض المتوسط ألف وخمسماية كيلو متراً فالمدن والقري والقلوات الواقعة بين راس قدير من الجهة الغربية وبين عقبة السلوم من الجهة الشرقية يقال عنها « ليبيا » أو طرابلس وبرقة وتعرف أيضاً باسم «طرابلس الغرب» ولاسم ليبيا تعليلات كثيرة ومن أهم مدن ليبيا من الشرق الي الغرب طبرق ، ودرنه ، وشحات ، سوسة ، المرج بنغازي وهذه الاخيرة عاصمة برقة ثم جدابية ، سرت (ومن هذه الاخيرة تبتديء طرابلس ، مصراتة ، زليطين ، الخمس ، طرابلس وهذه الاخيرة عاصمة القطر الطرابلسي أو ليبيا زواره ، غريان ، وهذه المدن المذكورة منها ما هو على ساحل البحر ومنها ما هو في الدواخل ويبعد عن الساحل بضع كيلو مترات مثل المرج وجدابية وشحات وغريان أما الحد الفاصل بين طرابلس وبرقة فهو خليج سدرى أو كما يقولون عنه خليج سرت فالاراضي الواقعة غرباً عنه تسمى طرابلس وما يقع شرقيه يقال عنه برقة ومن أهم الموانى الليبية في الوقت الحاضر طبرق ، بنغازى ، مسراتة ، طرابلس ، زوارة وقد ثبتت لنا أهمية هذه الموانى الحرب الثانية وهناك موانٍ وثغور أخرى لا يستهان بها وهي باردية (بردى سليمان) ودرنه وراس الهلال وسوسة وطلميثه وقصر سرت والخمس وتبتديء صحراء برقة من الوادى الفارغ الذى يبعد عن جدابية جنوباً بمسافة خمسين كيلو متراً وله التوآءات وتعاريج تبعد أحياناً عن الارض العامرة ويسمونها (العشرية) بمسافة أكثر مما ذكرنا وأحياناً بأقل فاذا ما اجتاز السائر هذا الوادى فلا يكاد يرى غير أرض منبسطة وبعض تلال رملية لا ماء فيها ولا مرعى اذا استثنينا الآبار الواقعة بالوادى المذكور ومن هذه الآبار ، أبو العيزار ، الخنيدقية، عين الناقه ، المنش المنيشى ، أبو نغرة تاقزلت ، أبو الطفل ، الجفر ، وماء هذه الآبار ردئي وهناك بعد الوادى المذكور

آبار أخرى وهى ، الشقيق ، ، مرق ، رسم ، راشدة ، غيزل وهذه لا تقل عن سابقتها بل هى أشد ردءاة وتقع هذه الابار على خط واحد بعد الوادى الفارغ وفي مائها شفاء للحيوان خصوصا الابل ونافع للمرضين المعروفين بالجرب والغش وهما من الامراض معروفة في الحيوان ، ثم هناك خط الواحات المبعثرة فى الصحراء منها زاوية الجغبوب وجخره وجالو وأوجله وتبعد جالو عن جدابية بمالا يقل عن مائتين وسبعين كيلو متراً وهي أشهر هذه الواحات المذكورة وماؤها لا بأس به وتعد هذه الواحات المدخل الاول للصحراء من جهة الشمال كما أنها تعد آخر بلاد العمران وهناك أيضا قطمير ويقولون عنه (الخط) يقع جنوب شرق جالو ويبعد عنها مرحلة واحدة وماؤه عذب للغاية ومن أشهر آباره عذوبة ، عسيلة ، أبو الطفل وعمقها لا يتجاوز ذراعا ثم تبتدء الصحراء المترامية الاطراف فلا ماء ولا مرعى ولا منظر يسر السائر بها ولا علامة طبيعية تميز بها الاماكن وتعرف بها الجهات فى هذه الارض المنبسطة اذا استثنينا آبار الزيغن والاثيلة والوشكة وعسيله وبئر الذكر وعندها يتغير شكل الارض فيصادف السائر سلسلة من تلال الرمال وأخرى من الربوات المرتفعة وتعرف بالقور وهى من الصخر الاسرد وأهمها مايعرف باسم جبيل الشريف وجبل الهوايش وسمي بهذا الاسم لكثرة الافعي والحناش به ثم الجبل النارى والجيلان الاخيران غريبان المنظر ثم تبدو قارة الهوارى فى مرتفع وتشبه كثيراً أهرام مصر وتنظر علي بعد مرحلة كبيرة من الشمال وبعد أربع مراحل من الزيغلين جنوباً تبتدىء واحة الكفرة وبهاته الواحة زاوية الجوف وزاوية التاج مقر السيد المهدى السنوسى وتعد زاوية التاج من كبريات زوايا السنوسية وقد أثبت هذه الاهمية تحول السيد المهدى لها من الجغبوب سنة ١٣١٢ ١٨٩٣ م وتتكون واحة الكفرة أو واحاتها من تازربو وبزيمة والهوارى والهويورى والجوف وريانه وتتراوح المسافة بين هذه المواقع من أربع مراحل الي مرحلة واحدة وماء جميع هذه الواحات عذب ومنه ماهو علي وجه الارض ومنه ما هو طويل العمق وتعد واحة الكفرة غنية فى انتاج التمر الي حد بعيد وقد نسق السادة السنوسية فى واحة الجوف الجنان واستجلبوا له أنواع الفاكهة من واحة سيوه وزاوية الزيتون ودرنه فهناك العنب والتين والموز والتفاح والبرتقالي والليمون الحلو والحامض والتوت والجوز

والرمان وقد أجريت تجربة لغرس قصب السكر ونجحت التجربة أما صحراء طرابلس ويضم هذا الاسم الصحراء التي فصلنا عنها وهى الجزء الشمالي من الصحراء الكبرى ففيها اى صحراء طرابلس كما وصفناها بهذه الصفة عدة واحات وأهمها مقاطعه فزان الغنية بانتاج التمر وتؤلف من عدة واحات ومن مدنها مرزق وسبهة وزويلة وقاهره والقطرون وزاوية واو وأم الارانب ثم هناك غدامس وهى من أقدم مدن الصحراء ومن بين واحات الصحراء منطقة الجفره وتتألف من هون وودان وسوكنه وزله وتبلغ مساحة البلاد الليبيه نحو المليون و ٦٤٠ كيلو متراً مربعاً وعدد سكانها يربو على المليون نسمة وليس بالبلاد جبال وانما بها عدة نجاد لايزيد ارتفاع أعلي نقطة فيها على ١٢٨٠ مترا على سطح البحر هى منطقة سيدي محمد الحمرى وأهم هذه الجبال جبل نفوسة بالقطر الطرابلسى والهاروج والجبل الاخضر في قطر برقة وهى خالية أيضاً من الانهار ولكن بها عدة أودية منتشرة فى كل مكان تخترق النجاد فتتجمع بها مياه الامطار وأهم هذه الاودية وادى المجينين ووادى الرمل ووادى زمزم بالقطر الطرابلسى والوادي الفارغ ووادى درنه ووادى التميمي ووادى الجريب المتصل بوادى الكوف فى برقة وهناك ببرقة أودية تكون في الدرجة الثالثة من الاودية المذكورة منها وادى الباب ووادى القطارة ووادى سمالوس ووادى النغار وغيرهم وهناك ببرقة بعض العيون الجارية أكثرها في الجبل الاخضر ولها قيمتها منها عين مارة وعين درنة وعين شحات وعين الأثرون والكثير غيرهذه العيون .

يقول المرحوم عمر بك المحيشى في مجلته ليبيا المصورة التي اعتمدناها مرجعاً لنا فى التاريخ والآثار : يبلغ طول الساحل (أى ساحل ليبيا) نحو ١٧٠٠ كيلو متر ويتبع حدود البلاد أولها الخط الذى عينه الاتفاق الفرنسى التركي عام ١٩١٠ م فيبتدىء من راس جدير ماراً بسباخ المقطاع ثم يلتف حول منطقة الذهيبات ومن غدامس يتبع الخط المقرر فى الاتفاق الايطالى الفرنسى عام ١٩١٩ الذى يتجه من غدامس نحو الجنوب الي أن يشمل واحة غات ثم يميل نحو الجنوب الشرقي الي بئر تمو ومن هذا البئر يتجه نحو جبال تبستي متبعاً الخط المقرر فى اتفاق يناير سنة ٩٣٥ الذى عين بموجبه الحد الفاصل بين ليبيا والسودان الفرنسى أما الحد الشرقي فكما نص علية اتفاق ٦ ديسمبر

سنة ٩٢٥ بين مصر وايطاليا يبتدى من معطن الرملة ماراً فى اتجاهه نحو الجنوب على بعد ٣٠ ك م شرقى واحة الجغبوب الى ملتقي الخط الخامس والعشرين في خطوط الطول بخط العرض التاسع والعشرين ويبلغ مجموع مساحة البلاد نحو مليون و٦٤٠ كيلو متراً مربعا وتقسم باعتبار حالاتها الطبيعية الى الاقاليم التابعة لطرابلس بما فيها فزان ، وبرقه بما فيها البطنان ويمتد أقليم طرابلس وبرقه علي الساحل من الغرب الى الشرق أما فزان فتح جنوبى في القطر الطرابلسى الى أن يقول يمكن اعتبار ليبيا من بلاد أفريقيا المنخفضة ويقول ولا يزيد ارتفاع أقصى نقطة فى هذه النجاد عن ٩٠٠ متر علي سطح المياه ولعله يريد بذلك شحات والاصح أن أعلا نقطة هي منطقة سيدي محمد الحمرى بالجبل الاخضر يبلغ ارتفاعها « ١٢٨٠ » ويقول عن الاودية مايأتى . ليس فى ليبيا أنهر ولكن الطبيعة عوضتها عن ذلك نوعاً بالادوية المنتشرة فى كل مكان منهـا ما تخترق النجاد وتسيل بمياه الامطار المندفعة اليها من تلك النجاد فتتخذ فى بعض الاحيان التى تكثر فيها الامطار الغزيرة شكل النهر الحقيقي وطالما فاضت على الاماكن المجاورة فاضرت بالسكان والنبات وقد وصف السيد المحيشى الوادى الفارغ بهذا الوصف وقد ذكرناه نحن من بين الاودية وفى الحقيقة أن الوادي الفارغ لاتجرى فيه المياه بشكل مخيف كغيره من الاودية وذلك بطبيعته الرملية فى أكثر جهاته ويعد هذا الوادى من اكثر الوديان طولا وهناك أوديه أخرى وهي كثيرة فى برقه لم يذكرها السيد المحيشي كما اننا نحن أهملنا ذكرها أما الماء من تحت الارض يتوصل اليه بحفر الآبار وقد يوجد علي عمق قليل سيما فى الاماكن الساحلية وحتى فى غيرها من دواخل البلاد فهناك مثلا بالوادى الفارغ عدة آبار سبق ذكرها غير الذى أهملنا ذكره ولا يبلغ عمقها أكثر من ثلاثة أمتار أما العيون التى تكون فى الدرجة الثالثة والرابعة بالنسبة للعيون التى سبق ذكرها فهي جد كثيرة بالجبل الاخضر ولا يكاد يخلو منها مكان ولنذكر المسافات الواقعة بين المدن والقوى الساحلية ؟

من	الي	كيلو متر
مساعد	بردية	٢٣
باردية	طبرق	١١٦
طبرق	درنه	١٦٢
درنه	شحات	٩٣
شحات	المرج	١١٦
المرج	بنغازى	٩٩
بنغازي	جدابية	١٦٥
جدابية	العقيلة	١٢٢
العقيله	النوفلية	١٤٩
النوفلية	سرت	١٣٧
سرت	بويرات الحسون	٨٧
بويرات	مصراته	١٦٧
مصراته	الخمس	٩٢
الخمس	طرابلس	١٢٠
طرابلس	زواره	١١٠
زواره	الحد التونسى	٤٠

سكان ليبيا فى الزمن القديم

أول من نزح إلى ليبيا وحكمها الفنيقيون الذين جاءوا للقطر الطرابلسي للاتجار ثم لم يلبثوا أن استوطنوها وكان من أثر ذلك أن خضعت لحكم قرطجانة ومن أهم المدن التى أنشأها الفنيقيون لبدة الكبرى LEPTIS وبسقوط قرطجانة خضع القطر الطرابلسى لحكم الرومان الذى ظل بيدهم الى القرن الخامس المسيحي أما برقة فكان أول من نزلها الاغريق الذين إختلطوا بسكانها الاصليين وانضم القطر كله فى المدن

الخمسة — شحات CIRENE بنغازي PRINIGE سوسة APOLLONIA طلميثه TOLOMAIDE المرج PARCE واحتفظت هذه المدن باستقلالها الى سنة ٣٣٢ اذ اخضعها البطالسة وفى عام ٩١ بعد الميلاد انتقلت لحكم الرومان وبسقوط روما خضعت ليبيا للبزنطيين الذين احتفظوا بحكمها الى الفتح الاسلامى واستمرت البلاد بعد الفتح الاسلامى الذى كان فى القرن السابع الميلادى ٢٢ — ٢٥ هجرية فى فتن داخلية وقتال بين أهلها ومختلف الفاتحين وفى منتصف القرن الحادى عشر للميلاد حوالى سنة ٤٥٥ هجرية كانت هجرة قبايل هلال وسليم وقد إستوطن هؤلاء الاخيرون بلاد ليبيا واختلطوا بأهلها وكان ذلك من أعظم العوامل التى طبعت هذه البلاد بالطابع الاسلامى العربى الذى احتفظت به لحد الان وقد استولى الاسبانيون على مدينة طرابلس مدة عشرين سنه ١٥١٠ م الى ١٥٣٠ م وهم الذين انشأوا القصر القائم بها لحد الان ثم تخلا الاسبانيون عن المدينة الي فرسان مالطة ولكنهم لم يبقوا بها سوي مدة قليلة ثم انتزعها منهم الاتراك بعد قتال عنيف وبقيت بعد ذلك تحت الحكم العثمانى الى أن انتزع أحمد باشا قره مانلي الحكم من الوالي العثماني بمساعدة الاهالى الذين ضاقوا ذرعاً بمعاملة ذلك الحاكم فعادة في سنة ١٨٣٥ الى الحكم العثمانى وكانت طرابلس وبرقه مرتبطتين بحكومة واحدة في العهد التركي والعهد القره مانلي الذي أعقبه ثم العهد العثمانى الثانى حتى سنة ١٨٦٣ م فانفصلت برقه عن طرابلس وصارت لواء مستقلا مرتبطا بوزارة الداخلية بالأستانه وفى حوالى ١٢٥٥ هجريه وتقريبا ١٨٤٠ م وصل الي برقه السيد محمد السنوسي . وشرع في بث العلوم والمعارف بين جميع الطبقات وجاء بالاصلاح الخلقي والاجتماعى والثقافي وأسس طريقته التى ترمي لخدمة الجامعة الاسلامية فوجدت في هذه البلاد العربية الاسلامية مرتعاً خصباً كما ظهر أثر ذلك وشمل نفوذة الروحى جميع أنحاء القطر فكان هذا النفوذ لايخلو من سلطان سياسى عظيم وقدحسبت له الحكومة العثمانية الف حساب وقتذاك ولا يزال هذا النفوذ يزداد نمواً وتوسعاً وانتشارا حتى أصبح عنصراً مهماً من عناصر التاريخ وفي سنة ١٩١١ غزا الايطاليون ليبيا فوقف السنوسيون الذين أصبحوا من أعرق وأشهر سكان البلاد موقفهم المحمود دفاعا عن الوطن وحقوقه التى صرحت بها الحكومة العثمانية في معاهدة (أوشي) ولم يتهاون السنوسيون في

دفاعهم المجيد رغم الصلح الذي عقده الطليان مع الاتراك في معاهدة لوزان وذلك سنة ١٣٣٠ هجرية سنة ١٩١٢ م وآلت السلطة السياسية للسنوسيين وعين السيد أحمد الشريف بفرمان سلطاني نائباً عن الخليفة العثماني وهكذا شغل السنوسيين القسم الأكبر من تاريخ برقة في جميع أدواره .

«عن ليبيا المصورة بتصرف وزيادة »

الطرق والمدائن والآثار (١)

تربط جميع المراكز بالبلاد المترامية الاطراف شبكة من الطرق وأهمها الطريق الساحلية الكبري الواصلة بين تونس ومصر ويبلغ مجموع طول هذه الطريق ١٨٢٢ ك م وبجانب هذه الطريق من الغرب الي الشرق ٦٥ بيتاً أعدت لسكني العائلات التي تراقب الطريق وتمد المارة بما يحتاجون إليه في أثناء السفر وكان العمال الذين عملوا بهذه الطريق ٢٥٠٠ عامل وابتدأ العمل بها سنة ١٩٣٦ . أما الموانى فميناء طرابلس يتسع لجميع حركات ذلك الثغر العظيم ثم ميناء بنغازي وميناء زوارة وميناء درنه وهذا أقل اهمية وسبقت إشارتنا إلي بقية الموانى فى طرابلس وبرقة ولنذكر الآن نبذة عن الآثار ، تعاقبت على هذه البلاد أمم مختلفة عريقة في المدنية كالفنيقيين والاغريق والرومان والعرب والاتراك وتركت كل أمة خلت آثاراً تشهد على مدي رقيها ومدنيتها ولكن يالاسف لم تنقب تلك الآثار في عهد الاتراك اللهم إلا قسما بسيطاً منها وقد أصبح المنقول من آثار البلاد تحت متناول لصوص الآثار من رجال أوربا فاختلسوا كل ماوصلت إليه أيديهم ونقل وكان الفضل الأكبر لحماية هذه الآثار تلك الرمال التي أرسلتها الطبيعة لتحمى فى باطنها تلك الآثار فعجزت أيدى اللصوص من الوصول اليها لصعوبة إزالة الرمال منها ولولا ذلك لضاع الكثير من الآثار الليبية كما ذهب البعض الآخر الذى يزين اليوم متحف (اللوفر) وغيره من المتاحف العامة والخاصة بأمريكا وأوربا ولقد اعتنت ايطاليا البائدة في التنقيب والعناية بالآثار الليبية والبحث عنها فانشأت لها مصلحة خاصة (ربما كانت هذه هى المصلحة الوحيدة التي جاءت بها ايطاليا في البلاد) فكشفت النقاب عن الكثير من الآثار وبلبيا اليوم خمس مدن كاملة أزيح الستار عن جانب كبير منها — شريتى هى شحات — موطن الفيلسوف ارتسيب ومهد المدرسة الفلسفية المنسوبة اليه ومن أهم آثارها حماماتها ومقبرتها العظيمة وتوليدي وهي طلميتة وابلونيا وهي سوسة ومن أهم آثارها

---

١ — أثبتنا هذه النبذ عن الموانى والآثار والطرق كما نقلناها عن ليبيا المصورة وتصرفنا بها قليل جداً فاكتفينا بها عن بحث آخر .

معبد أبو للو وهذه الثلاثة مدن في برقة ، أما فى طرابلس فهناك لبدة أو لبتس الفنيقية والرومانية موطن الامبراطور سبيتميو سفيرو الذي أولاها من عنايته ما تاهت به على البلاد الاخري ثم صبراته المسيحية .

مدن برقه

لليبيا مالغيرها من الاقطار العربية من المجد القديم والحضارة السامية والتاريخ الحافل خلال العصور السالفة وكل ذلك قد اختفي فى زوايا الاهمال وتوارى وراء سحب النسيان فلا تتكشف تلك الاغطية الا بالبحث الدقيق والتنقيب المتوالى ولا يشك أحد بعدئذ في الوصول الى الحقيقة التي متى تجلت ظهر بظهورها ما كان لهذه البلاد من مجد عريق وتاريخ مجيد وسير حافلة لها مكانتها وتطورات غريبة وانقلابات عجيبة ليس للتاريخ وعشاقه استغناء عنها ولا يزال محلها اللائق بها فى تاريخ الامم والاقطار شاغراً واذا ذكرنا مامر على هذه البلاد من الاهمال والتراخى عن جمع تاريخها وتدوينه وحفظه فليس معناه أن تاريخ البلاد قد ضاع أو يتعذر الحصول عليه فان أهم النقاط التاريخية لهذه البلاد لا يزال موجوداً في بطون الكتب العربية والافرنجية وان كان ذلك فى غالب الأمر شذرات بسيطة موزعة الا أنه من السهل جمعها بسرعة ، وهناك أيضاً رجال أجلاء من أهل الخبرة والدراية من الليبيين أنفسهم بطرابلس وبرقة يذكرون الكثير أو المهم من تاريخ البلاد في كثير من العصور ويحدثون عنه حديث الرواة الثقاة كانما هم مشاهدون وليس من شك في أن رواياتهم تستند على الحقيقة وهم موجودون في الحضر والبادية أضف اليهم الكثير من شباب البلاد الناهض فى طرابلس وبنغازى وورثة أولئك الذين كانوا يمدون مجلة ليبيا المصورة بما تنفثه أقلامهم عن تاريخ البلاد والاثر والادب وكل ما وصلت اليه معلوماتهم باجتهادهم الخاص فهم لا يزالون ولله الحمد يزينون جيد البلاد ويطوقون عنقها بكل مفخرة وان الكثير منهم يسعى لجمع شتات ذلك وان سعيه سوف يرى .

إن الشباب الليبي يتتبع تاريخ بلاده عن كبرائها ومن الكتب التي انتقاها غربية كانت أو شرقية بخصوص ذلك ومن الصحف العالمية حديثة كانت أو قديمة ومن جميع المراجع التى يأنس إلى صحتها اضف الى ذلك رجوعهم الى متقدمى السن من شيوخ البلاد

وعلمائها وهم يدونون كل ماوصلت اليه أيديهم بمذكرات لازالت تعتبر خاصة لأصحابها وسيأتى اليوم الذى تظهر فيه أعمالهم وما ذلك اليوم ببعيد .

ا

تحت عنوان مدن برقة نود أن نقدم لحضرات القراء بعض التفاصيل عن أهم مدن برقة واعتمدنا فى كتابتنا مجلة ليبيا المصورة فاكتفينا بما أخذناه عنها مع تصرف قليل اقتضته الضرورة ولا يظهر تصرفنا هذا إلا بمراجعة الأصل وهو (ليبيا المصورة) فرحم الله مؤسسها وبارك فى الكتاب الكرام الذين كانوا يغذونها بمعلوماتهم التاريخية التي كان لها الفضل الأكبر فى موضوعنا (مدن برقة) وكان يكتب بمجلة ليبيا المصورة تحت عنوان (مدن ليبيا الزاهرة) .

بنغازي ثانية المدن الليبية وحاضرة قطر برقة يرجع عهد انشاء هذه المدينة الي ماقبل أربعة قرون ونصف قرن على وجه التقريب وكان أول من سكنها حسب الأقاويل التى تناقلها أهل البلاد جيلا عن جيل بعض التجار الذين كانوا يتنقلون للتجارة مابين القطر الطرابلسي ودرنه وعرفت منذ القديم باسم مرسى (بنغازى) نسبه لسيدي غازي الولي المدفون بالمقبرة الكبرى المعروفة الآن بمقبرة سيدى خريبيش ولم يعرف شيء عن سيدى غازى والغالب أن المكان الذى وجده الطرابلسيون خاليا من كل أثر للعمران وأقاموا عليه المدينة الحاضرة هو الذى كانت عليه أيام الأغريق .

اوسبريدى EUHESPRIDAE التي ترجح مصادر التاريخ اليونانى عهد انشائها الي القرن الخامس قبل الميلاد وقد زهت اسبريدى زمنا طويلا ثم تعاقبت عليها عوامل الخراب بسبب غارات قدماء الليبيين الى أن وقعت تحت حكم المصريين الذين أسموها برنيش أو برنيق في بعض المخطوطات العربية القديمة على اسم زوجة أحد البطالسة وقد قامت الآن فيها العمارات الحديثة بل أقيمت فيها أحياء كاملة كل مبانيها علي الطراز الحديث وجهزت بكل ماتحتاج اليه البلاد المتمدينة فالشوارع فسيحة وبها عدة حدائق عمومية تسر الناظر وتشرح الخاطر وتصلها بمختلف مدن برقه طرق معبدة قابلة لسير السيارات بأقصى السرعة وهي متصلة بطرابلس بالطرق المعبدة وكانت قبل الحرب

الثانية متصلة بطرابلس ومصر وايطاليا بخطوط بحرية وجوية منضمة ويربطها بمدينة المرج ومركز سلوق خطان حديديان طول الأول ١٠٠ ك م وطول الثاني نحو الخمسين وسكانها أكثر من خمسين الف نسمة وقد كان لموقع بنغازى المتوسط بين طرابلس والاسكندرية أثر فى نمو حركة المواصلات والتعامل مع البلاد المجاورة وسيزداد نمو ذلك كما هو الأمل ،وبالمدينة عدة مساجد أقدمها المسجد المعروف بجامع القاضي ويقال ان عهد انشائه يرجع الى ما قبل أربعة قرون وبها العمارات الفخمة العظيمة للمصالح الحكومية والشركات والمؤسسات عدا العمارات الخصوصية الكثيرة والمنتشرة في كل مكان وبها مستشفى عظيم كامل المعدات وعيادة بلدية جامعة ثم عدة عيادات خصوصية وان كان الحركة بها قد أوقفت لضرورة الحرب الثانية وبها عدة فنادق تتوفر فيها شروط الراحة كما بها عدة مسارح للسينما اهمها مسرح برنيشي الكبير وقد انشأ على أحدث طراز جمع بين البساطة والجمال .

واذا كانت المدينة نفسها خالية من الآثار القديمة ذات الأهمية التاريخية فان الحظ قد عوضها عن هذا النقص بما يندر لغيرها لو جدوها علي مقربة من مغارات ليتي الأثرية التى يرجح أنها مصدر نهر (ليتي) الغائر الذى ورد ذكره فى الميتولوجيا اليونانية وطالما تغنى به الشعراء الاقدمون والمعاصرون وتوجد بالقرب من هذه المغائر التي لم يبلغ أحد منتهاها الى الآن بساتين جميلة أصلحتها البلدية واتخذتها متنزهاً وأقامت وسطها بناية جعلت (كازينو) والموقع لا يبعد عن بنغازى سوى بضع كيلو مترات يمكن الوصول اليه إما بقطار السكة الحديدية أو بالسيارات عن طريق ممهد ومن أجل متنزهات المدينة التي يؤمها السكان أيام العطلة للترويح عن النفس والرياضة غابة (الليتوريا) بموقع الفوهات وهى غابة بكل ما تؤديه هذه الكلمة من المعاني من حيث الاتساع وكثرة الاشجار الباسقة تتخللها ميادين كبيرة تسع آلاف الناس وشوارع واسعة قابلة لمرور السيارات والعجلات ومسارب كثيفة الظلال لمرور الراجلة وبها عدة بحيرات وفوارات تفيض بالماء وأنواع الحيوان وقد نقلها الطليان أثناء الحرب وبها زاوية للامام السيد محمد السنوسي كان تاريخ انشائها سنة ١٨٧٠ م .

ومما لاشك فيه أن ظروف الحرب الثانية غيرت الكثير من رونق هذه المدينة

وذهبت بالكثير من جمالها أثناء الكر والفر اللذين تعاقبا عليها من سنة ١٩٤١ الي سنة ١٩٤٣ فقد أخليت من السكان وعاث اللصوص بكثير من محاسنها كما اشترك فى تشويهها الجيش المتحارب والكثير من لصوص البلاد وهذا هو الحال في كل وطن تجرى فيه الحروب وبعد الاحتلال البريطانى الثالث وذلك سنة ١٩٤٣ رجع اليها بعض السكان وقد أصلح قسم من مبانيها وطرقها ومنتزهاتها وعادت اليها روحها التجارية والزراعية وان كانتا محدودتان ودب فيها دبيب الحياة وقد بذلت البلدية مجهودات جبارة فى تحسين المدينة وتنسيقها بالرغم عن فقد الكثير من أدوات الاصلاح والتعمير ولذلك كان التحسن محدوداً .

يزرع فى بنغازى وضواحيها جميع أنواع الفاكهة وبها الكثير من شجر الزيتون الذى زرع في السنوات الاخيرة وتثمر منه أكثر من الفين شجرة . أما العنب فيتجاوز ثلاثين الف كرمة عدا مايزرع حديثا ويثمر أجود أصناف العنب وتزرع ببنغازى جميع أصناف الخضر والبقول وفى ضواحي المدينة حدائق وبساتين منظمة ويعتنى أهلها بالزراعة وبها أسواق للخضر والفواكه كما أن بها سوقا جميلا للسمك وآخر للحيوان يؤمه الناس من جميع أنحاء برقة يوميا وعدد مساجدها ٢٩ مسجداً .

ب

درنه — تقع في الشمال الشرقي من بنغازى وتبعد عنها ما يقرب من ٣٢٠ ك م وملخص تاريخها أنها من المدن القديمة الحادثة فى زمن اليونانيين ولكن لا يعلم زمن انشائها بالضبط وهي بلدة حمتها الطبيعة بسلسلة من الجبال تمنع عنها الطوارىء الطبيعية من رمال وزلازل وغيرها إذ لولا هذه الجبال لغطتها كثبان الرمل وجعلتها فى عالم النسيان فهى تصلح من جهة حصناً منيعاً ومن أخرى منتزها بديعاً يحوى البساتين والآثار التى لها قيمتها الجيولوجية واسمها الاصلي كما هو موجود فيما بين أيدينا من المراجع التاريخية (دارنس DARNIS اسم يوناني قديم)، أما الاسم الحالي درنه يرجع الي عهد احتلال العرب لها وذلك أن عبد العزيز بن مروان أمير مصر قد ولي على برقة زهير بن قيس وقد توغل هذا الاخير في شمال إفريقيا يحارب البرابرة

للانتقام منهم لقتلهم عقبة بن نافع وقد واصل جهاده الي ملوية بالمغرب ثم قفل راجعا الى الشرق زاهداً فى الملك فاعترضه فى سواحل برقة أسطول صاحب القسطنطينية فقاتلهم وقتل بدرنة .

سكن درنة في الزمن الغابر قبيلتان من قبائل العرب وهما العبيدات وأولاد على وفي القرن الخامس انتقل اليها بعض الاسر الاسلامية التي غادرت الاندلس اثر سقوط غرناطة آخر معاقل الحكم الاسلامى في تلك البلاد ولما حصلت الحرب بين قبيلتي أولاد علي والعبيدات بسبب قتل الاولين زعيم الآخرين الشيخ عبد المولى الابح (من أشهر مشاهير رجال عصره) فاستنجد حبيب بن المقتول باخوانه الطرابلسيين واعداً إياهم باعطاء ثلث الاراضى التي يحتلونها من القبيلة المناوئة و بعد أن تم لهم ما أرادوا استقدم الطرابلسيون عائلاتهم واستوطنوا درنة محترفين التجارة والزراعة والصناعة واحتفظت العائلات المستقدمة من طرابلس بأسمائهم القديمة وهي تاجور آوزليتن ومصراتة وفى ٢٦ ابريل سنة ١٨٠٥ (مدة حكم الأمير يوسف القره مانلى) احتلت حكومة الولايات المتحدة الآميركية درنه لمشكلة وقعت بين البلدين ولكي يعزز الامريكان مركزهم فى درنه بنوا حصنا حصينا مشرفاً على البلدة لا زالت آثار جدرانه باقية وهو المسمى الآن بالحصار ثم فى شهر يونيو من تلك السنة وقعت الحكومتان الامريكية والقره مانلية معاهدة صلح فانسحب الامريكيون من درنه وفي سنة ١٨٢٩ ، بسطت الحكومه سلطانها على ليبيا أى الحكومة التركية واستلزم ذلك وجود بعض الجاليات من جزيرة قريد وبعض العائلات الاسرائيلية ، ليس لهذه البلاد تاريخ معروف من الوجهة العمرانية في العصور الماضية ولا سبيل لالقاء أشعة من النور لمعرفته إلا بقية هذا التراث القديم في الجهة الشرقية وهو الكنيسة الرومانية وليس هناك مايلفت النظر من الوجهة الأثرية سوى هذا الجامع العتيق الذى أسسه الشيخ الصالح محمد بن محمود باشا المنتسب الى الاسرة القره مانلية سنة ١١٠١ هجرية وقد شيده بنفسه ووقف عليه أموالا عديدة ويعد هذا المسجد من محاسن درنة.

وفي درنة الشلال الذى مهما وصف الواصف ونظم الشاعر في التعبير عن الاحساس الذى يخالجه حين وقوفه أمام هذا المنظر الشعرى الرائع فلا يستطيع تحديد الافاضة

عما يخالجه فى هذا الموقف بل لا يمكنه أن يعبر عن هذا الانفعال القوى حينما يشاهد جمال هذا المنظر ويتأمل أسراره .

ويخترق مدينة درنه الوادى الذى كثيراً ما يفيض بما يحمل من ماء السيول فيتلف ماحوله من المبانى والمزارع ولكن أحتيط لذلك في المدة الاخيرة فأقيمت على جانبي الوادى حوائل لمنع فيضان الماء وعلى الوادى جسر جميل يصل بين قسمى المدينة وتسقي درنه بعينين (عين البلاد وعين أبي منصور) فكان لوفرة الماء فيها ميزة خاصة بها دون سائر البلاد الليبية كما اختصت بزراعة الموز الذي لا يصلح وينمو كما يصلح وينمو فيها وتصل درنه ببنغازى طريق يخترق أجمل مناطق الجبل الاخضر تجتازه السيارات السريعة فى نحو أربع ساعات وهى عدا ذلك متصلة قبل هذه الحرب بواسطة خطوط بحرية مع بنغازى وطرابلس وسائر المدن الليبية وايطاليا والقطر المصرى ونظراً لما امتازت به درنه من جودة الهواء وجمال الموقع يؤمل أن تكون من أهم الاماكن التى يؤمها السياح وطلاب النزهة والراحة ويحافظ أهل درنه علي تعليم النشأ فلا يجدون وسيلة لتعليم أولادهم الا ويتخذونها وكثيراً ما ارسلوا بأولادهم الي الازهر المعمور أضف الى ذلك رغبة النشأ نفسه فى التعليم مع ذكائه المفرط فأصبح المستوى الثقافى والعلمى بدرنة يبشران بخير .

لقد زار السيد أحمد رفيق شاعر برقة الكبير مدينة درنة فراقه جمالها ولذلك وصفها بقصيدة خالدة نثبت هنا شيئا منها .

قلت لما رأيت درنة ماهـــــذا تباركت أحسن الخالقينا
هذه درنة التى كل مافيهـــــا سرور لاعين الناظرينا
في حماها رأيت داركرام وكناساً وجنة وعرينا
أحسن القول إن أردت لها وصـــــفا وضني أني من المنصفينا
مثل الجنة التي وعد اللـــــه بها من عباده المتقينا
تحت جناتها تفجرت الانهـــــار تجرى فقلت (إن الذين)
أى صوب يمت صادفت ظلا ومروجا خضراء وماء معينا

واذا ما تنهد الفل في اللـــــــل أغارت أنفاسه النسرينـا
يعبق الورد في نسـائمهاوهـــــــى رخاء يزاحم الياسمينـا
ذكرتني الطيـور وهى تغني قد قنعنـا بحبـه ورضينا
وتأملت في الرياض وفى الز هر بعين الخليل في الافلينـا
فتيقنت قانعـاً بدليـل كـيف كان الانسـان ماء وطينـا

إلي أن يقول

وعلون على بقاع فلاحت باسقات النخيل تهتز لينـا
تحت خضر الجريد صفر العراجـــــين لها منظر يسر الحزينـا
منظر البحر من شمـال يثـير الشعر فى النفس والغرام الدفينـا
ضمها البحر من شمال فـكانت كاعبا ضمها المشوق حنينـا
وتجلت لنـا بدائع صنع اللـــــــه تدعوا لربها المؤمنينـا

ومنهـا

زرت (جبـانة) الصحابة فاستحـــــضرت ذكرى اسلافنا الاولـين
وتمثلتهم وقـد جاوزا مصـــــر الي أرض (برقه) زاحفينا
وبدا لى عمرو يقـود السرايا تقتفيه جحافل ألفا تحينـا
وتذكرت طـارق ابن زياد وابن سرح وعقبة الخالدينـا
وتراءى رويفـع وزهير فى ليوث الانصار والتابعينـا
وأمامي أرى ضريح إبن منصـــــور العـدل خيرة الحاكمينـا
ذكر تلك العصور ذكرني مجـــــد أناس كانوا لنـا صالحينا
شيعوا الشمس للغروب الى فا س وراحوا اللهند مستقبلينـا
أورثونا مجدا تليدا أضعناه وزدنا عليـه عاراً وشينـا
ظلت بين القبور أنظر فى غمـــــض جفوني وقد طويت السنين
لست كالزائرين يتلون آيا ت الكتـاب الحكيم للعيتينـا
هاهنـا عبرة وموعضة تبعـــــث معنى الحياة فى الذكرينـا
وتلفت للرفاق فألفـــــيت رفاقي عن حالتي غافلينا

سالوني وقد راوا مادها عقـــــــلي فـــكان الجواب مني أينا
قلت سيروا ان الحياة لسير كتب النجح فيـــه للسابقين

وعدد سكان هذه المدينة يربو عن أربعة عشر الف نسمة وفى سنة ١٢٦٠ هـ أسس بها السيد محمد السنوسي زاويته ويوجد بالمدينة سبعة مساجد وهى تنقسم الي ثلاث محلات أبي منصور ، الجبيله ، المغار .

ج

شحات : تقع هذه المدينة بموقع طبيعى بديع على ارتفاع ٦٢١ متراً عن سطح البحر وتبعد عن ساحل البحر ١٧ كم وتعد من أهم مدن الاثار الليبية واليها ينسب الاقدمون القطر المعروف الآن لدى العرب بقطر برقه فاسموه (شيرينايكا) يرجع تاريخ انشاؤها على وجه التقريب الي ٦٥٠ قبل الميلاد أنشأها الاغريق أهل جزيرة طيرا TERA وأول من تولي أمر هذه المدينة باطوس BATTOUS وهو الذى قاد قومه اليها وتعاقب علي الحكم عدة ملوك بعده وأقدم الحوادث التى نقلها قدماء المؤرخين عن هذه المملكة هي الواقعة التى انتصر فيها الاغريق مؤسسو شرينى عام ٥١٠ قبل الميلاد حيث بدأ تدخل الفرس الذين كانوا يحكمون مصر فى شؤون تلك المملكة ، وآل الامر الى دخولها مع كل الممالك التى كانت في بلاد برقه تحت السيادة الفارسية ويحدثنا التاريخ أن الاسكندر لما زار واحة سيوه بعدفتح مصر عام ٣١٣ تقدم اليه وفد من أهالي شرينى بهدايا ثمينة طالبين منه وضع بلادهم تحت حمايته وتشريفها بزيارته ولكن لم يزر شحات وصلت الصلات بين شرينى وبلاد الاغريق وثيقة العرى على تقلب الادوار لان أهلها كانوا دائما يعتبرون أنفسهم رومانيين لايتأخرون عن نعرتهم وامدادهم حين الحاجة فقد إكتشفت بين آثار شحات لوحة نقش عليها أسماء المدن الاغريقية التى أمدتها شرينى بالقمح أثناء المجاعة الهائلة التي دامت في بلاد الاغريق من عام ٣٣١ الى عام ٣٣٦ ومن هنا يستطيع المرؤ أن يتصور حالة شرينى وخصبها الزراعى وانتقلت شرينى بعد عهد الاستقلال الطويل الى الحكم المصرى بزواج برنيشى ابنة ميغاس ملك

شحات مع بطليموس وكانت هدية العرش شريني وبلاد برقه كلها الى مصر ثم انتقلت الى الرومان بموجب وصية بطليموس وا كتشف بين آثار شحات الحجر الذى نقش عليه ذلك العهد الذى أهدى به بطليموس حكم شرينى إلي الرومان من بعده ويذكر لنا التاريخ أيضا أن شرينى كانت من حرب بومبيوس أثناء الحروب التى نشبت بين هذا وبوليوس قيصر

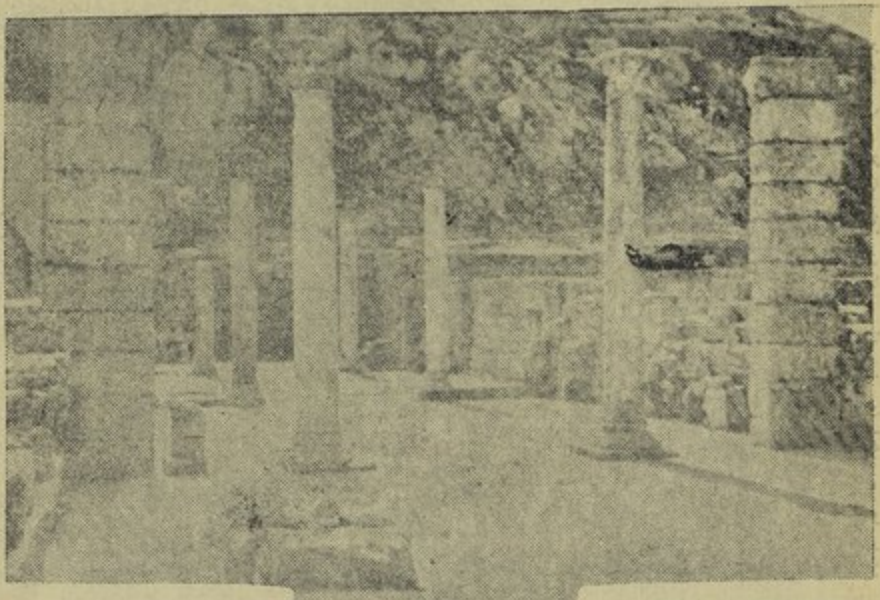

حمامات شيرينى

ثم أهدى أنطونيوس هذه إلى سيليس إبنته من كليو باطرا ولكن لم تلبث ان عادت الي الحكم الروماني علي يد أغسطس الذى جعلها احدي ولايات الامبراطورية وفى عام ٢٦ قبل الميلاد ضمت الي ولاية قريد ونالت شريني حظا كبيراً من الزهو والرخاء فى عهد أغسطس ولكن الحال تغيرت فيما بعد بسبب الثورات التى أشعل نارها اليهود ودامت زمنا غير يسير من أواخر القرن الاول وأوائل القرن الثاني للميلاد المسيحي ويقدر بعض المؤرخون أن عدد من قتل في تلك الفتن من أهل شرينى والرومان الذين كانوا فيها بمائتين وعشرين الف نسمة وقد قام اليهود باعمال شنيعة من التخريب والتدمير فهدموا كثيراً من المبانى والمعابد والاصنام والتماثيل كما يؤخذ من الآثار التى وجدت محطمة

بعلامات ظاهرة تدل على أن كسرها كان عن قصد ولكن الامن عاد الي نصابه فى عهد الامبراطور آدريانوس الذى اصلحت بامره الطريق مابين شريني وميناءها البحرى سوسة وهى الطريق التى خربها اليهود فيما خربوا كما تشهد بذلك اللوحه التى عثر عليها الأثريون وكانت منصوبة عند مبتدأ الطريق لاثبات تصليحها علي يد الامبراطور ادريانوس واهتم ادريانوس كما إهتم غيره من الامباطرة الذين تعاقبوا على عرش روما بشأن شريني فادخلوا عليها عدة اصلاحات فانتعشت حالها قليلا بعد الثورة اليهودية ولكنها لم تعد لما كانت عليه من الرقي القديم حيث تظافرت عليها عوامل الفساد والانحلال المختلفة سيما بعد أن فقدت مركزها السياسى كحاضره للولاية الرومانية التى كانت تضم كل بلاد ليبيا فجاء الامبراطور داقليانوس وجزاها الى ولايتين ليبيا العليا وليبيا السفلي وأقام عاصمة الأولى فى سوزوسامرسى سوسه الحالية فلم تعد شريني بهذه التجزأة حتي حاضرة إحدى الولايتين الصغيرتين وأستمرت هكذا فى انحطاط متوال إلي أن دهمها الزلزال فى أواخر القرن الرابع المسيحى فكان فيه القضاء النهائى .

تعد شريني مصيفاً جميلا لما توفر فيها من نقاوة الهواء وصفاء الماء والعيون الجارية والمنظر الطبيعى البديع والمنعرجات التي يمر بها السائر بين الوهاد والهضبات وتلك المناظر النضرة المختلفة الوضع من أعلا إلى أسفل وبها فندق فخم حديث وهى موصولة ببنغازي ودرتة بطريق معبد بالاسفلت تقطعه السيارات السريعة فى ساعات قلائل كما يربطها بسوسه طريق معبد أيضا وتزرع بشجات جميع أنواع الفواكه والخضر والبقول ومن أشهر فواكهها العنب المعروف (بعنب الزنادي) وجميع مايزرع بها يثمر بدون طويل عناء الامر الذى جعل البدو فى الازمنة الماضية غير معتنين بتنسيق ورعاية ما يزرعونه بل يصنعون النوع المطلوب غرسه من الكروم وغيرها في الارض ولا يعودون لما غرسوه الا فى موسم الثمار ويسكن هذه المدينة قسم من حاضري بنغازى ودرنه وبعض مها جرى جزيرة « قريد » واقلية ضئيلة من اليهود وتقع مدينة شحات فى المنطقة التابعة لقبيلة الحاسا إحدى قبايل الحرابى وحوالى سنة ١٢٦٢ هو ١٨٤٦م أسس السيد محمد السنوسى بشحات زاويته التى تعد من خيرة الزوايا ببرقه وأسند رآستها إلى أحد تلاميذه هو السيد مصطفي الدرد فى المصراتى ثم أعقبه بعد وفاته إبنه السيد محمد الدردى

وفى سنة ١٣٤٠ هـ تولى رياسه هذه الزاوية السيد رويفع بدر فركاش بامر من سمو الامير السيد إدريس السنوسي ولم تستقر الحالة للرئيس الاخير لظروف الحرب السنوسية الايطالية التي ابتدأت فى المرحلة الثانية من النضال سنة ١٩٢٣ ولا يزال السيد مصطفي حفيد الرئيس الاول وأفراد أسرته بشحات .

د

المرج BARCE تقع هذه المدينة وسط بطحاء فسيحة فى نجد يرتفع ٢٨٤ متراً عن سطح البحر والمسافة بينها وبين بنغازى ١٠٢ ك م عن طريق توكره الساحلية و ١٠٨ ك م عن طريق السكه الحديديه وتبعد عن ساحل البحر نحو عشرة كيلو مترا وتقوم المدينة الحالية بالمكان الذى كانت فيه مدينة بارشي أو باركي الاغريقية التى يرجع عهد إنشائها الي حوالى ٥٦٠ ق. م. علي أيدا خوة آرشيلاو الثاني رابع ملوك شرينى وقد تكلم عن هذه المدينة الكثير من مؤرخي الاغريق والرومان والعرب وظلت تنافس شرينى حقبة غير يسيره وأطلق اسمها القديم على البلاد المجاورة ثم عم القطر الذى أصبح يعرف باسم برقه وما هو الا تحريف لاسم باركي وأطلق عليها العرب سابقاً إسم المدينة الحمراء وعرفت فى العهد الاخير باسم المرج لموقعها الخصب الذي هو عبارة عن مروج زاهرة . وكانت المناطق التابعه لها تمتد الى ساحل البحر حيث ميناءها الذى أطلق عليه فيما بعد إسم بطوليميس . وفي سنة ٥١٠ ق م نشبت فيها ثورة ضد الحكم الفارسى إنتهت بقتل ملكها وقريبه ملك شرينى اللاجيء اليها فقامت باعباء الحكم والدة ملك شرينى واستنجدت بالقائد آرياندي الذى كان حاكما على مصر من قبل الفرس فبعث اليها بجنوده وأسطوله واحتل الفرس بارشى ونهبوها ونقلوا معهم من أسروا من النوار عبيداً أرقاء الى بلادهم فاخذوا يعمرون الارض وأنشئوا لهم هناك قريه أطلقوا عليها إسم بلادهم الاصلية بارشي. وحوالى منتصف القرن الخامس تغلبت أحزاب الديقراطية الداعية للاستقلال (١) في شرينى وبارشي اثر ضعف صولة الفرس وطردوا مليكهم وأقاموا فى كل من المدينتين جمهورية وهناك زادت عظمة بارشي وامتد سلطانها الى أن شمل

(١) يا ترى كانت ديقراطية ذلك العهد كدمقراطية عصرنا الحاضر ؟

توكيره (توكره الحالية) وربما كان ذلك أقصى اوج عزها ومجدها :

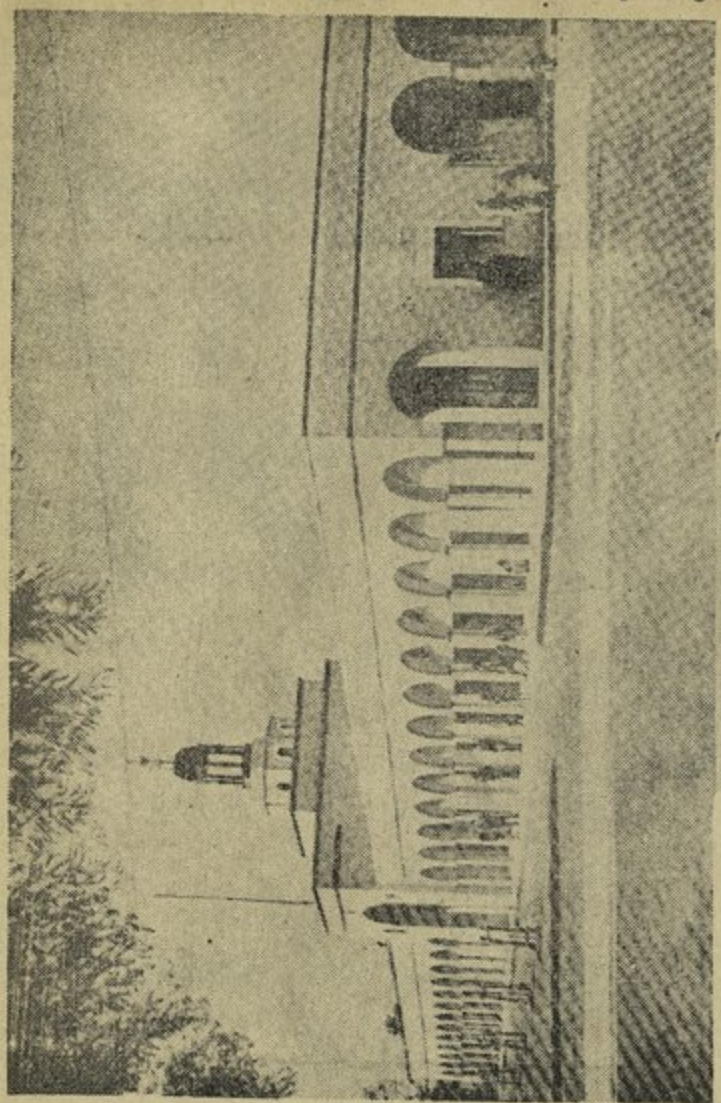

السوق البلدى فى بارشى (المرج)

ويحدثنا التاريخ فيما يحدث عن عظمة هذه المدينة فى الاحقاب السالفه أنها كان لها أسطول قوى بلغ من القوة أن كسر القرطاجنيين فى احدى المواقع البحرية ولكن تلك العظمة أخذت تتضاءل شيئا فشيئا بتعاقب الحكم الاجنبى عليها حتي نجدها زمن الحكم الرومانى بلدة صغيرة ثم عاد اليها نوع من الانتعاش فى بداية الحكم الاسلامي ولكنها لم تلبث ان عادت الي السقوط والاضمحلال. أما انشاء المدينة الحالية فكان حوالي ١٨٤٠ م عندما

قررت الحكومة العثمانية رفع مديرية المرج الى قايمقامية « قضاء » وشيدت فى أرض قبيلة (الطرش) القصر الذى لايزال قائما ، ومن ذلك الحين أخذت البلدة في التقدم العمرانى فأنشئت فيها بعض المباني والمدكاكين بترغيب السلطات العثمانية :

وقد قطعت بارشى فى السنوات الاخيره خطوات كبيرة فى طريق التقدم العمرانى فكثرت بها المبانى الحديثة وأصلحت شوارعها ووسعت وغرست بها الاشجار وساعدعلي ذلك مركزها الطبيعى الواقع وسط بطحاء متسعة الارجاء خصبه التربه فيغرس بها جميع أنواع الشجروالفواكه وتنمى أجود أنواع القمح والشعير وصفوة القول ان لهذه المدينة مستقبلا عظيما سيرفعها الى مصاف أكبر المدن الليبية لموقعها الزراعي وتوسطها مختلف مراكز قطر برقة ووقعها على طريق السيارات الواصل بين بنغازى ودرنه حتى آخر الحدود الشرقية وعلى طريق بنغازى ، بنينه ، الرجمه ، الآبار التي تخترق منطقة من أهم مناطق برقه الزراعية .

عدد سكانها يربو عن الستة آلاف وبها عدة مصالح جميلة أهمها السوق البلدى ومحطة السكة الحديدية ودار البريد والفندق وهو جامع لكل معدات الراحة والبلدة جيدة الهواء ، عذبة الماء ، أغلب منازلها مجهزة بالماء والنور الكهربائى وبها شوارع كاملة كلها جديدة البناء وبها مستشفى حديث ، فهى تضاهى المدن الصغيرة العصرية من كل الوجوه .

وفى سنة ١٢٥٩ هـ ١٨٤٢ م أسس بها السيد محمد السنوسى مسجداً كما أسس بعد ذلك زاويته وقد رأسها أول مرة السيد على بن سعد ولم يطل بقاؤه اذ عين بها السيد محمد السكورى أحد تلاميذ السيد محمد السنوسى وهناك مسجداً آخر يقال أن الحاج على الزريبة هو الذى أسسه ولا يبعد إنشاءه عن المسجد السنوسى وربما يكون قبله بوقت قصير .

سبق أن ذكرنا اعتمادنا لما نشرته ليبيا المصورة عن التاريخ والآثار في برقة لعدم تمكننا من المصادر العربية التى يصح أن نرجع لها وبما أن المراجع الافرنجية تطلب وقتا طويلا فقد كفتنا ليبيا المصورة مؤنة البحث لكتابنا هذا المختصر وقد نقلنا عنها ما يختص بمدن برقه بالحرف الواحد علي وجه التقريب اللهم الا بعض زيادة طفيفة تقتضيها الحالة التاريخية أو ترك بعض أشياء لاداعى لها أما التصرف فهو شيء لا يذكر فعلى روحك الطاهرة عمر الحيشى تحيات الله وبركاته وجزاك الله عن تاريخ بلادك الذى كنت تخدمه

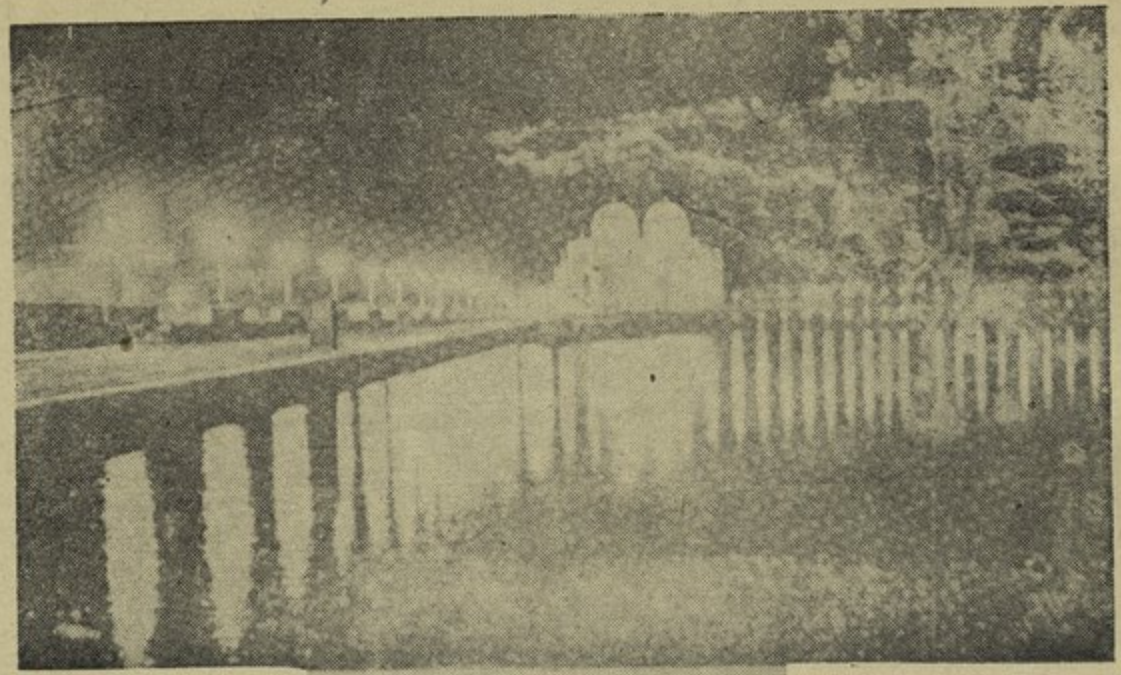

بنغازى - شارع النصر

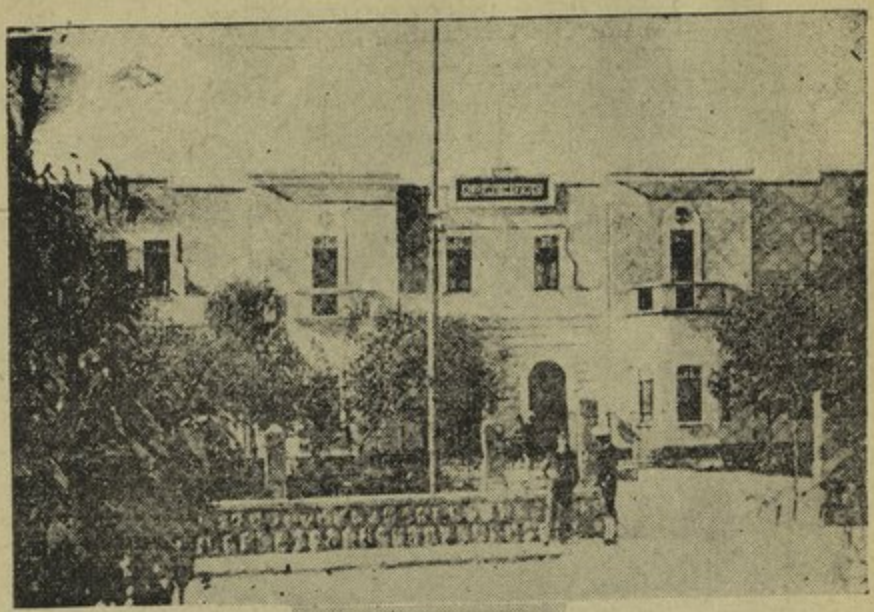

فندق بارشى

(المرج)

تحت الستار وضغط الاستعمار خير الجزاء.

هـ

سوسه أو أبلونيا : هى في الحقيقة بلدة صغيرة بالنسبة لغيرها من مدن برقه ولكنها فى منتهى الجمال وتمتاز كثيراً برقة هواءها وعذوبة مياءها ومناظرها الطبيعية الساحرة ، تقع هذه البلدة على ساحل البحر الأبيض المتوسط ما بين مدينة درنه وبلدة طلميثه وتبعد عن مدينة شحات بما يقرب من ١٨ كم شمالا تحف بها سلسلة جبال شامخات وتتخللها بساتين يانعة . كانت هذه البلدة منذ آلاف من السنين قبل المسيح عليه السلام ساحلا عاديا خالياً من السكان والبنيان إلى أن أسس الاغريق مدينة شريني فأرادوا أن يتخذوا لها ميناء فاختاروا هذا الموقع واسموه سوزوسه SOZUSA وصارت تدعى بهذا الاسم إلى أن دخلت شريني تحت حكم البيزنطيين بعد تطورات مختلفة فحولوا اسمها إلى آبولونيا نسبة (إلى اله النور) كما كانوا يعتقدون إذ ذاك وقد شيدوا له معبدا خاصا يدعي إلى الآن

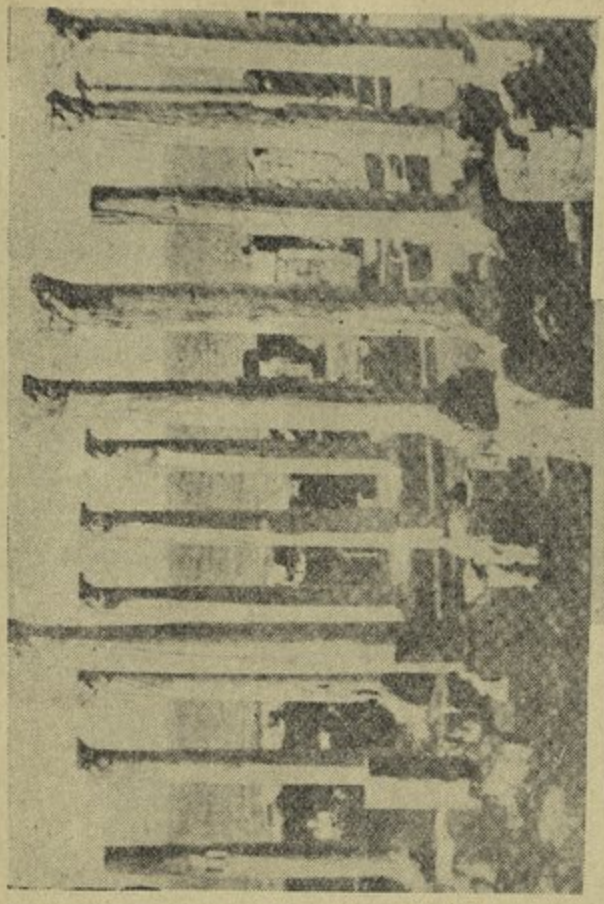

أبولونيا معبد ابوللو

بين الآثار التي اكتشفت أخيرا بمعبد (ابوللو) وضلت سوسه خرابا حقبة من الزمن بعد عدة ثورات واضطرابات وفرار أهلها الذين سكنوا السواحل إلى سنة ١٨٨٩ عند ما أتت الحكومة العثمانية بالمهاجرين الأتراك من جزيرة (كنديا) حينما نشبت الحرب بينها وبين اليونان فاختارت لهم هذا الموقع ، وكان إذ ذاك يدعى بين القبايل البرقاوية بوادى سوسه وكان لا يوجد بها إلا غابة من غابات الجبل الأخضر فبنت الحكومة إذ ذاك بعض المحلات لسكنى المهاجرين وأصبحت بذلك قريه جميلة يؤمها السكان من بعض نواحى الجبل وراجت الحركة التجارية بها وأخذت مكانها اللائق بين القرى الساحلية وفي يوم ٢ مايو سنة ١٩١٣ م احتلها الطليان أثناء غارتهم على ليبيا ويسكن المدينة الآن عرب برقه من بينهم ما ينيف على ٤٠٠ من المهاجرين الأتراك المتقدم ذكرهم وأقلية ضئيلة جدا من

اليهود البرقاويين وبها ميناء جميل وشوارع منظمة على الطراز الحديث وبها مستشفى ومستوصف ومدرسة للبنين وأخري للبنات وبها دار للبريد وتعدفى طليعة المدن من حيث الجمال وتقع فى منطقة قبيلة الحاسا المتقدم ذكرها وصفوة القول عن هذه المدينة وإن كانت صغيرة إلا أنها يمكن اعتبارها لعدة مميزات من أعظم مدن ليبيا . كما أن الدلايل تثبت بأن سيكون لها مستقبل زاهر يعيد لها ما كانت عليه من الزهو يوم كانت الثغر البحرى لمدينة شحات العظيمة والميناء التى تصدر عنه أصناف القمح والشعير والصوف والزيت وغير ذلك من محصولات هذه البلاد والتي اشتهرت فى سالف الاحقاب بخصبها وثروتها ،ويقال انها كانت تصلها بشربنى أنابيب مخصوصة وتوجد آثار هذه الانابيب شبه قناة الى يومنا هذا وهى موضع اعجاب الراءى لدقة الصنع ومتانته وحسن التنظيم مما تدل على قوة العمل وقتذاك فيصب بها الزيت من شحات ليصل إلي سوسه ويجرى كالسيل في تلك الانابيب مسافة ١٧ ك م إلى ميناء سوسه حيث توجد السفن حاضرة لشحنه ونقله ومن هنا يتصور المرء أهمية هذا الثغر إلا أنه في الوقت الحاضر قليل الأهمية من الوجهتين الحربية والاقتصادية .

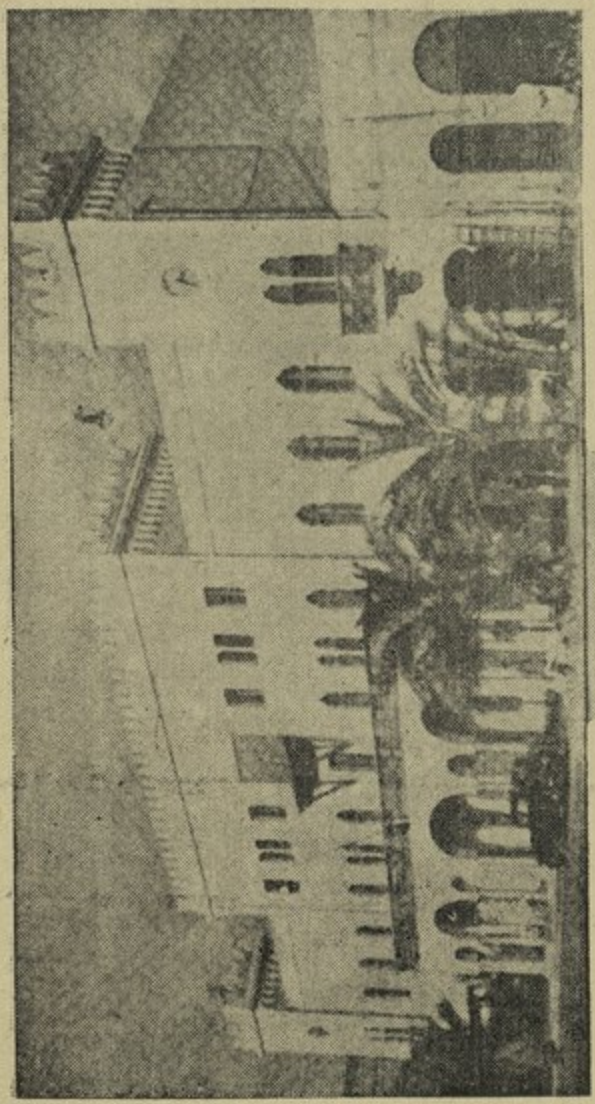

بلدية بنغازى

و

طبرق : هى مدينة في شبه جزيرة ، وجنوبها يقع ميدانها الرحب ، وتبعد عن درنه ١٦٢ ك م وتبعد عن بردى سليمان ١١٦ ك م : خضعت طبرق كبقية مدن برقه لحكم الدول المختلفة ثم للعرب فى سنة ٢١ هجرية سنة ٦٤٢ م وفي سنة ١٢١٣هـ ١٧٢٨م مكثت بميناءها جحافل نابليون قبل وثوبها علي مصر وفي سنة ١٢١٦ هجـ ، ١٨٠٨م التجأت اليها أيضاً الاساطيل الفرنسية في مطاردتها مع الاساطيل البريطانية وكانت البلاد خالية من السكان فى ذلك العهد ، وفي منتصف القرن الماضي اعتنت الحكومة العثمانية بطبرق ونظمت بها مديرية تحت قائمقامية درنة ومن ذلك العهد أخذت فى النمو والازدياد وأمها السكان وراجت بها الحركة التجارية الى حد بعيد وفى سنة ١٩١١ احتلها الطليان ، تعد مدينة طبرق ذات أهمية كبرى من وجوه شتي وهى قاعدة بحرية لها قيمتها وبها جميع أنواع المصالح العمومية ومنشآة كبيرة ولها جمال فتان وتتخلل شوارعها ومنعرجاتها الاشجار الجميلة ويسكن المدينة قسم من حاضرتى بنغازى ودرنه وبعض من العرب البدو وهي واقعة فى منطقة العبيدات إحدى قبائل الحرابى وأقرب البدو اليها قبيلة مريم العبيدات التى يرأسها المواطن الغيور الشيخ يس المبرى وهى قاعدة منطقة البطنان .

ز

جدابية . تقع هذه المدينة وسط بطحاء فسيحة جنوبي بنغازى وتبعد عنها مسافة مايه وستين كيلو مترا ويصلها بها طريق معبد بالاسفلت وتبعد اجدابية عن ساحل البحر نحو عشر كيلو مترا .

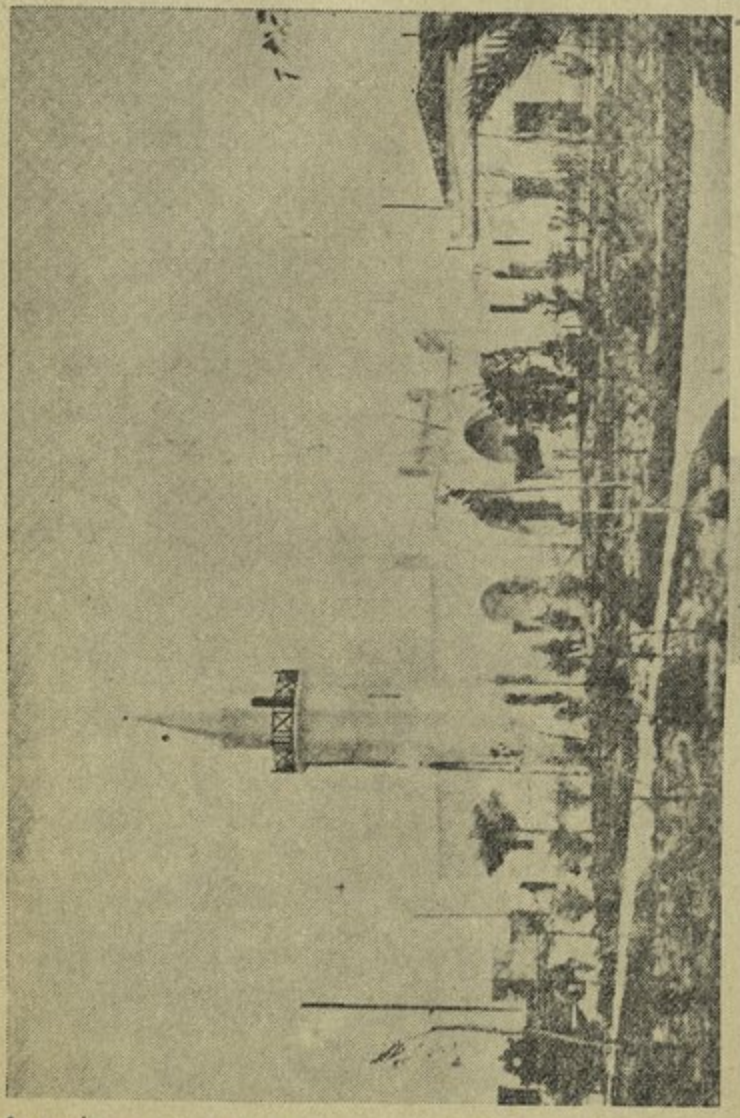

جامع اجدابية

كانت هذه المدينة فى القرون الاولى من العهد الاسلامى زاهية زاهرة بعمرانها ذات أهمية

تجارية وقد احتفظت بهذه الاهمية زمنا غير يسير حتى بعد زوال عمرانها الاول بسبب موقعها المتوسط بين طرق القوافل المختلفة ومما يذكر عنها أن الامام سحنون الفقيه المالكي قد جلس بمسجدها نحو ثلاثة أعوام . يقول عنها البكرى أرضها حجريه وبهاعين عذبة ونخل وبساتين وينبت بها شجر الاراك دون باقي الاشجار وبها جامع منارته فخمة الشكل وحمامات وفنادق واسواق وأهلها أصحاب يسار ولهاميناء تعرف «بالمحور» (١) يبعد عنها بثمانية عشر ميلا ولها ثلاث قلاع وسقوف، منازلهاقباب من الطوب لمقاومة الرياح الشديده فى تلك الجهة . هذا ما نقله صاحب المنهل العذب عن البكرى و نقلناه عن «ليبيا» المصوره ويقول ياقوت فى معجم البلدان عن البكرى ان اسم الميناء (المدور) ويقول العياشي فى رحلته بان في بلد إجدابية آثار عماره كثيرة وآبار عظيمة منقورة فى الحجر وبنيان معمولة بالحجر المنحوت ورسم مسجد قديم مهدم .

قال النائب فى المنهل العذب، نقل الفاضل أبو عبد الله الاندلسى في تاريخ الحلل السندسية ما نصه « وذكر حمديس بن القطان أنه سمع من سحنون بن سعيد يقول سمع منى العلم سنة احدى وتسعين ومايةأهل اجدابية وهناك طائفة من الادباء والفقهاء والمؤرخين إشتهروا باسم ، الاجدابى ، ولا ندرى مبلغ نسبتهم الي هذه البلدة نذكر منهم الاديب محمد بن أبي سعيد بن شرف الاجدابي وهذا له عدة تآليف كما يقول النائب منها كتابه « أعلام الكلام » وابكار الافكار ومن شعر الاجدابي .

إن ترملك الغربة في معشر ... قد جبل الطبع على بغضهم
فدارهم مادمت في دارهم ... وأرضهم مادمت في أرضهم

وله أيضاً هذة الابيات التالية من قصيدة .

كسيت قناع الشيب قبل أوانه ... وجسمى عليه للشباب وشاح
ويارب وجه فيه للعين نزهة ... أمانع عينى منه وهو مباح
وأهجره وهوإقتراحي من الورى ... وقد هجر الامواه وهي قراح

وقد درست عمارة تلك المدينة الا أنها ظلت فى أغلب الاوقات محتفظة باهميتها التجارية لموقعها المتوسط عند ملتقي طرق المواصلة بين برقه ومصروالسودان أما بدء العمران الحالي فيرجع الى ماقبل ستين وقد تعاقبت على إجدابيه فى هذه البرهه القصيرة ادوار

عديدة فهي من مركز قائمقامية في العهد التركي الى عاصمة للامارة السنوسية ومركز للحكومة السنوسية الي منطقة عسكرية عند ما احتلها الطليان سنة ١٩٢٣ الى مركز متصرفيه برقه الغربية وتوجد بها من الاثار القديمة السابقة للعهد الاسلامى بقايا مستودع ماء روماني واطلال كنيسة ترجع للعهد البزنطى: ممن يحملون أيضا اسم الاجدبي الامام الحافظ أبو إسحاق ابراهيم بن إسماعيل بن أحمد بن عبد الله الاجدابي .

اجدابية - شارع الكمرة

ازدهرت هذه المدينة لما كانت عاصمة للامارة السنوسية وتقدمت فيها الحياة الاقتصادية الي حد بعيد فاخذت نصيبها من النهضة السنوسية الاصلاحية التى شملت جميع إنحاء برقة ويوجد باجدابية ثلاث مساجد ، مسجد الامام سحنون ، وهذا هدمه الطليان ومحو آثاره ، المسجد السنوسى وهذا أقفلوه الطليان ولازال به كثير من الخراب والمسجد الحديث وقد شيد سنة ١٩٢٩ على نفقة الاهالي وبها عدة عمارات عامة وخاصة ورصفت شوارعها وغرست بها الاشجار وبها سوق عظيم للحيوان ومتاجر ومقاهى جميلة وقد إكتسبت رونقا وبهاء وتعد فى طليعة مدن برقه وهي قاعدة منطقة برقة الغربية وتقع في أراضي قليلة المغاربه احدى قبائل الجبارنه وبها عدة مساكن للسادة السنوسية ولاعتبار

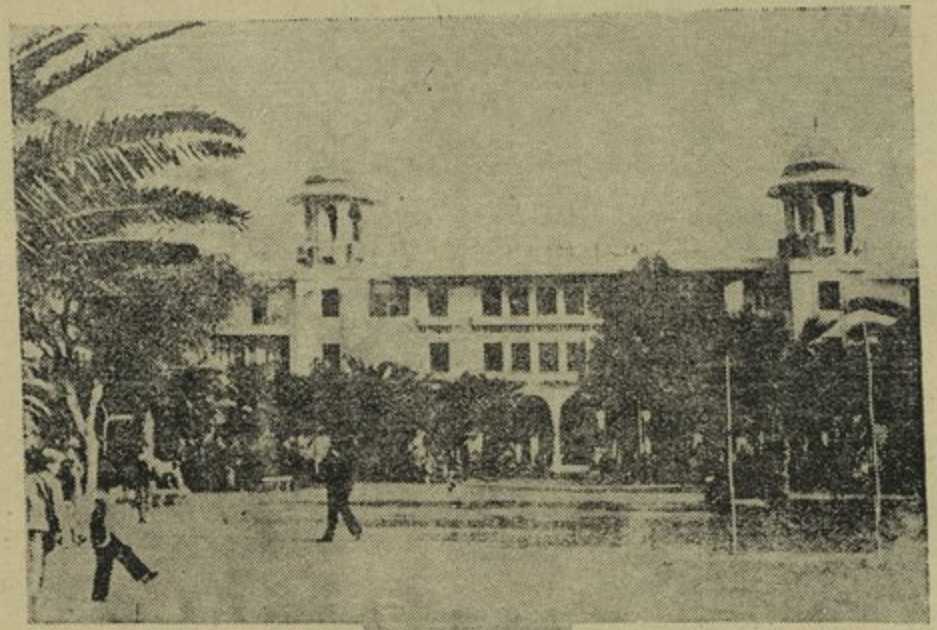

فندق ايطاليا

(بنغازى)

أنها كانت عاصمة الامارة فقد تضامن سكانها وطالبوا المجلس البلدى بتسمية شوارعها الرئيسيه بأفراد وأقطاب البيت السنوسي فساعد المجلس البلدى على ذلك وتقدم بدوره لتسجيل هذه المكرمة وسميت أكثر شوارعها بل كلها باسماء واقطاب البيت السنوسى والزعماء التابعين له وذلك سنة ١٩٤٤م .

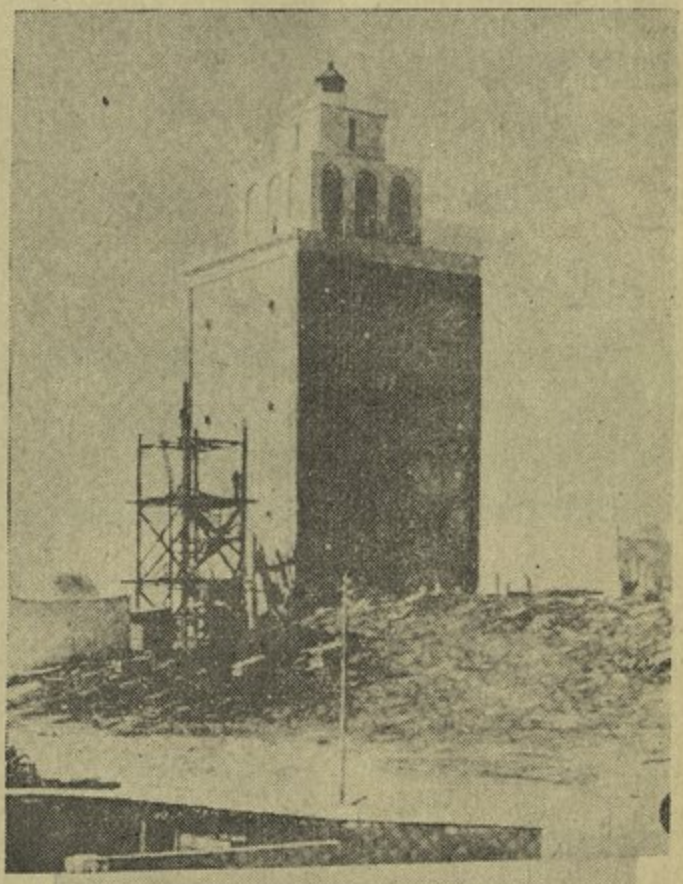

مستودع الماء ببنغازى وبأعلاه المنار البحرى

اقتصاديات البرد

يعتنى عرب برقه بتنمية الحيوان الذى هو أساس ثروة البلاد وعمادها وأغلا شيء عند البدو الابل ويقتنون الغنم والبقر وتختلف مواقع برقه لانتاج الحيوان . ففي برقه الغربية تكون العناية بكسب وانتاج الابل والضان والمعز . أما بالجبل الأخضر فالبقر والمعز ولا يكسب البدوى الابل فى الجبل الاخضر إلا بقدر الحاجة لها . وفى البطنان يعتني بكسب الابل والمعز والضان كما هو الحال في برقه الغربية .

قطيع من الغنم وقد وقف حوله (الراعى)

ان موارد الثروة فى برقه هى الحيوان لأنه من عناصر الثروة المهمة يضاف اليها زراعة القمح والشعير ونجاح ذلك يتوقف على جودة موسم الامطار الذى لا يتأخر عن البلاد في أغلب الاحيان إلا قليلا وان تأخر المطر فى أول الموسم فلا يتأخر فى أواسطه أو أواخره وهنا فلا يؤثر غياب المطر الا في الزراعة فمتى جاد الموسم فى أواسط السنة أو آخرها فقد ضمن نجاح الحيوان . وفى برقه موارد أخرى لها أهميتها وهى ما ينتج عن الحيوان من الاصواف والوبر والشعر والسمن والجلود وكانت هذه الانواع تصدر إلى الخارج وبالاخص لايطاليا فى عهدها الغاشم وكانت توجد ببنغازى مدبغة أو مدابغ فنية سدت فراغا كبيراً ويوجد ببرقه جميع الحيوان المعروف في البلاد الواقعة على سواحل البحر الابيض المتوسط ولصوف برقه شهرة طيبة . وتوجد ببرقه أصناف الخيول الجيدة والحمير . وفى المدة الاخيرة حصل الاهتمام بصيد سمك التن فأضيف هذا العامل الجديد إلى بقية عوامل اقتصاديات البلاد .

لاهل برقه عناية خاصة بزراعة القمح والشعير وتعد الزراعة أس من الاسس التي ترتكز عليها ثروة البلاد وان كانت زراعة القمح والشعير عند السواد الاعظم لا زالت على الطريقة القديمة لم تدخل عليها أى تحسينات فنية ومع كل ذلك فانها ثروة طيبة تعد أهميتها فى الدرجة الثانية بعد الحيوان . والحالة فى طرابلس هكذا . وهناك تحسينات وبعض تعديلات فنية أدخلها الزراع من أهل الحواضر فى برقه وطرابلس فجاءت بنتائج طيبة، ويزرع فى برقه الزيتون والعنب والرمان والبرتقال والخوخ والجوز والموز والتفاح وجميع أصناف الفاكهة التى تزرع في البلاد الاخرى الواقعة على ساحل البحر الابيض المتوسط تقريباً وأكثر هذه المزروعات في السواحل والجبل الاخضر . أما الواحات لم يزرع فيها إلا بعض الكروم القليلة إذا استثنينا النخيل التي تزرع بها كل أنواع الفاكهة المذكورة وأشهر ثروة الواحات هي : التمر الجيد الكثير الانواع وهى ثروة لا يستهان بها ولا زالت الزراعة تنمو وترعرع بدرجة تدعو للاطمئنان والاعجاب وجميع الاصناف المذكورة من الفاكهة تكفي البلاد وتزيد عن حاجتها والمأمول أن يكون تصديرها في القريب العاجل اذا استمرت الزراعة كما هو الحال اليوم .

وهناك فى الجبل الاخضر الذي هو أخصب البقاع بالغابات لاستخراج الوقود ومختلف أنواع الخشب الذى يستعمل للسقف أصناف أخرى يتطلبها الدبغ والصبغ وتعرف بالاسماء الآتية « بربش » « عرعار » « الفرض » « المكنى » « لعبة صيد الليل » ثم هناك التفاح والاكليل وهما نباتان رائحتهما زكية ويستعملان فى الشاى وكثيراً ما يستعملهما العرب فى فصل الشتاء ويفيدان من البرد وطعمهما لذيذ وهناك أيضا أصناف البطوم وله حبوب تشبه الفلفل الاعجمى وطعمها لذيذ ويستخرج منه الزيت . وقد أجريت لذلك تجارب ونجحت وها نحن نذكر أصناف الشجر المعروف بالجبل الاخضر ومنه تتكون الغابات (الشعرا الخروب — البلوط — الشماري — الارز — السنط — الزيتون البرى — الصنوبر)

وهناك مورد آخر بالجبل الاخضر لا يستهان به وهو العسل النحلي الذى حاز شهرة طيبة ولتربية النحل طريقة خاصة . ولا يفوتنا أن نذكر نباتا آخر وهو : الحلفا والديس ومنهما تستعمل الحصر وأنواع الحبال . وقد كانت هذه الانواع تصدر فى عهد الاتراك الى الخارج بكثرة .

أما نبات الربيع فى برقة فحدث عن جماله الفتان ولا حرج فهو لا شك أنه ساحر خلاب يأخذ عجباً بمجامع القلوب ويستهوى الراءى بجاذبيته المغناطيسية. فمتى لبست الارض حلتها السندسية المزركشة وأزينت ظهرت له جميع الالوان المختلفة ويشم أنواع الروايح الشهية .

وأنواع هذه النباتات كثيرة جداً فمنها ما يحمل أسماء لا تعرف الا في برقه . ومن الاسماء المعروفة الان الشيح وشقائق النعمان. وتعرف هذه الاخيرة بالصليعا ثم الشقاره والتفاح والاكليل والمسلس والزعتر . وهذا النوع الاخير يدخل في كثير من العلاجات خصوصا ما كان ضد البرد ثم القريصة والقازول وهذا كثير الشبه بالثوم طعماً ورائحة الا أنه له زهر ثم الحوذلان والكلخ وقصارى القول فان أصناف النبات كثيرة لايحصيها إلا من له اختصاص في علم النبات . ونذكر الآن شيئاً عن الصناعة، يعمل فى برقه السجاد البدوي وهو جميل جداً ويعرف باسم (الشليف) وأنواعه كثيرة وهو من الصوف والوبر والشعر كما تعمل أصناف الحصر وهى نوعان : (الديسه) وهى عادية والحصيرة وهى بديعة الشكل وتباع بأثمان عالية . وهناك صناعة الخشب (النجارة) والنحاس وكل ما يستعمل من الجلود والنقش والتطريز .

سبق أن اعتذرنا عن الاسباب التى جعلتنا نخصص كتابتنا ببرقه دون طرابلس وهما جزءان لا ينفصلان ولا داعى لان نكرر العذر عن الاسباب التي جعلتنا نكتب عن برقه فقط غير أننا لا نضرب صفحا عن ذكر شيء تهيئه لنا المناسبة ولذلك نذكر هنا عن الصناعات بطرابلس، ففيها تصنع البسط والاحرمة (رداء) التيلية والصوفية والحريرية في أدق وأبدع شكل وتصنع فيها الاوانى الفضية والنحاسية وجميع أنواع النقش والتطريز والحصر الملونة والاكلمة المصراتية المعروفة . وقد سبق أن ذكرنا عن صيد السمك المعروف (بالتن) فقد كان أحد مواسم صيده في السنين الأخيرة ما يبشر بالنجاح إذ بلغ مجموع ما تحصل منه فى النواحي المنتشرة بين مصراته وزواره ١٧٣٤٥ سمكة من سمك التن و ١٦٧١٦ من الأسماك الاخرى ووزن الجميع ١٣١٢٩ قنطار وقيمة هذا المحصول بلغت خمسة ملايين ليرة ايطالية . أما محصول التمر وقد سبق ذكر هذا النوع فهو مورد له قيمته وأماكن زراعته الواحات الآتى ذكرها :

الكفرة وهى أغنى واحات برقه — جالو — أوجله — مراده — أجخره — وهذا المحصول في طرابلس لا يقل عن المقدار المتحصل عليه من برقه ان لم يكن أكثر ومن أصناف التمر الجيد فى واحات برقه الصعيدى الجدغ . وهذان النوعان من أجود الاصناف بجالو واوجله ثم القرين . والوريق . والفريحي . وأم العظام . والخضراى . وهذه الانواع بالكفرة ، وأصناف التمر كثيرة ثم هناك المعادن وان لم تكن ذات قيمة الا أننا لا نهملها وهى معدن الكبريت الواقع بسباخ المقطاع بين العقيلة وخليج سدرى ولا يعمل بهذا النوع فى برقه شيء غير مداوات الابل من الامراض التي تصاب بها سيما الجرب وتصدر منه كميات كبيرة الى مصر وكثير مايقصد المصابون بالامراض معدن الكبريت للاستحمام وخصوصا فى حالة الاصابة بالامراض أوالحبوب الجلدية ولوخدم هذا الحمام الطبيعى خدمة فنية لاصبح من الحمامات المشهورة ومثل هذا المعدن معادن ملح الطعام التى لايكاد يخلو منها مكان فى برقة وفى سنة ١٩٣٧ إكتشف معدن البوطاس بواحة مراده فاولته إيطاليا عنايتها واستجلبت له الاخصائيين وباشرت فى خدمة وتعبيد الطريق من العقلية الى مراده خصيصا لهذه المهمة كما أرادت تصليح ميناء أم الغرانيق لذلك وهذه العناية من ايطاليا ان دلت على شيء فانما تدل على أهمية هذا المعدن المكتشف حديثا وربما سيظهره المستقبل .

وهنا قبل أن أختم هذا الفصل أذكر شيئاً عن تنمية الحيوان والزراعة وما يتكبده صاحبها من المصارف لتعطي الى القارىء صورة عن ذلك .

رعاية الحيوان من الابل والغنم هي نوعان فى برقه فمن العادة المتبعة قديما وحديثا أن راعى الابل له من الاجرة عن كل سنة قميصين وسروالين وحذائين وحرام من الصوف ومؤنته مدة سنة وابن عشار وهذا عن « النصاب من الابل » وهو من عشرين جمل الي ثلاثين وله عن هذا العدد الي أن يصل خمسين كل ماتقدم من المصارف ولكن يكون له ابن (لبون) بدلا من ابن عشار أي ابن مخاض واذا تجاوز عدد الابل عن ماذكرنا فيكون لها راعيان ولكل منها نفس الشروط المذكورة أما راعى الغنم فمدة رعايته تكون عن ستة أشهر ويسمونها أجلة صيف وأجلت ربيع وله من الاجرة عن الاجلة الاولى شاة عن كل عشر شياه يرعاها ويكون نصف مايأخذ من الذكور والنصف الآخر من الاناث

والعدد الذى يرعاه لا يقل عن المأتين ولا يتجاوز الا ربعاية وليس للراعى حق على صاحب الحيوان غير ماذكرنا الا اذا احتاج الي شيء يجب على صاحب الحيوان أن يقرضه له وللراعى أن يختار أجرته من بين نتاج الغنم الذي يرعاها ولذلك يصف البدو الشاه الطيبة بقولهم (شاة راعى) أما أجلة الربيع فعن كل عشره شياه يأخذ الراعى شاة طيبة يستغل لبنها وصوفها وتكون من خيرة الغنم التي يرعاها ويصفون الشاه الطيبة الحلوب بقولهم « منيحة راعى » والعدد كما ذكرناه ولا رباب الحيوانات عادات متبعة فيما يتلف من حيواناتهم فلا يرجعون فى ذلك الا للعادة المتبعة والتقاليد المعروفة التى يخضع لها الراعى بكل طوع ورضاء .

أما عن الزراعة وطريقتها المتبعة وأعنى بها زراعة القمح والشعير ، وقد عرفت زراعته لحد الآن على الطريقة القديمة وهى الحرث بواسطة الدواب وتختلف المناطق الزاعية ببرقه فمثلا يزرع القمح والشعير بمنطقة جدابية وسلوق ويزرع القمح بمنطقة المرج أما منطقة البطنان فهي كمنطقة جدابية ولا تكلف الزراعة بالنوع المذكور مشاقا أو متاعب فاذا حل موسم الامطار وهو عادة يبتدى في اكتوبر يأخذ المزارعون فى حراثة الارض بأي جهة تهطل فيها الامطار وطريقة الحراثة لا تكلف الكثير حيث العمال المختصون بحراثة الارض متوفرون والطريقة الخاصة بؤجورهم معروفة وقد جرت بها العادة كما جرت في رعاية الحيوانات ففى الحيل يزرع القمح وصنفه جيد وحجم حبوبه كبيرة ويعرف باسم القمح الذكير أو الموسكي ولا نعلم عن سبب هذه التسمية وربما أورد الاتراك بذوره فى عهدهم من موسكو بيد أن منطقة البطنان وبرقه الغربية يزرع بهما القمح البلدي المعروف باسم المغربية وحجم حبوبه صغيرة ولونه أحمر وهو لذيذ الطعم، ولاجور العمال أنواع منها أن يتقدم العامل الي صاحب الشأن ليعمل عنده بما ألف وهو ان يحضر صاحب الشأن دابة يقال عنها « جابدة » ومحراثا وأدواته والبذر ومؤنة العامل مدة العمل وهي لا تقل عن شهر ولا تتجاوز شهرين وبعد تمام الحراثة يكون العامل طليقا حتى يحل موسم الحصاد فيقوم بحصاد مازرعه وله ربع المحصول.

أما النوع الثاني ويسمونه المكاتفه ، يقوم العامل باحضار نصف البذار من قمح أو شعير مع عمل يده ويقوم شريكه باحضار الدابة والمحراث وأدواته ونصف البذار وتموين الدابة لان العامل يقوم بتموين نفسه وتكون نفقة الحصاد بينهما انصافا وهكذا يقسم المحصول

مزروعات البلاد وحيواناتها والمنتوجات

يزرع القمح الذكير والشعير في مناطق برقه الغربية والبطنان ويزرع القمح المعروف باسم المغربية والشعير في مناطق المرج والجبل الأخضر ، ويزرع البطيخ والشمام والعنب والتين والقرعى والطماطم وكثير من أصناف الخضر المعروفة بالبلاد الواقعة على ساحل البحر الأبيض فى جميع أنحاء برقه ويغرس الزيتون بمنطقة المرج والجبل الاخضر وبنغازى عدا الزيتون البرى بالجبل الاخضر وجميع أصناف الفواكه المعروفة أيضا بالبلاد العربية تقريباً تزرع ببنغازي والمرج ودرنه وجميع انحاء الجبل الاخضر: أما الابل والمعز والضان فمناطق نموها برقه الغربية والبطنان وينمي البقر والمعز بمناطق الجبل الاخضر وبنغازى ودرنه، هناك الصوف الخام الجيد فى برقه الغربية والبطنان والمرج — الأخشاب وخصوصا النوع الخاص منها بالوقود فى الجبل الاخضر . الكبريت فى برقه الغربية . الملح والحلفا والديس والجلد والحصر فى جميع أنحاء برقه .

النبات الخاص بالدبغ والصبغ والبطوم والخروب فى الجبل الاخضر (الشليف البدوى) سجاد . في جميع أنحاء برقه .

البلح الجيد من واحات برقه وهي: جالو ـ اوجله ـ الكفره ـ جخره ـ مراده .

القبائل العربية

طبعت برقه بالطابع الاسلامى منذ أن دخلها الاسلام علي أيدي الفاتحين سنة ٢٣ وقد طغت العروبة منذ ذلك الحين على ما سواها فاصبحت برقه بلاداعربية قحة فى لغتها وعاداتها وتقاليدها وكانت قبل الفتح الاسلامى موطنا لقبايل البربر فتلاشت تلك القبايل واندثرت خصوصا بعد هجرة قبايل هلال وسليم الي برقه فى عهد الفاطميين . ولم يبق لها أثر اذ دخلت بقاياها في القبايل العربية وامتزجت بها فاصبحت منها .

فى القرن الخامس من الهجرة رحلت قبايل هلال ورحل معها بطن من سليم خؤلته في بنى هلال ونزلوا بصعيد مصر وكان رحيلهم الى افريقيا فى بعض الروايات سنة ٤٤٤ هـ وكان السبب فى رحيلهم الي افريقيا التى كانت تابعة للفاطميين بمصر أن البربر نكصوا على أعقابهم وتخلوا عن طاعة الفاطمى فاتفق الفاطمي مع هذه القبايل بان تذهب الي افريقيا لامتلاكها وتخليصها من البربر وللخليفة نظرة سياسية عالية (فأصاب عصفورين بحجر) رأى أولا أن يتخلص من هذه القبايل التي زاحمت سكان مصر في معيشهم هذا من جهة ومن جهة أخرى تكفيه هذه القبايل من تجهيز جيش عرمرم يكلفه ما تكلفه الجيوش فى مثل هذه الحالة فان انتصرت هذه القبايل على البربر هو غاية مايصبوا اليه وان لم تنتصر فعلى الأقل تضعف من قوة البربر فيستطيع الخليفة القضاء علي بقيتهم بأقل حركة وأمد الخليفة تلك القبايل بشيء من السلاح والمؤن ووعدهم بامتلاكهم أراضي البربر إن انتصروا فتوفق الخليفة في تدبيره وانتصرت قبايل هلال وسليم وامتلكت طرابلس وتونس وما جاورها وتقاسمتها فكان لهلال ومن دخل فيها من القبايل العربية الاخرى تونس وكان لسليم ومن دخل فيها طرابلس وبرقه . ولسليم تنتسب جل القبايل العربية ببرقه . يقول الأمير شكيب أرسلان نقلا عن القلقشندي (ان قبايل سليم بن منصور بن عكرمة بن خصفه بن قيس عيلان كانت مساكنهم في عالية نجد بالقرب من خيبر ثم قال : وبافريقيا منهم حى عظيم ثم قال عن الحمدانى (مساكنهم ببرقه ممايلي الغرب ومما يلى مصر ومنهم الابطال الانجاد والخيل الجياد) ويقول الامير أيضا نقلا عن الحمداني والعبر (وقد استولوا على اقليم طويل متسع الاطراف)

ويقول الأمير شكيب فيما يختص بنزوح قبايل سليم من مواطنهم الاصلية : (قد اتفقت الروايات أنه كان بنو سليم بن منصور الخ وبنو عقيل بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة وبنو تغلب بن وائل بن جديله كلهم فى البحرين وكانوا أعظم القبايل هناك وكان أظهرهم بالكثرة والغلب بنو تغلب ثم اجتمع بنو عقيل وبنو تغلب على بنى سليم فاخرجوهم من البحرين وآل أمرهم إلي أن نزلوا بصعيد مصر ثم تقدموا إلى برقه ولم يتركوا بها ولاة ولا امرة إلا لمشايخهم .

يقول أحمد لطفي السيد باشا (وتنقسم القبايل الافريقية جلها فى سليم بن منصور وتنقسم سليم إلى فخذين كبيرين الكعوب وأبى الليل فكانت مساكنهم ما بين قصر سرت شرقا وحدود تونس غربا وبعضها أخذ طريقه الي تونس . هؤلاء هم الكعوب ومنهم أولا سليمان والحاميد وترهونه . أما أبو الليل فهؤلاء المسمون الآن بالسعادى نسبة إلي امرأة تسمى سعدي) يسكن هؤلاء الاخيرون من قصر سرت غربا إلى عقبه السلوم شرقا يتنقلون بين سهول برقه وأوديتها ونجدها ووهادها وسواحلها ودواخلها

وينقسم سكان برقه الآن إلي قسمين، بادية وحضر فيسكن الاخيرون المدن الساحلية الاهلة بهم الان وأهمها بنغازى ودرنه ولا تخلو منهم المدن الصغيرة ببرقه التى يسكنها الكثير من البادية وهناك من الحضر من تروق له سكنى البادية فيسكنها وكذلك البدوي بالعكس ولا يمكن للراءى أن يميز بين البدوى والحضري إذا ترك الشكليات وأمعن فى الجوهر فهناك لا فرق بينهم فى علاقاتهم واخوتهم وتضامنهم فى السراء والضراء فكلاهما جزء متمم للآخر ومجموعة لا تتفرق — وتربط الكثير منهم صلات عائلية ومصاهرات فضلا عن تلك العرى الوثيقة التي تربط بين العربي والعجمى وهى الدين فما بالك بين أبناء لغة واحدة ووطن واحد ولا يوجد ببرقه مذهب غير مذهب الامام مالك بن أنس الامر الذى أدى للوحدة وهذا عامل قوى من العوامل المهمة لتكون الوحدة عامة.

(ا) ينقسم سكان البادية الي قسمين عظيمين أولهما السعادى وهم أبناء سعدى بنت كبير من عظماء البربر وقد أخذت فى حرب بن باديس فتزوجها عظيم قبايل سليم وهو الذيب الملقب بأبي الليل . وقد رويت عن الكثير من متتبعى تاريخ السعادي ان سعدى هى بنت زعيم قبايل زناته المعروف عند المغرمين باخبار حروب الهلالية والزناتية باسم

(الزناتى خليفة)

مواطن السعادى كما سبق ذكرها وهى من قصر سرت الى عقبة السلوم . وينقسم السعادى إلى ثلاثة أقسام يعرف كل قسم منها باسم أبيه فالبراغيث هم أبناء برغوث بن الذيب الملقب بأبى الليل، والعقاقرة هم أبناء عقار بن الذيب المذكور والسلالمه هم أبناء سلام بن الذيب واتفقت الكثير من الروايات بان سلام بن الذيب هو من امرأة أخرى غير سعدي في حين أن البعض يقول بانه ابنها الثالث .

(ب) لبرغوث ثلاثة أولاد هم فايد وجبريل وبرغوث الثانى ولعقار ولدين هما حرب أو محارب وعلى أما سلام فابناؤه هم الهنادى (١) وبنو عونه والبهجة وجميع أولاد سلام بالقطر المصرى ولم يعرف تاريخ اجلاؤهم بالضبط إلا أنه في أواخر القرن الحادي عشر الهجري كما لم تعرف الأسباب التى أدت إلى الجلاء .

(د) استوطن البراغيث والعقاقرة برقه فسكن الاولون برقه الغربية وسكن الآخيرون برقه الشرقية والحد الفاصل بينهما يبتدى من البحر غربى «طلميثه» ويمتد فى اتجاهه جنوبا الى وادى سمالوس ومع هذه القسمة التى حددت لكل منهما موطنه فلا يضن أحدهما على الآخر بالماء والمرعي والمزرع فينتقل كل قسم منهم الي موطن الآخر للسقاية ورعاية الحيوان وحراثة الأرض عند ما تدعو الحالة بدون أى مشقة وعناء وبدون استشارة المالك الشرعى بعد المقاسمة علي شرط ان يكون هذا التصرف بصفة ودية بعيداً عن التعدى الذى يحدوه الكبرياء أو الغضاضة وها نحن نذكر بعض تفاصيل مختصرة للتعريف بقبائل السعادى .

ولد برغوث بن الذيب ثلاثة أولاد كما أسلفنا ولكل من هؤلاء الثلاثه ، أولاد يعرفون باسم أبيهم فتكونت منهم القبايل الكبيرة، فمن فائد بن برغوث قبيلتى الفوائد والرماح . وقد نزحتا الى مصر عقب حرب حصلت بينها وبين اخوانهما البراغيث وجبريل ابن برغوث بن الذيب خمسة أولاد تكونت منهم القبايل الآتي ذكرها :

« ١ » الجوازى وهم أبناء حمزة بن جبريل

« ١ » منهم قسم كبير بالشام ومن أبرز شخصياتهم هناك سالم باشا الهنداوى وسبب وجودهم هناك بقايا من جيش ابراهيم باشا والى مصر فقد تجند فى جيشه الكثير من العرب ومن الهنادى أيضا بمصر الطحاويه

وعرفوا باسم والدتهم (جازية) وقد نزحت هذه القبيلة العظيمة الى مصر بعد حرب حصلت بينها وبين بقيـة الحيارنة وذلك أوايل القرن الثالث عشر الهجرى حوالى ١٧٨٠ .

٢ ـ النواهي . وهم من أبناء جبريل ويعرفون باسم أمهم (ناهيه) . وكانو في المقام الاول من الصولة والعظمة والسلطان وقد أفنتهم الحروب ولم يبق منهم أحد يذكر اللهم الاقسم ضئيل دخل فى قبيلة الجوازى ومما يعزى الى قبيـلة النواهى من قوة الباس أن لا ينطق أحد في حضرتهم بما لا يريدون حتى لقد جرت الكلمة الآتيـة على اللسان للفخر (نقولها والنواهي مصابى)

٣ ـ العواقير . هم أبنـاء موسى الابـح بن جبريل بن برغوث . وينقسم العواقير الى ثلاثة أقسام : السديدى ، ابراهيم ، مطاوع . وكل قسم من هذه الاقسام يتفرع الي عدة بطون . . (١)

٤ ـ المغاربة: هم أبناء عبد الدائم بن جبريل بن برغوث بن الذيب وينقسم المغاربة الى قسمين هما الشامخ والرعيضات ويتفرع من كل قسم عدة بطون .

٥ ـ العريبات: هم أبناء علي عريب بن جبريل . وينقسمون الي عدة بطون وهم أقل قبايل الحيارنة عدداً ومتصلون دائماً باخوانهم المغـاربة في الماء والمرعى والجوار ومنهم قسم كبير يسكن حاضرة بنغازى بقسم قصر حمد

٦ ـ المجابرة: وهم أبناء حمد بن جبريل . وموطن هؤلاء واحة جالو .

٧ ـ البرشه : وهم ابناء بريش بن جبريل . ولم يبق من هذه القبيلة عدد يذكر اذ دخلت بقيتها في قبايل المغاربة فاصبحت منها .

وتعرف هذه القبايل السبعة باسم (الحيارنه) نسبه لجبريل بن برغوث بن الذيب، ذكرنا عن أبنـاء برغوث الاول وهما فائد وجبريل والقبائل التي تكونت منهما والآن نذكر عن أخيهما برغوث الثاني بن برغوث الاول

ج ـ لبرغوث الثانى ولدين هما (عريف وعبيد) فمن الاول قبيلة العرفا وتنقسم الي قسمين

---

(١) موسى الابح وعبد الدائم وعلى عريب هم أبناء جبريل من امرأة تدعى عليا ولذلك تعرف قبايل العواقير والمغاربة والعريبات باسم العلايا نسبة لامهم عليا .

يعرفا بالطرش والسلاطنة ومن الثاني قبيلة العبيد ويعرف جميعهم باسم البراغيث نسبة لبرغوث الثاني وبهذا الاسم يتوهم الكثير أنهم أبناء برغوث الكبير في حين أن كلمة البراغيث تطلق على جميع قبائل الفوائد وهذه تتكون من الفوائد والرماح وجميع قبايل الجبارنه الا نقة الذكر وقبيلتي العرفة والعبيد المعروفتين ببراغيث (المرج).«١»

د ـ لعقاربن الذيب ولدين هما حرب أو محارب وعلي ويقال عن قبائلهما المتحدرة منهما العقاقرة .

هـ ـ لحرب خمسة أولادهم : عبيد وحواس وحمد وادريس وفايد وهذا الاخير هو الاسم الثاني من السعادى لان برغوث الكبير ولد فائداً كما تقدم ذكره ويقال لابنائه الفوائد أما هذا فيقال لاولاده عيت فايد .

١) تعرف القبايل المتحدرة من حرب باسم الحراني وتتكون منهم قبايل العبيدات وهم أكثر قبايل السعادى تعداداً وقد تزوج عبيد بن حرب من سعدى بنت احد كبار الهلالية ومنها ولد هذه القبايل الكثيرة المعروفة بالعبيدات وتنقسم هذه القبايل الى عدة بطون وأفخاذ منها أولاد واعر وفى هذا القسم بيت الزعامة والرياسة ومنه حبيب بن عبد المولى الابح الذى أجلى قبايل أولاد على من برقة الي مصر، ومن أحفاد حبيب العمدة يس بن المجاهد الكبير الشهيد المبرى .

٢ ـ الحاسه هم أبناء حواس بن حرب وتنقسم قبيلة الحاسه الي ثلاثة أقسام قلابطة وشبارقه وبخايت وكل قسم يتفرع الي عدة بطون .

٣ ـ البراعصة (أو أولاد حمد) وهم أبناء حمد بن حرب ومن المعروف أن برعاص الذى تتكون منه قبايل البراعصة هو في الحقيقة ليس بولد لحمد ولكن حمد بن حرب تبناه إذ تزوج والدته التي جاء بها زوجها من المغرب فى طريقه الي الحجاز وقد مرضت الزوجة فتركها الزوج عند مضيفهما حمد بن حرب وكانت حبلي فولدت بمحل مضيفها وجاء الخبر أن زوجها توفي بالحجاز وعندئذ تزوجها حمد وتبنى ولدها وآخاينه وبين أبنائه وشب برعاص بن المغربى وربي في حضانة حمد وكان من أنجب الشبان ومن المعروف أنه شريف الاصل

«١» المرج احدى مدن برقة وتقع في أرض العرفا وبقربهم العبيد وتعرف قبايل العرفا والعبيد ببراغيث المرج ليعرف أنها أبناء برغوث الثاني .

إذ يتصل نسبه بالولي الصالح السيد عبد السلام بن مشيش وكان أكبر أولاد حمد فتقدم على اخوته وملك معهم وطارصيته بين بقية قبايل الحرابي خاصة والسعادى عامة وأنزلوه اخوته منهم منزلة سامية ولقب ببرعاص ومنه تتكون قبايل البراعصة وهم طامية والمساعيد وحسين ،أما أولاد حمد فمنهم الظوافر وعائلة نايل وبلاذان وهؤلاء هم أبناء حمد بن حرب .

٤ ـ الدرسا : هم أبناء ادريس بن حرب بن عقار وتتكون منهم قبايل كثيرة منها برغل وعبد الجواد ومحمد ويتفرع من الاقسام المذكورة عدة بطون .

٥ ـ عيت فايدهم .ابناء فائد بن حرب بن عقار وهم أقل قبايل الحرابي برقه عدداً اذ لايتجاوز عددهم مايه نسمة وجلهم هاجر الي مصر من زمن قديم ،هذه هى قبايل الحرابى

و ـ أولاد على : هم أبناء علي بن عقار وينقسموا الى قسمين ، على الابيض وعلى الاحمر وجميع قبايل أولاد علي أجليت الى مصر فمساكنهم من عقبة السلوم الى شرق الاسكندرية وسبب الجلاء هو الحرب الذى وقع بينهم وبين اخوتهم العبيدات لانهم قتلوا عبد المولى الابح عقب حرب حصل بين الفريقين فالتجأ حبيب بن المقتول الي محمد بك القره مانلى حاكم طرابلس واستنجد به فامده بتجريده من طرابلس تعرف بتجريدة حبيب وكان يقودها هو بنفسه وانتصر علي أولاد علي واجلاهم الى مصر بعد اجلاء أولاد سلام وبقايا تلك التجريدة هم الذين عمرت بهم درنه وهم سكانها الآن . هذه هى قبايل السعادى ببرقة ولنذكر الآن عن تعدادها وان كنا لانجزم بصحة التعداد.«١»

يقول الامير شكيب أن عدد قبايل العبيدات ماية وعشرة آلاف نسمة ولكن قسماً من هذا العدد يتخذ مصر مواطنا وعدد هذا القسم الاخير إثنى عشر الف وماية لم أدري أنه يقصد بهذا العدد جميع قبايل الحرابي أم يقصد قبيلة العبيدات فقط .

ثم يقول الامير شكيب أن عدد قبايل العواقير ٣٠٠٠٠ نسمة وهذا العدد لا يبعد عن الصحة ان لم يكن قد قلل منه ثم يقول ان عدد قبايل المغاربة ٢٥٠٠٠ ، نسمة وهذا أيضا قريب من الصحة .

«١» كتاب داوغوستي لا يعتمد الا فى أسماء القبايل فقط لانه أخطأ في تعداد القبايل كما أخطأ في ارتباط بعض القبايل بالبعض الآخر من حيث النسب .

يقول الكونيل داوغوستيني الايطالى مؤلف كتاب «الشعب البرقاوي» أن عدد قبايل الحرابي ٦١٨٠٠ «على وجه التقريب» وعدد نفوس قبايل البراغيث ٥٤٣٠٠ (على وجه التقريب) وعدد نفوس قبايل المرابطين ٤٦٩٠٠ (على وجه التقريب) لاشك عندي ان المؤلف قد أخطأ في تقديره أو احصائه ومن المعلوم أن ايطاليا لها نظرة خاصة سياسية فى التقليل من عدد الشعب وان هذا المؤلف كان تحت تصرف الادارة السياسية أثناء تأليفه لكتابه الذى طبع حوالى سنة ١٩٢٨ م

ثم أن الكتاب طبع قبل أن تنتهى الحركة الحربية في البلاد وكانت جميع قبايل المغاربة تقاتل الطليان ولم تخضع ولم تتصل بالطليان في أى وقت من الاوقات وقتذاك فكيف يستطيع المؤلف أن يحصى تعدادها أو حتى يقدره تقديراً لا يبعد من الحقيقة، ثم أن الكثير من قبايل العواقير وخصوصا السديدى كانوا هم أيضا يحاربون الطليان وانتهت حركتهم بالهجرة الي مصر والسودان فاين للمؤلف معرفة عددهم ؟ ثم أن جل قبايل البراعصة وبالاخص عموم طامية والكثير من قبايل العبيد والعرفا والعبيدات والدرسا لم يعرف عنهم المؤلف أي شيء وقتذاك لانهم في حرب مع الطليان وانتهت حركتهم بعد سنة ١٩٣١ فهاجر منهم من هاجر فكيف يستطيع احصاءهم ؟ أما قبايل المرابطين فمنهم قبايل زوية باجمعها وهى من كبريات القبايل في برقه (والقبايل) والكثير من العوامه والمسامير والقطعان والفواخر وأولاد الشيخ وجميع قبايل المنفى كانوا أيضا يحاربون الطليان الي سنة ١٩٣١ وبعدئذ هاجر من هاجر الى مصر والسودان ولم يستسلم الا القليل منهم فمن أين للمؤلف أيضاً أن يحصى تعدادهم كما نشره .

كنت وقت أن جيئى بقبايل العبيدات الي معتقلات العقيلة والبريقية قد اطلعت بواسطة المديريه على الاحصاء العام لقبايل العبيدات الذين وصلوا الي المعتقلات ووقفت أيضا على الاحصاء العام للوفيات وللبقية التي عادت الى موطنها وكنت قد سجلت ذلك في المجموعة التي ضاعت مني ولم أستطع أن أجزم الان بصحة العدد الا أني أتخيل أن العدد الذى وصل الى العقيلة والبريقة كان أكثر من « ٧٠٠٠٠ » نسمة وان الوفيات كانت أكثر من الثلث ولكنني اجتمعت بعد ضياع المذكرة الاصيلة بعمر أفندى جعودة وكان وقتذاك من الموظفين بمركز الرياسة بالعقيلة وهو الوحيد الذي ترد الي مكتبه جميع المعلومات

ويقف على جميع سجلات المديريه وسجلات البوليس وسألته عن العدد الصحيح فاخبرني أن العدد الذي وصل الي البريقية والعقلية «٧٢٠٠٠» وعدد الوفيات ٢٧٠٠٠

وبمثل هذه النسبة في العدد المذكور كانت الوفيات بمعتقلات المقرون وسلوق وانني نامل أن تمكن من العدد الصحيح لسكان برقه فنسجله بكتابي الذى شرعت فى جمعه وتأليفه واسميته (القبايل العربية ببرقه) ولا شك أنه يتسع لذكر كل شيء من التفاصيل عن القبايل العربية حيث أن كتابنا هذا (برقة العربية) قد اختصرناه لعدم تمكننا من التعميم .

. قبل أن ابتدى في التفصيل عن قبايل المرابطين وهم القسم الثانى من سكان برقة أودان اسجل هنا بعض أسماء عربية تتفق واسماء القبايل العربية فى برقة وقد نقلها عن حاضر العالم الاسلامي للامير شكيب أرسلان وعن تاريخ شرق الاردن وقبائلها تأليف اللفتنت كولونيل فردريك ج بيك .

مما لاشك فيه أن جميع هذه القبايل التى تقدم ذكرها تتحدر من الذيب الملقب بابي الليل كما تقدم وهو من سليم بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس من عيلان وكل من دخل فى هذه القبايل المتقدم ذكرها فاصبح منها وهو لم يكن من سلالة الذيب فهو بلا شك من قبايل سليم أو من العائلات العربية التي جاءت مع سليم وهلال فمثلا هناك سلام بطن من لبيد من سليم من العدنانية مساكنهم في برقه كما جاء في حاضر العالم الاسلامي نقلا عن القلقشندى ولم يكن ببرقه اسم سلام الاسلام الذى تقدم ذكره .

الحداده بطن من لبيد من سليم وعندنا ببرقه الحداده احدي قبايل العواقير وكذلك الحدادة بينغازى .

الشبله . بطن من لبيد من سليم وفي برقة قبيلة الشباله التابعة للعواقير كما أن هناك قبيلة الشبول بقرية الشجرة من شرق الاردن وهم من بنى عقبة .

الشواعبة . بطن من لبيد من سليم مساكنهم ببرقة وكذلك الشعوب بطن من صبيح من فزاره من العدنانية بلادهم برقة وعندنا فى برقة الشعيبات احدى قبايل المغاربه وشعيب من قبايل صبيح المغاربة وشعيب أيضا من قبايل الدرسا م

العواكله . بطن من لبيد من سليم من العدنانية مساكنهم برقة ، وعندنا العواكلة

عوسله

احدى قبايل العبيدات كما أن هناك العواقلة بشرق الاردن .

العلاوى . بطن من لبيد مساكنهم ببرقة وعندنا عائلة عليوه من قبيلة المغاربة .

البركات . بطن من لبيد من سليم مساكنهم برقة ، وعندنا البركات بقصر حمد بغازى

صبح : بطن من فزارة من العدنانية مساكنهم برقه ، وعندنا صبح إحدى قبايل المغاربة .

بنو شماخ : بطن من هيب من سليم من العدنانية مساكنهم برقه ، وعندنا أولاد الشامخ إحدى قبايل المغاربة .

المواسي : بطن من لبيد من سليم من العدنانية ، وقد سمعت حديثاً وأنا بمصر أن المواسى عائلة من قبايل الحاسه .

النوافله : بطن من لبيد من سليم من العدنانية ، وعندنا قبيلة نوفل إحدى قبايل المغاربة .

بنو محارب : من سليم من العدنانية مساكنهم برقه ، وعندنا الحرابي وقد تقدم ذكرهم . وهناك قبيلة عربية بشرق الاردن يقال لها الحجازات . وعندنا الحجازات من قبيلة الدرسا . البدور قبيلة عربية من بنى خالد بمنطقة الكرك شرق الاردن . وعندنا ببرقه قبيلة البدور . البعيرات بشرق الاردن — وقيل انهم قرشيين وعندنا البعرات بجالو .

الدريسا : قبيلة بشرق الاردن بقرب الرمثا وعندنا قبيلة الدرسا .

الخادمة والخزاعلة هم من بنى حسن يسكنون قرية الرمثا شرق الاردن . وعندنا عيث الخادم (عبيدات) وعيت خزاعل (براعصه) .

العبيدات : بناحية الوسيطة شرق الاردن وهم من ربيعة من العدنانية ويقول المؤلف (ويقال إن هناك منهم فرع ببرقه) نكتفي بعبارة المؤلف فلا نعلق عليها .

العشيبات : عوايسه أصلهم من جبل قيس بفلسطين وهم الان بغور الصافى بشرق الاردن . وعندنا العشيبات ببرقه

العبادلة : بشرق الاردن وينسبون لجعفر الطيار ، وعندنا العبادلة ببرقه

الخليفات : شرق الاردن . وعندنا الخلايف بجالو

الفضول : من آل ربيعة من طى بشرق الاردن . وعندنا الفضول ببرقه

الطوالب : من قبيلة الفضول من بنى حميدة بشرق الاردن وعندنا الطوالب بجالو والفضول كذلك ببرقه من قبيلة العواقير .

العبيدات . من الرواشدة أصلهم حجازيين وعندنا العبيدات ببرقه وكذلك العبيدات بشرق الاردن وهم من ربيعه من العدنانية كما أن العبيدات ببرقه من العدنانية

النجارات والمسامراه والخليفات والنصيرات والجميعات كل هذه القبايل من العطيات بشرق الاردن وهي قبايل عربية ، وعندنا ببرقه النجار من العواقير والمسامير مرابطين ومنهم (عائلة نوح اشراف النسب) والخلايف والنصيرات من المجابره ، والجميعات من قبايل أولاد سليمان

الصيحات . من شمر من طحا بشرق الاردن وعندنا الصيحات من قبايل المغاربة

الحجل . عشيرة من عشاير السرحان من القبايل العربية بشرق الاردن وعندنا ببرقه عائلة الحجل من العبيد .

الرحة . من سويلم إحدى عشاير العيسى من عرب الشام من آل ربيعة من طحا ومنها الربايعه . وعندنا الرماح ببرقه ومنهم بمصر ومن هذه القبيلة حمد باشا الباسل وهي فرع من قبيلة الفوايد التى يتزعمها سعادة عبد الله لملوم باشا

إن هذه الاسماء التى تناولناها لتلك القبايل العربية تتفق والكثير من أسماء القبايل العربية ببرقه ومنها ما هو محرف عن الاسم الاخير بشكل بسيط وبما أن قبايل برقه هي قبايل عربية بلا شك وأن جلها من سليم الذى ينحدر من العدنانية كما أن هذه القبايل التي سردنا أسماءها والمتفقة فى الاسماء مع قبايل برقه وأكثرها هى الاخرى من العدنانية فليس من الغريب أن يكون لهذه الاسماء والمسميات صلة أهملت مع طول المدة وكر الجديدان وتباعد الديار وعدم الاختلاط، ومما يجعلنا نتأكد من صحة ما نذهب اليه هو أن لابد لهذه الاسماء المتقاربة من صلات ومما هو معلوم لدى جميع المؤرخين ان قبايل هلال وسليم جاءت معهما عائلات كثيرة من مختلف القبايل العربية ولهذه العائلات بقايا منها ما دخل فى قبايل السعادى المنحدرة من أبي الليل فأصبحت منها، ومنها من لا يزال باقيا بالاحتفاظ بهذه الاسماء التى اتفقت مع الاسماء التي سردناها وقد يحتاج الامر الي بحث

شديد ومراجعات كثيرة . ولا تخلو بلادنا ممن يهتم بهذا الموضوع المهم كما يهمنا أن نحيي ما اندرس من الصلات والعلائق التي تربطنا ببني عمومتنا في الشرق العربي وبذلك قد قمنا بواجبات أهملها من سبقنا من أسلافنا ومن أبناء عمومتنا في مصر وفي الشرق العربي .

نذكر الآن ما يمكننا ذكره عن المرابطين وهم القسم الثاني من سكان برقة فنقول . لكلمة المرابطين تعليلات كثيرة يرددها بعض الناس ولم نقف على صحتها فمن قائل يقول أن هذه الكلمة أطلقت عليهم لقيامهم بمهمة الرباط على سواحل برقه أثناء المعارك التي كانت تدور بين العرب والبربر في دواخل البلاد ومختلف المواقع وقائل يقول ،لما استتب الامر لقبايل سليم وهلال وتقاسموا البلاد كما سبق ذكره عهد بنوا سليم للعائلات العربية التي كانت معهم بان تتخذ مساكنها بسواحل برقة وتقوم بمهمة الرباط على الثغور الساحلية حيث لم تكن لديهم الابل الكافية ليتنقلوا في دواخل برقة كما فعل السليميون الي غير هذه الروايات المختلفة ويذهب بعض المحدثون الى أنهم هم سكان برقة الاصليين أي قبل السليميين ولكن أحد من المؤرخين لم يجزم بصحة ماذهب اليه القائل بذلك ونخالف نحن هذا القول بدليل عقلي ، فبرقه لم يكن بها عرب قبل دخول قبايل هلال وسليم لان العرب كلما فتحوها عادوا منها الى مواطنهم الاصلية اللهم الا قسم ضئيل ان صح بقاؤه بين البربر فتبربر، ثم أن قبايل المرابطين كلها قبائل عربية في أسمائها ومسمياتها وعاداتها وتقاليدها ونعرتها وهذا دليل علي أنهم من قبايل هلال وسليم أو من الاقليات العربية التي دخلت في زمرة هلال وسليم وهذا القول الاخير أرجح لانهم لو كانوا من نسب واحد لبقت صلات ذلك النسب بجمعهم الى الآن كما جمع النسب بين قبايل السعادي ولكن لا يشك أحد في جنسهم العربي الصحيح .

١ - ينقسم المرابطون الى قسمين قسم يتصل أو يرتبط بالسماوى إرتباط اخوة وتحالف وهم زوية والمنفا والفواخر والقطمان وهذه القبايل الخمس من كبريات قبايل المرابطين وأكثرها عددا ثم القبايل والشواعر وحبون والهوالك والجراره والشهيبات والشلاوية والتراكي وعائلة نجم والصوانع والعوامة والحوتي والعلاونه وسعيط والعقايل والحضيرات وسمالوس والعشيبات ومشيط والحسانه والسراجنة .

٢ — وأما القسم الثانى فهم المسامير ومن هؤلاء (أولاد) نوح اشراف النسب وأولاد الشيخ وهؤلاء ينتسبون للولى الصالح (السيد عبد السلام الاسمر الفيتورى) والحمر والمهشهش وعائلة مفتاح وعائلة أبومغسانه وعائلة العنانى وهذا القسم الثانى من المرابطين قسم محترم بين قبايل السعادى وبين قبايل القسم الأول من المرابطين باعتبار أنهم اشراف النسب وإذا ضعف هذا الاعتقاد لعدم توفر الحقائق التى تثبته في هذا القسم الثانى فقد ثبت صلاحه واصلاحه وعادة يكون وساطة خير وحلقة تفاهم واتصال بين قبايل السعادى المختلفة ويحل الكثير من المشاكل المعقدة بين المتخاصمين ولهم وجاههم ومكانهم ويعرف القسم الاول والثانى من المرابطين بالنخوة والشجاعة والاقدام فيجتمعون مع قبايل السعادى فى هذه الاوصاف والان نذكر ما وصلنا اليه من بحوثنا نحو انسابهم باختصار وسنفي المقام حقه ان شاء الله في كتابنا الثانى (القبايل العربية ببرقه)

يقول الامير شكيب ارسلان ان الشهيبات يقال عنهم انهم من ذرية الصحابي عكاشه ولم يجزم بصحة هذا القول ويقول ان الفواخر من عرب اليمامة وان الحسانة بطن من صبيح من فزاره مساكنها برقة ، (هناك بشرق الاردن قبيلة الحسانة وهم من الحمايدة) ويقول ان العلاونة بطن من لبيد من سليم من العدنانية ، ويقول ،زغب بطن من سليم وعندنا الزغيبات من القبايل ببرقة وهناك الزغيبات بشرق الاردن بقرية المزار واصلهم من بغداد وعندنا أيضاً موقع ببرقة يعرف بزغبه لعله نسبة الى زغب ، ويقول ان المسامير : بطن من صبيح من فزاره من العدنانية ، يوجد في شرق الاردن المسامير من قبيلة عياد بطن من بنى طريف من جذام من القحطانية . العلاونة بشرق الاردن قبيلة عربية بعجلون وعندنا العلاونه ببرقة .

ويوجد بشرق الاردن قبيلة الرحامنة وعددها ٣٠٠ نسمة ،ويقول صاحب تاريخ شرق الاردن وقبائلها ، انهم جاءوها من برقة .

المنايعة والجرارة من قبيلة المناعين المتحدرة من الحجايا بشرق الاردن والحجايا بطن من شمر من طى وعندنا ببرقة المنايع قبيلة من قبايل زويه والجرارة احدى قبايل المرابطين .

الدبابسه والفوارس من قبيلة الخيارات من القبايل العربية بشرق الاردن بعجلون ،

وعندنا الدبابسه من المنفا والفوارس من العواقير .

الحويتـات : عشيرة من عشاير المشاقية من الزيود بشرق الارن وعنـدنا قبيـلة الحوتي من قبايل المرابطين ببرقة .

العقايله والطلاحنة من بنى حميدة قبايل عربية بشرق الادن وعندنا ببرقة العقـايل والطلوح من قبايل المرابطين .

تنقل عن الامير شكيب ارسلان أن القطعان من ذرية كعب الاحبار ولم يجزم بصحة مارواه .

ويقول الأمير شكيب أن المنفامن بنى هلال الا المقورى فانهم أشرافها شميون.

هذا ماوصلنـا اليه من التعليق على القبايل المذكورة وتوافق الاسماء التي لا يستبعد ن تكون دالة على صلة النسب بين هذه القبايل العربية وقد ثبت أن جميع سكان برقة وهم السعادى من سليم وان مع سليم عائلات عربية شتى أما بقية قبـايل المرابطـين التي لم نجد لاسمائها متشابهات ولم نقف على صحـة أنسابهـا لم نذكر عنها شيئـا ولا زلت أجاداً في بحثى والله الموفق .

٣ـ كان الفاتح العظيم إبراهيم باشا والي مصر عندما غزا الشام أنخرط في جيشه الكثير من عرب برقة الذين هاجروا الي مصر باسباب الحروب أو طلبا للعيش وكانو محل أعجاب وعنـاية قائدهم إبراهيم باشا وبقت منهم بقايا هناك لازالت تحتفظ باسمائهـا والقـابها كما سمعت وأشهر إسم هناك هم الحاسا واني أسوق هنـا بيتين لفتاة من الفتيات العربيـات بشرق الاردن علي طريقة الشعر البدوى وقد أعجبنى تشابهها بالشعر البدوى في برقة .

منزل هلي بين الظفير وشمر　　على مثل صلوى النارحامي وقودها

قنـاصهم يقنص يوما ويتني　　ويجيب من لحم الجوازى عضودها

هذا ماوصلنا اليه الآن من المعـلومات المختصره عن قبـايل العرب ببرقة وانلفت نظر سكان برقة السليميين أن نسبهم يتصل بنسب أخوالهم الهلاليين في منصور بن عكرمة بن خصفه بن قيس عيلان وهو من مضر بن معد بن عدنان :

الذيب الملقب بابى الليل هو من سليم بن منصور بن عكرمه الخ .ـ

هلال من عامر بن صعصعة بن معاوية بن بـكر بن هوزان بن منصور بن عكرمة الخ :

ز

قسم الحاضرة .

الحاضرة هم سكان مدينتي بنغازى ودرنه وينقسم سكان بنغازى إلى قسمين رئيسيين كبيرين وهما ذكيران — وحاشيه ـ وكل قسم من هذين القسمين يتفرع الي عدة مسميات وفى كل من تلك القبايل التى انتمت الي أى قسم من القسمين الرئيسيين عناصر عربية وبعض أشراف النسب ـ وأتراك ـ وقليل من البربر ومثل ذلك الحال في درنه وينقسم سكان درنه إلى قسمين رئيسيين أيضاوهما ـ البيخه ومصراته وتربط بين سكان درنه وبنغازى روابط عنصرية ومصاهره عدا الروابط الاسلامية الوطنية المتينة .

ح

هناك قسم آخر من سكان برقه لا يقل أهمية عن أى قسم من الأقسام التى تسكن برقه ويكون هذا القسم عنصراً له مكانته بالبلاد بين البادية والحضر وله صلاته المتينة مع السعادى والمرابطين الا وهو قسم (الاخوان السنوسيين)

إذا نظر الانسان نظرة حقيقية إلي كلمة الاخوان وما اشتملت عليه من المعاني التي توخاها السيد محمد السنوسى فى هذه التسمية وجدها تطلق على جميع معتنقي المبدأ السنوسي في جميع البلاد الاسلامية ومن بينها عموم سكان برقه .

ان هذه التسميه التي أسما بها السيد محمد السنوسي اتباعه أصبحت لا تقل عن نسب يجمع طائفة متفرقة أو أفراد قبايل مختلفة فتكون مجموعة متناسقة متضافرة لا تنظر لغير هذه التسمية نسباً تنتمي اليه وقد شعر الطليان بخطر هذه المجموعة فاعلن عليها حرباً شعواء لا هوادة فيها ولم يرحموا فى حربهم هذه أحداً من الاخوان حتى أولئك الافراد القليلين الذين أرغمتهم ظروفهم وانساقوا إلي ما توجههم اليه عقليتهم المحدوده من الانضمام على الطليان فلم يستأنسوا بهم ولم يقلعوا عن عدائهم .

سمعت من مواطني الغيور عبدالله افندى سكته وهو من خيرة شبابنا الناهض قال لي :

اطلعت على تقرير دورى خاص بعث به الجنرال غرسياني حاكم برقه الايطالي سنة ١٩٣١ إلى دوائر حكومته أثر موت أو قتل أحد أفراد الاخوان . وقدوصف كل فرد منهم في تقريره بانه كالحية التي لها اية راس فلا يكتفى بقطع رأس واحد وقدأوعدني محدثي بالبحث عن هذا التقرير الذي له قيمته التاريخية والذى يثبت أن ايطاليا لم تفكر فى يوم من الأيام أنها ستطمئن إلي أى فرد من الاخوان .

لو لم يجمع الاخوان هذا النسب العظيم حتي أصبحوا وحدة كاملة لما حسب لهم الطليان حسابها ولصاروا آحاداً ممزقه كل فرد منهم ينتسب لقوم خارج برقه لم يعرف عنهم منذ قرن من الزمن وأكثر (فالشامي شامى والبغدادى كما يقولون بغدادي) ولكن هذا المبدأ العظيم الذى بزغت شمسه علي مسرح التاريخ في النصف الاول من القرن الثالث عشر الهجرى لهو مجهود جبار قام به ذلكم الرجل العظيم خدم مبدؤه العلم والاخلاق وجميع وسائل الحياة الاجتماعية الراقية وليس من العجيب أن يذهذا المبدأ جميع المبادىء بسحر معناه وسرعة انتاجه وإنما العجيب اعتناق هذا المبدأ طواعية وبدون إكرا وباقبال عظيم . وهذا محل الاعجاز فى عمل السنوسي الكبير .

لقد أخبرنى المجاهد الكبير الشيخ سليمان رقرق العاقورى بهذه الحكاية الآتية وهأنذا أسوقها لعلاقتها بالموضوع قال :

بعد حادثة البياضية « ١ » طلب والى بنغازى الايطالى من سمو الامير السيد ادريس السنوسى أن يأذن له فى الاجتماع بشيوخ القبايل العربية ببرقه وممثليها بموقع (انتلات) للتفاهم معهم لعله يصل بذلك الي اتفاق أو الى ما يرمى اليه على شرط أن لا يحضر هذا الاجتماع أحد من الاخوان مهما كانت صفته وهذا دليل من الادلة الكثيرة علي أن الطليان عرفوا أن الاخوان من ألد أعدائهم .

أثناء تدوينى لهذا الكتاب طلبت من كل فرد من السادة السنوسيين أن يمدني بما لديه من الوثائق والمراجع التاريخية التي قد تكون لديه وقد تكرم كل منهم باجابة طلبي

---

(١) حادثة البياضية ذكرت بهذا الكتاب

فعثرت علي ورقه قديمه بخط السيد محمد عابد السنوسى بين أوراق ابنه السيد أحمد بن السنوسى وبها مايبرر قولى من أن الاخوان لا يريدون نسبا يشرفهم غير الانتساب الى هذا المبدء وقد تجردوا عن كل ماسواه وهاناذ انقل تلك الروايه .

كان السيد الاكبر الاستاذ السيد محمد السنوسى بالعزيات وبعد صلاة الصبح وقرآة (الحزب) طلب أن يحضر الاخوان وكان من بينهم السيد أحمد الريفى (كبير الاخوان) والسيد على عبد المولي والسيد مصطفي المحجوب وتخلف عن الحضور السيد عمر الاشهب لمرض برجليه فخاف أن لا يجلس بادب فى حضرة السيد الاستاذ وقد عرف السيد رضي الله عنه ماخاف منه السيد عمر الاشهب فامره مرة أخرى بالحضور وكان بمجلس الاستاذ رضى الله عنه سريراً فقال للسيد عمر مدرجليك تحت السرير وقاية لهما من البرد وشعر السيد عمر ان في ذلك سر لشفائه ففرح وبدأ السيد الاكبر يسال كل واحد من الاخوان عن نسبه وكل واحد من المسؤلين يرد بما يعرفه حتى جآء دور السيد عمر الاشهب فكان جوابه لانسب لي ياسيدي يشرفني غير طريقتكم وانتسابي علي حضرتكم وكفى بالاسلام نسب يقربنى منكم فأجابه الاستاذ رضى الله عنه بقوله إنك شريف حسنى وإن جدك جآء الي زليتن من فاس وقد سكن مدة بغريان وسأعطيك وثيقة نسبك)

هذا النسب الذى ينتمى اليه السيد عمر ورفاقه من الاخوان ويرونه منتهى الشرف ويشاركهم فيه كما قلنا كل معتنق للمبدء السنوسى ماهو الا شرف الاسلام .

« ولا أزيدك بالاسلام معرفة كل المروأة فى الاسلام والحسب »

ليس للسنوسى مبدء غير الاسلام الصحيح ولم يكن مبدؤه حزبية كما يعرف الان الآن ولكنه الكتاب والسنه عملا

ان جميع سكان برقة من البدو والحاضرة ينتمون الى هذا النسب المشرف ولكن جرى العرف بين أهل برقة ان الاخوان هم حاشية السيد السنوسى ورفاقه ومنهم رءساء الزوايا وكذلك علماء وطلبة معهد الجغبوب والكفرة أو الذين تعهد لهم خدمات خاصة ولعل هذا القول والاعتقاد بهذا العرف من أهل برقة لا يرمون به الى حرمانهم من هذه التسمية (١)

---

(١) أثناء الحرب الليبية لايطالية استسلمت لايطاليا بعض الاحياء البدوية وكان احد البدو بالحيش السنوسى وله ابنت عمه تحت الطليان وكان يعشقها فصعب عليه لقاءها ولو أخذ يتغنى بقوله (سريب (سالمه) يانا اليوم اشقاني هى (مطلينه) وانا أقبيت اخواني)

ولكنهم يمتازون بها كل من تقرب الى السيد الاكبر وانقطع اليه وها نحن نذكر عن الاخوان الذين جاءوا مع السيد الاكبر الى برقة اوالتحقوا به فاصبحوا من أهلها ويؤلفون شطراً من سكانها لا يستهان به ،أما بقية الاخوان الذين هم من أصل برقاوى فبالطبع جاء التفصيل عنهم ضمن قبائلهم التي تجمعها تسميته الاخوان .

عائلات الاخوان ببرقه هم الريفي ، البسكرى ، آل خطاب،وهم أكثر الاخوان عدداً ،الغرياني بدفنه — أبو فارس — أبوسيف — الغمارى — الدردفى — بن اسماعيل — الجبالى — العيساوى — السكورى — الجيلانى — التواتى — عبد المولى — الاشهب المحجوب — المدني — بن صادق — بن شفيع — السوسى — الحلافي — الفزاني — خوجه — وأكثر هذه العائلات وغيرها ممن لم نذكره مرتبطة بعضها مع البعض برباط المصاهرة وتكون هذه العائلات وغيرها من عائلات الاخوان مجموعة كبيرة لاتقل عن احدى القبايل ببرقة و أكثر هذه العائلات شريفة النسب أو من أصل عربى

المحاسن والعادات العربية والبدوية

أن لسكان برقة من الحضر والبادية محاسن كثيرة وصفات سامية يعجز عن حصرها اللسان ويقصر عن تسجيلها البنان منها انهم يتصفون بالكرم الحاتمي «١» وحسن الطوية وسلامة الضمير وصفاء السريرة والتسامح الي حد بعيد ويميلون بطبعهم الى المسالمة فالم تمس أعراضهم ولكن عندما تمس كرامتهم أو تهضم حقوقهم أو يتجاهل احدما ها عليه فهناك تثور ثائرتهم ويتهورون للدفاع عنها بقلوب صخرية لا يعرف اليها الخوف منفذم وقد ظهر ذلك فى أوضح معانيه عندما استعرت الحروب بين القبايل البدوية التى أدت ا

١» ممن يعرف بالتطرف في كرمه ببرقة عبد ربه أبو شناف والسد السنوسى الاشهب وشلبي الغول ورسلان الغالبي وعمر الحليق وحمد بن ناصر وعبد الله الاشهب ومما يحكي عن هذا الاخير أنه يقضى ليله طائفا حول زاوية مسوس وبيده مصباحاً منورا للبحث والتنقيب عمن جاء ليلا ونام بقرب الزاويه من غيرعشاء وليهتدى بمصباحه من كان تائيها من الضيوف . أما الحاج سليمان أبومطاوي وهذا قدجاء الى بنغازي تاجراً وقد سمع به أحد الفقراء فذهب اليه سائلا وكان سليمان قد أخرج قافلته من بنغازي الي البر وبقي لمصلحة يقضيها في وقتها ويلحق بقافلته وكان يتمشى بالسوق فسأله الفقير لعلمه أنه بدوى وربما يعلم عن سليمان أبو مطارى فردسليمان نفسه قائلا .ماذا تريدمن سليمان وهل تعرفه فأجابه الفقير أني لا أعرفه ولكن قصدى أطلب منه شيئا من هدومه لانى عريان وهاهوالشتاء مقبل وان لم يجد لى شيئاً أرجوه أن يكفلنى عند التجارفى كسوة أدفع ثمنها أقساطا فقال له سليمان نفسه سربنا لعلنا نجد صاحبك بالمسجد ولما وصلا الي المسجد تجرد سليمان عن حرامه الخاص وقال له خذهذا الى ان تجد صاحبك فلا يصح أن ترجع خائباً،فسأله الفقير عن اسمه فأجابه سليمان سر ياأخى الي أين تريد فأني عبد من عباد الله المذنبين ولما خرج الفقير عرف أن صاحبه الذى أعطاه الحرام هوسليمان أما سليمان فبقي بالمسجد حتى جن الليل وخرج الى قافلته اذ لا يمكنه الخروج من غير

لجلاء البعض منهم فمتى بحث الباحث عنها وجد أسبابهما الدفاع عن العزة والكرامة وحماية الجار أوكرها للرضوخ تحت الذل والهوان ولتنظر الى جهادهم ضد الطليان ذلك الجهاد المجيد الذى سجل لهم آيات البطولة والاقدام بمداد من دمائهم فى صفحات الخلود وأضفى عليهم من الفخر ما يطاول السماء علوا فلقد ثارت ثائرتهم عندما داست أقدام العدو بلادهم فتهوروا للدفاع عنها بدون أن يحسبوا الموت أى حساب واندفع كل فرد منهم بقلب صخرى لا يعرف الخوف اليه منفذا ولذلك يشهد التاريخ بما أظهروه من الصلابة التي أدهشت العالم وحيرت الافكار وحفظا لمجد الغروبة التى هى محل فخرهم ولنذكر نبذه عن نوع الكرم البدوي .

حرام بالنهار ومما يقال عن رجل بنغازي ولم تذكر اسمه الان أنه خرج من بيته لقضاء مصلحة فصادفه فقير عريان فخلع عليه حرامه وعاد وقبل أن يصل بيته قابله من سأله متعجباً أتسير بغير حرام كانك جنيت ؟

فقال له ان حرامي أصابه زيت بالطريق يصعب معه ارتداءه فخلعته عند الغسال وهنـاك أيضاً حمد العلواطى الذى قيل فيـه بعد موته .

ماحال دائم ياحمد اللواطى ... مامن عصر منك اللي متواطى

ياحمـد يانارى ... ياقرم ياعز النواجع ضارى

مار تـكبت من سبق سماح جراري ... ومالبست من عز الجعب شلواطي

ثم رمضان الشيخى ـ خليل الدآخ حميد الزينى وغيرهؤلاء كثير وأما الكرم بنوع خاص فيتصفون به الحرابى وأخصهم فى ذلك قبيلة طامية البراعصة ودرة جوهرها حدوث ولا يدرك الانسان وهو بالجبل الاخضر أن هناك بخيلا بين جميع سكانه ..

الكرم البدوى ونشرة الاخبار

من اجل انواع الكرم البدوى للضيف ان ينحر له وهذه اسما درجات الاكرام حتي اصبحت الجملة الاتيه مثلا يقال للمبالغة فى الاكرام (فلان يذبح في عز القايلة) ومن انواع الكرم التقليدى اذا حل عند البدوى ضيف ونحر له ثم وصل آخر لا يقل مكانة عن الاول فلا يكتفى بالذبيحة الاولي بل ينحر له غيرها وفي ذلك يقولون (فلان قاتل ذبيحته) ولا يصح الاكرام عند البدوى لوجود اللحم صدفة او الاتيان به من السوق وتقدم الشاه باجمعها الى الضيف أما اذا لم تقدم فهناك اصناف من اللحم لابد من حضورها وهى (الساق) والكتف (والسهم) ولا يقدم رأس الذبيحه للضيف وامعاءها ومن الضرورى ان تذبح الذبيحه على مرآى من الضيف ومن الاكرام له ان يعتنى بفرسة وان تسقى من البيت وان لا يقدم له (العلوق) حتى ينظره قبل ان يعلق عليها وان يدعو صاحب المنزل وجهاء قومه وجيرته للاكل مع الضيف احتراما له سواء كان هذا الضيف جدير بالذبيحة أو من الذين يكرمون بدونها وقد اصبحت هذه العادة ضرورية فمجرد ما يصل الضيف الى بيت البدوى تخف جيرته لمقابلة الضيف ومحادثته والبقاء معه بدون ان يدعوا ويكون المضيف بمنزلة الخادم لضيفه فلا ياكل مع ضيفه بل يقف فى خدمته بالرغم من وجود الخدمة حتي اذا ما انتها الضيف يتناول رب المنزل البقية الباقية من طعام الضيف على مراى منه واذا كان الضيوف كثيرى العدد فمن العادات المتبعة ان يتعاون اهل الحى فى تهيئة الطعام مهما يكن المضيف فى سعة من المال ومن العادة ان ينزل الضيف او الضيوف ببيت رئيس الحي اوغنيه واذا تكون الحى من اسرة واحدة فيكون الضيف بمنزل رئيسها وان كان المضيف زوجات فمنزل كبراهن هو منزل الضيف او منزل والدته ومن عادات البدو انك اذا اجتمعت باحدهم فى طريق او جئته في بيته يعرفك اولم يعرفك يمطرك باسئلته الكثيرة فان لم يعرفك فيسألك عن اسمك ونسبك وخؤلتك ومعيشتك ومن اين جئت والى اين تريد وما حاجتك وهل صادفك انسان او حيوان بالطريق وما هى

العلامة التى على ذلك الحيوان الذى صادفك وعن الارض التى مررت بها وعن منبوتها وهل بها اثر لانسان اوحيوان، اما اذا كنت قادما من المدينة فيسالك عن الاسواق وما يعرض بها وعن الاسعار والوفيات وحالة الحكومة واوامرها وتسرى الاخبار التى رويت عنك الي جميع اهل الحي فان لم تجبه عن اسئلته فيرميك بالبلادة وان لم يسألك رميه بعدم الاكتراث بك وهذه هى الصحف اليومية او نشرة الاخبار عندهم لانهم لم يخلو من ضيف اوضيوف يومياوكل منهم جاء من ناحية فيكون البدوى ملما بجميع اخبار النواحى ومن عادات البدوى انه ينام مع ضيفه لافى مخدعه الخاص ولا يسهر البدوى ليلا الا فى حالة العمل او مجيء الضيف ويقوم مبكرا ومن الصلوات التى يحافظ عليها البدوى فى وقتها مهما كلفه ذلك الصبح والمغرب باعتبار ان صلاة الصبح فاتحة للرزق وصلاة المغرب امانا للنائم (١)

ولا يقدم الطعام للضيف الا فى وجبتى العشاء والغدا مالم تكن هناك حالات استثنائية اما اكواب الشاى واللبن والتمر فهو يقدم فى جميع ساعات النهار واذا جئت الي البدوى خائفا تطمئن واذا جئته سائلا تعطي واذا جئته جائعا تشبع

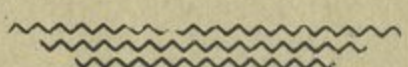

(١) للبدوا دعية كثيرة فى غاية من الجودة تقال فى فاتحة الصلاة وعقبها منها قوله اذا اراد التيمم (غاب الشراب حضر التراب واحنا من التراب الى التراب راجعون) وعندما يستقبل القبلة يقول (تقبلتك يارب بوجهي تقبلني برحمتك) ومنها قوله (ياخالق البحار يامفجر الفجار ياعالم السرار نج اعضاى من النار)

حل المشاكل عند البدو

للبدو عادات وتقاليد في حل المشاكل وفض الخصومات وأكثرها على طريقة الصلح وهي من اسمى التقاليد ولا يخرج أحدهم عما يفرضه الميعاد (المحكمون) ولكل حالة من حالات الخصام عادات وتقاليد يسمونها (الدرائب) وهى تتفق على وجه التقريب مع نصوص الشريعة وما خالف منها هذه النصوص تتطبق عليه قاعدة (الصلح خير الاحكام) وعادة يجتمع الميعاد المحكم في بيت (الشيخ) الا إذا كان هناك بالمنتجع جار محترم أو فقيه أو شريف فلا يكون الاجتماع إلا عنده وعادة لما يكون هناك منتجعان متجاور ان فالاجتماع يكون فى الخلاء الفاضي بينهما .

القتـــال

عادات البدو فيما يختص بالقتل والقتال عادات غريبة . اذا قتل أحدهم آخر عمدا فلا يستطيع القاتل أن يحمى نفسه ولا ينسى الثأر حتى بعد قرن من الزمن ولا يمكن لأى حكومة مهما كانت قابضة على الامر أن تحمي القاتل من أهل القتيل ولا يكفي عقابها القانوني لارضاء أهل المقتول ولكن هناك حماية للقاتل هى من أبسط ما يكون وهى أن يأتى كبار عشيرته وعقلاء قومه فيسلمون القاتل لأهل المقتول قائلين أن هذا فلان هو لكم ان شئتم أن تقتلوه فهذا هو كفنه فوق رأسه وإن شئتم أن تصنعوه (تعفوا عنه) فلكم ذلك وعندئذ يحصل التراضى والتقاضي بطرق ودية كان لم يكن أى شيء فيعفون عن القاتل بقولهم إناصنعناك فيجيب هو بقوله إنى (صنيعة لكم) وهناك تقسم الدية المتفق عليها على كل ذكر راشد من أقارب القاتل ويقال عنهم (عمرا دم) فيضرب لدفعها أجل ويتقاسم الدية كل ذكر راشد من أقارب المقتول ويكون القاتل بعد هذا الاتفاق وهذه (الصناعة) في مأمن ولعمرى أن مثل هذا التفاهم لمن أسمي درجات الكرم . ومن العادات المتبعة إذا التجأ قاتل لقبيلة أخرى فلا

يمكن لطالبيه أن يتجاسروا عليه احتراما كما يقولون (للنزالة) ولا تقل مدتها عن سنة كما أنها لا تتجاوز السنتين وفى هذا الاثناء يعمل أهل الحى ما في وسعهم للتفاهم بين نزيلهم وطالبيه فكأنما القاتل منهم وكثيرا ما يحصل الاتفاق اثناء المدة أما إذا انقضت ولم يكن تفاهم فلطلاب القاتل الحق فى مطاردة قاتلهم وعليه أن ينتقل من الحى الذى التجأ اليه وأحيانا يكون نزيلا دائما فان لم يصل الفريقان إلى اتفاق يحسب القاتل من أهل الحى الملتجيء اليه ويقفون صفا واحدا لما تأتي به الظروف .

ما يغضب البدوى

من أبغض ما يبغضه البدوى ويستكره خيانة من يؤتمن والتعدى على العرض والبخل المعروف عندهم بـ (الفسالة) والتعدى على دابة البدوى بغير إذنه ولذلك يقولون (لا تضرب الكلب حتي تعرف صاحبه) أما التعدى على فرسه وسلاحه فهذه من الكبائر والسرقة بقصد مع معرفة صاحب الشأن ذنب لا يكفره إلا مضاعفة ما سرق ثمان مرات ومن المعروف أن يتحمل هذه التكاليف قريب السارق إلا إذا تبرأ منه تبرئه عامة وإلا فيقولون (العصبة تؤخذ فى العصبة) ثم أن تعدى الرجل بزواجه من ابنة عم الآخر تعتبر تعديا على الكرامة فلا يصح أن يتزوج أحد من امرأة إلا إذا أذنه ابن عمها وفى ذلك يقولون (ولد العم ينزلها من الكرمود) أى بعد العقد عليها وزفها .

الرجل المحبوب

من أحسن ما يتحلي به الرجل البدوى الشجاعه والكرم فمتي اجتمعتا هاتان الصفتان برجل كملت أخلاقه عند البدو، ومن الصفات المحببة الصدق والتواضع والعمل للاصلاح ويخضع البدوى لمن يقولون عنه (رجل ميعاد) وهو راجح العقل العارف بعادات البدو وتقاليدهم البعيد عن التحيزات القوى فى حجته الفصيح فى بيانه فهذا يحوز رضاهم التام ويحل محل القاضى الذى لا يقبل حكمه نقضا .

المرأة البدوية والحجاب

للمرأة بين البدو مركز هام فهي تشارك الرجل فى تصرفاته المنزلية وتقوم بكل ما يقوم به من إكرام الضيف عند ما يكون زوجها غائبا وتستقبله محتجبة وتؤدى جميع واجبات زوجها وتحافظ على سمعته وعرضه وماله وهي موضع ثقته كما أنها محل الاحترام والتقدير من جميع الرجال ولها صوتها ورأيها ، أما احترامها أياكانت صفتها وبوجه عام فهذا شيء ضروري وهو ما تقره العادة وتفرضه التقاليد وهي الضيف الذى يحتل المنزلة الأولى من الحفاوة والاكرام ولا يمكن أن تحل امرأة في ضيافة البدوى بدون أن ينحر لها مهما كانت حالته من العوز والفقر وشفاعتها تقبل في جميع الحالات وإذا كان هناك قبايل متحاربه فنساء كل قبيلة منهم محترمات عندالأخرى وبالرغم من أن المرأة جنس لطيف فهى تشارك الرجل في كل أعماله الحيارة وتشجعه على الأخذ بالثار ولا تكترث بموته إذا مات فى سبيل الشرف وتحضر معه في ميدان الوغى وتحمل الماء لسقاية قومها فى حالة النزال وتشجعهم بؤغنياتها وزغاريدها غير عابئة بالموت أو وجلة منه وكثيرا ما يحصل الحرب بين قبيلة وأخري بسبب المرأة وهي لا تهان بين البدو بالسب والشتم فيقول البدوى (المرأة تأتى بكلمة وتذهب بكلمة) يريد بذلك أنها تأتي اليه بمجرد قول وليها إنى زوجتك أياها وتذهب بمجرد قول زوجها أنت طالق فلا فخر إذا فى سبها وشتمها وضربها لانها ضعيفة وتعد المرأة عامل قوى فى تطبع الرجل بالشجاعة والاقدام فلا يمكن للرجل أن يتظاهر على مرأى ومسمع من المرأة بالجبن مهما كان جبان فى حين أن يجبن أمام الرجال ويظهر عوراته ولا عيب على الرجل أكثر من إظهار نقائصه أمام المرأة التي يجب أن يكون أمامها من أكمل ما يجب شجاعة وعفة وحياء وكثير ما يكر قوم علي آخرين فيفروا أمامهم حتى إذا ما رأوا امرأة أو سمعوا صوتها يكروا راجعين ولوأدي ذلك الى ابادتهم .

تستكف المرأة البدوية من زواجها بمن عرف عنه جبنه وتتحمل جميع نقائص زوجها مالم يكن من الجبناء ويفتخر الرجل فى حالة الفخر بنعته لنفسه أنه خال أو أخ

أواب أو زوج فلانه فانظر إلى قول الشيخ حسين شهاوى بعد أن انتصر على قوم قد ضربوا عليه حصارا وهو وحده فنازلهم حتى طردهم وتخلص منهم فأخذ يقول :

نابوك يا نجمه مشن ساقاما اجيوشا علينا ضاربات أكلامه

ويهاجم البدوى عدوه وهو يصبح ويقول ناخوك يافلانه أو أنا خالك با فلانه أى عشيقك

وقالت امرأة عندما أخذ ابن عمها بثأر أبيها :

(إبراهيم بو محجـــوب . خالى ونا زاد خالته)

وإلى جانب هذا الاحترام التى تتمتع به المرأة البدوية فهى محرومة عند البدو ببرقة من الارث الشرعى ولا يرون فى ذلك إهانة لها وهى بدورها ترى مطالبتها بهـذا الحق الشرعى معيبا لهـا ونقيصه في حقها ومن المعروف ببرقة أن هذا القانون قد سنه الشيخ عمر جلفاف مقرب «١» منذ مائه وعشرين سنة فوافقته عليه جميع القبايل البدوية ببرقة وأصبح أمر نافذ المفعول ولا يقبل النقض وربمـا كان العمل جاريهذا القانون قبل عمر ولـكنه تشدد فى المحافظة عليـه والسبب الأساسي في ذلك أن البدو يرون التساهل في جميع المنقولات من أموالهم شيئا لا عيب فيه ولـكن التساهل في نقل العقارات إلى أجنبي عنهم جرم فظيع وأن المرأه تتزوج من الاجنبي فمتى كان لهـا حق في الارث أورثت هى زوجها أو ولدها الاجنبي فى العقار التى ورثتـه عمن ورثه وبذلك يحق للاجنبي أن يملك معهم فاذا كانت نظريتهم نحو أملا كهم أدت إلي حرمان بناتهم من حقهن الشرعى فكيف يرضون لا يطاليا أن تأتي لامتـلاك أراضيهم ؟ ويا ليت موسليني قرأ هـذا القانون وعرف عن الاسباب التى قضت سنه لعـله يرتدع . فى الحقيقة أن المرأة البدوية يعطى لهـا من المنقول ما تساوى قيمته أضعاف ما تستحقه من الارث ولـكن عن طريق الهبـة ومما لها فيه الحق عند أكثر البدو أنها تأخذ بيت زوجها وجميع محتوياته في حالة الطلاق أو موت زوجها وطبعا أنه بيت شعر لا عقـار وفى ذلك يقولون (لهـا بيتها وما ضم ورأسها وما لم) ومن عادات البدو التغالى فى المهور وتتفاوت هذه المهور بتفاوت درجات النساء فمنهن من تعطى بخمسين حاجة «٢» وأقل وأكثر ومن عاداتهم أن ولائم الزواج

---

(١) أخبرنى سعادة عمر باشا الـكيخيا أن المشير رشيد باشا كان يلقب عمر جلفاف بسمارك البدو

(٢) الحاجة كلمة مصطلح عليها عند البدو ببرقة بما يختص بمهر النساء وتقدر بجمل أو ناقه ومن شاتين الى خمس شياه فيقول ولى المرأة زوجت مؤكلتى بخمسين حاجة ولا يقول بخمسين من الجمال

ويقومون باطعام كل من يحضر حفلات الزواج وليس على الزوج من نفقات الاحتفال سوى احضار الشياه التى تذبح عند العقد الشرعي ويقولون عنها (سياق) ومثل ذلك اذ توفى أحدهم فتكون الصدقة على روح المتوفى من جميع أهل الحى .

تتأثر المرأة العربية فى برقة بعدة عوامل تجعل الحجاب فرض عين ومن أهم هذه العوامل ما أمرت به الحنيفية السمحاء والآداب الاسلامية والتقاليد الموروثة من زمن بعيد ، خضعت المرأة العربية لهذه المبادى السامية التى أخذت تنمو وتترعرع رغم جميع التطورات التى أوجدتها المدنية الحديثة تلك التى ان جئنا نبحث عن مدلولها لوجدناها مرادفة لجميع معاني التهور والتهافت علي الخلاعة وامتصاص دم الكرامة واستئصال الفضيلة ما لم تكن المدنية الاسلامية التى لا زالت المرأة العربية ببرقة تقتبس من ضوئها الناصع نورا تستضيء به في أحلك ظلمات التطور الحديث فالمرأة العربية تحافظ كل المحافظة على العفاف والانفة والشمم سائرة على جادة تاريخها العربى فى الجاهلية وتعاليم دينها المحمدى الذى أيد الكثير من محاسن عادات اسلافها قبل الاسلام تلك العادات التى لا تتنافا مع الشريعة الغراء واننا لنجد المرأة البدوية محتجبة بصفة لا تمنعها التحدث الى الرجل والتفاهم معه فهى لم تكن داخل سور من البناء كما تعيش اختها في المدن ولكن الي جانب أنها طليقة من قيود البناء واقفاله حرة من تكاليفه فهى محاطة بسياج من العفاف الذى يشاركها فيه الرجل نفسه كما كان يقول جده العربى :

واغض طرفى ان مررت بجارتي حتى يواري جارتى مأواها

وكما قال الآخر :

وما ضر جار يابنة العم فاعلمى يجاورني أن لا يكون له ستر

بطرفى عن جارات قومي غفلة وفى السمع منى عن حديثهم وقر

لما كانت المرأة البدوية في برقة من أكبر العوامل في كثير من الحرب التي كانت تقع بين العرب في زمن مضى وانقطع بحوادثه وبما أنها من أكبر دعاته يجدر بنا أن نذكر شيئا عن (حبق) وهى ابنة شيخ من قبيلة الجوازى وكانت هذه القبيلة تسكن برقة قبل مائتي سنة مضت وكانت حبق هى التى تضرب (الطبل) لقبيلتها أثناء المعارك أو الاستعداد للهجوم والغزو وقد اشتركت بهمتها هذه فى أكثر من حرب منها حرب

الحيارنه مع الفـوائد وحرب الحيارنه مع الحرابي وحرب قبيلتها الجوازى مع العـلايا وكانت هذه الحروب خاتمة حروب الجوازي ببرقة وهي السبب فى نزوحهـم الى مصر وقد كانت حبق فى المكان الاول من الشجاعة كما كانت بذيئة اللسـان يخشـاها كل رجل من قومها لشدة ماتلسقة من العـار فيمن يجبن وفى الوقت نفسه تظهر محاسن بني قومها وتصفهم بالقاب تقترن باسم الممدوح علي لسـانها فتـكون تلك الصفة من مفاخره وتزيدفي همته ونشاطه فانظر لقولهـا في البطل المشهور لاجوده أبي ويـله .

إن ناضن قرون الخيـــل قولو الاجودا يـج

وقالت منددة باعمال قومها اثناء حرب الحيارنة ضد الحرابي وقد أخذت قبيلتها في الاسلاب

أنت تقلوا في الهدم والنار فى العلايا شايطه

وقد تزوجت حبق من أحد رجال قبيلتها فرزقت منه بولد واحد وكان زوجهـا من عائلة تعرف باسم المعابدة ولما أصيب ابنها بجراح أثناء الحرب وهو الي جنبهـا فى (هودج) صار يئن من شدة ما أصيب به فقالت له .

بلا جضيض ياعـيل أعيـــال الجوازى واجده

ولم يطل الوقت حتى مات ابنها متأثراً بجراحه وبدلا من أن تبـكيه وتندبه كما جرت العادة أخذت تقول له

ولد معبدى سراق انعنك أفدا عبد النبى

وعبد النبي هو زعيم قبايل الحيارنة عامة ورئيس قبيلتها وهى الجوازى خاصة وفي أثناء حرب الحيارنة والفوائد رأت فرساً جيداً يعلوصهوته من لا تطمئن حبق لشجاعته وكان اسمه خميساً فقالت له .

أينوض أدراز الخيل ياخميس عطها الواحدا

وأرادت أن تشهر هذا الواحد الذى تعنيه واسمه باسل فقالت .

شهير لسم بوبرنوس الباسل على خيل العدو

ولكل قبيله من قبايل العرب ببرقة امرأة مثل هذه ويخاطبها الشـاعر في قوله ان كان يريد أن يوجه خطابه لقومه أو لاعدائه ولقول كل امرأة منهن تأثير علي قومهـا فانظر الي قول امرأة الفـــوائد عند ما اشتبكوا فى حرب مع الجوازى بمصر وقد

انتصرت قبيلة الفوائد على الجوازى واحتمى هؤلاء الاخيرون بالمبانى فاخذت الفايدية تقول

اتلوذوا مع السيسان أكفا فى جلانا لولي

مشيرة لاجلاء قبيلتها منى برقه . وتقول امرأة من قبيلة الجوازي تشجع قومها وتثير فيهم روح الحماس .

(على سبايب الحيران فتا (سلوق) يابال (واهنه) ..)

الادب البدوى

يعنى البدو بالادب ويقدرونه ويشجعون أهله ويحترمون شعراءهم ويقدمون لهم الهدايا والهبات وللبدو أدب لا يقل فى مكانته وسموه عن الادب الفصيح فيقول شعراؤهم بالغة الشعبية قصايد عصماء فى مناسباتها من مدح وهجاء ورثاء وغزل ووصف ونسيب وتشبيب ولا يتركون بابا من أبواب الادب الا ويطرقونه ولهم فى فن الاقصوصة أحسن طريقة فتجدهم يؤلفون القصص الخياليه الرائعة بما يفوق حد التصور وللشعر تأثيره في حياتهم وله سلطانه على النفوس وقصارى القول فالشعر البدوي ببرقة ثروة أدبية رائعه لا يستهان بها ومرجع تاريخي للحوادث الماضية فمن أمعن فيه النظر وطال التفكير حوله وتذوق معانيه لم يخرج منه بدائرة معارف أدبية فحسب ولكن الي جانبها دائرة معارف تاريخية وبالطبع أنه يختلف والادب العربي الفصيح من حيث الرقة واللين ولكنهما يتفقان من حيث سمو المعني والتعبير الساحر والخيال المتسع والتصوير العجيب والايجاز المفيد والعذوبة ونغمات الموسيقي الفاتنة والالغاز المطلسمة التي لا يحلها الا من له فى معرفته باع ، والاختزال الذي لا يستحق تعليمه الي مدرسة ولكن لا يعرفه غير البدوى وفى شعرهم مادة خاصة لها جاذبيتها فتثير الكوامن وتهيج العواطف وتحرك الساكن وتجعل من الجبان شجاعا ومن البخيل كريما ومن الضعف قوة ومن التواضع كبرياء ومن الكبرياء تواضعا كما تجعل السامع أسير المتكلم وتجد لهذا الادب البدوى مسحة عربية ،وفيه من الحكم والتوحيد والتحذير والترغيب

والترهيب ما لا يقل عن الادب العربي الفصيح فهو هو الا أن الاخير حسنه الاحتفاظ بقواعد اللغة والنحو والصرف فبقي على ما كانت عليه اللغة العربية الاصيلة قبل تشويهها وتحريفها أما الادب البدوى فقد كان بلغة العوام التي لايحتفظ المتكلم بها على قواعدها الاصيلة وهو يتناول كل ناحية ففيه ماهو خاص بالعتاب والشوق والاستعطاف و الاستنجاد وسرد الحقائق وشكوي الزمان والحال والذكري والتاريخ واظهار الشعور الى غير ذلك،وعند ادباء البدو ناحية من المناظرة والجدل والفلسفة مع غزارة في المادة وقوة في اللفظ وعذوبة فى القول وسلامة في المنطق وسلاسة في الاسلوب ولا عيب فيه إلا أن أخواتنا العرب من غير أهل ليبيا لا يتذوقونه ولو عرفوه وتتبعوه لانزلوه من أنفسهم منزلة سامية ولو عرفه الكاتب العربي الكبير الدكتور طه حسين بك والاستاذ الدكتور زكي مبارك والاستاذ عباس العقاد واضرابهم لشغلوا أنفسهم وقتا طويلا فى الكتابة عنه ولاخذوا فى تحليل معانيه والتعليق عليه ولاوجدوا بعنايتهم به ثروة طيبة لقراء اللغة العربية وعشاق الادب ولاضافوا بذلك ثروة طيبة الى الادب العربي الفصيح ،انه هو اللغة العربية الفصحى إلا أنها دخلت عليها بعض الخشونة الصحراوية وبعض التحريف عن أصل الكلمات العربية لاتذهب بالفائدة ولا تخل بالمعني ، وللشعر البدوى عدة بحور وأوزان تتعدا بحور وأوزان الشعر العربى الفصيح،ولكل بحر من بحوره نغمة خاصة عند التغنى به .

قيل ان رجلا من البدو كان يحب امرأة حبا عذريا نزيها وكانت تبادله نفس الحب وعجز عن الزواج بها لفقره ولما علم أنها اقترنت بغيره جاء الى حي أهلها فوجد حفلات الزفاف قائمة فاشترك مع اللاعبين فيما يسمونه(الكف) وهو نوع من التصفيق بطريقة منظمة وتأخذ النساء فى الرقص على نغمات التصفيق ثم يقف اللاعبون برهة بسيطة ليتغنى أحدهم بأغنية تناسب المقام ثم يستأنفوا اللعب ، وهنا أخذ العاشق الفقير يتغنى بقوله :

ايبوزع اللى محتوم عزيز كان رانى الحالنا

فكانت هذه الكلمة سببا في خروج العروس من بيت زوجها وعدم العودة له ، وهناك سرية من العرب تسير فى الطريق فسمعو بدويا يتغنى بقوله .

لو كانو اهناك اسلام امعانا عطو يوم دوهم

فاتصل به السامعون وقالوا له نحن فزعتك (نجدتك) أرنا ماذا تريد وساروا معه الي والد عشيقته وخطبوها منه المتغنى وتقاسموا المهر بينهم وقدموها ، ومن أسمى معانى الادب الممزوج بسمو الاخلاق ان الرجل كان يعشق المرأة عدة سنوات يجلس معها يخاطبها ويخاطبه ويتبادلان عبارات الشوق والغرام في شيء من الحشمة والوقار بدون ان ينظر لوجهها الا خاسة ، ولا يمس أى عضو من أعضائه عضوا من جسمها وكانت لغة التخاطب بينهما بالطريقة الشعرية وكل منهما يرتجل عباراته الشعرية التي يخاطب بها الآخر دون أى تكلف وقد اشتهر الكثير بينهم بالحب العذرى الذاتل ولهم في ذلك أعجوبة الاعاجيب وقد أدى بهم ذلك الحب الي الجنون والموت ومن بين هؤلاء الكثيرون رجلا من عائلة مباركة المغاربة واسمه محمد الاعمى وقد عشق ابنة عمه مبروكة فجن في سبيلها ، وأحاديثه عنها تضيق بها المجلدات وكان لاينطق بغير اسمها ولا يتكلم بغير الشعر في جميع أحواله وكانت هى الاخري تعشقه لدرجة الجنون ولكنها تمكنت من امتلاك عواطفها فهو لا يقل في موقفه عن قيس (مجنون ليلى) وهى لا تقل فى موقفها عن ليلى . يحكى عنه أنه جند للجهاد ولم يطق صبرا على الحى التي تسكنه (مبروكة) وفي ذات ليلة أوقفه الضابط ديدبانا فأخذ يتغني بقوله :

لهاليب نار عزيز لو كان يا سويدى اتقيسهن

وكان هذا البيت من شعره سببا فى العفو عند من الجندية وكان يقول لمن يقابله :

عقلى جوا دار جوكا - فيه املوكا - يشاكن باسما مبروكه

واستمرت معه جنون العشق حتى مات شهيد غرامه .

كان الشيخ عبد ربة الثور البرعصي من ضمن المجاهدين الذين جندوا فى زمن أنور باشا وعلي غفلة خرجت قوة إيطالية من درنة تخف للقائها قادة المعسكر الوطنى وجنودهم وعهد إلي الشيخ عبد ربه الثور بالبقاء لحراسة آلت التليفون ولكنه ماكاد أن يسمع صوت المدافع واشتباك المعركة حتي أسرع للاشتراك فيها وترك ما عهد إليه حراسته ولما عاد المجاهدون إلي مواقعهم تقدم الضابط المسئول بطلب محاكمة عبد ربه الثور لمخالفته الأمر فحكم عليه بالسجن وأخذ يتغنى بسجنه ويقول :

ماني اللى نقعد خفير الخيمه ولغم المدافع ف السما تلكيمه
ولانى اللي انتواره وأفواه المدافع دايرات شراره
أن كان غبت تقبي على معاره ومدة حياتى ما تحصل قيمه
ألاني اللى انتبطه والطبل داوى والعرب منشطه
كارى الا مكروم وين انعطه أيفوت السبيب اتقول قطعة غيمه
ألاني عليه امغيب ان ناض المكوعظ والذليل امريب
ناسيد (مقبوله) ان زلت أقريب ساعة عجاج البنب فى تنغيمه
سوى تنقتل ولا أروح طيب العوجه اللى صارت أتبات سقيمه
ولانى خفير انعاسى ريس الخفاف إن زلت فيه أنواسي
حال غايتي بو عنق هالب راسى ان جفل إيخلى الواثقات هشيمه
ناسى عقاب الروح بايع راسى سوى تنقتل والا انجيب غنيمه
ولاني خفير عنابر فارس منبا من أصول أكابر
و ناضعتى وقتن مشو باشابر تحدر على راسى أريد قديمه
عادت أجد ودى والمكوعظ كابر شيالت اللى طايح بعد تبريمه
ولانى اللي نعطيهن درايب أجدود عقار متوليهن
ناسيد (مقبوله) ان زلت انجيهن والبارود داير ف السما بريمه
غدى سوى مرواحتي والميته ان زغرت اللى (صابغ حواجب ميمه)

ولما سمع بذلك أنور باشا عفا عنه من السجن وأجزل له العطا وأعجب بشجاعته وروحه .

وفي مرة من المرات خرج الكونيل مالتى حاكم أجدابيه العسكري سنة ١٩٣١ إلى منتجع من منتجعات العرب وكان معه الشيخ عبد الله أبو قشاطه العريبي وكان جيش (مالتي) من المصوع فعمل بذلك المنتجع ما تعود الطليان عمله ولم يكن بالمنتجع رجال وقد استاء الشيخ عبد الله أبو قشاطة بذلك ولكن ما حيلته ؟ ولاحظ البلغباشي المصوعي حاجب الكونيل مالتي ما ظهر علي الشيخ فسأله (قائلا يالشيخ مالك مش مبسوط)

فأجابه الشيخ عبد الله من وقته .

ناكيف مبسوط يابلغباشي ـ ونا معاك ماشي ـ تريسك اللى جاى جايب حواشي

أنا لك رفيق . امعاك في الطريق . تر يس عيت (أركو) جاب الفريق . لو كان حاضرينكم نهار الزقيق . تريس القلاشي . أن تبقوا معازيق فوق الحراشي، وفي يوم من الأيام وصل إلي السيد أحمد الشريف أن الحاج محمد أبو فروة البرعصي تكاسل فى مهمته الجهادية فهجره السيد أحمد وكان هـذا أشد عقابا للتأديب فتكدر الشيخ أبو فروة لهذا العقاب ودنى من خيمة السيد أحمد وأخذ يقوو متغنيا ليسمع السيد أحمد :

يا سيدنا مانا امتـاع الهجره منقين تنقايت جديد الفجره
ولانا امتـاع الهينـه ولا طاقنا واحد مواطي عينه
أياما ومفتاح الحبل فى أيدينا اجدودى امع جدودك هم أسماع المجره

وفي يوم من الأيام وكان فضيلة الشيخ رافع القاضي حاكما شرعيـا بمراده يسير مع الشيخ المهدى الحرنه في جولة للفسحة فقـال له الشيخ المهدى نسير من هنـا يا فضيلة القاضى وكان القاضى يريد السـير مع طريق آخر ولـكنه وافق الشيخ المهـدى وإذا بهما يمران علي فتاة لها من الجمال ما يلفت الانظار فقال القاضي لرفيقه مازحاً :

يا مهدي زريتنى على المضرة بنظرة الغرا اللى وجهها برق وقتن تعرا

فرد علية الشيخ المهدى وكثير من الشعراء حتى أصبح الموضوع قطعة أدبية رايعة ومن بين من قال في ذلك الشيخ يس المبرى حيث يقول متوعدا :

يامهدى زريت قاضى (حرابى) وخوه من أصحابي
وبوه من ذرى رايجات الحقابى على (بنت) على القول بيضا اترابى
العاشـق اتضـره بطعنات مرتين من عين حرة
ويامهدي كان تنتصح راهم اصحابي حقهم امعرا
على كتف من ناض للزين ورا

هناك رجل من قبيلة المنفى يتردد علي منزل فتاة بدوية قد عشقها وهى لم تشعر نحوه بما يخالج فكره فأخذ يتغنى فى خلوته متسلياً ويقول :

لباس عال الثمن بونقايش — شيه شبايش — مسع اجرح زين مازال غآيش

فسمعه خاله وأرسل اليه يقول .

لباس عال الثمن فى محاجر أيديه　　أسمعتك انجيـــه

منجيش ماجرح ليش تمشى عليه　　أنت ولد بيت مانك سفيه

أداج المعـايش　　تراج عرب شبحهم فوق طايش

ويقول الشاعر عبد القادر الجقوق الجزارى واصفا امرأة أجنبية .

ذباني غلازول فوقه حلق — أحبه سبق — عشقته آه فى مسع أعشق

ذبلنى غلازول موف العمايل　　أسافى جدايل

وعينا كما عين لريل الخايل　　أن جت طالعا شاقا بالخلايل

وراها يهق　　الشايب اللى قيس ميا أيطق

ذبلنى غلا زول حبه فتني　　على ما نغنى

ماريت مارات له فرحنى　　صبيت با يعتلا بالتمنى

تغضب شهق　　رديت مكسوف من غير حق

وعند ما نزل الطليان بنغازى سنة ١٩١١ أخذ العرب يجمعون صفوفهم للجهاد ولم يتخلف منهم أحد الا من كان راعيا للحيوانات فقـد أخذت تحميه مهنته من الحضور للجهاد وعندما يهجم العدو أى جهة يستنجد أهلها بالجهة الاخرى بواسطة رسـول يقال عنه (مشيط) ولا عذر لمن يتخلف الا راعى الغنم الذي أصبح علي قسم وافر من الراحة بحكم عمله وقد مرت نجدة ببيت راعي غنم فوجدوه مطمئنا وقدم لهم خبزا وجدوه مبعثرا ببيته ولبنا ولحما وكانت النجدة المذكورة تضم بعضا من شعراء البدو فقال الشاعر الكبير عبد القادر موصاخ

نلقنه رجيل صحيح　　اللى السنه راعي له غلم

فوافقه ابراهيم شعبان بقوله

لا يجيه (مشيط)　　ولا يفزع كان صار معيط

مالى سما طاو النهار مريط　　معازيق فوق الخرج

بعدغداه ما زالن ثلم

فقال الشيخ سعيد شلي

هابا على مواله علثر راحتا عاني يريد حوالا
وجيش المسوع وين جا عنقالا يحي الكيدع الزينين

(أصحاب النقابا والحشم)

فقال الآخر

هابه علك امعود راع ولد راعي الكلب يقود
قبل الغدا أوين الفجر يهود يسحبها مع الرياح

(ويحيد سهاريه القدم)

فقال الآخر :

ما عليه عوايد ولا طال خيره زول فيك جدايد
أمغير بطن واوراك أتقول شدايد مقدرا قدار كبير

(قحف عيش ملا بالترم)

فقالت زوجة الراعي وكان يفكر زوجها بابعادها الى الواحات نظرا للحرب وأخيرا فكر في أن تبقي بجنبه :

نلقن رأيك طيب اللى جبت واشونك أحذاك أقريب
ان كان الغلم فيها سداس امنيب نذبحوه ناساق وانت كتف وولديك سهم

فاجابها الراعي قائلا :

نلقن رأيي خيره قبلحوتا حازت عليك سريره
ايانك اتغزى في الادام وغيره ما يخص لك قانون

(مرضيك قبل يابال تكرم)

فأجابت الزوجة :

نلقن رأيك باهي ان كان غرزت قرض نصيب شواهي
وري سيدها فى الدور ماه لاهي داير اتبا الاشغال

(وكل يوم يجرى ع القدم)

ونذكر هذه الابيات التالية من قصيدة قالها بدوى فى وصف يوم القصاص ويؤنب

عينيه وهي قصيدة رائعة منها :

نهار حق ما غبيت عليه خفيه　　لا جان لا انسى لا طيورا تحوم
نهار فصل ما تعقب وراه قضيه　　ولا يعتدى ظالم علي مظلوم
جميع ما عملتي خيرولاسيه　　تلقيه فى كتابك بالقلم مرسوم
الدنيا قديمه ما بها غبطيه　　لو كان تتبعيني تقدعى ع اللوم

وسنثبت قسما من هذا النوع في فصل خاص من كتابنا هذا .

الاخلاق

للامة الليبيه اخلاق سامية فى عاداتهم وتقاليدهم نحو المعاملات العمومية والخصوصية تنبي هذه الاخلاق العالية على الفطرة الطيبة التى فطر الله عليها الامة الليبية وكانت هذه الاخلاق بالوراثة وسجية غير محدثه وكل من عرف الامة الليبية عرف فيها هذه الاخلاق والشعب الليبي هو الشعب الوحيد الذي احتفظ باخلاقه العالية في صبغة خاصة ولايزال يحتفظ بجوهرها العربي الاسلامى لاتشوبها اى شائبة ولااقول انه اعلى الشعوب العربية الاسلامية فى اخلاقه و لكنه يمتاز فى اخلاقه بعادات لاتوجد عند غيره في جميع الامكنة ومختلف الازمنة وقد رضع هذه العادات التي تزين أخلاقة في المهد وعليها شب وشاب وها نحن على سبيل المثال لا على سبيل الحصر نسوق عرضا من تلك الاخلاق. أن للامة الليبية كما قلنا عادات نبيلة هي أسمي مكارم الاخلاق وجوهر هذه الاخلاق هو ما يسمونه (الحياء) وهو متوفر بالفطرة فى الشعب الليبي بدرجة لا مثيل لها ومن أنواع الحياء أن الشاب الصغير لا يمكنه التلفظ بكلمات بذيئه في المجتمعات وفي حضرة من هم أكبر منه سنا ولا يكثر اللجاج ولا ينطق بكلمة يعاب بها من الكلمات الوقيحة كالسب والشتم وإذا تهجم كبير على صغير لأى سبب يدعو لذلك حتى وإن كان هذا الكبير لا تربطه رابطه القرابة بالصغير فلا يستنكف هذا الصغير من تهجم الكبير لانه ينظر اليه بنظرة الوقار وإذ شذ أحد الصغار وجاء بغير المالوف فيكون عرضة للوم زملائه وعتاب قومه وتأديب أهله ويستحى الرجل من المرأة بقدر حيائها منه فالكبير أيا كان محل الوقار والتبجيل والاحترام والصغير محل الاعجاب والعطف والاحترام، هذه نظرة عامة وللعائلات من العوائد الخاصة ما يجعلها تتبوأ المقام الاول من شرف الطباع وكرم السجايا فمثلا نجد الولد ينظر إلى أبويه وجديه وعمومته وخؤلته بنظرة واحدة وهم عنده فى منزلة واحده من حيث التأدب معهم والحياء فى حضرتهم ويأتي بعد هذه المنزلة الاخ الاكبر فالذى يليه وفى صف الاخوة أبناءالعم وهؤلاء فى الدرجة الثانيه بعد الوالدين واضرابهما ممن ذكرنا وفي حضرة هؤلاء لا يمكن لصغيرهم سنا أن يتفوه بعيب أو سب أو شتم أو ما شابه ذلك من الاقوال البذيئة والافعال القبيحة ولا ينطق بشيء يتنافا مع الادب ولقد وصل الحياء بهذه الطبقات الي الدرجة التى لا تعرف في أى بلد غير ليبيا ولا

في أى أمة غير الامة الليبية . ومما يسمونه الحياء أيضا أن الولد لا يستطيع البحث فى المسائل النسوية والحكاية عن جمال المرأة وعن الملاهي والمغاني وما إلى ذلك من سبيل في حضرة من سبق ذكرهم ولا يستطيع أن يجابه والديه أو اخوته ان كانوا أكبر منه سنا في مسألة الزواج والخطوبة واختيار الزوجة فلا يكون ذلك الا بالواسطة ، ولا يستطيع أن يطالب والديه بالزواج ما لم يقدما هما على ذلك وأحيانا لا يكون له الخيار فى من يتزوجها ولا يصح له أن يمانع اختيار كباره ولا يمكن للولد أن يجتمع مع زوجته فى حضرة والديه واضرابهما وإذا تزوج فلا يستطيع الاتصال بوالديه وأكبر اخوته الا بعد أسبوع من الزواج ويكون اتصاله بهم في شيء من الخجل والحياء والخضوع وفى الغالب يختلق المتزوج أسبابا تجعله يسافر عن أهله ولو يومين ليتخذ ذلك ذريعة لمقابلة والديه حيث جاء من سفر فيسلم عليهما وهذا من شدة الحياء ، ثم ان الابن لا يتناول الطعام مع زوجته في حضور والديه أو كبار اخوته والكثير من لا يتناول الطعام مع زوجته حتى وان كان الزوجان بمفردهما ، ومما يفرضه الحياء أيضاً لا يمكن للشاب الصغير أن يدخل غرفة نومه على مرأى من أبويه وكبار عائلته وقد يحتم عليه هذا الحياء أن لا يدخل محل نومه بالنهار واذا كان محل سكنى العائلة واحد يجمعهم فلا يدخل الشاب محل نومه بأى حال من الاحوال الا ليلا حيث لا ينظره أحد ويخرج منه مبكرا قبل أن يستيقظ كبار عائلته ولا يتناول النساء والرجال أكلهما معا ، بهذه المناسبة نذكر الحكاية التالية .

في سنة ١٩٢٧ هاجم بعض العساكر الطليان متجمعا من العرب بنواحى جدابية وعاثوا فسادا وهتكوا حرماة فطلب شيوخ جدابية الاتصال بالمتصرف الايطالى ، لاعلان سخطهم على ذلك واحتجاجهم على ما وقع وعندما حصل الاجتماع بالمتصرف وكان المدير وقتذاك الحاج عبدالله زواوه من بين ضمهم الاجتماع كما ضم الكثير من العرب والابناء الصغار الذين يستحيوا من الكبار وأعطيت الكلمة إلى الشيخ السنوسى حماد الزوى فأخذ يشرح للمتصرف ما حصل من العساكر وأخذهم الاسلاب شرحا دقيقا الى أن يأتي على هتك الحرمات فيقول ان عساكركم جاءوا بما لا يقال فيطلب المتصرف شرح ذلك ويسكت المتكلم نظراً لوجود بعض الابناء بين آبائهم فيلح

المتصرف لمعرفة هذه الكلمة التى لم ينطق بها الشيخ السنوسي الا اشارة وعندئذ أدرك المدير أن الرجل استحا فى تمام الشرح لوجود بعض من يستحون فى التلفظ بهتك الاعراض فأمر بخروج الصغار ليتم الشيخ السنوسى شرحه كما يجب ، وهناك عند العرب رمزا للحياء فعندما يجتمع قوة ويصفو الجو للمزح والمنادمة ويريد أحد المجتمعين أن يتلفظ بكلمات هزلية لا يصح أن تقال فى مجلس يضم الاب والابن أو الكبير والصغير فيسأل هكذا (يحى موجود) فان قيل له غير موجود يسترسل فى موضوعه وان علم أن (يحى) موجودا يقف عند حده ويحى هذا لم يكن شخص ولكنه رمزلوجودمن يستحى في المجلس ، ومما يفرضه الحياء أيضا أن الدخول في الاسواق من أشد العيوب لمن لا يكون تاجراً ولا يدخل السوق إلا الخدم واضرابهم من طبقات الامة ، كانت هذه العادة الي مدة قريبة يعمل بها ولكنها الآن أزيلت تم ان الجلوس فى المقاهى ومحال اللهو والاكل في المطاعم وسهر الشباب خارج بيوتهم كل ذلك من العيوب التي لا تغتفر ولا يقدم عليها أحد مهما كانت ظروفه وقد تعدل هذا القانون الادبي فأدخلت عليه بعض التحسينات اوالمشينات فى المدة القريبة جداً فأصبح الجلوس في المقاهي لا بأس به علي شرط أن لا يجتمع فيها الاخوة أو الابن ووالده أو الصغير أمام كبار عائلته ولا زال الاكل في المطاعم شيئا مبغوضا أما السماح إلي المغنى أو حضور حفلات اللهو فهذا لا يمكن تغييره ولا يمكن للشاب أن يدخن فى حضرة الشيوخ هذا بعض ما يفرض قانون الحياء فى برقه ولا يمكن الاسهاب بمحتويات هذا القانون الا من يدرسه بالفطرة ويلم بجميع مواده كل فرد ليبي.

ومن بين محتويات هذا القانون (الحياء) لا يمكن للرجل أن يقابل أو يستقبل أناسا مهما كانت صفتهم عارى الرأس ولا بد أن يكون متسربلا وكان استعمال الشخشير (الشراب) الرجلي من العيوب ومثله التخم الرجل لان هذا خاص بالنساء وبالاختصار فان الآداب مرعية في جميع نواحيها فى الاكل والشرب وفى التكلم واللباس والسير فى الطرقات والجلوس فى المجتمعات وفى جميع المعاملات عامه كانت أو خاصة فللكبير مقامه المحترم ووقاره وتبجيله مهما تكن صفته ويبادل الكبير الصغير ذلك ولنذكر الآن صورا من المعاملات فقد كانت علي جانب عظيم من سمو الاخلاق ونبالة الطبع إذ كان

البيع والشراء والتعاقد والحل والربط والسلف والاستقراض والاخذ والعطا بمجرد كلمة الشرف فهى القانون الوحيد لهذه المعاملات ولا داعى لاحضار الشاهد والمشهود وكتابة الحجج والوثائق وعلى هذا الاساس كانت توضع الامانات عند المؤتمن وكان التعامل بين الخواص والعوام بمنتهى الامانة والثقة فنجد البدوى يحضر الى السوق ليبيع ما معه من الحيوانات والقمح والشعير والصوف والسمن ويضع قيمته عند أحد التجار ويفوض للتاجر أن يحضر له طلباته التى لم تكن عنده فعليه أن يأتي بها من السوق وعلى التاجر أن يقدم حسابه لصاحب الشأن فيطلعه على الحساب النهائى فان بقى لصاحب الشأن شيئى يدفعه له وان بقا التاجر يطلب ينتظر الي وقت آخر فلا مغالطة ولا مشاحنة ولا مشاجرة ولا خلاف وكثيرا ما يأخذ العرب طلباتهم من التجار بمعاملة الدين الى وقت المواسم المعروفة ببرقه وهى موسم الربيع لبيع ما ينتج عن الحيوان وموسم حصاد الزرع وهذا التعامل يكون بدون كتابة مستندات واحضار شهود وغاية ما هنالك يسجل التاجر طلبه بدفتره الخاص فقط وكثيراً ما يرسل البدوى مع غيره مطلوب التاجر ويأمره بالشطب على دفتره غيابيا ، ويتعامل العرب بالاشتراك فيعطى صاحب المال الى رجل آخر مبلغا على حساب التجارة بدون كتابة عقد واحضار شهود ويتحاسب الشريكان ولا يسمع عنهما غيرهما ، لقد عرفت بنفسى أحد الرأسماليين ببرقه وهو الحاج أحمد الشريف أبو معاتة وكان كثير التعامل مع غيره من الناس فلم يعرف عنه أنه كتب حجة على أحد عملائه أو اشهد عليه وكان يبيع الى خلطائه بما يعد بالآلاف ويعطى النقود فاذا كان ذلك سلفا أو دينا فله طلبه وان كان علي سبيل الاشتراك فى التجارة فعلى هذا الاساس يكون الخلاص ولم يعرف عنه أنه خاصم أو خوصم كما لم يعرف عنه أنه ضاع منه شيئى.

ومن العادات المتبعة عند أهل برقه اذا أعطى شخص لآخر راسمالا باعتباره شركة تجارية وخسر التاجر بأى سبب كان فعلى الاول أن يعطي التاجر رأسمالا آخر لاحياء ما ضاع فى الاول ومن العيوب الفاحشة عند عرب برقه وبالاخص البدو أن يقرضوا أو يستقرضوا بالكمبيال فيعتقدون أن ذلك حراما من جهة ومن جهة أخري يعتبره المستقرض عدم ثقة به فلا يجرؤ علي استقراض يوجب عليه أن يوقع بامضائه كمبيالا مهما كانت ظروفه ولحد الآن لم يعرف عن بدوى ببرقه أخذ أو أعطا بالكمبيال

اللهم إلا أفرادا شاذين صار احتكاكهم بالمدن وخالطوا اليهود وشركاء اليهود فخرجوا عن تقاليدهم الموروثة والذي يجب الاحتفاظ بها وعلى العموم أن جميع هذه العادات لا زالت محفوظة عند الحضر والباديه اللهم الا مسألة التعامل حصل عليها تغير طفيف عند الحاضرة فقط . وها نحن أسوق على سبيل المثال هذه الواقعة ليتصور بموجبها القارىء الكريم تلك الوقائع الكثيرة من هذا القبيل والتي لا يمكننا استيعابها في سنة ١٩٣٨ حضر أحد شيوخ قبائل المغاربة وكان هذا الرجل معروفا عند الجميع بالثروة وعنايته بجمع النقود الذهبية والفضية فجاء في يوم من الايام بمبلغ من نقوده ليضعه كأمانة عند أحد معارفه وهو الحاج خليفه المرشتي أحد التجار المعروفين بجدايه وقال له أريد أن أودعك هذه الامانة فاذا مت فأنت تعرف ورثتي وإذا كنت حيا فسآتيك عند اللزوم لاخذها فأجابه الحاج خليفه علي شرط أن نحصى الامانة ونعرف قيمتها ونعطيك حجة فأعرض صاحبنا قائلا لا أريدك ان تاتيني بجديد فاحفظ لى أماني كما هي (مصرورة) وبدون احصائها ولي كامل الثقة فى دينك وأمانتك فأبا خليفة وعندئذ ذهب صاحبنا الى معرفته الاخرى وهو الحاج أحمد قزح وحصل منه ما حصل مع الاول وهكذا إلي أن جاء أبو صفحة الى معرفته الاخرى وهو الحاج فايد المجبرى وسلمه الامانة فى سر وأخذ منه حجة بهذه العبارة الآتية (أمانة أبو صفحه عند الحاج فايد صره مصروه) ولما توفي أبو صفحه جاء ورثته بهذه الحجة فأخذوا هذه الصرة المصرورة على حد قول المؤتمن الخ وتثبت أيضا هذه الحكاية ففى صنة ١٩٤٤ سافر الشيخ محمد سيف النصر من بنغازى الي طرابلس وترك مبلغا وقدره ستون الف ليره ايطالية عند علي حجا الهوني أحد صغار التجار ببنغازى حيث أن النقود الايطالية غير مسموح بنقلها الي طرابلس وبعد شهرين من ذلك أخذ الفرنك الايطالي فى الهبوط بدرجة فاحشة حتى خشي سقوطه بتاتا فجاءنى المؤتمن المذكور ليتطلع رأيي وأخبرني بذلك فأشرت عليه أن يسعى بكل سرعة لتغيير المبلغ أو استهلاكه في أى نوع من أنواع البضائع حفظا لقيمته الحالية وتعويضا لصاحبه ففكر طويلا وهو جالس أمامى ثم قال لا يمكنني أن أتصرف في أمانة وضعت عندى ولم نؤمر الا بحفظها وقد يهمني شرفى وأحس أن يقال ان محمد سيف النصر خسر ولا يقال ان علي تصرف فى الامانة .

وفي نفس هذه السنة سنة ١٩٤٤ سطا بعض اللصوص علي متجر سوق الظلام فاعتدوا على كل مافيه وكانت بهذا المتجر أمانة موضوعة فعثر عليها صاحب المتجر لم تسرق وقدمها لصاحبها وكانت الأمانة من الذهب ولها قيمتها فانظر كيف أبت همة التاجر أن يخفيها ويدعي أنها سرقت مع أمواله التى اتضح ضياعها . لقد اخبرنى عمر بك شنيب أنه وجد باحد سجلات جده وكان هذا الأخير من تجار درنه ما يلي : اطلب من البدوى الذى يتردد على عائلة ستيته بالمغار بضاعة قيمتها كذا وكذا الخ فأى بدوى يعنى التاجر والبوادى الذين يترددون علي عائلة ستيته كثيرون وليس ذلك معناه أن التاجر بليداوغبى ولكنه على ثقة من عودة البدوى ودفع ما عليه وقد استحا التاجر أن يقول لعميله البدوى ما اسمك ، أما ذكر الاشياء بالسجل فما هى إلا الاصول المتبعة عند التجار وقيد ما باعوه وابتاعوه في يومياتهم .

يتساوي في هذه الاخلاق سكان برقة من الحضر والبادية وان كانوا يختلفون أحيانا فى العرض الا أن الجوهر واحد وهذه الاخلاق الممتازة جعلتا الامة الليبية في المقام الاسمي ولم يطرا أى تغيير محسوس على هذه الاخلاق بالرغم من تقلب الاحوال وتغير الظروف وتطور التجارب ولقد حارب الطليان هذه الاخلاق بمختلف الاسلحة وافتك هذه الاسلحه هو ما يسمونه بالمدنية الحديثة (السهور) الذى أدخله الطليان وفشا مكروبه فى الاوساط الليبية فنشر العدوى ومع كل ذلك لم تؤثر فى الخلق الطبيعى والنبل الفطرى ولا يصح أن نخفى ما حصل من بعض التعديل الخفيف كما أسلفنا وذلك فى بعض عادات لا يوافق الطور الحديث أن يبقي عليها كما كانت ويحكم الطور الحديث على المتمسكين بها بالتعصب وهذا التعديل الطفيف حصل بالمدن فقط وهو من مقتضيات الحياة ومجاراة للزمن .

الطوائف

لم تعرف فى برقة العربية النزعات الطائفية اذ ليس بها طوائف أو اقليات فالجميع فى برقه تجمعهم أواصر القربي ووشايج الدم وروابط الدين واللغة والتاريخ والمذهب والعقيدة والكل يعتنقون مبادى السيد محمد السنوسى الوطنية فله فى هذه البلاد زعامته الدينية والسياسية معا وليست هناك أية فوارق ينقسم اليها سكان البلاد غير ما أشرنا اليه فى غير هذا المحل من تقسيمهم الي حضر وبادية .

(معمون فيها مخولون إذا انتموا تمتهم قريش في الحفاظ وهاشم)

ولكن لا يفوتنا أن نذكر أن هناك غير العرب أقلية ضئيله من الاتراك المتعربين وبعض مهاجرى جزيرة قريد وهؤلاء لا ينفصلون عن العرب في حال من الاحوال فقد اندمجوا فيهم حتى لايكاد وانفصلوا ثم هناك اليهود الوطنيين ولا يتجاوز عددهم سبعة آلاف نسمة على الاكثر وهولاء يستمدون حياتهم من النشاط التجارى وهم يقفون فى كل الاحوال الى جانب العرب ويسيرون معهم أينما ساروا الا في موقف واحدوهو موقف الجهاد ضد الغاصب الاثيم وبطبيعة الحال أن يهود برقة غير ملومين فى موقف كهذا لانهم أقلية ضئيله هذا من جهة ومن جهة أخرى فانهم من سكان المدن الساحلية التي احتلها الطليان منذ هجومه الا ان شعور كبار اليهود وعقلائهم كواطنين يتفق وشعور العرب نحو هذا الغاصب وبما أنهم أقلية كما قلنا فهم محل عناية العرب وحمايتهم والعطف عليهم وربما لم يتمتع يهود العالم كله بما يتمتع به يهود برقة من اخوانهم العرب . ولم يحدث في يوم من الايام أن اليهود أقدمو على ما يقطع علاقتهم بالعرب الذين يحترمونهم كمواطنين ، وهناك ظاهرة قد اختفت الآن اذ أنها لو دامت لجعلت اليهود فى حيص بيص وهى أن الجيل اليهودى الذى نشأ وتربي في العهد الايطالى البايد قد انحرف عن تقاليد اسلافه تلك التقاليد التى جعلتهم محل الاحترام والعنايه بهم وأراد هذا الجيل أو بعض الشواذ منه أن ينفصل عن العرب ويقف موقف الحذر معتزا بسلطان ايطاليا ولكن همة العرب ونبلهم منعاهم من أن يقابلوا اليهود بالمثل وسرعان مارد الي أولئك الشاذين وعيهم وعلموا أن لاحياة لهم فى برقة الا بالمحافظة

على تقاليدهم الموروثة ولذلك نجد يهود برقة مبتعدين عما يسمونه الصهونية ويحاولون فى شيء من الخجل اخفاء ماظهر به شبابهم من الانحراف فى العهد الايطالى وهاهم اليوم يسايرون العرب ويسيرون معهم جنبا الي جنب ولاجرم اذا قلت ان للعرب نحوهم أياد بيضاء فى مختلف الظروف لا ينكرها اليهود .

لقد اشترك اليهود قلبا وقالبا في الاحتفالات التى أقامتها الأمة بمناسبة زيارة الوفد السنوسى سنه ١٩٤٣ وزيارة سمو الامير سنة ١٩٤٤ كما اوضحنا ذلك فى محله من هذا الكتاب ونالوا من عطف سمو الأمير وعنايته السامية ماجعلهم يشعرون بالمساوات الصحيحة وفي حوادث ٢ نوفمبر سنة ١٩٤٥ قرر زعماء العرب وأعيانهم حماية اليهود من التعدى الذى يكون عادة وليد الشعور المتدفق وبالرغم من ضبط الشعور امتلاك النفس ، لم تخفى الامة البرقاويه والحالة هذه شعورها الصادق المتين نحو الشعوب العربية ضد الصهيونية الخاسرة وماكاد العرب أن يقروا قرارهم حتى وصل على الفور أمر من سمو الامير بالتوصيه علي اليهود وضبط الشعور فى هذه الحالة وهكذا فلم تمر مناسبة الا وقد ينصح فيها سمو الامير شعبه الصادق ويأمره بحماية اليهود والعناية بهم ، ومن بين كبار هذه الطائفة شخصيات محترمه فى البلاد عرفت كيف تحافظ على علاقتها الوطنية مع العرب وصداقتها سيما رئيسها المحترم ريناتو أفندى تشو به الذى لا يقل في حماسه ونشاطه نحو الوطن العزيز عن مواطنيه العرب .

ما اهمد التاريخ

مرت ببرقه بعد الفتح الاسلامى ظروف كثيرة وتطورات لم تقيد بتاريخ ولم تدون حتى الآن وقد يجب كل متطلع لتاريخ برقة من اهلها خاصة وغيرهم عامة سماع ماحصل من الحوادث المهمة والتطورات التي لاغني عن معرفتها سيما الحروب التي حصلت بين القبائل العربية ببرقة من جهة وبين هذه القبائل وبين الدخلاء من جهة أخري : حصلت حروب كثيرة من هذا النوع مازال يحدثنا عنها رواتها الثقاة من اهل برقة الذين رووها عن آبائهم وقد حضروا شطرا منها وعن أجدادهم ، ومن المعروف ان التاريخ الصحيح لبرقه والذى لايهمل كبيرة او صغيرة الا ويسردها هم اهل برقة من البدو ففي الحقيقة انهم اهم تاريخ يرجع اليه الانسان وخصوصا بعض افراد منهم حازوا الثقة التامة نحو ما يقصوه علينا واشتهروا بحفظ تاريخهم .

يظهر ان الحكومات التي لها شبه سلطان فى البلاد وقد تعاقبت على الحكم فيها انها ضعيفة ازآء الحروب التي حصلت وانها لاتتمكن وقتذاك من اقناع الثورات واطفاء الفتن والا فلماذا كانت الحروب فى برقة بين القبايل كثيره وتثار باستمرار ؟

أن العصر الذى سنتحدث عنه له ما لكل العصور من الحوادث التى تعد قسم من تاريخ البلاد وله اهميته ونجد ابناء البلاد يميلون لمعرفته ويحبون الاطلاع على حقيقته ومادار فيه كناحية تاريخيه يجب معرفتها لا اقل ولا اكثر ويرجع السبب فى ضياع هذه الناحية التاريخية لعدم الاعتناء بها في وقتها فلم يدون من ذلك شيء فى زمانه ومكانه وربما يرجع السبب ايضا لقلة المتعلمين فليس هناك من يدون شيئا ولكننا نجد رجال البدو يقصون علي مسامعنا كل واقعة بالتفصيل ويعرفون كل من قتل من الطرفين المتحاربين ولا سيما ان كان المقتول شخصية ممتازة كما انهم يعرفون الاسباب التى دعت للحرب وما نتج عنها واهم شيء وقع فى هذه الحروب يحتفظون به العرب فتجدهم يرددون الاشعار البدوية التى قيلت فى ذلك وهذا الشعر يصور لنا الحرب وما دار فيها احسن تصوير وفى هذه الناحية الشعرية ما فيها من البرهان الساطع الذى يجعلنا نهتدى بضوئه

الى حقيقة الواقع وكل ماينقصنامن ذلك هو معرفةزمان الحوادث بالضبط لان العرب الرحل لايعتنون كثيرا بتاريخ الزمان ولكن لهم قاعدة لابأس بها وبها يعرفون عدد السنين التي مضت ويهتدون بهذه الطريقة الي اى زمن يريدونه فيحسبون بالفصول والمواسم فاذا شاءوا معرفة اي سنة يقولون مثلا فى السنة التى كان زرعها خصباً وتلوها سنة الربيع الكبير وفى السنة التى قتل او مات او ولد بها فلان وفي الاخري حدث الحادث الفلاني وهكذا حتى يقفوا على الزمن الذى هم فيه .

بهذه الطريقةالمتبعةعندهم تمكنامن معرفة كل زمن نريده وان كان يحصل بعض تقديم أوتاخير بسيط لايخل بالفائدة . ومما يجعلنا نعتقد صحة هذه القاعدة هو اننا اذا جئنا نبحث عن الحوادث الماضية لنعرف تاريخها بالضبط ونسأل كل انسان وحده يكاد يكون الاتفاق بوجه عام فكل انسان من البدو شيخا او شابا طفلا او رجلا ذكرا او انثى يقص علينا الحوادث كانه شاهدها وذلك لكثرة اخبار البعض منهم للبعض الآخر ولشوقهم جميعا لسماع تلك الوقائع ولتتبع مادار فيها بكل دقة والانصات لراويها بكل الحواس فلا تكاد تسأل احدا منهم الا ويخبرك عن ذلك خبرا لراوي المعاصر الواثق من صحة ما يقوله وانما هناك خلافات بسيطة تكون بين بعض الرواة وفى الحقيقة انها لا تضعف من قيمة التاريخ ولا تؤثر فى الموضوع وهى مثلا كاعتقاد احد رواتهم ان فلاناً قتل بالمعركة الفلانية او قتله فلان فيخالفه الآخر ويقول ان فلاناً قتل فى المعركة التي قبلها بيوم او بعدها بيوم ويتفقا فى السبب الذى قتل المقتول من اجله ، ويتفقا علي صحة القتل وسببه ويختلفان فى زمن القتل وهذا الخلاف الذي قل ان يحصل مثلهو ناتج عن بعد الزمن الذى أثر طوله في حافظة الرواة وذاكرتهم مع كثرة تناقل الاخبار فيحصل بعض التغير الطفيف .

لما شرعت فى تدوين كتابى اقترح على الكثير من مواطنى الاعزاء أن نخصص به ناحية لذكر ماكان مهملا من الوقائع التي حصلت كما قلنا بين قبايل العرب . وأسبابها وما نتج عنها من تلك الحروب التي كانت ولم تزل حديث المجتمعات بين الاحياء البدوية لما فيها من تغذيه المسامع باخبار الحرب ومدح الشجاعة وحبا للحرية والاعتزاز بالنفس وقد جبل العرب علي حب الحرب من أجل الحرية فهم محاربون بطبعهم فوعدت أولئك

الذين اقترحوا علينا ذلك وطلبوا مني أن أعمل جهدى لجمع ما يمكنني جمعه وقد اتصلت بالبعض من كبار العرب سنا ورواتهم الموثوق بهم وصرت أسالهم وادون ما يقصه على كل واحد منهم فكان اعجابي بقوة حافظة من أساله وهو يشرح لى بدون تلعثم ولا تفكير وكانه شاهد ما يقصه على لا يقل عن أعجابه بسؤالي له عن ذلك وتدوينه وقد يقول لي أحدهم هذا الكلام بادوقته وأهله فما فائدة سؤلك عنه وآخر يقول (العمل القديم محل ازدراء الجيل الجديد) الذى لا يعرف الا الجلوس فى المقاهى ومن بين من سالتهم وقد أعجبت بذاكرتهم الفقيه ادريس القيصه الذى يعد مرجع موثوق به وعبدالله أفندى أبو العون والشيخ أبوسيف يس والشيخ يحي المسهارى والعمدة الشيخ يس المبرى وفضيلة قاضى جدابية الشيخ رافع القاضي والشيخ سعيد شلبى والشيخ المهدى الحرنه

جمعت ما أمكنني جمعه فتراءت لي بعض خلافات بسيطة بين بعض الروات احملها لبعد الزمن الذى مضي وانقطع بحوادثه ومنها ما كان بين قبايل السعادى بعد ظهورهم ببرقة فتوصلت الي أخبار الحروب الآتى ذكرها .

حروب الجيارنه مع الفوائد «١»

حرب الجيارنه مع الحرابي (٢)

حرب الحرابي مع أولاد على (٣)

---

(١) الجيارنة نسبة لجبريل بن برغوث وقد بدل الالف بالنون في لغة بدو برقة اذ لا يقولون جبارله والمعروف بين العرب هي كلمة (جبارنة) والفوائد هم أولاد فائد بن برغوث .

٢) الحرابى هم أبناء حرب بن عقار وهذا شقيق برغوث وامهما سعدى ولم تشترك كل قبايل الحرابي في حربهم ضد الجيارنه ويعرف هذا الحرب بحرب حمد بياض وهو الذى يقول فيه شاعر الجيارنة .

ضيق عليه ولده حمد بياض ياوجا جالبه

٣) أولاد علي هم الشعب الثانى من العقاقرة وأبوهم على بن عقار وكان حربهم مع العبيدات فقط .

الحرب بين خضراء ومغيرية (١

الحرب بين قبايل الجيارنة فالعلايا منهم فى جهة والجوازى فى جهة أخرى (٢

حرب العبيدات والضعفاء (٣

الحرب بين الحسون والجيارنه (٤

الحرب بين العبيدات والبراعصة (٥

وقد حصلت حروب كثيرة غير هذه الحروب ببرقة فتارة بين قبايل السعادى ببرقة من جهة وتارة بينهم وبين الدخلاء من جهة أخرى وأحيانا تقتصر الحروب بين قبيلة وأخرى فتكون محدودة لا يشترك فيها غير قبيلتين أو عائلتين فضربنا عن الحروب التي لا قيمة لها من حيث هى صفحاً وارجأنا من تلك الحروب مالم يتم فيه بحثنا الآن الى الطبعة الثانية وها نحن نثبت بكتابنا نبذا بسيطة توخينا فيها الاختصار نحو الحروب المذكورة فيما يلى .

الحرب بين الجيارنة والفوايد ـ الحرب بين العلايا والجوازى ـ الحرب بين العلايا والحسون ـ الحرب بين العبيدات والبراعصة .

وأملنا أن تثبت ماتركناه الان في الطبعة الثانية عندما يتم بحثنا مع الاسهاب والتفصيل فيما أثبتناه هذه المرة ، لقد بذلنا كل الجهد في تصحيحه وقرآته على كثير من الشيوخ العارفين والرواة الثقاة فنال مجهودنا استحسانهم والله الموفق .

---

١) خضرآ ومغيرية زوجتي جليد البرعصي وسمى كل قسم من أولاد هاتين المراتين باسم أمه فاقتتلتا هاتان العائلتان وأجلت احداها الاخرى وفى ذلك يقول شاعرهما

لو كانوا ضنا برعاص فى الرأى واحد ... او ديار العوافى بينهم نازليها

اصحاب المروه و الفراسا والكرم ... مايطيعوا حكومه أهم خاد منيها

٢) العلايا هم العواقير والمغاربة والعريبات وهؤلاء أبناء امرأة عرفت باسم (عليا) فسميوا بها واخوتهم الجوازى سميوا باسم امهم جازية ووالد الجميع جبريل بن برغوث .

٣) الضعفاء قبيلة لاتنتسب للسعادى ولا للعرابطين وكانت تسكن البطنان فاجلاها منه العبيدات الى مصر .

٤) يعرف حرب الجيارنه والحسون بحرب (زغبا)

٥) العبيدات سبق التعريف بهم والبراعصه هم أخوة العبيدات اذ الجميع أبناء حرب بن عقار

اجلاء الفوائد عقب صدامهم مع الجبارنة

كانت قبيلة الفوائد وهي إحدي قبايل البراغيث تسكن من برقة الحمراء الى وادى سمالوس وكان زعيم هذه القبيلة حمدى بن مرابط من عائلة عبد الكريم الفوائد طاغية من الطغاة الذين عرفتهم برقة فاستولى على جميع حقوق الجبارنة واستحوذ على امتيازاتهم التقليدية بين القبائل البرقاوية وكانت زعامة قبائل الجبارنة وقتذاك فى شخص عبد النبي مطريد وكانت مواطن لجوازى في برقة الغربية . وفي موسم الصيف يذهبون إلى واحة جالو فلا يعودون إلي برقة إلا من أجل الحراثة أما العلايا وهم إحدى قبايل الجبارنة فكانت مساكنهم بالسواحل فى بزسس وأبى جرار والنقعة وغوط السلطان ومن مشاهير شيوخ العلايا وقتذاك محمود الكزة وعبد الرحمن الأسود وهيبة نصر ومحمد بن صالح ولكن الجبارنة ـ وهم الجوازي والعلايا ـ صفر علي الشمال بالنسبة للفوائد الذين لا يرون حقاً مشروعا في برقة إلا لهم ويترك للجبارنة بفضل الفوائد ما يزيد عن حاجتهم من الماء والمرعى والمحارث فأصبح الجبارنة يعيشون تحت رحمة إخوانهم الفوائد عيشة الذل والهوان، فاصبحوا يتربصون الفرص بالفوائد وأرادوا أن يأخذوا حقهم بالسوية مع الفوائد أو يغلب علي أمرهم وهناك يخضعوا المثل البدوي ببرقة القبائل (مغلوب ولا محايل عليه) فوحد الجبارنة صفوفهم وجمعوا أمرهم واشتبكوا مع الفوائد في حرب طاحنة ولم يكن للجبارنة معين فى حربهم هذه بينما نجد الفوائد لهم أعوان كثيرون فقد انظمت إليهم قبائل العرفا والعبيد وإن كانوا لم يشتركوا في الحرب بصفة جدية إلا أنهم كانوا يساعدوا الفوائد بالدعاية لهم وتموينهم إذا دعت الحالة والتجسس لمصلحتهم وتوالت معارك كثيرة في جهات متعددة فنال كل فريق نصيبه من الكر والفر وآخر المعارك هي التي أسفرت عن فوز الجبارنة فوزا باهرا وسببت جلاء الفوائد من برقة إلى مصر وقد حصلت هذه المعركة فى موقع الرجمة فقتل أثناءها صميدة بن حمدى مرابط زعيم الفوائد وكان القاتل صميده بن عبد النبي مطريد زعيم الجبارنة وتربط القاتل والمقتول روابط عائلية فأمهما أختان

شقيقتان ولا زال قبر صميدة بن حمدى معروف بموقع المطيرات «١» وانسحب الفوائد عقب قتل ابن زعيمهم الى موقع سمالوس وهكذا تم النصر للجبارنة وتم إجلاء الفوائد واندحارهم بعد معارك طاحنة أظهر فيها كل فريق من المتحاربين قوة وشجاعة واستمر انسحاب الفوائد إلى مصر ومعهم قسم من قبيلة العرفا الموالين لهم وبقى الجبارنة ببرقة منتصرين واستولوا على كل ما يملكه الفوائد من العقارات وغيرها ثم بعد إجلاء الفوائد أخلفهم الجوازى في العتو والطغيان ضد العلايا فكان نتيجة ذلك حرب آخر حصل بين العلايا والجوازى تسبب عنه إجلاء الجوازى أيضا وسنذكره فى غير هذا المحل وإنما نذكر هنا أن الجوازى لما نزحوا إلى مصر حصل بينهم وبين الفوائد حرب آخر بمصر وفى إحدى المعارك انتصر الفوائد على الجوازى فقالت ضاربة طبل الفوائد وقد تذكرت إجلاء قومها من برقة عن أيدى الجوازي أغنيها البدوية وهى :

اتلوذوا مع السيسان اكفا في جلانا لولي

ولو شئنا أن نثبت هنا كل ما قيل نحو هذه الحروب من الطرفين وما قالته ضاربة طبل كل منهما لضاق بنا المقام ولكننا اختصرنا الكتابة فلم نتعد الاشارة إكتفاء باسباب الحرب ونتيجته ونذكر هنا بيتين من الشعر البدوى يستدل بهما القارىء على مهمته كل قسم من أقسام البراغيث وهم : (الجبارنة) ، (الفوائد) ، (الشيابين) «٢» .

---

(١) عندما التقي الجمعان فى معركة الرجمة طلب صميدة بن مرابط أن يبارز ابن خالته صميدة بن عبد النبي وكان هذا الأخير شابا صغيرا فتمنع قومه عن ذلك وأبوا أن يسمحوا له بالمبارزة فقال عبد النبي لابد من خروج ابنى يبارز ابن خالته وما لأحد منا مدخلا بينهما فخرج صميدة وطلب من ابن خالته صميدة بن حمدى أن يبدأ بعملية الضرب ففشل ثم جاء دور صميدة بن عبد النبي فملا بندقيته ولهد عليه ولما قرب منه فرغ بندقيته فالتهبت النار في صميدة وقتل وفى ذلك تقول (حبق) :

ان فرغ اتشيط النار اصميدة ولد عبد النبي

ويقول الآخر :

ابعيني صميدة قرن فى صميدة وثاب النبار وبارود دايرف السماتيار

(٢) الشيابين نسبة لشيبون بن برغوث وهو والد عريف الذى تنسب إليه قبايل العرفا

الطبل لأولاد (جبرين) والراى لأولاد (فايد)
والمشليه (للشيابين) على رايجات القلايد

الحرب بين قبائل الجيارنه واجلاء الجوازى

بعد أن تم اجلاء الفوائد حذا حذوهم الجوازى وأخذوا يعاملون اخوانهم (العلايا) معاملة الاقوياء الطغاة للضعفاء المساكين كان لم تكن بينهما صلة ولا رحم وقد حرم الجوازي على اخوانهم (العلايا) سكنى برقة الا فى أطراف خلواتها التى لا تصلح للزرع ولا للمرعى وأن لا ينزل العلايا الاماكن الصالحة من برقة وهكذا أخذ الجوازى في اضطهاد اخوانهم واستمروا بعد اجلاء الفوائد الي سنة ١٢٢٠ هـ سنة ١٨٠٥م فسئم العلايا هذه الحياة الذليلة واشمأزت نفوسهم وقد يعقب الضغط انفجار كما هو الحال في كل زمان فوقف العلايا موقف البطولة لاخذ حقهم المشروع والتساوى مع اخوانهم فى كل شيء بعد أن رجعوا الى قاعدة (يوخذ الحق بالقوة) .

ركب صالح أبو قليده من قبيلة صبح المغاربه ذات يوم ومعه اثنان اخران على خيولهم طلبا للصيد ومع كل واحد من المذكورين (صقر) (١) فصادفتهم فى طريقهم سرية من منتجع الجوازى مؤلفة من عشرة فرسان يتقدمهم الشيخ منيمى أبو ويله وكان الجوازى ـ لكبريائهم ـ لا يرون حقا لغيرهم فى حمل الصقر فأخذوا الطيور التى كانت مع أفراد العلايا وأزالوا ريشها نكاية لحامليها وازدراءبهم وهم ينظرون وألقوا بالطيور من غير ريش على الارض وذهبوا من حيث جاؤا فاتفق أفراد العلايا أن لا يرجعوا لاهلهم حتى يأتو بعمل ما انتقاما وأخذا بالثار وعند ما أرخى الليل سدوله ذهب أفراد العلايا خلسة الي (فرس) الشيخ منيمي وهى فى مربطها فقتلوها وقفلوا راجعين وفي الصباح

---

(١) كان العرب ببرقة ولا زال الكثير منهم يستعمل أصناف الطيور من الصقر والشهان والباز للصيد ويرون في ذلك رياضة جميلة محبوبة .

التالى تأكد الجوازى من أن القاتلين لفرسهم هم أصحاب (الطيور) فضرب الطبل (١) اشعارا بحادث حدث وكان الشيخ عبد النبي أبو مطيريد (٢) زعيم عامة الجبارنه ورئيس قبائل الجوازى طريح فراشه لمرض ألم به فلما سمع صوت الطبل طلب اليه شيوخ قبائل الجوازى وسألهم عن سبب ضرب الطبل فقيل له أن فرس الشيخ منيسى قتلت البارحة فى مربطها و نريد أن نقتفي أثر القاتل فأكد لهم أن قتل الفرس لا يكون تعديا وانه نتيجة عمل من الاعمال فاصدقوني فى قولكم ، أى شيء حدث منكم أو من أحدكم ؟ فأخبروه بتفصيل ما حصل فتكدر وكانت هذه المرة الاولى التى يأمر فيها الشيخ عبد النبي بمجاملة العلايا وتقديم العذر لهم وأمر قومه بأخذ بيت (٣) وانتخاب هيئة من علية الجوازى للذهاب الي العلايا ومصالحتهم وتقديم العذر وطلب السماح ففعل الجوازى ذلك وأكرمهم العلايا أيما اكرام وقبلوا عذرهم وتسامحوا وهنا جاء العلايا بمكرمة تذكر وهى أنهم قدموا للجوازي فرسا من جياد الخيل بدلا من الفرس التى قتلت وعاد شيوخ الجوازى الى زعيمهم عبد النبي فأخبروه بما جرى من الاكرام والتسامح وتقديم الفرس فسر لذلك ظاهرا ولكن عبد النبي الداهية لا يغرب عنه ما سيقع بسبب هذا الحادث وقد كان بقوة دهائه يتصور الحوادث قبل وقوعها فسكت

---

(١) الطبل معروف عند العرب وهو آلة جوفاء تستعمل من الجلد وتضرب أثناء الحروب والانذار بالحوادث المهمه ولها صوت عال وهى نذير الفزع وفي العادة المتبعة تقوم بضربه امرأة من خيرة نساء الحى .

(٢) كانوا يكنون هذا الزعيم الداهية (بحمار) برقة وهذه الكنية يراد بها التعظيم لا التحقير وهو من أشهر مشاهير زعماء السعادى .

(٣) من عادة العرب عندما يحصل بينهم سوء تفاهم تخشى عواقبه يحضرون بيتا بجميع معداته وبامرأة تقوم فيه كطاهية ويؤخذ حيوان للذبح ودقيق وسمن ويذهب مع هذا البيت أعيان القوم الذين بدروا بالاساءة الي من أسيء اليه لتقديم العذر وينزلون عليه وبالطبع أن يقبل هو بدوره من جاءوا بالبيت ويحصل التسامح والوفاق وفى الغالب لا يقوم بمثل هذا العمل الا المستضعفون .

قليلا وهو يتقلب على فراشة من شدة الالم ثم قال لشيوخ قومه فى شىء من السياسة سائلا ما اسم هذه السنة ؟ وكان العرب يسمون السنين بموت عظيم أو بحادث خطير فأجابه القوم ان هذه السنة يقال عنها سنة الربيع الكبير وسنة الصابة العظيمة والسنة التى مرض فيها الشيخ عبد النبى وعوفي الي اخر ذلك من الفأل الحسن والمستحب للنفس فأجابهم قائلا كلا لقد غلطتم في اسم السنة فانها السنة التى مات فيها عبد النبى والتى تحارب فيها قبائل الجوازى والعلايا فانتصر العلايا وأجلوا الجوازي عن برقة ولقد صحت نبوءة هذا الداهية ونظره الذى رآه بفكره الثاقب.

توفى الشيخ عبد النبى كما تنبأ واستمر الجوازى في سوء تصرفهم نحو اخوانهم العلايا اعتمادا على قوتهم واستضعافا للعلايا وكانوا هؤلاء لاخيرون يتحملون كل مصيبة تأتى دفاعا للشر بالخير.

وحدث ذات مرة من المرات الكثيرة التى يسىء فيها الجوازى لاخوانهم أن ذهب قوم من الجوازى وأخذوا ابلا من صبح احدي قبائل المغاربه وابلا من البراغثه احدى قبائل العواقير ومن القانون المتبع عند العرب ببرقة أن لكل قبيلة من القبائل العربية علامة توقع على الابل والغنم لتميزها كل قبيلة حيواناتها فكانت علامة المغاربة يسمونها (قائم سيف وهى هكذا « ⌶ » وعلامة العقواقير يسمونها (مذرى) وكل علامة من هاتين تكون رئيسية لعموم القبيلة وهناك فوارق أخرى خصوصيه لكل عائلة من القبيلة أو لكل شخص وكان صبح من المغاربه والبراغثه من العقاقير لا يضعون هذه العلامة الرئيسية ولم ندر ما هو السبب فأخذ الجوازى إبل هاتين القبيلتين باعتبار أنهم لم يأخذوا حيوان المغاربه والعواقير حيث لا توجد علامتهما على هذا الحيوان الماخوذ وعندما شرع الجوازي فى وضع علاماتهم على هذه الحيوانات المأخوذه وقد قسمت بينهم مر بمنتجعهم أحد أفراد العلايا فقال لبعض أفراد الجوازى ان هذه الحيوانات جد كثيرة ان وجدتم محلا يتسع لرعايتها وتنميتها وفى كلته هذه ما فيها لمن يتدبر فأجابه الشيخ صعيده الهاروج قائلا ان برقة واسعة وأولادجازيه كثيرون وكان المتكلم الاول من قبائل العلايا هو حمد بن محمد بن صالح ولما ذهب القائل وسمع شيوخ القبيلة بذلك شعروا بسوء العاقبه وتأكدوا من حصول الحرب وعلموا أنهم بفقدهم رئيسهم عبدالنبى

فقدوا الكثير من السمعة والهيبة وحسن التقدير ورجعوا للقاعدة المعروفة بين العرب (فارس يعز قبيله وقبيله ما تعز فارس) . أخذ الجوازى يتدبرون فى الامر احتياطا لما يخفيه لهم المستقبل القريب واستقر رأيهم أن يرسلوا الى سيف النصر زعيم قبائل أولاد سليمان واورفله والقذاذفه لما بينهم وبين هذا الزعيم من الصلات الوديه يطلبون منه يحضر بقومه كي يشاركهم في الغنيمه ويحارب معهم العلايا حتى يتم جلاؤهم من برقة ان لم تكن ابادتهم وبذلك سيحق لسيف النصر أن يشاركهم فى ملكية برقة وكان سيف النصر والحاله هذه طريدا للحكومة وقتذاك بطرابلس وفى الحاله هذه كان العلايا بدورهم يدرسون على بساط البحث التدابير اللازمة لحرب الجوازى فأخذوا يتذكرون ويذكرون كل معاملة سيئة عوملوا بها من قبل اخوانهم الجوازى ويجمعون الحيثيات التى تبرر الحرب وقد نفذ صبرهم ، فى صيف تلك السنة وصلت منتجعات سيف النصر الذي كان قد أشهر العصيان كما قلنا على حكومة طرابلس ولم يعد يستطع البقاء بطرابلس فانضم الى الجوازى

وصلت منتجعات سيف النصر الى برقة الغربية وأخذت أماكنها من اجدابيه الي المقرون وكانت منتجعات الجوازى من غرب سوق الى موقع الابار أما العلايا فتنازلهم متاخمه للساحل من كركوره الي بنغازى وآن الآوان لاشعال نار الحرب فعمل كل من عنده لذلك فاصطدم العلايا بالجوازي فى معارك طاحنة أما سيف النصر وقومه لزموا الحياد تحت الستار وبقوا متخيرين وان كانت حقيقتهم مناصرة الجوازى وقد تمكنوا من أراضى واسعة فى الماء والمرعي وتجنبوا القتال مباشرة فأما أن تكون منهم حيلة ولهم فى ذلك معاذر وأما انهم أرادوا أن تضعف قوة الجانبين ولهم بعد ذلك كلمتهم كيف ما يتراءى لهم .

انتصر الجوازى بادى ذى بدء وحاصروا جميع منتجعات العلايا فى بنغازى حصارا دام خمسة أشهر هلك فيها أكثر الحيوان اذ لا ماء ولا مرعى ولا مخرج من الحصار ويعرف بـ (حصار خريبيش) ويقال أن رجلا من العلايا أو بالاصح من عائلة صالح مر بناقته فأكلت طرف ردآءه من شدة الجوع فغضب لذلك وهاجت اعصابه وأقسم بأن لا تبقي ناقتى بهذا الحصار أكثر مما بقت فاما ان أترك الحربة لناقتى ترعى واحميها

وأما اقتـــل فى سبيلها وعلي من يتولاها بعدى رعـايتها فهجم العلايا على عدوهم اثر ذلك وانتصروا .

ومن بين المعارك المشهورة فى تلك الحرب هي المعركة التى حصلت بموقع الزريريعيه فمات وجرح إثناءها الكثير من الفريقين وفي هذه المعركة انتصرت كتيبة من العلايا ومن بين فرسان هذه الكتيبة عبد ربه بن محمد قادربوه وأخيه ابراهيم والشيخ حمد الشبلى فاخذوا رحلا للشيخ المصرى بن عبد النبى مطريد واسروا زوجته ولما تحققوا من معرفتها أرادوا ترك سبيلها فقالوا لها خذى جميـع ماتريدينه من الاثاث والحيوان وأرجعى الي قومك في أمن وسلام فاجابتهم قائلته أني لاأذهب أبداً فان كان الرحل رجل وهو زوجى المصرى وهو حي يرزق فسيأتى وينقذني وجميـع مامعى رغم انفـكم وان كان قد قتل فلا ضير أن أبقي بينـكم ولا حاجة لي بحطام الدنيا بعده وفعـلا فقد صدقت في قولها ووصل لانقاذها واشتبـــك مع فرسان العـلايا في معركة قصيرة قتل أثنـــاءها حمد الشبلي فكر عبدربه قادر بوه وأخوه ابراهيم على المصرى ليقتلاه أو يقتلا وكان من خيرة الفرسان المحاربين فخاطبهما قائلا لا أريد قتلكما لانه يؤلمني وخـير لـكما أن تذهبـا بسلام فقد انقذت رحلى وكفى.

ومن المعارك المشهورة أيضاً تلك التي حصلت بموقع المقلوقه ببنغازى وقتل فيها من أهل مدينة بنغازى المنتصرون للعلايا ثلاثون رجلا من بينهم رجلين اشتهروا بقوة الباس والشجاعة وهما (الكبيش) والدنفير) وبعد هذه المعركة التي إنتصر فيها العلايا وصلت الحملة التي قامت بارسالها حكومة طرابلس الغرب ما نليه وقتذاك وقد اختـلف في الطريق التى سلـكتها هذه النجدة فقائل يقول وصلت عن طريق البحر الي طلميثه وآخر يقول جاءت عن طريق البر والاخير أصح أن لم تصل نجدتان واحدة عن طريق البحر والاخري عن طريق البر وكانت أكثر منتجعات الجوازى بموقع الابار ولما وصلت هذه النجدة مع تلك الانتصارات التى احرزها العلايا تسرب الذعر والرعب فى صفوف الجوازى فانسحبوا بعد معارك طويلة أظهروا فيها من الشجـاعة والاقدام ماجعلهم محل الاعجـاب واستمر الجوازى في انسحابهم والعلايا يطاردونهم الي موقع أبو سمح وتابع الجوازى سيرهم الى مصر ورجع سيف النصر وقومه يخفى حنين وبدون أن يشترك فى القتـال مباشرة

وبقي العلايا المنتصرون في برقة فاستولوا علي جميع ما يملكه إخوانهم الجوازى وهذه آخر حرب وقعت بين الجبارنه إذا استثنينا تلك الحروب البسيطه التي وقعت بين بعض العائلات فقط لا بين القبايل ولم تسبب الجلاء لأحد ولم يقع أيضا حرب بين أهل برقة وغيرهم مما يقولون عنه بحرب الصف الاالذى حصل بين العلايا والحسون ويعرف بحرب زغبا أو الذي حصل بين المغاربة (والزاوية) وهذه الكلمة الأخيرة تعرف بها قبيلة وصلت من جهات طرابلس وتسكن واحة مرادة من برقة الغربية .

ما برح أفراد قبيلة الجوازى يشنون الغارة الفينة بعد الأخرى علي برقة فتارة يستاثرون بحيوانات يأخذونها وتارة يردوا خائبين ومن بين هذه المرات ويحتمل هي الأخيرة إن جاء قسم من رجال الجوازى لشن الغارة علي العلايا فالتحمت معركة كبيرة بين الطرفين عرفت بمعركة كركورة غلب فيها الجوازى ورجع من بقي منهم فارا . ومن بين القتلى من قبائل العلايا الشيخ رحيم شرادة العشيبي والشيخ الظبع مطرود هيبة وكانت هناك امرأة من العلايا تزوجت من رجل لقبيلة البراعصة واستوطنت الجبل الأخضر مع زوجها وقد مر الغزاة من الجوازى بأرض البراعصة فقال أحد البراعصة للمرأة أن هناك غزاة قدموا من قبيلة الجوازى وتوجهوا الى أهلك وأخشى أن ينتصروا ويهلكوا قومك وبعد أيام من ذلك رجع أولئك الغزاة مدحورين ثم رت فلولهم مبعثرة بمنتجعات البراعصة فقالت المرأة للبرعصى الذى كان أخبرها بمرور الغزاة منبهة إياه بما قاله :

جن جفيل يا حدوث خيل العدو من خيلنا

واقعة زغبا

فى ربيع سنة ١٢٢٧ هـ (١٨١١ م) جاء بعض البدو الرحل من سكان طرابلس وهم الحسون والفرجان والمعدان والزاوية «١» إلى برقة تحت رياسة زعيمهم صالح بن زرق الله الحسونى وأعوانه من الشيوخ حموده أبو صوكاية الفرجانى وابن قدوره المعدانى والضبع الزواوى .

جاءت منتجعاتهم بعدتها وعديدها لاتخاذ برقة موطنا لهم ولاجلاء قبايل العلايا «٢» المستضعفة فى نظرهم ولما سمع العلايا بوصول هذه المنتجعات وتعرف باسم (صف البحر) الغربى «٣» انتقلوا إلى برقة الحمراء فنزلوا بوقع (النواوير) ووصل صالح بن رزق الله الى موقع متاخم للعلايا وبالقرب منهم فأوجس الآخيرون خيفة وأرادوا التفاهم مع صف الغرب بالتى هى أحسن فتوجهت سرية من أعيان وشيوخ العلايا ويقولون عنهم (صف الشرق) ومن بين فرسان هذه السرية الشيخ أبو شنيف الكزة الذى يعتبر أكبر شيوخ العلايا سناً وأحسنهم كياسة وتجريبا وأكثرهم ثراء والشيخ محمد باسل والشيخ

---

(١) الزاوية أو الزواوات إسم لقبيلة من القبايل الليبية ومواطنهم الهيشاوتا ورغا بقرب مصراته ومن تلك القبيلة سكان واحة مراده ببرقة .

(٢) العلايا سبق التعريف بهم وهم المغاربة والعواقير والعربيات أبناء جبريل من زوجته (علياء) .

(٣) عرفت منتجعات الحسون والفرجان ومعدان والزاوية التابعين لزعامة الشيخ صالح بن رزق الله باسم صف الغرب نسبه لموطنهم طرابلس الواقعة غرب برقة وكذلك العلايا عرفوا باسم صف الشرق نسبة لبرقة الواقعة شرق طرابلس ويعرف صف الغرب بين القبايل الطرابلسيه باسم صف البحر باعتبار أنهم من سكان السواحل كما تعرف قبائل أولاد سليمان وأرفله والقذاذفة والمقارحة وأرياح باسم صف القبلة باعتبار أنهم من سكان الجنوب .

صالح الأحول والشيخ حسن قادربوه والشيخ على الأطيوش وكان هذا أصغر المشايخ سناً والشيخ موسى جريو مصر والشيخ حمد اللواطي والشيخ الكاسح الكيلاني والشيخ أبوخريص الكزة وكثير غيرهم ، توجه كل هؤلاء للتفاهم مع صف الغرب وأخذوا فى التفاهم معهم تارة باتصال زعماء الفريقين وطورا بواسطة الرسل من دعاة الخير ممن لا ينتسبون لأحد الفريقين ولكن صف الغرب قد استضعف صف الشرق وأخذت الغطرسة والكبرياء والعتو منه مأخذها وكان آخر رسول بعث به صف الشرق هو الفقيه الفزانى الذى كان يعلم أولاد على الأطيوش وكان محل احترام عارفيه وهكذا فكل من كان يحفظ القرآن ويتلوه يكون محل الاحترام فأرسله صف الشرق ومعه رجلا آخر إلى الشيخ بن رزق الله يطلب منه باسم صف الشرق التفاهم للوصول إلى تحسين العلائق والجوار .

المقصود من طلب التفاهم هو أن يبقي صف الشرق ببرقة حتى يحصدون زراعتهم ويستعدون للرحيل إلى الجبل الأخضر ان لم يمتزجوا مع صف الغرب بدون قتال بين الطرفين ويطلب أيضا صف الشرق من الآخرين أن يراعوا حرمة الزراعة ويمنعوا حيوانهم من أكلها وتخريبها ولكن الشيخ بن رزق الله الذى لا يعبأ بصف الشرق المستضعف فى نظره أبي أن يجيب هذا الطلب المتواضع ورفض أن يسمعه وليته وقف عند هذا الحد بل تعداه إلي ما أبشع وأفظع من ذلك فقد أمر بعض رجال قومه بذبح الفقيه المرسل إليه ورفيقه فذبحهما كما تذبح الشياه وحملهما على جمل وأرسل من يوصلهما مصلوبين إلى منتجعات صف الشرق كتهديد وإنذار «١» فاشمأز صف الشرق من هذه العملة النكراء وهذا التهديد المر وأراد رجاله أن يبادلوا صف الغرب بالجزاء من جنس العمل ولكن المفكرون منهم راوا أن يتخذوا طريقا وسطا يضمن النجاح فى المستقبل القريب بالتؤدة والصبر لا بالعجلة التى تأتي أحيانا بالضرر فأراد شيوخ صف الشرق أن يذهبوا بأنفسهم

---

(١) كتب شيوخ صف الغرب إلى قبايل العلايا بهذه الأغنية الآتية وأرسلوا بها مع جثمان الفقيه المذبوح :

فقيهك اللى قراك ان جيت يالطيوش تلحقه

إلي أعدائهم رغم العمل الذي يحتم المبادلة بنوعه وكان الشيخ أحمد اللواطى قويا شديد الانفعال عصبى المزاج ثائرا من طبعه فطلب منه إخوانه أن لا يذهب معهم تفاديا للشر وخوفا من بادرة تبدر منه يصعب ردها فحتم رأيه ان لابد من مصاحبة قومه ولما يئسوا من إقناعه على البقاء اشترطوا عليه أن لا يشترك فى المفاضة وأن يحضر كمستمع فقط فقطع علي نفسه بذلك عهدا ولما وصلوا إلى منتجعات صف الغرب تباطأ الشيخ بن رزق الله فى مقابلتهم وبعد مدة زمنية قابلهم مقابلة تكلف وكانت بيده عصاة صغيرة من ذهب يداعبها بيديه وبدون أن ينبش ببنت شفة وكان ملثم وترك الكلام لأعوانه ولما لم يصل أحد الفريقان لفائدة ازال ابن رزق الله لثامه من وجهه ونطق قائلا (اسمعوا يا سعادى أن برقة ظهر حمار لا تسعنا جميعاً) يقصد بظهر حمار انها ضيقة فأجابه الشيخ أحمد اللواطى قائلا (ان كانت برقة ظهر حمار لا تركبه إلا نحن) وأردف كلمته باليمين المعظم عندهم وقتذاك وهو الطلاق وارفض الاجتماع فى شيء من الاضطراب فركب العلايا خيولهم وذهبوا سراعاً إلي أهليهم وبقي شيوخ صف الغرب بمحلاتهم. كان ابن رزق الله قد ارسل الى قبايل الجوازى يطلب منهم القدوم إلي برقة ليتعاون بهم على محق العلايا ويقاسم الجوازى في ملكية برقة وقد علم العلايا بذلك فتأكدوا ان لا حيلة للبقاء ببرقة دون القتال وأنهم تحملوا الكثير من الاهانات فى سبيل الوصول الى التفاهم وهم الذين كانوا لا يتحملون أقل إساءة وخشوا أن تصل قبايل الجوازى التى تريد الانتقام فتقوى شوكة ابن رزق الله فاتفق شيوخ قبايل العلايا علي ارسال الشيخ أبو خريص الكزة إلى زعيم قبايل الحرابي وقتذاك الشيخ حدوث بن مقرب يستنجدونه فأرسل مع الشيخ أبو خريص كوكبة من الفرسان وفى طليعتها أبنيه الجالى وأبي بكر وشقيقه جلفاف(٢) وفي هذا الاثناء وصلت سرية أخرى من قبيلة العبيد لمساعدة العلايا وقد ذهب أفراد هذه القبيلة لمخازن العلايا كي يأتون منها بتمر وتسمى المخازن كوف ولعلها من كهوف

---

(١) يقول شاعر صف الشرق ما دحا أبا خريص لمجيئه بنجدة البراعصة :

بو خريص شيال للكيل ... بشيل شيل عات الجمال
ركوه دلو لا فوق م القيد ... صعيب تلها ع الرجال

ومفردها كاف فلحق بهم ابن رزق الله وقتلهم علي آخرهم «١» .

لما رجع شيوخ صف الشرق الي أهلهم من منتجعات بن رزق الله أراد هذا الاخير أن يجامل العلايا ويريد بذلك ايهامهم كسبا للوقت حتى تصل قبائل الجوازي فوصل الى منتجعات العلايا الذين اكرموه وبنوا له بيت الكاسح الكيلاني لينزلوه ورفاقه به ولقى من الاكرام مالقيه بعكس معاملته لهم وبعد تناول الطعام والراحة التى عقبتــه طلب ابن رزق الله من شيوخ العلايا فتح باب المفاوضة وكانت العادة المتبعه عند العرب أن افتتاح الجلسة وابتداء الكلام أمر صعب لا يتولاه إلا دهاتهم ومن بين الصفاة التي يمدح بها عظيم البدو يقولون عنه (ان فلانا فارس فى الميعاد وفلان قدير فى فتح الكلام) فتكلم الشيخ حسن قادربوه ردا على الشيخ صالح بن رزق الله فأسكته هذا الاخير بتهديد قائلا له لايحق لك أن تتكلم ولا أطلب الكلام من مثلك فتكلم غيره وغيره ولكن اسكتهم بن رزق الله بتوجيه كلمات عيب يصف بها المتكلم وكان غرضه أن لايتكلم الا الشيخ أبو شنيف الكزه لما يعتقده بن رزق الله في أبي شنيف من حب المسالمه واللين ويعتبرهما ضعفا بأبي شنيف أوجبنا فيصل معه ونحت الضغط الي ما يريد وبعد أخذ ورد طويلين وبدون جدوى كرر الشيخ بن رزق الله كلمته السالفة (برقه ظهر حمار لا تسعنا جميعا) فرد عليه الشيخ حمد اللواطى صاحبه الاول بجوابه الاول وهو شاهر السلاح فى وجه بن رزق الله قائلا (على الطلاق لا نركب ظهر هذا الحمار الانحن ولو لم تكن بين نسائنا وأولادنا وفي محلاتنا كضيف لقتلتك تأديبا لك ياوضيع الاصل) فركب بن رزق الله وقومه وفي انفسهم مافيها وهناك طلب الشيخ ابو شنيف من شيوخ العلايا ان تضم جميع الحيونات وان لا يذهب أحد من المنتجعات والعمل يجد للدفاع عن الوطن ولاهل وأن المسألة وصلت الذروة القصوى من التعقيد فلا فائدة فى علاجها دون قتال ولا أمل فى الوصــول الى اتفاق وفي هذا الاثناء وصــل الشيخ أبو خريض ورفاقه من البراعصه كما سبق ذكره الامر الذي زاد فى اطمئنان العلايا وتشجيعهم وبينما كان العلايا يستعدون وصل الخبر الى الشيخ حمد اللواطي ان الشيخ

---

(١) يقول صف الشرق بمناسبة قتل فرسان العبيد الذين قتلهم ابن رزق الله :

سريت العبيد فــداك اتريد تمر راحت كلها

صالح بن رزق الله ومعه ابنه في كوكبة من الفرسان بموقع كذا فاغتنم الشيخ حمد اللواطي هذه الفرصة وركب في سرية خصوصية بدون ان يعلم بذلك قومه وخف لمنازلة بن رزق الله ومن بين رفاق اللواطي محجوب دواس فالتقى بابن رزق الله واشتبك معه في معركة لم تطل حتي اسفرت عن اسر بن رزق الله وابنه (شيناه) وقتل جميع رفاقه ولما علم بن رزق الله ان لا مفر من الموت قال للشيخ حمد اللواطي لا تقتلني مرتين يريد بذلك ان يقتله قبل ابنه بحيث لا ينظر الى ابنه صريعا فأجابه الشيخ حمد وقد جرح احد رفاقه الاعزاء عليه ، ان مات فلان فلا مناص من قتلك مرتين وان نجى من جراحه فسأقتلك قتلة واحدة .

قتل بن رزق الله وابنه حيث دفنا بموقع الصواكي .

كان في انتصار حمد اللواطي تفاؤلا حسنا لصف الشرق وانتقلت منتجعات صف الغرب الى جهات برقة الغربية وقد استولى عليهم الرعب والذعر بالرغم عن انهم اقوياء بالنسبة الي صف الشرق وقد اقتفى صف الشرق اثرهم وهكذا كلما ينتقل صف الغرب من داره ينتقل صف الشرق في اثره يوما فيوم حتى وصل الاولون الى موقع (زغبا) وهناك اشتبك الفريقان في اول معركة رئيسية كان النصر فيها حليف صف الغرب وانسحب صف الشرق الي موقع ابي جداريه والتقى الجمعان فى اليوم الثاني وهو يوم الجمعة اول رمضان سنة ١٢٢٧ فانتصر ايضا صف الغرب بادى ذى بدء وانسحب صف الشرق وهناك خشيت ام العز بنت الشيخ الكابح الكيلاني من استمرار انسحاب قومها وهى التى كانت تضرب طبل العلايا راكبة على جملها فنزلت وامرت ببناء بيت ايها وابت ان تسير فخجل قومها ان يفوتوا بيتها مبنيا للاعداء وهى فيه فكروا على اعدائهم بشدة وعنف غير مبالين بمن يموت دفاعا على الكرامة فانهزم صف الغرب بعد قتال شديد والموت فى اول رجالهم واخرهم ولم ينج من رجال صف الغرب الا اربعين فارسا فقط فروا عدوا على خيولهم وكانت هذه المعركة هى الفاصلة وقتل اثناء هذه المعركة الشيخ جلغاف(١)

---

(١) لما حصل الحرب بين العبيدات والبراعصة قالت احدى نساء البراعصة الاغنية الآتية تذكر العلايا بما كان من قومها :

مسلفينكم جلفاف يا جبارنا بوم القلم

المقصود به علم زغبا .

مقرب والشيخ وشاح البرعصي والغول مطرود وعقيله محمود هيبة والكثير غيرهم من رجال صف الشرق واخذوا يقسمون اموال صف الغرب من الابل والغنم والخيل والحمير والأثاث وكانت أموال المنهزمين جد كثيرة فصاروا يأتون إل الحفر المنخفضة من الأرض المحاطة بالربوات العالية ويدخلون بها الصنف المراد تقسيمه من الابل أو الغنم بدون عدد حتى تملا ويتركونها لمن تصح له أثناء القسمة «١» ولا زالت المقبرة التى تضم رفات الموتي يومذاك معروفة بموقع زغبا . كان أعيان قبيلة الفرجان التابعة لزعامة الشيخ صالح بن رزق الله يحتفظون للعلايا بنوع من المحبه لاسباب سبقت هذه الظروف وكان العلايا يبادلون الفرجان نفس الشعور وفى اليوم الاول من المعركة كان الفرجان والعلايا لا يقاتلون بصورة جدية ولما انسحب العلايا الى موقع ابى جداريه كان الفرجان من الكارين فلم يتخذوا الجدفي كرهم أما فى اليوم الثاني بعد أن بنت أم العلو بيتها كما سبق ذكره تقاتل الطرفان قتالا جديا وقسمت أموال الفرجان مع ما قسم من أموال صف الغرب .

فكتب شاعر الفرجان الطالب وريث بالقصيدة الآتية من الشعر الشعبى إلي أعيان العلايا معاتبا :

ايام قبل وانتو حزامين　　حزام كان لنا معاكم

إلي أن يقول :

إيش السبب يا محبين　　ويش السوايا معاكم
تبدى لنا فعلكم شين　　اوطاب مالنا في جباكم
أفتاه صالح أوشيناه　　وقلنا نعنهم افداكم
وفتنا (الكيمان ، والعين)　　وجينا لهلكم امعاكم
أجبتو ترس التراكين　　اللى باعنا واشتراكم

الكيمان والعين مواقع ببرقة الغربية فكان الشاعر يقول ألم يكفى اننا تركنا لكم هذه المواقع وانسحبنا منها ويشير في الشطر الاخير من البيت الرابع إلي المعركة الاولى التي انسحب فيها العلايا الى أبى جدارية حيث منتجعات العلايا فكانه يقول وصلنا معكم الى أهلكم ولكن لم نجد فى المعركة فلولي ذلك لاخذنا أهلكم ولكن لم نجد فى المعركة

قلولى ذلك لاخذنا أهلكم ويقول هذا الشاعر أيضا معاتبا قبيلة زوية التي عاركت الى جانب العلايا معاركة الابطال :

ايش جابكم يا زويه	منافيخ كيف القبايل
لا النا عليكم سويه	ولا لكم علينا غلايل
وانت ياقراد الحطيه	فيك ضايعات الجمايل
اقبيتو كما بو (زويه)	مطاويح بين السلايل
(حسن) عاد المعقيبه	وراعى القولات قايل
له دارف العجرميه	امزرب وعدوان سايل

أخذ الشاعر يسأل ازويه عما جاء بهم لمعركة لم تكن في صالحهم ولا هى دفاعا عن شيء أخذ منهم ويرى الشاعر أن مجيء زوية الي هذا الميدان ما هو الا تطفلا مثل تطفل قبيلة القبايل في هذه المعركة .

ويظهر الشاعر فى قوله أن ليس بينه وبين قبيلة ازوية ما يوجب اشتراكهم في القتال ونسى الشاعر أن ليس بينه وبين العلايا أيضا أى شيء يوجب القتال لولى التعدى الذى بدأ به وهذا التعدى هو السعى لامتلاك برقة وطرد أهلها منها وهم من خيرة أهل برقة فمتي أجلى العلايا يلحق الضرر بزوية أيضا :

ويصف الشاعر قبيلة زوية بكلمة اقراد الحطية ، وهي حشرة من الحشرات التي تلصق الابل دائما وقد وصف بها زوية ويشير الشاعر الي مروءة أسداها قومه الى زوية أثناء حرب زوية مع الجبالية الذين جاءوا لامتلاك جخرة فقاتلهم زوية دون موطنهم وتغلبوا عليهم وهنا يظهر الشاعر أن قومه انتصروا وقتذاك لزويه بدون مقابل ويشير الشاعر الي أن أموات زوية أثناء المعركة بين سنابك الخيل أنهم مثل أبوزوية الذى هو حشرة من الحشرات المعروفة ببرقة ويظهر الشاعر شكره الى حسن بن مفتاح رئيس بطن من بطون زوية يقال لها عائلة مفتاح وهى لم تشترك في المعركة لوجوده في مواطن بعيده عن المعركة وقتذاك وهى العجرمية ومزرب وعدوان وهذه المواقع معروفة ببرقة وصالحة لرعى الحيوانات .

وهناك منتجع من منتجعات العلايا لم يشترك فى الحرب ضد صف الغرب فقد سالمهم ولم يقف الى جانب اخوانه فأطلق عليه هذا الاسم (نجع المرأة) ويضم هذا المنتجع

عائلة مطاوع العواقير وعائلة الغمق من ابراهيم العواقير وعائله مطرود الاسود من المغاربة وعائلة شعيب الغزى من صبح ولما انتصر باقي العـــلايا وغنموا أموال صف الغرب قال قائلهم :

لولى شـــكل مطرود راه عيت بوميز اغتنوا

وبوميز هى فخذ من الاسود قبيلة منصور المغاربة ورئيسها وقتذاك مطرود الاسود وقد عرفت قبيلة ابوميز فى جميع العصور بالفقر ولذلك يقول شاعر العلايا لو أنهم يعنى ابوميز حضروا المعركة لاصبحوا من الاغنياء لكثرة الغنائم يومذاك ولكن عدم توفيق رئسهم مطرود هو الذى احرمهم من هذا الثراء .

الحرب بين البراعصة والعبيدات

هناك رجل من قبيلة التراكى وهي أحد قبائل المرابطين تربطه الخئولة ببيت الزعامة فى قبيلة البراعصة وبينه وبين القبيلة صلات مودة فتحول بيته الي جوار الشيخ اللافي ابو هرهرة كنزيل عليه وهذا الاخير من قبيلة العبيدات وفى ذات يوم كان اللافى متغيبا عن أهله فجاء الشيخ الصيفاط أحد أعيان وشيوخ البراعصة فى كوكبة من الخيل ونزل ببيت خاله التراكاوى نزيل اللافي فأكرمهم وذبح لهم شاة وبينما ينتظر الضيوف حضور الاكل وصل اللافي أبو هرهرة لبيته وسأل قائلا اني أرى خيلا بمنزل نزيلنا فمن أين هم ؟فقيل له أنهم شيوخ البراعصة فذهب اللافي فوراً الى بيت نزيله وبدون أن يسلم على الضيوف أو يستجوبهم أخذ فى تأنيب نزيله قائلا لماذا تقبل الضيوف ببيتك وأنت نزيلي ولحق تأنيبه نفس الضيوف قائلا لهم ان هذا نزيلي ولو عملتم بالواجب لنزلتم بيتي ضيوفا كراماً وأنكم تعلمون أن نزيلى هو بمثابة جردى (حرامى) لا يمكن كشفه فأراد البراعصه أن يقنعوه ولكنه حلف يمينا انكم تذهبوا بدون أن تأكلوا هذا اللحم المهيأ لكم فركب رجال البراعصة فى شيء من الزعل ومروا بابل لعائلة الخرصاني والعلالقة وكلاهما من

العبيدات وأخذوها بعد أن قتلوا ثلاثة من رعاتها وأرسلوا الى اللافي أبو هرهرة يخبرونه بعملهم انتقاما منه «١» .

كان لاحد المقتولين قريباً يدعي أبو بكر الخرصاني قدعزم علي أن يقتل الشيخ سعيد أبو زوير أحد أعيان البراعصة المشهورين لاجل قتل قريبه وأن لا يرضي بدلا من سعيد رجلا آخر وأخذ يتربص به الفرص خفية حتي مر ذات يوم بقرب منتجع البراعصة ودنى من بيت سعيد فرآه يقد نارا ليتخذ منها نوراً لضيوف عنده فرماه برصاصة خر الشيخ سعيد صريعاً بها فتأثر البراعصة لهذا الحادث لان قتيلهم من اعظم رجال برقة ولايصح في رأيهم أن يقتل لاخذ ثار من هو اقل منه .

وبينما كان البراعصة يفكرون فى الانتقام سمعوا ان الشيخ لطيف ابو شولاك عمدة قبائل العبيدات ومن أشهر أعيان قبايل السعادى وقتذاك قد توجه لمدينة بنغازى لقضاء مصلحة فاقتفي اثرة ولدا الشيخ سعيد ابو زوير وهما بن على والمبروك ولما وصلا الى بنغازى اخذا فى خفية يبحثان عنه حتى علما انه صباح غد سيتوجه الى قصر الحكومة بطلب من والى بنغازى وهناك استعدا لقتل غريمهما فقربا من قصر الحكومة حتى راياه قد نزل من القصر (هو بلدية بنغازى الآن) فدنوا منه وشعر هو بدوره ان هذان سيقتلاه فخف سيره ليدخل الى المقهي المحاذى للقصر (مقهى برلاتو الان) وكان يرى من العيب ان يستغيث او يرفع رجله جريا فضرباه قبل دخوله المقهى وفرا هاربين .

اراد البراعصة بعد قتلهم الشيخ لطيف ان يصطلحوا مع العبيدات فمهدوا لذلك واحضروا الجرود والبرانيس كما جرت بذلك العادة لاهدائها الى اهل المقتول واجتمع الكثير من مشايخ مختلف القبائل للصلح وأطفاء الفتنة قبل ان يتسع خرقها فحصل الاتفاق بادى ذي بدء وكان من بين وسطاء الصلح الشيخ نصر الشيباني عمدة قبائل

---

(١) أرسل البراعصة الى اللافي أبو هرهرة بالكلمات الآتية من الشعر الشعبي توبيخا له :

صاحب جردك يا وجاه أخذا ثوبك الحلال أمعاه
جاكم ما غاب أخذ ياقك من ذيل (اغراب)
وحط ثلاثة هم حق عداه

العرفة وانتهي الامر بالصلح ولكن الشيخ بريدان ابو شولاك اخذ يعد العدة سراً لمهاجمة البراعصة وقتالهم رغم الصلح الواقع انتقاما لاخيه المقتول وفي فجر يوم من الايام هجم الشيخ بريدان منتجع البراعصة بموقع (الحوارة) قبل ان يتم الصلح الذى مهد له وحدد له موعد فالتحمت بين الفريقين معركة كبيرة اسفرت عن قتل الشيخ سليمان الجنازة وهو من اشهر مشاهير رجال البراعصة وقد سمع بهذا الحادث الشيخ نصر الشيبانى الذي كان قد اخذ عهداً على مشايخ العبيدات بقبول الصلح وانتهى معهم في اجزاء مايلزم اجراؤه واتفقوا على موعد يكون فيه التصافى والوئام فأخذ يسأل من حوله قائلا نحن اصلحنا بين البراعصة والعبيدات واجتمع شيوخ القبيلتين وتصافحوا ولم يبق بينهم شيء وحددنا موعدا لمقابلة اخرى كي يتم فيها مالم يتم سابقا فماذا جرى يا ترى ؟ فرد عليه الشيخ ابو فروه مفصلا بقصيدة من اللغة الشعبية ها نحن نثبتها وتوالت المعارك بين الفريقين وخسر العبيدت جميع المعارك مع البراعصة الا المعركة الختامية التي كانت هى الفاصلة .

قال الشيخ ابو فروه

سلامى على نصر شيبان ... نزهة أصدور السرايا
ان كان سلتنى عن ابريدان ... في مسارنا ف اللوايا
جرن فيه باقدار واحسان ... برانيس ملسف اوهدايا
خاين أومن سرخيان ... من هل العال الردايا
لمد لنا حشو حشان ... وجانا اقبال الصبايا
أور كبنا على كل جنجان ... لنقر عريض الشوايا
سقاهم كما ريح لمزان ... اللى من أرياحاً قويا
اضجن ساعت طيحت اسليمان ... قطاقيض وارد ضمايا
ما مشى النادين مديان ... كيف صار طيب النوايا
أوصاحب اسرافيل مابان ... ايجى فى احساب البقايا

ومن المعلوم ان الحكومة تهتم بالواقع . لانها مسؤلة عن الأمن العام في بلاد تحكمها وثانيا أن البراعصة قد تعدوا تعديا شنيعاً اذ قتلوا أحد أعيان العرب داخل المدينة التي يحرسها رجال الامن العام وعلى مرآي ومسمع منهم وبقرب القصر الحكومى اضف الى ذلك ان الحكومة وقتذاك ما برحت تخشى البراعصة وتحسب لهم حسابات كثيره فتسنى

لها تأديب هذه القبيله ان استطاعت، استعد خليل باشا بقوات هائلة وصحب معه الكثير من شيوخ واعيان الحضر والباديه ومن بين من استصحبهم معه الحاج محمد كاهيه والحاج ابراهيم منينه ومصطفى عصمان (عثمان) وعبدالنبي حجر القزيري وهؤلاء من أعيان حاضرة بنغازى وكثيرا من شيوخ العواقير والمغاربه وجميع هؤلاء المشايخ كانو من شيعة البراعصة وانصارهم سرا وجميع الاهالى يتحيزون الى البراعصة الا قسما ضئيلا من قبيلة الحاسا يعرف بالمربد ونزل خليل باشا والى بنغازى بقوته ورفاقه فى زاوية الفايديه واتصل بشيوخ البراعصه عن طريق الوسطاء وطلب منهم شروطا للصلح بدون قتال فخضعوا لها الا شرطا واحدا وهو تسليم الاسلحة التي بيدهم وتجريدهم منها فأبوا ان يذعنوا لهذا الشرط الا رجلا واحدا من البراعصه هو الشيخ عمران بن حموده ابوبزله أحد شيوخ قبيلة المساعيد فتقدم بالطاعة لشروط الوالي وهناك زحفت قوات خليل باشا لقهر البراعصه واخضاعهم بالقوة فقابلها ثمانون رجلا فقط من قبيلة طامية والتحمت المعركة بشدة وعنف استعمل فى اثنائها اطلاق المدفع فهجم حمد ابن الجالي حدوث على الطبجي وقتله واستولي الرعب علي الجند العثماني فانسحب مخذولا بالرغم من اشتراك جميع من اراد مجاملة الحكومه في القتال الى جانبها وانتصر البراعصة انتصارا باهرا .

فوصف الحاج محمد ابو فروه هذه المعركة بقوله من اللغة الشعبيه :

(اداعن علي الكور والطبجية — نحنا هل رقيه — ناضن طراطيش سلمك سريه)

رقية هى أبنت الشيخ سليمان الجنازه الذى قتل فى اول معركة حصلت بين العبيدات والبراعصة كما تقدم :

اداعن على الكور والشخشخان	اوفك القران
اوبعد نزله رد قايل امان	فدا الروح بالفرملا والحصان
اومد الهديه	عجلان فى سلحت الزمزميه
اداعن على الكور وقتا ازاوا	بلغواه هاوا
علي سند وفار ما هن غذاوا	ما يركبوا غير خيره نقاوا
بلخمس ميه	عليهن تواصيف ريم الحطيه
اداعن على الكور جنه جساير	فى ملف نايز

اشللهن كما فرق من فيض حاير ناضوا طراطيش مازول داير
أفيهم ازيه حضر سيد بن سيد عروه قويه
اداعن على الكور اونام الشهود عساكر أرجود
وبارود داير ضبابات سود اوعاد (بوبزله) كي فقر اليهود
علي (الحاسه) رميه بعد قولنا ما كفيل الرعيه
اداعن على الكور جنه رغايب والدم رايب
أيشلن ايغايب ولا زول هايب سليمان عين النداوى الطايب
خذن فيه ميه مجازر على وصف عيدالضحيه

رجعت قوات خليل باشا بخفي حنين وبعد هذه المعركة وغيرها حصلت عدة اجتماعات بين العبيدات والبراعصة ووسطاء الخير للصلح وعند ما يصل الطرفان الي اتفاق يقول الشيخ عمر جلغاف هذه الكلمة ليخرب بها الميعاد (لماذا قتلتم سعيدا وهو يقد ناراً للضيوف) فيتحمس رجال البراعصة وتثير ثائرتهم ويخرب الميعاد وهكذا يقول عمر جلغاف كلمته هذه فى كل اجتماع يراد به الصلح فاقترح الشيخ محمود الفرجاني احد زعماء قبايل العبيدات اقتراحا وهو عند ما يجتمع الطرفان للبحث فى مسألة الصلح يتركوه يجيب الشيخ عمر على كلمته التي تعود قولها للخراب ولم يعرف الناس ماذا سيكون جواب الشيخ محمود الفرجانى وعند ما حصل أحد الاجتماعات من النوع التى كانت تعقد للوصول الي الاتفاق ردد الشيخ عمر كلمته فأجابه الشيخ محمود قائلا (ألم تقبل ماية رجل فى سعيدك) فالتفت الشيخ عمر الي الشيخ محمود قائلا (من أين جاءت هذه) وبهت فلم يتكلم بعدها إلا بقوله لا إله إلا الله .

يقول شاعر البراعصة مخاطبا خليل باشا .

ريت شلطهن ف السوق يا خليل وتجيهن أخري

يقصد بذلك قتل الشيخ لطيف بميدان السوق . التجأ البراعصة إلي برقة الغربية عقب معركة من المعارك فبعث اليهم العبيدات بقولهم :

البطان والحرمة تنادى تعالوا ان كان مانكم ذالين
يا عاقلين ف وطن السعادي بقتلكم شيخ كان الكم خزين

ومن قول بريدان عند ما قتل أخوه لطيف أبو شولاك :

الطيف لاوي الكشمير أن ناخذ فيه الا مذير أما موسى والا باكير

ويقول أحد الشعراء البدو يداعب معشوقته مستشهداً بقول عمر أبو جلغاف لاهل الميعاد :

قولك امعانا يا كحيل أنظارا كي قول بو جلغاف للسيارا

اقلال عقيده عمر وانت يا صابغ سواد همّيده

هو ايغزوا (عيت عريف) من تحت ايدا وانت تحودى عن جي بيت الجارا

ما لكم شي نيسه عمر وانت يا بو قرن هالب قيسه

نا والجيل مانا امغير بسيسه هو هله فيه وانا اندبو اداره

ويقول شاعر العبيدات :

عدوهن ايج فى غيضهن يا لاهن ما فيه خير يبعهن وشراهن

راكبات أطوالى صعبات ع الشارى ثمنهن غالى

خذن (زدم واسليمان والبهالى) فراسين كصر ما عمر يفداهن

راكبات سلايل ما يحملن هفوت اقرون الجايل

لهن زمان منهم زامطات علايل ما صدقن طالن نهار امعاهن

يركبن عل القرح هذين عيت واعر حربهن ما يفرح

عليك يحدرن كيف الطيور الصرح اللى واحيات محاس وان عشاهن

واتفق بعدئذ البراعصة والعبيدات وتنازل العبيدات عند ما أخذوا في القصاص عن مايةرجل قتيل فى ذمة البراعصة فكانت هذه المكرمة من العبيدات لاطفاء الفتنة تذكر لهم مع أن العبيدات كانوا هم الغالبون إذا انتصروا فى المعركة الحتامية وهي معركة (المزيلقة) كان العبيدات قد قرروا الانسحاب إلى جهة البطنان أثناء انهزامهم من البراعصة وبقى بموقع (المزيلقة) منتجع خليط من جميع قبايل العبيدات واتباعهم لعدم مقدرتهم علي الرحيل فسمع بهم البراعصة وجاءوهم لابادتهم ولكن الحظ فى هذه المرة ساعد العبيدات فقد كان المحل الذى نزل به العبيدان صعب المسالك لا يمكن لأى إنسان أن يدخل اليه أو يخرج منه لصعوبة مسالكه وليس من السهل ان تصل إليه الخيول وهنا حارت

سرية البراعصه فلم تستطع التقدم ولا التأخر وأخذ أهل المنتجع يقاتلونهم حتى أبادوهم فأسفرت هذه المعركة عن انتصار العبيدات وخذلان البراعصة فى هذه الواقعة الأخيرة والفاصلة وفي أثناء المعركة بين منتجع (المزيلقة) وسرية البراعصة كان هناك بمنتجع البراعصة بعض من رجال العبيدات للمفاوضة في شأن الصلح وكان جميع رجال البراعصة قد ذهبوا (إلى المزيلقة) وكان العبيدات يسألون النساء ومن بالمنتجع بقولهم أين الرجال فيجابوا بأن الرجال ذهبوا ليسقون خيولهم وفى هذه الحالة كانت الخيول تأتي بالأموات إلي المنتجع فى صفة سرية فأدرك العبيدات ذلك وقالوا للبراعصة كان (البئر مزدحم) : وعقب هذه المعركة المذكورة والتى كان فيها العبيدات هم أهل المقدرة تصالح الطرفان صلحاً طيبا وتصافيا وتجدد بينهما ود وأخاء لم يكن قبل وانسحب البراعصة من أراضي العبيدات التي كانوا قد استحوذوا عليها عنوة وأبطل حكم أبو بكر حدوث على العبيدات وتضاءل نفوذه على جميع الحرابي وتنازل عن قصره بموقع القيقب إلى العبيدات ولم يعرف السعادى الذين يحدثونا عن حرب وقعت بين قبيلة وأخرى كهذه الحرب التى وقعت بين العبيدات والبراعصة فقد انتهت بتصافى الفريقين وبحسن العلائق وتجديد الروابط وبالمودة التى دونها كل الموادات وبتبادل الاحترام والتقدير وحتى لما كانت الحرب بينهم فعندما توقف ساعات القتال يضيف أحدهما الآخر في أمن وسلام يتبادلون الاكرام وعندما تشتبك الحرب يذهب كل منهما لقومه لتجديد الحرب ولم تعرف هذه العادة عند غير العبيدات والبراعصة أما عن المودة القائمة بينهما اليوم فحدث ولاحرج : وكان بيت الرآسة فى البراعصة هو مقرب وبيت الرآسة فى العبيدات هو غيث وهذان البيتان هما الذان صعب إقناعهما وهما دعاة الحرب أما دعاة السلم من القبيلتين فهم الشيخ مازق بن أبي بكر حدوث والشيخ على الفرجاني وابنه محمود .

لا تقل مدة الحرب بين البراعصة والعبيدات عن ثلاثة سنين ومن أهم الوقائع :

معركة الحواره ، معركة الشقاليف ، معركة عطير ، معركة المزيلقة .

وقد وصف الشيخ بو سيف ابو شنيف الكزة معركة اعطير فى قصيدة باللغة الشعبية يخاطب بها الابل منها قوله :

يرم عطير ياعوج اللغاوى عندك وين جنا بالجضور

عند النزل تميتي خلاوى والبارود والمدفع أيثور
الباشا جا جايب لك تفاوى كيف الطير لا راع النقور
اطمع فيك شراب القهاوى اللي من أتراك واللى من حضور
وطمع فيك شراب الركاوى (اللا فى) بو هرهره بو سيور
عندك وين فزعن بلملاوى كيف الجيش لاجاه البخور
فاتك سطر والبارود شاوي بطعن الحراب في وسط الظهور
أعاد ضربهم ايجي ع الكلاوى والا ع العايم وع الصدور

ولاة برقة

نذكر تحت هذا العنوان أسماء حكام برقة وولاتها الذين تعاقب حكمهم عليها من الأتراك والطليان .

كانت برقة وعاصمتها بنغازى تابعة للادارة العثمانية بطرابلس ابتداء من الفتح العثماني الثاني إلى سنة ١٨٦٣ م ففصلت عن طرابلس وصارت لواء مستقلا تابعاً لوزارة الداخلية بالآستانه حتي سنة ١٩١١م إذ حصل الغزو الايطالى وهنا نذكر الولاة الأتراك ثم نلحقهم بالولاة الايطاليين الذين لم يستتب لهم الحكم فيها إلا بعد سنة ١٩٣١ :

الاسماء	من سنة ميلادية	إلي سنة ميلادية	ملاحظات
خليل باشا	١٨٦٣	١٨٦٨	وفى عهده حصل حرب العبيدات والبراعصة
مختار باشا	١٨٦٨	١٨٦٩	
محمد عارف باشا	١٨٦٩	١٨٧٠	
برتاو باشا	١٨٧٠	١٨٧١	
شمسى باشا	١٨٧١	١٨٧٢	
كرد عبدالله باشا	١٨٧٢	١٨٧٣	
على كمال باشا	١٨٧٣	٨٧٦	وفي مدته حصل عصيان المغاربه
على باشا الحلبي	١٨٧٦	١٨٧٨	
علي كمال باشا	١٨٧٨	١٨٨٢	للمرة الثانيه
رشيد باشا	١٨٨٢	١٨٨٥	
موسى كاضم باشا	١٨٨٥	١٨٨٧	
حسن تحسين باشا	١٨٨٧	١٨٨٩	وفي مدته حصل عصيان العواقير
رشيد باشا	١٨٨٩	١٨٩٣	للمرة الثانية وفى مدته حصل تاديب زوية والصلح مع البراعصة .
طاهر باشا	١٨٩٣	١٩٠٤	
زهدي باشا	١٩٠٤	١٩٠٥	
عمر عالى باشا	١٩٠٥	١٩٠٨	
غالب بن خلدون باشا	١٩٠٨	١٩٠٩	
جودة بك	١٩٠٩	١٩١٠	
مراد فؤاد بك	١٩١٠	١٩١١	وفى مدته حصل الغزو الايطالي فسافر الى استانبول بعد احتلال بنغازى وعاد عن طريق مصر واتخذ مقره بمعسكر درنه يشغل وظيفته الاولى ولم يطل به البقاء اذ عهد الى أنور بك بالحكم المدنى الي جانب القيادة العسكرية.

الأسماء	من سنة ميلادية	إلي سنة ميلادية	ملاحظات
كانت الاراضى البرقارية المحتلة تابعة لقيادة حملة الغزو الايطالى المقيمة فى طرابلس .	١٩١١	١٩١٣	قواد حملة الغزو هم: الأميرال رفائلى بوريا، ريشى دولمو ، وهؤلاء من ٥ أكتوبر سنة ١٩١١ إلي ١٣ أكتوبر سنة ١٩١١ الجنرال كانيفا قائد حملة الغزو ١٣ أكتوبر سنة ١٩١١ إلي ٢٨ أغسطس سنة ١٩١٢
اوتافيو رانيي	١٩١٢/٨/٢٨	١٩١٣/١/١٢	
الجنرال بريكولا والي بنغازى	١٩١٣/١/١٣	١٩١٣/١١/٦	
الجنرال جوفانى اميليو والى بنغازى	١٩١٣/١١/٧	١٩١٤/٧/١٦	
الجنرال جوفانى اميليو قائم بأعمال والى برقة	١٩١٥/٧/١٦	١٩١٨/٨/٨	
الجنرال فنشيزيو قاريوني قائم بأعمال والى برقة	١٩١٨/٨/٨	١٩١٩/٧/١	
عضو مجلس الشيوخ دي مارتينو والى برقة	١٩١٩/٧/١	١٩٢١/١١/٢٣	
لويجى بنتور	١٩٢١/١١/٢٤	١٩٢٢/١٠/٢٠	قائم بأعمال والى برقة
ادوارد بكارى	١٩٢٢/١٠/٢١	١٩٢٢/١٢/١	قائم بأعمال والى برقة:
الجنرال دى قاسبيرى	١٩٢٢/١٢/٠١	١٩٢٣/٦/٦	في عهده حصل احتلال جدابية

الأسماء	من سنة ميلادية	إلى سنة ميلادية	ملاحظات
الجنرال بونجواني	٦ / ٦ / ١٩٢٣	١ / ٥ / ١٩٢٤	
الجنرال ايرنيستو موميلي	١ / ٥ / ١٩٢٤	٢٢/١١/١٩٢٦	وفى عهده حصل احتلال الجغبوب
الجنرال تيروتسى القنصل الفاشيستى	٢٢/١١/١٩٢٦	١١/١٢/١٩٢٨	وفى عهده قضى على الحركة ببرقة الغربية وقبض على السيد رضا أسيرا
الكولونيل دومينكو سيشلياني	٢١/ ١ /١٩٢٩	١٥/ ٣ /١٩٣٠	وفى عهده حصلت المفاوضة مع السيد عمر وارتبطت بنغازى بولاية طرابلس
الجنرال رودلفو غرسيان	١٥/ ٣ /١٩٣٠	٣١/ ٥ /١٩٣٤	وفى عهده قبض على السيد عمر المختار وأعدم وقضى على الحركة الوطنية
الجنرال قوليامو نازي	١ / ٦ / ١٩٣٤	٣١/ ٧ /١٩٣٥	قائم بأعمال نائب الوالي
المركيز ميسكى متصرف عام	«	«	تغير إسم الولاية إلى متصرفيه عامة عندما تعين المرشال بالبو حاكما عاما من ١/١/١٩٣٤ إلى ٢٨/١٩٤٦ حيث قتل صريعاً
الفراندو فيشالى واوديا شى متصرف عام	«	«	
جوانا نجلى متصرف عام			فى عهده وقعت الحرب العالمية الثانية
فلانى متصرف عام			

برقه والسيد محمد بن على السنوسى

كان سكان برقه يتخبطون فى دياجير الجهل ويتعثرون فى أوحاله تقذفهم أمواج بحره العتى تارة الي اشتباك بعضهم مع البعض الاخر في قتال وطوراً الى الغزو خارج بلادهم ، تسودهم الفوضي وتسيرهم الاضطرابات لاحياة للضعيف بين الاقوياء ولاشفقة بقلب القوى علي الضعفاء حتى انبثق ببرقة فجر جديد للتاريخ كان له أعظم الاثر فى جميع نواحي الحياة وكان الحد الفارق بين الحق والباطل ،

كان هذا الفجر الوضاء نقطة التحول فى تاريخ برقة العلمى والعملى فسارت على ضوئه المنبثق خطوات سريعة الى الامام وانقشع الظلام الحالك الذى خيم أمدا طويلا كادت برقة أن تكون أثناؤه مهمولة فى زوايا النسيان لاتعرف شيئا ولايعرف عنها شيء وهى عضو عامل من الاعضاء التى يتكون منها الجسم العربي وفرد من الافراد التى تتكون منها المجموعة الاسلامية ولكن الله تعالى نظر بعين لطفه اليها وشاء جلت قدرته أن يرفعها مكانا عليا فقيض لها من لدن رحمته فرع الشجرة الزكية والطلعة النبوية والدوحة الهاشمية كريم الحسب والنسب الاصيل الاثيل سليل النبلاء والكبراء وحفيد الملوك والامراء الامام الاعظم والعبقرى المعظم السيد محمد بن على السنوسي فشمر عن ساق الجد وساعد الاجتهاد ومهد سبل الاصلاح والرشاد عاملا بكتاب الله وسنة رسوله كما عمل قبله الخلفاء الامجاد فاينعت جهوده الجبارة وأثمرت أعماله العظيمة ، نشر العلم الصحيح وحبب العمل الصالح ووحد الصفوف وحل المشاكل ونبذ الشقاق واتخذ الاتحاد والاخوة والتضامن دستورا فالتفت الامه حوله متآزرة متعاونة تهتدى بهديه وتسير على جادته وتأتمر بامره لافضل ولاتفاضل الا بالعمل المشرف المجدي والعلم المفيد النافع فساد بهامن لم تكن له السيادة والي هذا الامام المعظم يرجع الفضل فى ايجاد الروح العلمية والاصلاحية والاخلاقيه والثقافية والسياسية ببرقه واليه وحدة ينتهى الفضل فى ايقاض الامة من سباتها العميق وهانحن نواصل كتابتنا المختصره عن ترجمة حياته وما قام به فى هذه البلاد التى تدين له بمخلدة له أعظم الذكريات لتستمد منها نوراً تستنير به في أحلك الظلمات.

نسب السيد محمد السنوسى ، مولده ، نشأته ، تعليمه

١» هو الامام الاعظم السيد محمد بن على بن السنوسى بن العربى بن محمد بن عبدالقادر ابن شهيدة بن حم بن يوسف بن عبد الله بن خطاب بن على بن يحى بن راشد بن أحمد المرابط بن منداس بن عبد القوى أحد أمراء (تاقدمت وتلمسان) بن عبد الرحمن (مؤسس امارة تاقدمت) بن يوسف بن زيان (أحد ملوك المغرب الاقصى) بن زين العابدين (أحد أمراء تاقدمت) بن يوسف « عاشر ملوك الريف وباديس » بن حسن (تاسع الملوك المذكورين) بن ادريس « ثامن الملوك » بن عبد الله بن احمد (سابع الملوك) بن محمد (سادس الملوك) بن عبد الله (خامس الملوك) بن حمزه « رابع الملوك) بن سعيد بن يعقوب « ثالث الملوك) بن حمزه بن على (ثانى الملوك) بن عمران (أول ملوك الريف وباديس) بن ادريس الاصغر « أمير المسلمين ومؤسس مدينة فاس) ابن ادريس الاكبر (اول خلفاء الادارسة بالمغرب) بن عبد الله الكامل بن الحسن المثنى بن الامام حسن السبط « وهو ممن تولوا الخلافة الاسلامية الكبرى » بن على بن أبى طالب وأمه فاطمه الزهراء بنت محمد صلى الله عليه وسلم .

«ب» ولد ليلة الاثنين الثانى عشر من ربيع الثانى سنة ١٢٠٢هـ حوالى ١٧٨٨م ببلد مستغانم مقر آل (خطاب بالجزائر وقد توفى والده والسيد محمد السنوسي فى المهد فكفلته عمته الفاضله العالمة السيده فاطمة وقرأ القرآن فحفظه على ظهر قلب برواياته السبع المشهورة فى سن مبكره ولقن التوحيد وتفقه على أشهر علماء بلاده ونبغ فى علوم النحو والصرف واللغة ثم سافر الي « فاس » فاخذ مختلف العلوم بالرواية عن كبار علمائها حتى أصبح علماً من الاعلام ومرجعاً فى العلوم العقلية والنقلية بصفة جعلته أبرز شخصيات عصره وكان يعد من أفحل فحول علماء الحديث والتفسير والتصوف والتاريخ وعلم الانساب والرياضيات ثم سافر الى الحجاز ليجمع بين السندين وذلك سنة ١٢٣٧ هـ الموافق ١٨٢٣ م وبعد تمام ماارادة رجع الي بلاده ثم بعد ثمان سنوات علي الاكثر سافر الي مصر وأخذ عن كبار علمائها وقتذاك ثم سافر مرة أخرى الى

للحجاز وكان آخر من أخذ عنهم العلامة الجليل السيد أحمد بن إدريس الفاسي المعروف بالحجاز واليمن ومصر والسودان وقد أحبه السيد أحمد المذكور لما رآه فيه من الاستقامة والنبل وسعة الاطلاع وكرم الاخلاق وكان السيد أحمد يظهر ذلك لجميع من حوله من السابقين ثم أناط به العمل الجليل الذي ظهر أثره بعد وجعله وصيا علي أولاده من بعده واماما للطريقة (الجمعية) المثلى .

(ج) كان السيد محمد السنوسى مجتهداً وكان اجتهاده لا يقتصر على ناحية واحدة من دراسة العلوم والتفكير والبحث المتواصل فقد درس الكثير فيما درس من المذاهب الاربعة المشهورة كما درس الكثير عن المذاهب الاخرى وهو ينتسب لمذهب الامام مالك ابن انس ثم درس الكثير من الطرق الصوفيه المشهورة فلم تضيع دراسته سدى ، بما أن السيد محمد السنوسي كبير التفكير ناضج العقلية سليم الذوق واسع الاطلاع ثاقب الرأى وقد رآي نفسه أنه مسؤلا عن القيام بواجبات الاصلاح والعمل من أجل الجامعة الاسلامية عمل لذلك بكل ماأوتي من قوة ايمان ومضاء عزيمة لانه درس كما قلنا عن مذاهب اهل السنة ودرس غيرها من المذاهب المعروفة والتي لم تعرف الان وأخذ الصحيح من تلك المذاهب مع ماوصل اليه من الاستنباط الصحيح واتخذ من ذلك منها جاقويما ومجرد عن كل شيء لتطبيق ماانتواه بصفة عمليـة لا كؤليك الذين يجلسون فى المساجد والزوايا من مختلف الاصقاع الاسلامية لالقاء الدروس المسطره بين أيديهم فى أوراق ولشرح ماظهر لهم منها مكتفيين بذلك لسببين اثنين فاما أن تكون هذه أقصى معلوماتهم رأما طلبا للراحة والعيش على اكتاف غيرهم واجتنبوا التفكير والعمل الصالح العام وليت البعض منهم وقف عند هذا الحد بل تعداه أحيانا فصار اداة للقضاء على الجامعة الاسلامية وكان الداء انويل للفتك بالمسلمين فلاى سبب يا ترى كانت فكرتهم ؟ الضعفهم وعدم أقدامهم أو حفظا للمنافع الذاتيه وعدم التعرض للاخطار والتعب كانهم غير مسؤلين ؟

كتب الاستاذ سالم أفندي بن عامر (١) في مقالاته (السنوسيون فى برقة)

---

(١) هو نجل العلامة الكبير السيد محمد بن عامر الذى تولي منصب الافتاء بنغازى في عهد الاتراك ثم تولي القضاء الشرعي في العهد الايطالي وكان رحمه الله شجاعاً فى الحق عالما جليلا وشاعرا رقيقا وجريئا الى أبعد حد ولم يعرف عنه في يوم من الايام أنه

مايلي : (يظهر أن نفسه الكبيره ـ يعني السيد السنوسى ـ لم ترض عن هذه الطرق لانه لم يجد فيها مايقنعه فهو صاحب فكرة يريد بثها فى العالم الاسلامى لان فكرته تدعي الي توحيد الصفوف الى أن يقول .

وكانت آمال السيد محمد السنوسى تنحصر في اتحاد جميع الشعوب الاسلاميه وتعاونهم على المصلحة العامة التي تضمن حقوق المسلمين وتقف في وجه الطامعين فيه ، ويقدم لنا الكاتب في مقالاته ماتقله عن المؤرخ التركي شاهند زاده احمد جلمى حيث يقول (ان هذا السيد الجليل كان منذ الصغر مجبولا علي حب الانزواء والتفكير والانفراد حتى جلب نظر والده «١» وجلة مشايخ بلده وسبب لهم التعجب والاندهاش وذات مرة مر أبوه مع بعض المشايخ فوجده جالساً فوق كثيب من الرمال وكان غارق في بحر من التفكير فسأله عما يقلق باله فأجاب : أفكر فى العالم الاسلامى فالرغم من وجود سلاطينه وأمرائهم ورؤسائه وعلمائه فهم لا يزيدون على أن يكونوا كقطيع من الغنم الذى لاراعي له، بكل محل من محلات الاسلام تجد المسلمين وعلماء الدين ولكنك لاتجد فى العالم الاسلامى مرشداً حقيقياً تكون غايته سوق الجميع إلى هدف واحد ، إن ديننا الحنيف دين توحيد أسس على الاتحاد ولكن الخلاف والتفريق قد ساد اجميع النواحى لان العلماء والمشايخ ليست لهم غيرة دينية حتى ينشروا العلم والمعارف ، انظروا إلي أحوال السودان والصحراء تجدون أفواجا من الشعوب يعبدون الاوثان ويوجد في كل مسجد من مساجد المعمورة جماعة من العلماء غير عاملين لا هم لهم غير راحة أجسادهم حريصين على

تساهل في حق من حقوق الله والوطن رغم تعنت المستعمرين وكان الطليان يخشونه ويجلونه رغم كرههم له وقد توفى رحمه الله سنة ١٩٢٢ م وقد كتب ابنه سالم مقالاته تحت عنوان (السنوسيون في برقة) بمجلة (عمر المختار) وهذه المجلة حديثه العهد اذ صدر أول عدد منها في مدينة بنغازى سنة ١٩٤٣ وقد أصدرها قسم الثقافه التابع لجمعية عمر المختار الرياضية .

(١) من المحقق أن والده توفى والمترجم له في سني الرضاعة وربما يقصد حضرة المؤرخ التركي إلي أحد شيوخ الامام السنوسى أو أحد كبار أقاربه ولا غرابة في أن السيد السنوسى يخاطب أستاذه أو أحد كبار أسرته بقوله أيها الاب .

كذلك غير قائمين بواجباتهم لا ضمائر لهم تؤنبهم على اهمالهم إرشاد هؤلاء المساكين وقد اتصل بنا خبر أحوال العالم الاسلامى من القوافل التى ترد علي بلادنا أنها مغلوبون فى كل محل وأن المقاطعات والخطط المعمورة تذهب من أيد المسلمين فى كل وقت وبسرعة البرق فالاسلام فى حالة التدهور المخيف وهذا ما أفكر فيه أيه الاب ، فسأله والده عند ذاك : وماذا يجب على المسلمين عمله لتلافى ما ذكرت ؟ فكان جواب السيد — الصغير فى سنه الكبير في عقله وتفكيره — سأجتهد سأجتهد) هذا ما نقله الاستاذ سالم بن عامر ، أهناك نفس أعلي وأجل من هذه النفس الطاهرة الكبيرة فى جسم هذا السيد الشاب ؟ أهناك تفكير أسمي وأنبل من هذا التفكير ؟ أهناك طموح إسلامي أشرف من هذا الطموح ؟ أهناك روح أصفي وأزكي من هذه الروح ؟

— ج — تعين السيد محمد السنوسى بالجامع الكبير لفاس وهو جامع القرويين المعدود ثاني الأزهر فى العالم الاسلامى حسب مكانته العلمية لالقاء الدروس ولم يتم الثلاثين من عمره ولما لم يرق له ذلك سافر إلى الحجاز وذلك سنة ١٢٣٨ هـ ١٨٢٣ م كما ذكرنا فمر بـ (توات) ثم طاف انحاء الجزائر وبعد ذلك تابع سيره إلى طرابلس الغرب — مصر — الحجاز وعاد إلى بلاده ثم بعد ثمان سنوات سافر الى الحجاز أيضا وذلك سنة ١٢٤٦ هـ ١٨٣٢ م فمر بطرابلس وفى هذه المرة تشرف بمعرفته أحمد باشا ابن المنتصر أحدأعيان طرابلس وكان وقتذاك أبرز شخصية علمية وسياسية وسبق له أن تقلد مناصب قضائيه وادريه منها أنه تولي الحكم بمصراته وقاضيا بها وجلس للتدريس بمسجد مدينة (الخمس) إذ كان متصرف بها وأخيرا عين متصرف لقضاء فزان وهناك أدركته المنيه وهو والد عمر باشا المنتصر قائمقام سرت في العهد العثماني وجد أحمد بك ضياء الدين وسالم بك المنتصر ، تشرف أحمد باشا كما قلنا بالتعرف إلي السيد السنوسى وظهر له أن شخصية السيدالسنوسى غير عادية وأنها تمتاز عن الشخصيات العظيمة فى التاريخ الاسلامى وسيكون لها أثرها البالغ فى وقت من الاوقات، ظهر كل هذا وغيره إلي أحمد باشا فبالغ فى اكرام السيد واعتنى بخدمته واخذ يحاول عبثا فيلتمس من السيد ان يبقي بطرابلس لانها فى مسيس الحاجة لمثله وكان يتوسل في التماسه هذا بالسيد عبد الله التواتي أول رفاق السيد — سيأتى التعريف به — ولكن السيد السنوسى الذى تجرد لخدمة

الجامعة الاسلامية لا يروق له أن يكون عمله محصورا فى دائرة ضيقة وبصفة محدودة ولو أراد مثل ذلك لما تكلف متاعب السفر ومشاق التضحية ولما هجر بلاده وأهله وترك زوجه وولده الوحيد وقتذاك وكان يجد مثل ما دعى اليه واكثر في بلاده بكل سهولة .

واذا كانت النفوس كبارا تعبت في مرادها الاجسام

ففكرة السيد السنوسى ومساعيه تجلان عن كل وصف وتكبران عما يتصل بلذائذ الحياة الدنيا ومظاهرها المزخرفه وتسظمان عن الجلوس تحت عرصات المساجد لالقاء الدروس التى لاتعدا فى الغالب تلك الاعمال التى تنظرها الان من بعض العلماء وهم ورثة الانبياء فى وقتنا هذا وقد أشار اليهم سيادته كما سلف

كان السيد محمد السنوسى محل عناية وعطف وتقدير احمد باشا المنتصر كما كان محل اجلال جميع الشخصيات الكبيرة بطرابلس وعند ما توجه السيد موليا وجهه شطر المشرق كتب احمد باشا الي كبير اولاده بمصراته يأمره بان يقوم بواجب استقبال السيد وما من محل مر به الا وكان محل الاجلال والاكبار (وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء) ، استقبله آل المنتصر وكبار وجهاء مصراته بخيولهم خارج البلد واحتفوا به وقد اطلعت على قصيدة عصماء عند سالم بك المنتصر انشدها أحد شعراء ذلك العهد ترحيبا بالسيد العظيم ، استمر السيد في سيره الي الحجاز فظهرت هناك جلائل أعماله كفلق الصباح وشيد هناك بعض زواياه مبتدءا بزاوية جبل ابي قبيس التى كانت مصدر دعوته بادى ذى بدء ولما وضع الامور التى تخالجه محلها وزار الاماكن التي اراد زيارتها مثل اليمن ونجد وتهامه قرر السفر مرة اخرى الى بلاده فعين السيد عبد الله التواتى وكيلا عنه بالحجاز وقيل ان وكيله فى هذه المرة كان السيد محمد الخالدى .

— د — المفهوم ان الطريق الذي سلكه السيد محمد السنوسى هذه المرة كما وقفنا على ذلك فى بعض اوراق — مذكرات — رفاقه انها كانت من المدينة الى الينبع ومن هناك بعث ببعض الاخوان والاثاث وزوجته الثانية السيدة خديجه الحبشيه«١» بطريق

---

(١) تزوج السيد من ابنة عمه فى بلاده ورزق منها بولد توفى ووالده بالحجاز ثم لحقت به والدته حوالي ١٢٥٠ هـ تابع اول هامش ١٣٩

البحر الي (قابس) اما هو فسافر الي الحوراء فالمويلح فالمخيلي ومر بآبار ثمود فالعقبة فالعجرود وكان يرافق المحمل المصري وقد دخل مصر ليلا ونزل بمحل الشيخ محمد ابي زاده احد كبار التجار والاعيان فجاء لسيادته خلق كثير لزيارته بشوق وتلهف ثم تحول الى بولاق ونزل بمحل الشيخ عمر الزواوى وبقي به ثلاثة ايام ثم سافر الى الفيوم ونزل بمحل الشيخ زيدان أبي منديل ثم ارتحل مارا بالبهنسا فالواحات البحرية ونزل بمنديشة ومن هناك الى سيوة اذ نزل بموقع يقال له « طنافس » وبقى به ثلاثة اشهر وقد أصيب سيادته وجميع رفاقه بالحمى وبعد شفائه دخل الى بلدة سيوه وبقي بها ستة اشهر ثم انتقل الى جالو وكان من بين رفاقه من الاخوان السيد محمد ابن الشفيع ، السيد صادق الطائفى ، السيد المهدى الفيلالي فاستقبل بجالو استقبالا يليق بعظيم مقامه . ونزل ضيفا على عين اعيانها وقتذاك الشيخ يونس العجائبى فجاءه عدد كبير من شيوخ واحت جالو واعيانها مقدمين انفسهم لخدمته فارشدهم للخير ودعاهم للعمل بكتاب الله وسنة رسوله ونصح فيهم وطلبوا منه ان يؤسس لهم محلا باسمه في بلادهم فوعدهم بذلك ثم انتقل الى اوجله لزيارة ضريح عبد الله بن سعد بن سرح عليه السلام فاستقبل باوجلة استقبالا عظيما وانضم تحت لوائه جميع سكان البلدة وطلبوا منه نفس طلب أهل جالو فوعدهم ومن بين من انضم له فى هذه الطريق السيد عمر الفضيل المعروف بأبى حواء ثم سافر الى برقة فنزل على منتجع عائلة اللواطى (١) فاكرموه ونقلوه على جمالهم الى منتجع الشيخ على الاطيوش (٢) وهذا نقله على جماله الى موقع

ثم تزوج من السيدة خديجة الحبشيه بالحجاز وقدزوجه اياها السيد احمد بن ادريس وكانت السيده خديجه من الصالحات المؤمنات :

« ١ » اللواطى عائلة من عائلات العواقير ومنهم رياسة قبيلة ابراهيم التي هي ثالثة قبايل العواقير المشهورة ومن اشهر ابناء اللوطى وقتذاك حمد واخيه محمد وهما من معاصرى السيد محمد السنوسى وممن انخرطوا في خدمته وكذلك الشيخ ابى سيف اللواطى

« ٢ » هو زعيم قبايل المغاربه واول من شيد قصر سرت المعروف بـ (قصر الزعفران) بوعين قائمقام وهو اول بدوى منح رتبة البكوية من السلطنة العثمانية وكل ذلك بعد اتصاله بالسيد السنوسى وقد أسدى للسيد خدمات جليلة باخلاص وصدق وقد توفاه

الهيشه الواقع شرق مصراته وهناك استقبلته عائلة المنتصر فنقلوه الى مصراته ثم بعد ايام من اقامته سافر الي طرابلس مصحوبا ببعض اعيان مصراته فنزل بمحل منسوبه احمد باشا المنتصر بموقع المنشيه احدى ضواحى طرابلس وبعد سبعة ايام من وصوله سافر الى (قابس) للاتصال بزوجته والاخوان الذين ارسلهم بحرا من الينبع فمر بزواره ومكث بها مدة لا تقل عن شهرين ثم واصل سيره الي قابس ولم يطل الاقامة بها فقفل راجعا لامور حدثت :

يقول السيد احمد الشريف فى كتابه (السراج الوهاج) «٨» (رجع السيد من قابس الي طرابلس وكانت عودته محل قلق الاخوان لانها لم تكن مقررة ولم تكن في الحسبان وبعد وصوله الي طرابلس بشهرين وصل الاخوان اليها ومن بينهم السيد عبد الله النوائى (٢) والسيد محمد بن الشفيع واقام بطرابلس شهرين آخرين وهنا اجتمع بالسيد احمد بن فرج الله الدرقاوى الذى أخذ عن السيد السنوسي الطريقة المحمدية وأراد مصاحبته ولكن السيد السنوسي أمره ان يبقي رحمة بشيخوخته حتي ياذنه في الوقت المناسب للالتحاق به).

ارسل السيد السنوسى اخوانه واثاثه الى بنغازي بحرا وهو سافر عن طريق البر يعلو صهوة جواده ولم يكن معه من الاخوان الا السيد بن الحاج المغربى والسيد عبد القادر المكاوى:

وصل الاخوان الي مدينة بنغازي ومنها ذهبوا حسب الامر الى موقع سيدى رافع (رويفع بن ثابت الانصارى) لبناء الزاوية البيضاء. اما السيد السنوسي فكانت طريقه من طرابلس الى برقه كما ذكرنا وفي موقع سرت قابلته كوكبة من الخيالة قوامها ثلاثون فارسا يصحبهم اربعون رجلا والجميع من وجهاء وشيوخ

الله بالحجاز سنة ١٢٩٤ هـ فخلفه في زعامته ابنه الكيلانى الذى تعين قائقاما للكفره وبعد وفاته اخلفه ابنه صالح باشا وجميعهم من منسوبى السيد السنوسي

«١» ألفه السيد احمد الشريف بمناسبة تحول السيد المهدى من الجغبوب الي الكفره واسماه السراج الوهاج فى رحلة السيد المهدى من الجغبوب الي التاج ويعرف ايضا باسم (الرحلة) ولم يطبع وهو مرجع فى كثير من المعلومات الدقيقة عن السيد السنوسي وخليفته السيد المهدى .

واعيان قبايل البراعصه والعواقير والمغاربه واهل مدينه بنغازي ومن بين الاعيان الحاج محمد كاهيه وعلى الاطيوش ومحمد الاسمع والحاج سالم عصمان (عثمان) ورجعوا معه الى موقع العقيلة وهناك استقبله خمسة اشخاص من بنغازي مصحوبين باربع جمال تحمل امتعة ارسل بها لسيادته الوجيه البنغازي الحاج عبد الله بن شتوان وصام شهر رمضان من تلك السنة بمدينة بنغازى وهي سنة ١٢٥٧ هـ ١٨٤١ م ثم نقلته عائلة الكزة (العواقير) الي منتجعهم وكان رئيسهم وقتذاك الشيخ بو شنيف بن محمود الكزه واكرموه ثم نقلوه حسب طلبه الي موقع سيدي رافع حيث كان هناك اخوانه وقد انضم تحت لوائه وتشرف بالانتساب لخدمته قائمقام الجيل الاخضر الشيخ أبوبكر حدوث(١) والشيخ عمر جلغاف والشيخ عبدالله ابو سويحل وجميع قبايل الحرابي وبعد سنة من ذلك وصل السيد احمد بن فرج الله قادما بعائلته من طرابلس .

---

(١) ابو بكر حدوث زعيم قبايل الحرابي وقد نال مكانة في عهده لم ينلها سواه فأصبح مرجعاً لجميع قبائل السعادى ومنح البكوية من الحكومه العثمانية وصال في الجيل صولة لم تعرف لغيره وفي عهده وقعت الحرب المشهورة بين البراعصة والعبيدات فكانت السبب فى تغير مركزه المعنوى وقد انتهت الحرب بوفاق ووئام وتصاف لم يعرف مثله بين قوم تحاربوا أما عمر جلغاف فكان داهية البدو وهو الشخصية الثانية بعد أبي بكر حدوث وهو عضده وابن عمه والجميع يرجعون عقيلته عن جميع رجال السعادى وأما عبد الله أبو سويحل فهو من أحفاد حبيب بن عبد المولي الابح وهو أعظم شخصية وقتذاك فى العبيدات وزعيم قبيلة مريم وقد شرفه السنوسى بزيارة بيته ولذلك يتفاخر أحفاده إلى الآن بهذا الشرف .

زواج السيد السنوسى

فى شهر المحرم سنة ١٢٥٩ هـ ١٨٤٤ م عقد السيد السيد السنوسى على السيدة فاطمة كريمة ابن فرج الله وقد حضر عقد الزواج كل من السيد عمران بن بركه ، والسيد على عبد المولى . والسيد محمد بن الشفيع الذى تولى قراءة العقد الشرعى . والسيد عمر الاشهب . والسيد مصطفى المحجوب . والسيد محمد بن ابراهيم الغماري وكثير من الاخوان فانجب من هذه الكريمه ولديه السيد محمد المهدى ، والسيد محمد الشريف افكانا مفخرة من مفاخر التاريخ الاسلامي وتعد هذه السيدة هي ثالثة زوجاته فقد تزوج لاول مرة ببلاده ورزق بولد توفى ووالدته ثم تزوج بالسيدة خديجة الحبشية وهو في الحجاز وكانت هذه الثانية تصحبه في كثير من رحلاته واشتهرت بالصلاح والتقوى كما كانت محل تقدير زوجها لاستقامتها وهى التى قامت بتهيئة الطعام ليلة زواجه بالسيدة فاطمة واظهرت من السرور بهذا الزواج ما لم تظهره في مناسبة وقد صحبت السيد عند ما سافر المرة الاخيره للحجاز من برقه وهناك لحقتها المنيه رحمها الله .

رفاق السيد من الاخوانه

التحق بالسيد السنوسي فى البيضاء عدد كبير من الاخوان وقد وفدوا اليه من كثير من الاقطار الاسلامية فانضموا الى من سبقهم في هذه المصاحبة وتتميما للفائدة نذكر عن بعض الاخوان الذين تمكنا لمعرفة شيء عنهم وهم ممن انتظم عقد شملهم بالزاوية البيضاء فاخى سيادته بين اوليك الافراد الذين تركوا ديارهم وعشيرتهم حبا في مصاحبة هذا السيد الجليل وخدمته والكل يؤمن بأن خدمته هي فى صالح الاسلام وقد اسماهم بالاخوان:

السيد محمد بن عبد الله التواتي : من اوايل رفاق السيد وقد صاحبه فى كثير من الرحلات وشاركه فى السراء والضراء وهو من خيرة العلماء فحاز ثقة السيد السنوسي وكان الوكيل عن السيد فى جميع اعماله بالحجاز ويتصف بالصلاح والكرم وحب الخير

لكل انسان ومن المرشدين الدالين عليه وقد قتل رحمة الله غيلة وهو فى طريقه من المدينة الي مكه وهو يصحب السيد محمد الشريف السنوسى وذلك سنة ١٢٦٨ هـ فدفن بقارعة الطريق وشق موته على السيد السنوسى ورثاه الكثير من زملائه ومن بينهم السيد فالح حيث يقول من قصيدة خالدة .

على مثل من اوقاته حلية الدهر بصالح اعمال دموعك فلتجرى

ثم أمر السيد بنقله الى مقبرة شهداء الصحابة ببدر فدفن هناك .

ولم يعقب السيد عبد الله الا ابنا واحدا هو العلامة الاديب السيد محمد التواتي المعروف بالاخرش ولد بالحجاز ودرس بالجغبوب وتولى رياسة زاوية المرج بالنيابة مدة قصيرة وتوفى بالكفره سنة ١٣٤٢ هـ واعقب اربعة أولاد :

السيد محمد بن الشفيع . من رفاق السيد الاولين وتتلمذ على السيد احمد بن ادريس ثم انضم الي السيد السنوسى واخلص في انتسابه وصاحبه فى كثير من رحلاته واصله من سنار السودان ويقال ان أصله عباسى وله مكانة ممتازة عند جميع عارفيه وكان من خيرة العلماء العاملين ويعرف بالقوة فى جميع اعماله وبالشدة في الحق وعدم المبالاة وكان يهابه حكام الاتراك وزعماء العرب لشدة تحرشه معهم في الحق رغم جميع المجاملات وقد تولي اعمالا كثيرة منها ما هو بالحجاز وتولى رياسة زاوية فزان ثم عين فى عهد السيد المهدى لزاوية جالو ثم امر بتأسيس زاوية سرت بمعاونة عمر باشا المنتصر وله مواقف مشهورة مع الفريق الحاج رشيد باشا عند ما كان هذا الاخير حاكما لبرقة وكان يحترم ويجل السيد بن الشفيع الذى لم يعرف عنه فى يوم من الايام جامل رشيد ودائما يهدده ويحذره من عذاب الله عندما يخال له أنه انحرف عن الحق : سافر رشيد باشا الى الجغبوب وكان يصحبه السيد بن الشفيع وذات مرة اخذ رشيد باشا يتلو القرآن والسيد بن الشفيع مستمع حتى وصل القارىء لقوله تعالى : (ان جهنم كانت مرصادا للطاغين مابا) فقال السيد بن الشفيع أتعلم يارشيد أن جهنم خلقت لمن ؟ فقال رشيد الله أعلم ياسيدي فأجابه قائلا انها لك ولامثالك مالم تأخذوا بكتاب الله فضحك رشيد وقبل يد السيد بن شفيع وقيل ان رشيد باشا دعى ذات مرة السيد بن الشفيع ليسمعه الحان ونغمات الموسيقا ثم قال ماذا عرفت ياسيدى من هذه النغمات فأجابه السيد بن شفيع

مستشهداً عرفت منها قولها : (لا تتكبر لا تتجبر انك عبد لست بشى) توفي السيد بن الشفيع بزاوية سرت سنة ١٣٢٤ هـ ولا زال قبره كعبة الزوار ولم يبق من ذريته إلا أصغر أبناؤه وحفيده ببرقة ولكن له أحفاد وأقارب بسنار :

السيد على عبدالمولي: من رفاق السيد القدماء وقد اتصل به حوالي سنة ١٢٥٢ هـ فصحبه فى كثير من تنقلاته وكان من المخلصين فى خدمته ومن أبرز شخصيات الاخوان وعندما انضمت الجمعة السنوسية بالبيضاء كان أحد أعضاء مجلسها وتولي الوصاية على منزل السنوسى الخاص بعد وفاته بالجغبوب كما تولى رياسة زاوية الجغبوب ومجلس الاخوان به وهو محل احترام السيد المهدى حتي توفاه الله فأعقب ولديه هما العلامة الأديب السيد محمد على والسيد أحمد وتولي الاول رياسة زاوية أم شخنب وكان أخوه وكيلا . واشترك السيد محمد علي فى الحرب الليبية الايطالية ومنح رتبة الباشاوية وتوفى سنة ١٣٣٥ كما توفى قبله أخوه ولم يبق من عقبهما إلا ابن الأول .

السيد أحمد المفرحى : كان من كبار علماء طرابلس ويعرف بالمقرحي نسبة لقبيلته المقارحة وله مكانة سامية بطرابلس ونال حضوة من حاكمها اشقر باشا ولما اتصل بالسيد السنوسي انضم إلى اخوانه منقطعاً لله ورسوله وذلك سنة ١٢٥٧ هـ فأسماه السيد با (لمفرحى) وقد اشتهر بالصلاح والتقوي وكان أحد أعضاء مجلس الاخوان وتوفي بالزاوية البيضاء سنة ١٢٦٣ فدفن بجوار ضريح رويفع بن ثابت الانصارى ولا زال قبره محط الزوار .

السيد عمران بن بركه: عرف بالصلاح والتقوى والعلم والعمل وهو من قبيلة الفواتير ولد ببلدة (زليتن) سنة ١٢١١ هـ واتصل بالسيد سنه ١٢٥٧ فرغب الانتساب وإتمام تعليمه على السيد وقد اختلفت الروايات في مصاحبة السيد أو الالتحاق به فى البيضاء والاخيرة أرجح وقد تتلمذ علي السيد وجلس للتدريس وكان من عداد الاخوان البارزين ومن خيرة عمال الجمعية السنوسية وأحد أعضاء مجلس الاخوان وتولى كثيرا من الاعمال منها رياسة الزاوية البيضاء ووكيلا عن السيد بمنزله العائلى وحج بيت الله فى عهد السيد السنوسى ورأس البعثة التي تولت دراسة الصحراء والوقوف على موقع الجغبوب قبل تأسيسه وتولى التدريس للسيدين السيد المهدى والسيد الشريف وتولى إمامة صلاة الجناز على جثمان السيد السنوسى وكان محل تقدير السيد المهدى وأخيه وجلس للتدريس

فى المعهد الجغبوى ويفتخر كبار العلماء بالحضور عليه وفى سنة ١٢٩٤ سافر إلي مصر مصحوبا بالسيد أحمد الريفي لعلاج عينيه اللتين لم يفدهما الطب فعاش كفيف البصر وبالاختصار فانه من أبرز رجال الجمعية السنوسية ، توفى رحمه الله سنة ١٣١٠ فرثاه العلماء من تلاميذه منهم السيد أبو سيف مقرب ووالد مؤلف هذا الكتاب ولم يعقب نسلا من الذكور وقد تزوج السيد المهدى كبري بناته كما تزوج السيد الشريف بالثانية فأنجب منها المجاهد الاسلامي الكبير السيد أحمد الشريف .

السيد محمد بن صادق : التحق بالسيد محمد السنوسي فى الحجاز سنة ١٩٤٨ وكان من كبار العلماء ومن خيرة الشعراء فصاحب السيد في بعض رحلاته وقام بكثير من الاعمال وهو عضو بمجلس الاخوان وأخيرا عينه السيد السنوسى ناظرا على الزوايا السنوسية ببر الجريد (الجزائر) ولم مواقف مشهورة نحو الجمعية السنوسية ويوجد من عقبه أحفاده ببرقة :

السيد محمد ابراهيم الغمارى : التحق واخوته الاربعة بالسيد السنوسى وانتسب اليه وانقطع فى خدمته ولم تتمكن بالضبط من تاريخ انتسابه كما وانه لم يتصل بالسيد هو واخوته في دفعة واحدة فمنهم من كان اتصاله بموقع زاوية البيضاء ومنهم من كان بالحجاز وعين السيد محمد للزاوية البيضاء وهو رابع شيخ لها وتولى أخوه السيد ابراهيم رياسة زاوية دريانه وأبناء السيد محمد والسيد ابراهيم واحفادهم الان ببرقه كلهم بالحجاز أبناء عمومه وقد تزوج السيد المهدي من كريمة السيد محمد فولد منها السيد محمد رضا .

السيد عمر الاشهب : تعرف الى السيد محمد السنوسى أثناء مروره بزليتن سنة ١٢٥٧ وكان السيد عمر في عهد التعليم وكانت ولادته حوالى سنة ١٢٢٥ فانتسب الى السيد وانخرط في جملة اتباعه واختلفت الروايات فى مصاحبته اياه أوالالحوق به في الزاوية البيضاء سنة ١٢٥٨ ومما رويناه عن كبار عائلة الاشهب بزلتين أن والد السيد عمر أصر أن لايترك ابنه حتى يستوفي تعليمه وأصر الابن على الذهاب مع السيد السنوسي ولما كان يتحاشي اغضاب والده ولكنه يريد مصاحبة السيد فادرك السيد السنوسى مايدور بين الوالد وابنه فامر الابن بالبقاء حتى ينتهي من الدراسة .

وفي العام القابل يلتحق به على شرط أن يكون والده راضيا وكانت عائلة الاشهب

تعرف فى زليفتن بحب العلم والانتساب اليه كما يعرفون دائما بالثراء ولازالت أثار قصورهم بموقع الجمعه تدل علي ذلك وعندما سافر السيد السنوسي رآى والد السيد عمر مناما جعله استدعى ابنه قبل انقضاء المدة التي حددها السيد السنوسى وأمره بالذهاب فوراً وحضر له من يرافقه وهيأ له ركوبته وامتعته هذا ماورواه لنا كبار قومه وأقاربه ، وصل السيد عمر الي الزاوية البيضاء وانضم في عقد الاخوان وأخذ فى تتميم علومه علي مرشده الاكبر فعين عضو بمجلس الاخوان وجلس للتدريس بالزاوية البيضاء ثم عينه السيد السنوسي رئيساً لزاوية درنه سنة ١٣٦٠ كما أمره بالاشراف على زاوية (ماره) و (بشاره) وزوجه من كريمة السيد المرتضي فركاش ثم عين لزاوية ماره وكان هو الذى أسسها وهو بدرنه ويشرف عليها وبقى بها الى سنة ١٢٧٣ فعينه السيد السنوسي لزاوية مسوس فقام ببنائها بمعاونة السديدى العواقير وبالاخص عائلة الكزة وكثير ما كان يراقب بعض الزوايا الاخرى مثل اشرافه على زاوية الطلمون عندما يتغيب رئيسها السيد مصطفى الخجوب كما أن هذا الاخير يشرف على زاوية مسوس في حالة غياب السيد عمر وقد إطلعت علي كتاب ارسله السيد السنوسى الى السيد مصطفي يأمره بان لايذهب من زاويته اذا كان السيد عمر يفكر في الذهاب الى الجغبوب ليكون هو مشرفا بالوكالة وهكذا . كان بمدينة بنغازى أحد العلماء هو الشيخ بدر الدين المعروف ببنغازى والد الشيخ مصطفى المؤظف الان بالجمارك السعودية الحجازية وكان هذا الشيخ ينكر علي السيد السنوسى وهو ما لكي المذهب قراءة البسمله فى الصلاه والقبض وأخذ الانتقاد والانكار دوراً كبيراً فرد عليه السيد عمر برسالة أسماها (رسالة البسملة والقبض) يدحض بها حجة الشيخ بدر الدين وزميله الشيخ أبو رقيقة بنصوص فقهية مالكيه كانت هي القول الفصل وتوجد لدينا نسخه خطيه لهذه الرساله .

توفى السيد عمر الاشهب بزاوية مسوس سنة ١٢٩٤ هـ وأعقب ابنه الكبير السيد السنوسى الذى خلفه فى رياسته الزاويه وثاني ابنائه وهو السيد أحمد بن « ادريس » والد مؤلف هذا الكتاب وقد تولي رياسة زاويه ماره سنة ١٢٩٦ ثم نقل منها سنه ١٣٠٨ للمعهد الجغبوبي وعين بعد ذلك لزاوية جالو ولم يمكث طويلا اذ عين لزاوية التوفلية سنة ١٣٢١ هـ وفي سنة ١٩١٢ التحق بمجلس الاخوان بمعسكرات برقة لحرب الطليان وفى ١٩١٣ عين

للقضاء الشرعي بمنطقة بنغازى واتخذ مركزه « دور بنينه » ثم بعد مجئ السيد أحمد الشريف إنضم الي مجلسه الخاص وكان يتولى كتابة الرسايل السياسيه المهمه وفي سنة ١٩١٤عينه السيد أحمد الشريف مستشارا لنائبه ببرقة الغربية السيد صفى الدين السنوسى وفي سنة ١٩١٥ منح رتبة الباشاويه مع النيشان المجيدى الخامس وتوفي سنة ١٣٤٢ هـ الموافق سنة ١٩٢٣ م أما السيد السنوسي الاشهب الذي يعد فى طليعة الاخوان البارزين والذى يمتاز بمميزات لا يتسع المقام لشرحها فقد كان مقعد أثناء الغزو الايطالي ولكن لم يمنعه ذلك عن العمل فقد قام باوفى نصيب في الجهاد وناب عنه وكيله الشيخ عبدالله الاشهب وللسيد عمر ولدين آخرين من كريمة السيد سعيد الفحاصى هما السيد محمد على رئيس زاوية واو ووكيل السيد محمد عابد السنوسى نائب السيد أحمد الشريف بمنطقة فزان وله مواقف مشهورة فى كل الحرب هناك ونال الوسام المجيدى الخامس وقتل أثناء الحوادث السيئه المشينه التى حصلت بفزان سنة ١٣٤٦ ثم السيد محمد الاشهب وهذا الابن الرابع لازم السيد المهدى في الجغبوب والكفره والسودان ثم لازم العائله السنوسيه بالكفره حتي توفاه الله سنة ١٩٣٠ بالقطر المصرى عقب هجرة السادة السنوسيين اليه .

وقد تزوج السيد محمد الشريف السنوسى من كبرى كريمات السيد عمر الاشهب فولد منها السيد محمد عابد والسيد علي الخطابي وتزوج من الثانية السيد مصطفي المحجوب فولد منها صغير أولاده السيد حميده المحجوب وتزوج السيد محمد البسكرى من الثالثة فولد منها السيد محمد صالح وتزوج السيد محمد على عبد المولى من الرابعة .

السيد مصطفى المحجوب : اتصل بالسيد السنوسى فى مصراته وانتسب اليه والحق به في الزاوية البيضاء وانضم الى مجلس الاخوان وكان من كباهم وتولى رياسة الزاوية البيضاء مدة قصيرة وعرف بالصلاح والتقوى فتولي الكثير من الاعمال لصالح الجمعية السنوسية وكان أحد أعضاء البعثه التي راسها السيد عمران بن بركه كما سبق ذكرها وفى سنة ١٢٧٤ عين لزاوية الطيلمون وهو الذى أسسها وكان يشرف علي زاوية مسوس حال غياب رئيسها وكان محل عطف عناية السيد المهدى كحال اخوان والده وفى ذات مرة أمره السيد السنوسي بالذهاب الي طرابلس لتعزية أبناء أحمد باشا المنتصر فى وفاة والدهم عاش طويلا اذ لم يبق من اخوان السيد السنوسي غيره

وزوجه السيد السنوسى من كريمة السيد صهد فولد منها كبير أبناءه وهو السيد على وشقيقته التى تزوجها السيد محمد الشريف السنوسى فولد منها السيد صفى الدين ثم زوجه السيد المهدى من كريمة السيد عمر الاشهب فولد منها ابنه السيد حميده وشقيقتيه اللتين تزوج باحداهما السيد محمد عابد وبالثانيه السيد علي الخطابى ؟ توفي رحمة الله عليه بزاوية الطيلمون سنة ٣٢١٣ فاعقب السيد علي الذي رأس زاوية الطيلمون بعد أبيه والسيد حميده وعين الاول عضو بالمجلس الخاص فى عهد سمو الامير السيد ادريس حفظه الله بجدايه وكان السيد عبد الله المحجوب بن عم السيد مصطفى وكيلا لزاوية الطيلمون فى عهد السيد مصطفى كما كان ابنه السيد عمر وكيلا لها فى عهد السيد على .

السيد أحمد أبو سيف : من قبيلة أولاد أبى سيف المعروفة بالجيل الغربى من طرابلس التحق بالسيد السنوسى فى الزاويه البيضاء وتتلمذ عليه فكان من خيرة الاخوان ومن كبار أعضاء مجلسهم وتولى التدريس فى معهد الجغبوب ثم عين لزاوية ماره سنة ١٢٧٣ خلفا للسيد عمر الاشهب وقد انجب ولدين هما السيد عبد الله والسيد أحمد تخرجا من المعهد الجغبوبى وله كريمة تزوجها السيد المهدى فانجب منها صاحب السمو الامير السيد ادريس وتوفي السيد احمد أبو سيف بالحجاز سنة ١٢٩٤ فخلفه السيد أحمد بن ادريس الاشهب بعد مدة وفى سنة ١٣٠٨ نقل السيد أحمد بن ادريس الي معهد الجغبوب وعين السيد عبد الله بن أحمد أبو سيف لزاويه ماره أما السيد أحمد الثاني بن السيد أحمد أبوسيف الاول لم يبرح الجغبوب حتى تحول منه السيد المهدى فكان فى حاشيته الى الكفره فالسوادان ثم عاد مع السادة الي الكفره وفى سنة ١٣٣٨ جاء الى جدابية بعائلته ثم تحول الى الجغبوب فبقى بها الي سنة ١٩٣٠ اذا اعتقله الطليان بالعقلية وفى سنة ١٩٣٣ نقله الطليان الى طبرق وبقى بها تحت الرقابة حتى توفاه الله سنة ١٩٣٧ م ويوجد احفاد السيد أحمد أبو سيف الاول ببرقة :

السيد عبد الرحيم المغبوب . من قبيلة زموره المصراتيه قد التحق بالسيد السنوسي سنة ١٢٥٨ وتتلمذ عليه وكان من خيرة الاخوان ومن كبار العلماء العاملين ومن الشعراء المجيدين وكان فى معية السيد السنوسى منذ اتصاله به فحاز ثقة السيد وصار يندبه فى كثير من المهمات ورافقه الى الحجاز ثم أرسله لتفتيش الزوايا واعطاءها التعليمات

الازمه وذلك سنة ١٢٧١ ثم أرسله السيد السنوسي وهو بموقع (العزيات) الي الحجاز للوقوف على حالة السيد المهدى والسيد الشريف ثم ارسله مرة أخري للاتيان بالسيد المهدى ثم بعدها سافر للاتيان بالسيد الشريف وقد أسماه السيد السنوسى با (المحبوب) عين بعد وفاة السيد السنوسي رئيسا لزاوية بنغازى وكان أول شيخ لها ثم ندبه السيد المهدى لزيارة الاستانه فحظى بمقابله السلطان العثماني وكان خير سفيرا من السيد المهدي الدار السلطنه العثمانية فتفاهم مع أرباب الدوله العثمانية فى كل ما يختص بالزوايا السنوسية وسلمته الحكومة أمرا بالعفو عن الزوايا يقضي بالامتياز التام وخروجها عن دائرة الضرائب الحكوميه ثم سافر مرة أخرى الي الاستانه بامر السيد المهدى وفى هذه المره التقي مع العالم الجليل السيد أبو القاسم العيساوى الذى وصل الى الاستانه من طرابلس لاخذ الامر الخاص بالعفو عن الزوايا بطرابلس وتوفى السيد عبد الرحيم بزاوية بنغازى سنة ١٣٠٥ هـ ولم يعقب نسلا من الذكور .

السيد عمر الفضيل : الاوجلي المعروف باني حوآء وهو من أشهر من اشتهروا فى وقته وكان جبار فى أعماله وأقواله ككل الرجال البارزين الذين يقدمون بكل شجاعة على ما تسوله لهم اهواؤهم ولا رادع والحاله هذه الا العلم الذى يقوم النفوس كان السيد عمر يخشى باسه فى كل الحالات ويتقى شره حتى اذا ما اتصل با السيد محمد السنوسى أقلع عما كان فيه وانخرط في عقد رفاقه ووضع نفسه تحت تصرفه وخضع لما يؤمر به من اتباع أوامر الشرع الشريف واجتناب نواهيه فكان من خيرة الاخوان وأبرز المخلصين واحسن العاملين واشهر بالصلاح والاصلاح والدعوه الى الله فكان مهابا يخشى والحاله هذه كما كان يخشى وهو فى غير هذه الحالة وصاحب السيد الامام الى الحجاز وكان قبل سفره بالزاوية البيضاء وعين لرياسة زاوية أوجله كما رأس زاوية اوجله وانتفع بمجهوداته وقد أعقب ثلاثه أولادهم السيد عبد الله والسيد محمد الذى قتله الطليان أثناء احتلالهم للكفره سنة ١٩٣٠ ثم المجاهد الكريم السيد الفضيل وهذا أيضا قتل شهيد بمعركة طاحنه تعرف بواقعه كرسا سنة ١٩٣١ م .

السيد مصطفي الدردفى : اتصل بالسيد السنوسي فى مصراته والتحق به فى الزاوية البيضاء وكان من هيئة مجلس الاخوان ثم عينه السيد رئيسا لزاوية شحات وبها توفاه

الله وترك اولاده الثلاث وهم السادة محمد وأحمد وعلى وقداشترك الاولان فى الحرب وقاما بمجهودات طيبه فمنح السيد محمد رتبة الباشاويه وقدتوفي بالحجاز سنة ١٩٢٥ ويوجد أولادهم بشحات :

السيد أحمد العطائفى : التحق بالسيد السنوسى فى الطائف حوالي سنة ١٢٤٩ هـ وتتلمذ عليه فكان من خيرة الاخوان العلماء وكان شاعر مجيداً .

السيد فالح الظاهري : كان علامته جليل القدر وفيلسوفاً إسلامياً عظيما التحق بالسيد السنوسي وهو في سن الطفولة حوالي سنة ١٢٤٣ وتعلم عليه ونبغ نبوغاً وتخرج ملفتا للانظار وتولى التدريس فى المعهد الجغبوى وكان شاعر مجيدا ومن الأدباء المجددين عنه العدد الكثير من كبار العلماء وهو محل احترام السيد المهدى بعد وفاة السيد السنوسى ومحل تقدير وإجلال جميع رجال السنوسية وله اطلاع واسع فى التطور والنظرات الاجتماعية وحرية فكر لا يوجد لها في ذلك العصر مكان وفى أوائل القرن الحالي سافر من الجغبوب إلى الحجاز فشق سفره على جميع الاخوان حتى قيل أن السيد أبو سيف وكان من بين المشيعين لما عاد من وداع السيد فالح انهمرت عيناه بالدموع ثم قال : (ان سفر السيد فالح من هذه الديار علامة من علامات قيام الساعة) ثم سافر من الحجاز إلى الآستانة العلية ونال حظوة كبيرة عند السلطان عبد الحميد ورجال حكومته ثم عاد إلى الحجاز إلى أن توفاه الله سنة ١٣٢٨ هـ . وله عدة تآليف لم تطبع كلها منها كتابه (أنجح المساعي ، وحسن الوفا لأخوان الصفا ، وصحائف العامل بالشرع الكامل .

السيد على عبد الحق : أصله من (قوص) صعيد مصر تتلمذ على السيد محمد السنوسى بالزاوية البيضاء وكان من أشهر أدباء الجمعيه السنوسية وله مؤلفات أدبية كثيرة لم يطبع منها مع الاسف شيء وقد اطلعني السيد ادريس الادريسى ونحن بالخرطوم سنة ١٩٤٣ على رسالتين للسيد على احداهما فى الشاى والثانية في القهوة واطلعنى السيد مصطفى عبد المتعال الادريسي سنة ١٩٢٩ على رسالة له فى الفرائض أما أشعاره فكانت كثيره يصح أن تكون ديوانا ضخما لو جمعت ، وتوفى بمصر ولم نقف بالضبط على تاريخ وفاته .

السيد على الليثي : هو شاعر الحضرة الخدوية المعروف وقد التحق بالسيد السنوسى

حوالى سنة ١٢٥٨ ودرس عنه بالزاوية البيضاؤ فكان من خيرة العلماء و كبار الادباء وكان أول اتصاله بالسيد السنوسى فى الحجاز سنة ١٢٥٢ وبعد إتمام تعليمه سافر إلى مصر وأخذ يعمل جهده كداعية للجمعية السنوسية وما بارح يواصل السيد المهدى برسائل أدبية قيمة كانت بمحض إخلاص وقد نشر منها شيء با (لآثار الفكرية) وهو واسطة اتصال سعادة عبد الله باشا فكرى بسيادة السيد المهدى كتابة فأصبح هو الثاني من كبار الدعاة للجمعية السنوسية بعد أن عرف عنها الكثير .

السيد حسين الغرياني : الغرياني الموطن الكميشي الاصل التحق بالسيد السنوسي حوالى سنة ١٢٥٨ وتتلمذ عليه وانضم إلى مجلس الاخوان وعرف عنه الصدق والاخلاص وإن كانت هاتان الصفتين هما حلية جميع اخوانه ورفاقه فى الجمعية كما عرف عنه الحزم فى جميع أعماله وتولى رياسة الزاوية البيضاء ثم عينه السيد السنوسى رئيساً لزاوية (جنزور) وعرف عنه الصلاح والتقوى والتفاني فى عمله المجيد وتوفي بزاويته أوائل القرن الحالى ولا زال قبره كعبة الزوار من أهل تلك البقاع وله أبناء وأحفاد كما لأخيه السيد أحمد كذلك وإن كان قد قعد بهم الزمان فلم يتعلموا كما كان أوائلهم وبمثل هذه الحالة كان أحفاد الاعلام المذكورين .

السيد أحمد التواتي : كان من أوائل رفاق السيد محمد السنوسى فصحبه في كثير من رحلاته وحج معه بيت الله ونبغ في كثير من العلوم النقلية والعقلية وهو من خيرة الاخوان وكبارهم وجلس للتدريس بالمعهد فتخرج عنه كثير من العلماء الاعلام ولم يل عملا غير التدريس وعضوية مجلس الاخوان وتوفي بزاوية الطيلمون عن ابن واحد هو العلامة السيد أحمد التواتي الذي تولى هو الاخير التدريس بمعهد الجغبوب كما كان أحد الكتبة للسيد المهدى وممن اشتركوا فى كتابة الاسفار المخطوطة بالمكتبة الجغبوبية ، توفى رحمه الله بالشلل الذى لازمه أكثر من عشرين سنة وله أولادا بالكفره أما ابنه الكبير هو السيد أحمد التواتي المجاهد المعروف الذى قتله رمضان السويحلي بمصراته :

السيد محمد المبخوت : من (توات) عمالة الجزائر التحق بالسيد السنوسي في الزاوية البيضاء وكان شاباً لم يتجاوز العشرين من سنه وأتم تعليمه فكان من خيرة العلماء وفى طليعة الاوفياء لمخلصين اشتهر بالشجاعة والاقدام والصراحة فى الحق ، عينه السيد المهدى

رئيساً لزاوية (القصور) فكان هو المؤسس لها وكان حريصا على مبدئه كثير العمل لصالح الجمعية كبير الايمان بكل كلمة أو نصيحة أو نبوءة صدرت عن السيد السنوسي ومن ذلك أنه لم يتخل عن سلاحه لا في نومه ولا في يقظته وعندما سأله أحد الناس عن ذلك أجاب : أما سمعتم قول سيدنا أن (التابلتان) سيأتون إلي بلادنا ، كونوا جميعا على استعداد فكل ما قاله سيدنا لا بد من حصوله ولذلك فاني أترقب في كل ساعة مجيء هذا العدو ولهذا تروني مستعدا لقتاله ، ومما حكي عنه رحمه الله أنه كان في طريقه الى الكفره وكان يعلو صهوة جواده وعنده قسم كبير من البارود وضعه داخل صندوق يحمله جمل من جمال القافلة وكانت السرية تسير وراء القافلة . بعدة أمتار فقال احد الاخوان (يا سيدى المبخوت ، كيف يكون العمل لو فاجأنا العدو في هذه الصحراء وما كاد السيد المبخوت يسمع هذه الكلمة حتى ركض عدوا الي القافلة وأنزل الصندوق وأخذ منه قسما من البارود بقدر ما يحمله جواده فضحك الحاضرون ، لا شك أن الكثير ممن يسمع هذه الحكاية يضحك ويرمى السيد المذكور بما يصوره له فكره ولكن الرجل له عقيدته ونظريته واخلاصه فلم يقبل الجدل فيما قاله السيد الاكبر ولهذا يرى الاستعداد قد وجب ، توفاه الله بزاوية القصور ولم يعقب إلا بناتاً يحفظن كتاب الله على ظهر قلب والكثير من المتون الفقهية والنحوية فتوفين الا واحدة زوجها السيد المهدى من والد مولف هذا الكتاب .

السيد إسماعيل الفزانى : من واحة فزان عمالة طرابلس وقد التحق بالسيد السنوسي في الزاوية البيضاء فكان من كبار الاخوان وتعين لزاوية الفايدية فبقى بها الي أن توفاه الله وتولى بعده ابنه السيد صالح مستعينا بشقيقه السيد عبدالله وتوفي الاول شهيدا أثر إصابات فى معركة مع الطليان سنة ١٣٤٣ هـ أما أبناؤه وأبناء شقيقه فهم الآن بزاويه الفايدية .

السيد المهدى الفيلالى : كان من أوايل رفاق السيد السنوسي ومن أقدم تلاميذه وهو من أهل المغرب وكان فى حاشية السيد السنوسي الخاصة حتي توفاه الله بالحجاز .

السيد محمد بن أحمد الفيلالى : يعرف في الجبل الاخضر باسم (بن حمد) وهو

من رفاق السيد السنوسى الاوايل ومن كبار العلماء وكان عضوا بمجلس الاخوان ورئيسا للزاوية البيضاء وقد أسند له حق الاشراف على جميع الزوايا السنوسية ببرقة وذلك سنة ١٣٦٣ هـ والمعروف عنه أنه لما سافر السيد السنوسي إلى الحجاز للمرة الاخيرة انفرد (بن حمد) في عمله واساء التصرف واستبد عن رأي مجلس الاخوان كما أخذ يهددهم ويهينهم بمختلف الاهانات وهم يتحملون ذلك ويرون طاعته مع الصبر على المكاره شيئا ضروريا لانه الوكيل عن السيد السنوسى الذى لا يمكن مخالفة أوامره فى حال من الاحوال ولما ظهرت تصرفاته للسيد السنوسي أمر بفصله ثم سافر إلى الحجاز وهناك تشرف بمقابلة السيد الذى قال له (أتعبتنا يا خينا بن أحمد فما من كلمة سوء وجهتها لاحد أخواتنا إلا وقد وجهت لنا بالذات وما من ضربة سوط أصابت جسم أحدهم إلا وقد أصابتنا مباشرة) توفى بالحجاز ولم يعرف هل له هناك ذرية أم لا .

السيد أبو سيف مقرب : هو من أشهر بيوتات السعادي ينحدر من عائلة طامية البراعصة وفى بيته رياسة قبايل البراعصة وهو من خيرة رجال الجمعية السنوسية ، درس على السيد السنوسى مبتدءا فى البيضاء وأتم تعليمه فى الجغبوب فكان من كبار الاخوان وفي طليعة العلماء ومن أبرز الشعراء وانضم الى مجلس الاخوان فى عهد السيد المهدى ، لقد تنبأ السيد السنوسى له بأن يكون فى مكانته العلمية التى ظهرت جلية وذلك أن السيد أبو سيف كان ينقل حجراً أثناء عمل قام به فى خدمة الزاويه البيضاء فزلقت رجله وتصادم رأسه بالحجر فشج حتي قيل أن دماغه ظهر للعيان فجيء به الي السيد وهناك أخذ فى تضميده بقطعة من عمامته الكريمة قائلا (سيملأ هذه الرأس بالعلم والحكمة) تحققت هذه النبوءة ونبغ المصاب الذى كان أقرب الى الموت منه الي الحياة فجلس الى التدريس بمعهد الجغبوب وانتفع بعلمه الكثير وكان يلقب بين زملائه (بشاعر الحضرة السنوسية) توفى رحمه الله بزاوية الجوف (الكفرة) وصلى علي جثمانه السيد المهدى الذى زاره قبل وفاته فكان لتلك الالتفاتة السنية أثر بالغ فى نفس المريض وجميع الاخوان وذلك سنة ١٣١٥ هـ ولم يعقب السيد أبو سيف نسلا من الذكور .

خدمة للحقيقة والتاريخ وتتميما للفائدة نذكرهنا شيئا عما ورد عن الخرافة الهزلية التي لاكتها بعض الالسن و نقلهارواة الخرافات وهي لا تعدو نسيج الخيال أوسراب بقيعة

(وما آفة الاخبار الا رواتها) ويسوءنا أن سعاده أحمد باشا حسنين رئيس الديوان الملكي العامر لجلالة الملك فاروق المعظم وصديق سمو الامير السيد ادريس السنوسي قد نشر هذه الخرافة الهزلية بكتابه (صحراء ليبيا) نقلا عن بعض المعتوهين والخدم السذج بدون أن يرجع الى صديقه سمو الامير ليحقق عنه ما رواه ، وإلى القارىء الكريم حقيقة الواقع .

عندما نشبت الثورة العرابية بمصر أخذ زعيمها أحمد باشا عرابي يواصل زعماء الشرق العربي والاسلامي ويستميل عطفهم على حركته فكتب الى السيد المهدى السنوسي يطلب تأييده ويرجوه أن يتقدم بقواة من ليبيا باسم الجهاد لانقاذ مصر من النفوذ الاجنبي ويعد السيد المهدى بمواعيد كثمن للتأييد المنتظر وارفق كتاب السيد المهدى بكتب أخرى الى الاخوان السنوسيين يشرح لهم حقيقة موقفه وجهاده ومن بين من كتب لهم السادة : السيد أحمد الريفي ، فالح الظاهرى ، محمد البسكرى ، أبي سيف مقرب ، محمد المدني ، أحمد بن ادريس الاشهب ، أحمد العيساوى ، وغيرهم وكان رسول عرابي باشا هو الحاج فيتة المكيسرى أحد تجار وأعيان المجابرة وكان هذا الاخير في مصر لاعمال تجارية فاستدعاه عرابي باشا وسلم له تلك الكتب وعند وصولها لمن كتبت لهم رفع كل منهم كتابه الخاص به إلى السيد المهدى ورفضوا الرد على عرابي باشا ما لم يؤمروا من السيد المهدى إذ لا حق لهم في المخابرات السياسية والاتصال فى مثل هذه الاحوال بالعالم الخارجي دون أن يأمرهم سيدهم المطاع وهانحن ندكر نبذة من كتاب أرسله السيد أحمد ابن ادريس مصحوبا بكتاب عرابي باشا : (إلى من متع الله الوجود بوجوده ، وأنام الانام تحت سحائب فضله وجوده ، سيدنا ومولانا السيد محمد المهدي أمد الله لنا فى أيامه ، وأسعدنا بلثم اقدامه ، المعروض الي الحضرة الشريفة والطلعة المنيفة أن الحاج فيته قد سلم الي صباح اليوم كتاباً من أحمد عرابي ، كما وصل مثل هذا الكتاب الى طائفة منه أرابي ، وقد رفعته الى الحضرة العلية ، وانتظر ما تأمر به الذات السنية .

ثم أرفق كتابه بقصيدة منها :

اليك امام المصلحين رسالة	اتتنى صباحا والخليون نوم
فظاهر ما فيه المحبة والولا	إلى الحضرة العلياء والله أعلم

إلى ان يقول :

مقامك مرفوع وأمرك جازم ورأيك منصوب وفعلك أقوم

أما السيد أبو سيف فقد رد بكتاب ومما جاء فيه (أن طريقتنا السنوسية المحمدية التي يرأسها استاذنا السيد المهدى هى طريقة دينية علمية لادخل لها فى الاحوال الخارجية ولا يصح لنا أن نعمل بما قلتم عليه ولم يأمر به خليفة المسلمين سلطاننا أيده الله وهو المسؤل عن اعلان الجهاد وغيره ونرجو الله أن يوفقكم في القول والعمل ويجنبكم مواقف الخطأ ومواطن الزلل انه على ذلك قدير وبالاجابة جدير) الخ .

ان السيد أبو سيف فى هذه المرة خانه اجتهاده الذي يحدوه الاخلاص فقد فاته أن يستشير السيد المهدى أو يعرض عليه ما كتبه قبل أن يرسله . اتصل السيد محمد بن حسن السكرى القائم بأعمال التشريفاتى للسيد المهدى بالسيد أبى سيف ليستفسر منه عن صيغة كتابه وعندئذ تنبه السيد أبو سيف لهذه الهفوة التى لم تكن مقصودة ومر اسبوعان لم يتشرف السيد أبو سيف فى أثنائها بزيارة السيد المهدى لمرض خفيف طرأ على سيادته فاضرب السيد أبو سيف وتألم ظنا أن فى ذلك شيء من الصدود نتيجة هفوته التي كانت عن غير قصد وطبعا أن المتألم يشكو مما آلمه فأخذ يقول لمن حوله عما يخالج فكره من الهواجس والاوهام التي لم تكن إلا في نفسه فقط فأخذ ضعفاء العقول والذين فى قلوبهم مرض يحرفون الكلم عن مواضعه وهم لا يعلمون من الامر شيئا وينسبون إلى السيد أبي سيف ما هو برىء منه ولكل منهم تأويل خاص فتسربت الخرافات إلى بعض من اتخذها قضية مسلمة بدون أن يقف علي حقيقتها، ان السيد المهدى صاحب الامر والنهي لم تبدر منه أى بادرة ولم يفه بكلمة واحدة لاى شخص من الاخوان أو غيرهم تدل علي شيء من سوء الظن يخفيه فى نفسه نحو السيد أبي سيف كما أن هذا الاخير لم يتغير موقفه عما شب عليه وشاب إلى أن توفاه الله وهو محل تقدير واحترام الاخوان الذين لا يحيدون عن حب سيدهم قيد شعرة فللسيد أبي سيف مكانته فى الجمعية السنوسية كما أن له المكان المرموق في مجلس الاخوان بالجغبوب ، ان الخرافة التى نسجها الخيال من أن للسيد أبى سيف بتصرفه المذكور سوء نية أو أن السيد المهدى انبه كل ذلك لم يكن وأنه محل ازدراء الاخوان الذين عرفوا ويعرفوا الحقيقة كما هى وكلما سئل أحدهم

يكذب ذلك تكذيبا صريحا باتا ولقد صدر كتاب احمد باشا حسنين يحمل هذه الخرافة بعد موت كبار الاخوان الذين لم يبق منهم إلا السيد احمد العيساوي والسيد علي المحجوب فكانا يتألمان من تلك الرواية الخيالية وأتا لنعجب ونتساءل كيف فات احمد باشا حسنين أن يتصل بسمو الامير السيد ادريس السنوسي ابن السيد المهدى وعميد الاسرة السنوسية ليسأله عن مثل هذه الرواية وكيف صح له أن يكتبها ولم يسأل السيد محمد عابد السنوسى الذى جعله احمد حسنين أحد أبطال الرواية المزيفة مع أن حسنين باشا قضى مدة في ضيافة السيد محمد عابد بالكفره وتعارفا طويلا فلم يقل اعجاب السيد محمد عابد من نشر هذه الرواية عن اعجاب غيره وهو الذى يجمع بمحفوظاته الخاصة صورة كتاب عرابى باشا وصورة كتاب السيد احمد بن أدريس وغيرهما .

هذه هى حقيقة الواقع، وفي سنة ١٣١٢ عندما تحول السيد المهدى من الجغبوب الي الكفره كما سنفصل عنه فى محله كان السيد أبو سيف بين كبار المشيعين فنظر اليه السيد المهدى نظرة خاصة وحناعليه حنواً كريما الامر الذى لفت النظر إلى مكانة السيد أبى سيف التى لم تكن خافية فتأثر بذلك الحنو واشار اليه فى قصيدته التى سنذكرها في محلها بقوله :

يسائلنى مولاى تسئال رحمة يجل بها شأني ويبتئس الشاني

السيد أبو القاسم العيساوى : هو من جبل الزنتان بطرابلس الغرب يتصل نسبه بسيدى راشد الولى المدفون بوادي بن وليد واشتهرت عائلة المترجم له باسم العيساوى نسبة إلى (عيسى) بن راشد ، اختلفت الاقاويل في تاريخ التحاقه بالسيد السنوسي فمن قائل انه التحق به في زاوية العزيات واخر يقول اتصل به فى الحجاز زمن مكوث السيد السنوسى الاخير وهذا ارجح الاقوال لان المفهوم أن السيد أبو القاسم لم يتلق العلم الا عن السيد السنوسى فاذا نظرنا إلى المدة التى مكثها السيد السنوسي بالعزيات وجدناها لا تكفى لان يتحصل الراغب فيها على قسم وافر من العلوم وهي من ١٢٧١ إلي ١٢٧٣ وان كان الاجتهاد المصحوب بالرغبة له مفعوله ، سافر السيد أبو القاسم من العزيات إلى الجبل الغربى بطرابلس لبناء زاوية (الحرابا) واسندت رياستها له ويعد من الشخصيات البارزة فى الجمعية السنوسة ومن كبار رجالها الذين خدموها بكل إخلاص

وصار يزور الجغبوب الفينة بعد الاخرى لرفع ما يلزم وأخذ التعاليم ككل زملائه وقد ندبه السيد المهدى الى الاستانة العليه اوائل سنة ١٢٧٧هـ لاستصدار مرسوم سلطانى يخص باعفاء الزوايا السنوسية من العوائد الحكوميه فصدر المرسوم بذلك في شهر ربيع ثاني سنة ١٢٧٧ هـ ثم توجه للاستانة أواخر القرن الثالث عشر للانضمام الى السيد عبد الرحيم المحبوب مندوب السيد المهدى الى السلطان عبد الحميد لاستصدار امر خاص بالزويا لان المرسوم الاول اعتبرته الدوائر الحكومية خاصا بالزوايا التي شيدها السيد السنوسى فصدر المرسوم الثانى الذى عمل لاصداره السيد عبد الرحيم :

انجب السيد أبو القاسم سبعة أولاد هم السادة : محمد (والد العالم الازهرى الشيخ الاخضر) احمد، (وهذا منح رتبة الباشاوية سنة ١٣٣٥هـ) عبدالوهاب، عبد العزيز، الخضر، وجميعهم تخرجوا من المعهد الجغبوبى فمنهم العلماء والشعراء وابطال الجهاد ثم عبدالقادر ومحمود : توفى السيد أبو القاسم وهو أداة عاملة في خدمة الجمعية السنوسية وكان في صف العلماء الاعلام .

السيد احمد السكورى : مراكشى الاصل ويقال انه شريف النسب وهو من سكان برقة من اول القرن الثالث عشر انضم الى السيد السنوسى فى الزاوية البيضاء سنة ١٢٥٨ وقد بلغ من الكبر عتيا وكان ابنه السيد محمد فى عهد الشباب فسلمه والده للسيد السنوسى قائلا انه لك وقد اوقفته على خدمتك وتحت تصرفك ، كان السيد احمد بن عبد الله السكورى يمتاز بين قبايل الجبل الاخضر بالوجاهة ورجاحة العقل وسلامة التفكير ولذلك كان مسموع الكلمة يحترمه جميع عارفوه وله شهرته بالصلاح والتقوى واستطاع ان يجمع ثروة طيبة من تنمية الحيوانات وزراعة الارض وكان بمثابة القاضي بين قبايل البدو بالجبل سيما بين براغيث المرج ولم يكن من العلماء ولكنه يحفظ القران ويعرف شيئا من العلوم الدينية ولم يطل به الوقت بعد انتسابه للسيد السنوسى حتى وافته المنيه فكان ابنه محجورا للسيد السنوسى ونال قسطا وافرا من العلوم وورث عن ابيه الى جانب ثروته محبة البدو الذين عرفوا والده واحبوه وتولى خدمات قيمة للجمعية السنوسية منها ما كان بالحجاز وتولى هناك رياسة احدى الزوايا ثم عين لزاوية الواحات البحرية بمصر واخيرا عين لزاوية المرج حيث كان نفوذ والده ، وبها توفاه الله فخلفه ابنه المجاهد الكبير السيد عمران السكورى الذى وقف مواقف محمودة فى وجه الغزو الايطالى مع قبائل

العرفا الملتفين به باعتباره رئيس زاويتهم وفى سنة ١٩٣٠ تفاه غرسياني مع كثير من الاخوان وزعماء العرب الى ايطاليا فبقي بها حوالي اربع سنوات وفي سنة ١٩٣٧ توفى بالمرج وهو يعاني هول الضغط الايطالي واعقب سبعة اولاد قتل الطليان احدهم رميا بالرصاص سنة ١٩٤٢ ظلما وعدوانا أما كبير أولاده فقد مات شهيدا وهو يقاتل الطليان بمعسكر السيد عمر المختار سنة ١٩٣٠ :

السيد المرتضي فركاش : ينتسب الى السيد نوح المسمارى الشريف الحسنى . كان من كبار الشخصيات المحترمة بالجيل الاخضر الممتازة بين قبائل العرب بالدهاء وكثرة التجارب والمرونة وكرم الاخلاق وحسن التصرف وله شهرته الاصلاحية وقد ساعدته ثروته الطيبة وقتذاك على الاحتفاظ بمركزه الاجتماعى والادبي وكان يعيش عيشة الحضر والبادية فيأوى مدينة درنه في وقت الصيف ويختلف الى سكني البادية في موسم الشتاء والربيع وعندما وصل السيد السنوسي الي الزاوية البيضاء التحق به وأخذ في خدمته بكل اخلاص فنال حظوة عند سيادته وكان يلازمه فى تنقلاته داخل برقة وحج معه البيت الحرام ولم ينل نصيبا وافرا من العلوم كبقية رفاقه الا أنه حفظ القران وتفقه فى الدين بقدر الامكان، انجب اولادا كانوا جميعا فى خدمة الجمعية السنوسية وهم السادة : عبد الحق ، وسعد (رأس زاوية مرتوبة) وبدر (رأس زاوية بشاره) والمرتضى الثاني (زاوية أم الرزم) وكان السيد المرتضى الثانى وابناء اخوته سيما السيد عبد القادر ابن بدر ممن اشتهروا فى الجهاد ضد الطليان فانعم السيد احمد الشريف على الاول برتبة الباشوية وفى عهد سمو الامير السيد ادريس السنوسى انعم سموه على السيد عبد القادر برتبة الباشويه اما السيد عبد الله بن بدر فقد رقى الي رتبة البكباشى فى الجيش السنوسي ومنحه السيد احمد الشريف رتبة قائمقام فخري مع رتبة البكوية وكان السيد الشريف المرتضى الثانى واخيه عبد السلام قد وصلا الى رتبة يوزباشى فى الجيش السنوسى وتمتاز عائلة فركاش بين قبيلة المسامير بميزات خاصة لما قامت به من الخدمات الجليلة للجمعية السنوسية وترتبط هذه العائلة صلات المصاهرة مع كثير من الاخوان منهم الاشهب ، المحجوب ، عبد المولى ، الغرياني :

أنا لم نتمكن من ترجمه جميع الاخوان الذين رافقو السيد السنوسى وانضموا

اليه لاننا لم نتمكن من الاطلاع الكافي على حالة من لم نذكرهم الان وهناك قسم كبير انضم الي الجمعية السنوسية بعد وفاة السيد السنوسى فمنهم من رأس الزوايا ومنهم من قام بخدمات خاصة ومنهم من تولى التدريس وهكذا ، هؤلاء لم نتمكن الان من التفصيل عنهم ومنهم آل خطاب الذين رأسوا كثيرا من زوايا الجبل ، وعائلة الحلافى ، وعائله أبو فارس ، وعائلة الجبالي وغيرهم اضف الى هذه المجوعة الطيبة اعيان وزعماء برقة من الحضر والبادية ومن بينهم الامين بك شيتوى متصرف بنغازى ومحمد بك كاهيه وجميع افراد اسرته ، وفضيله الشيخ علي القزيرى والحاج عبد الله بن شنوان ، والشيخ محمد الاسمع والحاج سالم عثمان وكبار عائلة منينة وبن زبلح ، وهؤلاء المذكورين تلميحا هم من وجهاء وعيون بنغازى اما من درنه فقد انضم اليه جميع اعيانها وراساؤها منهم وقتذاك عائلة جبريل وعائلة ساسي وستيته ومن شيوخ وعيون البدو وانضم الى سيادته كل من علي بك الاطيوش والحاج محمد قادربوه والشيخ حمد اللواطي وابو بكر بك حدوث وعمر جلغاف وعبد الله سويحل عمده عائلة مريم واضرابهم من الشيوخ والعمد والاعيان وعامة الاهالي الامر الذى يجعل الانسان في حيرة واندهاش ويتساءل كيف استطاع هذا الرجل ان يحتل هذه العقول الجبارة ويملكها وكيف يسود الامة الليبية التي لم تعود الانقياد لغيره وكيف يفتح هذه البلاد بدون جيش ولا سلاح ولا عدة الجواب ، وهو جواب كل انسان لقد فتح القلوب بالعدل وطهرها من أدران الرذيلة وفتح العقول بالعلم وملك الافئدة بالحلم وساد الامة بالدعوة الى الحق (ولينصرن الله من ينصره) لم تر برقة مثله ولم تعرف غيره بما عرفته به الا ما تعرفه وتعلمه عن جده العظيم محمد صلى الله عليه وسلم .

التحقت هذه المجوعة المذكورة من الاخوان بالسيد السنوسي من شتي بقاع المعمورة فاخى بينهم وهم لم يتعارفوا قبله اذ لا صلة تربطهم غير الاسلام ولا نسبا يجمعهم غير العروبة فاصبحوا باخوتهم فيه كجسد واحد غير قابل للتجزأة ، اختلفوا اليه من تونس والجزائر مراكش والريف وسوس الاقصى وطرابلس الغرب وباديتها وبرقة باديتها ومصر وصعيدها والسودان والحجاز واليمن ونجد فاصبحوا لا هم لهم الا خدمته ولا رائد لهم الا الحق ولا غاية لهم الا العمل لصالح الجمعية والسعى لتنميه الاخوة الصادقة كما قال قائلهم

باعوا النعيس وأنفاساً لنصرته وكل شيء شوى مرضاته هجروا

وقال أحدهم :

أولئك أقوام على الموت بايعوا مبايعة أضحى بها الصبر راضيا

وقال الآخر :

ولا وهنوا مما يهين ولا ونوا وكم ملهم فيه العناء فما ملوا

وقال غيره :

على حبه باعوا النفوس وأوجفوا اليه ضمار القود من كل فدفد

وقال الآخر :

نجى اليك حديثها فتبادرت وتباشرت طربا الي راياك

عودتها السهر الطويل فاشرقت كم قد قطعت سباسبا للقاك

إزدهرت الزاوية البيضاء في عهد قصير لم يستطع غير السيد السنوسى أن يخلق هذا الازدهار ويبعث هذه الروح الاسلامية الحقه وينشر هذه الدعوة الاصلاحية العامة ويبث هذه الاخلاق العاليه في أمد قصير كهذا وما ذلك عليه بعسير اذ أنه حفيد رسول رب العالمين الذى قيل فيه .

وإذا وهب الاله اناساً لسعيد فانهم سعداء

وإذا حلت الهداية قلباً نشطت فى العبادة الاعضاء

بازدهار الزاوية البيضاء ازدهر القطر كله وصارت ماوى الحجيج ومصدر الاصلاح ومهبط الارشاد وينبوع الهدى ومنها تفجرت المعارف وانبثقت أنوار العلم وخفقت الويه العدل ودرست العلوم تحت أغصان الشجر وبين عرصات المسجد وداخل الحقاف (الكهوف) فمن كان ناقصا فى تعليمه أخذ يستوفي من ذلك المعين الذى لا ينضب وأخذ المبتدء يتعلم وكبار الاخوان يتلقون العلوم المتنوعه عن مرشدهم الكبير وكل منهم يؤدى عملا أنيط به فضلا عن التعلم والتعليم بكل صدق واخلاص وعزيمة ونشاط ، أمر سيادته ببناء بعض الزوايا منها درنه والفايدية وماره وشحات وأم الرزم ودريانه فتم ذلك بين سنة ١٢٦٠م ١٢٦٤هـ .

الجبل الاخضر

بما أن الزاوية البيضاء وهى أول الزوايا ببرقة تقع فى قلب الجبل الأخضر نذكر شيئاً عنه : تناول الكثير من الكتاب الشرقيين والغربيين وصف الجبل الأخضر وما وهبته له الطبيعة من الجمال الرائع والحسن الفاتن والوضع البديع ولكنى لا أستطيع جمع ما كتب عنه فى كتابنا هذا كما أنني لا أستطيع وصفه بالمعني الذى يجب ، ولذلك أقول : وصفه أمير البيان شكيب أرسلان فجعله في الصف الاول قبل جبل لبنان والآن وأنا أدون كتابى اطلعت على مقال لآخر كاتب وصف الجبل هو السكرتير الادارى لحكومة برقة العسكرية البريطانية المؤقتة (المستر فوت) وقد نشر بكثير من الصحف الشرقية واللندنية نقتطف منه جملا فيما يلى :

(والشيء الآخر الذى يسترعي النظر فى برقة هو جمال الجبل الأخضر ، فبعد ما يضرب المسافر فى فيافى الصحراء المصرية ويرقي التلال الوعرة الشديدة الانحدار يجد درنة في طريقه إلى بنغازى يستقر به المقام فى عالم آخر فهناك السهل المرتفع تغطيه طبقة كثيفة من الشجيرات الدائمة الخضرة وأشجار الصنوبر الباسقة وتحف به وديان يانعة عميقة مما ليس له مثيل فى شرق البحر الابيض المتوسط ، إلي أن يقول : أما برقة فليس لها مثيل فى هذه الديار فهي بصنوبرها تذكرنا بمقاطعة (هامبشير) الانجليزية والبقع المعشوشبه بين تلالها المشجرة ومنظر البحر من خلالها كل ذلك يذكر الانسان بمقاطعة (دورست) فى بلاد الانجليز إلى آخر ما قاله .

كانت برقة والجبل الاخضر الذي هو جزؤها الشرقى قبل مجيء السيد محمد السنوسى يتعثران فى قيود الجهل المسيطر ويعانيان أسوأ حالات الفوضي ولا يوجد بين القبايل العربية الضاربة في أطراف الصحراء (بلبيا) من يعرف القراءة والكتابة فكل من يصل إليه كتاب يذهب به إلي أقرب المدنتين إليه بنغازى أو درنة لقراءته مع أن تلك المدينتين لم يكن التعليم فيهما يدعو للاطمئنان ولكنهما نسبيا يعدان العين المصرة في أقرب وقت يتخيله الانسان كان من أبناء الجيل العلماء والشعراء والكتاب وابطال الجهاد وعادة

الدين والمبشرين بالاسلام ، بما أن الدين الاسلامى الذى جاء السيد محمد السنوسى يدعو له وينشره كفيل لجميع سكان هـذه المعمورة بكل ما يحتاجونه من نظم للحياه الصالحة فقد وجد بين الاعراب الذين دعاهم السيد السنوسى لاتباعه آذانا صاغية وقلوبا واعيـة وعيونا مبصرة وتربة طيبة تنبت فيها بذر السيد السنوسى نباتا حسنا فسادت المودة والاخاء بين العرب ببرقة وتمتعوا بالحياة الاجتماعية الخلقية التي كانت ثمرة العـلم والدين .

إن تاريخ برقة والجبل الاخضر ذلك التاريخ التي مرت عليـه السنون وطوته الايام لا زلنا نحد عندما نتتبعه كيف كانت الفوضى وكيف كان الجهـل ثم اننا نعلم من ذلك التاريخ أن برقة كانت منقطعة كل الانقطاع عن العالم وكل ما هنالك أن الاسلام الفطرى متغلغل في النفوس وأن الاخلاق العربيـة الموروثة كانت تسمو عن كل وصف غير أن العرب فى حاجة لمن يوجههم التوجيه النافع ويدعوهم الي البر والخير ومكارم الاخلاق بالحـكمة والموعظة الحسنة ولعدم وجود هذا الصنف من دعاة الاصلاح كان القوى منهم لا يتورع فى الحصول علي ماتصبو إليه نفسه بالقوة حتى أن الضعيف لا يرى له حقا وكان عرب برقة لا يرون في شن الغارات والغزو والقتال عيبا فـكل قبيلة من القبايل العربية تعمل لما يعزز مركزها ويقوي شوكتهـا في نظر القبيـلة الاخري وبأقل الاسباب وأتفهها تقوم الحروب فتارة من أجل شخص حلب ناقة غيره بدون استئذانه وتارة من أجل شخص ضاف آخر فلم يكرم وفادته وهذه أشنع درجات البخل ويسمونها بالفسالة ولا تكون الا تعمداً وعن قصد لحاجة فى نفس المضيف نحو الضيف، وطورا من أجل بهيمة أكلت زرعا وحينا من أجل رجل تزوج امرأة ولها ابن عم لا يريد زواجها منه وهلم جرا . فبمثل هـذه الهفوات البسيطة تقع الحروب الكثيرة التى تجر القبايل إلي هاوية الخراب والدمار وناهيك إذا كان السبب أهم مما ذكر ولم يمر وقت طويل بدون حرب ومن أهم الحروب التى وقعت ببرقة قبل مجيء السيد محمد السنوسى حرب العبيدات والضعفاء وهؤلاء الآخرون من تميم إحدى العائلات التي دخلت برقه مع بنو سليم فنزح من بقي من الضعفاء إلي مصر ثم حروب العبيدات وأولاد علي فالحرب التى وقعت بين قبايل الجبارنة والفوائد ثم حرب الجبارنة مع الحراني المعروف بحرب (بياض) فحرب البراعصة بين حضراء ومغيربة فحرب العـلايا مع الجوازى فحرب الجبارنة مع الحسون

ثم حرب المغاربة مع الزواوات ، إلى غير ذلك من الحروب الكثيرة ، كل هذه الحروب معروفة ببرقة واحيانا تقع بين عائلات صغيرة فتتسرب إلي أن تتورط فيها قبايل لا ناقة لها فيها ولا جمل إلا استجابة لنداء المغلوب ولا يمر وقت طويل حتي تحصل مثل هذه الحروب التي تتعطش لها القبائل ما دامت الاسباب الداعية للحرب موجودة كما بينا وبذلك لا تطفأ للحرب نار ، أضف الى ذلك شن الغارات بصفة متوالية على السودان وعلى القبايل العربية بمصر وبالعكس فتؤخذ أموال المظلوم ويقتل البرىء وهكذا .

قطع السيد محمد السنوسى دابر تلك الفتن واجتث شجرتها من أصلها وأصلح بين المتخاصمين وحذر من تلك الاعمال المشينة المخزية فتقبل أهل البلاد هذه الاوامر الكريمة بالطاعة والاخلاص وبادروا الى الاقلاع السريع بكل ارتياح عما كانوا عليه مع العلم بصعوبة الانتقال من شيء والاقلاع عنه الى غيره وإن كان فى ذلك خير الانسان .

يرجع الفضل فى ذلك إلى حكمة السيد وسداد رأيه وبعد غوره فى استمالة النفوس واتساع كعبه فى علوم الاصلاح وقوة عزيمته وتمسكه بمبادىء الاسلام الصحيح عمليا الامر الذى جعل التوفيق حليفه فى جميع حركاته ولازمه فى كل مواقفه .

لم تحصل في زمن السيد السنوسى الا بعض الشقاق بين القبايل جد طفيف وكانت أسبابه أعظم من تلك الاسباب التى كانت تحصل بها الحروب السابقة فسواها بحكمته العالية ومما يجدر بالذكر أن عرب برقة كثيرا ما كانوا يشقون عصا الطاعة على الحكومة متى دعت الحالة فكانوا لا يخشون العقوبة ولا يفكرون في مغبة ذلك ويقدمون على كل ما تسول لهم أنفسهم عند ما تدعى الحالة بكل جراءة ويحتفظون لانفسهم بالكرامة مهما كلفهم الامر وهذه عادة متبعة عند العرب في كل زمان ومكان ولكن عرب برقه بالغوا في ذلك فلاقل شيء يشعرون فيه باهانة كرامتهم وقوميتهم يثورون على الحكومة ومن لا يثور منهم إذا دعي الامر يرمى بالجبن والذل والركون إلى الهوان والاستسلام للجور ومن بين من شق عصا الطاعة من القبايل على الحكومة العثمانية في العهد السنوسي هذه القبائل الآتي ذكرها :

قبيلة المغاربة تحت زعامة شلبي الفول سنة ١٢٦٩ هـ حوالى سنة ١٨٧٦ م .

قبيلة زوية تحت زعامة عبد الكريم الحليق وأبي بكر قويطين سنة ١٢٩٩ هـ حوالي سنة ١٨٧٩ م

« منصور العبيدات سنة ١٢٩٨ هـ حوالي سنة ١٨٧٧ م

« البراعصه تحت زعامه مازق أبو بكر حدوث سنة ١٣١١ هـ حوالي سنة ١٨٩٤ م

« العواقير تحت زعامة مفتاح الكاسح سنة ١٣١١ هـ حوالى سنة ١٨٩٤ م

« البراعصه للمرة الثانية تحت زعامه مازق والحاج محمد أبو فروة سنة ١٣١٣ هـ حوالي سنة ١٨٩٦ م مابرح المبدء السنوسى يقوم النفوس ويحارب كل عادة سيئة وهذا العصيان المذكور حصل فى عهد السيد المهدى السنوسى فاخذ ينصح العرب ويأمرهم بالاقلاع عن هذه الاعمال وان كان سيادته يلقي تبعة ذلك على الحكومة لمائبت لسيادته وكان يرشد الحكومه لان تعامل الرعايا بالعدالة والانصاف والتسامح في الهفوات البسيطه التي لاتوجب العقاب الشديد ويرشدها لاجابة الطلبات المشروعة ولولا ارشادات السيد السنوسي وابنه السيد المهدى من بعده لاستمر العصيان ولحصل بموجبه مايسود صفحات الحاكم والمحكوم على السواء فالحكومة من جهتها تبذل قصارى جهدها لتأديب العصاة كما تقول عنهم والعرب يستنجد بعضهم بالبعض الاخر ويستمرون فى ذلك فينتج عن هذه الحالة أحد أمور ثلاث أما فناء العرب وأما جلاؤهم عن وطنهم وأما استلام الحكومه أمام هذه العصيان كما تسميه لانها لاتستطيع قمعه وبذلك تضعف شوكتها وتضيع هيبتها فى نظر رعاياها ولكن لم يحصل شيء من ذلك مع وجود السيد السنوسي الحكيم وابنه الرشيد ، كانت الحكومة تجيب مطالب السيد وتنظر اليها بعين الاجلال والتقدير وكانت مرغمة على ذلك لان مكانة السيد السنوسى فى العالم الاسلامى عامة وفى ليبيا خاصه تفرض النزول على رغباته فعرب ليبيا يمتثلون أوامر السيد السنوسي ويعتبرونه السلطة الوحيده التي لاتخالف وتجب طاعتها ولايعتبر عرب برقه وجود أى سلطان في غير السنوسي فله وحده نفوذه الروحي والزمنى .

أن وجود السيد السنوسي ببرقه يعد نعمة من نعم الله عليها فبه تبوأت مركزها اللائق بها وأعيد لها مادرس من معالم مجدها العربي وتراثها الاسلامي .

الوعظ والارشاد فى الاحياء البدوية

كان السيد السنوسى : قد أرسل الكثير من المرشدين للوعظ فى منتجعات البدو النائيه عن الزاوية البيضاء اذلم تشيد زوايا تكفى الحاجة وقتذاك فكان يرسل بكل اثنين من رفاقه الي جهة خاصة ويحدد لهم مدة عملهم ثم يرسل بمن يخلفهما ويعودا لاخذ الراحة وكانت احدى البعثات مؤلفة من السيد المرتضي فركاش والسيد حسين الغرياني فكان السيدان المذكوران كلما مرا بمنتجع لاداء رسالتها يقوم اهل ذلك المنتجع باكرامها وعندما تنتقل هذه البعثه من منتجع لاخر يقدم كل فرد من الهدايا ما يستطيع فمن شاة فاكثر الي جمل أو بقرة وكان السيدان المذكورين يتقبلان ذلك بكل سرور حسب اجتهادهما فاجتمع عندهما عدد كثير من الحيوانات فقررا علي أن يعودا الى الزاوية بما معهما من الحيوانات الكثيرة من الابل والغنم والبقر يسوقها رعاتها المكلفون بها ولما دخل السيدان المذكوران علي السيد السنوسى سألهما عن حالة الوعظ والارشاد وعن السبب الذى جاء بهما وماقدم معهما للسيد فاحمر وجه سيادته وظهرت على محياه علامات التأثر وقال لهما أنا ماجئت لاجمع مالا ولا لارغب الدنيا ولم أرسلكما لتجمعا لي مالا ولكنني جئت لانشر علما ودينا فارجعا بكل ما معكما لتسلماه الى أصحابه بالعدد ، حاول السيدان بكل أدب وخضوع أن يقنعاه بان ذلك قدم هدية بدوافع الاخلاص وبدون طلب منهما وانه احتسابا لوجه الله الكريم ومعاونة من مقدميه على العمل الصالح الذى يقوم به السيد السنوسي فرفض سيادته قبول ذلك ثم سألهما عن حالة الوعظ والارشاد وعن روح الرعية فافصحا له عن كل شيء حتى عما يلاقونه من اكرام فى كل بيت فقال لهما سيادته ناصحا : لاتشقا على أحد ولا أودان يتكلف أحد بضيافتكما فخذا أمتعتكما وكل مايلزمكما ولا تقبلا من الاهالى شيئا الا (الزبده) واللبن (الممخوض)

رجع السيدان بكل ماكان معهما وكل من يعطيانه ما كان قد جاد به يتكدر ويتأثر ويقول لعل السيد رفض قبول ماقدمته لشيء فى نفسه عنى فيقنعانه بان السيد راضي عنك وتمام رضاه في أن تقبل ماجدت به وان ترسل بابنك الى الزاوايه ليتعلم وان تحضر منعا

مواعيد الوعظ والارشاد .

كان السيدان يرفضان كل دعوة يتكلف صاحبها بذبح أو بما ليس فى طاقته وكانا يأكلان بمحلها ومرة مدة من الزمن لم يأكل فيها السيدان لحماً وقد سمع أحد البوادى أن السيد أمرهما بان لا يشقا على أحد في اكرامها فاراد هذا البدوى وعلي ما أظن أن لم نخن الذاكرة انه من قبيلة العرفا اكرامها وعندما دعاهما للغذاء قال له السيد حسين الغرياني اننا نجيب دعوتك علي شرط أن لا يكون هناك لحماً ، ـ كان السيد المرتضى على علم من أن البدوى نحر لهما ـ وأراد السيد المرتضى أن ينقذ الموقف وان يجامل الداعى وان لا يحرج رفيقه وان يأكل لحماً طريا لم يكن له به عهد من زمن طويل فقال : ان كان اللحم ذبح من أجلنا فاننا لا نقبله وان كانت الذبيحة من اجل غيرنا أو بالصدفة فبكل سرور نجيب الدعوة ، فهم البدوى كل شيء وقال انها لم تذبح لغيركما اذ لم يكن ببيتي ضيف ولكنها شاة قد نيبها ذئب وبدلا من أن نعالجها طويلا ذبحتها لاهل بيتي فقبل السيدان ولما عادا الى الزاوية البيضاء أخذ السيد المرتضى يقص على الاخوان ماحصل وانه أضطر لمغالطة الحقيقة مع رفيقه ليأكل لحماً بدعوى باطلة علي ذئب كذئب يوسف فوصلت القصة الى السيد السنوسى الذى ضحك من أجل ذلك طويلا :

لم يقتصر هدى السيد السنوسى على النواحى التى أوجدت بها الزاويا بل هنالك الرسل والدعاة من اخوانه يجوبون الجهات مااستطاعو الى ذلك سبيلا لتعميم هذه الدعوه المباركه وكان الرسل يذهبون الى مصر والحجاز والسودان وتونس والجزائر فيبثون تعاليمه السامية ويواصلونه باخبارهم وما وصلوا اليه ، وفى سنة ١٢٦٠ رزق باكبر ولديه وهو السيد المهدى فكان لهذا الحادث المسر ابلغ الاثر فى النفوس واطيب الوقع فى المجتمعات وفى سنة ١٢٦٢ رزق بالمولود الثانى فاسماه السيد محمد الشريف وقال للاخوان اسمينا ابننا الاول (المهدى) لتم به الهدايه واسمينا الثانى (الشريف) ليتم به الشرف .

سفر السيد السنوسى الى الحجاز

سافر السيد السنوسى الي الحجاز بعد مدة قليلة من ازدياد السيد الشريف وهذه آخر زيارته للحرمين الشريفين فترك ولديه بزاوية درنه مع الكثير من الاخوان وكان وكيله على عائلته السيد عمران بن بركه أما وكيله بزاوية درنه فهو السيد عمر الاشهب وأناب عنه فى الزاويه البيضاء السيد محمد بن احمد الفيلالى الذى سبق ان أشرنا اليه وله حق الاشراف على بقية الزوايا وهذا قد أساء التصرف كما قلنا واستبد بامره وخرج عن الخطط المرسومه له الامر الذي جعل السيد السنوسي يسلبه رداء السلطان الذى البسه اياه.

أثار سفر السيد السنوسي قلق جميع الاخوان والعرب ببرقه ولكن الخواص من قومه يعلمون أن السيد للجميع وان عمله لم يكن مقتصرا عليهم فقط وأن له مساع أخري وأن سعيه سوف يري فاصبحوا يسلون انفسهم بذلك وفي كل سنة يحج بيت الله الحرام قسم من الاخوان بامره الكريم وفي أثناء أقامته بالحجاز تزوج من كريمة السيد الحسن البسكرى فقد بعث فى طلبها من درنه بعد وفاة والدها الذي كان من كبار الاخوان وعقد عليها بالحجاز ورزق منها بولد أسماه (عليا) توفى صغيراً وهناك بالحجاز اجتمع السيد بولده السيد المهدى فى سنة ١٢٦٦ هـ سافر السيد المهدى حسب طلب والده من درنه مصحوبا بالسيد محمد بن ابراهيم الغماري وكان السيد لم ير ابنه منذ عهد الرضاعة وفي هذه السنة سافر احمد باشا المنتصر الى الحجاز لمقابلة السيد السنوسي فالتقى بالسيد المهدي في (خانيه) وكان المنتصر كثير الشوق والحنين لراية السيد السنوسى ونلمس ذلك من قصيدته التي ارسل بها الى السيد عبد الله التواتى فكانت كلة العقل صادرة من القلب يوحى من الضمير وسننشرها في هذا الكتاب ، وسافر فى هذه السنة أيضا الي الحجاز كثير من شيوخ وعيون عرب برقه منهم الشيخ أبو شنيف الكزه والشيخ عمر جلغاف وعبد الله أبو سويحل والحاج محمد كاهيه وغيرهم ليلتمسوا من السيد عودته الى البلاد المتعطشه لرايته فكان يعدهم خيرا ، ومما يلفت النظر ان الشيخ أبو شنيف الكزه الذى تجشم مشاق الطريق لراية السيد كان عمره يتجاوز المايةسنه ، هناك بالحجاز أسس

السيد كثيرا من الزوايا منها زاوية الطايف أسست سنة ١٢٦٥هـ وزاوية المدينه المنوره سنة ١٢٦٦هـ أما زاوية جبل أبي قيس بمكه المكرمه فكانت أول زوايا السيد السنوسي جميعا إذ اسست سنة ١٢٤٤هـ

اتنا نلمس شوق الاخوان فى قصيدة السيد احمد الطائفى التي ارسل بها من درنه الي السيد السنوسي سنة ١٢٦٤هـ

يامن نأوعنى وشط مزارهم ... وتجددت لبعادهم احزانى
نار الجوى بين الجوانح أضرمت ... والروح فارق بعدكم جثمانى
لا كان يوم البين لا كان النوى ... ياليتنى أدرجت في اكفاني
حر النوي أو هي قوي تجلدي ... واعل جسما طبه أعيانى
وأطال سهدى والخلائق هجع ... واثار وجدا كامنا بجناني
وسقى رياض الشوق يوم وداعهم ... بسواكب العبرات من اجفاني
فطويت حينئذ بساط مسرتى ... ونشرت بعدكم رداء احزاني
فاليك يامولاى أشكو علتي ... وعظيم شوقا بعضه أضنانى
ومتى أفوز بنظرة تطفى الجوي ... وتزيل كرب حشاشة الولهاني
وأقول ياعينى انظرى وتمتعى ... بجمال مولانا عظيم الشان
استاذنا وملاذنا وغياثنا ... منجي الغريق ومهدى الحيران
سلطان أهل الله ذاك محمد ... العالم العلامة الربانى
(ابن السنوسي) المعظم قدره ... من خص بالاسرار والعرفان
اكرم به من سيد ذى سؤدد ... ومناقب جلت عن التبيان
لم استطع تعداد بعض صفاته ... ولو استطعت لكل عنها بيانى
يارب فارزقنا سلوك طريقه ... فسلوكها ينجى من النيران
وأطل بفضلك عمره وأدم به ... نفع العباد والفة الاخوان

السيد احمد الريفى

أثناء وجود السيد السنوسي بالحجاز تشرف بالتعرف به السيدان الفاضلان السيد احمد بن عبد القادر الريفي والسيد محمد المدني التلمساني وهما من خيره منتسبى ورفاق السيد السنوسي فجاءا للحجاز لطلب العلم وهناك تعرفا بالسيد عمر الفضيل الاوجلى فافهماه عن مهمتهما التى جاءا من أجلها وهناك أرشدهما الى السيد السنوسى فاتصلا به وكان السيد احمد الريفى على جانب عظيم من العلم الا أنه يطلب المزيد ، طلبا من السيدان يقبلهما فى جملة منتسبيه فشرفهما بالقبول ، وللسيد احمد الريفى مكانته العاليه في الجمعيه السنوسيه ولقد أتم تحصيله على السيد السنوسى، نبغ فى مختلف العلوم النقليه والعقليه حتى صار حجة زمانه وكان استاذا للسيد المهدى والسيد الشريف فاكملا عليه تعليمها وقد اشتهر السيد حمد الريفى بعلو القدر وسمو المكانة وسعة الاطلاع وشرف المحتد ودماثة الخلق وحصافة الرأى والكياسه الي جانب مايتمتع به من ثقة السيد المهدى الغالية ثم كان محل ثقة جميع الاخوان الذين سبقوه فى الانتساب الي الحضرة السنوسيه فكان كرئيسهم الخاص ومرجعهم الوحيد اذ أجمعوا عليه رغبة وهو محل ثقتهم وتقديرهم وهو من خيرة أقطاب الجمعية السنوسية وأجل رجالها ولد سنة ١٢٤٤ هـ وينتسب الى الشرف الحسنى ، لم يعرف بالضبط تاريخ انتسابه الي السيد السنوسي الا أنه بعد سنة ١٩٦٥ هـ ولم يفارق السيد السنوسى منذ اتصاله به الا أثناء قيامه مع الاخوان ببناء زاوية المدينة وكان السيد السنوسى بمكه ، وهكذا بقي فى معية السيد السنوسي حتى توفي السيد السنوسى سنة ١٢٧٦ هـ ثم تولى التدريس للسيدين السيد المهدى والسيد الشريف وأخيرا كان مستشارهما العام ورئيس مجلس الاخوان بالجغبوب حتي توفى السيد المهدي فبقي محل عناية وتقدير كبار البيت السنوسى وهم السيد احمد الشريف والسيد محمد عابد والسيد محمد ادريس الى أن توفاه الله سنة ١٣٢٩ هـ الموافق سنة ١٩١١ م فشق موته على أفراد البيت السنوسي وجميع الاخوان وعامة أهل برقه ورثاه الشعراء والعلماء ومن بينهم تلميذه والد المؤلف فقال من قصيدة طويلة .

صبرت وما قلبي عليك بصابر فانت امام الاولياء الاكابر

تركت دموع العين تجري صبابة وسرت الى اهل العلى والمقابر
مكثت بجغبوب وتاج ومكة وأنت تفيد القوم أهل المحابر
أقمت مع السادات ستين حجة لوارد آداب السلوك وصادر

لم يعقب السيد احمد الريفي الاحفيده السيد (حميده) احمد بن محمد بن احمد وهو محل عناية البيت السنوسي واحترامه كما يتمتع بتقدير واحترام جميع الاخوان وقد أنابه السيد احمد الشريف بالمعسكر بعد سفره الى الاستانه سنة ١٣٣٦ هـ ثم التحق بسمو الامير السيد ادريس فعهد له بمناصب عليا منها ماكان بمعية السيد صفي الدين نائب الامير بالمنطقة الشرقيه ببرقة ومنها ماكان بمجلس الشورى لسمو الامير :

عودة السيد السنوسى الى برقة

فى سنة ١٢٦٩ هـ أرسل السيد محمد السنوسى إلى الأخوان الموجودين ببرقة أن يسرعوا ببناء زاوية (الغزيات) على أنقاض القصر القديم المعروف (بالغزيات) وفى هذه السنة توجه السيد محمد الشريف مع والدته وجده السيد أحمد بن فرج الله إلي الحجاز حسب طلب والده وفي نفس السنة رجع السيد محمد السنوسى من الحجاز إلي برقة بعد أن رأي ابنه السيد محمد الشريف وجمع بينه وبين ابنه الاول السيد المهدى فى مكة وأبقاهما هناك يتعلما كما أبقى كثيرا من الاخوان كل منهم يؤدى عملا أمر به وترك زوجته السيدة فاطمة مع ابنها كما ترك زوجته الحبشية وصحب معه زوجته الثالثة السيدة فاطمة البسكرية .

سلك السيد محمد السنوسى طريقه هذه المرة من جدة إلى السويس ثم نزل بكرداسة من ضواحى مصر ثم توجه الى حوش عيسى بالبحيرة ثم واصل سيره الى الغزيات ووجد العمل قائماً على قدم وساق لتتميم البناء وبعد سنة من وصوله بعث بتلميذه السيد عبد الرحيم المحبوب لتفتيش الزوايا بالجبل ثم أرسله الى الحجاز للوقوف على حالة السيدين والتحقق من سير تعليمهما، أرسل السيد السنوسى بطائفة من الاخوان وعلي رأسهم السيد عمران بن بركة ليجوسو خلال الديار ويقفوا علي مواقع أمر السيد بالوقوف عليها والاتيان بمعلومات ضافية عنها ومن بينها الجغبوب

وبعد عودة هذه البعثة وقع اختياره علي موقع الجغبوب فبعث إليه بالبنائين الفنيين والخدم والمعدات لتشييد الزاوية التي اجتط رسمها سيادته وقبل أن ينتهي العمل فيها سافر من العزيات للاشراف على العمل فوصل الى الجغبوب فى شهر صفر سنة ١٩٧٣ هـ ولما تحقق سيادته من أن العمل سائر من حسن الي أحسن أرسل السيد عبد الرحيم المحبوب مرة أخرى الي الحجاز للاتيان بالسيد المهدى وفي أواخر الحجة من السنة نفسها سافر السيد المهدى من الحجاز فوصل الجغبوب في شهر ربيع الاول سنة ١٢٧٤هـ ووجد العمل قد تم وأصبح الجغبوب هو المركز الرئيسى للسيد السنوسى وهو العاصمة التى تستمد منها الزاويا قوتها وكان السيد السنوسي قد اتخذ محلين قبل الجغبوب لمركزه الرئيسى فكانت زاوية أبى قبيس بمكة هي الأولى وقد أسست سنة ١٢٤٤هـ ثم الزاوية البيضاء وأخيرا الجغبوب وقبل أن يغادر السيد السنوسي زاوية العزيات أمر ببناء زاوية مسوس في سنة١٢٧٣هـ وفي أواخر سنة ١٢٧٣ أمر السيد عمر الاشهب أن يتولي رآستها فخلفه بزاوية ماره السيد أحمد بن علي أبو سيف .

أما الجغبوب فقد تمت بها المساكن لطلاب القرآن والعلم الشريف ومساكن الاخوان ومساكن الخدم كما أحضرت به مخازن للتموين وشيد به مسجد من أعظم المساجد الاسلامية فتدرس تحت عرصاته وبأروقته أصناف العلوم كل ذلك تم بسرعة البرق وأصدر سيادته الاوامر ببناء الكثير من الزوايا داخل القطر وخارجه وفى سنة ١٢٧٤ وصل الي الجغبوب كل من السيد عمر الاشهب والسيد حسين الغريانى والسيد مصطفى المحجوب والسيد محمد السكورى بطلب من السيد السنوسى كما وصل السيد أبو القاسم العيساوى ووصل أيضا ممثل السيد في (بر الجريد) السيد محمد بن صادق ووصل أيضا فى هذه السنة السيد محمد الخالدى علي رأس وفد من الحجاز ، وفى سنة ١٢٧٥ وصل السيد محمد الشريف قادماً من الحجاز حسب طلب والده واستمر العمل بموجب التعاليم التى تصدر من الجغبوب بكل همة ونشاط .

وفاة السيد السنوسى

يظهر أن السيد السنوسي كان يشعر بالالم منذ مدة ولكنه كان يصارعه بالصبر وقوة العزيمة فلم يخضع لوطاته ولم يركن الى الراحة ويأوى مخدعه ككل مريض بل أخذ يعمل بكل همه ليتم ما كان انتواه بالرغم من المتاعب التى قاساها والصعوبات التى تصادف كل عامل عادة ولكن عندما شعر بقوته قد ضعفت أرسل فى طلب ابنه الثاني كما أخذ يطلب كل مرة قسما من الاخوان لا بلاغهم مشافهة ما يلزم عمله ، لقد اطلعت على كتاب بعث به الي السيد مصطفى المحجوب يأمره بالحضور للجنبوب بمجرد ما يعود منها السيد عمر الاشهب ليشرف علي زاوية الطيلمون بالنيابة ، نضم سيادته العمل بالجغبوب فأسند لكل واحد من رجال الجمعية السنوسية عملا يسأل عنه وأكثر من مجالسة الاخوان والحديث معهم بكل بساطة كما كان يكثر من استجواب ابنه السيد المهدي فى خلوه وفي ساعة حضور السيد عمران بن بركة والسيد أحمد الريفي وكان يظهر ارتياحه العظيم بالسيد المهدى ويتنبأ له بمستقبل عظيم وعمل جليل صالح وكان يظهر أنه ينوى السفر ولكن لم تعرف الجهة التي يحاول السفر إليها ولقد اطلعت علي كتاب أرسل به إلى السيد عمر الاشهب يأمره بتحضير جمال وما يجب من أدوات السفر ثم اطلعت على كتاب آخر بعث به إلي السيد مصطفى المحجوب يأمره بتحضير جمال ومنه يعرف أن السفر إلي سيوة ولكن الموت لم يمهله حتي نرى ما سيقوم به في هذه الرحلة التي انتواها ففى يوم ٩ صفر سنة ١٢٧٦ هـ حوالى سنة ١٨٦٠ م صعدت روحه الطاهرة إلي ربها راضية مرضية ودفن جسده الشريف بالجغبوب فترك وراءه المآثر الخالدة التي تنطق بعظمة الراحل الجليل وخلف القلوب دامية والانفس مضطربه والعيون باكية والافئدة ممزقة والاحشاء محترقة والالسن خارصة لشدة هول المصاب وفداحة الخطب وقد ابنه العلماء والخطباء والشعراء والكتاب ولكن واحد منهم لم يصل إلي الوصف الحقيق لحالة الأسى التى يحز فى النفوس والحزن الذى استولي على القلوب من جراء فقد هذا الراحل العظيم حيث المقام أجل وأكبر وأسمي من أن يصفه الواصفون أو تتناوله

أقلام الكتاب والسنة الخطباء وقرائح الشعراء ، وعندما صلى على جثمانه الشريف وقف تلميذه (الحزين) السيد عمران بن بركة وألقى كلمته التي كانت من وحى الضمير معزيا بها ابني الفقيد السيدين المهدى والشريف ومواسياً زملائه الاخوان فى مصابهم الجلل ثم أعقبه السيد فالح الظاهرى وتلاه بقية الاخوان وتثبت هنا فقرات من كلمة السيد عمران بن بركة : قال بعد البسملة والحمد لله : (أما بعد فان أصدق الحديث كتاب الله تعالى وخير الهدى هدى سيدنا محمد ، وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة فى النار . حمدا لمن قضى على جميع العباد بالموت ، وسدد سهمه للاصابة فى جميع الوقوت ، فلا محيص على سلوك سبيله ولا مناص ، ولا محيد عن الوقوع فيه ولا خلاص ، فلم ينج منه أمير ولا وزير ، ولا غنى ولا فقير ، ولا شريف ولا رفيع ، ولا دني ولا وضيع وحكم بذلك على سائر رسله وأنبيائه ، وأهل حضرته من اصفيائه واوليائه ، وعلى الموت نفسه بعد نفاذ المقادير بالموت ، فلا محيد عنه ولا مفر ، وصلاة وسلاماً دائمين متلازمين مصحوبين باهداء كمال الرحمة في كل وقت وحين إلى قطب دائرة الأنس ، وترجمان حضرة القدس محمد المحمود فى رياض تلك الحضرات المبعوث باوصاف الكمالات ، وعلى آله الاخيار وأصحابه الاطهار ، وبعد لما من الله تعالى على هذا القرن الثالث عشر الذي هو من أشر القرون ، الموعود بشدة الفساد والجهل والفتون حتى تعوذ منه السلف الصالح أن يدركوه مع مالديهم من العلم والتقى وأسباب النجاة .....

(هنا جملة لم نستطع قراءتها لشدة بياض الورقه) ..... بدلالة قوله عليه الصلاة والسلام آل بيتى كسفينة نوح من ركب فيها نجا ومن تخلف عنها غرق إلا وهو حافظ العصر وقطبه ، وخلاصة الدهر وفخره ، شيخ الاسلام وخاتمة الأعلام ، إنسان عين الوجود المتبرك به شرقا وغربا ، والمتخذ حبه وسيلة وقربا ، ذو المناقب الفخيمة التي تعجز عن حملها الدفاتر ، ويقصر عن ضبطها كل ينبع ماهر ، معيي الزمان على الاتيان بمثله ، ومحنث الحالفين بظهور شبهه :

حلف الزمان ليأتين بمثله ... حنثت يمينك يا زمان فكفر

أستاذنا الأعظم وملاذنا الافخم وولى نعمتنا الاكرم أبو المكارم فيض الفتح القدوسي سيدى ومولاى السيد محمد السنوسى ، رضى الله عنه وأرضاه ، وجعلنا ممن أحبه ووالاه

فحيث سبقت له من الله السعادة ، وخص من بين أقرانه بالفضل والسيادة ، وتوج بتاج المجد والمهابة ، وأسرى به لسماء العرفان ، وأعطى الاذن الجازم في إرشاد الانام وأخذ منه العهد والميثاق فى ذلك ، وخاف على نفسه إصابة الفتنة إن لم يسلك تلك المسالك فلم يسعه إلا المبادرة لامر الحكيم العليم قال عز من قال (فاليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم) فقام رضي الله عنه مشمراً عن ساق الجد لتبليغ ما هو إليه ، وليعلم العباد من علوم ما لديه ، وأيقاضهم من الغفلات ، وإنقاذهم من الحفر النارية والورطات ، لسبيل السلامة والخيرات ، فارتكب الاخطار وكابد مشاق الاسفار لاجل إصلاح العباد والبلاد ، وتوجيههم إلى طرق السداد والرشاد ، فلم يركن لما فيه راحته وهناه ، إيثارا لهوي مولاه على هواه ، فصار يجدد معالم الدين ، ويحمى مثأر سيد المرسلين حيث ما حل ، حتي كانه فى تعمير البقاع والقفار الخالية ودق إذ هطل فكفل رضي الله عنه الملة الاسلامية يتمها ونشر الحنيفيه السمحاء بعد انطوائها فتجددت بحمد الله الطريقه المحمديه والسيرة الاحمديه بعد انطماس آثارها وخبو أنوارها في جميع الاقطار وطلعت شمس هديه فى سماء العقول فانجلت الاغيار وشاع ذكره فى الآفاق شيوع شمس رائعة النهار ، وخلف في غالب الاقطار سيما الحرمين الشريفين وغيرهما من القرى والمدن والامصار من ينوب فى ايصال الخير الي امة المختار بتعليم الكتاب والسنن والاثار فلما نجز الامر الموعود ونفذ الاجل المحمود ونزل به رسول سيده ومولاه وعلم أن لابد من الاجابه للقاه آوى الى كهف الامتثال للامر ..... (لم نجد بقيه الجملة لان الورقه المخطوطه التي هى بين يدنا قديمه جدا وبها بعض الخرم لا تقرأ) الي أن يقول : وأوصي جميع مريديه وآله وكل من تعلق باذياله فى العمل بكتاب الله وسنه رسوله فى الجليل والحقير والكبير والصغير والقليل والكثير والمثابره على التقوى والديانة والمداومه على العبادة والمروءة والصيانه والاخلاص في كل الاعمال والتباعد عن اتباع الهوى وسيىء الخصال قائلا رضي الله عنه لاشيء أوصيكم به غير ذلك فهو عين مطلبي ومأربى ولم أزل عليه في يومى وأمسى ولا أزال عليه الي حلول رمسي متمثلا بلسان حاله وقاله بقول الشاعر .

أهيم بسعدى ماحييت وان امت ... أوكل بسعدي من يهيم بها بعدى

(هنا سقط سطر لم نستطع قراءته بالورقة الباليه) الى أن يقول، فاسلم الروح راضيا مرضيا عنه بجريان الاقدار ـ سابحا في بحار الرضا في كل جزىء من أجزاء الليل وأطراف النهار متلذذاً بذلك غائباً عن الشعور بالالام التى هنالك متمثلا بقول الاخر.

يامن يبشرنى بيوم لقائي أعطيه من فرط السرور ردآئي

جزاه الله عنا وعن الاسلام والمسلمين خيرا ،اللهم روح روحه وقدس سره ونور ضريحه وطيب مضجعه وأعلى درجاته وضاعف حسناته وكثر مثوبته اللهم أفض عليه من سماء لطفك وبرك وجودك وكرمك وانعامك ومنك واحسانك وافتح له أبواب جناتك وأنزله فى سرادقات عزك وحضائر قدسك وزوايا انسك مع الذين انعمت عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين اللهم اجعل تأييد الدين وتمامه على لسان ويد نجله الطاهر وفرعه الزاهر ووارثه الباهر سيدى ومولاى السيد محمد المهدى وصنوه المنيف سيدى ومولاى السيد محمد الشريف وأجبر بهما صدع الدين وأصلح بهما أفئدة الاتباع والمريدين انك ولى ذلك والقادر عليه) الخ

وقد دفن جثمانه الطاهر بعد الصلاة عليه بمحل خاص فى قبلة المسجد وبني عليه ضريح مؤقت وفي سنة ١٢٨٢هـ جدد بناء الضريح فكان آية من آيات الفن ومفخرة من مفاخر الجمال وروضه من رياض الحسن واتخذ يوم وفاته بجميع الزوايا السنوسية يوما مشهورا لاحياء الذكرى فتقام حفلات التأبين وتقدم الصدقات للفقراء والمساكين وتنحر السوائم لتقديم لحومها الى البؤساء والمعوزين ويقرأ القرآن الشريف ويهدى ثوابه الي روحه الطاهره وعند هذا الحد نقف اعترافا بالقصور واقراراً بالعجز اذ لا نستطيع أن نفي المقام حقه كما قيل .

ولو أن ما بين الثريا الى الثرى صحائف والكتاب عرب واعجام
وراموا بأن يحصوا جميل صفاته لما بلغوا معشار عشر الذى راموا

وهنا نثبت صورة من كتاب بعث به السيد المهدى الى الاخوان بالحجاز يشير لوفاة السيد السنوسى قال بعد البسمله (انه من عبد ربه سبحانه محمد المهدى بن السيد محمد السنوسي الخطابي الحسنى الادريسي : الى الاجلاء الابرار الاصفياء الاخيار أخينا السيد محمد ابن ابراهيم الغارى وأخينا اسماعيل بن رمضان وأخينا وهبه وكافة اخواننا أهل مكه

سلمهم الله آمين السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته ومغفرته ومرضاته وبعد فقد وصلتنا كتبكم التي باسم الوالد رحمه الله تعالي وسقي ثراه وأكرم منزله ومثواه وكنا قبل هذا أرسلنا لكم كتبا وأخبرناكم فيها بما قدره الله وقضاه وأبرمه في أزله وأمضاه ـ الى أن يقول ـ ونحن على العزم السابق من نية الانتقال الي الحرمين الشريفين غير أنه كما لايخفاكم الى الان القلوب منكسره ومن شدة المصيبة فالافكارمتحيره فاذا استقرت الاحوال يحصل ما ذكر من الانتقال وقد بنينا على الضريح الشريف (قبة) وتمت بحمد الله على أحسن الوجوه فانتم كونوا على ما كنتم عليه سابقا من الدلالة علي الله تعالى بالحال والمقال وصابروا وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر وذكروا عباد الله فيه وجاهدوا فيه حق جهاده وكونوا يدا واحدة علي من سواكم وفى الله اخوانا وعلى البر والتقوى اعوانا وتعاونوا علي البر والتقوي ولا تعاونو على الاثم والعدوان وسلموا منا علي كافة الاخوان والمحبين من أهل مكة والمعابده والوادى والطائف وغيرهم .

غرة شعبان سنة ١٢٧٦

عظمة السنوسي وماثره

لقد عرف الراسخون فى العلم وغيرهم أن السيد محمد السنوسي الغني عن التبيان كبير في عقليته كما كان قوى التأثير عظيم النفس يتقد ذكاء وفطنة فلا يعرف موطنا للراحة والترف وقد جمع الى ذكائه الفطرى وعلمه الغزير استقلال الفكر ومجاراته لكل جديد يتفق مع روح الدين الصحيح فحفظ القرآن وتدبره وحارب الخلافات المضرة التى أوجدها متعصبوا كل مذهب فكانت كل اعماله من جوهر الدين وشغلته فكرته الاسلامية الصافية عن الهدو فلم يستسلم ولم يركن لغير ما عقد النية عليه وكان للحزن الذى كدر صفوه من تدهور الاسلام وتأخر المسلمين وانقسام العرب عامل قوى دفعه للنضال وحفزه للجهاد ودعاه للعمل فليس من العجيب على السيد السنوسى ان يفوق العاملين بسمو عمله وسرعة انتاجه قام بما قام به فجاءت ثمرات عمله في اسرع وقت عرفه تاريخ العاملين وان ظهور فضله على مسرح التاريخ لهو ثمرة مجهود جبار قل ان يفكر فيه ويعمل لتنفيذه رجل آخر فيلازمه التوفيق وهذا هو محل الاعجاز، كان السيد السنوسى في شخصه امة قوية لا يتطرق اليها الضعف والوهن فكان عدو للجهل وخصم للاستكانة وضد للافكار العقيمة فحارب العادات السيئة للاسلام والتى احدثها اعداء الاسلام وقصاري القول فانه المصلح الاسلامي الكبير الذى عرفه تاريخ الاصلاح بعد أبي بكر وعمر وهو السياسي الكبير الذى عرفه تاريخ السياسة وهو المجدد العظيم ما دام التجديد يوافق روح الاسلام الذى كفل سعادة الحياة وسن دستورها القويم للبشر، تمشي رحمه الله مع العلم وسمو الاخلاق ووسائل الحياة الراقية، ولقد ترك فى كل محل غادره اثرا ناطقا واوجد فى كل بقعة حل بها عملا صالحا يؤتى ثمره كل حين فهذه زواياه ببرقة تنبيء عن سمو نظره السياسى والعلمي والاصلاحى وما السيد المهدى وعلمه وعمله واصلاحه والسيد احمد الشريف وجهاده الا شعلة من فكره وثمرة من غرسه وما الجهاد الوطنى الذى قام به الليبيون ضد فرنسا في الغرب والجنوب وضد ايطاليا المعتدية، تلك الحرب التى لم تقم بها امة من الامم في الدفاع

عن حوزتها والتي ايقظت الشرق العربي لدفاع المغتصب الا قبسا من تعاليمه .

نسوق الجمل الاتية عن جريدة المؤيد المصرية بتاريخ ١٣ مارس سنة ١٩١٢ م كما نقلته هى الاخرى عن جريدة (اقجام) التركية وقد علمت من جريدة المؤيد أن هذه الجملة الاتية من مقال نشرته جريدة (المان) الفرنسية ومما جاء فى المقال :

(ليس مجيىء السنوسيين إلي طرابلس وتوطنهم من قبل المصادفة والاتفاق فان هؤلاء أدركوا من زمن طويل ان الاوربيين سيستولون علي طرابلس الغرب بعد استيلائهم على الجزائر ومراكش فأرادوا أن يقفوا وراء ساحل طرابلس كالبنيان المرصوص ليدافعوا عن بيضة الاسلام عندما تطلق أوربا أساطيلها بسهولة على تلك السواحل) الخ

ان السيد محمد السنوسي مفخرة من مفاخر الاسلام ودرة من درر تاريخه الناصعة البياض وقائد عظيم من قادة الاصلاح الاجتماعي وما النهضة الوطنية بليبيا والجذوة الدينية المستعره فى أواسط أفريقيا الا نتيجه دعوته التى اعتنقت طواعيه وبدون اكراه فقد عمت جهوده الجبارة الكثير من أطراف المعمورة .

نذكر شيئا مما ساقه لنا الاستاذ سالم بن عامر فى كتاباته (السنوسيين فى برقة) عن المؤرخ التركي شاهندزاده احمد حامى حيث يقول (ان من يمعن النظر في عظمة المقصد وجلالته وفى قدرة الوسائط وفقدانها وجسامة المشكلات التى اقتحمها المؤسس وقاسها على الجمعيات الاوربية والشرقية لا يمكنه الا أن يقف موقف الدهشة أمام عظمة هذ الرجل وبعد غور دهائه) .

ويقول سالم أفندى بن عامر عند ما يصف الجمعية السنوسية (هي طريقة أسست على حكمة عملية واجتماعية وأن أسس هذه الجمعية السنوسية هو الاخوة والتعاون إلي أن يقول ان الجمعية السنوسية مع أنها طريقة مخصوصة فهي جمعية سياسية أفكارها ومقاصدها معلومة لدي خواص الاخوان والخلفاء والمشايخ والزعماء أما العوام فلا يعلمون عنها إلا النزر اليسير) لم يكن السيد محمد السنوسى معروفا بعمل خاص في حياة خاصة بل هو المصلح الكبير بكل ماتؤديه كلمة الاصلاح من معنى فهو الطبيب البارع للارواح المكلومة والمقوم الخبير للنفوس المعوجه والمرشد الحكيم للعقول والنبراس الوضاء للبصائر العمياء والمهندس المعمارى للاراضى الخربه جاء ليبث فكرته الاصلاحية العامة التى تتناول جميع

مرافق الحياة الاجتماعية والعلمية والاقتصادية من علم وعمل فهو حاكم يسوس الامور بكل دقة ونظام وراعى حريص علي ما يرعاه واقتصادى خبير يأمر بالعمل للاكتساب بطرق الزراعة والصناعة والتجارة وتنمية الحيوانات ويأمر بالابتعاد عن العيش بالطرق المهينة وغير المشرفة التى ربما الفها بعض الناس من سخيفى العقول فيركنون اليها مرتزقين من غيرهم متسولين علي أبواب الناس وكان يأمر بالاتحاد والتعاون والتاخى مهما تباينت الاجناس وتباعدت الديار وكان يطبق ما يقوله بصفة عملية وكان لا يعلل نفسه بالامال دون الاعمال ولا يسير وراء الخيال فهو حاكم عادل حكيم تنفذ أوامره بكل سرعة وطاعة كما يقول احمد باشا المنتصر من قصيدة طويلة :

ترى بمجلسه الاقطاب خاضعة وهم وقوف لتنفيذ الارادات

وكثيرا ما كان يدعو للجهاد ويأمر به ضد كل معتد علي حوزة الوطن والدين فقد نبه وحذر غير مرة من غزو النابلتان (الطليان) للديافقد قال ذات مرة للشيخ الكاسح أحد زعماء قبيلة العواقير (ماذا اعددت ياشيخ الكاسح للنابلتان إذا غزا بلادك ليأخذها؟) فقال له الشيخ الكاسح أعددت له جرابا من البارود وشيئا من الرصاص فقال له السيد اذا كنت وأنت شيخ القبيلة ولم يوجد عند إلا هذا المقدار القليل فماذا يوجد عند أفراد القبيلة ؟) واخبره السيد أن النابلتان آت للوطن لا محالة وسيصيبكم منهم أذى كبيرا وأن الله مع الصابرين ولاتركنوا الي الذين ظلموا فتمسكم النار) وكان السيد السنوسى يفهم ذلك لكل من جالسه من الاخوان ورؤساء الزوايا وشيوخ القبايل والاعيان ويأمرهم بان يحذروا من ذلك وأن يحتاطوا له وأن يأمروا معلمي الصبيان بالقاء درس فى هذا الشأن وكان يأمر رؤساء الزوايا باقتناء جميع أنواع السلاح ما استطاعوا إلي ذلك سبيلا ويحتفظون به في مخازن خاصة وقد جعل بالجغبوب مخزن خاص للسلاح والبارود ولعل القارىء يندهش عند ما يسمع هذه الحكاية التالية :

اطلعت على كتاب بعث به السيد المهدي إلى رئيس زاوية الطيلون السيد مصطفي المحجوب وفيه يقول السيد المهدي انى سمعت ان هناك ببعض المواقع ترابا خاصا يستخرج منه البارود فابحثوا عنه بسرعة وارسلوا لنا قسما بالجغبوب لفحصه فان صح انه هو التراب سنجلب منه كمية وافرة إلى آخر ما فى الكتاب وقد اطلعنى عليه السيد محمد

ابن مصطفى المحجوب فهل كان هناك بالجغبوب معملا كيماويا لاحضار البارود، ان الكثير من كبار الاخوان يؤكدون لنا ذلك ومنهم من قال انى رأيت بعينى راسى بارودا محضرا بالجغبوب ومنهم من قال وقفت بنفسى على صفة تحضيره .

ان السيد محمد السنوسى الذى خدم الاسلام والمسلمين والذى كان شعبه الليبى يرفع رأس العروبة عاليا يعجز المؤرخون والبحاثة عن إيفائه ما يستحقه فلقد جاء بالمعجزات في أمد قصير قل أن يوفق غيره للقيام بها ولا يمكن لأى عبقرى أن يأتى بمثل ما جاء به السنوسي وإذا وفق غيره للتفكير فلا يستطيع أن يخرج تفكيره إلى حيز العمل بينما نجد السيد السنوسى فكر فأراد فنفذ ففاز هذا مع عدم الاستقرار فى موضع واحد وكان ان عصره في هذه البلاد (ليبيا) من أعظم العصور الاسلامية ازدهارا وأخلدها ذكرا وأعمها نفعاً ، عصرا مليئا بالمفاخر والمعجزات ، ومن مبادئه ان لا يرى مستحيلا على العاملين إذا أخلصوا فى عملهم واتخذوا القرآن دستورهم وعرفوه بالمعنى الصحيح وكان لا يعرف اليأس مع الاعتداد بالنفس ولم تمنعه تلك الاعمال الجسيمه التي أداها عن التأليف والتصنيف الذى يحتاج إلي تفرغ فقد ألف كتبا كثيرة في مواضيع علمية مختلفة كانت من ثمرات عقله الناضج وهي تربو على الاربعين مؤلفا لم يطبع منها مع الاسف إلا القليل ولنأتي بأسماء بعض تآليفه :

بغية المقاصد وإخلاص المراصد — طبع

السلسبيل المعين فى الطراق الاربعين — طبع

الدرر السنية في أخبار السلالة الادريسية — طبع

ايقاض الوسنان في العمل بالحديث والقرآن — طبع

شفاء الصدر — طبع

المنهل المعين الرائق معرفة الطرق وأصول الحقائق — لم يطبع

الشموس الشارقة فيما لنا من أسانيد المغاربة والمشارقة — لم يطبع

مفاتيح الايد فى مرويات أبى زيد — لم يطبع

رسالة جامعة من أفضال السنن وأقوالها (نظم) — لم يطبع

وكان السيد السنوسى ينظم الشعر الرقيق الجيد ولكنه لا يحفل به ولم يحفظ عنه

من ذلك إلا القليل النادر وكان يشجع غيره على هذا الفن ومن شعره الابيات الآتية :

الا إنما الدنيا غضارة أيكة ... اذا اخضر منها جانب جف جانب
هي الدار ما الامال إلا فجائع ... علينا ولا اللذات إلا العطايب
وما لذة الاولاد والمال والمنى ... لدنيا ولا الاموال إلا المصائب
فلا تكتحل عيناك يوما بعبرة ... على ذاهب منها فانك ذاهب

وله أيضا :

هب اني علمت الكيماء ونلتها ... وأتقنتها صبغاً وأتقنتها صنعاً
ولخصت تيسير الكواكب كلها ... ببحثي وتدقيقي ونلت بها مسعي
وملكت أموال البرايا بأسرها ... وجالت يدى من أصفهان إلي صنعا
أليس مصيرى بعد ذلك كله ... إلى تحت هذا الترب فى حالة شنعى
فقل للذي يمسى ويصبح همه ... بغير رضا الرحمن ياخيبة المسعى

لقد كتب الكثير عن السيد محمد السنوسي من المؤرخين والادباء والكتاب والبحاثة من الشرقيين والغربيين ولا زالت أقلامهم تسجل عنه كما لا زال تاريخه وسيرته تشغل الساسة المفكرين الشاغل : كتب عنه الكثير كتابات شيقة من ذلك، منها ما نشر بالصحف اليومية والاسبوعية ومن ذلك ما هو بكتب خاصة وبعدة لغات ومن ذلك ما هو باق تحت القيد والبحث وتتميما للفائدة نأتي ببعض ما جاء فى حاضر العالم الاسلامى تأليف البحاثة الكبير لوثورب ستودارد الامريكي وقد علق عليه الامير شكيب أرسلان : جاء فى هذا الكتاب من الجزء الاول صحيفة ٢٩٢ ما يلى (إذا كان للجامعة الاسلامية أساس قامت عليهما هما الطرق الدينية الحديثة النظام كالطريقة السنوسية الخ وجاء فيه (أهم الطرق الحديثة هي الطريقة السنوسية بلى مشاحنة تلك التى أنشاها محمد بن علي السنوسى ، ولد محمد فى محل بالقرب من مستغانم حوالي سنة ١٨٠٠ «١» في بيت عريق فى المجد الاسلامي والشرف العربي وحسبه شرف أنه منحدر من السلالة النبوية الطاهرة وقد عرف السيد محمد منذ حداثته بشغفه بالعلم وسلوكه مسلك التقوى فدرس العلوم الدينية فى جامع فاس (جامع القرويين) الذى هو في العالم الاسلامى ثانى الازهر ثم أخذ يسيح

(١) خطأ من تاريخ الميلاد .

في أقطار شمال أفريقيا داعيا الناس إلى الاصلاح الديني وبعد ذلك حج بيت الله الحرام في مكة المكرمة حتي قضي مدة يأخذ عن الاساتذة الوهابيين فزاد بذلك علمه فاتقدت روح الاصلاح فيه فلم يزايل مكة حتى وضع خطته ورسم طريقته للاصلاح الذى نواه واستعان الله عليه ثم عاد إلى شمال أفريقيا سنة ١٨٤٣ م فأقام بطرابلس الغرب وابتنا له زاوية علي جبل بالقرب من (درنا) عرفت بالزاوية البيضاء ، ولقد كان السيد محمد رجلا شديد الهيبة بعيد الهمة عظيم الاقتدار على التنظيم والاصلاح فقصده الناس أفواجا من كل صقع من الاصقاع الافريقية الشمالية بيد أنه لم يمض غير اليسير من الزمن حتى كامت الحكومه التركية فى طرابلس تخشى أمره وتقوم وتقعد لشأنه فسارت العلاقات والشئون بينه وبينها فنقل مقامه إلى واحة جغبوب الواقعة للجنوب من صحراء (ليبيا) وجعله مقر هناك ولما توفى سنة ١٨٥٩ كانت الطريقة الذى أنشأها قد انتشرت انتشارا عاما في معظم الرقعة الافريقية الشمالية الخ : وجاء فى الكتاب أن السنوسيين هم أشد أعداء للاوربيين من جميع طرق الدراويش وقاعدتهم جهاد الكفار وجمع كلة المسلمين أجمعين على العدو العام وكان مع هذا مؤسس هذه الطريقة السنوسية سيدى محمد بن على السنوسي مستقلا فى رأيه غير مقيد بمذهب إلى أن يقول وقرأ العلوم بفاس وحج بيت مكة سنة ١٨٢٩م وفى أثناء طريقه تلقي أجازات كثيرة ودخل في عدة طرق وأعاد إلى المغرب وأقرأ فى الاغوات وسنة ١٨٣٩م عاد إلى الشرق وأخذ يقرأ في الازهر الخ ويقول أيضا أسس طريقة جديدة وذهب إلي أفريقيا وجال فى برقة وبنى الزاوية البيضاء أول زاوية له (فى برقة فقط) وكثر أتباعه في واحة الفرافرة وفي القطر الطرابلسى وفى التوات بالجزائر وفى السودان حيث له عشرون زاوية ثم في سنة ١٨٥٥ أسس مركز طريقته فى الجغبوب وهي (سوفا) القديمة علي مسافة ثلاثة أيام من سيوة وصارت أعظم مدرسة لمبشرى الاسلام فى أواسط أفريقيا الخ ثم يقول فالسنوسية نشروا طريقتهم فى واداى والباقرمي والبوركو وتبو نهر بنوي إلى ان بلغوا النيجر الادني حيث نجدهم يهدون تلك القبائل للاسلام وبواسطة السنوسية صارت نواحى بحيرة شاد هى مركز الاسلام العام في أواسط أفريقيا ويقوم عدد مريدى الطريقة السنوسية بأربع ملايين وطريقة هؤلاء الجماعة فى التبشير هى أن يشتروا الارقاء صغارا من السودان ثم يربونهم فى الجغبوب وغدامس

غيرها ثم متي بلغوا أشدهم وأكملوا تحصيل العلم أعتقوهم وسرحوهم إلى أطراف السودان يهدون أبناء جلدتهم الباقين على الفتيشية وهكذا يرحل كل سنة مئات من مبشرى السنوسية لبث دعاية الاسلام فى جميع أفريقيا الداخليه من سواحل الصومال شرقا الي ساحل السينغامبية غربا الخ . وللامير ارسلان الايضاح التالي نذكره تتميما للفايدة : جاء فى صحيفه ١٤٠ الجزء الثانى من حاضر العالم الاسلامى (أما السنوسية فهى طريقة عمل بالسنة والشريعة بدون شرط ولا قصور مؤسسها سيدى محمدبن علي السنوسى الخطابي من عيون أعيان القرن الثالث عشر للهجرة أصله من الجزاير من قبيلة بني مجاهر من جهات مستغانم ، جده سيدى عبد الله بن خطاب المجاهرى واطلعت لهم على نسب ينتهى الي على بن ابى طالب وفاطمة الزهراءرضي الله عنهما ويقال أن عدد ابناء هذا الحى يبلغ سبعين ألف نسمة وانه ينتمى اليهم وينضوى حولهم نحو مايتين الفا اكثرهم فى عمالة وهران بجوار نهر شلف الي أن يقول والذى اعلمه أن الحكومة الفرنسية في الغرب لا تسمح بنشر الطريقة السنوسية التى تعدها خطراً عظيما على الاستعمار وانها تسمح لسائر الطرق مع المراقبة اللازمه لها لكنها لا تقبل صرفا ولا عدلا من جهة السنوسية التى تعلم من قوتها العملية ما تعلم : أما سيدى محمد بن على السنوسى فقد كان عالما كبيراً مجتهدا خرج من الجزاير عندما احتلها الفرنسيون وطاف البلدان وحج البيت الحرام ولقي كبار الأشياخ من جملتهم والد الادريسى القائم بعسير ويلحظ أنه رأى القطر الطرابلسى أكثر استعدادا من غيره فى قبول دعوته فابتدأ بتأسيس طريقته فى طرابلس الي أن يقول : وقد وفق الاستاذ السنوسي الاعظم الي نشر طريقته فى اكثر بقاع طرابلس وبرقة ولا سيما برقة فان أهلها من الحواضر وقبائلها من البادية باجمعهم سنوسية مجاهدون وفى كل بلدة زاويه واذا تعددت اتخاذ القبيلة فلكل فخذ منها زاوية وكذلك زوايا السنوسي ممتدة الى مصر فلهم زوايا عظيمة فى سيوة والواحات والدواخل الى الفيوم وزواياهم متسلسة مطردة من بنغازى الي الاسكندرية وعندهم نحو اثنتى عشر زاوية فى نفس الحجاز ولها تبع كثيرون من قبايل حرب وغيرها وزوايا كثيرة فى السودان وانما شهر زواياهم زاوية الجغبوب على مسافة يومين أو ثلاث من الحدود المصرية الي المغرب وهى بلدة تامة فى عظمتها

واتساعها وعدد سكانها وكانت جغبوب واحة مالحة يأوى اليها الدعار واللصوص ولا تجسر القوافل التي تمر بها من جراء العيث فى انحائها فلما اختارها سيدى محمد بن علي السنوسى مقرا له وبنى بها زاويته الكبرى صارت مهد أمان ومركز عبادة ومشرق أنوار وعلم وهداية ففرس بها الأشجار ونسق الجنان واستنبط العيون وتوسع فى البناء وأسس مدرسة لتخريج مريدى الطريقة ، اجلس للتدريس فيها جلة العلماء وكان مركزه باديء ذى بدء فى الزاوية البيضاء من الجيل الأخضر)

عندما شرف مصر المواطن الكريم والمجاهد العظيم بشير بك السعداوى مستشار جلالة الملك السعودي فى معيته قصدت اليه بفندق الكنتنتال لزيارته وادى بنا البحث الي أن أخبرته عن عزمى على طبع كتابي (برقة العربية) وتناول بحثنا الكتابة عن السيد السنوسى فقال لى البشير بك حفظه الله (مهما اوتى المؤرخون والكتاب والشعراء من قوة فى البيان وابداع فى البلاغة وهم يتناولون الحقائق عن سيرة السيد السنوسي وأهدافه السامية التي يرمى اليها وقد حقق جزء منها فلا يستطيعون ايفاء المقام حقه ولن يصلوا الى معرفة هذا المصلح الاسلامى العظيم كما ينبغي وكلما توالت الايام والسنون فهى تثبت لنا عظمة السنوسي ونبل مقاصده السامية التي تصلح من شأن المسلمين) .

سر النجاح

قام الكثير من دعاة الاصلاح فى مختلف الازمنة والامكنة لتنفيذ ما فكروا فيه من برامج الاصلاح وبث الفكرة التى اختمرت فى رءوسهم فمنهم من ناضل فى سبيل ذلك بقلمه أو لسانه أو ماله أو سيفه أو جاهه أو باشياء من ذلك أوبجميعها واذا وفق أحد هؤلاء المجاهدين في ناحية نراه يخفق فى نواح أخرى ثم ماتلبث أن تموت فكرته وتفشل مشاريعه بمجرد موته أما السيد محمد السنوسى الذى لم تكن فكرته الا لاحياء ماتعطل من أحكام الدين وتجديد ما انطمس من معالم المسلمين واظهار ماتوارى من محاسن العلم الاسلامي قد وفق فى جميع النواحى وطبق البرامج التي وضعها لخطته وان كان قد توفاه الله قبل اكمال ماأراده الا أنه لم يخفق بالرغم مما لقيه أثناء جهاده من المتاعب فلم تمت مبادئه بموته بل أخذت تنمو وتترعرع مع مانراه من البون الشاسع بين زمنه والزمن الذى نحن فيه .

اذا جئنا أن نقارن بين جهاده وجهاد من جاراه من المجاهدين سواء في ذلك من سبقه أوعاصره أوجاء بعده نجد الفوارق بين تنفيذه لفكرته وتنفيذ فكرة اولئك المفكرين العاملين ظاهره وانه لقى من النجاح بقدر مالقيه اولئك من الفشل فى حين أننا لا نقلل من شأن عملهم وجهادهم ولا نقول انهم كانوا مخطئين في تفكيرهم وجهادهم ولكن الخطأ — ان صح تعبيرنا هذا، ربما يكون فى طرق التنفيذ هذا اذا لم تكن هناك فوارق بين شخصية السيد السنوسى وشخصيات اضرابه من المفكرين العاملين ولسنا فى موقف النقد والتحليل لاننا نعجز عن ذلك ولكننا ونحن نكتب عن السيد السنوسى يحق لنا أن نقول كلمة حق وهى انه من خيرة المفكرين العاملين المصلحين فقد قام والتاريخ يشهد ليظهر الدين الاسلامى بين من لا يعرفونه متلألآ وضاحا فتوفق فى نشره بين القبايل الباقية عن الفتيشيه باطراف السودان وهذب به نفوس من كانوا لا يعرفون عن جوهره شيئا وان كانوا قد اعتنقوه اسميا .

سن برنامجه على ضوء سيره السلف الصالح بنور العقل والادراك ورأى من الضرورى

لاصلاح المجتمع أن تتسلح الامه قبل كل شيء بالعقائد الاسلامية وتتدرع بالمبادىء الدينية فامر أن يكبح كل فرد من افراد الامه جماح نفسه عن الشهوات ويصدها عن ارتكاب المخازى وأخذ يأمر بالاتحاد والتعاون والتعارف وربط أواصر الاخوة الاسلامية التى لاتفرق بين جنس وآخر ولاتعرف وطنا خاصا ولا تنظر للحواجز الاقليمية وبذلك أصبحت أمته في حصانة دينية ومناعة اسلامية لا تجرؤ على مهاجمتها جحافل الضلالة ، حارب الجهل والكسل ففاز واجتثت جذور التفرق والاختلاف فانتصر وهكذا أخذ يعمل لتحقيق برامجه الجبارة بالتربية الدينية وبث الثقافة الاسلامية ولو لم يكن السيد السنوسي كامل الخلق مهذب النفس عفيف اليد نزيه الساحة يضم بين برديه نبلا وكمالا لما توفق ، وبدهي أن الامير لا تنفذ أوامره طواعية خصوصا وإن كانت حديثة على النفس إلا إذا كان يأتمر بها وعادة النفس أنها نزاعة إلي الهوى ميالة إلى ما تمنع عنه فالسيد السنوسي لا يأمر بأمر الاوقد نفذه علي نفسه وأحب الناس إليه وأقربهم منه ، قام بعبادة الله قبل أن يأمر بها غيره وتعلم قبل أن يأمر الناس بالعلم واجتنب النواهي واتبع الأوامر الشرعية قبل أن يدعو لها وترفع عن التواكل والطمع قبل أن يأمر بالترفع عنهما وعمل للصالح العام والحياة الخاصة الضروريه بحواسه وجوارحه قبل أن يأمر قومه بالعمل وتحلى بالاخلاق السامية والعلم والحلم فكان رزيناً عاقلا حكيما عفيفاً سمحا كريما قبل أن يأمر الناس بذلك وحارب الكبر والغلظة والغطرسة والاستبداد قبل أن يدعو لمحاربة ذلك وما من فضيلة إلا وقد حث عليها وما من رذيلة إلا وقد حذر منها فكان قدوة يقتدى بها ومثالا يحتذى به فتفتحت الافئدة لقبول مبادئه وانشرحت الصدور لقبول دعوته وهذا سر نجاح السيد السنوسى ، إنما لفي زمن يرى فيه القاضى يحكم بالقسوة على من ثبت إدانته بالرشوة فى حين أن جيوبه قد ملئت بالرشوة ويداه مبسوطتان لاخذ ما يعطاه ونرى الحاكم ينفذ حكمه كما ينص بذلك القانون على من هتك حرمة امرأة وينسى أن دور البغاء قد فتحت علانيه بموجب ترخيصات ونرى كثيرا أن المسؤلين يعيشون فى ترف من العيش وسعة ويعملون جهدهم لازدياد ثروتهم بكل الطرق حتى إذا ما رأوا فرداً من الجمهور باع أو ابتاع شيئا محظورا ليكسب من ورائه ما يسد به رمقه عاملوه بكل قسوة فى غير شفقة ولا رحمة وفى ذلك ما فيه من التشجيع للاقدام على

النواهي ثم اننا نرى بعض العلماء يشرحون عن فضيلة الكرم والجود والتعاون ولكن إذا قيل لاحدهم تكرم علي من يستحق بشيء مما آتاك الله نرى وجهه مسودا وهو كظيم يتواري من القوم كي لا يمد يده لاعطاء القليل ، هذه الامثال القليلة وغيرها من الكثير هو سر الفشل والاخفاق إذ لا يحق لاحد أن يأمر بشيء ولا يأتي به وينهى عن شيء وهو من العاملين به وفى ذلك يقول الشاعر :

وانك اذ ماتأتى ماانت آمر به تلفي من اياه تأمر آتيا

أما السيد السنوسي فكان سر نجاحه اجتناب كل النواهي والعمل بكل الاوامر الشرعية وبذلك حق له أن يأمر وينهى فيطاع ويمتثل ، قرأ القرآن الحكيم وتدبره فاستنبط منه برامج عمله وتعلم علوم الدين فاستمد منها قوة جهاده وتثقف ثقافة اسلامية عالية فاستخلص منها التفكير السليم .

كان من رأيه رحمه الله توحيد المذاهب علي ما ظهر لنا لانه يعتقد أن المصلحة العامة فى إزالة الفروق المذهبية لتخلص الامة من الخلافات ومحنة التفرق فانهما مؤديان إلى العصبية لان الامة وحدها الدين وكان من أعماله دراسة القرآن دراسة متينه لاخذ الثمرة التي أراد الله أن يأخذها البشر من جوهره المكنون فيعيد المسلمون مجدهم الذى كان فى صدر الاسلام .

كان السيد السنوسى من القوامين الذين جدوا لمعرفة الدين ففهمه بالروح ووصل إلي معرفته بالعقل وتذوق حلاوته فسار علي منهاجه القويم الذى اختطه الشارع العظيم وهذا سر النجاح ، كان يحب لكل فرد من أفراد الامة ما يحبه لنفسه ويكره له ما يكره هو ، وفى كل ذلك يسدى نصائحه الغالية وآرائه السديدة وحكمه البالغة وكان ينظر إلى جوهر الامور لا إلى عرضها يعمل جهد المستطاع لرفع الفرد والجماعة من الحضيض إلى شوامخ المجد والكرامة وهذا أيضا سر من أسرار نجاحه .

كان يحبب للانسان أن يعيش من عمل يده وعرق جبينه ليغرس في نفسه حب التعفف فمما رواه عنه كبار الاخوان انه كان يقول : (الذهب فى الارض فغوصوا لاستخراجه بالمحراث) ومعني ذلك أنه يحبب الزراعة ، وقيل عنه أنه كان يقول : (الدرر فى غرس الشجر أو تحت ورق الشجر) ويقول اليد العليا خير من اليد السفلى والاستقامة كنز

لا يبلى والعفة حسب دائم ويقول أيضا من مديده متسولا قصر لسانه ،

هـذا قليل من كثير نعجز عن حصره فما من ناحية من نواح السيد السنوسى الا وكانت سر نجاحه وهى كفيلة بالنجاح لكل من قلدها واتخذ هذه الفضائل دستور عمله الخاص والعام فلو لم يشيد السيد السنوسي صرح مبادئه على هذه الاسس الصحيحة من الدين والعلم والتقاليد والاخلاق والمقومات لانهار ذلك الصرح ولعجز عن رفعه من جديد ، أما وقد كان الاساس متينا فقد ترك لنا مجدا يناطح السماء علوا .

ان هذا التراث الذى أوجده السيد السنوسى وخلفه من بعده لم يتركه لاهل برقة فقط ولكنه تراثا أبقاه لجميع العرب والمسلمين وتولي رعايتـه من بعـده خليفته السيد المهدى فأخذ يحافظ عليه بحكمته وسداد رأيه بالرغم من العراقيل الجمة التى كانت تصادفه فقد كانت أوروبا تضغط على الخلافة العثمانية لانها ترى في هذا المبدأ خطراً محدقا بها فراحت تضغط على السلطان بكلمات معسولة في شكليات ما هى إلا نكليات ثم حدثت بعد ذلك أحداث إقليمية وعالميـة كالحرب السنوسيه الفرنسية والحرب السنوسية الايطالية والحرب العالمية الاولى كل هذه الاسباب المتتابعة غيرت العمل من حال إلي حال ولكن الروح التى أوجدها السيد السنوسى لا تزال فتية قوية وحاملوا هذه الروح يستمدون القوة من الذكريات والآثار الخالدة التى تدعوهم الى الطموح لاعادة ما كانوا عليـه في الامس القريب .

ان مبـدأ السيد السنوسى من المبادىء المقومة لحياة المجتمع فى كل زمان ومكان وقد كان نجاحه نتيجه اجتهاده وكلنا نعلم أن لا نجاح لنا فى عمل من أعمالنا الا اذا رجعنا للقرآن وأخذنا بعلوم الدين لنقوم أنفسنا بالحكمة والصواب طبقا لبرامج هـذا المصلح الاسلامى العظيم .

الجغبوب

اصبح لزاما علينا أن نأتى بنبذة ولو يسيرة عن الجغبوب الذى تردداسمه كثيرا فى هـذا الـكتاب ولاهميته بين البـلاد التى ذكرناها ولمركزه الجامعى وان كان الجغبوب لا يحتاج إلى تقديم وتعريف فكل من عرف عن السيد محمد السنوسى عرف عن الجغبوب:

الجغبوب أو وادى الجغابيب واحة تقع غرب باردیه وتبعد عنه تقريبا ٢٣٩ ك . م كما تبعد عن سيوه تقريبا ثلاثة أيام على سير القافلة وكانت واحة الجغبوب كما يسميها العرب (سبخه) أو (حطية) بها مستنقعات من الماء الشديدالمراره ممزوجة بنوع من الملوحة يستخرج منه ملح الطعام وليس بها مرعى إذا استثنينا بعض النباتات والاشواك التي تنبت عادة بالسبخ والحطايا وبها قليل من النخل غير منظم فى زراعته وتحيط بالجغبوب الصحراء من جهاته الاربع كما تحيط به تلال من الرمال وهضبات صخرية (قور) فيكون الجغبوب بطبيعته منخفضا وهو بمثابة مخبأ حصين للصوص العائثين الذين يشنون الغارة حينا بعد اخر من بادية برقة على بادية مصر وبالعكس فالذى يصل من اوليك العائثين قبل ان يدركه أحد بالطريق يكون فى مأمن ولايخاف لمناعته الطبيعية ويستطيع الـكامنون فيه محاربة أكبر عدد ممكن وان كانوا هم الأقلية ويكثر فى هذه الواحة البعوض لـكثرة المستنقعات فمر السيد محمد السنوسى بهذه الواحة فى احدي رحلاته من الحجاز الى المغرب وهى الثانية فدرس عن هذه الواحة وعرف ما يجري فيها ويحصل فوقع اختياره على أن تكون في يوم من الايام بمساعيه وجهوده مركزا دينيا اسلاميا بعد ما كانت ملجئا للصوص ومخبئا للفساد ولـكنه لم يظهر هذه النيه لمن حوله ولما وصل سيادته الى برقة وابتنا له بها عدة زوايا باشر فى تعمير الآبار (الصهاريج) الواقعة فى طريق الجغبوب وكانت خربة فاصلحها لتحتفظ بما يصلها من ماء المطر تمهيدا لعمله المقبل — ولماوصل إلى زاوية العزيات كما سبق ذكر ذلك ارسل وفدا من الاخوان تحت رآسة السيد عمران ابن بركه وكان هذا الوفد لا يقل عن عشرين شخصا من خيره الاخوان كرواد وحدد لهم الجهات

التى يجب ان يقفوا عليها ويأتوه بتقارير ضافية عنها سيما حطية الجغبوب فجاسوا خلال الصحراء كما أمرهم ونقبوها تنقيبا واسعا حسب التعاليم المعطاة لهم وهناك بالجغبوب انتهى بهم المطاف فأصيبوا جميعا بمرض الحمى الامر الذى اخرهم عن العودة فى الميعاد المضروب ثم وصلوا بتقاريرهم وبحوثهم واسماء المواقع التي وقفوا عليها ومن بينها الجغبوب فوقع اختياره عليه وأرسل العدة الكافية من المؤن والادوات والبنائين وعددا كبيرا من الابل لتنقل المياه من الابار التي سبقت خدمتها فكانت قوافل الماء تصدر على وجه التقريب يوميا من بئر حكيم وغيره لتوصيل الماء الى الجغبوب فهذه القافلة ذاهبة والاخرى راجعة وكانت الاخبار عن سير العمل تصل متوالية الى العزيات حيث السيد محمد السنوسى وقد امر سيادته السيد على بن عبد المولى فى تخطيط الجغبوب حسب الخارطة التي رسمها السيد السنوسى نفسه وكان عدد العمال يتجاوز عدة مئات ومن بينهم طائفة من الاجلة الاخوان يتولون العمل بأنفسهم وفي أوقات الفراغ يتولون القاء الدروس علي العمال والطلبة الذين لم يستكملوا تعليمهم ثم لحق سيادته بالجغبوب للاشراف علي سير العمل ويقال انه لما وصل هناك قدمت لسيادته بعض الخضرات التى زرعت أثناء العمل فسر سيادته لذلك وسجد لله شكرا . وكانت المواصلات بين زوايا برقة والجغبوب مستمرة أثناء العمل و يصل تقريبا يوميا الي الجغبوب اناس من جهات مختلفة ومن بين ماتم بسرعة مساكن السيد نفسه ومساكن الاخوان ومساكن للعمال والطلبة كما شيد بالجغبوب مسجد عظيم يعد ولا مبالغة فى طليعة المساجد الاسلامية الحديثة ومخابز من بينها مخبز كبير (فرن) يكفي لحاجة جميع السكان فى تحضير الخبز واستنبطت عيون الماء واصلح اكثرها فخدمت خدمة فنية بالمعدات التى احضرت خصيصا كما خدمت به عدة صهاريج لحفظ مياه الامطار وتخزن بها المياه التي ترد اثناء العمل من غير الجغبوب واحضرت به عدة محال لتحضير الخير (كوشة جير) واوجدت به معاصر للزيت فتجلب حبوب الزيتون من سيوه ومن زاوية السنوسية المعروفة باسم الزيتون وهناك يعصر ونسقت به الجنان واحضرت به محلات خاصة لصناعة الاحذية وما يستخرج من الجلود وللنجارة وللحدادة ولتجليد الكتب ومحلات لتصليح الاسلحة وبه عدة طواحين تدار بعضها بالحيوانات وهناك طاحونتان كبيرتان تداران بالريح وتعرف عند اهل الجغبوب باسم (طاحونات

الريح) واحضرت به مخازن للتموين تحفظ بها الحبوب واصناف البضائع التى ترد من أسواق برقة ومصروم من الزوايا ، ومن مفاخر الجغبوب تلك المكتبة العظيمة التي نظمها السيد السنوسي بنفسه مستعينا بكبار العلماء فجلب لها افخر الكتب القديمة والحديثة من الحجاز ومصر وتونس والشام وتضم هذة المكتبة قسما كبيرا من المخطوطات القديمة وقد اخبر العلامة الاديب الشيخ آدم الفزاني قال وقفت علي رق قديم كتب عليه هذان البيتان بتاريخ لايقل عن سبعمائة سنة واليك ما كتب بذلك الرق :

إذا ما صب فى القنديل ماء بلا زيت فقد تعب المقندل
إذ البرطيل يصلح كل شيء فبرطل ثم برطل ثم برطل

وخصص محل يردوه الطلبه وبعض الاخوان للنسخ فيكتبون الكتب التي يجب أن تكتب حسب الامر فلاهم لهذا القسم من الاخوان والطلبه الا النسخ والتدوين وجلس كبار العلماء للتدريس بمعهد الجغبوب حيث تدرس جميع أنواع العلوم فلا ينحصر التعليم على حفظ القرآن (وهذا شرط أساسى) وبعض العلوم الدينيه والعربيه كما هو الحال فى كثير من المعاهد وقتذاك وحتي الآن بل أن التعليم قطع بالجغبوب شوطا بعيدا وسار خطوات واسعة فتناول أهم العلوم العقلية والنقلية وكان يجلس للتدريس فطاحل العلماء الاعلام تحت أشراف السيد السنوسي نفسه الذى يضع برنامج التعليم ويقرها فتخرج من هذا المعهد العدد الكبير بقسط وافر من العلوم كما هو الحال فى أرقي الجامعات فمنهم العلماء والشعراء والكتاب والمصنفون وفى سنة واحدة تخرج من المدرسة القرانيه ثمانون طالباً يحفظون القرآن من قبيلة واحدة هى قبيلة حسين البراعصة وكان افراد هذه القبيله يجتهدون فى التعليم حتى أنهم يعرفوا بين بقية القبايل بهذا الاسم (قبيلة الطلبة) والي جانب هذا التعليم كان العمل ، فهناك الاوقات مقسمة منها ماهو خاص بالتعليم ومنها ما هو خاص بالعمل ويوم الجمعه فقط للراحة فكل طالب يقوم بأداء عمل أسند له فلا يشغله عنه شاغل ويستوى فى ذلك العظيم والحقير والغنى والفقير اذ الكل سواسيه في هذا الميدان النافع وليس هناك نظام الطبقات والتفاضل بين أناس فهم اخوة في السراء والضراء.

أما نظام المؤنه فهو كما يلى لكل طالب يتعلم العلم أو القرآن وجميع المهاجرين الي الجغبوب ويقال عنهم (المجاورين) الحق فى أخذ رغيف يوميا من الخزينة السنوسية

هذا في النهار ، وان الاغنياء من المجاورين وأبناء الاغنياء من الطلبة فبقيه مصارفهم على أنفسهم وأما المجاورين الفقراء والعمال والطلبة الذين لاأولياء لهم أو فقراء فلهم صباح كل يوم فطورا يتالف من التمر والكشك (اللبن المعقم) علي الطريقة البدويه أومن التمر والزيت أو من الزميته (البسيسه) ولهم فى نصف النهار غذاء سخن كما يقولون عنه وهو خبز مفتوت في شربة من العدس أو الفول أو الحساء وفى الليل لهم مثل ذلك مع الشاى الذى لايستعمل الا ليلا لانه يساعد على السهر للمطالعه أو التلاوة أو العمل وفي كل يوم جمعه يقدم لهم اللحم : ويتألف كساء أو لثك من قميصين فى السنة وحذاء ومعرقتين (طاقيه) وعن كل سنتين جبة من الصوف وسروالين عن كل سنة وهناك تبرعات من الأغنياء والزوار وآباء الطلبة الاغنياء تقدم تقريبا كل شهر فتجمع هذه التبرعات وتعمل بها حفلات للطلبه والعمال والمجاورين يقولون عنها (الزرده) عدا الهديا التى ترسل من كل حدب وصوب وليس علي الطالب أن يستجلب كتبا فباب المكتبه مفتوح أمامه ، وترفع التقارير قبل شهر رمضان من كل سنة الى السيد السنوسى اوالي السيد المهدي من بعده عن سير نظام التعليم ويبلغ السيد باسماء الطلبه الذين تخرجوا من المدرسة القرآنية بعد حفظ القران وعن الذين أتموا تحصيلهم من المعهد العلمي وعادة لا يتخرج التلميذ من المدرسة القرآنية الا وهو يحفظ الي جانب القرآن على الاقل متن الاجرميه ومتن ابن عاشر وهناك بعض الطلبه الممتازين يحفظون الى جانب ذلك متن الرساله والرحبيه والفية ابن مالك مع القرآن قبل أن ينخرطوا فى المعهد العلمى فلا يكون التلميذ مبتدئا الا وهو يحفظ الكثير من المتون الفقيه والنحو به .

المعهد الجغبوبى والمدرسون به

من أبرز المدرسين الذين جلسوا للتدريس بالمعهد في عهد السيد السنوسى السيد عمران بن بركه الفيتورى — السيد احمد الريفي ، السيد فالح الظاهرى ـ السيد احمد التواتى ـ السيد عبد الرحيم المغبوب — السيد أبو سيف مقرب — السيد محمد بن الشفيع — السيد محمد الشنقيطى — وكثيرون غيرهم لا تعى الذاكرة أسماءهم ولا يتسع الكتاب لذكرهم ومتى وصل أحد من رءساء الزوايا الى الجغبوب يؤمر بالقاء الدروس فقد جلس منهم السيد حسين الغريانى — السيد عمر الاشهب — السيد محمد السكورى — وغيرهم وكان يشرف عل ذلك السيد محمد السنوسى نفسه ويتولى التدريس للطبقة العليا من العلماء وقد ادرك هؤلاء المدرسون عهد السيد المهدى وانتظم اليهم عدد آخر من تلاميذهم مثل السيد محمد بن احمد التواتى — السيد احمد الشنقيطى — السيد احمد العيساوى — السيد احمد بن ادريس الاشهب ، السيد على المحجوب ، السيد سليمان الحوني — السيد المختار الغدامسي — السيد محمد العيساوي — السيد آدم الفزانى — السيد صالح الساعدي — السيد محمد السنى — وكان يشرف علي سير التعليم السيد محمد الشريف ، ويتولي بنفسه التدريس على الطبقه العليا من العلماء وقد تخرج عن هذا المعهد مآت العلماء الاعلام وعشرات الآلاف ممن حفظوا القرآن وقطعوا شوطا بعيدا في مبادىء التعليم الديني وكانت العلوم التى تدرس بعد حفظ القرآن الذي هو الشرط الاساسي أصول الفقه والفقه ـ الحديث والتفسير ـ والمنطق والتاريخ والبيان والمعاني والمصطلح والتوحيد والبديع وعلم الفلك والادب والوضع والمناظرة وآداب البحث والتصوف والنحو والصرف ـ العروض والقافيه والى جانب هذه العلوم هناك علوم أخرى لا يقل الاعتناء بها عن سابقتها وهى العلوم الصناعيه مثل النقش والتطريز والخرازة والنجارة ونسيج الحصر والبناء والزراعة والحدادة كل هذه العلوم تدرس وتطبق ثم الخياطة أما معلموا القرآن فهم كثيرون وأبرزهم العلامة السيد محمد المدنى التلمسانى ، والسيد محمد الزروالى المغربى والسيد العربي القاسمى ، والسيد محمد زويله الفزانى ، وكانت رياسه العمل فى شخص السيد على عبد المولى وهو رئيس زاوية الجغبوب وله حق الاشراف العام على

كل صغيرة وكبيرة وعن طريقه تصدر الاوامر بالجغبوب وتصرف نفقات الطلبه والعمال والمجاورين والزوار ولكل قسم من هذه الاعمال أو الهيئات رئيس مسؤل تحت اشراف السيد على المذكور ، وكان ازدهار الجغبوب في ذلك العصر الذهبي عصر السيد محمد السنوسي وان كان قصر ، وعصر السيد محمد المهدى لمن أبلج العصور نورا وصار ينمو ويترعرع من سنة ١٢٧٣ الى سنة ١٣١٢ هحيث انتقل السيد المهدى وحول محل اقامته الى عاصمته الثانية الكفرة فأخذ التعليم ينقص بسبب هذا التحول وما نتج عنه من عدم اقبال الطلاب كما كان الحال .

وكان هناك بالجغبوب فى عهد السيد محمد المهدي مجلس يضم كبار الاخوان من بين أعضائه السيد عمران بن بركة ، السيد محمد بن حسن البسكرى ، السيد على عبد المولى ، السيد أبوسيف مقرب السيد محمد المدنى ، السيد فالح الظاهرى ، يرأسهم السيد محمد الشريف السنوسي وفى حالة غيابه يرأسهم السيد علي عبد المولي وهؤلاء يتولون اصدار الاوامر الى رءساء الزوايا ، وكان توقيعهم هكذا (الاخوان) ان لم يصدر الامر من السيد المهدي نفسه أما اذا كانت الاوامر تصدر الى الخارج فلا يصح أن يوقع عليها الاالسيد المهدى نفسه .

ولما انتقل السيد المهدى كما قلنا وصحبه فى رحلته كبار الاخوان وكان رئيس الجغبوب السيد على عبدالمولي فو توفي فتعين بدلا عنه السيد محمد المدنى وفى سنة ١٩٢٦ احتلت ايطاليا الجغبوب فهدمت مابقى من معالم مجده وقوضت أركان عزه وبهذه المناسبة اذكر هذه الابيات من قصيدة شاعر الحقيقه الاديب السوداني صالح أفندى عبد القادر وقد انشدها بمناسبة احتلال ايطاليا للجغبوب :

لا مرحبا بك ايهذا العام عام به تتجدد الآلام
ماذا كتبت لمصر بعد الفصل في جغبوب ليلة زلزل الاهرام
فى ساعة نشر الوزير بيانه وتبجحت روما ودار الجام
(جغبوب) علك آخر المأسات عل عيون (صدقى) عن سواك تنام
على الحوادث عند فضلك تنتهى فيكف عن سوداتنا المستنام

الي أن قال :

فعليك يا جغبوب ألف تحية ... وعلي شهيدك رحمة وسلام
وعلى قداستك العفا قدداسها ... (اسماعيل) لا استحيا ولا استعصام
حرم على (اسماعيل) هانت ليت اسماعيل يدرى كم بكى الاسلام

وهنا اذكر بهذه المناسبة الابيات التالية من شعور مؤلف هذا الكتاب لا من شعره لانه لا يقول الشعر ! وهي من قصيدة قيلت سنة ١٩٣٥ لمناسبة ذكرى احتلاله:

ما الشعر الا شعور المرء يظهره ... الى الوجود لسان الحق اوزانا
انى تذكرت والدنيا مولية ... عهدا مجيدا واخوانا واخدانا
وكم تذكرت والاوهام تلعب بي ... عهدا به وادى الجغبوب مأوانا
كانه جنة بالحسن قد ملئت ... حوراً حسانا وولدانا وغلمانا
نار ونار من الذكرى مؤججة ... يا ساعة الذكر كم اذكيت نيرانا
(جغبوب) كنت لنا المأوى اذا نزلت ... بنا الشدائد فى الحالين ترعانا
وكنت مفخرة الاسلام فى زمن ... حتى رفعت له بالعز عمدانا
عهدى بذاك الحمي والشمل مجتمع ... وغادة الحي أهواها وتهوانا
والعز فى صعد والفخر فى مدد ... والعيش في رغد والدهر معوانا
حيث السعادة قد جرت ذوائبها ... تختال تيها بنا يا طيب ما كانا
وحيث كنا وكان الفخر همتنا ... والفضل شيمتنا والعلم مغزانا
وحيث كان هناك المجد اظهر من ... شمس الظهيرة فى الآفاق مزدانا
(بيض صنائعنا خضر مرابعنا ... سود وقائعنا) الأيام تخشانا
بانت سعاد وبان الحي أجمعه ... يا حيرة الحى ما للحي قد بانا
ما للاحبة قد شطت منازلهم ... وما لدهر الصفا ولى فاشقانا
قف بى على الطلل البالى لأندبه ... ولنبكى الرسم ان الدهر قد خانا
مرابع طالما حج الحجيج لها ... والدهر يمها شوقا وتحنانا
والعيس قد حنها الحادى فاطربها ... الى حمى حبه قد صار ايمانا
في ذمة الدما قد مر من زمن ... به لبست مروط الفخر ألوانا
سقيا لذاك الحمى شؤبوب وابله ... عفوا وجودا ورضوانا وغفرانا

الزوايا السنوسية والنظم المتبعة فيها

لا بد لنا لنا من ذكر بعض شيء عن الزوايا السنوسية ولهذا أقول :

كان السيد محمد السنوسي لما جاس خلال الديار مبتدئا برحلته الميمونة التي ظهر أثرها في العالم الاسلامي من بلاده سنة ١٩٣٨ فزار طرابلس وبرقة ، ومصر ، والشام والحجاز ونجد وتهامة واليمن وأخيرا انتهى به المطاف الى الجغبوب حيث توفاه الله سنة ١٢٧٦ فكانت جميع تنقلاته التي استغرقت ست وثلاثين سنة للصالح العام فدرس جميع النواحي درسا دقيقا وعرف الداء كما عرف الدواء فتحققت له الضرورة الماسة لوجود الزوايا في البقاع التي وطأتها قدماه الشريفتان عدا البلاد التي وصلتها دعوته الاصلاحية فاعتنقها فاوجد تلك الزوايا في كل صقع من الاصقاع التي عرفته وعرف عنها ولكنه وجه عنايته الخاصة الى (ليبيا) التي هي احوج بلاد الله لمثله وعلم انها احوج الناس الى التعليم وتقويم النفوس وان أهلها متعطشون الى الوعظ والارشاد بعد ان بحث ودرس الحالة وأراد أن يجعل لكل قبيلة من قبايل العرب زاوية بالقرب منها واذا تعددت بطون القبيلة فتتعدد الزوايا ليسهل على الجميع جلب أولادهم الى الكتاتيب القرآنية وتلقي بادىء العلوم الدينية وفض المنازعات والخصومات وتسوية المشاكل وليتصل الاهالي بالزاوية كل ما دعت الحالة ومن ثم اختار أن يكون لهذه الزوايا مركزا ترتبط به عموما وتصدر منه التعاليم والارشادات كما أراد أن يكون معهدا ينتسب اليه الطلاب المتخرجون من كتاتيب الزوايا ليدرسوا العلوم بأنواعها وشاء أن يكون هذا المركز المطلوب هو الجغبوب ويكون به المعهد فنفذ ما أراد بسرعة .

تقوم هذه الزوايا أو بعبارة أوضح (المراكز) السنوسية بمهمات كبيرة للغاية وعظيمة الفائدة منها اطعام الفقير وايواء عابر السبيل وحل المشاكل المعقدة بين الناس وفض الخصومات وارشاد الخلق الى الحق وتعليم الصغار كتاب الله ومبادىء علوم الدين وتهذيب النفوس وتقويم ما اعوج منها وبث مكارم الاخلاق ونشر الاداب الاسلامية ومعالجة الامراض الاجتماعية والاخلاقية وتحبيب التعاون والتعاضد بين جميع أفراد

الامة وتقوية الروابط الاسلامية هذه هى حقيقه الزوايا ولهذا الغرض السامي أسست فأدت رسالتها وقامت بما انيط بها خير قيام ولا يخلو منها محل من المحلات فى برقة فكانت في المدن الكبيرة الساحلية والصغيرة منها وكانت فى دواخل البلاد وأطرافها وكانت في انحاء الصحراء والواحات ولكل زاوية أهميتها الاقليمية ومركزها السياسى العظيم بحسب موقعها ولنذكر كيف كان ترتيب الزوايا وادارتها فنقول :

يتكون بناء الزاوية من بيت خاص لرئيسها وآخر للضيوف (مضيفه) وحجرات خاصة لنوم الفقراء وعابرى وسبيل وبيت خاص لخدم الزاوية وحجرات خاصة بالأولاد الذين يتعلمون القرآن وبيت خاص بمعلمهم ومسجد للصلاة ومخزن للتموين أو مخازن واصطبل وبستان لزراعة الخضرات الضرورية ان لم يكن موقع الزاوية زراعيا أما إذا كان زراعيا فيغرس بها أنواع الشجر والفاكهة .

تتألف سلطة الزاوية من رئيسها المسئول وله وكيل يقوم باعماله في حالة غيابه ويشرف على مصالح الزاوية من الزراعه وتنمية الحيوانات التابعة لها وتيسير العمال وتشغيلهم ويتولى نفقات الزائرين والضيوف وهناك مجلس لرئيس الزاويه يضم أعيان القبيلة ووجهائها ومن بين أعضائه الاخوان التابعين للزاوية كمعاونين لرئيسها وتقوم حول الزاوية مبان أخرى يشيدها أغنياء الاهالى فيأوونها فى الصيف ويضعون بها أثقالهم وأثاثهم كمخازن ويوجد بالزاوية متجر أو متاجر حسب أهميتها وبذلك تكون الزاوية شبه مدينة .

تسند امامة المسجد لمعلم الاطفال فى الصلوات الخمس واذا كانت الجمعة تقام بالزاوية فيقوم بها الرئيس ما لم يتغيب ويجلس الرئيس للوعظ والارشاد . أما لطرية فض المنازعات فيتخذ رئيس الزاوية مجلسا من الشيوخ والاعيان فيدرسون القضية من كل وجوهها فما كان يفض منها بطريقة شرعية يصدر رئيس الزاوية التى يتولى منصب القضاء والحالة هذه الحكم فيها وما كان يفض بطريقة التقاليد المتبعة والعادات فيحسم أيضا بذلك ومنها ما يفض بطريقة الصلح فيتفق المجلس علي ما يجب اجراءه ويصبح الامر نافذ المفعول وكل مشكلة عويصة تحدث بين القبايل ويخشى بسببها وقوع الفتن والفساد يتعاون رئيس الزاوية بشيوخ القبائل وأعيانها ورؤساء الزوايا أو الزاوية المتاخمة له ويضرب لذلك موعد يحدد زمانه ومكانه وهناك يحسم بدون عناء وما صعب من ذلك وتشعبت المداولة

فيه والاخذ والرد بين رؤساء الزوايا والشيوخ يرفع إلى الجغبوب حيث مقر السيد أو للكفرة فيما بعد وهناك الحكمة وفصل الخطاب .

ومن بين هذه المشاكل الكثيرة المستعصية تلك التي رفعت وحسمت برأيه وتعاليمه

١ مشكلة العواقير والمنقا المعروفة بواقعة (الحيني) وبطلها المختار والد السيد عمر المختار .

٢ مشكلة البراغيث وهم العرفه والعبيد من جهة والعواقير من جهة أخرى على تحديد الاراضى

٣ مشكلة العبيد وقائمقام المرج وقتذاك السنوسي بك جبر وهذه بعد عناء طويل حسمت بزاوية مسوس حسب ارشادات السيد المهدي

٤ مشكلة الجبارنه وأولاد على ، وكثير غير ذلك من المشاكل العائلية والقبليه والفرديه فتحسم على الوجه الاكمل

بهذا النظام المحكم البديع تتمشي الزوايا السنوسية وتلاقي الكثير من المساعدات من قبل الزعماء وشيوخ وأعيان القبائل الذين وضعوا كل ثقتهم فى رئيس الزاوية الممثل السيد ويرفع كل رئيس زاوية تقاريره السنوية إلي الجغبوب مبينا كل ما حصل أثناء السنة مقدما حساباته هذا عدا المعلومات التي ترفع في كل مناسبة ومتي دعت الحالة، ومن العادات المتبعة عند الاخوان والاداب المرعية هو أن لا يتزوج أحدهم إلا بالاذن من السيد واختيار الزوجة وقد وقفت علي عدة كتب من السيد المهدي إلي بعض رؤساء الزوايا كتصريح لهم بالزواج ومن بين تلك الكتب كتاب بعث به لرئيس زاوية الطيلون السيد مصطفي المحجوب يخبره بموافقته على زواج السيد السنوسي الاشهب من كريمة السيد ابراهيم الغمارى رئيس زاوية دريانه وكتاب اخر من السيد المهدي إلى السيد السنوسى الاشهب باذنه بزواجه من كريمة السيد مصطفى المحجوب وقد خطب السيد المهدى كريمة السيد بدر فركاش إلي السيد محمد علي الاشهب رئيس زاوية واو وجهزها السيد المهدى وجيء بها من زاوية بشاره إلي الكفره ومن هناك بعثها السيد المهدى إلى (واو) حيث يوجد زوجها .

لكل زاوية عدد خاص من الخدم يقومون بما تحتاجه الزاوية من رعاية حيواناتها والقيام بزراعتها وغرس الشجر وتنسيق الجنان ، ولكل زاوية مورد تستمد منه ثروتها بطبيعة حالة الارض وموقعها فهناك مثلا زوايا لا مورد لها غير غراسة النخيل وبعض الاشجار والعناية بالبساتين وهى زوايا الواحات من الصحراء وهناك زوايا أخرى تقوم

بزراعة القمح والشعير وتنمية الحيوانات بكثرة من الابل والغنم كسوس والطيلون وجنزور والمخيلى والعزيات وقد ضربت الرقم القياسى زاوية مسوس في الزراعة وتنمية الحيوانات فيتراوح محصولها سنويامن القين قنطارإلى أربعة الاف من القمح والشعير وقد تجاوز عدد الابل فيها خمسة (اذواد) والذود من الابل لايقل عن ثمانين ولا يتجاوز المائة وتجاوز عدد أغنامها خمسة عشر (شلايا) والشلايا الواحدة عند العرب لا تقل عن ثلاثمائة ولا تتجاوز الاربعمائة شاة من الضأن، وبلغ عدد البقر فى زاوية مسوس مائة رأس فى حين أن البقر تصعب تنميته بزاوية مسوس، وتجاوز عدد العمال بزاوية مسوس مائة خادم عدا رعاة الحيوانات، وهناك زوايا أخرى قوام حياتها غراسة الشجر وتنسيق الجنان وتنمية البقر وأكثر هذه الزوايا بالجبل الاخضر، ومن الزوايا ما يستمد ثروته من العقارات مثل زاوية طرابلس وزاوية المرج الغنية بعقاراتها ومن الضرورى فكل زاوية تتمشا بطبيعة الارض التابعة لها ولكل زاوية قطعة من الارض تحيط بها من الجهات الأربعة وغالبا تكون مساحتها عشر كيلو مترات مربعة ويسمونها (حرم الزاوية) فهذا الحرم من دخله كان آمنا ومن التجأ اليه يصان ولا يصح لاحد أن يلحق به أذى واذا وطأ فيه انسان بقدميه يكون داخل هذا الحرم محتفظاً بجميع الاداب الشرعية والاجتماعية فلا يصح له مثلا أن يعلى صوته بأغنية ولا يمكنه أن يطلق رصاصا من سلاحه، اويأتي بشيء من القول والفعل يخل بالاداب فهناك رعاية الاداب وحمايتها حقا، ولكل زاوية املاك خارجة من هذا الحرم منها مثلا مراعي متسعة لحيواناتها ومزارع للقمح والشعير وآبار (صهاريج) لحفظ مياه المطر وهذه الاملاك انتقلت ملكيتها للزاوية وتحت حوزها وتصرفها بطرق مختلفة منها ما هو عن طريق الهبة من القبائل التي وقع بناء الزاوية فى اراضيها احتسابا لوجه الله الكريم ووقفا على السيد محمد السنوسى ليتم بذلك مشاريعه العمرانية العظيمة النافعة وهذا تأييد عظيم من القبائل العربية للسيد السنوسى اعترافا بجسامة المقصد، ومن جملة هذه الاملاك ما كان ثبوت ملكيته عن طريق التجديد وخدمة الارض البور الخالية وفتحها ولا تتأخر القبايل فى خدمة الزاوية وتقديم كل مايلزم لها عن طوع واختيار وتتنافس القبائل في ذلك وترسل المؤن من القمح والشعير والسمن والذبايح إلي الجغبوب من كل زاوية، فالزوايا عبارة عن مراكز

حكومية قوية مهابة لها قيمتها السياسية والادارية والروحية بين جميع طبقات الشعب وهى همزة الوصل بين الجميع وقد جاءت بفوائد عظيمه يندر وجودها فى جميع الازمنة اوالامكنة . هذه الرسالة التي جاء السيد السنوسى لتأديتها فأداها وجاهد فى سبيلها معززا بقومه فانتصر وقد صدع بالامر خلفاؤه فكانوا خيرممثلين له وهانحن نذكر صورة مختصرة عن التعليمات أو النظام التى تقوم به وعليه الزوايا :

(١) تبنى الزاوية في قطعة من الارض المختارة بالاتفاق مع القبيلة العربيه التي تملك تلك الناحية ومع ممثل السيد أو السيد نفسه .

(٢) يعين السيد السنوسى لهذه الزاوية رئيسا يلقب (بشيخ) هذا اذا كانت لزاوية قد بنيت وان لم تكن قد بنيت فيختط الشيخ زاويته في الموضع المتفق عليه وتكون أرضها وقفا .

(٣) تكاليف بناء مسكن الشيخ والمسجد والمدرسة تكون من الاهالي .

(٤) رئيس الزاويه يكون حكما للقبيلة في كافة القضايا باحكام الشرع الشريف وتطبيق التقاليد والعادات .

(٥) للزاوية حرم كبير يحيط بها من الجهات الاربعه .

(٦) كل فرد من أفراد القبيلة اذا كان مستعدا يتبرع يوم علي دابته التي يملكها

(٧) لرئيس الزاوية سنويا عشر كساوى (بدل) بشرط ألا يكون منها حريرا أو جوخا وله الحق في شراء فرس كما له الحق فى خادم وبندقية وله أن يتزوج زوجة واحدة على حساب الزاوية بعد اعطائه الاذن واختيارها ويكون مهرها ومصارفها وكساءها من واردات الزاوية علي شرط أن لايكون ذهبا أو فضة من واردات الزاويه الا ما اتفق عليه فى عقد النكاح .

(٨) يعين رئيس الزاوية معلما ومؤذنا واماماً بالاجرة تحت اشرافه وبالزاوية مأوي للضيوف وفي كل يوم يخرج الرئيس مؤنة عشرة أشخاص فى الغذاء وفي العشاء وان نقص العدد فيدعوا لذلك بعض المجاورين وان زاد عدد الضيوف عن عشرة اشخاص يعمل حسابهم فى وقته ولا يجوز أن يكون الطعام متنوع الاشكال إلا فى حالات خاصة .

(٩) عابر السبيل والزائرين إذا تجاوز عددهم خمسة أشخاص فلهم الحق فى الذبيحة (شاه) وان تجاوزوا العشرة فلهم الحق فى ذبيحتين .

(١٠) لرئيس الزاوية الحق في أخذ العشر من جميع واردات الزاوية من الحيوانات والحبوب لينفق منها فى حالاته الخاصة وعلى أقاربه وفى حالة زواجه بزوجة أخرى ثم يحتفظ رئيس الزاوية من الواردات بما يكفى مصارف الزاوية سنويا والباقى يرسل للجغبوب .

(١١) قريب رئيس الزاوية وأصهاره ومن ينتمون له فلا حق لهم في الذبيحة من ممتلكات الزاوية ولرئيس الزاوية أن يقتنى حيوانا خاصا وزرعا ليصرفه على نفسه كيف شاء وله فى كل يوم جمعة واثنين أن يذبح شاة لنفسه وزوجته المعترف بها وأولاده ولهؤلاء مصارفهم من الزاوية .

(١٢) للزاوية حدود معروفة مع غيرها من الزوايا فلا يتعدا نفوذ كل شيخ زاوية خارج حدوده .

(١٣) لرؤساء الزوايا الحق فى الاجتماع سنويا ان اقتضت الحالة وسواء يكون ذلك بالجغبوب أو باحدى الزوايا التى يتفق عليها .

(١٤) إذا التجأ إنسان لاحدى الزوايا وكان قد قتل أو جاء بشىء يجعله يخشي القتل فلا يجوز أن يتعدى عليه احد بسوء ولا يؤخذ من حرم الزاوية التى التجا إليها ولرئيس هذه الزاوية أن يتفق مع رئيس الزاوية التي التجأ منها الجاني ومع شيوخ وأعيان القبيلتين لحل المشكل بالطرق المشروعة فان لم يتم شيء ومضي على التجاء الملتجىء عام يسلم إلي رئيس الزاوية التى كان قد التجأ منها .

نقلت هذه الفقرات من خط العلامة السيد محمد المبخوث وحيث لم نقف على غيرها من نوعها وسمعت عن ذلك بالتفصيل من كثير من رؤساء الزوايا عند سؤالى لهم أردت أن نثبتها هنا ومنذ سنة كنت أسأل السيد سعد بن السيد محمد أبو فارس عن ذلك فوعدني أن يرسل لي نص ذلك وهو موجود عنده بخط والده المرحوم السيد محمد أبو فارس رئيس زاوية أم حفين ولما أرسله الي لم أجد خلافا ظاهرا عما وجدته بورقة السيد المبخوت إلا بعض الخلاف البسيط فى الالفاظ فقط :

السيد المهدى السنوسى

ولدى بماسة من الجبل الاخضر ليلة الاربعاء أول ذى القعدة سنة سنة ١٢٦٠ هـ وحوالي سنة ١٨٤٤ م فأودعه والده إلى المرضعة السيدة خضراء زوجة السيد حسين الشريف وكانت هى نفسها شريفة النسب ولما حضر السيد محمد السنوسى من درنة إلى الزاوية البيضاء بعث بالسيد المهدى ومرضعته وبعض الاخوان تحت إشراف السيد عمران بن بركة الى درنه ولما بلغ السادسة من عمره أدخل الكتاب ليتعلم القرآن الشريف ومباديء العلوم الدينية ولما تجاوز السابعة من عمره طلبه والده بالحجاز فسافر من درنة بحرا إلى (خانيه) ثم الاسكندرية فالحجاز وهناك بالمدينة المنورة اجتمع بوالده وكانت هى المرة الاولى التى ينظره فيها والده بعد ولادته وفى سنة ١٢٦٩ هـ وكان السيد السنوسى عامئذ بمكة لاداء فريضة الحج أمر باحضار السيد المهدي من المدينة وعهد به إلى أكابر العلماء والاخوان من وكلائه ليتعلم العلم الشريف وكان قد حفظ القرآن وفي ١٢ ربيع الاول سنة ١٢٧٤ هـ وصل إلى الجغبوب حيث بعث السيد محمد السنوسى بتلميذه السيد عبد الرحيم المغبوب للاتيان به فكان يوم وصوله يوما مشهودا وخف للقائه خارج الجغبوب كل من الاخوان والطلاب والعمال والزوار وبالاختصار فقد ظهرت الجغبوب فى مظهر بديع يأخذ منظرها بمجامع القلوب للاحتفال بمقدمه وتبارت الخيول وعطلت المدارس القرآنية والعلمية وقد حضر رؤساء الزوايا من برقة للترحاب بهذا السيد الكريم وتهنئة والده بسلامة وصول ابنه ومن ثم أخذ السيد المهدى يتم تعليمة العالى على والده ومعلميه الجليلين السيد عمران بن بركة والسيد أحمد الريفي وهكذا فى كل سنة تذهب الافواج من أهل برقة لزيارة السيد السنوسى واستطلاع محيا نجله المبارك وفى يوم ٩ صفر سنة ١٢٧٦ فوجيء السيد الصغير فى سنه بوفاة والده الكبير في كل شيء إذ التحق بالرفيق الاعلي وهناك غربت شمس وأشرقت أخرى :

توارت الشمس عن عين الحسود بها ... أو ذاك رفقا ببدر ناله خجل

جن الظلام واكفهر الجو وتقطب وجه الزمان بموت السيد السنوسى وسرعان

ما بددت دياجير الظلام الحالك وانقشع اكفهرار الجو وابتسم الزمان بشروق شمس خليفته ونجله الوضاءة .

ترك السيد محمد السنوسى الامر لاكبر ولديه الذى كان يتنبأ له بالعظمة وكان يجله وهو صغير ويكبره ويأمل فيه كل خير ويؤمن بهذه الثقة فقام السيد المهدى باتمام البرامج العسيرة الاعليه ، قام بمهمته السامية الجليلة تلك المهمة التى لا يشك أحد فى عظم جسامتها وأنها لثقيلة الاعباء إلا على عاتق السيد المهدى فقام بأدائها خير قيام وبرهن للعالم الاسلامي المتطلع لاعماله أنه ورث المقام الجليل عن جدارة واستحقاق وأنه كفؤا لما أسند إليه وهو الذى سد الفراغ الذى لم يسد بغيره فعليه علقت كبار الآمال وكان أحق بها وأهلها .

صدر إعلان بوفاة السيد محمد السنوسى إلى جميع رؤساء الزوايا فكان وقع النبأ أليما والشعور بالخطب جسيما ولكن كل هذا قد خف بالسرور الذى استولى على الانفس من وجود السيد المهدي كما قيل :

هنـاء محاذاك العزاء المخيما ... فما عبس المحزون حتي تبسما

كان الاخوان الموجودين بالجغبوب عندما توفي السيد محمد السنوسى كثيرين منهم كبار رجال الجغبوب كالسيد على عبد المولى والسيد عمران بن بركة والسيد أحمد الريقي والسيد فالح الظواهرى والسيد أبو سيف مقرب والسيد محمد بن حسن البسكرى والسيد محمد المدني التلمساني ومنهم بعض كبار رؤساء الزوايا كالسيد حسين الغريانى والسيد عمر الاشهب والسيد مصطفى المحجوب والسيد عبدالرحيم المغبوب وهم الذين تولوا إعلان وفاة السيد السنوسي وكان أيضا من بين الحاضرين السيد عبدالمتعال بن السيد أحمد بن إدريس الاكبر فتوجهوا فى طليعة سكان الجغبوب إلي السيد محمد المهدي وشقيقه السيد محمد الشريف لتعزيتهما باسم جميع الاخوان ومبايعة السيد المهدى الخليفة الاكبر والوارث للمقام العظيم ، ان جميع الامة تنظر للسيد المهدي بنفس العين التي تنظر بها لوالده ، وقد استمرت الحالة بالجغبوب على ما كانت عليه ولم يطرأ أى تغيير يجعل الامة تشعر بغياب الفقيد العظيم وبقي رؤساء الزاويا بمراكزهم كما كانوا لا يرهق وجوههم قتر ولا ذلة ، أما الحالة من جميع وجوهها فكانت تسير بحسب النظام المقرر لا يتطرق اليها الضعف وكل فرد مسئول عن العمل المناط به يحاسب نفسه قبل أن يحاسب ويؤتمر بالواجب قبل أن يؤمر والسيد

المهدى مجد في اتمام علومه الذى شمر للتضلع فيها بكعب واسع ويتصل سيادته بجميع المسئولين متى دعت الحالة ويطلع على جميع المكاتبات والتقارير التى ترفع إليه من رؤساء الزوايا والتى ترد من الخارج ويأمر بردها حسبما يتراءى له ويستقبل سيادته عامة الزائرين يوم الجمعة من كل أسبوع أما ما عدا ذلك فلا يستقبل أحداً الا كبار الاخوان والمسئولين أو رؤساء الزوايا اذا وصل منهم أحد الى الجغبوب بصفتهم وكلائه واعتبارهم ممثليه ويستقبل بصفة استثنائية كبار الزوار وفى سنة ١٢٨٠ هـ تولى جميع الاعمال مباشرة سواء كانت بالجغبوب أو خارجه، يأمر فيطاع وينهي فيتبع ويقول فيسمع لقوله وينادى فيلبى نداؤه ويتصل بكل انسان اذا دعت الحاله .

انتشر بناء الزاويا من جديد في جميع أنحاء برقة وطرابلس وكانت جميع القبائل العربية تدين للسيد المهدى بالطاعة والخضوع المنقطعي النظير ولا تحل مشاكلهم الفردية والعامة بصفة مرضية الا بواسطة رؤساء الزوايا لاعتبارهم خلفائه ، وبهذه المناسبة أذكر الحكاية الآتية :

كانت قبائل الجبارنة تتعطش لسفك دماء قبايل (أولاد علي) القاطنين بمصر انتقاما للشيخ جربوع بن الشيخ أبو سيف الكزة وقد قتله أولاد على ان صح أنهم قتلوه وصفة الواقع أنه ذهب بحيوانات الي أسواق مصر لبيعها ولما تم البيع وجمع المبلغ المتحصل عليه قتل غيلة بقرب منتجعات أولاد على واتهم في ذلك بعض رجال قبائلهم ففكر الجبارنة بادىء الامر فى غزو أولاد علي لما يحز في نفوسهم من قتل فقيدهم وربما كانت هناك أسباب أخرى أضيف اليها هذا الحادث الاخير فاتسع الشرط وكان الشيخ أبو سيف ابن أبي شنيف الكزة من الشخصيات الظاهرة بين شيوخ الجبارنة ومسموع الكلمة وهو والد المقتول فأصبح داعية كبرى لغزو أولاد علي وأنشد قصيدة «١» باللغة الشعبية

---

(١) مطلع قصيدته :

يا عون من قابلا عون وأشرف على رأس عال

أوجنه فراجين وحسون أوعيت طاميه ف المشالى

استنجد أبو سيف بعدة قبايل من العرب منهم الفراجين (قبيلة الفرجان) وقبيلة طامية البراعصة وهي أشهر قبايل البراعصة وفيها بيت الرآسة .

مثيرة لما كمن من الاحقاد مسعرة لشرارة الغضب مذكية لنار الانتقام يستنجد بها جميع القبائل الموالية له أو التابعة والمرتبطة به كما جرت بذلك العادات ويحثهم فى قصيدته بالاستعداد لغزو أولاد على وقتل رجالهم وأخذ أموالهم وسبي نسائهم وكاد أن ينجح فيما أراده بالغزو حيث لبي طلبه أما النجاح بالانتصار فهو مبهم النتيجة وبينما هو يعد العدة لذلك واذا برد يصل الي الشيخ أبى سيف من قبائل أولاد على الذين سمعوا بقصيدته الاستنجادية وباستعداده لغزوهم مماثلا لقول الشيخ أبي سيف وينذر أولاد علي قبائل الجبارنة بالويل والثبور ويدعونهم للاسراع كي ينازل بعضهم بعضا، الامر الذى جعل قبائل الجبارنة يتحمسون اكثر وينفرون خفافا وثقالا ليوم الكريهة وأخذ الفريقان يستعدان لذلك ولا يمكن لأحدهم أن يتاخر عن هذا الميدان لما فى ذلك التأخر من المعرة وسوء السمعة فالمهاجم يستعد لان يرجع ظافرا والمهجوم يستعد لان يدرأ الخطر ويدافع عن نفسه ليرد الغزاة وفى هذا الاثناء وصل كتاب الى السيد المهدي يعث به شيخ زاويه مسوس السيد السنوسى الاشهب يخبره بالأمر فأرسل السيد المهدى فى طلب الشيخ أبى سيف بسرعة فامتثل هذا الأخير أمر السيد المهدى في الوقت الذى تقرر فيه الغز وارجأه الي آن يعود من الجغبوب ولما وصل الشيخ أبو سيف ومثل بين يدى السيد المهدى ألذى أخذ ينصحه في الاقلاع عما عزم عليه وانتواه ويامره بترك هذه الفكرة الخاطئة التي يحرمها الشرع الشريف وتأباها الانسانية ويمجها الطبع السليم فامتثل الشيخ أبو سيف أمر السيد المهدي واقلع عن فكرته وعاهد السيد المهدى بالعدول عنها وان لا يعود لمثلها بالرغم عما فى ذلك من المساس بكرامته وكرامة بنى قومه وسمعتهم التى يرون حفظها في الأخذ بالثأر ورجع الشيخ أبي سيف وبر بوعده وامر قومه والنجدات التي استعدت لمساعدته بالارفضاض اذ كانوا قدا جتمعوا وكتب الي رئيس قبائل أولاد على وبقية مشايخهم يخبرهم بالعدول عن رأيه وأن يكونوا فى مأمن من جهته لا خوفا منهم ولا خشية من العاقبة ولا رحمة بهم ولكن امتثالا للامر المقدس الذى يجب طاعته مهما كان الامر ومن قصيدة(١) الشيخ أبي سيف يعلم القارىء مدى التأثير القوى

هذان البيتان من قصيدة الجبارنه .

لولى الزوايا انتهلبوا الصبايا وان تمشو حفايا
مرد أو عرايا من دهم السرايا من ضنا جبرين

الذي وصلت له الزوايا السنوسيه على الا نفس .

لقد خطب ود السيد المهدى الكثير من ملوك وامراء وزعماء العالم الاسلامى والعربى في كثير من بقاع الاسلام ومن بين من واصله ملوك آل عثمان وعظماء رجال دولتهم وكان محل اجلالهم وتعظيمهم له فبعثوا اليه من الاستانة العلية بالهدايا النفيسة وكان لا يقبل منها الا ما كان من أنواع السلاح والكتب وفي ذلك يقول الشاعر الليبى :

تهاديه ابناء القياصر رهبة ... فيزداد بالرد البليغ تعاليا
(سليمان) في ذا الفعل كان مقدما ... وأنت الذى من بعده جئت تاليا

ويقول الصادق بك المؤيد ياور الحضرة السلطانية:

مليك ملوك الارض مذ كان في المهد ... توالت هداياه على السيد المهدى
هدايا عظيم اهديت معظم ... فمن هو كالمهدى اليه وكالهدى

ومن بين من واصله خديوى مصر اسماعيل باشا الذى كان يحترمه السيد المهدى ويجله في نفسه كما واصله شريف مكه وأمراء المغرب وكثير من الشخصيات العلمية والسياسية والاديبه ومن بينهم الاستاذ على الليثى شاعر الحضرة الخديوية والاستاذ عبد الله باشا فكرى الذي قد مدح السيد المهدى بالقصائد الخالدة وكانت ترد منه بلا انقطاع وفى كل مناسبه ، وواصله أيضا من اقطاب الثورات فى العالم الاسلامى كثيرون منهم الزعيم السوداني الكبير (المهدى) واحمد عرابي باشا ولسيادته مخاطبات ومواصلات ودية مع امراء وعلماء واشراف الحرمين الشريفين وقد كاتبته أيضا جميع القبائل السودانيه وسلاطينها وزعمائها بالسودان الفرنسى يخبرونه بانتسابهم الى الجمعية السنوسية ويطلبون منه أن يبعث فيهم من يمثلونه وقد أجاب طلبهم وقد زاره مندوب السلطان عبد الحميد الصادق بك المؤيد في الجغبوب يحمل كتابا من السلطان يستدعيه لزيارة الاستانه العليه وذلك فى سنة ١٣٠٨ هـ وقبل ذلك بسنه أى سنة ١٣٠٧ زاره بالجغبوب سعادة الفريق رشيد باشا والى برقه العثماني وقد اعجب بالمجهودات الجبارة التى قام بها السيد محمد السنوسى ويقوم بها من بعده نجله وخليفته السيد المهدى .

جاء فى صحيفة ٢٦٩ الجزء الاول من كتاب حاضر العالم الاسلامى ما يلي :

(اقتفى المهدى السنوسي آثار والده فكان حاكما حكيما عادلا تقيا وعاملا كبيرا في سبيل الطريقة الدينية السنوسية إلي أن يقول : وقد مضت مدة أكثر من ثمانين سنة والطريقة تزداد انتشارا ووثاقة وما برح الجهاد فى سبيلها علي غير انقطاع حتى غدت اليوم عاملا كبيرا فى تيار الحركة الاسلامية وبات لها أتباع فى كل قطر من أقطار العالم الاسلامى فالسنوسيون فى بلاد العرب كثير عددهم وليس هذا جميع ما في الامر بل ان الطريقة السنوسية كانت عاملا شديد التأثير في الحياة الدينية فى مكة المكرمة والمدينة المنورة وما زالت أقطار شمال أفريقيا من أقصاها إلى أقصاها مستقر السنوسية ومضطرمها فمن مراكش حتى الصومال ترى البلاد مرصعة بالزوايا وهذه الزوايا تستمد قوتها من الزاوية المركزية الكبرى حيث مقام السيد السنوسىّ فى الجوف الواقعة في قلب صحراء ليبيا «١»)

انتظمت برامج التعليم فى الجغبوب فوصلت الى أسمى درجات الكمال وأخذت الامور دورا خطيرا لتنفيذ الخطة المرسومة وتأسست الزوايا التى لم يتم تأسيسها فى عهد السيد السنوسى فانتشرت فى أرجاء برقة وطرابلس والصحراء والسودان انتشار الكواكب وقد شيد السيد المهدى ضريح والده بعد وفاته بقليل وفي سنة ١٢٨٢ هـ جدد علي نطاق أوسع وجيء بالاخصائيين فى فن البناء من مكة ومصر فكان الضريح الشريف على أدق وأبدع طراز تناولته اليد الفنية وأمر السيد المهدى أن تكتب سلسلة نسب السيد السنوسى في لوحة بخط جميل وتعلق داخل الضريح ولما كتبت هذه اللوحة وقدمت لسيادته كي يطلع عليها أمر بكتابة هذه الابيات التالية وهي من قوله :

سلسلة من عسجد قد نظمت ... بالجوهر المضئى من ضوء سما
فانبعثت شعشعة من نورها ... أجات ضلاما كان قبل قدطما
وابتهجت بابن السنوسى الذى ... شمس علاه بهرت شمس السما
فانظر هنا منثور در تنظرن ... روضا نضيرا ناميا منمنما

---

(١) يقصد زاوية الجوف وقد أسسها السيد المهدى السنووسى سنة ١٣١٣ هـ .

عاصمة الزوايا

من المفهوم أن الجغبوب هو المركز الرئيسى للسيد المهدى كما كان لوالده فهو قطب رحى الزوايا التي تدور عليه وكان نظامه فى هذا العهد بديعا محكما وكل ناحية من نواحى الاصلاح مكلف بها احدالاخوان ومسؤل عنها وتصل المؤن الي الجغبوب من زوايا برقه سنويا وتتألف هذه المؤن من القمح والشعير والسمن والزيت والصوف وجميع أنواع البضائع التي تؤخذ من اسواق برقه وتصل أحيانا من مصر وتصله أيضا حيوانات للحمية من الضان والمعز هذا عدا التجار الذين يجلبون البضائع علي حسابهم أما المواصلات بين الجغبوب وجميع الزوايا فهى مستمرة وترتيبها حسن للغاية وفى كل سنة أو بعد سنتين علي الاقل يذهب الزوار من أهل كل زاوية لزيارة السيد المهدى وليست هذه الزيارة مقصورة على من يستطيع الذهاب بل يذهب أيضا العجزة والفقراء لا يرون مبرراً لتأخيرهم عن نيل هذا الشرف فيتخذون كل الوسائل التى تمكنهم من الوصول الي الجغبوب :

يحثهم لاعج الشوق البراح لمن ... اخلاقه الغر لا تحصي فتنحصر
يلذ في وصله لدغ الشدايد فالا ... رباح من أجلها يستسهل الوعر

اتخذ أهل برقه الجغبوب طريقا لقوافلهم ذهابا وجيئه من برقة وجالو الى مصر وبالعكس ومن الجبل والبطنان الى السودان وبالعكس وفي سنه ١٢٨٦ هـ وصلت قافلة من الاشراف الجزائرين والمراكشين لا يقل عدد أفرادها عن الثمانين ومن بينهم الاشراف الخطابيون فتعين منهم رءساء لبعض زوايا الجبل .

ومن بين من زار الجغبوب فى عهد السيد المهدى وهى الاخيرة من نوعها العلامة الجليل السيد عبد الله السنى عامل السيد السنوسي على زاوية مزده بطرابلس وهو من أجل وكبار العلماء فقد تتلمذ على السيد أحمد بن ادريس فى الوقت الذى كان يدرس فيه السيد السنوسى علي السيد احمد بن ادريس وقد نافس هذا الشيخ الكبير السيد محمد السنوسي وحاد عن جادة الصواب ثم رجع الى رشده وانتسب الى السيد السنوشى واخلص

في عمله . وصل هذا الشيخ الذي طعن فى السن فى موكب كبير من اعيان وشيوخ القبائل التابعة لزاويته وبما أن هذا الشيخ الذى بلغ من الكبر عتيا يلاقى اتعابا ومشاقا كثيره لبعد الشقة وصعوبة الوسائط التقليه وقتذاك اباكرم السيد المهدى الا أن يأمر وكيله المذكور بالراحة والبقا فى زاويته وتصله التعاليم هناك وكان هذا الشيخ فى طليعة الشعراء المجيدين وقد نظم الملاحم الطوال فى مدح مؤسس الطريقة السنوسية وخليفته السيد المهدى وقد اطلعت على كتاب كبير مخطوط يضم بين دفتية الكثير من أشعاره ومن بين تلك القصائد ملحمة طويلة يظهر فيها اخلاصه للجمعية السنوسيه وفي كل بيت من تلك القصيدة يشير الى اسم سورة من سور القرآن حتي جمع اسماء سور القرآن كقوله فى شطر بيت (من لم يكن فى حبكم منزلزل)وكقوله (مالى سوى الاخلاص فى حبى لكم) وكقوله (سبحان من أسري بجدك للعلى) وفي سنة ١٣١٠ وصل الي الجغبوب الوفد الحجازى المؤلف من عدة علماء واعيان بينهم العلامة السيد السنوسى حامد كما وصل أيضا وفد من شيوخ الزوايا السنوسيه بالجزائر والمغرب وعلى راسه الحسيب النسيب السيد احمد بن تكوك عامل السنوسيين هناك .

زيارة رشيد باشا

لا بد لنا من الاشارة عما شاع حول زيارة الفريق رشيد باشا، تضاربت الآراء حول هذه الزيارة فقائل يقول أن رشيد باشا درس عن السنوسيين وعرف الكثير عنهم وكان شديد الاعجاب بنظام الزوايا ويغبط رؤسائها سلطانهم الواسع ويرى نفسه بالرغم من أنه يمثل الخليفة العثماني ولديه ما لديه من القوة العسكرية انه ذليل أمام عزة شيوخ الزوايا وكثيرا ما يعجز في تنفيذ أوامره ما لم يستعمل القوة فاذا ما التجأ إلى أي رئيس زاوية يكون محل الاحترام والتقدير بواسطة ذلك الرئيس ولهذا حصل له شغف عظيم بزيارة السيد المهدى ليتحقق مما يسمعه عنه ويدرس النظم التي تسير عليها الجمعية السنوسية تلك النظم التي تعجز الكثير من الحكومات وقتذاك عن تقليدها ومجاراتها.

وآخر يقول: أنه ندب من قبل السلطان العثماني ليستدعي السيد المهدى لزيارة الاستانة العلية.

وهناك قول آخر يقول به الكثيرون وهو أن السلطان عبد الحميد كانت تصله التقارير عن أعمال الجمعية السنوسية وما وصلت إليه من التقدم السريع والنجاح الذي لقيته والمكانة التي أصبحت لهذه الجمعية في العالم الاسلامي والعربي فأوجس في نفسه خيفة من هذه الحركة الموفقة ويعزز خوفه هذا ما كانت تصله بعض الوشايات والاراجيف نحو الجمعية السنوسية التي يقال عنها أنها ترمي بأعمالها لقلب نظام الحكم العثماني وتعمل لتحرير العرب من نيره وربما كانت هذه الجمعية نواة للوحدة العربية على الاقل ان لم تكن للوحدة الاسلامية فأمر الفريق رشيد باشا بالسفر إلى الجغبوب ليتطلع الحالة ويتحقق من مصدر هذه الدعوة الاسلامية الكبرى، ومما زاد في مخاوف السلطان رفض السيد المهدى كل دعوة تاتية لزيارة دار الخلافة مع ما يعلمه من ان هذه الجمعية التي لها وحدها الحل والربط ولها المركز الاول في البلاد وكانوا سلاطين بني عثمان يخشون كل إنسان تظهر عظمته في العالم الاسلامي سيما اذا كان عربيا ويحسبون حساب كل من عرف بالدهاء من أبطال الجامعة الاسلامية فيدعونه لزيارتهم ويحتفون به وينزلونه في أعظم قصورهم

ويحفونه بالحشم والخدم ويغدقون عليه من النعم والخيرات ويتوجونه بأوسمة الشرف الخلابه والالقاب الساحرة ويتوددون إليه فيشغلونه بذلك عن كل عمل يتصوره سلاطين بنو عثمان مزحزحاً لخلافتهم أو مشاركة لهم فيها وبذلك يصفو لهم الجو فى العالم الاسلامي والعربي فلا يخشون انقلابا على الخلافة الاسلامية التى استأثروا بها لانفسهم واحتكروها فلا تتعداهم إلى العالم العربى الذى كان عنه مصدرها ومنه صاحب الرسالة ومبعث نور المدنية والحضارة ، ولكن السيد المهدي لم يكن من أولئك الذين تخدعهم مظاهر الحياة وغرورها ولم يعرف عنه في يوم من الايام خدم لصالح نفسه الخاص أو عمل ضد الخلافة الاسلامية أو ظهر لها بمظهر العداء ولكنه الي جانب ذلك لم يتأخر فى خدمة الجامعة الاسلامية وتدعيم قضيتها فلا يشغله عن ذلك شاغل، إنا تعرف من صور كتاباته التى اطلعنا على شيء منها مدى تقديره لسلاطين بنى عثمان واحترامه لمؤسفيهم وتمثليهم والحث على طاعتهم بالرغم عما يعرفه من سوء تصرف بعض رجالهم وعلي كل فقد عاد الفريق رشيد باشا من زيارته متأثرا بما رآه بعينى رأسه معجبا بالنظام البديع والغرض النبيل الذي ترمى اليه الجمعيه من مركزاً سسها، ولقد زار الفريق رشيد باشا تلك المكتبة العظيمة التى تضم بين جدرانها انفس الكتب المتنوعه وصفة زيارته للمكتبه انه كان في يوم من الايام يتحادث مع السيد محمد بن حسن البسكرى (تشريفاتى) السيد المهدى وآل الامر الى ان سأله رشيد باشا قائلا هل عند السيد المهدى سلاحا ؟ فأجابه السيد البسكرى فورا (نعم لديه مخازن من الاسلحة ان شئت الاطلاع عليها) فتهلل رشيد باشا لدعوته للاطلاع عليها وصحب السيد البسكري الذى فتح له المخازن التي تضم الكتب فقال رشيد باشا كنت أظن انك تقول لى عن سلاح بالفعل ولكن هذا السلاح أقوى الاسلحه ثم زار العمال الذين يشتغلون فى محلاتهم ومخازن التموين وسأل عن كيفية صرف التموين للطلبه والعمال وقد أنزله السيد المهدى منزلا لائقا بمقامه المختار كممثل للسلطان العثمانى وقد كتب رشيد باشا الكثير عن تلك الرحله بمذكراته وسمعت من الحسيب النسيب السيد محمد بك بن الفقيه حسن احد السرات الطرابلسيين أن رشيد باشا كتب بالصحف التركيه وقتذاك اعجابه بشخصية السيد المهدى كما أظهر اعجابه بالجنوب المركز العام للسنوسيين وبالنظام المتبع فى الزوايا معبرا عنها بالمراكز وقد أخبرني الفاضل المذكور انه اطلع بنفسه على مقال نشر بالصحف التركية تحت عنوان

(خدمني الحظ) تناول فيه رشيد باشا مايشعر به نحو تلك الزيارة وما وصلت اليه الجمعيه السنوسيه من العظمة فى تاريخ الاسلام .

اشتهر رشيد باشا بين جميع عارفيه بعد زيارته للجغبوب بالنزعة السنوسيه والتحيز اللانهائى وقد اظهر ذلك فى جميع أعماله بعد الزيارة وكانت زيارته للجغبوب سنة ١٣٠٧م

البريد ونظامه فى عهد السيد المهدى

ينقسم البريد الى أربعه أقسام نقطه ارتكازها الجغبوب وكان ترتيبه علي الوجه الآتي

بريد خاص بزوايا طرابلس

بريد خاص بزوايا برقه

بريد خاص بزوايا مصر

بريد خاص بزوايا السودان

وكثير مايرد البريد ويصدر بواسطة قوافل الزوار والتجار وهذا عدا البريد المنظم والرسل الخاصين متي دعت الحاله . يصل البريد الخاص ببرقه الى زاوية مسوس وهذه تقوم بتوزيعه الى زوايا برقه ويصل الي زاوية جنزور أو العزيات وهذه تقوم بتوزيعه الي زوايا الجبل والبطنان ويصل أحيانا الي الزاوية البيضاء فتقوم بتوزيعه على زوايا الجبل ويصل البريد الخاص بطرابلس الي احدى زواياها والمفهوم أنها سرت فى المدة الاخيرة وهذه تقوم بتوزيعه كما أن البريد الخاص بزوايا واحات فزان يصل الي زاوية (واو) وهى تقوم بتوزيعه وتقوم احدى هذه الزوايا بمهمة ارسال البريد العادى الي زوايا الجزائر ان لم يكن البريد مستعجلا والا يرسل بصفة خاصه الي زوايا السيد بن تكوك راساً من الجغبوب والكفره . ويصل البريد الخاص بزوايا مصر الى سيوه وهناك يتولى مسؤليته ممثل السنوسيين بما فى ذلك بريد الحجاز واذا كان هذا مستعجلا فتتخذ له طريقه خاصة ، اما اذا كان البريد خاصا بزوايا خاصة في أى جهة من الجهات يقوم به الساعي من الجغبوب رأساً وكل زاوية من الزوايا يحدث لها امر من الامور

يدعوا لمواصلة المركز العام فيقوم منها ساع مخصوص ولا يكاد البريد يتأخر أكثر من شهر لاى جهة من الجهات لكثرة القوافل وتعاقب الزوار ،أما البريد الخاص بالسودان فعادة يكون مع سيل القوافل المنهمر ذهابا وايابا وهكذا لم تنقطع الاخبار بين العاصمه السنوسيه وبقية الزوايا فى كل ناحية ومن بين السعاة بالبريد ويقولون عنه (الرقاص) محمد السمالوسى — عبد السلام الشرداخ ـ عبد الرسول الرتيوى ـ السنوسى التيتلي ـ عيسى التارقي ـ ابراهيم الشهيبى ـ على السعيطى ـ حسين الهبرى ـ عبد الرحيم الفضيل ـ محمد البوعيشى .

اهتمام السيد المهدى بتسوية المشاكل

لم يكن السيد المهدى مشغولا بمشاغله الكثيره عن الصلح بين القبائل المتحاربه والتى تشعب بينها وبين قبائل أخرى أمر من الامور فقد تولي بنفسه طلب الشيخ أبى سيف بن شنيف الكزه ليمنعه من غزو أولاد على كما أسلفنا ذكره واعتني بنفسه بمسألة الصلح بين قبائل العواقير والبراغيث التى استمر بينهما الخلاف نحو تحديد الارض وقد كتب السيد المهدى بذلك الى رءساء زوايا مسوس والطيلمون والمرج وأولى الامر عنايته الخاصه حتى انتهي المشكل على أحسن صورة ومثل هذا الخلاف المستعصى كثيراً ما أدي الى الفنا أو الجلاء . ثم تولى تسوية الخلاف الذى كان بين المنفا والعواقير على (بئر الحيني) التى حصلت فيه أكبر مجزرة بشريه تعرف بمعركة بئر الحيني وكان الشيخ المختار والد السيد عمر المختار هو العامل الكبير لوجود ذلك الخلاف وماحصل فيه فكلف السيد المهدي وكلاءه الثلاث السيد مصطفي المحجوب والسيد عمر الاشهب والسيد حسين الغريانى وانتهت المشكلة التى طالما حيرت الافكار بصفة حسنة وعقد الصلح بين هاتيك القبائل سنة ١٢٩٢ هـ وكانت عناية السيد عظيمة للغاية بالمعارك التى حصلت فى سيوه بين أهلها فقد أرسل وفدا عن الاخوان تحت رياسة السيد أبي سيف لحسم النزاع والخلافات القائمه بين الغربيين والشرقيين بواحة سيوه وقد قتل بين الطرفين باحدى تلك المعارك مائه شخص فكتب الخديوى اسماعيل الي السيد المهدي

شاكرا تلك المساعي الحسنه التى بذلها وأدت الى أعظم فائدة . ثم في نزاع آخر بين السيويين ارسل السيد المهدى وفدا من الاخوان تحت رياسة السيد احمد بن ادريس الاشهب ومن بين أعضائه السيد العربي الغماري فسويت المشكلة واصطلحت القبائل صلحا صحيحا لم يحدث بعده أى أثر للخلاف وذلك سنة ١٣١٣ و ١٣١٤ هـ ولم يترك السيد المهدى أى خلاف بين القبائل الا ويتولي علاجه بنفسه فيصدر أوامره وارشاداته للمكلفين وعندئذ يتم بحكمته الوفاق والوئام بدرجه لم تعرف قبل الخلاف ولم يترك أيضا ما يحصل من الخلافات بين القبائل والحكومة العثمانية فكان يأمر الاهالي بالكف عن مناوأة الحكومة وكان ينصح للحكومة أن تحسن معاملة الاهالي وأن تجمل العفو من شيمها ويرشدها الى المعاملة بالعدل والشفقه بالرعايا وقد حصل منه ذلك أثناء العصيان الذى كان من العواقير والذي كان من البراعصة والذي سببها من المغاربه وغيرهم مثل البراغيث وزويه وكان يتأثر ويستاء من حصول تلك الخلافات ويلقي اللوم دائما على الحكومة الذى ما برح يرشدها لمعاملة الاهالي بالحسنى وينصحها فى انتقاء الموظفين الذين يعملون لحسن سمعة الحكومة والمحافظة عل القانون وشرف السلطان وكان السيد لا يرى قانونا أوفق من المعاملة بالدستور السماوى العظيم الذى يخضع له كل انسان من تلقاء نفسه لا كالقانون الوضعى الذى يتملص الانسان من اتباعه متى وجد لذلك فرصة لانه لا يرى فى ذلك حرجاً ولا يخشي محاسبة الله فيه مثلما يخشاه من مخالفته للقرآن ويظهر أن الخلافات التي تحصل بين الحكومة والاهالى يكون فى الغالب العامل القوى في حصولها بعض الموظفين الصغار فهؤلاء تضع الحكومة فيهم ثقتها وهم بدورهم يسيئوون التصرف فيحدث بسبب ذلك ما يحدث وباهتمام السيد المهدى بمثل هذه الاحوال كان اطلاق سراح المساجين من قبيلة ازوية الذين اعتقلتهم الحكومة وأصدرت ضد من حوكم منهم احكاما شاقة بعضها التأبيد وبعضها عشرات السنين فأطلقت سراحهم حسب رغبة السيد المهدى سنة ١٣١٣ هجرية .

وهناك خلاف آخر حصل بين الحكومة والاهالي ولعل هذا يكون هو عصيان العواقير ولم نتمكن من معرفة المخالفين بالضبط ولكنا نسوق بعض جمل من كتاب بعث به السيد المهدى الي أحد رؤساء الزوايا يظهر استياءه نحو ما حصل فيقول : « نرجو

الله أن تكون الفتنة التى بالوطن قد اطفئت لانها مخيفة وسيئة العاقبه تشبه الفتنة العرابية التى من أجلها حل بالوطن الشرقي ما حل به» ويقول في كتابه هذا مشيرا الى الايدى التى تلعب فى هذه الفتنة (يحركونها ويعجزون عنها فتكون العاقبة التسليم للاجانب فلو انهم سلكوا طريقا غير هذا لكان اسهل وأمن عاقبة وذلك بأن يلتجئوا الى الحضرة السلطانية ويلتمسوا من مراحمها الشهانيه التخفيف من هذا المجعول عليهم قائلين لاقدرة لنا على هذا الامر الشاق والتكليف بما لا يطاق وان قلنم لا بد منه فنحن نجلوا عن الوطن بالكليه اذ لا قدرة لنا على العطا ولا علي المخالفة) وكان تاريخ هذا الكتاب في٩ شعبان سنة١٣٠٨وها نحن نسوق نبذة من كتاب آخر بعث به السيد المهدي لاحد خلفائه ببرقة يظهر استياءه للخلاف الذى حصل فى سيوه (وصل اخونا ابراهيم معرف وصنوه السنوسي واخبرا بملاقات اخواتنا السيويه الغربيين والشرقيين وقتل بينهما خلق كثير ومن جملة من قتل من المعروفين الشيخ جبريل بن حلاف واحمد حماد وحسونه ومنصور فلا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم ربنا يرحم من مات ويعفوا عما فات) وكان تاريخ هذا الكتاب ١٥ ذى الحجة سنة ١٣١٤ وفي هذه السنة وبعد المعركة المذكورة توجه وفد الاخوان المذكور الى سيوه .

كان السيد المهدى يهتم دائما لايجاد الصلح بين قبائل السعادى من بسكان برقة وأبناء عمومتهم من سكان القطر المصرى حيث لم يجتمع الفريقان في مجلس صلحي منذ حصلت الحروب الواقعه بينهم وسببت جلاء بعض قبايل السعادى المستوطنة الان بمصر من برقة وقد ذكرنا شيئا بهذا الكتاب عن تلك الحروب .

استمرت عناية السيد المهدى بذلك وان كان عدم اجتماع الفريقين فى مجلس للصلح لم يسبب أى خلاف جديد بل كان الكثير من أفراد الفريقين يتزاور ويتصل فى شيء من التعاون والتسامح والمودة . أخذ السيد المهدى ينصح أهل برقه ويحذرهم من الاتيان بأى عمل يثير حفيظة أبناء عمومتهم وكانت ترده الكتب من أعيان قبايل السعادى بمصر مثل علي بك عمر المصرى عمدة قبايل الجوازى والملوم بك الساعدى عمدة قبائل الفوائد وغيرهم من اعيان هذه القبائل وأعيان قبائل أولاد على والحرابي كما كانت ترد مثل هذه الكتابات من عمر المصري والساعدى كيشار الى السيد محمد السنوسى اهتمت

الجهات المسئولة ببرقة وقتذاك بنصائح السيد المهدى وطلباته فاتصلت ولاية بنغازى بدار السلطنة العلية وهذه اتصلت بسمو خديوى مصر فنتج عن هذه الاتصالات تأليف وفدين احدهما يمثل جميع قبايل السعادي بمصر برأسه لملوم بك الساعدى وكان اعضاؤه من جميع قبايل الفوائد والجوازى ومن بينهم على بك المصرى وقبايل أولاد على والحرابي أما الوفد الذى يمثل جميع القبائل ببرقة فقد تألف من الاعيان والمشايخ ومن بينهم الشيخ عبد السلام الكزه والشيخ رقرق وهما من زعماء العواقير ، والشيخ مازق حدوث والشيخ المبرى يسين وهما من زعماء الحرابي وكانت رياسة هذا الوفد للقائمقام حسين بك بسيكرى (باشا بعد) واجتمع الوفدان بالسلوم أوايل القرن الحالي بأمر جلالة السلطان وتحت اشراف سمو خديوى مصر من جهة ووالى برقة من جهة أخري وحلت جميع المشاكل بين جميع قبائل السعادى والمرابطين من سكان برقه والقطر المصرى واتفق الوفدان الذان يمثل اعضاؤهما القبائل اتفاقا اسلاميا عربيا صحيحا لا شائبة فيه عن كل ما حدث بين الطرفين فى المدة السابقه وهي أكثر من مائتى سنة وتعاهد اتعاهدا أخويا على حسن التعاون وتبادل الموده ثم طلب رئيس الوفدين باسم أعضاء وفديهما من السلطات المسؤله العفو عن كل مسجون جاء بعمل في هذا السبيل ووصل لملوم بك الساعدى إلى بنغازى فكان محل احترام وعناية أهلها من الحضر والباديه وتقدير سعادة والي برقه :

رحلة السيد المهدى الى الكفره

فكر السيد المهدى فى التحول من الجغبوب إلي الكفره ثم صمم على تنفيذ ما فكر فيه بسرعة البرق فجمع الابل الكافية للنقل وخبراء الطريق والامتعة اللازمة وجميع الجهازات السفرية وعين الرفقاء وفى يوم الاثنين ١٩ شوال سنة ١٣١٢هـ كانت الزيارة الاخيرة منه لضريح والده وهى بمثابة الوداع وفي يوم الخميس ٢٢ من الشهر نفسه أمر بحضور جميع سكان الجغبوب للوداع وألقي فيهم نصائحه الغالية وانتقل بعد ذلك من الجغبوب والافئدة تتقطع لهول الفراق والاعين ورآءه شاخصة فنزل بموقع قريب من الجغبوب يقال له حطيئة (الزربي) وبهذا المكان كان وداع المشيعين وفى طليعتهم السيد احمد الريفى والسيد محمد عابد السنوسى والسيد أبو سيف مقرب والسيد محمد المدنى والسيد احمد بن ادريس والسيد عمران السكورى وهنا ظهر جلال الموقف ورهبته وهول الفراق وشدته ونلمس ذلك فى جميع القصائد التى القيت يوم ذاك وخطب الوداع :

نوب الزمان كثيرة وأهمها　　شمل تحكم فيه يوم فراق

ومن بين شعراء الموقف السيد أبو سيف والسيد احمد بن ادريس الاشهب والسيد عبد الرحيم الفاخرى، قال السيد أبوسيف :

هموا هيجوا يوم الذى برح أشجاني　　وحاديهم لما ترنم أشجاني
وهم سلبوا لبي والبس بينهم　　رداء الردى جسمى واثواب أحزاني
وهم غادروا جسمى لقى بعد مهجة　　جرى ذوبها من بحر مدمعى القانى
فوالله لا أنسي عشية ودعوا　　فاودعتهم صبري وأودعت سلواني
وضاعف احزانى مواقف جمة　　وبرح بي فقدانهن واضنانى
يسائلنى مولاى تسئال رحمة　　يجل بها شأنى ويبتئس الشانى
ومن أعجب الاشياء رحلة معشر　　غدت محشرا أوهت قوي كل انسان
تبلد من جرائها كل سوقة　　وطأطأ اجلالا لها كل سلطان
وزلزلت الدنيا وماجت بأهلها　　وعادت عواديين ترك وعربان

لك الله من ركب تيمم كفرة ... تناخم كيوار المناخم سودان
غدا طاويا نشر البسيطة باسطا ... لاعلام عز تتجد الضارع العاني
ومنتضيا عزما يفل بحده ... قواطع آراء من أهل وجيران
ولم يثنه عما نوى ألم النوى ... وأنت محزون ورنة صبيان
وحثوا مطاياهم بيض قبابهم ... فلاحت نجوم دونها نجم كيوان
سروا والدياجي حالك صبح لونها ... يؤمون احقافا ترى ذات ألوان
وخلوا بجنبوب المقدس علية ... يعلون بعدا النهل طلاب عرفان
وقصرا مشيدا كان مطمح انفس ... ومطلع مطعام ومطعن مطعان
وربعا عهدنا بهوه وهو آهل ... بانجاب اشبال وآساد خفان
وكانت لهم فيه مواقف جمة ... أناب بها فخرا علي كل إيوان
وحلت بواديه بواد فاصجوا ... نشاوي بانشاء وذكر وقرآن
وكانت بمغناه علوما يبثها ... مشايخ اعلام واعلام فتيان
رووا متنها عن حافظ أي حافظ ... أسانيده تعلوا بضبط واتقان
هو (ابن السنوسي) الذي شاع ذكره ... بكل بلاد بين سوس وايران
امام همام كان للخلق قبلة ... تيممها القاصى من الخلق والدان
وشهرته تغني عن اطراء نعته ... كما اشتهر (المهدى) بالعالم الثاني
سقي الله أرضا زارها صوب قطره ... وساق لذاك القطر عارض نيسان
علي أنها تغنى بعذب نواله ... وموردة عن كل أوطف هتان
متى تشتفي نفسي بقرب لقائه ... ويستن طرف الطرف فى روض احسان
متي يأتي مولاى (الشريف) مصاحبا ... كتائب كتاب بيض ومران
فانى من رجاكم لست آيسا ... ولا يأس من روح ورحمة رحمن
واني مقيم سادتى برحابكم ... على عهدكم حتي الف بأكفان
واني أرجو نظرة من جمالكم ... تسلي عن الدنيا وزخرفها الفانى
عليكم سلام الله ما هبت الصبا ... تحية صب خافق القلب هيمان

سافر السيد المهدى بعائلته الخاصة مصحوبا بشقيقه السيد الشريف وابنى هذا الاخير

وهما السيد أحمد الشريف والسيدة عائشة والكثير من الاخوان والطلبة والخدم وفي مقدمة الحاشية المباركة (التشريفاتى) السيد محمد بن حسن البسكري ويعد منصبه من من السيد المهدى كالياور الخاص وفى يوم ٦ ذى القعده وصل السيد المهدى إلى (وادى قطيمر) الواقع شرق جالو فقابلته جموع كثيرة من المجابره والاواجله وزويه من أهل جالو واوجله وججره وكان يربو اعدد المستقبلين على ١٣٠٠ شخص كما يقول السيد احمد الشريف فى كتاب بعث به إلى السيد مصطفى المحجوب ومن بين المستقبلين رئيس زاوية جالو السيد محمد بن الشفيع ورئيس زاوية العرق السيد عبد الله التواتي ورئيس زاويه أوجله والقائمقام شاكر بك والقاضى الاستاذ محمد عبد الملك البغدادى وجميع الموظفين وثلة من الجيش وقد قدم المجابرة لسيادته السيد المهدى أربعين جملا احتياطيا لنقل المياه فى السكة والاستانة بها كما وصلت ثلاثون أخري جاءت خصيصا من برقه حسب طلب السيد.

ثم وصل إلي قطمير رئيس زاوية مسوس السيد السنوسي الأشهب لمقابلة السيد المهدى ومعه الكثير من الأعيان وشيوخ القبايل يصطحب معه الامتعة اللازمة للطريق ونظراً لأن رحلة السيد المهدى كانت في غاية من السرعة ومحاطة بالكتمان لم يستطع بقية رؤساء الزوايا من الاتيان لمقابلته والقيام بالواجب نحو سيدهم المحبوب وقد حظي السيد محمد بن الشفيع والسيد السنوسى الاشهب بشرف المصاحبة إلى الكفرة وفى ٢٥ ذى القعدة وصل السيد المهدى ألى واحة (تازربو) وهناك انحرفت صحة شقيقه السيد محمد الشريف وفى هذا الاثناء وصل رسول خاص يحمل كتاباً خاصاً من حاكم بنغازى طاهر باشا وكتبا من السلطنة العلية وفي يوم الثلاثاء ١٥ ذى الحجة وصل الركب الميمون الي واحة الجوف فاستقبله خارجها أكثر من ثلاثة آلاف رجل يتقدمهم رئيس زاوية الجوف ومشايخ وأعيان قبيلة زوية ومن معهم من المجابرة وابتهجت واحة الكفرة بهذ اليوم العظيم فتبارت الخيول وأطلق الرصاص وبهذه المناسبة قتل الرجل المدعو يونس الرويعى رجلا من قبيلة الزوية أصابه خطئا فخر ميتا فنادى شيوخ الزوية وأعيانهم في قومهم بأن لا نترك الاحتفال من أجل موت أحدنا وأن القاتل فى مأمن اكراما لسيدنا وبعد انتهاء الاحتفال اجتمع شيوخ وأعيان القبيلة وتقاسموا الدية الشرعية للمقتول ودفعوها إلى أهله فوراً وتسامحوا مع القاتل ، كل ذلك تم فى يومه وقرر جميع أعيان وشيوخ

زوية أن يتقدموا بهدية إلي السيد المهدى بمناسبة تشريفه إياهم وكانت الهدية هو التسامح فيما بين أفراد وقبايل زوية من الاحقاد والتنازل عن جميع حقوقهم التى يطلبها أحد أفراد القبيلة من الآخر وتطلبها عائلة من أخرى مهما عظمت تلك الحقوق التي قد تؤدى الي شقاق وفساد وتنازلوا عن ثلث ممتلكاتهم وقفا على المصالح التى تقوم بها الجمعية من نخيل وبساتين وأراضى كل ذلك حصل بحافز نفساني ثم تبرع جميع أغنياء القبيلة ومن معهم من تجار المجابرة باطعام جميع الفقراء وكساءهم واستمر الفرح والاحتفال شهراً بعد وصول السيد المهدى وقد تشرف أفراد قبايل زوية بمصافحة السيد المهدى وشقيقه السيد الشريف فكان يفد كل يوم قسم منهم لذلك وفى أول ربيع الاول سنة ١٣١٣ شرع فى بناء زاوية التاج التى اختطها السيد محمد البسكرى حسب تعليمات السيد المهدى فأبدع في تخطيطها ، وتقع زاوية التاج على قمة ربوة عالية تبعد عن زاوية الجوف بما لا يقل عن ميل ونصف تقريبا وفى هذه السنة وصل الكثير من الشيوخ والاهالى التابعين للزوايا السنوسية بالقطر الطرابلسى وفي مقدمتهم العلامة السيد محمد السني بن السيد عبد الله لرفع تحيات الاهالي وآيات شعورهم .

اثر الرحلة فى النفوس

لقد كان للهزة العنيفة التى رجت لها البلاد من اقصاها الى أقصاها بسبب تحول السيد المهدى الفجائى أسوأ الاثر فى النفوس وكان وقع ذلك النبؤ اليها فوصفه شعراء اللغة العربيه واللغة الشعبيه وهذا النوع الاخير من الشعر قد جاء بالآيات البينات(١) ونذكر هنا أبياتاً من قول السيد محمد السنى .

بالله هل أبصرت عيناك أو سمعت	اذناك في زمن قد عمه البطر
عصابة سلكوا نهج الرسول على	بصيرة ودعوا لله فانتصروا
ولم يضرهم خلاف من مخالفهم	بل من يعاد يعودوهو منكسر
الا امام الهدي (المهدى) واسرته	أكرم بهم من هداة للهدى نشروا
فاخضر وجه أديم الارض باسمة	والعلم والفضل والتقوى لها ثمر
واخصبت بصفوف الدين يانعة	تطوفها بجنان الخلد مدخر
فالعيش رغد وكل الناس مغتنم	والدين زاه وداع الحق منتصر
هم سادة من كرام الناس ثابتة	فى الدين ماسامهم ضعف ولاخور
طووا على الصدق احشاء مهذبة	هم الهداة علي نهج الهدا عبروا
مدوا موائدهم للخلق مترعة	قوم ورود وقوم بالمنا صدروا
ومنها: سبحان من يسعد الأشياء بحكمته	حتي البقاع لها سعد ومفتخر
سل وادي (جنبوب) عما كان في حقب	عليه ينبئك والابناء تعتبر
ماوى العلوم ومأوى الطالبين لها	روض الفضائل فهو (الازهر) النضر

---

(١) يقول أحد شعراء العرب باللغه الشعبيه :

رحل سيدي وارعب لوطان	عظيم الشأن حركاته باذن الرحمن
رحل سيدى وارعب لسلام	لها صارت شدا أو نكد
وصارت بعد الضي ضلام	عليك ضيقا في شد الشد

نعم وسل بعده أرضا تبواها ... دارا فامست بها الخيرات تنتشر
طابت وطاب بها الماوى الذى شجن ... دار السلامة للاسلام مهتجر
تأوى الوفود لها من كل ناحية ... مأوى الحجيج اذا ما جاء يعتمر
يحثهم لاعج الشوق البراح لمن ... أخلاقه الغر لا تحص فتحصر
يلذ فى وصله لدغ الشدايد فالا ... رباح من أجلها يستسهل الوعر

الى أن يقول .

كف بها النفع للاسلام مبتسط ... وللاعادى بها الباساء والضرر
ومنها : أسلكت أمة طه سفن سنته ... لما طغى موج بحر الكفر يزدفر
وفقت بالنصر فالاعداء من فرق ... منكم على بعد أعيام الحذر
الله أكبر أن القوم في قلق ... نكاد أو صالهم بالخوف تنبثر
مخايل الحق لاحت وهي تخبرنا ... ظهور موعد صدق كان ينتظر
قد آن للبيض أن ينهل وابلها ... وعن سناها لسان الصلد ينحسر
تغد الصوارم في أيد الضراغم من ... آل الرسول لها فى الكفر معتبر
تدعي نزالا فتحكي في تراجمها ... وقع الصواعق فى الظلماء تستعر
ترمي الجماجم من أوكارها فترى ... بهما المعاجم للاهمال تحدر
تجلل الترب أوصالا ممزقه ... كانت تبجلها التيجان والحبر
فتملا الارض عدلا مثلما ملئت ... ظلما وروض رباها با لهدى عطر
ثم من أورث الشبل (السنوسي) من ... نفع لامة خير الخلق ينتشر
فاصبحت حلل الاسلام سابغة ... للناس لا يشتكي ضيق ولا قصر

وفى يوم الاثنين الثالث عشر من شهر صفر سنة ١٣١٣ سافر السيد محمد الشريف من الكفرة عائدا الى الجغبوب يصحبه قسم كبير من الاخوان والطلبه من بينهم السيد السنوسي الاشهب والسيد محمد التني والسيد احمد أبو سيف والسيد محمد الاشهب كما كان يصحبه ابنه السيد احمد الشريف فى حاشية من الاخوان مشيعا الى موقع (بئر الزيغن) الذى يبعد عن الكفره شمالا مسافة ثلاثة أيام .

يقول السيد أحمد الشريف فى كتابه السراج الوهاج مايلي :

ولما كنا بحطية الزيغن اشتد به المرض (يعنى والده) اجتمع الاخوان لاخذ الرأى في عودته الي الكفره أو الجزم بالسير الى الجغبوب فكان راى السيد محمد بن عبدالله التواتي والسيد محمد الثنى والسيد بن موسي العودة به الى الكفره وخالفهم في ذلك السيد السنوسى الاشهب اذ رآى من الصواب المسير به الي الجغبوب وعلل لهم نظرياته في ذلك فنزلوا على رايه وواصلوا سيرهم الي الجغبوب) رجع السيد احمد الشريف ورفاقه أما السيد محمد الشريف فقد جد السير وفي يوم ٤ ربيع الاول وصل الى الجغبوب فاستقبله خارجه ابنه السيد محمد عابد والسيد احمد الريفى والسيد محمد المدني والسيد أبوسيف مقرب والسيد احمد بن ادريس والسيد على المحجوب وجميع الاخوان والطلبه وكان السيد الشريف يعلو صهوة جواده الذى ركبه خصيصاً هذا اليوم فقد كان يركب الحوضيه (هودج) فترجل للسلام على المستقبلين ثم خف لزيارة ضريح والده وكان يوم وصوله عيداً لاهل الجغبوب فانساهم ما كان يحز فى نفوسهم من الم الفراق يوم سفر السيد المهدي ولكن لم يدم هذا السرور طويلا اذا اشتدت وطاة الالم بالسيد الشريف والكل يشعر بهذا الالم واستمرت المخاطبات بينه وبين شقيقه السيد المهدى ففى كل اسبوع علي الاكثر يصل البريد ويصدر وقد زاره بالجغبوب جميع رءساء الزوايا وأكثر شيوخ وأعيان القبائل من برقه وفى ليلة ٢٧ رمضان سنة ١٣١٣ لحقت روحه الطاهره بالرفيق الاعلى فدفن داخل ضريح والده فبكته الامة وندبت حظها وخرج الجغبوب بحللا بالسواد فكان هذا الحادث الاليم هو الثالث من نوعه الذى لبس فيه الجغبوب ثوب الحزن واكفهر جوه تلك الحوادث الثلاث التى مرت بالجغبوت وأهله والتي تخر لهو لها الاجسام وتتفطر لشدتها القلوب هي حادث ٩ صفر سنة ١٢٧٦ وفاة السيد السنوسى وحادث ٢٢ شوال سنه ١٣١٢ سفر السيد المهدى وحادث ٢٧ رمضان ١٣١٣ يوم وفاة السيد الشريف

لبس الاسا منها الاسى كما اكتسي ثوب السواد لاجلها جغبوب

فبكاه سكان الجغبوب شيبا وشبانا وبكته الامة رجالا وصبيانا وطير الخبر بسرعة للسيد المهدى بالكفره كما طير الى عموم الزوايا واتخذ يوم وفاته للذكري من كل سنه ففي كل زاوية تعقر الخرز وتقدم الصدقات للفقراء والمساكين وتقام حفلات التأبين ويقرأ القرآن

الكريم فيهدى ثوابه لروح السيد الشريف وقد ابنه العلماء والشعراء والخطباء ومن بينهم السيد أبو سيف مقرب وتلاميذه السيد احمد بن ادريس والسيد المختار الغدامسى والسيد محمد السنى وكل هاتيك المراثى تفيض حسرة ولوعة و نذكر قصيدتى السيد أبوسيف والسيد السنى لوجودهما بين يدينا و نبتدىء بقول السيد أبو سيف فاذا اخذت كل حرف منى أول كل بيت تظهر لك هذه الجملة الآتية .سيدى ومولاى السيد محمد الشريف رضى الله عنه :

سرنا بنعشك خضع الاعناق ... سيرا دوين العدو والاعناق
ياخير محمول لاعلى جنة ... ولحورها يلقينه بعناق
داء أصاب الكرمات فعالها ... واغتال روح مكارم الاخلاق
يجرى على وفق القضا حتما فلا ... تبقى قواضيه علي الارماق
والدهر يعتام الاخائر والردى ... يعتاد نهب نفائس الاخلاق
ماضر لوان صارم حتفه ... أبقاك للعافين والطراق
والعلم والعمل الذى شرفت به ... آفاق جنوب على الافاق
اكنه لاينثنى عن عزمه ... بتطيب أو رقيه من راق
ياجامعا أصل العلوم وفرعها ... جمعاً لمن ناداك غير مطاق
أنت الامام لكل أم الهدى ... والدين بالاجماع والاصفاق
لله كنز معارف وعوارف ... تحت الصحائف محكم الاطباق
سر ثوى في روضة موشية ... وشى الرباغب الحيا الغيداق
ياثاويا مع أصله فى لحده ... هذا قران السعد في الاعماق
دار حوت أصل المكارم والعلى ... مع فرعه ثبتت على الاطواق
ما تلك الاجنة قد زخرفت ... أورثت يامولاى باستحقاق
حزنا لنعيك حيرة فى رجة ... من شدة الاوجال والاشفاق
ماعذر من ينعاك ان لم يرتشف ... كأس الردى من دمعه المهراق

دمعي بغير العين منها مرسل ... تهمي بذاك قريحة الاماق
ان قصرت يوما فان قلوبنا ... أسرى لفقدك في أشد وثاق
لو كان يفدى الميت بادر كلنا ... نفديك بالآجال والارزاق
شرفت يا (جنبوب) حقا بالذي ... أعلا منارك في الزمان الباقي
ردت إليك وجوه آمال الورى ... عطشى لورد نوالك الدفاق
يسعى لارضك كل جلف محلق ... فيؤب بالآداب والارفاق
فازت رجال باحتلال رياضة ... ورياضة القطب الرفيق الراقي
راض الانام بعلمه وبحلمه ... فتقدموا في حلبة السباق
صار اذا ما رمته في دينه ... أو رمت نقض العهد والميثاق
يا صنوه يا شبله صبراً على ... ضيم الزمان وخطبه الفراق
ان المنايا غاية ما دونها ... من قاصر أبد ولا من راق
لا تخطؤ الاحياء سهام خطوبها ... من فاته هذا فذاك يلاقي
لكن إذا كان المسير لجنة ... كمسير سيدنا على الاطلاق
هان المصاب به وأن هد القوى ... وجرت مدامعي بالدم الرقراق
علمي بأني لاحق بمحمد ... وأرى أواري لواعج الاشواق
نوحي عليه توجعاً وتفجعاً ... لمبرح قد ضاق عنه نطاق
هم همما بالرغم في تاريخه ... بجلوه قطر القدر بالاشراق

وقال السيد محمد السني :

هجمت على من الزمان خطوب ... ومصائب منها القلوب تذوب
خطب يئن له الجماد وتنثني ... منه متون العزم وهي صلوب
نوب تنوب وحادث زواعج ... ترمي الورى بسهامها فتصيب
جلت وجل بها المصاب وغادرت ... رحب الفؤاد يئن وهو كئيب
ابس الأساء منه الاساءكما اكتسى ... ثوب السواد لاجلها (جنبوب)
عهدي بربع الحل ملتحف البها ... مخضرة أرجاء مرغوب

والشمل مجتمع ونشر البين فى ... طي وذيل سروره مسحوب
واليوم أصبح مقشعراً نازحا ... وحش الطلول لاجلهم مخروب
دارت عليه من الزمان دوائر ... أبدلهن على السرور ثوب
لا در در البين يوم ترحلوا ... وسرت بهم نجب المنون تجوب
وحدي بهم حاد النوى والقلب فى ... نار الجوى متقلب مرغوب
سقيا لايام مضت لما انقضت ... ان البكاء لاجلهم مطلوب
كل الرزايا ان توالت أسليت ... إلا مصابك (ياشريف) صعيب
رزؤبة ثكل الفضائل كلها ... ولوقعه وجه الزمان قطوب
تبكيك أبصار لانك نورها ... وبصائر منكم لها تطبيب
ومعاشرانتم ربيع قلوبهم ... ومعاهد انتم لها أشبوب
وفرائض ونوافل ومحافل ... ومشارق ومغارب وجنوب
وبكي عليك الجو يقطر دمعه ... وعلاه من أحزانه تثريب
لو تعلم الورق السواجع بينه ... باتت علي البانات وهي ندوب
أسفي وتهامى وحر لواعجى ... وقريح جفنى بالدموع سكوب
وقفا عليك أبا هلال «١» انني ... بسقام بينك مدنف مطبوب
بدر تكامل نوره لكن به ... عجل الغروب وما أحان مغيب
حزن الوجود لفقده وللحده ... فرح بمقدمه فهو طروب
صبر لامر قد قضاه الا هنا ... وعلي الجميع مقدر مكتوب
ناداه اكراما وتشريفا له ... فغدا يهرول للنداء ويجيب
فى ليلة القدر التي قد فضلت ... عن ألف شهر خصه الترجيب
وغدا يهنأ بالبشائر من له ... خدموا وللحضار صح نصيب
سافرت بابن الاكرمين الى العلا ... وتركت أفئدة عليك تذوب
سفر به لك راحة أبدية ... لكن به مس القعود لغوب
وتباشرت بقدومه أهل العلى ... فلهم هناك به غدا تثويب

(١) هو ابن الفقيد .

وله الجنان تزخرفت وتفتحت أزهارها فرحا ففاح الطيب
تاقت الى سكنى الفرادس روحه وضريحه للزائرين يطيب
حملوه فوق سرير مكرمة الى دار الكرامه جاره المحبوب
ود اللقاء له أبوه مثلما ود اللقاء ليوسف يعقوب
ضمتهما ضم الكرامه تربة بهما تيتة تشرفا وتطيب
وسعتهما والكون ضاق فضاؤه عن بعض فضلهما وذاك عجيب
ساق الاله الى الحمى مزن الرضا تسقى رياض المجد وهى دروب
إني لأرجو الله يجمع بيننا فى مقعد عند المليك رحيب
ويطيل عمر ولى نعمتنا الذى للدين والدنيا هو اليعسوب

وبعد أسابيع قليلة من وفاة السيد الشريف أرسل السيد المهدى فى طلب العائلة من الجغبوب الى الكفره فسافر السيد محمد عابد وأفراد بيت والده مصحوبا بالسيد أحمد الريفى والسيد أبي سيف أمقرب وبهذا الانتقال لم يبق من أنراد البيت السنوسى أحد بالجغبوب .

السيد محمد الشريف السنوسى

ولد السيد محمد الشريف بزاوية درنه سنة ١٢٦٢ هجرية ولما تجاوز السادسة من سني عمره أدخل الكتاب ليتعلم القرآن الكريم وفي سنة ١٢٦٩ طلبه والده بالحجاز فسافر مع والدته وجده لأمه السيد احمد بن فرج الله ولما وصل الى المدينة المنورة استقبله حاكمها مصحوباً بالسيد عبد الله التواتى وكيل السيد السنوسي بالحجاز وقد أهداه حاكم المدينة المنورة ساعة ذهبية تكريماً له وفي شهر ذى القعدة من السنة نفسها سافر الى مكة المكرمة ومعه السيد عبد الله التواتي ومائه جندى من الخيالة خصصهم حاكم المدينه لحراسة السيد الشريف وفى هذه الطريق توفى السيد عبد الله التواتي غيلة :

تلقي السيد الشريف العلم عن كبار العلماء والذين عهد به اليهم في الحجاز وفي سنة ١٢٧١ كان يعالج (مسدساً) بيده فانطلقت منه رصاصة أصابته فعولج هناك وشفى وفى سنة ١٢٧٥ طلبه والده الي الجغبوب اذ بعث بالسيد عبد الرحيم المحبوب للاتيان به فوصل آخر ذى الحجة من السنة نفسها ولم يقل الاحتفال الذى أقيم من أجله عن الذى أقيم ابتهاجاً لمقدم شقيقه السيد المهدى كما أسلفنا وقد أخذ السيد الشريف فى اتمام دروسه مع شقيقه على السيدين الفاضلين السيد عمران بن بركه والسيد أحمد الريفي وكان السيد الشريف محل اعجاب والده وشقيقه وشيخه لشدة ذكائه وتضلعه في العلوم بالرغم من صغر سنه ولما توفي والده وآل الأمر الي السيد المهدى تولى السيد الشريف جميع الاعمال بالنيابة عن شقيقه الذى عهد له بذلك فما من كبيرة ولا صغيرة الا ويشرف عليها مستعيناً بمجلس كبار الاخوان مستمداً ارشاداته من تعاليم شقيقه السيد المهدى ويعرض كل شيء على سيادته وكان السيد الشريف هو العضد الايمن والساعد القوي للسيد المهدى ومستشاره الاعلى ومحل ثقته والى جانب أعماله الثقيلة لم يعرف عنه أنه تساهل فى يوم من الايام عن الاشراف على سير التعليم وكان يجلس بنفسه للتدريس فتحضر عليه الطبقة العليا من كبار الاخوان وقد تخرج عنه فطاحل العلماء وكانوا يفتخرون ويفاخرون بتلمذتهم عليه وكان يعد علم من الاعلام وحجة بالغة وراوية كبري

وموسوعة من المعارف ومجموعة للظرف والادب وروائع الشعر والتاريخ ،سمعت هذه الحكاية الآتية من تلميذه والدي السيد أحمد بدادريس قال :

كنا نحضر على السيد الشريف وكنا ندرس عنه الحديث والتفسير والتصوف ومطولات كتب اللغة فكان يجلس بكل تواضع ويضع الكراس الذي بيده فوق منضدة من الخشب توضع أمامه ويقرر ما نحن بصدده وعند ما نمر بمشكلة فقهية أو تاريخية أو لغوية يسرد لنا رضى الله عنه من ذاكرته جميع وجوهها وما ورد فيها من أقوال العلماء أو الأئمة المصنفين بأسلوب عذب ساحر خلاب ولا يترك قولا ورد فيها الا ويأتي به ثم يوضح الأصح من الاقوال والمتفق عليه وعند ما نقف على أى بيت من الشعر في أى كتاب نقرأه أو فى أى موضوع نتناوله يقول لنا ان هذا البيت هو من قول فلان المولود سنة كذا والمتوفى سنة كذا في مناسبة كذا ويبتدىء في قراءة القصيدة من ذاكرته الى أن يقف على البيت الذى كان السبب في اعلامنا بقوة حافظة سيدنا وسلامة ذاكرته :

عرف السيد الشريف بقوة العزيمة والارادة والحزم فى جميع أعماله حزم المتبصر الخبير لا يتطرق اليه الكسل ولا يخالجه الملل وقد خوله السيد المهدى سلطانا واسعا الي جانب سمو قدره وجلال مقامه ومع كل ذلك لا يري نفسه الا خادما مطيعا للسيد المهدى ولا رغبة له فى هذه الدنيا غير رضاه وكل الشرف الذى يفتخر به السيد الشريف هو أن يكون الأمين المخلص لأخيه ومحل ثقته كما هو الحال .

كان السيد الشريف كما عرفه كبار الاخوان كثير الادب في حضرة شقيقه وكان ينظره كوالده بالذات فلا يرفع صوته أمامه ولا يقاطعه فى كلامه ولا يخالفه فى رأيه سامعا لأقواله مطيعا لاوامره منفذاً لاشاراته بتأدب أمامه فى الجلوس والكلام والسير في الطرقات وفي جميع الحالات وترى ذلك ظاهراً فى كتاباته له فانك اذا طالعت كتاباً من السيد الشريف الى السيد المهدى تشعر أن الاول كان مستحضراً وقت كتابته ذات السيد فكانه يخاطبه حاضراً فانظر الى هذه الجملة الآتية من كتاب بعث به السيد الشريف الي شقيقه عند ما كان الاول مريضا ذلك المرض الذي ألزمه الفراش حتى توفاه الله فتجلى في هذا الكتاب مكارم الأخلاق وسمو الادب ونبل الطبع . قال رحمه الله (وقد

رفعت اليكم الشكوى لتبتهلوا الى الله سبحانه وتعالى فى رفع هذه البلوى فان دعاءكم عند مقبول لا يختلف فيه اثنان من أهل العقول الا أن تروا هـذا الابتلاء أصلح بي فالله يرزقني الصبر والتسليم) بينما كان السيد المهدى في كتاباته للسيد الشريف يكتب كتابة الصديق الحميم لصديقه والأخ الوفى لاخيه والسند للسند فيباسطه ويمزح معه ويبسط له كل شيء فى أسلوب عذب لطيف ويخبره عن جميع ما يدور حوله فلا يخفي عنـه صغيرة ولا كبيرة وكان السيد المهدى لا يقابل أحداً الا بحضور السيد الشريف الذى يحدد مواعيد المقابلات وكانا يتناولان الاكل سويا ويصليان سويا ويخرجان سوياً ونفس هذه الحالة يجدها الانسان بين السيد احمد الشريف والسيد ادريس المهدى وبين هذا الاخير وأخيه السيد رضا . كان السيد الشريف يتولى مخابرة رؤساء الزوايا فى الرسميات باسم السيد المهدى وبناء على أوامره ولا تخرج تلك المكاتبات عن اعطاء الاوامر والارشادات والتعاليم فلا تتعدى صفة الكتاب ذلك ، أما فى الخصوصيات فكان يكاتب رؤساء الزوايا وكأنما يخاطب صديقاً حميما فتراه يعرض من الاخبار والمعلومات على من يكتب له حتى يكاد يكون كتابه شبه جريدة اخبارية حافلة وهنا نقف عن سرد جميع أطوار حياة السيد الشريف إذ لانستطيع أن نأتى بأقل من القليل فحياته العلمية والعملية والاجتماعية يتعذر حصرها ولهذا نكتفي بالاشارة الموجزة :

ياور الحضرة السلطانية يزور السيد المهدى

في سنة ١٣١٣ وصل الصادق بك المؤيد ياور جلالة السلطان عبدالحميد الى الكفرة مندوباً من قبل السلطان يحمل الكثير من الهدايا النفيسة وكتباً خاصة وهـذه هي الزيارة الثانية من الصادق بك المؤيد فالاولى كانت بالجغبوب سنة ١٣٠٨ وكان يصحب الصادق بك من بنغازى كل من منصور بك كاهيه وسليمان بك منينه والسيد محمد العيساوي والسيد عبد العزيز العيساوى والسنوسى أبو مدين وهؤلاء من جملة أعيان بنغازى ثم انظم اليهم من جالو الشيخ يونس العجائبي وفى هذه الرحلة يقول الصادق بك المؤيد من قصيدة لم نتمكن من الحصول عليها كلها :

مليك ملوك الارض مذ كان في المهد ... توالت هداياه علي السيد المهدى
هدايا عظيم أهديت لمعظم ... فمن هو كالمهدى اليه وكالمهدى
كعبد الحميد المليك يحمى حماه من ؟ ... وكالسيد المهدى فمن هديه يهدى ؟
الي أن يقول: أتى صادق طوع الارادة قاصداً ... الي حرم المهدى المطايا له يهدى
يجوب الفيافى لا يميل الى الكرى ... حليف السري يهوى مواصلة المهدى
يرى الصعب سهلا والمتاعب راحة ... وبعد المدى قرباً وما مر كالشهد
فحل رحاب الفضل بالرحب واثنى ... بحسن الثنا المأثور عن صادق العهد

وكانت هذه الزيارة الثانية من الصادق بك عقب تحول السيد المهدى الي الكفرة لا تخلو من جس النبض ولها علاقة بالموقف وتتصل بالسبب الذى جاء به فى المرة الاولي وقد جاء من أجل ذلك أيضاً رشيدباشا كما قلنا فالحكومة العثمانية كثرت مخاوفها من الحركة السنوسية وارتبكت في الامر يضاف الي ذلك ضغط بعض رجال الدول الاستعمارية علي الحضرة السلطانية فلا تقل مخاوفهم عن مخاوف السلطان نفسه ولكن السيد المهدى الذى كان يطلع علي كل ما يدور في الخفاء ليس من السهل عجم عوده ولم يكن (ممن يفعقع لهم بالشنان) وقد رجع الصادق بك المؤيد مرفقاً بكتاب من السيد المهدى وقد أهداه (برنوسا) « وسبحة » كما أرسل السيد المهدى الى السلطان سبحة من الكوك وبرنوسا من الجوخ وجبة من الحرير) .

وفى هذه السنة وصل الى الكفرة الكثير من رؤساء الزوايا وأعيان وشيوخ القبائل وفى سنة ١٣١٤هـ سافر جلة أعيان برقة ورؤساء الزوايا لزيارة السيد المهدى حتى أن العرب يعرفون تلك السنة بهذا الاسم (سنة المزار) ليقدمون لسيادته أحر التعازي فى الفقيد العظيم السيد الشريف وقد كان رؤساء الزوايا وبعض الشيوخ رفعوها بالنيابة عن الجميع الى أعتاب السيد المهدى ، سافرت قبائل العرب بقوافلهم يحملون كل ما لذ وطاب حتي من الاغنام التي لا تصل الى الكفرة غالباً الا بشق الانفس وضرب هؤلاء المسافرون وغيرهم من شيوخ الزوايا موعداً بوادى (قطمير) ليلتقي فيه أهل برقة الغربية والجبل الاخضر والبطنان حيث لكل من هذه النواحى طريق مخصوصاً الى (قطمير) ومن هناك تتوحد الطريق الى الكفرة فتم ما أريد بكل نظام وتوجه الجميع

يحدوهم الشوق ويدفعهم الحنين ويقودهم الحب والاخلاص لسيدهم ورمز وحدتهم وجامع كلمتهم وموحد صفوفهم وخالق نهضتهم ولم يقتصر هذا السفر على القادرين فقط فقد توجه الكثير من أفراد الأمة وعامة الاهالى الذين لم يركنوا لاي ضرورة تحرمهم شرف الزيارة ولا لأى عذر يمنعهم اجتلاء محيا سيدهم العظيم المحبوب وأخذ كل زائر يظهر مكنون ضميره فى احديته التى يحدو بها جماله فى جوف تلك الصحراء الشاسعه المخيفة فى تلك الليالي الحالكة المظلمة البهيمة (١) فقائل يقول :

وإنى لمشتاق لروية وجهه ورؤية ذاك الوجه من أوجب الفرض

وآخر يقول :

لقد أعلن الحادى بما كان فى السر وأخبرنى عن صاحب المجد والسر
فمن نوره نجم السماء إذا بدا كما أن نور الشمس منه مع البدر
به يهتدى من كان في الليل ساريا ويسرى به من كان في لجج البحر (٢)

الي أن يقول :

ولبسك للتاج القديم محقق كما أن سكني (التاج) جاءك بالامر (٣)

ويقول الآخر :

أيا راكب الوجناء تفلى الفيافيا وتوردها آل المفاوز صافيا
تؤم بها ركنا ركينا عهدته قريبا لسعيي حوله وطوافيا
فتقطع من رمل الصحارى سلاسلا كموج ترى الهامات فيه طوافيا
وتجعل ماء (للابيض) يمنة فتصبح فى فج يفج الافاعيا (٤)
ومرت مرورات تمر بموره فيقدح زنداً فى الحنادس واريا

---

(١) من المعروف أن السفر إلى الكفره من برقه لا يكون إلا ليلا فتجد القافلة تبتدىء السير قبيل الغروب بقليل وهكذا حتى الشروق وتضع الاحمال طيلة النهار

(٢) قصيدة لوالدى السيد احمد بن ادريس وفيها يشير للمسافرين ليلا بطريق البر إلى الكفره ولزوارها من استانبول كحضرة الياور عن طريق البحر إلي بنغازى

(٣) التاج اسم للزاوية التي ابتناها السيد المهدى بالكفره

(٤) الابيض اسم لبئر تقع فى طريق الكفرة .

إذا جئت ربعا حل مغناه علية ... وبالسيد المهدى أصبح عاليا
فبلغ سلامي ساكنيه وافصحن ... واياك والتقصير فى شرح حاليا

ويقول الآخر :

خليلي عج بالركب نحو ديارهم ... وزاحم على النهل الزلال المبرد
اذا قلتما لى ليس فى الارض جنة ... فهذى با بأرباب البهاجنة الخلد
بحن لها قلبي وكل جوارحى ... كما حن مقصوص الجناح الى الورد

ويقول الآخر :

ألا ياحداة العيس حثوا إلي التاج ... لنغنم مرآى مشرق الوجه والتاج
وجدو لاسعادى وجدو لطبتي ... ومالي سوى تقبيل يمناه من حاج
فكم نازح نال المنى من حدائحكم ... مطايا تخوض الال والمظلم الداجى
فياز اجريها فى الدياجى نواجيا ... سيحمدا دلاج السرى المدلج الناجى

ويقول الاخر :

أيا خليلى عج بالركب نحوهم ... ورد زلالا لكل الرين قد قطعا

أما حداة العيس من البدو فيقول قائلهم :

مدى أرقابك ياوداید مدى ... غاب الهراط وجاء حديث الجدى (١)

ويقول الاخر :

لا نعرفو لا قرضبا لا خودى ... لولى أسياد يابنات القودى (٢)

فمن يمعن النظر فى تلك الصحراء القاحلة التى تحيط بالكفره من جهاتها الأربعة والمنبسطة الارجاء التي تبتدىء بعد مسير يومين على الأكثر جنوب الساحل البرقاوى

---

(١) الوداید من اسماء الابل عند البدو ومفردها ودود وأصلها من الود ولذلك يقول البدوى مخاطبا جماله بقوله امددى رقابك أى جدى فى مسيرك فقد انقطع الهزل وجاء الجد)

(٢) قرضبا اسم لموقع في الصحراء وكذلك قارة خود وها هو العربى يقول لجماله (لم نكن نعرف هذين الموقعين بالصحراء لولا حب الاتصال بالسادة) وبنات القود اسم أيضا للابل .

فى بعض الاتجاهات ولم يكن بها ماء ولا مرعي إذا استثنينا واحتي جالو وأوجله أو بئر الزيغن الذى يبعد عن الواحتين المذكورتين بثمانية مراحل جنوبا ويبعد من الكفرة بأربعة مراحل شمالا يهوله الامر ويعجب كل العجب كيف يقدم الانسان على قطع هذه الصحراء المزعجة الرهيبة ؟ وقد وصفها الرحالة المصرى احمد باشا حسنين في كتابه عند ما قطعها من جالو إلي الكفره فمن أراد أن يتحقق من معرفة تلك الصحراء عليه أن يراجع كتابه المعنون بصحراء ليبيا وبهذه المناسبة أذكر عن هذا الكتاب ، لقد مال سعادة أحمد باشا حسنين عن الحق جانبا هذا اذا صح أنه تعمد حشو كتابه بغير الحقائق فى كثير من كتاباته عن السنوسيين أما اذا قلت أن سعادته بريئا ولم يكتب إلا ما رواه عن أضعف الرواة من الخرافات فهذا لا يبرر براءته وهو الكاتب الكبير والذى رأى بعينى رأسه كل حقيقة عن السنوسيين واتصل بعميد الاسرة الامير السيد ادريس وبوكيله فى الكفرة السيد محمد عابد واجتمع بكثير من الاخوان ولا نريد أن نتعرض لما قوبل به من سمو الامير ووكيله ورجال حكومته لان ذلك من الواجبات لسعادته ولغيره ولا نريد أن نطلب منه تغيير الحقائق نظرا للمجاملات التي عومل بها ، ولكن الواجب يقضى عليه أن لا يتسرع في بعض ما كتبه وكنت أردت أن أناقش سعادته فيما انتقدناه فيه ولما سمع سمو الامير بذلك أمرني أن لا أذكر شيئا فالحقيقة يعرفها كل إنسان والحق يظهر مهما حاول كل كاتب إخفاءه ، نعود الى ذكر الصحراء : جاء فى كتاب حاضر العالم الاسلامي ص ٢٩٦ ج ٠ فيما يلى :

(لم يستطع أحد من الغربيين الوصول الي هذا المكان (الكفرة) سوى رجل واحد ويحيط بالجوف الصحراء على بعد عدة فراسخ من الجوف آبار الماء وأما طرق الصحراء المؤديه الى مقر السنوسي تلك الطرق المظللة فلا يستطيع السير فيها إلا كل خريت خبير من رجال السنوسى أمير البلاد وسيدها المطاع ، فسلطان السنوسى حق سلطان كبير) .

مكانة الابل عند العرب

سبق أن ذكرنا عن سفر قوافل الزوار من (قطمير) ميممة صوب الكفرة والآن نقول ، فبالرغم مما يلاقيه مخترقوا هذه الصحراء من أنواع التعب والشدائد فلا تراهم إلا مبتهجين متهللي الوجوة حيث يجتازونها لزياوة السيد المهدي :

تهون علينا فى المعالي نفوسنا إذا نحن أدركنا الذى كان أجدرا

نري العربى يغادر أهله بحافز خاص لا يعود إليهم إلا بعد شهرين علي الاقل تاركا آل بيته وماله وكل ما يهمه في هـذه الدنيا ومن أعز مقتنيات هـذه الحياة الدنيا عند البدوى هى الابل التي لم تكن المعارك الطاحنة إلا من أجلها فتقام الحروب بينه وبين أقرب الناس إليه وكم من حروب وقعت بين البدو أتت على الرطب واليابس من أجل الابل حتي أن البدو يسمونها بـ (شؤمه) من الشؤم ويقولون أن الموت من أجل الابل لذيذ ، وفي الابل قال قائلهم مادحاً :

الابل اتعز النفس وانعم بيها اوهى عزها بالخيل تتبع فيها

وهذا البيت من قصيدة طويلة خاصة بمدح الابل لا يوجد بدوى فى الغالب إلا ويحفظها وهى من معلقاتهم ، ويقول الآخر :

جميع ما تالف العين طقت أفراقه امفيت الفرس والبندقا والناقة

ولأحدهم يطلب من الله أن يسخره لحضور كل معركة تكون بسبب الابل :

يا مولاى عوج اللغاوى نعنه سوقها حاضره نا

ويقول الاخر :

في شانك ضنا لجواد يا حنانه باتوا رمايا ما هوو جبانه

ويقول أحدهم :

تستاهلى لي المـــلاوى اوتستاهلي هرج الفجور

اوتستاهلي مـوت السمايا ومنهم الدم فى شانك يفور

ويصفها أحدهم بأنها (السيارة) المحبوبة التى لاتحتاج إلي بنزين او غيار وليس لها صوت يزعج :

امعاي (كهربه) لا قاز لا بريمة لا حس عالى ساعة التخطيمه

فاذا تصور الانسان قيمة الابل عند البدوى والمكانةالتي تحلها من نفسه يأخذمنه العجب مأخذهاذيراه يذهب بخيره جماله في طريق وعر لا ماء فيهاولامرعي ويحمل عليها أثقاله وأثقالا مع أثقاله من مؤنته ومائه ومؤنتها هى نفسها فضلا عما تلاقيه جماله من أنواع المرض المعروف عند البدو بأنه يصيب الابل بسبب الاثقال وبعد المسافة وحر القيظ وبرد الشتاء هـذا فضلا عن تركه بقيه جماله خلفه وهو الذي لا يهدأ له بال ولا يقر له قرار إلا بالنظر إليها يوميا وها نحن نشاهد أرباب الابل من الشيوخ والاعيان كهولا وشبابا يغادرون بيوتهم مساء كل يوم بخيلهم ورجلهم ليشاهدوا الابل فى مرعاها بالرغم من وجود رعاتها ونراهم يحضرون ورودها الماء كل أسبوع وأنهم لا يميلون الى أكل لحومها تقديرا لهـا وليس من السهل عندهم ذبحها ومن لم تكن عنده الابل لا يعد في عداد الاثرياء مهما كانت ثروته .

تساهل البدوي فساق جماله المحبوبة مثقلة بالاحمال وترك وراءه ما بقي منهافي سبيل غايته السامية التي أقدم عليها وهى زيارة السيد المهدى ونجد البدوى ينحر أحبها إليه عندما يصـل الى الـكفرة أو الجغبوب ليقدم لحومها الي الفقراء والمساكين ابتهاجا بوصـوله وشكراً لله تعالي الذى مكنه من تلك الزيارة .

رحلة السيد المهدى الى السودان

احتلت الكفرة المكان الأول بين جميع الزوايا السنوسية لوجود السيد المهدى بها ففتحت فيها المدارس لتعليم القرآن الكريم وتصدر مجالس التدريس كبار العلماء وتقدمت سوقها التجارية تقدما باهراً إذ أصبحت تردها بضائع السودان وتصدر اليه عنها وهكذا الحال بينها وبين برقة من جهة وبينها وبين مصر من جهة أخرى وتحسنت زراعتها الى حد بعيد وجلبت اليها أشجار الفاكهة من واحة سيوه ودرنة وزاوية الزيتون فجاء ثمر ما غرس بها من ذلك وعمرت بالسكان الذين هاجروا إليها من المجابرة والتبو والسودانيين فضلا عن سكانها المعروفين وهم : قبيلة زوية حتى أصبحت ذات أهمية كبرى فى وقت جد قصير وفى أواخر سنة ١٣١٦ حدث حادث آخر لا يقل دهشة عن سابقه الذي حدث سنة ١٣١٢ ،حادث تبلبلت له الخواطر واضطرمت له النفوس واضطربت له العقول وحارت منه الافكار وارتعشت له الفرائص وخفقت له الافئدة واقشعرت منه الابدان ألا وهو تحول السيد المهدى من الكفرة إلى السودان ، وليقول قائل إننا بالغنا فى وصف ذلك ، كلا إننا لم نأت بأقل جزء من الحقيقة ، فتحول السيد المهدى إلى السودان كاد أن يكون سببا لاخلاء برقة من سكانها الذين رغبوا الالتحاق به بعائلاتهم وأولادهم ولكن أبى سيادته أن يسمح بذلك ، يظهر أن السيد المهدى لم يتخذ الكفرة إلا دارا اولى لهذه الرحلة حيث أنها في عزمه ونيته ويفهم ذلك من كتاب بعث به الى رئيس زاوية الطيلمون بتاريخ ١٣١٤ هـ يأمره بالحضور إلى الكفرة قبل الارتحال منها وأن لم يبين بكتابه الى أى جهه يريد الارتحال ومعني ذلك أن السيد المهدى ينتوى التحول من الكفرة ثم هناك دليلا آخر على ذلك وهو اعتناء السيد المهدى الجبار بدرس الطريق الواقعة جنوب وشرق الكفرة وحفر بئر بشرى والسارة فى الطريق الواقعة بين الكفرة والسودان «١» وقد أنفق سالم باشا المحيشى أحد سرات مدينة بنغازي الاجلاء على

(١) فى سنة ١٢٨٠هـ وحوالى سنة ١٨٦٤ م بعث السيد المهدى بالسيد محمد بن شفيع لحفر بئر بشى وهى جنوب الكفرة بمسافة ثلاثة أيام أما السارة فقد اختطها السيد المهدى وحفرت بعد سفره للسودان على نفقة المحيشى .

حفر إحدى البئرين من ماله الخاص فخدم السيد المهدى بهذين البئرين الانسانية خدمة عظيمة ثم أن السيد المهدى أرسل بعثة من الاخوان في رحلات اكتشافية تفتيشية فى قلب الصحراء بين الكفرة والسودان ثم تلاها ببعثة أخرى يرأسها السيد مصطفى السمالوسي فاكتشفت هذه الأخيرة حطية بقرب العوينات بعد أن وقفت على (العوينات) «١» ولما عاد السيد مصطفى إلى الكفرة لاعلام السيد المهدى وترك رفاقه بالعوينات خف لرؤية ذلك مائة وخمسة عشر رجل من قبيلة زوية بينهم خمسة أشخاص من المجابرة لدراسة تلك الحطية ومعرفة قدر المياه التي يمكن إيجادها ونوع النبات وهل ترعاه الابل أم لا ؟ كل ذلك مما يدل على أن السيد المهدى فى عزمه هذا الانتقال من أول الأمر وقد وقفت على كتاب بعث به السيد أحمد الريفي من الكفرة إلى أحد رؤساء الزوايا ببرقة يخبره عن هذا الاكتشاف وسفر الجماعة المذكورين .

فاجأ السيد المهدى بلاده برحلته الثانية كما ذكرنا فهال البلاد هذا الحادث المفزع وأصبح جميع العرب سكارى وما هم بسكارى ولكن ألم فراق السيد شديد ومصاب الأمة ببعده عظيم ، مصاب تفيض له نفيسات الانفس . فكر الكثير في مغادرة البلاد ومصاحبة السيد المهدي ولكنه طمأن الجميع بواسطة الزوايا وأفهمهم أن الامر لا يعدو تنقلا تاقت له النفس وفى ذلك ما فيه من الاصلاح فاطمأنت النفوس قليلا ولكن الاضطراب الذى استولى عليها من الصعب تسكينه .

إن للسيد المهدي نظريات بعيدة المنال فلا يصل إلى كنهها كائن ما كان ولا يدركها إنسان هذا هو رأى كل فرد من أفراد أمته عندما يريد إقناع نفسه وتسليتها ويقول الخير كل الخير فيما أراده الله .

حضر السيد المهدى نفسه وأعد العدة وفي يوم من أيام شهر جمادى الثانية سنة ١٣١٧ هجرية انتقل من الكفرة مصحوبا بجميع أفراد العائلة السنوسية وحاشيته الخاصة وكبار الاخوان الذين طلبوا خصيصا لمصاحبته فى هذه الطريق يتقدمهم السيد أحمد الريفى والسيد محمد البسكري وكانت الابل التى نقلت الاثقال لا تقل عن ثلاثة آلاف وثمانمائة جمل تحمل المؤن والمياه والكتب والاثاث وقسمت إلى خمسين (ركب) كما يقولون عنه أو (مساق) بلغة عرب برقة وكل ركب مستقل فى سيره تحت إشراف رئيس موكول به

يصحبه خبير للطريق ولمجموعة هذه الركبان أو (المساقات) خبير واحد رئيسى يعطى الاوامر لبقية الخبراء عن الطريق الذي يريد الاتجاه نحوها وتجتمع هـذه المساقات في المساء من كل يوم إذا كان السير نهارا فتضع أثقالها في صعيد واحد من تلك الصحراء المنبسطة وتوجد شبه مدينة فى قلب الصحراء تشاهد أنوارها من البعد ويسمع المؤذن فى أوقات الصلاة وتلقي الدروس وتقـدم الاطعمة وأهمها (الكسكسى) المحضر بطريقة خاصة للسفر وعندما يراد النقل يضرب (الطبل) الذى ينطلق صوته الصادى فى الفضاء فتردده الاجواء ويسمعه الجميع إيذانا بالنقل . جد السيد المهدى سيره متعمقا فى جوف الصحراء إلى الجغبوب والجميع مطمئنون الى هذه الرحلة وان كانوا لا يعلمون من أمرها شيئا وكان عدد رفاقه من الرجال ١٠٦٦ وهم من الاخوان وشيوخ القبائل والحاشية الخاصة والخـدم ومن بينهم مائتى سودانى وخبراء الطريق عدا أفراد البيت السنوسى ومن الخيل مائة ومن البغال عشرين واستغرقت المدة بين الكفرة و (قرو السودان الفرنسى) شهرين تقريبا بمـا فى ذلك الاقامات علي المنافز وفى محال مختلفة أما خبراء الطريق فهم كثيرون ومنهم الشيخ الوجيه جاد الله ازنين البرعصي الساكن الآن بالزاوية البيضاء وعمره (٨٦) سنة ، ومن بين رفاق السيد المهدى من رؤساء الزوايا السيد مصطفي المحجوب ، السيد السنوسى الاشهب ، السيد محمد الدردفي ، السيد العلمى الغمارى ، السيد محمد الشارف ، السيد عمر المختار ، الحاج محمد الثني . ومن أبنـاء شيوخ الزوايا السيد طاهر الغرياني ، السيد محمد على بن ادريس ، السيد عمر المحجوب . ومن بين الاخوان التابعين لحاشية السيد المهدى الخـاصة : السيد أحمد أبو سيف ، السيد محمد الاشهب ، السيد العربى الغمارى . أما شيوخ القبايل فمنهم : الشيخ مازق أبو بكر حدوث ، الشيخ عبد الله حفالش ، الشيخ محمد أبو فروة ، الشيخ المبروك سعيد أبو زوير ، الشيخ عيسى أبو عمر ، الشيخ التواتى أبو عمرية ، الشيخ محمد أحمـد العريضة ، الشيخ عبـد ربه أبو حنطيشة ، الشيخ عبدالقادر ناصر ، السيد الفضيل أبو خريص ، الشيخ محمدعبدالقادر الكزة ، الشيخ محمد أبو زيد العبيدى ، الشيخ محمد عقيلة العبيدى ، الشيخ عبد الهادى البراني المغربى ، الشيخ مصطفي أبو طيغان ، الشيخ عبد الكريم موسي الدرسي ، الشيخ رجب أبو حويش المنفى ، الشيخ محمـد المهدى الجرارى ، الحاج فتيتة المجبري ، الحاج

عبد الله البشارى ، الحاج يونس عبد الله العكى ، الشيخ إبراهيم فريطس ، الشيخ على قرجيله ، الشيخ حميدة جبريل ، وكثير من الاعيان وشيوخ مختلف القبايل لا سيما قبيلة زوية التي يعدشيوخها وأفرادها بمثابة الحرس الخاص ويضيق المقام عن سرد أسماء رفاقة من الاعيان ولا تنقطع الزيارة لسيادته من برقة فكأنما تلك الشقة البعيدة أقرب إليهم من كل قريب .

عواصم الزوايا

كانت زاوية جبل أبي قيس هي العاصمة الأولي التي تصدر منها الدعوة السنوسية والتى تأسست فيها الجمعية الاصلاحية حتى سنة ١٢٥٧ فانتقلت الرياسة بانتقال السيد السنوسى إلى الزاوية البيضاء وفى سنة ١٢٧٣ انتقلت الرياسة إلى العاصمة الجديدة الجغبوب وهكذا بقت هي المركز العام إلى سنة ١٣١٢ إذ صارت الكفرة هى العاصة بتحول السيد المهدي إليها ثم فى سنة ١٣١٧ صارت العاصمة هى (قرو) بانتقال السيد المهدى إليها وفي سنة ١٣٢١ عادت الرياسة إلى الكفرة حيث رجعت إليها العائلة السنوسية من السودان ، وللجغبوب والكفرة المكانة الاولى بين جميع الزوايا السنوسيه فى برقة وخارجها ففي الجغبوب ضريح السيد السنوسى وهذا الضريح هو محل القداسة والتقدير وفي الكفرة ضريح السيد المهدى الذى لا يقل عن سابقه مكانة وتقديرا وتبجيلا ولكن النظرة الخاصة التي ينظر بها إلى الجغبوب لا تزال هى النظرة الاولى أيام أن كان هو كعبة الآمال وإليه تشد الرحال وبه تنزل الوفود ونحوه يحج الحجيج وإليه ترفع التقارير وله ترد الشكايات وفيه تحل المشكلات ومنه يتخرج العلماء وفيه تمثل الشوري الاسلامية بكل معناها ولكننا لا نستطيع أن نخفي أن قيمته المادية انتقلت إلى الكفره بتحول السيد المهدي اليها واحتفظ بمكانته الادبية ومركزه وسمعته الطائرة الصيت أما الزوايا السنوسية ببرقة فكانت محتفظة بمكانتها معتزة بسلطان مؤسسها أينما يكون مركزه ومحل إقامته . جاء فى حاضر العالم الاسلامى ج فى صحيفة ٢٦٩ ما يلى :

(فسلطان السنوسى حق سلطان كبير والسبب فى ذلك أن لهذه الزوايا عظمة وشانا أكبر مما يبدو للقارىء عند أول وهلة فعلى رأس كل زاوية مقدم وفوق المقدم وكيل وظيفته كوظيفة الحاكم المدنى وكلا المقدم والوكيل ذو سلطة كبيرة على أهل الزاوية .

الحرب السنوسية الفرنسية

تحول السيد المهدى من الكفره إلى قرو بالسودان الفرنسى وهي زاوية من زوايا السنوسية فى شهر جماد من سنة ١٣١٧ كما سبق ذكره فى غير هذا المحل وللسنوسية بالسودان الفرنسى عدة زوايا أولاهن (قرو) فقد أرسل السيد محمد المهدى وهو يومذاك بالجغبوب الشيخ محمد بن عقيلة الزوى لتاسيسها ، وكان أول رئيسا لها أما بقية الزوايا فقد أسست بعد وصول السيد المهدى إلى (قرو) وهاهو بيان الزوايا بالسودان — زاوية بواداى — زاوية أرضا — زاوية علالى — زاوية وجنقه الكبرى — زاوية وجنقه الصغرى — زاوية فايه وتعرف بزاوية (ون) — زاوية كلك وقد أسسها السيد محمد البسكري — وهناك زاوية أخرى بكنو نيجريا فهذه هى الزوايا السنوسية بالسودان الفرنسي ونيجريا الانجليزية .

بمجرد وصول السيد المهدى إلى قرو وحط رحاله هناك أخذ ينشر دعوته الاسلامية الدينية وأخذ الشعب السودانى يعتنق مبداه بكل سرور وطوع فلم يرق لفرنسا ما تراه من نشر تعاليم الاسلام وبث الروح الاصلاحية بشعب تريده أن يبقى عن الوثنية وسقوط الأخلاق وخشيت من السيد المهدى ما خشيته من والده في الجزائر وحسبت له ألف حساب وحساب فجهزت حملة عسكرية وهجمت بها على زاوية علالى وكان رئيس هذه الزاوية السيد البراني الساعدىَ وتتألف الحملة الفرنسية مؤلفة من المشاة والهجانة والسوارى فلا يقل العدد عن الالف عسكرى فزحفت من (فرلمي)«١»ولم تكن بالزاوية قوة للدفاع كما لم تكن مستعدة لمثل هذا الهجوم وليس بها الا بعض الاخوان والخدم

---

(١) لم يعرف وقتذاك بهذا الاسم الفرنسى .

والمجاورين فدافعوا دفاع الابطال وقاتلوا القوات الزاحفة قتالا عنيفا الامر الذى جعل القوة الزاحفة تسارع بالانسحاب وولت الادبار بعدأن تركت أشلاء الموتي والكثير من الاسلحة وكان من بين الشهداء وهم عدد لا يستهان به ، الشيخ عبدالله بن موسى فريطيس وطير الخبر الى السيد المهدى فأرسل بنجدة من عنده وهناك زحف الفرنسيون مرة أخرى بقوات هائلة على الزاوية نفسها فردوا مدحورين أيضا في هذه المعركة التى أسفرت عن قتل مائة شهيد منهم ستون من قبيلة زويه فقط بينهم الشيخ أبو بكر قويطين«١» والشيخ يونس بدر والشيخ مصباح الحولى والشيخ السنوسى وعبد الله ابنى خير الله العبد وكان من بين الشهداء ايضا البطل المقدام الشيخ غيث به سيف النصر«٢» زعيم قبايل أولاد سليمان بالسودان وكانت قيادة المجاهدين مؤلفة من رئس الزاوية الشيخ محمد البراني الساعدى والحاج محمد الثنى الغدامسي وغيث سيف النصر والشيخ الفضيل أبو خريص الكزة وكان عدد الاموات من الفرنسيين مائتين وثمانين بينهم (٢٥) ضابطا فرنساويا وقبل أن يصل خبر هذه المعركة إلى قرو توفي السيد المهدي وفى اليوم التالي للمعركة زحف الفرنسيون بقوات عديدة يعززها جيش احتياطى فاحتل زاوية علالي بعد معركة حامية الوطيس وانسحب المجاهدون وهنا وصلت نجدة أخرى يقودها السيد محمد أبو عقيلة الذى آلت إليه القيادة فاشتبك مع العدو خارج زاوية علالى حيث هناك نقطة أمامية للعدو فغنم كل ما بها من تموين وأسلحة وفر بعض جنود العدو إلي علالى وبعد يوم من هذه المعركة قرر السيد محمد عقيلة هجوم الزاوية حيث مركز العدو

---

(١) لما أن سمعت والدة الشيخ أبو بكر قويطين بوفاة ابنها ورفاقه في ميدان الوغي فبدلا من أن تبكيه وتندبه كما جرت بذلك عادة النساء قالت هذه الكلمة البدوية الصادرة من قلب ملؤه الايمان بالله والثقة فيه وحب السيد المهدى وها هي أغنيتها التى تلتها بزغاريدها كأنما ابنها عاد حيا :

انعنهم افدآ لسياد اللى فى علالى رقدو

(٢) هو قريب سيف النصر زعيم قبائل أولاد سليمان بليبيا وقد هاجر جد المتوفي مع بعض قبائل أولاد سليمان إلي السودان الفرنسى سنة ١٢٥٧ هـ عقب وفاة عبدالجليل الذى قتله الاتراك .

فاقترح عليه بعض رفاقه التريث ولكن السيد محمد قال لابد من الهجوم ولابد من أن أسكن (علالى) فاما أن تكون هي الزاوية وإما أن تكون علالي أخرى (يقصد بها غرف الجنة) وهجم السيد محمد بجيشه وكاد أن يحتل الزاوية فقد اقتحم سورها وهناك شاهد ضابطا كبيرا فرنسيا ويقال أنه قائد الحملة فترجل السيد محمد ومسك بخناق الضابط وتصارعا طويلا والقوات مشتبكة في المعركة فسقط الاثنان المتصارعان قتيلان ودهم جنود الفرنسيين السيد محمد بخيلهم ورجلهم وانسحب المجاهدون بانتظام إذ أخذوا جميع القتلى فكانت هذه هي المعركة الخامسة مع الفرنسيين وبعدها انتقلت العائلات السنوسية الي الكفرة وبقي السيد محمد السنى رئيس زاوية قرو رئيسا للمجاهدين ونائبا عن السيد أحمد الشريف ورتبت المعسكرات ويقولون عنها الادوار السنوسية كما يلي :

معسكر بموقع (بسكرى) وقائده الشيخ صالح أبو كريم وجيشه مكون من عرب كانم وعرب بحر الغزال ومعسكر (كلك) قائده السيد عبد الله طوير وجشيه من الاخوان والمجابرة وزوية والنجدات التى تصل من برقة وأخذ المعسكران يتعاونان والمجاهدون يغزون مراكز العدو في (كانم) وبحر الغزال وعلالى واستمرت المعارك بين الفريقين وكانت الامدادات تأتى من برقة اذ اهتم السيد أحمد الشريف وأخذ يستفز الهمم ويبعث بالاسلحة التى يمكنه الحصول عليها والكساء للمجاهدين ومن بين النجدات التى سارت من برقة تلك النجدة التي كان يقودها الشيخ مصطفي أبو طفيان بهيج ومعه من قبيلته الخاصة ما يربو عن سبعين من خيرة الرجال كلهم قتلوا فى الميدان الفرنسى ضحية الواجب وفى سنة ١٣٢٥ هـ احتل الفرنسيون وادای ، وفى سنة ١٣٢٨ احتل زاويه كلك وفي سنة ١٣٢٩ احتل زاوية قرو ولم ينته القتال بين السنوسيين والفرنسيين الا في سنة ١٣٣٢هـ اذ بسط الفرنسيون سلطانهم بالقوه على جميع ربوع السودان وكان السنوسيون فى شغل شاغل بالحرب الايطالية ولولى ذلك لاتعب السنوسيون فرنسا بالسودان كما أتعبوا ايطاليا في ليبيا ولم يكن بيد الفرنسيين من السودان قبل وصول السيد المهدي الا (فرلى) والباقرمى وبرنو ولولى الحرب السنوسيه لبسط الفرنسيون سلطانهم على السودان بدون أى مقاومه وأخذ الفرنسيون الاخوان السنوسيين الذين وقعوا في الاسر بعد آخر معركة أسري إلى فورلى فبقواهناك حتي سنة ١٣٣٨هـ فعادوا أثر مفاوضة مع السيد محمد عابد السنوسي

وكيل سمو الامير بالكفرة ، أما السيد عبدالله طوير فقد قتل فى معركة أم العظام الشهيرة وتقدر خسائر الفرنسيين بمبالغ طائلة عدا خسارتهم في الارواح ما كانوا يتكبدونها لو لم يكن السنوسيون هم الذين نظموا المعارك وقادوها دفاعا عن كرامتهم ودينهم وعرضهم وعن السودان الذى اعتنق مبدئهم وقد بادءهم العـــدو بالهجوم معلنا حربه على الدين والكرامة والاخلاق والاصلاح فعندئذ قام السنوسيون بواجبهم وعلموا السودان كيف يكون الدفاع عن الوطن ولولا شيئين اثنين لما طاب للفرنسيين احتلال السودان بدون أن يدفعوا الثمن غاليا والشيئان هما أشغال السنوسيين بالحرب مع إيطاليا كما قلنا أما الشيء الثانى فهو الخلافات التى كانت بين زعماء وسلاطين السودان فاستغل العدو وجود هذه الخلافات وربح من ورائها ومن بين هذه الخلافات ما حصل بين السلطان محمد صالح ودود مره وهو ابن السلطان يوسف وكان أخوه السلطان إبراهيم قد ثار عليه شعبه وخلعه فثارت الاضطرابات بين من خلع وولى ولكل منهما أنصار وشيعة وكان الغزالى أيضا قد نصب سلطان وخلع وتولى محمد صالح وكان هناك خلافاً ظاهراً بين الغزالى وعقيد السلامات من جهة والسلطان محمد صالح من جهة أخرى وذلك في عهد السيد المهدي فأرسل السيد المهدى وفدا للصلح بينهما مؤلفا من السيد خالد موسى والحاج فتيتة المكيسرى فأذعن محمد صالح أما عقيد السلامات وغزالى فقد خالفا الوفد وكرها الصلح فدارت عليهما الدائرة وقتلا أثناء معركة بينهما وبين محمد صالح ، هذه الخلافات كان لها مفعولها أثناء الحرب بين أقوام المتحاربين ، أما السلطان محمد صالح فقد انضم للمجاهدين السنوسيين وكان قائد معركة وادى فغلب على أمره وانضم بمعسكره الي معسكر أبي كريم ومن بين قواد جيشه تاج الدين شقيق بحر الدين الموجود الآن بالجنينة السودان المصرى الانجليزي وهو من خيرة الفرسان وقد قتل فى إحدى المعارك بعد أن أظهر شجاعة نادرة إلى جانب السلطان محمد صالح وقد ا استسلم هذا الاخير بعد نفاذ كل ما لدى المجاهدين في (ابشه) فنقله الفرنسيون الي فورلمي بعد أن عرضوا عليه السلطنة كما كان فرفضها حتى توفاه الله تعالي .

لم نذكر بالجيوش السنوسية سهوا أن التوارق الذين جاءوا من (زندر) وقبائل القرغان والحاميد كانوا قوة الي جانب السنوسيين وطوع أمرهم لا يستهان بها .

بين يدينا كتاب بعث به السيد أحمد الشريف الى أعيان برقه بتاريخ سنة ١٣٢٨ خلاصته ترغيب التجار في السفر الى السودان بتجارتهم سيما الاسلحة فانها أربح تجارة ويطلب ممن كتب له أن يبعث بألف وخمسمائة بندقية يدفع ثمنها السيد أحمد الشريف من جيبه الخاص لارسالها الى المجاهدين بالسودان ويقول السيد أحمد الشريف هذه الجملة الآتية (ليس عندي صديق أعز ممن يساعدني بالسلاح) ، ويخبر سيادته في كتابه بحصول معركتين بين المجاهدين والفرنسيين يقود المجاهدين في احداها السلطان محمد صالح ويقود المجاهدين في الاخري السلطان تاج الدين وهذا الاخير قد هاجم مركزا للعدو فاحتله وغنم جميع معدات العدو

وعلمنا من كتاب آخر صدر عن السيد أحمد الشريف أن أول معركة وقعت بين السنوسيين والفرنساويين كانت يوم ٢١ شعبان سنة ١٣١٩ بكانم .

وفيما يلي نثبت بالحرف الواحد كتابا بعث به السيد أحمد الشريف نقلته جريدة دار الخلافة بالاستانة العلية عدد ١٧ المؤرخة ٢٨ ربيع الاول سنة ١٣٢٩ الموافق ٢٨ أبريل سنة ١٩١١ عن المقطم الاغر وكان قد بعث به السيد أحمد الى أحد أصدقائه ومريديه بالقاهرة :

بسم الله الرحمن الرحيم :

أتتنا كتب من بنغازى يؤخذ منها أن الفرنساوى شكا الى الدولة العلية قائلا أن السنوسية والتجار أعانوا السلطان محمد صالح سلطان وادای السابق . فما قاله غير صحيح وانما الله سبحانه وتعالى هو الذى نصر سلطان وادای عليه وما قاتله الا بسلاحه . على اننا لانزال نلقي شر الفرنساوي ونحيد عن طريقه وهو يتبع آثارنا ويؤذينا بلا سبب منا ولا موجب فانه أتى أولا الى زاويتنا فى كانم فقتل رجالها ونهب ما فيها من كتب وأسلحة فتركناها له فلحقنا الى كلك وقتل رجالها وأخذ مالهم وفعل بزاوية (ون) كذلك ولا يزال الاخوان صابرين محتسبين أجرهم علي الله تعالى وهو ناصرهم وما النصر الا من عند الله ، فعل هذا كله ونحن صابرون ليس لنا مدافع الا الله ولا نشتكي الى أحد سواه فنؤمل من عدالة دولتنا العلية أن لا تصغى الي قول أحد واذا صغت فلا يسعنا الا المدافعة عن أنفسنا ونحن نؤثر الموت في سبيل الله على الحياة الدنيا وماصبرنا الى

الي الأن الا لاتا رعية من رعايا حكومتنا نكره التشويش عليها وقد اعتدي هذا الخصم على زاوية الجهة القبلية وزاوية الجهة الغربية واغتصب أملاكها قرب غاث وكان فيها السنجق العثماني فأخذه ورماه وسلب كل ما وجد هناك : وما أعظم الفرق بينه وبين الانجليز فانهم مجاورون لزوايانا في القطر المصرى ولا تبدو منهم أقل اهانة لها ولا لاخواتنا بل هم يحترمون محلاتنا بمصر ومحلنا في كنو نسال الله تعالى أن يقذف فى قلوبهم اكرام الاسلام ومحبة أهله هذا ولما فشت الفتن فررنا الى الفيافي والقفار نعبد ربنا حتى يأتي أمره ولو رغبنا فى مقاومته لما تركنا له كائم ولاسواها .

وفاة السيد المهدى

بدأ السيد المهدى أعماله منذ أول شبابه فأجهد نفسه وقاسى من المتاعب أشدها أزاء المسئوليه الجسيمه التي تولاها بعد وفاة والده العظيم ، ليس التعب هو تعب العامل الذى يعمل بيده أو يكد جهده فى شغل شاق طيلة يومه وليست الراحة هى راحة الانسان فى بيته أو في قصره وبين أهله وعشيرته يتقلب على فراش وثير ويأكل مالذ وطاب ويسهر ماشاء له السهر وينام متى لذله النوم فلا يسأله احدولا يسأل من احد ليست هذه هى الراحة وليس ذاك هو التعب ولكن التعب هو تحمل المسؤلية مهما كانت صغيره وسواء تكون هذه المسؤلية أمام الضمير وأمام الناس او أمام الله فكيف اذا كانت المسئوليه أمام الله والخلق والضمير والتاريخ ونوع هذه المسئولية هى تلك المسئولية التى تحملها السيد المهدى بعينها بعد ان توفي والده فكانت مسئولية عظيمه للغاية وكان تفكيره أعظم فأخذ يعمل وهو شاب لمحاسبه نفسه قبل أن يحاسبه ربه والخلق والتاريخ وأى تعب بعد هذا التعب وأى مشقة بعد هذه المشقة فاذا قلنا أن السيد المهدى قضي كل حياته فى اتعاب ومشاق فلا نكون مخطئين ولذلك فقد كانت صحته على مايعرف عنه انها دائما منحرفة وانه كثيرا ماكان يلازم الفراش ولكنه يصارع تلك الالام بقوة الايمان والنقوى وبجبروت الاراده والحزم حتى شاء الله سبحانه وتعالي أن يقبضه اليه فشعر

بالم من الآلام التي كان يشعر بها عادة ولزم الفراش وهو بزاوية (قرو) ولما اشتد به الحال تحول الي بستان قريب من الزاوية كان قد اتخذه للاستراحه في بعض الاوقات وبالرغم من ملازمته الفراش فكانت حالته لا تنذر بسوء وكان يجمع حوله فى أوقات خاصه كبار الاخوان مثل السيد أحمد الريفى والسيد محمد البسكري ومن يكون معهم وكان يدعوا السيد احمد الشريف والسيد محمد عابدو السيد علي الخطابي والسيد ادريس عقب صلاة العصر ويأمرهم بقرأة شيء من القرآن وكان يمازحهم ويتحدث اليهم بحنان أبوى وكانه في هذه الحالة يشعر بدنوا لاجل فلا يخلو مجلسه رغم مابه من الالم من وجود مدعوين أما من الاخوان وأما من أفراد بيته .

أما الأمة فهي تنصت لما سيأمرهم به وتنتظر منه الاشارة فى كل وقت لما يريد وليس هناك من يساوره القلق ولكنه الدهر الذى عود أهله بالمفاجئات والهجوم بالحوادث المفزعات لم يشفق هذه المرة بالامة التى لا زالت تكفكف الدمع على الفقيد الاول السيد الشريف ولازالت مضطربة لتحول السيد المهدى من الكفرة إلى السودان فكيف اذن تكون حالة الامة لو قبض السيد المهدى والامة هي التى لم تطق صبرا علي تحوله من محل لآخر يمكن اتصالها به أما لو قبض فلا اتصال ولا لقاء الى يوم البعث :

وهكذا أراد الله سبحانه وتعالى ففي ضحوة الاحد ٢٤ صفر سنة ١٣٢٠ فارقت روح السيد المهدى الطاهرى جسده الشريف لتتبوأ مكانها في عليائها بعد أن أدى رسالته خير أداء وقام بواجبه خير قيام فنهض ببلاده النهضة التي لم تزل تساير الزمن تلك النهضة التي لا زالت الامة تجد السير الى الامام على ضوئها وقد عبد لها طريق السلوك المستقيم بروح حية اسلامية اصلاحية عظيمة ثابتة لا تموت ولن تموت ولا يمكن التلعب عليها بحال من الاحوال .

(عهد نعيش على أنقاضه امماً ونستمد العلا من وحى ذكراه)

وعندئذ صاح لسان الحق يقول مستشهدا بقول الشاعر .

(تخلفت المآثر شاهدات بأنك من أجل العالمينا)

بكت الامة فقيدها العظيم بأحر ما يبكي به مثله وندبت حظها بأشنع ما تندب به

الحظوظ وسكبت عليه الدموع دماً وحزنت لفقده الحزن الاليم (١) .

اهتز العالم الاسلامى هزة عنيفة لهذا الحادث وكتبت كبريات الصحف الشرقية والغربية حول وفاة هذا الزعيم الاسلامي العظيم وابنه الشعراء والعلماء بقصائد ومقالات خالدة مستفيضه وبين ايدينا الان أبيات من رثاء منسوبه العلامة السيد أحمد بن ادريس الاشهب نذكرها :

سرى كوكب المجد الرفيع سناؤه ... الى الافق العالي علينا سماؤه
ومنها: وسار مسير الشمس فى أفق العلا ... ولكنها فى الفضل تجرى وراؤ
وسار مسير البدر عند تمامه ... وقد كملت أنواره وضياؤه
وسار مسير الصالحين من الورى ... وكان بأنواع النعيم جزاؤه

الي أن يقول :

ومن عجب نقل لجسم منعم ... الي جهة فيها أريد بقاؤه
فسبحان من أبداه للناس رحمه ... وأودعه من علمه ما يشاؤه
فما هو الا للخلائق رحمة ... وما هو الا للمريض شفاؤه

طويت بموت هذا العبقرى العظيم صحائف ونشرت أخرى ، طويت صفحات نفذ ماسطره بها كما يريد ونشرت صحائف قررها ماأراد تنفيذه ، انتهي بموته عهد قدم فيه ما شاء وأراده وابتدا عهد لاتمام ماكان رسمه وأراده ، مات السيد المهدى وهل بموته تقف الاعمال عند حدها ؟ أم يسير العمل فى تقدم كما ابتدىء ؟ وهل نصدق الشاعر في قوله :

حلف الزمان ليأتين بمثله ... حنثت يمينك يا زمان فكفر

أم نقول :

لا غرو ان ينتقل فالسر خلده ... والنجل بقى .....؟

---

(١) من أبلغ ما بكي به العرب السيد المهدى كلمة هذا البدوى الذى قالها عند ما بلغ بوفاة السيد المهدي فقال (هذا هوالياس صحيح ، الا لولى فيه الرجا) ويقصد باليأس الاول هو نحول السيد المهدى من الكفرة وان كان فى ذلك يأس إلا أنه مشفوع برجا أما هذا فهو يأس صحيح لا رجاء ورآه وهو الموت .

هذه أسئلة يرددها كل إنسان فى نفسه بعد موت السيد المهدى وسرعان ما يجيب عنها بنفسه قائلا مات السيد المهدى والعمل خالد والأثر باق :

(وان انتهي الاعلام بدء حيهم): مات السيد المهدى وستسير الأعمال على نفس الطريق التى عبدها لها حتي تصل بتعاليمه إلي الغايه التى أراد أن تصل إليها .

إن السيد المهدى لن يموت وقد أخلف السيدين الكريمين الذين ربيا فى حضانته وبين يديه وتولى تلقينهما بنفسه وصيرهما كيفما يريد وباركهما ، لاشك أنهما سيقومان مقامه وسيملآن مكانه وسيسدان الفراغ الذى تركه شاغراً وسيسيران على نفس الجادة التى سار عليها وسلفه الصالح المصلح وما دامت الجمعية السنوسية قد تأسست تأسيساً قوياً متينا محكما صحيحاً ثابتاً لا يتطرق إليه الوهن ولا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه فان الامة تتطلع بكل وتوق إلي العهد الجديد مؤمنة أنها ستجنى ثمرات العمل الذى قام بتأسيسه وجاهد فى سبيله وناضل من أجله السيد محمد السنوسى ودعمه من بعده واحتفظ به وزاد عليه خليفته السيد محمد المهدي الذى لم يقف عند الحد الذى كان قد تولاه به بل ضاعفه وجاء بما حير الفكر وأدهش التاريخ وان كبير أفراد الاسرة السنوسية السيد أحمد الشريف وابن السيد المهدى السيد محمد ادريس سيضاعفان العمل ويدعمان أركان الجمعية السنوسية وهانحن نذكر أفراد الاسره السنوسية الباقية بعد وفاة السيد المهدى مبتدئين بولديه :

السيد ادريس	المولود سنة ١٣٠٧هـ حوالى سنة ١٨٩٠م		
السيد محمد رضا	« « ١٣٠٨هـ « « ١٨٩١م		
كبير أفراد الاسرة السنوسية وعميدها السيد أحمد الشريف	« « ١٢٩٠هـ « « ١٨٧٤م		
السيد محمد عابد بن السيد محمد الشريف	« « ١٢٩٨هـ « « ١٨٨١م		
السيد علي الخطابى بن « «	« « ١٣٠٥هـ « « ١٨٧٨م		
السيد محمد هلال « «	« « ١٣١٠هـ « « ١٨٩٣م		
السيد محمد صفي الدين « «	« « ١٣١٣هـ « « ١٨٩٦م		

فالخمسة الاخيرون هم أبناء السيد محمد الشريف وكان السيد أحمد الريفى كبير الاخوان السنوسيين سناً ورئيسهم ومعلم السيد المهدي والسيد الشريف ومستشارهما قد حضر الوفاة وكان محل تعظيم وتقدير وإجلال أفراد البيت السنوسي والاخوان

وجميع أهل البلاد ومن بعض صفاته البارزة أنه علامة كيس كما كان جليل القدر فى تواضع كبير وكان حكيما وقوراً ورعاً تقيا ويعد المرجع الوحيد عندما تلم الملمات فكان وجوده بين افراد البيت السنوسى سلوة كبرى يخفف بها المصاب الذي هو من مصائب المسلمين عامة فتولى إعلان الوفاة فى كتب بعث بها بتوقيعه وتوقيع السيد أحمد الشريف إلي رؤساء الزوايا وزعماء القبايل العربيه يخبرانهم بوفاة السيد المهدى وقد استهلا كتابتهما بعد البسملة بقوله تعالي (تبارك الذى بيده الملك إلى آخر الآية الشريفة) وفى سنة ١٣٢١هـ استقر قرار أفراد البيت السنوسي على العودة إلي الكفرة فعادوا وبقي هناك السيد أحمد الريفي مدة من الزمن عاد بعدها يحمل جسد السيد المهدي الذى قبر بزاوية (قرو) موقتاً فوضع بزاوية التاج بضريح شيد له في واجهة المسجد تحج اليه الزوار فيستنزلون الرحمات على روحه الشريفة ويقرأون الفاتحة مترحمين عليه سائلين الله أن يجازيه عن الاسلام والمسلمين خيرا.

خليفة السيد المهدى

مما لاشك فيه أن الامه تنظر الي السيد ادريس بصفته الوارث الشرعى للسيد المهدى بينما تنظر الي السيد احمد الشريف باعتبار آخر وهو أنه كبير أنجال البيت السنوسى المجيد سنا وكان يتولي الكثير من مهام الامور الذي يسندها له السيد المهدى وهنا وقفت الامة موقف الرضا وتركت موضوع خلافة السيد المهدى الي أفراد البيت السنوسي ومن بينهم السيدين الكريمين السيد احمد الريفى الذى كان المستشار الخاص للسيد المهدى والسيد محمد البسكرى الذى كان كرئيس ديوان السيد المهدى وكلاهما محل ثقته وتقديره فالامه لها عقيدة واحدة لا تحيد عنها ومبدء واحد تحتفظ به هذه العقيده وذلك المبدء هما حب البيت السنوسى الذى عرف أقطابه كيف يستميلوا الامه في هذه المحبة الصادقة وكيف يخدموا الامة علي ضوء كتاب الله وسنه رسوله فرضوا من شان الامة وعرفوا كيف يخلصون لله وللامة فاخلصت الامه لهم وتأمل الامه أملاقويا فى أن أفراد البيت السنوسى سيقفون موقف الحكمة نحو الرأى فى من سيخلف السيد المهدى وان

لا يتركوا مجالا لقائل ما ـ وان كبير أنجال السيد الشريف وأكبر نجلى السيد المهدى كلاهما فرسى رهان فى ميداني الحكمة وسداد الراى ولذلك فالامة المخلصة الوفيه تنظر الى النتيجة بعين الثقة واليقين وتعرف أنها سيقومان بمهمتها وان كانت عظيمةقومة رجل واحد فهما انسانى عين الامة البصيرين وما دام هذان السيدان محاطان بتقدير واحترام الامة وانها المسؤلان بواجب القيام ولا يجهلان مدى هذه المسؤليه فالبلاد مطمئنه آمنه .

استقر راى أفراد البيت السنوسى ومستشاراها السيد احمد الريفى والسيد محمد البسكرى بأن يخلف السيد احمد الشريف عمه الفقيد فالتفت الامة حول أفراد البيت السنوسى باعتبارهم بدور هذه الامة وهداتها ومصابيحها وقادتها وكان السيد احمد الشريف ينظر الي السيد ادريس بنفس العين التى كان ينظر بها الى السيد المهدى سواء بسواء مقتنعاً ومؤمنا بان الكمال من حيث هو قد تناهي فى شخصية السيد ادريس الغضه وان هذا الشبل من ذاك الاسد (١) وان هذا السيد الصغير في سنة سيكون له شأن عظيم وسيظهره المستقبل بينما نجد السيد ادريس يجل السيد احمد الشريف وينظر اليه كما ينظر الابن البار لوالده المحبوب فبهذا الخلق وتبادل هذا التقدير سارت الامور ، ولا غرابة فيهما اللذان ورثا سمو

«١» مات السيد احمد الشريف وهو يرى الى السيد ادريس كما يرى الي السيد المهدى وقد يعتقد السيد أحمد سعادته فى رضا السيد ادريس ويعلق عليه كبار الامال ويؤمن أن مصلحة البلاد معلقة بالسيد ادريس فهو لها وحده واننا لن نستطيع أن نحصى نظريات السيد احمد الشريف فى شخصية السيد ادريس بهذه العجالة ، لقد سمعت هذه الحكاية الاتيه ممن له صلة بالسيد احمد الشريف قال : (اجتمعت بالسيد أحمد الشريف بمكة فى السنة التى تزوج فيها السيد ادريس بكريمة السيد احمد وكنت قادما من مصر فاخبرت السيد احمد باتمام الزواج وعند ما سمع مني السيد احمد ذلك وقف واستقبل القبله ورفع يديه واخذ يحمد الله تعالى ويشكره ويثني عليه لهذه النعمة التي أنعم الله عليه بها وهى اكرامه وتشريفه بزواج السيد ادريس من كريمته وأخذ يكرر الحمد والشكر حتي خفت أن يغمى عليه :

الادب وخلاصة مكارم الاخلاق وزبدة مخاضها عن السيد المهدي ، للسادة السنوسيين تقاليد عائليه عاليه ونظم منزلية ساميه يتمثل فيها النبل العالي باسمى معاينة وتتجلى فيها الاخلاق الحميدة باجلى وضوح ، ومن ضمن قوانينهم الاديه وتقاليدهم الاجتماعية المتبعه بينهم أنهم يقدمون أكبرهم سنا على الآخر حتى في ابتداء الكلام ورد السلام والسير فى الطرقات والجلوس فى المجتمعات بغض النظر عن النظم الحديثه المتبعة والتى تقضى بامتياز الرئيس على المرؤس وبحسب درجات الحاكم من المحكوم، ومن المأثور عنهم أن زعامة العائله يتولاها أكبرهم سنا كل ذلك مما جعل السيد احمد الشريف يتبوأ مركز عمه المهيد المهدي بتأييد من الوارث الشرعي نفسه وباتفاق عائلي يتخلله الوئام والرضا والسلام بين أفراد البيت السنوسي واستاذهم السيد احمد الريفى والسيد محمد البسكرى فوصلت الانباء الى رؤساء الزوايا بتنصيب السيد احمد الشريف عميدا للاسرة السنوسية ورئيسا للجمعية كخليفة للسيد للهدى فقابلوا ذلك النبأ بكل اجلال وتقدير خصوصاً وقد كان المؤيد لذلك هو السيد ادريس نفسه الوارث الشرعي، راجت كثير من الاشاعات التى طالما روجها ذوا الاغراض حول تنصيب السيد أحمد الشريف ولم ترج تلك الاشاعات في البلاد لعدم من يصغى لها ولكنها راجت خارج البلاد وكان الغرض عند مروجيها تشويه سمعة البيت السنوسي أو لايجاد خلاف بين أفراده ، أخذ المغرضون والذين في قلوبهم مرض يقولون أن السيد احمد الشريف اغتصب مكان السيد ادريس وآخر يقول انه بقي في هذا المقام كوصى ولكنه عمل لتوطيد أركانه فيه فأبى أن يتنازل لصاحبه وماشاء به ذلك ومن اضراب هذه الاراجيف ، والحقيقة هي ماذكرناها غير مبدلين ولامغيرين ، وقد تأسس مجلس شورى بعد وفاة السيد المهدى للنظر فى شئون الجمعيه السنوسيه العامه كان أعضاؤه .

السيد احمد الشريف، السيد محمد عابد ، السيد محمد ادريس ، السيد احمد الريفى، السيد محمد البسكرى ولهذا المجلس وحده السلطة العليا لادارة شؤون الجمعية .

السيد احمد الشريف السنوسى

ولد بالجغبوب سنة ١٢٩٠ هـ وحفظ القرآن في سن مبكرة وتولى تربيته وتهذيبه عمه السيد المهدى فاخذ يتعلم عليه كما كان يتعلم أيضا على معلميه السيد احمد الريفي وجده السيد عمران بن بركه وكان السيد احمد الشريف يلازم عمه فى جميع الاوقات وصاحبه فى تنقلاته من الجغبوب الي الكفره ثم الي السودان وفى طريقه الى الكفره الف السيد احمد الشريف كتابه المسمى (السراج الوهاج في رحلة السيد المهدى من الجغبوب الي التاج) وهو كتاب نفيس يحوى ادق المعلومات وفى شبه مذكرة عمومية لجميع مايقع في اليوم وماتصل من اخبار ويتناول فيه الكثير من سيرة جده السيد السنوسى الكبير ولكنه مع الاسف لم يطبع . بقي السيد احمد الشريف بالكفره بعد وصوله اليها مع عمه يتولى الكثير من الاعمال الخصوصيه والعموميه بامر وارشادات عمه ويتلقى عنه العلوم ولم يشعر السيد احمد الشريف باى شيء يكدر صفوه مادام يصبح ويمسى فى طلعة عمه الذى يراه هو كل شيء في هذه الدنيا ولم يزل هكذا حتى فوجيء علي غرة بما خبأته المقادير من وفاة والده .

تلقي هذا النبأ السيء فشعر بالكدر العظيم لاول مرة فى حياته ونزل به نزول الصاعقه وفي الحقيقه أنه حادث مؤلم له رنة اسف وحزن تراجع صداها فى جميع أنحاء البلاد ورددته الانس المتحسرة فى شيء من الحيرة والذهول كما كان لهذا النبأ تأثيره فى جميع الاوساط الاسلاميه فكيف والحالة هذه يكون وقع النبأ على شقيق الفقيد ونجله ولا شك أن القارىء يتصور عظم المصاب وقوة تأثيره على نفسيهما ولكن مصاب السيد احمد الشريف قد هان رغم عظمه وذلك لوجود عمه السيد المهدى وان السيد احمد مادام ينظر الي السيد المهدى وهو محفوظا بعناية الله الازليه ومحاطا بالرعاية الالهية فهو السلوة الكبرى والغاية القصوي من هذه الحياة وان الجميع يفدونه بالانفس والثمرات .

كان السيد احمد الشريف يتمتع برضاء عمه وعطفه ولقد وضع فيه ثقته الغالية وتعهد تربيته وتهذيبه وكان يتلقي منه الاوامر شفاهيا لينفذها وينوب عنه فى كثير من المقابلات

والاجتماعات وتهذيبه ويسترشد منه استعدادا للمستقبل ولكثرة التصاق السيد أحمد بعمه بعد من أكبر الرواة الموثوق بهم عنه ولما سافر السيد المهدى إلى السودان كان السيد أحمد فى صحبته وهو الذى تولى بالاشتراك مع السيد أحمد الريفى اعلان الوفاة ثم تولي منصبه كخليفة للسيد المهدى واخذ يحمي العرين ويدافع عن حوزة الدين لا يهدأ له بال ولا يرتاح له ضمير دون القيام بما أنيط به لا تأخذه فى ذلك لومة لائم .

قوبلت عودة السنوسيين من السودان إلى التاج بارتياح عظيم واستقبلتهم فى الكفرة وفود الزوار والمهنئون من رؤساء الزوايا وشيوخ القبائل وأفراد الامة لتقديم العزاء وفروض التحية واستمرت الامور تسير فى مجراها الطبيعى والجميع ينظرون للسيد أحمد الشريف كما ينظرون لسلفه الصالح واستمرت الزوايا تؤدي رسالتها تحت أمره ونهيه وتستمد القوة من المجلس الكبير المرموق بالرعاية والتقدير وقد كان السيد أحمد الشريف لا يزال يتابع اتمام تعليمه ويتطلع الى المستقبل بكل وثوق وايمان مجد فى العمل بصلابة لا تعرف الكلل وبينما هو كذلك اذ بحادثتين عظيمين يفاجئانه وهو فى عنفوان شبابه الغض مندفعا بتيارا لفتوة وحكمة الشيوخ للصالح العام ، هاذان الحادثان اللذان أصاباه في الصميم لم يكونا مجهولين عنده فهو يتوقعها الآونة بعد الاخري مؤمنا بحدوثها وهما وفاة مستشاره الكبير ومرشده العظيم السيد أحمد الريفي التى لا بد منها طال الامد أم قصر ولكن لفقد مثل هذا الرجل العظيم والحالة هذه مفعولة ، أما الحادث الثاني فهو غزو الطليان للبلاد ولا شك أن السيد أحمد الشريف كان يتوقع هذا الغزو لما ورد فيه عن السيد محمد السنوسى الذى تنبأ بذلك منذ سبعين سنة وكان السيد أحمد الشريف لايخالجه اى شك فى صحة هذا التنؤ فطالما أنذر السيد محمد السنوسى بهذا الغزو وحذر وأمر بالاستعداد ولذلك كانت جميع الزوايا تحتفظ بأنواع السلاح الذى تمكنت من الحصول عليه فاحتفظ به في الجغبوب بمخازن خاصة ، لقد أثر هاذان الحادثان السيئان فى شباب السيد أحمد الشريف وصدماه صدمة عنيفة ، كانت وفاة السيد أحمد الريفى يوم ٩ رمضان سنة ١٩٢٩ و ١٩١١ وكان الغزو فى شهر شوال من السنة نفسها . كاد السيد أحمد الشريف أن يذوب لوعة وحسرة لولا أنه تجلد ازاء هذه الحوادث الجسام وتدرع بالحزم والعزم وقوة الايمان بالله والوطن والاعتداد بالنفس والثقه بالنصر الموعود والاخلاص في العمل والاقدام على ما يريد وما هذه الا بعض أخلاق سلفه الصالح :

الغزو الايطالى

فى ٢٤ من شهر شوال سنة ١٣٢٩ الموافق ١٩ أكتوبر سنة ١٩١١ وقف الاسطول الايطالى بميناء بنغازى الآمنه العزلاء وقذفها بوابل من قنابله فى غير شفقه ولارحمة ولم يطل الوقت حتى احتلها وفى ٢٢ من الشهر وقف بميدان درنه وبعد التمهيد بقذف القنابل انزل بها قوة عسكريه وسرعان ماطير الخبر الى السيد احمد الشريف بالكفره فامر بالوقوف في وجه المعتدى والاستعداد لقتاله والتضحية في سبيل الوطن بالنفس والنفيس وكتب الى رءساء الزوايا فى برقه وطرابلس والى شيوخ وأعيان القبائل يأمرهم بالدفاع ويحثهم للعمل السريع المجدى وأخذت منه الهمة والنشاط المنقطعى النظير مأخذهما فكاتب ملوك وأمراء وزعماء الشرق الاسلامى والعربى مستنجداً بهم لمساعدة إخوانهم الليبيين ضد المعتدى الاثيم وفي شهر رجب سنة ١٣٣٠ هـ ١٩١٢ م تحول من الكفره الى الجغبوب ليكون قريبا من المجاهدين وعلى اتصال بمجرى الامور وهنا إبتدأت حياة السيد احمد الشريف الجديده تلك الحياة الحافلة بمواقف البطولة و اشرابت الاعناق تطلعاً لاعمال هذا المجاهد الكبير الذى رباه السيد المهدى وكفله فى حجره واعتنى بتعليمه فلا شك أنه سيقوم مقامه بقوة ايمانه وصلابة عقيدته واخلاصه اللانهائي وان البلاد ملتفة حول قائدها السنوسي مطمئنة للنتيجة واثقة من النجاح .

حصل احتلال بنغازى كما أسلفنا وكبريات مدن ليبيا الساحليه كطرابلس ودرنه وطبرق وكانت الحاميه العثمانيه فى بنغازى تحت قيادة القمندان شكري بك فى منتهي الضعف فلا تستطيع أن تحمى نفسها فضلا عن كونها تدافع عن البلاد التي كان احتلالها فى رأى المحللين والاوساط السياسيه فى أوربا أمرا مفروغا منه وهكذا كانت تتوقع الحكومة العثمانيه نفسها فقدمهد لهذا الاحتلال الصدر الاعظم حقي باشا اذ سحب جميع القوات التي كانت بطرابلس وبرقه وكان شديد الاتصال بايطاليا ولايخفى أن ايطاليا تعمل لهذا الاحتلال طبقا لاتفاق مؤتمر الجزيرة المشؤم وأخذت تترقب الفرص التى تمكنها من هذا الاحتلال على أي وجه كان وكان الباب العالي مغلوبا على أمره وليس

فى نيته التنازل عن طرابلس غير أن وجود الصدر الاعظم حقى باشا على دست الحكم خدم ايطاليا خدمات قيمه واضاع على الحكومه العثمانيه أعظم ولاية من ولاياتها التى كانت تدين لها بالصدق والطاعه ، بمجرد ما بدأت بوادر الغزو أخذ متصرف بنغازى فؤاد مراد بك يعقد إجتماعات مجلس الاداره ويتشاور معهم وكان وقتذاك رئيس الزاوية السنوسية ببنغازى هو السيد أحمد العيساوى فطلب منه المتصرف أن يحضر جميع الاجتماعات التي تعقد وكان ذلك باشارة من حكومة الاستانه وفى هذه الحالة لاشك إن المتصرف جعل الحكمه نصب عينه فالمتصرف وحكومته العليه يعلمان علم اليقين أن السنوسيين هم كل شيء فى هذه البلاد وبدونهم لايستطيع المتصرف أن يأتى باى عمل وان هذه الساعة الرهيبه لارجال لها غير رجال السنوسى فاراد أن يشركهم فى الامران لم يسلمه لهم بحذافيره وأقربهم اليه حينذاك السيد احمد العيساوى رئيس زاوية بنغازى .

لقد دافع أبطال مدينة بنغازى شيبا وشبابا عن مدينتهم دفاعا مجيدا فاظهروا من الشجاعة النادره ماجعلهم ملفت الانظار وسجلوا صفحات مجيدة خالدة أثناء الاحتلال ومات الكثير من خيرة رجالهم فى ميدان الوغى ، قبل أن يهاجم الاسطول الايطالى مدينة بنغازى وعدد قطعه كما اطلعنا على ذلك بكتاب موجود بين يدينا بعث به أحد الاخوان الى السنوسيين بالكفره يقول فيه أن عدد قطع الأسطول ٣٠ قطعة وصلت يوم ٢٣ شوال الي الميناء وفي يوم الخميس ٢٥ منه ابتدأ الضرب فهدم مسجد وكنيستين وابتدأ النزول ، قبل أن يصل هذا الاسطول وصل الاهالى الى المدينه بخيلهم ورجلهم للدفاع عنها حيث ظهرت بوادر الغزو وكان أقرب القبايل الى بنغازى قبيلة العواقير ومن معهم فاكرمهم أهل المدينة واعتبر وهم كضيوف كرام نظراً لبعد عائلاتهم عنهم في هذه الحالة بالرغم من وجود الامتعه والزاد الكافى مع الاهالى ولكن سكان المدينة أبى كرمهم أن يتركوا النجدات التى جاءت خصيصا للدفاع عن المدينه يقتاتون من الزاد المصحوب معهم ويطعمون اكلهم بأنفسهم فاكرموهم غاية الاكرام وتجلت في ذلك الاخوة الصادقة والمحبة المتبادله بين الحضر والباديه وقد فتحت الحكومه مخازن الاسلحة وكانت لاتعدو انواعها عن البنادق وعددها ٤٠٠٠ آلاف بندقية (والفوشيك) وليته كان كثيرا ولما وصلت بوارج الاعداء الى ساحل المدينة وقذفتها بالقنابل استعد السكان والنجدات التي جاءت لمقاتلة العدو فاقتربوا من الميناء وكانت قيادة المدافعين

طبعا بيد الاتراك وبدا الايطاليون ينزلون جنودهم تحت حماية القذائف والمدافع الرشاشه وكان العرب لايكترثون بذلك فاخذوا يقاتلون العدو بشدة وعنف فلم يتمكن العدو من أنزل جيوشه الى البر حسبما يريد حتى أرخى الليل سدوله وهناك تمكن من انزال القوات وانسحب العرب الى موقع البركه بعد ان كلفوا العدوخسارة فى الارواح على شاطىء البحر وخسروا هم انفسهم الكثير من رجالهم وتعرف هذه المعركة بواقعة (جليانه) ثم بعد يومين من ذلك أخذ الطليان الذين لايستطيعون الخروج عن سور المدينة يتجولون داخلها زرافاتا ووحدانا فانقض عليهم العرب بموقع الصابري وقاتلوهم قتالا مراً وغنموا منهم اسلحة كثيرة وكانت هذه هى المرة الاولى التي يأخذ العرب فيها سلاحا من الطليان وقتذاك ريقاتلونهم به ففر من نجا من الموت الى معاقله ثم بعد يومين من ذلك كانت واقعة السلاوى الشهيرة وكان يقود العرب الشيخ عبد الله الاشهب فاظهر فى قيادته براعة فنية واسلوبا محكما في القتال ورايا سديد في حركة توجيه المجاهدين وشجاعة نادرة وكان يعلوصهوة جواده ويعدوا بين صفوف قومه وصفوف الاعداء منادياً رجاله بهذه الكلمة (هلنا ونهار غاين الاعذار) .

ويريد بذلك ان يبعث فى قومه الحماس بكلمته هذه التى أخذ يرددها وقصده منها (لا يصح أن نفوت أهلنا للعدو ولا عذر لنا حيث أتنا نعارك دون الاهل لامن اجل غيرهم وان ضوء النهار يظهر عيوبنا فيا لو اظهرنا العيب اواردنا الفرار)فتحمس المجاهدون وقاتلوا عدوهم بعزيمة وطنية وشجاعة عربية وصلابة دينية وغنم المجاهدون جميع ما كان مع الايطاليين فى الميدان من المؤن والعتاد الحربي وتقهقرت فضلات الجيش الايطالى مولية الادبار وكان عدد الشهداء من المجاهدين كثيرا وخصوصاً من افراد قبيلة العمارنه الابطال الذين ظهروافى هذه المعركة وتحت قيادة رئسهم الشيخ عبد الله الاشهب بمظهر الرجولة الحقه وابلوا بلاء حسنا ومن بين شهدائهم الشيخ على رقرق وقد وصف احد شعراء العرب هذه المعركة في قصيدة هى الوثيقه الناطقه عن ذلك وسنثبتها في غير هذا المحل بهذا الكتاب . وعقب واقعة السلاوى التحم المجاهدون في معركة حامية الوطيس مع العدو بقرب البركه بالموقع المعروف بـ (هوى الزرده) فاستشهد فيه الكثير من المجاهدين ومن بين الشهداء مايه وخمسون شهيدا

من قبيلة واحدة هي عائلة ابراهيم العواقير عدا شهداء أهل مدينة بنغازى وبقية القبائل الاخرى . هذه هى المعارك الاولي بمدينة بنغازى ثم بعد ذلك هاجم قسم من العرب قصر البركه قبيل غروب الشمس فتحصن به الايطاليون واقتحم العرب الكثير من حصون القصر الخارجية فاعطيت الاشارة للبوارج الحربية الراسيه بالميناء فاخذت تقذف بقنابلها العرب تحت أشعة الانوار الكشافة ولهول ماأصيب به الطليان فقد ركبت جنودهم الموجودة بمدينة بنغازي البواخر ليلا وكادوا أن يخلو المدينة لولا انسحاب العرب الذين لايعلمون بتأثير هجومهم على العدو ولا يعلمون أن القائد الايطالى العام الجنرال أهيليو نفسه فى القصر المحاصر ولو أنهم علموا بذلك لاقتحموا القصر ولو لم يبق منهم أحد لانهم يرونه هو (كبش الضحيه) ولقد أظهر سكان مدينة بنغازى من الشجاعة والكرم والصبر والثبات ما آثار أعجاب رفاقهم من البدو ودهشتهم .

فكانت معارك بنغازى الاولى ستة وقائع سيأتي بيانها فى الجدول الخاص بعدد المعارك المشهورة فى برقه من هذا الكتاب ولا تقل المعارك فى درنه ابان الاحتلال عن ماذكرنا .

السنوسيون فى الميدان

لما كانت الغلبة للقوة في كل زمان ومكان وأن القوة علي رأى الغربيين فوق الحق فقد جاء الامر تلغرافياً من الاستانة العليه إلي قائد الحامية بالانسحاب تحت ضغط السياسة الدولية الغاشمة فانسحبت الحامية العثمانية من بنغازى أما المتصرف المدني فقد غادرها إلى الاستانة عن طريق إيطاليا وأما قائد الحامية فقد أراد مواصلة انسحابه إلي مصر ومنها الى الاستانة هو أيضا ، حيث لم يرق له التسليم بصفته العسكرية فأخذ السيد أحمد العيساوى والشيخ عبد الله الاشهب وكيل رئيس زاوية مسوس وزعماء القبائل فى إقناع شاكر بك قائلين له أن رؤساء الزوايا السنوسية وزعماء العشائر العربية ورفاقنا الذين هم معنا من حاضرة بنغازى التى استسلمت للقوة بعد الدفاع المجيد محدون فى أمر الدفاع عن الوطن وأنهم لا يتأخروا عنه سواء بقيت معنا أو غادرتنا الى مصر حسب رأيك فاطمأن قائد الحامية بعض الشيء وباتفاق الجميع اتخذ موقع الآبار معسكرا وتوجه السيد العيساوى الى المرج للاتصال برئيس زاويتها السيد عمران السكورى وبقية الاخوان والزعماء هناك للتشاور وتبادل الآراء كما توجه الشيخ عبد الله الاشهب الى مسوس للاتصال برئيسها وعقد اجتماع عام مع رؤساء قبائل العواقير وكان رئيس زاوية مسوس قد ألزمه المرض فراشه منذ أشهر فالتقي السيد أحمد العيساوى بالسيد عمران السكوري الذى جاء يقود كتيبة من قبيلة العرفا عدد رجالها ثلاثمائة مسلح غير الشيوخ والاعيان فكانت هذه أول نجدة جاءت من نوعها لمساعدة الحامية العثمانية بعد مجيء نجدات العواقير إلى بنغازى قبل احتلالها واتصلت النجدة التي يقودها السيد عمران بقائد الحامية فسكن ماكان ثائراً من روعه واطمأن بعض الشيء وتفاءل خيرا وتلتها بفيه النجدات التى جاء بها رؤساء الزوا وشيوخ القبايل من كل حدب وصوب .

السيد عبد الله الاشهب وكيل رئيس زاوية مسوس ورؤساء قبايل العواقير .

السيد محمد على عبد المولى رئيس زاوية أم شخنب ورؤساء قبايل ابراهيم العواقير .

السيد الحسن الغارى رئيس زاوية دريانه وقومه من العواقير .

السيد التواتى الكليلى رئيس زاوية طلميثة وقومه من الدرسا .

السيد محمد علي المحجوب « « الطيلمون « « مطاوع العواقير .

السيد محمد الزروالى رئيس زاوية القطفية وقومه من الشامخ مغاربه .

السيد محمد على الغمارى رئيس زاوية أسقفه وقومه من براعصة ودرسة .

السيد محمد أبو نجوى رئيس زاوية ميراد مسعود وقومه من الدرسا .

السيد عمر المختار رئيس زاوية القصور وقومه من العبيد وكان هـذا الاخير متغيبا بالكفرة أثناء الاحتلال .

فهذه التجدات المؤلفة من قبايل العرفا والعبيد والدرسا والبراعصة والعواقير والمغاربة والعريبات وزوية والقبايل والمساميروالجرارة والفواخر ومن مع هذه القبايل أو منتمياً لها أو مجاورا أو مرتبطا بها قد وصلت في أسرع ما يمكن تحت قيادة رؤساء الزوايا وزعماء وشيوخ العشائر العربية الابطال الى معسكر الآبار حيث يوجد قائد الحامية العثمانية وهؤلاء السادة الاخوان هم الذين جمعوا الجموع بمساعدة زعماء القبايل تلبيته لنداء السيد أحمد الشريف وطوعاً لأوامره الامر الذى جعل قائدالحامية أن يبقى بينهم وقرروا باجماع الآراء أن يكون موقع معسكرهم الرئيسي ومقر قيادته في (بنينه) التي لا تبعد عن بنغازي شرقا أكثر من عشرين كيلو مترا فصح فيهم قول شاعرهم :

تلاميذ لا يعدون أمراً أراده ... بواد واشراف تبيد الاعاديا

كتائب أمثال الجبال رزانة ... وان حملت خلت الهضاب جواريا

أولئك أقوام على الموت بايعوا ... مبايعة أضحى بها الصبر راضيا

وما استقر بهم المقام بالوضع المذكور حتى أخذوا يهاجمون العدو في عقر داره ومن وراء حصونه المنيعة وكان هذا المعسكر هو الرئيسى لجميع المجاهدين ببرقة وبه تدار دفة الامور العسكرية والمدنية ، وأما فى الجبل الاخضر فقد حصل ما حصل ببرقة الغربية تماما وكما يلى :

السيد محمد الدردفي رئس زاوية شحات مع رؤساء ومشايخ قبايل الحاسة .

السيد محمد الحسين الحلافى رئيس زاوية المخيلى مع رؤساء ومشايخ العبيدات .

السيد صالح بن اسماعيل رئيس زاوية الفائدية مع رؤساء ومشايخ عائلة فائد .

السيد محمد العربي رئيس زاوية القصرين مع رؤساء ومشايخ قبايل البراعصة .
السيد عبد القادر فركاش رئيس زاوية بشارة مع رؤوساء قبائل العبيدات «١» .
السيد عبد الله أبو سيف رئيس زاوية مارة مع رؤساء قبيلة العبيدات .
السيد الغماري رئيس الزاوية البيضاء مع رؤساء قبيلة البراعصة .
السيد محمد الغزالي رئيس زاوية ترت مع رؤساء قبيلة العبيدات .
السيد الحبيب بن جلول رئيس زاوية المرازيق مع رؤساء قبيلة العبيدات .
السيد المرتضى فركاش رئيس زاوية أم الرزم مع رؤساء قبيلة العبيدات .
السيد محمد العيساوي رئيس زاوية الخنية مع رؤساء قبيلة الدرسا .
السيد السنوسي الغماري رئيس واوية الحمامة مع رؤساء قبيلة البراعصة والدرسا .
السيد جاد الله الحيالي رئيس زاوية العرقوب مع رؤساء قبيلة البراعصه والدرسا .
السيد محمد أبو فارس رئيس زاويه أم حفين مع رؤساء قبيلة العبيدات .
السيد محمد بن عمور رئيس زاوية قفنطة مع رؤساء قبيلة البراعصة .
السيد عبد الله سعد فركاش رئيس زاوية مرتوبة مع رؤساء قبيلة العبيدات .
لبت هذه القبائل من السعادى والمرابطين ومن معهم نداء السيد أحمد الشريف وحضرت القتال المدو تحت قيادة رؤساء زواياها وزعماءها وشيوخها الابطال .
وهناك بجهة طبرق جمع رؤوساء الزوايا بمعاضدة زعماء العشائر القوات التي تأسس بها معسكر طبرق: السيد محمد الشارف رئيس زاوية أم الجرفان مع رؤساء قبائل حبون :
السيد محمد عبد الله رئيس زاوية أم ركبه مع رؤساء قبائل القطعان والشواعر .
السيد المرتضى الغرياني رئيس زاوية جنزور مع رؤساء قبايل العبيدات والمنفا .
السيد صالح الشريف رئيس زاوية المرصص مع رؤساء قبايل العبيدات .
فتم تنظيم أربع معسكرات هى معسكر بنغازى ، معسكر الجبل ، معسكر درنة ، معسكر طبرق فى أسرع من لمح البصر . يقول أمين سعيد في كتابه الاستعمار الفرنسي

---

(١) عندما نزل الطليان بدرنه أنسحبت شراذم الحامية العثمانية فتعهدها السيد عبد القادر فركاش وأخذ ينفق عليها من جيبه الخاص إلى أن وصل أنور باشا فوصل كتاب من السلطنة العثمانية يشكر السيد المذكور كما ومنح الوسام المجيدى الثالث .

والايطالى في بلاد العرب تحت عنوان السنوسيون في الميدان (وأسرع السنوسيون في مقاطعة برقة عاصمتهم وسكانها من أتباعهم ومريديهم لتأييد الدولة وشد أزرها يتقدمهم شيخهم الاكبر السيد أحمد الشريف وجاء شيوخ الزوايا للجهاد يقودون رجالهم فأبلوا البلاء الحسن في الكر والفر وجددوا عهد المفاخر العربية وأدهشوا العالم بما أبدوه من بسالة وشجاعة فاهدا السلطان يوم ٤ ماوس سنة ١٩١٢ الشيخ سيفا ونيشانا مرصعاً تقديرا لجهاده ومكافأة له فقد اصطلى السنوسيون نار هذه الحرب في برقه من الاول الى الآخر فكانوا رجالها وقوادها وكانوا آخر من جلا بعد أن فقدوا الجانب الأكبر من أقطابهم وشيوخهم الخ).

استمرت المعسكرات تناوش العدو وتعرقل حركاته الهجومية وتتربص به الفرص لمهاجمته داخل معاقله التي تحصن بها وكانت ترفع التقارير من المعسكرات الى السيد أحمد الفينة بعد الاخرى وتصل الاوامر من سيادته وفى هذا الاثناء والحالة لا تسمح للتأني والتشاور كتب رئيس زاوية مسوس السيد السنوسى الاشهب بكتابات إلى سمو الامير عمر طوسون والى سمو الخديوى وبعض زعماء العرب بالقطر المصرى ومن بينهم كتاب الى احمد باشا الباسل وكتاب الى علي بك عمر المصرى وكتاب الى الملوم بك الساعدى وأخيه المصري بك وآخر الي الاستاذ الشيخ على يوسف صاحب المؤيد يستحثهم للمبادرة بمساعدة أخوانهم العرب وليستنهض هممهم وكان رسوله الشيخ المبروك الحاج أحمد سكان الكفرة الحاليين وكتب إلى السيد أحمد الشريف بالكفرة يخبره بذلك فشكر له السيد أحمد الشريف هذا النشاط رغم المرض الذى أقعده ثم بعث برسول آخر وهو الوجيه البنغازى الشيخ محمد زيو الى سمو الامير عمر باشا طوسون ويرجوه أن يرفع بواسطة الى السلطنة العثمانية وجهة نظر أهل برقة وخلاصة ذلك أنهم لا يخضعون لهذا الغزو ولو علي فرض تمازلت تركيا عن البلاد ولا يعترفون بسلطان غير سلطان السنوسى المجاهد العظيم إذا أرادت تركيا أن تتخلي عن مركزها فى البلاد وأن أهل برقة يستصرخون الخليفة العثماني باسم الاسلام والروابط التى كانت تربط برقه به أن لا يهملهم وكل ما يرجونه منه مساعدتهم بالاسلحة فقام بذلك سمو الامير طوسون وبعث بمساعدة ما ليه من جيبه الخاص للمجاهدين صحبة الشيخ محمد زيو أما أحمد باشا الباسل فقد كتب للسيد السنوس

صاحب الدولة : السيد احمد الشريف باشا السنوسي

نائب الخليفه فى القارة الافريقيه

الاشهب قائلا إني وما أملك تحت تصرفكم ولمساعدتكم وانكم قمتم بما يرفع شأن العروبة في جميع انحاء الدنيا وإنكم لن تغلبوا وفيكم الغازى العظيم سيد مجاهدى القرن الرابع عشر السيد أحمد الشريف فقفوا موقف البطولة لان العالم العربي يتطلع لاعمالكم ويرقبها على البعد وقد أرسل بقسم من المال وقد اخبرني نفس الرسول أن المبلغ الذى سلمه له حمد باشا الباسل ثلاثمائة ليرة ذهب عثمانى من جيبه الخاص وبمثل ذلك قام لملوم بك الساعدى عمدة قبايل الفوائد وأخوه المصرى بك وعلى بك المصرى عمدة عربان الجوازى، لم تمض مدة وجيزة من ذلك الوقت حتى وصل أنور باشا القائد العام لهذه المعسكرات المذكوره مصحوبا بكثير من خيرة الضباط العثمانيين واتخذ مركزه معسكر درنه فقد ألح عليه هناك الاخوان السنوسيون وشيوخ القبائل أن يبقى بينهم ومن بين من وصل من الضباط عزيز على بك المصرى (باشا) وهذا تولى قيادة معسكر برقه الغربية كما وصل أدهم باشا الحلبي وتولى قيادة معسكر طبرق ومصطفى كامل (أتاتورك) تولى قيادة معسكر درنه وعبد القادر بك الغناى (من بنغازى) تولي قيادة معسكر الجبل يقول أمين سعيد فى كتابه ما يلى : (وقد تولي تنظيم الدفاع عن طبرق ضابط سورى كبير برتبة لواء اسمه أدهم باشا فوصل اليها عقب إعلان الحرب فاجتمعت حوله طائفة من المجاهدين والمتطوعين وأقام ينتظر خروج الايطاليين لينازلهم فلم يخرجوا ولما طال عليه المطال وسئم الراحة والانتظار أرسل الى قائد القوات الايطالية بطبرق يوم ٥ يناير سنة ١٩١٢ الكتاب الآتي باللغة الفرنسية .

جناب القائد . . . . . .

أنا قائد عساكر نقطة طبرق ورئيسها ولذلك لى الحق أن أقول لكم إن أردتم المحافظة على الشرف العسكرى يلزم أن تخرجوا مما أنتم فيه وتقاتلوا عساكر العرب الشجعان الذين يريدون الحرب في كل لحظة ومهاجمتكم كل يوم باقترابهم من خطوطكم ولكنني لا أتركهم يعرضون أنفسهم للاخطار بلا فائدة فان أردتم فتح البلد فيجب أن تخرجوا من خطوط الدفاع وتتازلوا وانى منتظر خروجكم ياجناب القائد ومستعد لاستقبالكم على الوجة اللائق وتفضلو . . .)

وكانت أول معركة بدونه كما يصفها أمين سعيد بكتابه .

(تبعت الحملة الايطاليه التى نزلت فى درنه فى الخطوط الساحلية فلم تغادرها الا في (أواخر) اكتوبر سنة ١٩١١ فعمد لها المجاهدون بقيادة شيوخ الزوايا السنوسية الذين يتسابقون الى الميدان ويقول بلاغ رسمى صدر عن هذه المعركة انه اشترك فيها من شيوخ السنوسية فى الجبل الاخضر كل من السيد العلمي الغمارى والسيد محمد الدردفى والسيد صالح بن اسماعيل والسيد محمد الغزالى والسيد عبدالقادر فركاش والسيد السنوس الغريانى والسيد محمد أبوفارس والسيد محمد بن جلول والسيد حميده بن عمور والسيد السنوسى الحيالى وانها انتهت بانكسار الايطاليين الخ) .

انتظمت الادارة العسكرية والمدنية فى المعسكرات تحت قيادة القائد العام أنور باشا الذى جاء يمثل القيادة العثمانية العليا ولكنه فى الحقيقة يخضع لسلطان السيد أحمد الشريف وعلى اتصال دائمى به وكان محل احترام السيد أحمد الشريف وجميع رءساء الزوايا وزعماء القبائل خصوصا عندما رأوا خضوعه للسيد أحمد وانحصرت ادارة برقه عسكريا ومدنيا فى المعسكرات التى هى بمثابة المراكز العامة لجميع الشئون وكان معسكر برقه الغربية يعد المركز الرئيسى وإن كان القائد العام لم يتخذه مركزه ولكل معسكر من هذه المعسكرات مجلس عام ينظر لجميع الشون وكان أعضاؤه هم رءساء الزوايا وزعماء القبائل وكبار الضباط ومن أعضاء تلك المجالس يتكون المجلس الاعلي للامة .

أنور باشا

لما علمت الخلافة العثمانية بما وطد العزم عليه أهل ليبيا من الجهاد ومحاربة المعتدى الذي وجد أمامه من همة العرب ما لا يستطيع سبر غوره أوفدت بأنور بك (باشا بعد) قائداً عاماً ببرقة فوصل إليها من تركيا عن طريق مصر ونزل بمنطقة درنه حيث اتخذ مركز قيادته واتصل برءساء الزوايا وزعماء العرب وأبدا من النشاط والاخلاص في مهمته والشجاعة النادرة ما جعله محل تقدير العرب وإعجابهم فأخلصوا له وساروا وراءه فنظم الادارة العسكرية والمدنية مستعيناً برءساء الزوايا وشيوخ البدو وأعيان الحواضر ومن بين هؤلاء الأخيرين محمد بك الجباني ورمزي بك المهدوى ونهاد بك المهدوى وعبد القادر باشا الغناي وغيرهم من عيون بنغازى ودرنة وأوفد البعثات العلمية من أبناء الشعب إلي تركيا وبالاختصار فان عصره وإن كان قصير لمن العصور المزدهرة فى برقة استمر القتال فى جميع أنحاء برقة من بنغازي إلي طبرق ضد الطليان الذين اقتصرت خطتهم علي الدفاع وأخذت القوات العربية تزداد يوماً فيوماً والنصر معقوداً بألويتهم وقوات إيطاليا محصنة داخل بنغازى ودرنة وطبرق .

فكر العرب في مهاجمة مدينة بنغازى عقب معارك حامية الوطيس تكبد فيها العدو خسائر فادحة إذ أن المجاهدين أخذوا يهاجمونه داخل حصونه فلم يبت العدو ليلة هنيئة وانحصرت كل أعماله فى الدفاع وعجزت طلائعه من الخروج عن المعاقل فأعد العرب عدتهم لمهاجمة بنغازي وهاجموها بشدة وعنف فكادوا يحتلونها لأن جميع الطلائع الايطالية والنقاط الأمامية اقتحمها العرب ووصلوا إلى مداخل المدينة وأطرافها واستمات العدو في الدفاع عن نفسه وأخذ يمطر العرب بوابل من القنابل والمقذوفات كما أن البطريات المقامة حول المدينة وداخلها أخذت تمطرهم هى الأخرى واستمرت هذه الحالة طويلا فتراجع العرب وربما يكون الفشل لغلطات عسكرية كما يقول بعض ضباط العرب ولم تحصل بعد ذلك إلا مناوشات بين طلائع الفريقين وفى شهر أبريل سنة ١٩١٢ خرجت حملة إيطالية بعدتها وعديدها مزودة بجميع أنواع السلاح وهاجمت معسكر

بنينه«١» فدارت بين الفريقين معركة حامية الوطيس دامت عدة ساعات تمكن العدو فيها من احتلال موقع المعسكر وانسحب العرب ثم باكر هذه المعركة التحم العرب مع القوات الايطالية في معركة بموقع (حلق الريح) وانجلت المعركة بالتوازن فلم يكن الفوز لأحد من الفريقين وكل فريق احتفظ بمحله رغم كثرة الأموات من الجانبين ومن بين شهداء تلك المعركة الشيخ موسي رفرق عمدة قبيلة العمارنة والشيخ جبريل العبيدى من نفس القبيلة وقد أبلى كل منهما بلاء حسناً ثم عقب ذلك التحم الفريقان فى معركة بموقع (حوش العكب) وذلك يوم ١٧ رمضان سنة ١٣٣٠ هـ وكانت قوات العدو زاحفة صوب (سلوق) ولكنها لم تتمكن ومن بين شهداء هذه المعركة أبي زيدبن محمد الكزة ومن بين الجرحي الشيخ عبد الحميد العبار والشيخ يونس بن مصطفي أبي شنيف وقد ظهر للمجاهدين بعد هذه المعركه أن العدو سيستمر فى هجومه إلي سلوق حيث هناك منتجعات جميع قبائل العواقير وحسب المجاهدون لذلك ألف حساب وخافوا من سوء العاقبة والوقت جد ضيق وقد كان قائد المعسكر عزيز المصرى ذهب بعد احتلال بنينه إلى معسكر درنة وليس في الامكان عمل أى شيء لنقذ المنتجعات وهناك الطامة الكبرى فيما لو تمكن العدو من احتلال سلوق وكان المجاهدون قد أنهكهم طول القتال الذى استمر أكثر من أسبوعين ليلا ونهاراً يكرون تارة ويفرون أخرى فاهتدوا إلى حيلة أرادوا أن يقفوا

---

(١) لقد تحرينا بكل ما فى وسعنا لتاريخ الوقائع بالضبط ورغم سؤالنا للحاضرين وقتذاك ومقارنة جواب كل من سألناه بغيره فقد ظهر لنا الاختلاف نحو التاريخ المضبوط ثم تحصلت علي وثائق إيطالية نتيجة البحث والسعي ظهر منها أن معركة (بنينه) يوم ١٣ أبريل سنة ١٩١٢ وفى هذا خلاف لما رويناه عن بعض الناس وهو أن معسكر بنينه استمر سنة كاملة فاذا اعتمدنا هذا القول يكون الغلط عند الطليان الذين يفهم من وثيقتهم أن المعسكر لم يستمر أكثر من ثمانية أشهر اللهم إلا أن تكون هذه المعركة المقيدة بتاريخ ١٣ أبريل سنة ٩١٢ معركة أخرى غير المعركة التي احتل فيها العدو موقع بنينه وعندى أن العرب أصح حيث فهمنا منهم أن معركة (حوش العكب) كانت في رمضان وهو عقب احتلال بنينه مباشرة ومعني ذلك أن معسكر بنينه استمر أكثر من سنة .

بها تيار الزحف الايطالى الجارف وذلك أنهم علموا بوجود بعض الأعيان من بنغازى فقد أمرهم القائد الايطالى أن يكونوا في حاشيته أثناء زحفه وهم محمد أبو زيد وصالح المهدوى بك وعثمان الشيرى والشيخ سعيد نجم والشيخ ظافر المدنى وغيرهم فاغتنم المجاهدون هذه الفرصة وكتبوا إلى قائد القوات الايطالية الزاحفة يطلبون منه تحديد موعدا يقابله فيه مندوبوا العرب لفتح باب مفاوضة مع القائد ، كتب المجاهدون بهذا الكتاب وهم على يقين من أن القائد سيتشاور مع الأعيان وهؤلاء يتمكنون من عمل ما . ولو إيقاف الزحف مؤقتاً وهذه أقصى أمنية المجاهدين ، سألت أحد الأعيان من الذين بعثوا بهذا الكتاب للقائد وقلت له لماذا لم تكن الكتابة منكم للاعيان بدلا من الكتابة للقائد الايطالى فأجاب بقوله لو كتبنا للاعيان أنفسهم لأصبحوا فى موقف حرج ولسينا لهم مسئولية ونحن نود أن نخدمهم ويخدمونا متى دعت الحالة أما الآن فلا مسئولية عليهم وغاية ما هناك أن القائد سيستشيرهم وسيكون رأيهم في صالحنا هذا ما نعتقده والغرض من كتابتنا للقائد هو كسب الوقت فقط حتى تتمكن من نقل المنتجعات الخيمة في سلوق ، تشاور القائد مع الاعيان وأوقف الزحف ورد بجواب يحدد فيه الموعد ولكن لم يكن شيئاً من المقابلة فتابع الطليان زحفهم حتى بلغوا سلوق وتمكن المجاهدون من إبعاد منتجعاتهم عن ميادين القتال وباحتلال سلوق تمكن العدو من الاتصال بين درنه وبنغازى براً وذلك أول مرة كان هذا الاتصال بعد احتلال بنغازى واستمر القتال بين الطليان والعرب فى جميع أنحاء برقه من بنغازى إلى طبرق وقد تمكن الطليان من احتلال بعض المراكز فى الدواخل وبعد حصول معارك كثيرة وفى مواقع مختلفة كتب الجنرال اميليو قائد القوات الايطالية إلي شيوخ القبائل يطلب منهم إيفاد مندوبين للدخول معهم فى مفاوضة فصادف طلبه هذا فشلا ذريعاً وها نحن نكتب صورة الكتاب الذي رد به شيوخ قبائل العواقير وقد صادف وصول الوفد الايطالى الذى يحمل الكتاب إلي المشايخ وصول السيد احمد الشريف إلي موقع سيدى رويفع بن ثابت الانصارى المعروف بسيدي رافع .

حضرة . . . . . .

وبعد . نخبر حضرتكم أننا اتصلنا بأعيان بنغازى «١» واطلعنا على شروطكم المسطورة الواردة معهم من حضرتكم وقد أخبروا براحتهم مع دولتكم .

قبل وصول الاعيان جاءنا رسول من طرف الاستاذ الفاضل سيدنا السيد أحمد الشريف يخبرنا أنه وصل إلى الجبل الاخضر بموقع سيدي رافع ويأمرنا بالحضور عنده بناء عليه لا يمكن الان حضور أحد منا صحبة أعيان بنغازى حتى نتصل بشيخنا وأستاذنا ان شيخنا المؤمي اليه نزل بساحتنا وطلب منا الحضور فلا يمكن التأخر عنه وبعد الاجتماع به سيصدر من طرفه العالي كل ما يلزم وبه يكون العمل وها نحن أخذنا كتابكم لعرضه عليه) ١٥ جمادى الثانية الثانية سنة ١٣٣١ .

وكان الموقعون على هذا الكتاب المشايخ الآتية أسماءهم : عبد السلام الكزة ، ابراهيم المصراتي ، عمر الاوجلى ، على الاوجلى ، محمد الكاسح ، خليل مصطفى ، مفتاح أبو خزيم ، على محجوب ، مصطفى خليل ، أبو بكر القذافى ، مفتاح حسين ، جاد الله أبو زيد ، حبيب الله اللواطى ، رويله أبو لطيف ، مطرود أبو شنيف اللواطى ، المبروك اللواطى ، المبروك عمر .

المرحلة الثانية من النضال

بعد أن وقع الصلح بين الحكومة العثمانية وإيطاليا صدر الامر من الاستانة إلى القائد العام أنور باشا بأن يغادر برقة ويترك الامر لصاحبه السيد أحمد الشريف فوقع هذا النبأ في نفس أنور باشا وقوع الصاعقة وتوجه الى الجغبوب لمقابلة السيد أحمد الشريف والتفاهم معه وكانت العلائق بينهما على أحسن ما يرام فالسيد أحمد ما برح يأمر رؤساء الزوايا وشيوخ القبايل بمساعدة أنور باشا وكان يحث أنور باشا على القيام بمهمة الجهاد داعيا له بالنجاح والتوفيق وبذلك توطدت بينهما أواصر الصداقة وامتزجت روحيهما في سبيل الصالح العام . وصل أنور باشا الى الجغبوب فقوبل من لدن السيد

(١) كان كتاب الجنرال اميليو يحمله وفدا من أعيان بنغازى.

أحمد بكل حفاوة وتبجيل وبسط للسيد أحمد مهمته التي جاء من أجلها وهي تسليم الامر بحذافيره الى السيد أحمد حسب الاوامر السلطانية فتحمل السيد أحمد هذه المسؤلية التى كانت ولم تزل علي عاتقه بدون أن يتولاها بأمر السلطان ولم يطلب السيد أحمد من أنور باشا غير شيء واحد وهو مساعدته بالاسلحة والعتاد الحربي ثم رجع أنور باشا الى برقة وجمع كل الضباط العثمانيين وأبلغهم حقيقة الامر وبشرهم أن السيد أحمد الشريف سيحل بينكم في القريب العاجل وكان السيد أحمد الشريف قد اتفق مع أنور باشا أن يكون عزيز بك علي المصرى بدلا من أنور فى القيادة وبذلك كتب السيد أحمد الى رؤساء الزوايا يخبرهم باعتماده عزيز قائدا كما كتب بذلك الى عزيز نفسه ، سافر أنور باشا الى الاستانة وتوجه عزيز المصرى الى الجنوب لاستصدار ما يلزم استصداره من صاحب الامر فأكرم السيد أحمد وفادته وأمره بالرجوع فورا الى الميدن وكتب الى رؤساء الزوايا وشيوخ القبائل وضباط الجيش يأمرهم بامتثال وكيله القائد عزيز وما كاد أن يصل عزيز الى مقر قيادته بدرنة حتى سافر السيد أحمد الشريف الى برقه وكانت السياسة قبحها الله قد لعبت لعبتها وأخذ القائد العربى والضابط العثماني الكبير ووكيل السيد أحمد الشريف وخلف أنور باشا عزيز المصرى يمثل مسرحيته في الخفاء حتي اذا ما استأنس نجاحها ظهر بها لتشاهد علي الشاشة البيضاء وقد اتخذ من بطانته أعوانا عهد لكل منهم دوراً خاصا عندما يحين الوقت ولكن شيئا من ذلك لم يكن فقد كان وصول السيد أحمد الشريف ضربة قاضية على ما كان يدبر في الخفاء . وصل السيد أحمد الى موضع بقرب موقع الظهر الاحمر الواقع جنوب درنة ويبعد عنها بمسافة قليلة فاستقبله هناك رؤساء الزوايا وشيوخ القبائل وجموع من الاهالى فرحين مستبشرين بمجيء قائدهم الاعلى وسيدهم المطاع وبعد استقباله إياهم أمرهم بالعودة سريعا إلى المعسكر وأن لا يأتيه أحد فى مخيمه حيث سيكون بينهم فى المعسكر في القريب العاجل وهناك يقابل ويستقبل كل واحد ، فى ذلك ما فيه من الدلالة على أن الله سبحانه وتعالى تولى الامر بلطف خفى فحقق للسيد أحمد الشريف نظريته وهي أنه لا يريد تفرق القوات وابعدها عن مواجهة العدو بحجة الذهاب إلى السيد أحمد للسلام عليه وقد ظهر أثر رأيه الحميد ، كل من سمع استقبال السيد أحمد بالمعسكر توجه اليه وتجمعت به قوات عديدة وكان الطليان قد وصل

إليهم نبأ وصول السيد أحمد كما علموا قبلها بسفر أنور باشا وكانت هناك مداولات بينهم وبين عزيز ومحاولة لما يسمونه الصلح فأخذوا يعدون العدة اغتناما للفرصة .
وارادوا أن يقوموا باكبر هجوم وفعلا زحفوا على المعسكر أملا فى انهم سيفوزون بطائل أو على الاقل سيفلوا من عزيمة السيد احمد ويرهبونه بعددهم وعتادهم وكان هذا الهجوم غير منتظر ولكن القوات التي اجتمعت لاستقبال السيد أحمد جديرة بان ترد الكيل لعدوها المهاجم وان تعطيه درسا قاسيا . التحمت المعركة بشدة وعنف واستمرت عدة ساعات ثم أنجلت عن خسارة الطليان الذين لم ينج منهم الا من فر بنفسه يطلب سلامة حياته وقد أصيب الكثير من ضباطهم بالجنون وجيء على تلك القوة باجمعها فكسى أديم الارض باشلاء الموتى والجرحى والعتاد المبعثر هنا وهناك ، وعرفت هذه المعركة باسم (واقعة يوم الجمعه) وهى أول معركة بعد وصول السيد احمد الشريف وعقب المعركة وصل سيادته الي ميدان القتال ووقف علي اشلاء الموتى والغنائم وشاهد الاسرى وصافح جميع الضباط وهنأهم بهذا النصر الباهر واجتمع برءساء الزوايا وشيوخ القبائل ثم أخذ في جولات تفيشيه ابتدأت من العزيات وانتهت بجدابيه فمر بجميع معسكرات الجيل وفتشها واطلع على سير الامور بها ورتب كل من وقع اختياره عليه من الضباط كما نظم المجالس الاستشارية بالمعسكرات وكانت مقابلاته فى جميع انحاء القطر بالتعظيم والاجلال ورحب الشعب بمقدمه الميمون علي لسان رؤساء الزوايا وشيوخ القبائل والشعراء الذين أظهروا شعور الشعب في أشعارهم التى كانت هي وحدها التاريخ والمرجع الصحيح للتاريخ وحصلت وقائع كثيرة بين الطليان والعرب أثناء مرور السيد أحمد الشريف بدواخل البلاد فاشترك فى الكثير منها ولا يخفي ما لقيه في هذه الجولة من الاتعاب والمشاق والسهر وقد أمضه الجوع وأضناه العطش في كثير من الايام وكان لا يبالى بما يلاقيه ولا ينظر الى التعب الا بعين الازدراء ما دام ينظر لقومه هم الغالبون وقد وصفه لنا الكثير من رفاقه الذين لا زالوا أحياء يرزقون بأنه يرى في تلك الحالة باسم الثغر مبتهج الخاطر مرتاح الضمير ساطع المحيا صبيح المنظر لا يركن للراحة ولا يفكر فى رغد العيش وقد وصفه الشاعر الليبي الاستاذ حسين بن السيد محمد الحلافى بقوله من قصيدة عصماء :

فتاريخ السنوس الدهر باق ... على رغم الحظوب المبليات
غداة احتل جيش الظلم (ليبيا) ... بنسافاته (ومدمرات)
فصير بحرها (الاسطول) نارا ... واحرق برها (بمفرقعات)
وزلزل أرضها بدوى (تك) ... وأزعج جوها (بالطائرات)
فعاف العيش في ترف وعز ... بعيد عن ضروب المهلكات
ببيت أبدع الصناع فيه ... تحوط به الحدايق باسقات
ينعم فيه بين أخ وابن ... وبين أفاضل كالنيرات
وغادر (تاجه) وسعى اليها ... ونادى معلناً بين الكلمات «١»
أجيبوا داعى الله استعدوا ... بنى قومي الى حرب الطغاة
دعى فأجابه جم غفير ... وهل حرب تكون بلا دعاة
فضل حياته يسعى ويدعو ... لتوحيد الشعوب على العداة
فكم ليل تطاول لم ينمه ... ولم يعمل به غير الصلاة
وكم يوم طواه بغير زاد ... قضاه على ظهور الصافنات
بمعمعة يشيب الطفل منها ... يضيق لهولها صدر الفلاة
فلم تنظر اذا حققت الا ... (مدافع) كالصواعق داويات
قنابلها تدك الارض دكا ... وتقتلع الجبال الشاهقات
فاخفى الارض أمواتوجرحي ... ووارى الشمس نقع العاديات
وكم يوم (بيرقه) مثل هذا ... تسطره تواريخ الثقاة

---

(١) التاج اسم لزاوية الكفرة .

عزيز على المصرى

لعلاقة عزيز باشا المصرى بموضوعنا وصلته ببعض الحركات الحربية ببرقه فى وقتها أرانى مضطرا لذكر شيء عنه حيث وقف ذكره عقبة فى طريقى ولا يمكننى أن أتعدا هذه العقبة بدون أن أعثر فيها وكان بودى أن لا أذكر شيئاً عن ذلك لما فيه من الاساءة والتأسى والحقيقة كما يقال مرة وبما أنى لا أستطيع ذكر كل شيء عن عزيز كما كان بودى لا يمكننى فى الوقت نفسه الاضراب عن التحدث عنه .

تضاربت الآراء حول عزيز في برقه وسيرة عزيز ببرقه واختلفت الاقاويل وكثرت الأراجيف وظنت الظنون كل ذلك حول عزيز وما قام به عزيز وما قاله عزيز ونحن بينما نشكر لعزيز همته التي دفعته للحضور الى برقه كي يساعد أبناءها أو يبنى مجده على أكتاف أهلها وسواء كان مجيئه تطوعا واختيارا أو بريد به عرضا قريبا وسفرا قاصدا أو كان مجيئه بالامر من الحكومة العثمانية التى كان تابعا لها وقتذاك نجد أنفسنا في غاية الاضطرار لان نقرن هذا الشكر الذى نريده لعزيز بالاسف والحسرة علي ماقام به عزيز .

لازم أهل برقه أو التزموا الصمت عن عزيز وغضوا الطرف عن أعمال عزيز ونسوا أو تناسوا ما قام به عزيز وتجاهلوا تلك الأباطيل التي وضعها عزيز موضع الحقائق منذ وصل إلى برقة حتي غادرها وصمت أهل برقه عن عزيز منذ مغادرته إياها إلى يومنا هذا فلم يتقدم علي ما أعرف بزقاوى واحد للقول ضد عزيز فى حين أنهم يجدوا ما يقولون وإن كان القول لا يرضى مع الأسف فالأقاويل الصحيحة عنه متوفرة ومحفوظة ولعل أول مرة يكتب فيها أحد أبناء برقه عن عزيز هى هذه المرة ولذلك أريد أن ألتزم الصمت حتي هذه المرة فلا أكتب عنه شيئاً مما سمعته وأسمعه عنه حتى الآن من أهل برقه الذين عرفوا عزيزاً وصاحبوه وقدروه واحترموه وأنزلوه منهم منزلة خاصة ومهما سكت أهل برقه أو أخفوا شيئاً فالتاريخ لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا وأحصاها وسيجد عزيز ما يعمل حاضراً ولا يظلم ربك أحدا . وها نحن نكتفي ببعض نبذ نسطرها

بمتابنا هذا نقلا عما كتبه أحد إخواننا المسلمين الخلص العربي الغيور الذى جاء من بين من دعتهم الغيرة وقتذاك للحضور إلى برقه ومشاركة أهلها وهو الفاضل الأستاذ احمد جاويش الذى صاحب عزيزاً ببرقه وعرفه قال (عزيز علي أو عبدالعزيز علي رجل عصبي المزاج حاد الطبع كثير المطامع حقود مصرى المولد شركسى الاصل إلى أن يقول وبعد مضى شهرين من مجيء أنور بك إلى برقه حضر من الخطة اليمانية عزيز على إلي درنه فكان أول ما عمله أن خطب عربها قائلا (أيها الناس إن كنتم مسلمين حقيقة ولديكم ذرة من الشهامة والشرف فحاربوا العدو إلى آخر قطرة من دمائكم) امتعض العرب منه وقالوا (ما له يشك فى ديننا وشهامتنا ألم يرنا نهزأ بالموت ونذود عن بيضة الاسلام من قبله وها نحن نبلي فى الطليان خير بلاء رغم نيران مدافعهم المتهاطلة كوابل المطر) اراد انور بك بعد ئذ ترك قيادة درنة فى يد عزيز والذهاب بنفسه إلي بنغازى فتألبت العرب وأبوا الخضوع لعزيز وألحوا علي أنور بك فى البقاء وإرسال عزيز أين شاء فلم ير بداً من إرساله إلي بنغازى . وما وصل عزيز إلي مقر وظيفته الجديد حتى بدأ عجلات مطاعنه على أنور بك خاصة والاتراك عامة » نقول نحن ، لما وصل عزيز استقبلته الامة البرقاوية مرحبة وفي طليعتها رءساء الزوايا وزعماء القبائل واحتفوا به ومدحه الشعراء ومن بينهم ولد المؤلف والسيد محمد علي عبد المولى والسيد عبد العزيز العيساوى والسيد حميده بن عمور شاعر الجبل وكان أملهم أن عزيز بك يمثل أنور بك المحبوب الذى يمثل الخليفة العثمانى والذى وضع فيه السيد أحمد الشريف كل ثقته وأن عزيزا جاء لمساعدتهم فلا يجدوا بدامن احترامه والخضوع إليه وتسليمه حرية التصرف راجين أن يكون بشير خير وقائد نصر وكان عرب برقة يجلون ويحبون أنور بك لشجاعته وإخلاصه وطاعته للسيد أحمد الشريف وتفانيه فى قضيتهم كما يعتقدون ، ولا ينظرون يومئذ للخلافات العنصرية فالجميع مسلمون مجاهدون في سبيل تحرير الوطن وكفى . ولكن عزيزاً أخذ يعمل من وراء الستار لاثارة الخلافات العنصرية فى غير وقتها ويظهر بغضه الشخصى لانور المحبوب وأخذ يستعمل جميع الوسائل للوصول إلى أغراضه أما العرب فكانوا بادىء الامر لا يحصون عليه خطواته ولا يتعقبونه فى حركاته لظنهم به خيراً وأخذ هو يستميل زيدو يغريه ويبعد عمرو ويجفيه بصفة لا يدركها إلا من الني السمع

وهو شهيد . يقول الاستاذ جاويش (استخدم عزيز في اذاعة صيته مكاتب بعض الجرائد المصرية والمبالغة فى تقاريره وكانت أخبار مطاعنه تترامى الى أنور فلا يعيرها أقل اهتمام قائلا اتنا فى مسائل عامة تذيب الاضغان الشخصيه فليستمر فى دفاعه عن البلاد ولو أصبح رئيسها لكنت عن طيب خاطر من أتباعه ما دام ذلك في مصلحة الاسلام وأهله الى أن يقول حضرة الكاتب جاءت الى أنور بك أوامر مستعجلة بالحضور الي دار الخلافة ورأي أنه بعد أن نظم الادارة والدفاع وما دام شجعان العرب وخيرة الضباط موجودين فلا بأس علي البلاد من غيبة قد يخدمها اثنائها ولما صمم على ذلك توجه صوب سيد المجاهدين رئيس هذه الإمصار السيد أحمد الشريف السنوسى وشرح له المسألة بحذافيرها فرأى السيد أحمد أن سفر أنور ضرورى لاستمرار الدفاع والمحافظة على طرابلس وبرقة فأذن له بكل ارتياح وودعه على بركة الله . عاد أنور الى درنة فعين سليمان بك عسكر قنصدانا لدرنة ورشيد بك حاكما ومديراً لأمورها العسكريه وفوض القيادة العامة لعزيز بك وسافر سراً وكل القلوب حزينه لفراقه طالبة له التوفيق والسلامة فى حله وترحاله الخ) نقول نحن أن العرب كانوا يحبون أنور كما قلنا ومن أبرز الخصال التى جعلته جديراً بهذا الحب إخلاصه الذى لم يكن موضعاً للشك للبيت السنوسي وللقضية الوطنية ، وهذا سر نجاحه فى برقة ، وإخلاصه للخليفه العثمانى وهذه نقطة لها قيمتها عند المسلمين عندما كانوا تابعين للخلافة وهى قائمة على أصولها ، وإخلاصه فى قتال الطليان وهذه النقطة ملك بها القلوب والافئدة فليس من الحكمة أن يقوم رجل مثل عزيز لم يعرف عنه في برقة أنه مخلص للسنوسى ولا للخليفة ولا لقضية الوطن . ويريد أن يخلق من نفسه شخصية ممتازة فى برقة أو حاكما فيها بأمره ويقذف على مرأى ومسمع في العرب من شخصية أنور .

يقول الاستاذ جاويش (بعد بضعة أيام من سفر أنور بك حضر عزيز بك الى درنة فجمع العرب والجنود وخطبهم فكان مدار خطبته الطعن في أنور بك وإدارته الى أن يقول وبعد سفر أنور بك خلا الجو الي عزيز بك الا من مزاحم واحد ألا وهو السيد أحمد الشريف السنوسى وأتباعه فقلب لهم ظهر المجن وأخذ يخشن فى معاملتهم و يعمل على تقليل منزلتهم ولكنه أبصر ان ذلك لا يزيد العرب الا حقدا عليه وازدراء

به وبعد ثلاثة ايام من حضوره الى درنة قرر سحب جميع مدافعها وفعلا أصدر أوامره إلي الجند سراً فسحبوها ليلا بيد أن العرب شعروا بالامر فأسرعوا واسترجعوا الجنود والمدافع واشتد حقدهم علي عزيز واتهموه علنا بالخيانة وهموا بقتله ولولا وجود البطل المقدام الشيخ عمر المختار أحد المشايخ السنوسية الذى تدارك الامر بحكمة وهدأ ثائرة العرب لبات عزيز بك فى خبر كان . هدأ الشيخ عمر هذه الفتنة وأخذه وذهب به إلي طبرق فلقي بها عزيز نفس اشمئزاز أهلى درنة وتيقن أنه ان لم يحصل علي اذن توليته ممن ظنه مزاحمه السيد أحمد الشريف فلن يستطيع البقاء ببرقة ولا إخضاع العرب على أوامره وإجبارهم علي احترامه ولم يربدا من الذهاب إليه فى الجنبوب فتوجه وتحصل منه علي أمر التولية وخطابات لرؤساء الزوايا وشيوخ القبائل بالخضوع له ومعاونته على الدفاع عن بيضة الاسلام وذمار الوطن وعندما رجع أمر فاجتمعت القبائل ومشايخ الزوايا وغيرهم ثم قرىء أمر التولية المرسل من السيد أحمد الشريف فتقبله العرب علي العين الخ . نقول نحن حسبما استخلصنا من المراجع الموجودة لدينا : فى هـذا الاثناء وصل المحامى حسن حمادة من مصر الى برقة فاحتفل به عزيز بك واحترمه واذاع بين العرب ان هذا الشخص الكبير شقيق عمر باشا طوسون ويقصد بهـذا التمويه احترام العرب لشخصية عمر باشا طوسون بينما كان الضيف المبجل من الدساسين ويقول عنه الاستاذ جاويش (أما هذه الرسالة «١» فصادرة عن جمعية الدسائس في البلاد الاسلامية المشتغلة في الظاهر باسم الخلافة العربيه وفي الداخل لتمكين الاجانب من رقاب سكان هذه الجهات مقابل حصول أعضائها على معبودهم الاكبر (الجنيـال الاصفر) وكانت مهمة هذا المحامي تنحصر فى إقناع عزيز بك بالرجوع وتخويفه من المستقبل وتشويقه بوافر الربح ان هو قبل تنفيذ خطتهم الجهنمية القاضية ببيع برقة للطليان مقابل مقدار عظيم من المال قدره البعض بمليون وآخرون بنصف مليون من الجنيهات الى أن يقول حضرة الكاتب : ثم استقدم عزيز إليه احمد صوان القائمقام المعروف بميله إلى الطليان وبعث به الى قائد الطليان ليخابره بالنيابة عنه وبعد بضعة ايام اراد عزيز تأكيد صدق وعود الطليان فأتي بزمرة ممن عرفوا بالرغبة عن الحرب والقول بمصالحة الطليان وبعث بهم

(١) المحامى المذكور كانت معه رسالة خاصة لعزيز بك وفقا لأغراضه وما ينتويه .

إلى قايد الطليان فأحس استقبالهم ومنح كل واحد منهم خمسمائة جنيه الى أن يقول حضرة الكاتب : إبان سير هذه المخابرات وصل السيد أحمد الشريف الى جوار درنة وكأنه رأى بعينى بصيرته ان الجنود المرابطين سيهرعون لاستقباله والحفاوة به وأن العدو سينتهز هذه الفرصة بناء على اتفاقه مع الخونة للاستحواذ على مراكزهم فأرسل إليهم الاوامر المشددة للزوم أماكنهم والمثابرة على جهادهم وعدم القدوم لاستقباله الى أن يقول وفعلا كان ما توقعه وخرج الطليان آمنه مطمئنة بناء على معلومات الخونة الواصلة إليهم فطبق عليهم المجاهدون الآفاق وأثخنوهم جراحا واتبعوهم طعنا وقتلا فأبادوا أغلبهم ورأى الباقون السلامة فى الفرار فسلموا أرجلهم للهواء وفروا يسابقون الظليم .

ويقول الكاتب: حضر عزيز الى الاستاذ المبارك وأخذ يصور له حالة الجنود والمجاهدين بصورة مفزعة تدعو الى القنوط ويبين له استحالة المقاومة وضررها ونفاذ الميرة والذخيرة والاموال واقترح عليه الصلح على شرائط أهمها ضم قطعة الاراضي الواقعة بين (بمبا) والجغبوب وبين الحدود المصرية وترك بقية برقة للطليان على شرط أن تدفع روما ولندرة وباريس مرتباً سنوياً يليق بمقام السيد أحمد الشريف وكرامته وأن تكف فرنسا عن محاربته فى الصحراء «١» فكان من بين كلام السيد أحمد له أما الميرة والذخيرة فموفورتان باذن الله ولا ينخلع فؤادك هلعاً فان من نصرنا على الطليان في بداية الحرب ولم يكن لدينا جند ولا سلاح ولا ذخيرة أو خلافه لن يتخلى عن نصرنا اليوم ، وأن لهذا الدين إلهاً يحميه وان تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم ، وان ينصركم الله فلا غالب لكم ، الي أن يقول الكاتب : فتمادى عزيز في مخابرته مع الطليان وأخذ يلح عليهم باسراع تنفيذها (اي الخطة المدبرة) وأخفا القنابل وأفسد الذخيرة وأثر في الجنود والضباط بحيلته وماكان يزينه لهم حتي يتم ما اتفق عليه مع الطليان ، شعر السيد أحمد الشريف بحركاته وخصوصا مسألة الذخيرة ورأى العدو قد ينتهز الفرصة قبل قدوم الذخيرة من الجنوب الى أن يقول حضرة الكاتب : استمر عزيز فى

---

(١) كانت الحرب بين السنوسيين والفرنسيين لا تزال قائمة من سنة ١٣١٧ هـ حتي سنة ١٣٣١ هـ فانظر الى عظمة السيد أحمد الذى أخذ يحارب حكومتين عظيمتين في وقت واحد وهما إيطاليا من الشمال وفرنسا من الجنوب .

مخابراته مع الطليان وقبل جميع شرايطهم كما أنهم قبلوا تسليمه ثلاثين ألف جنيه بناء علي طلبه ولما أرسل اليه السيد أحمد الشريف أن أبعث الى المدفعيين حتى أطرد الطليان من من القيقب لم يجب طلبه بل بالعكس أرسل المدفعين مع قوة كبيرة الى زاوية العزيات حيث كان الاسرى الطليان بغية إحضارهم لكي يسلمهم الي الطليان حسب اتفاقه معهم ، حضرت هذه القوة وطلبت تسليم الاسرى بحجة وجوب نقلهم الى مكان آخر لعدم وجود الماء بالعزيات كان أولئك الاسرى أغلالدى عزيزبك من المجاهدين او كانه لم يدرك ندرة الماء هنالك إلا فى هذة الساعة أو كأن الاسرى أرسلوا اليه شكوي بذلك أما العرب فقدرفضوا تسليمهم مالم يأذن السيد السنوسى بذلك فلم تفهم الجنود جواب العرب وأصرت على أخذهم عنوة بناء علي الاوامر الشديدة الصادرة اليهم بذلك من القائد العام فمنعهم العرب و نشبت معركة بين الطرفين أسفرت عن قتل خمسة من الجنود واستولى العرب على المدفعين .

حبط عزيز فى مسعاه ولكن تيقن سوء العاقبه واطلاع العرب والجنود على دخيلة أمره إن لم يسرع بالسفر فحرض الجند وانذر الضباط بنفاذ الذخيرة والميرة وانقطاع المدد المالي من مصر . الى أن يقول حضرة الكاتب ، أرسل السيد أحمد الشريف إلي عزيز أمرا قالته أو فصله من القيادة العامة وتعيين قمندان طبرق قائدا مكانه فكان ذلك من الدواعى المحرضة لعزيز على الاسراف فى انتقامه الى أنْ يقول : وبالجملة فانه أعد الرحيل لجميع الجنود وضباطهم وأسلحتهم وما بقي من الذخيرة بعد الذى أفسده أو طمره نكاية بالمجاهدين وبعد ساعة تحرك الركب بعد أن أحرق العنابر الموجود بها الارزاق والاجزخانة الموجودة بدرنه وطبرق فأصبحت طعمة للنار مع أنها اشتريت بالاموال المقطرة من جبين فقراء المسلمين لا من جيب عزيز لاجل إخوانهم المجاهدين وليته وقف عند هذا الحد بل أنه أمر بالاسلاك البرقية فقطعت وكذلك فعل بأسلاك صدي البرق (التليفون) حتى لا يجد المجاهدون وسيلة للخابرة كما جردهم من جميع وسائل الدفاع بأخذه السلاح ، سافرعزيز ورجاله فخرج الطليان كما قلنا لمهاجمة درنه واخذوا يطلقون قنابلهم على الاماكن المطمورة بها القنابل فتفرقعها وتبدد كل ما هو بجوارها من نفوس وأموال وأرزاق ومتاجر حتي لحق التجار من الخسائر ما قضي على مستقبل أكثرهم ، انسحب المجاهدون الى الدواخل لعدم وجود الذخائر ولكن الله أبى

الا النصر لعباده اذ فى هذا الوقت الذى يقدم فيه الطليان نحورين معجبين بقوتهم وردت الذخائر من الجنوب ففرقها سيدى أحمد على المجاهدين واستمرت معركة دموية ردت العدو على أعقابه محملا بفادح الخسائر : ويقول أيضا حضرة الكاتب سافر عزيز بك ورجاله وهم فرحون مظهرون الحبور شمانه بالعرب واستمروا فى سيرهم حتى وصلوا الى جرار طبرق ليلا فظنهم محافظوها أنهم قوة ايطالية خرجت لتدهمهم ليلا فأطلقوا عليهم النار فبدل أن يشكرهم عزيز على انتباههم أو بدل أن يعطيهم اشارة تبين لهم الحقيقة أمر باطلاق النار صوبهم فقتل أحدهم وجرح آخر واستمرت قوة عزيز بك فى سيرها وكان قد اتصل الخبر بمسامع السيد أحمد الشريف فأرسل اليه جماعة من كبار المشايخ يرحبون عزيز بك ورجاله ويطلبون منهم باسم الاخاء الاسلامى والغيرة الدينية البقاء كما كانوا لمدة شهر أو أكثر حتى يتمرن العرب بالاعمال بمفردهم ويعلمهم الضباط ذلك وربما فى بحر هذه المدة يحضر بعض الضباط المتطوعين للجهاد في سبيل الله واذا لم يكن البقاء فتنسحب القوة تدريجيا حتى لا يطمع العدو ولا يقع الارتباك في صفوف المجاهدين وتبقى لديهم قوة المحافظين المحلية التى أخذها عزيز معه واذا لم يكن شيء مما تقدم فلتترك الاسلحة والذخائر لان هذه البلاد عثمانية بناء على الامر السلطانى المانع لها الاستقلال الادارى ، استرحموا عزيز بكل خضوع فلم يفلحوا .

خرج شيوخ العرب من عنده كاسفى البال مكسوري القلب منفطرة أفئدتهم فهاجت أعصابهم ورأوا أنهم كالواقف بين حتفى الموت ، عزيز يجردهم من السلاح والجنود ، والعدو يتربص بهم المنون فقرروا مهاجمة عزيز لظنهم أنه وأخوانه المسلمين قد يفقهون في الساعة الاخيرة لضرورة حقن دماء المسلمين وتتحرك قلوبهم شفقة على أولئك الذين لا ذنب لهم الا الدفاع عن دينهم ووطنهم ،جاء نحو المائة والخمسين منهم يركضون بخيولهم مطلقين بنادقهم فى الهواء فما كان من عزيز الا ان عبأقوته وجعل جناحيه من السوارى والقلب من البيادة وامطر على أولئك البؤساء اخوانه فى الدين ناراً حامية من بنادقه ومدافعه فقتل منهم خمس وجرح أكثر من ثمانية عشر وفر الباقون فأمر بأخذ أسلاب الموتى وحرق بعضهم وكانت خسائر الجند موت الضابط المسمى عارف وتسعة عشر نفر وجرح سبعة فما كان من عزيز الا أن يجدد فظائع القرون الوسطى ويمثل بالمسلمين

أشنع تمثيل فأحرق من الاسرى ستة أشخاص وذبح اثنين منهم كالاغنام علي قبر الضابط الذى ذهب ضحية أمر قائده عزيز أما بقية الاسرى فكان مقر إعدامهم السلوم لولا أن رجيته ومعى الشيخ كرم وألماظ أفندى فى إطلاق سراحهم فأجاب بالقبول بعد عناء عظيم الى أن يقول حضرة الكاتب كان عزيز لما وصل الى السلوم وبعد ان فعل فعلته المشار اليها اغتصب من الماظ أفندى المبلغ المرسول معه من اللجنة العليا الى المجاهدين إعانة وكان قدر المبلغ تسعة آلاف جنيه ثم باع الخيل والبغال والجمال الذى كان اشتراها أنور بك بثمن زهيد لولا أن ضبطها البعض وخلصها من هذا الضياع المقصود وقد باح بجميع الاسرار الحربية ، هذه نبذة يسيرة من أعمال عزيز نقلناها بالحرف الواحد عن كتابة الاستاذ أحمد جاويش وتركنا الكثير حباً فى الاختصار وعلى القارىء أن يحكم والله خير الحاكمين .

السيد احمد الشريف يتجول بداخل برقة

وصل السيد أحمد الشريف الى الزاوية البيضاء لزيارة ضريح الصحابي (رويفع ابن ثابت) ولتفتيش معسكرات برقة الغربية فاستقبلته جموع القبائل والمعسكرات وبقي هناك مدة من الزمن للاشراف علي تنظيم حركه المجاهدين وفي هذا الاثناء وصل وفد من شيوخ وأعيان قبائل العواقير يتقدمهم الشيخ عبد السلام الكزة والشيخ ابراهيم المصراتي وكان غرض الوفد استدعاء السيد احمد الشريف الي برقه الغربية ولكنهم وجدوه منهمكا فى نظام وترتيب معسكرات الجيل فأمرهم بالعودة وأوصاهم بما يلزم ووعدهم خيراً وحثهم على التمسك بواجباتهم ثم سافر وفد آخر من العواقير يتقدمه الشيخ عبد الحميد العبار والشيخ سليمان رقرق والشيخ بريك اللواطي فوصلوا الي السيد احمد وهو بمعسكر المخيلى وعندها تمكن السيد من المجيء معهم فمر بمعسكر خولان فمعسكر البراعصه بموقع جردس الجرارى ثم نزل بزاوية القصرين ولأمور هامة تتعلق بالموقف أقام بها عشرين يوما ثم مر بالخروبة حيث هناك معسكرى العرفا والعبيد تحت قيادتي السيد عمران السكورى والسيد عمر المختار ومكث هناك اربعة عشر يوما ثم واصل سيره الي زاويه مسوس ومكث هناك شهرين تصدر عنه الاوامر الي المعسكرات جميعا

فى برقه وترده التقارير وكان رفاقه من السادة الاتية اسمائهم السيد احمد بن ادريس والسيد محمد علي عبد المولى والسيد محمد الدردفى والسيد محمد بن عمور ومن هؤلاء مجلس الشورى الخاص به :

اثناء وجود السيد احمد بمسوس دعته عائلة سليمان العواقير ليشرفها فتحول الي منتجعاتهم اجابة لطلبهم وهناك أسس معسكر العواقير الخاص بهم وجيء بافراد جنودهم الذين كانوا بمعسكر المغاربة واسندت قيادته الي السيد عبد الله الاشهب فاتخذ مقره (الشليظيمه) وهنا وصل الوفد المصري المؤلف من السادة الادارسة وعبد الحميد بك شديد وسنأتي بذكر ذلك في محله،استمر هذا المعسكر في اقلاق راحة العدو ومهاجمة نقاطه وعرقلة طلائعة فيغنم كل ما تصل اليه يده منهم وأذاقهم الوبال واحرمهم طيب المنام واقلق مضاجعهم وبعد مدة من ذلك ظهر العدو بمعداته والتحم مع معسكر الشليظيمه فى معركة حامية الوطيس تعرف بمعركة الوادى الاحمر وانتصر العرب انتصارا باهرا فغنموا جميع معداته وارتدت فلوله الممزقة تندب حظها وكان من بين الشهداء يوم ذاك الفارس المقدام سعيد العبار وعددهم سبعون ومن بين الجرحى قائد المعسكر والشيخ عقيله الكزة ومن ثم نظم العدو ثلاث حملات قوية خرجت احداهن من بنغازى والثانية من سلوق والثالثة من الآبار بنية تطويق المعسكر الذى اشتبك مع تلك القوات الثلاث وحملها الخسائر الفادحة وانسحب من موقعة الشليظيمة حيث احتله الطليان بعد أن دفع الثمن غاليا :

تحول السيد احمد الشريف بعد هذه المعركة من منتجع عائلة سليمان الى منتجع عائلة العبار الذين بالغوا فى اكرامه واحتفوا به ثم بعد يومين من ذلك سافر الى اجدابيه مارا بمنتجع العشيبات فاحتفلوا به احتفالا رائعا ومكث به خمسة عشر يوما اجابة لطلبهم وفي يوم ١٥ ربيع الاول سنة ١٣٣٢ هـ هجم العدو مركز الزويتينه فاحتله وكانت قواته قد زحفت من الطريق الساحلية تحت حماية الاسطول الذى أخذ يجارى القوات الزاحفة ويحميها بقنابله وفى نفس الليلة هجم معسكر المغاربة بقوة وحماس على العدو فاشتبك معه فى معركة عظيمة عرفت بـ (ليلة الرمصا) وغنم المسلمون كثيرا من

العتاد والمؤن والذخائر واجتمعت النقاط الامامية للعدو داخل الزويتينه فلم يبق خارجها أحد منه ثم زحف العدو بعد أربعة أيام من المعركة الاولي الي خطوط أمامية جنوب الزويتينه والتحمت معركة تكراء حصل فيها التوازن بين الفريقين ثم بعد ذلك تقدم العدو بجحافله الى جدابيه فاصطدم بالعرب في موقع (غريدة الحداد) واقتتل الفريقان قتالا مراً اسفر على تفوق العدو فتقدم يوم ١٥ جماد الاول حيث احتل جدابيه وهذه المعارك المذكورة بمنطقة المغاربة كانت منذ النصف الاول من شهر مارس الي ١٥ أبريل سنة ١٩١٤ وقع نبؤ احتلال اجدابيه فى نفس السيد صفى الدين وقعا سيئا فقد كان نائبا عن السيد أحمد الشريف ببرقة الغربية منذ ٢٢ ربيع الثانى سنة ٣٣٢هـ أي بعد وصوله من الجغبوب مباشرة وكانت قيادته مؤلفه من السادة الاتية اسماءهم : السيد احمدين ادريس المستشار الاول والسيد محمد الدردفى المستشار الثاني وحسين باشا بسيكرى المتصرف المدني لمنطقه جدابيه ، وحسين باشا كويرى قمندانا عسكريا ويؤلف المجلس من أعيان وشيوخ قبيلة المغاربة والتابعون لهم ومن أعضائه على باشا العابديه والشارف باشا الغرياني ، والسيد أحمد المدني ، وفى هذه السنة وصلت الاخبار الى السيد أحمد الشريف وهو بضواحي جدابيه باحتلال الفرنسيين (لكلك) السودان واستشهد يومذاك الشيخ صالح العريضة مع قسم كبير من المجاهدين كما جرح السيد عبد الله الغرياني مع غيره وباحتلال كلك سقط جميع السودان فى أيد فرنسا .

انتقل السيد أحمد الشريف ونائبه السيد صفي الدين ومستشاروهما والهيئة بأكملها الى موقع الصليخ ومن هناك توجه معسكر المغاربة لاتخاذ مركزه بالقطفية وذلك فى شهر جمادى الثانية من السنة نفسها تحت قيادة السيد صفى الدين وكانت حاشيته مؤلفة من المستشارين المذكورين ومتصرف المنطقة والقمندان حسين باشا اكويرى وقمندان المشاة محمد على أفندى الزياني وقمندان السوارى عمر أفندى المتجون وفى يوم ١٣ شعبان زحف العدو علي المعسكر والتحمت المعركة بموقع ابي جداريه اسفرت بعد ساعات على تفوق الطليان وقتل يومذاك البطل المقدام أحمد العابديه والفارس الباسل الهامل الظريف وانسحب المجاهدون وتقدم العدو الي موقع (بئرعين الناقة) والمنشى والمنيشى وهذه الابار بالوادي الفارغ ولم يلبث العدو أن رجع ولكن بدون معارك أخري

ومن ثم رجع المعسكر السنوسى وانتظمت صفوفه وقد وصلته الاخبار بأن مجموعة كبيرة من القوافل تعرف بالكروانه تنقل المؤن والعتاد الحربي من الزويتينه الى جدابيه فقرر المعسكر مهاجمتها وفى يوم ٢٠ شوال سنة ١٣٣٢ هـ هجم المعسكر مجموعة القوافل العديدة وكانت تسير بين قوات من السوارى والمشاة واشتبكت مع المهاجمين ولم تمض ساعات حتى انهزم العدو هزيمة شنعاء وأخذت هذه المجموعة الهائلة من المؤن والذخيرة والاسلحة وسميت هذه المعركة باسم (الكيروانه) وقد وصفها الشعراء وصفا دقيقا .

بعد هذه الواقعة تحول السيد أحمد الشريف من بئر الصليخ الي منتجع العبار وكانت بقية منتجعات العواقير ومعسكرهم بموقع (عرق الجلب) فهجم العدو بقواته على المعسكر المذكور لعلمه بوجود السيد أحمد الشريف والتحمت به المعركة بموقع (بيضاقم) واسفرت عن التوازن بين الفريقين وعقب ذلك التقى الجمعان بموقع (سوانى العبار) وكانت المعركة فى اشدما يصفونها به فقتل السيد عبداللطيف بن عبيد بين شهداء هذه المعركة ومن بين الجرحي الشيخ عمر الاصفر وكاد أن يتمكن العدو من القبض على السيد أحمد الشريف لولا عناية الله ورحمته للبلاد وبيان ذلك : توجهت قوة إيطالية مؤلفة من ثلاثين سيارة نحو مقر القيادة حيث يوجد السيد أحمد وقد سلكت السيارات طريقا لا يعلم عنه المجاهدون المنهمكون في قتال آخر بناحية انحصرت فيها كل أعمالهم الحربية وهناك مع السيد أحمد الشريف كما سمعت من الشيخ عبد الحميد العبار ما يقرب من ثلاثمائة خيال بينهم قسم من الجنود النظاميين الخاصين بحراسة السيد أحمد وبعض من العواقير فاشتبكوا مع العدو في معركة شديدة اقتحمها السيد أحمد الشريف بنفسه ماراً فى ميدان الوغى رغم المحاولات التي اتخذت من رفاقه لمنعه عن الاشتراك فى المعركه وانتصر العرب انتصاراً باهرا فغنموا جميع معدات هذه الحملة وقتل الكثير من جنودها وضباطها وقد كانت هذه الحملة المنهزمة تحت قيادة الجنرال اميليو نفسه الذى رجع بخفي حنين وفي نفسه ما فيها من الحيرة لعدم قبضه على السيد أحمد الشريف كما كان يظن وانتصر السيد أحمد أيضا على السيارات التى هاجمته وبعد ذلك تحول الى موقع (ساونو) ومعه منتجع عائلة العبار ثم خرج العدو بعد ذلك مهاجما ساونو فرجع منكود الحظ وقد ترك اشلاء موتاه تغطى وجه الارض طعمة لذئاب الفلاة وكانت هذه المعركه خاتمة المعارك ببرقة

الغربية فى عهد السيد أحمد الشريف فقد أخلى العدو جميع مراكزه التى احتلها ببرقة الغربية التي ألبسته جلابيب الذل والهوان وسجل منها صفحات الخزى والخسران وهناك تحول السيد أحمد الشريف الى زاوية مسوس للمرة الثانية ومعه متتجعات عائلة سليمان العواقير فاستقبله رئيس الزاوية السيد محمد يحيى وشيوخ عائلة الكزة واتخذ المعسكر مركزه (وادى المعقور) فهاجمه العدو والتحمت المعركة بموقع المعيزيل وقد سقط قائد الحملة الايطالية واخذت جميع معداته ثم تحول المعسكر الى موقع (وادى قرا) فهوجم من قبل العدو ودارت معركة طاحنة بين الفريقين أسفرت عن خسارة العدو وقد خسر المعسكر خسارة فادحة بموت القومندان نجيب بك الحورانى الذى اخلف السيد عبدالله الأشهب بعد اصابته بجراحات ألزمته الفراش فبكى المجاهدون نجيب بك لما له بينهم من المكانة وقتل أيضاً الشيخ أبو زيد اللواطى وهو من الأبطال ، كان السيد أحمد الشريف يبعد عن المعركة بمسافة عشر كيلو متراً فحمل المجاهدون نجيباً فى محفل حافل إلى حيث كان السيد أحمد وهناك أقيمت عليه صلاة الجناز وأمر السيد احمد بأن يدفن فى مقبرة زاوية مسوس وقد أبنه الشعراء باللغة العربية الشعبية كما أبنه شعراء اللغة الفصحى قياماً بالواجب نحو أخيهم العربى الذى ترك دياره وأهله بالشام لمشاركتهم فى قتال عدوهم وكان رحمه الله من الأبطال الممتازين ومن هناك سافر السيد احمد الشريف إلى معسكرات الجبل الاخضر والبطان تاركا قيادة برقة لنائبه السيد صفى الدين كما أسلفنا . لقد ذكرنا عن بعض المعارك المشهورة وتركنا أن نذكر كل المعارك فهى كثيرة ومن بينها شن الغارات على معاقل العدو واصطدام الطلائع كما لم نفصل عن جميع حركات السيد احمد للاختصار الذى توخيناه وموعدنا عن التفاصيل الشافية الطبعة الثانية إن قدر لنا .

تموين المعسكرات

تنظمت المعسكرات السنوسية فى برقه بعد احتلال بنغازى كما تقدم ذكره وكان الاخوان يرفعون التقارير عن جميع الحركات الي السيد احمد الشريف بالكفرة ثم بالجغبوب ويبعث بدوره الاوامر والتعاليم للسير عليها وكان يكتب لرءساء الزوايا حاثاً اياهم على بذل الهمم ومساعدة القواد العثمانيين وطاعتهم في كل ما يتعلق بسير الجهاد وكان يكتب لشيوخ القبائل وزعمائها حاثاً على طاعة رءساء الزوايا باعتبارهم ممثليه ومنطوق جميع كتاباته ينحصر فيما يلي (التعاون والتعاضد لادارة دفة الحرب . الاهتمام بتنظيم الادارة المدنية والتعامل بما ينص به كتاب الله وسنة رسوله)ولابد للقارىء أن يتساءل من أين وكيف تموّن هذه المعسكرات ؟ الجواب عن ذلك : أن جميع هذه القوات المجتمعة لمحاربة العدو تتموّن من الواردات التى تجبى باسم الزكاة الشرعية والاعشار والجمارك يضاف الي ذلك تبرعات الخيرين من أهل برقة الذين لا يدخرون وسعهم في مثل هذه الحالة ثم أن هناك مساعدات تصل من الحكومة العثمانية في عهد أنور باشا مثل المؤن والذخيرة والاسلحة والملبوسات وأنواع الادوية كما كانت تصل التبرعات من اخواننا المصريين الخيرين ومن المسلم الكبير صاحب الهمة الغيور البطل الاسلامي عمر باشا طوسون وهناك أيضاً اللجنة العليا بمصر لمساعدة مجاهدى طرابلس لم تألوجهداً فى مد يد المساعدة الفينة بعد الاخري وكان فقيد الاسلام والعرب الامير عمر طوسون كما أسلفنا لا يألو جهداً في مساعدة المجاهدين فتارة يمدهم من جيبه الخاص وطوراً بالاكتتابات التى كان ينظمها من أجل ذلك بنفسه وطوراً بالنداءات التي يوجهها الى العالم الاسلامي والعربي يستنهض هممهم ومروءاتهم لمعاضدة اخوانهم الليبيين المنكوبين وبما أن سموه غني التعريف عن ولم يكن رحمه الله وطيب ثراه في حاجة للايضاح فلا نكلف أنفسنا مشقة تنميق العبارات وتضيد الالفاظ وترصيعها بالبديع لنصفه فهو فى غني عن كل قول وعمله محفوظا عند كل لبيب : وهناك أشياء كثيرة تصل باسم الهلال الاحمر المصرى ثم أن هناك والدة سمو خديوى مصر (أم المحسنين) هي الاخرى كانت لها أياد بيضاء فى هذه التبرعات ومجموع الزكاة

الشرعية نظمت له ادارة خاصة فى كل ناحية من نواحى برقة وبذلك تموّن المعسكرات السنوسية ولقد أغفلنا ناحية ربما يتصور القارىء باغفالنا لها أن هذه المساعدات كانت تصل حتى النهاية كلا! فمنذ وقع الصلح العثمانى الايطالى انقطعت هذه المساعدات ولم يصل الى برقة شيء اذا استثنينا بعض مساعدات خاصة وبطرق سرية من سمو الامير طوسون فقط فأصبحت المعسكرات تتموّن من وارادات برقة لا غير . وبمناسبة ذكر هؤلاء الخيرين لا يفوتنا أن نذكر موقف الصحف المصرية وقتذاك فقد كانت تشجع المجاهدين وتشاركهم في موقفهم الامر الذى جعل أهل برقة مدينين للصحف المصرية يومذاك كأنها لم تكن هى صحف اليوم وكان رجالها بالامس لم يكونوا هم رجال اليوم وكان مصر الامس لم تكن مصر اليوم أو برقة الامس لم تكن هى برقة اليوم ولكن الذنب للصحف ورجالها ولا ذنب لمصر وبرقة فالذنب للسياسة وحدها وقبح الله السياسة . كانت الصحف المصرية كما قلنا تشيد بالجهاد السنوسى ولا تغفل شيئا يستحق النشر ومن بين ما نشرته الصحف المذكورة ذلك المقال المسهب الذى نشره المؤيد بتاريخ ٧ سبتمبر سنة ١٩١٢ وقد عثرت على هذا المقال وقد ترجمه الطليان الى لغتهم فى عشر صفحات من الورق الكبير الحجم ورفقوه بتعليق في شيء من الحذر وارسلته القيادة العسكرية الايطالية في برقه الي وزارة الحرب بروما وهو من محفوظات القيادة العسكرية السرية وقتذاك .

ولم يتأخر الكتاب والشعراء من اخواننا الشرقيين كالرصافى والزهاوى الشاعرين العراقيين وحافظ ابراهيم وعبد الحليم المصرى الشاعرين المصريين واضراب هؤلاء من شعراء الشام وبقية شعراء مصر والعراق وهناك من الكتاب الاستاذ الكبير على يوسف والاستاذ العظيم عبدالعزيز جاويش والدكتور محمد بك أبو شادى ومن على شاكلتهم من جميع الكتاب الشرقيين فقد أدوا واجبهم نحو اخوانهم الليبيين وأشادوا بأعمالهم وشجعوهم في عملهم عندما كان الليبيون هم الميدان الاول لفظائع الغربيين والمسرح الاول التي مثلت فيه فظاعة الاستعمار الوحشى فأنشد الشعراء قصائدهم بدافع الغيرة وكتب الكتاب ما أوحاه لهم الضمير بحافز الوطنية وخطب الخطباء بمنطقهم السليم وكلماتهم الحادة التى كانت تصدر من قرارة النفوس الطاهرة التى لم تدنسها السياسة وكانت الصحف

تنشر كل ذلك وكانت تطبع المطبوعات الخاصة نحو قضية برقه وجهاد برقه والهجوم الوحشى عليها وتوزع تلك المطبوعات فى جميع أنحاء العالم ومن بين هذه المطبوعات قصيدة شاعر العروبة الرصافي فوزعت فى جميع أنحاء المعموره ومطلعها :

الا انهض وشمر ايها الشرق للغرب ... وقبل غرار السيف واسل هوى الكتب
ولا تغتر ان قيل عصر تمدن ... فقد بان ما قالوه من اكذب الكذب
الست تراهم بين مصر وتونس ... اباحوا حمى الاسلام بالقتل والنهب

ومنها: وما اقصد الطليان بالذنب وحدهم ... ولكن جميع الغرب اقصد بالذنب
فلولاهم لم ينقض العهد ناقض ... ولا ضاع حق في (طرابلس الغرب)
بلاد غدت فى الحرب تندب اهلها ... فتبكي وتستبكي بنى الترك والعرب

ويقول: ايامعشر الطليان قبحث معشرا ... وقبحث يا شعب الاراذل من شعب
ثم يقول : ولكنه البحر الذى حال بيننا ... فلم نستطع زحفاً على الضمر الغلب
ولولاه فاجانا العدو بفيلق ... يبين ضحى من هوله مطلع الشهب

ويقول : وقم ايها الشيخ السنوسى مدركا ... جنود بنى عثمان فى الجيل الغرب

حيث اننا الآن فى موقف الشكر والتقدير فلا ننسى ان نذكر بعض الرجال الشرقيين الذين جاءوا لبلادنا لمشاركتنا فى القتال وان كنت لا استحضر اسماءهم جميعا الا اننا لن ننسي الامير شكيب ارسلان ودفاعه عنا بقلمه ولسانه في كل مناسبة والمرحوم جعفر باشا العسكرى فمندان معية السيد أحمد الشريف الخاصة وسعادة تحسين باشا العسكرى فلا تنسى ولن تنسى برقة ما قام به أولئك العظماء الخيرون والشعراء والكتاب والخطباء والصحافيون والقادة والضباط ، فللخيرين على الله سبحانه وتعالى جزاء تبرعهم وإحسانهم وللشعراء والكتاب والخطباء ورجال الصحافة الشكر الجزيل على ما جادت به قرائحهم وفاضت به مشاعرهم من القصائد الخالدة والمقالات الرنانة والخطب المنبهة التي كانت تصدر عن حب وغيرة وإخلاص . وللقادة والضباط الذكرى التي لن تمحا ما دامت الارض والسموات .

المفاوضة بين الترك والطليان

لما كان السيد أحمد الشريف بالجغبوب راجت أشاعه ببرقه مؤداها ان الحكومة العثمانية دخلت مع ايطاليا فى مفاوضة للصلح فارتجت البلاد من أقصاها الي أقصاها لا لانها تكره هذه النعمة (الصلح) ولكنها لا تريد صلحاً يخول ايطاليا بقاءها ببرقه مهما كانت صفة البقاء فاتفق أهل البلاد على انهم لن يقبلوا صلحاً تدور المفاوضة فيه من وراء البحر وان حكومة آل عثمان سيدة البلاد مادامت تحارب ايطاليا الى جانب أهل طرابلس وبرقه وتدفع غائلة المعتدين ولا سلطان لها ان فكرت أو تفكر فى تسليم البلاد لايطاليا علي أى شرط كان سيما اذا كان يخول للايطاليين البقاء فى البلاد مهما يكون نوعه ، رفعت الاحتجاجات من جميع أنحاء البلاد الى الاستانه بلهجة قوية وهنا نثبت صورة كتاب بعث به السيد احمد الشريف الي أنور بك وكان هذا الاخير بدرته .

حضرة ولدنا البطل الهمام صهر مولانا الخليفه المعظم أنور بك زاد مجده

. . . . . أما بعد فقد بلغنا ان دولتنا العليه أيدها الله ستتفق باشارة من الدول على أعطاء طرابلس الى القوم الطغاة ، أن دماء أبنائنا لازالت تراق علي أديم الصحراء فداء للدولة والدين فلا نقبل صلحاً بوجه من الوجوه ولكن هذا في علمك من الآن فنحن والصلح علي طرفى نقيض وانما أقول في الختام أن هذا الصلح قد يسبب نفور المسلمين في جميع الاقطار من الدولة العثمانية والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

وقد حمل هذا الكتاب وفد مؤلف من أربعين شخصا من شيوخ السنوسيه الذين كانوا فى ميدان الجهاد الي أنور بك وابلغوه شفاها راى السيد فوعدهم خيرا .

استمرت حالت المجاهدين من حسن الى أحسن حتى قررت الحكومه انسحابها من الميدان الليبي نهائيا فصدرت الاوامر من السلطنه العثمانية الي انور بك القائد العام تأمره بالانسحاب ليترك الميدان كما سبق ان قلنا عنه الى السيد احمد الشريف وقومه .

الصلح واستقلال طرابلس وبرقة

عقدت الدولة العثمانية الصلح مع ايطاليا فى اكتوبر سنه ١٩١٢ وقد اعترفت تركيا بحقوق الشعب الطرابلسي في معاهداتها مع ايطاليا المعروفه بمعاهدة (اوشى) واكن الشعب الطرابلسي الذى اعترض علي ذلك الصلح المبتور (كما يراه القارىء في كتاب السيد احمدالشريف السنوسى الى انور باشافى غير هذا المكان)لم يرضه الصلح بشروطه ومواده المذكوره ولن يرضا بغير حقه كاملا غير منقوص ، اما الحكومة العثمانيه فقد مدت يدها للصلح اضطرارا وذلك لوجود ها فى حالة الحرب مع دول البلقان عدا ما تسرب اليها من الضعف فى سياستها فعقدت الصلح مع ايطاليا ولم تتمكن بغير ما تمكنت منه وها نحن نذكرها استقلال طرابلس وبرقه كما نشرته الصحف وقتذاك تحت عنوان القانون السلطانى .

المادة الاولي : منحت طرابلس وبرقه استقلالها الادارى التام

« الثانيه : تدار طرابلس وبرقه بقوانين جديدة ونظامات خاصه وأهالى هاتين المقاطعتين يساعدون الحكومه بآرائهم ونصائحهم فى اعداد هذه القوانين والنظامات على وجه يوافق حالة البلاد وتقاليد سكانها .

المادة الثالثه . يعين احد رجال الدولة من جانب الحضرة السلطانيه عاملا يسمي نائب السلطان يعهد اليه امر المحافظة علي طرابلس الغرب وبرقه ومدة نيابة هذا العامل خمس سنوات ، ولجلالة السلطان عند انقضاء هذه المدة ان يحدد لنائب السلطان نيابته او ان يعين خلفا له .

المادة الرابعة . ينصب من جانب الحضرة السلطانية قاض شرعي للاستمرار فى اجراء احكام الشرع الشريف كما كانت الحالة من قبل ولهذا القاضي ان يعين من قبله قضاة شرعيين ينتخبهم من علماء المقاطعتين بمقتضى احكام الشرع .

المادة الخامسه . يتناول القاضى الشرعى مرتباته من الخزينة العامره العثمانية

اما نائب السلطان وسائر الموظفين فيأخذون مرتباتهم من الواردات المحليه.

المـاده السادسة . سيصدر فرمان علي اهل طرابلس وبرقه فى هذا الشـأن وعلى المشيخه الاسلاميه ونظارتى الداخليه والماليه تنفيذ احكام هذا القانون مؤقتـا الى ان يجـيزه المجلس العمومى (المبعوثان والاعيـان) عند انعقـاده .

محمد رشـاد

قام الشعب الليبي وقعد للصلح الذى عقدته تركيا مع ايطاليا فى الوقت الذى يعرف فيه أن تركيا امضته مضطرة وقام وقعد لمحتويات هذا القانون الذى لم يرض به الشعب نظراً لما يشم فيه من رائحة الضعف وواصلت الامة الليبية جهادها وقامت الصحف المصرية وقعدت الى جانب الشعب اليبي وجرد الكتاب أقلامهم سخطا علي ماحصل وها نحن نسوق بعض ماكتبه احد الكتاب ونشرته الصحف :

جاء في مقال لاحد الكتاب بصحيفة المؤيد الغراء مايلى :

(أن الامة الاسلامية قاطبة من اقاصي الصين الى اقاصى أفريقيـا تنتظر أخبـار مجاهدي طرابلس الساعه فالساعة وتحيي وجوه أولئك العرب الذين حفظوا ناموس الدولة والخلافة واثبتوا انهم سلالة اولئك الابطال الفاتحين فاذا ورد عليهم خبر تسليم الدولة عملك طرابلس للطليان في مقابلة شروط هوائية وحقوق اسميه بعد هذا الجهاد الطويل والمقام العصيب فاي امل يبقي للعرب والمسلمين حينئذ فى هذه الدولة وباي لسان تخاطبهم الخلافه وهى التي لم يبق لهـا معول الا عليهم ولا عصمة ولا استمساك الا بهم).

وجاء فى مقـال آخر بعد الاشادة بجهاد الليبيين مايلي :

(نعم ان ايطاليا ستطرد اهالى طرابلس الغرب من بلادهم طردا وتنسخ وجوههم من هنـاك نسخا وتملا بسائط ذلك الثغر طليـانا والكهوف المشهورة فى جبـل غريان رصوصا وكما انه لدن حلولها طرابلس لم يخطر فى البال انها ستقدم على ماقدمت عليه من القسوة والوحشيه ومن الفتك بالابرياء والبطش بالاطفال والنساء كذلك ستقدم علي اعمال لم تخطر على بال في اثناء اتمام بغيتها هذه وتجدد فى هذا القرن العشرين مايجعله من بعض القرون الوسطى ويطلق عليه عصر (النار) (لا عصر النور) صدق صاحب

هذا المقال الافتتاحي بالمؤيد في تنبؤاته واخبر بصحة الحوادث قبل وقوعها .

وجاء من مقال آخر يظهر منه ان صاحبه يوجه اللوم الى الحكومة المصرية ويدافع عن تركيا فيما اقدمت عليه من الصلح .

(ان فشل الدولة العلية في الحرب الطرابلسيه قد نشأ عن خطة الجياد التي اتخذتها مصر ولولا ذلك لامكن للدولة ان ترسل جيوشها عن طريق مصر) وهناك مقال افتتاحي عظيم بقلم الدكتور الاديب محمد بك ابو شاوي عضو جمعية الهلال الاحمر نشر بجريدة المؤيد تحت عنوان (في سبيل طرابلس) نسوق منه بعض ما جاء فيه اظهارا لغيرة هذا العربي الكريم

(اخواننا الابطال الطرابلسيين الذين اصبحوا بعد الصلح الذي عقد حديثا تحت رحمة الله وبين ايد الذين جاءوهم على زعم انهم يمدنوهم بقاصفات الرعود وآكلات النيران هؤلاء القوم الاجلاد وهؤلاء المجاهدون الافراد هل تظنون انهم سيستسلمون لايطاليا ويستنيمون لمواعيدها ويمدون الرقاب انتظارا للاطواق التي تريد ان تطوقهم بها ، يجهلهم كل الجهل من قال نعم ويعرفهم بالبداهة من قال لا (الى ان يقول) اقرب الي ذهني ان اراهم انعاما تسام او ارى جبالا تزلزت وتصعرت من ان اظنهم يرضون بهذا الحكم الجديد ويرضخون لقوته ولو رضخ لها الحديد ، نحن الان بين خطتين اما ان نعيش على الحياة والاستقلال ولنا في كليهما مصلحة كبيرة بجانب مصلحتهم الكبرى واما ان نقبض ايدينا عنهم فنكون بذلك كانا نعين اعداءهم علي اذلال نفوسهم الابية وكسر قلوبهم الثابتة القوية . الى ان يقول . ليس منا من يسخر بؤلئك الابطال الذين ادهشوا العالم شجاعة واقتدارا وتفانيا في الذود عن حياتهم ان يموتوا سغبا . يا بناء وطني هنالك رجالا استعطفوا بنبالتهم الابعدين فما بالك الاقربين هنالك رجالا ضربت بباسالتهم الامثال نفس الاقوام الذين ضربت الامثال بباسالتهم ، الا تندى اكفنا لهم بالمعونة وقد ندبت بدماءهم في سبيل الخلافة صخور العراء ورمال الصحراء . الا زاف بنسائهم وهن مثلهم مجاهدات متعرضات الصدور لمرامي الاعداء الا نرحم اطفالا اصابهم البلاء وايتاما موتاهم الشهداء اي وذمة العرب اي واخاء الاسلام اي وجامعة الوطن الخ) ولو تتبعنا كل ما كتبه اخواننا المصريون من شعر ونثر نحو قضيفنا لملانا بذلك مجلدات خاصه فرحم الله اولئك النفوس الزكيه التي كانت تندى وتقول وتكتب وتعمل وتصارع الظروف لمصلحتنا وابتغاء لوجه الله الكريم وقياما بواجب الاخوة وفي ما قاموا به عبره وذكرى لمن اراد ان يذكر او اراد شكورا .

السنوسيون فى طرابلس

سبق أن قلنا أن هذا الكتاب يقتصر على الحركه في برقه للاعذار التى قدمناها ولم نتعرض للحركة فى طرابلس مع أنها لا تقل شأنا عن الحركه فى برقه من جميع الوجوه ونزيد فنقول : للعوامل التى اعترضتنا لم نتمكن من الكتابه عن طرابلس التى هي برقه ولافرق بينهما ومن أهم العوامل التى جعلتنا مقصرين فى الكتابة عن طرابلس عدم تمكننا لمعرفة تفاصيل الوقائع وضبط تاريخها وضياع كل ما كنا جمعناه فالتاريخ لا يقبل غير الحقيقة وكان الظرف الذي عزمنا فيه على اخراج كتابنا من دائرة التفكير الي حيز التنفيذ هو وقت فى الحقيقة ضيق الامر الذى جعلنا فاسف لعدم تمكننا من الكتابه عن طرابلس وهى وبرقه جزءان متمان لبعضهما ولها وحدة أوجدتها الطبيعة لا تقبل التجزء . والان نذكر أشياء بطرابلس لها علاقه بالحركه الحربية فى برقة وارتباطها بها :

عندما ابتدأ الغزو الايطالي المشؤم كما أسلفنا وتولت الحركة الضعيفة بطرابلس وبرقه الحكومه العثمانية كتب السيد أحمدالشريف الي رؤساء الزوايا والشيوخ والاعيان بالقطر الطرابلسى يأمرهم بأن لا يتهاونوا وأن يستميتوا فى قتال العدو المهاجم كما كتب بذلك الى أهل برقه وهذا بيان اسماء بعض الزوايا التي كاتب رءساءها السيد أحمد :

السيد محمد على بن ادريس وكيل رئيس زاوية النوفليه وكان رئيسها قد انضم الي معسكرات برقه حسب طلب زملاؤه الاخوان وقد عين للقضاء الشرعى بمعسكر بنينه ثم بعد وصول السيد أحمد الشريف الى ميدان القتال صاحبه حتي تم تعينه مستشارا مع السيد صفى الدين وبقى ابنه السيد محمد على وكيلا بزاوية النوفليه .

السيد مصطفي أحمد الهوني رئيس زاوية هون

السيد حامد بركان الشريف رئيس زاوية سوكنه

السيد محمد علي الاشهب رئيس زاوية واو (فزان)

السيد السنى رئيس زاوية مزده

السيد عبد الوهاب العيساوى رئيس زاوية طرابلس

السيد محمد علي بن الشفيع رئيس زاوية سرت

وكتب الى زعماء القبائل المبرزين كالشيخ سيف النصر رئيس قبائل أولاد سليمان وأورفله والشيخ صالح الاطيوش رئيس قبائل المغاربة وكان تابعا لزاوية النوفلية وهو شخصيا متغيبا عن اهله ببنغازى فوقع احتلالها وهو بها وقد أصيب بجراح في معركة (جليانه) والشيخ المهدى أبو بريق رئيس قبائل الفرجان وعندما استلم رءساء الزوايا وشيوخ القبائل كتب السيد أحمد الشريف صدعوا بالامر ممتثلين ونظمت معسكرات للجهاد فكان بالنوفليه معسكر المغاربة (غير معسكرهم الذي بجدابيه) يتعاون علي دفة أموره وقيادته السيد عبدالله بن ادريس ابن رئيس الزوايا وشقيق وكيلها وصالح باشا الاطيوش ومعسكر من قبائل أولاد سليمان وأرفله والقذاذفه يرأسه بادىء الأمر سيف النصر نفسه ثم ابنه أحمد بك ومعسكر من قبائل أولاد أبي سيف يتولا قيادته السيد السني والسيد أبو بكر قرزه ، أما السيد محمد على الاشهب فقد نظم معسكراً من القبائل الفزانيه والتوارق ورياح والعرب المقيمين باقليم فزان ، وكان سلطان قبائل التوارق السلطان آمود وكوسا أحد زعماء التوارق تابعين لمعسكر السيد محمد على الاشهب فاصبح بالقطر الطرابلسى أربع معسكرات للسنوسية عدا ماقام به الطرابلسيون وأهل الدواخل من تنظيم المعسكرات بضواحى طرابلس وغريان والخمس ومصراته وكثير غير ذلك تحت قيادة الابطال الطرابلسيين وأصبح العدو فى حيص بيص ولم يتمكن من احتلال دواخل البلاد بعد الثغور التى احتلها الاسطول فلم يتمكن من التقدم شبرا واحدا إلا إذا دفع الثمن باهظا ، وأخيرا وبعد جهد جهيد وتحمل الخسائر الفادحة والضربات القاسية ومعاناة الشدائد والاهوال تمكن بفضل قواته العديدة وأسلحته الفتاكة ومعاونة أذنابه الذين استعان بهم ولا يخلو من أمثالهم زمان أو مكان . تمكن العدو بواسطتهم من الاستيلاء على بعض أماكن فى دواخل البلاد كالخمس ومصراته وزليتن وورفله وترهونه وزواره ، ثم تمكن من الوصول الى هون ففزان واستسلم بهذه المحلات المستضعفون من الرجال والنساء والولدان الذين لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا . وأما الباقون فقد انسحبوا الى أماكن أخرى أمامية لمواصلة القتال وقد استعمل الطليان

كل وحشية في المواقع التي احتلها خصوصا فى نفس مدينة طرابلس ، ثم وصل العدو الي سرت وهناك توقف سيره وبث دعاته لاستعمال الحيل والدسائس كي يستميل بها قبائل المغاربة التابعين لزاوية النوفليه مغتنما فرصة احتياج العرب للمؤنة والكساء الان السنة من السنين المحال فكاتب القائد الايطالي الذى احتل سرت شيوخ قبائل الرعيضات (المغاربة) موعدا اياهم أن قواته لا تخرج من سرت وعليهم أن يردوا السوق لمشترى ما يحتاجونه علي شرط أن يعد كلا الطرفين الآخر بعدم التعدى فاغتنم الاهالى هذه الفرصة في شيء من الحذر واليقظة وأرسلو الى اخوانهم بجدابيه أن يأتوا بقوافلهم الى هذه السوق فيشترون المأكولات والملابس الي مدة معينة . لم يخسر أحد المتحاربين من هذه الفكرة ، فالطليان يريدون أن يأمنوا جانبهم من ناحية النوفليه ليرسلو بكل قواتهم الى بنغازى وبعد القضاء على الحركه فى برقة يلتفتوا الي المعسكرات السنوسية بطرابلس فلا تكلفهم طويل عناء وأما المغاربة ومن حولهم فقد نجحوا فى نقطتين مهمتين احداها إخراج الزعيم الكبير سيف النصر وأبنائه عبد الجليل ومحمد وسليمان واخوتهم جميعا وقد أخذهم الطليان أسرى عند احتلاله لواحات هون واعتقلهم بزواره فكانت إحدي شرائط المغاربة الاتيان بهم وقد جاء بهم الطليان الي سرت استغلالا لنفوذهم وربما يتمكن بواسطتهم من أى عمل كان ولكنهم خلصوا منه والتحقوا بمعسكر المغاربة والنقطة الثانية التى استفادها المغاربة هى الميرة من سرت فقد مونت جميع برقة الغربية من تلك السوق تحت الستار وهاتان الفائدتان لهما قيمتهما . فاق الايطاليون أخيرا التسرب البضائع من سرت الى جدابيه وبعدم اخلاص عائلة سيف النصر فأرادوا الوثوب على غرة وقد تنبه العرب لذلك وعاد القتال . هاجم العدو زاوية النوفلية واشتبك مع المعسكر فى قتال اسفر عن احتلالها بعد خصارة عظيمة وكان من بين الشهداء يومئذ بشيخ السنوسي الاطيوش ومن بين الجرحي السيد عبدالله بن ادريس وقد أبلى كل منهما بلاء حسنا ثم التحمت المعركة الثانية بين الفريقين بموقع (الخدة) وتلتها معركة العويجة وتوالت المعارك ليلا ونهاراً وكل فريق من المتحاربين نال نصيبه من الكر والفر والربح والخسارة فكانت هذه المعارك مدعاة لاثارة روح الهمة والنشاط والامل بين المجاهدين فى الجهات الأخرى وجعلت أولئك الذين قدر لهم أن يكونوا تحت الطليان يتأهبون

للقيام من جديد سيما قبائل أولا أبو سيف «١» في هذا الاثناء كتبت هذه القبائل ومن حولها الي السيد أحمد الشريف يطلبون منه ايفاد نائبا عنه يلتفون حوله وينظم صفوفهم وتتوحد في شخصه قيادة المجاهدين للانضواء تحت لوائه فوصلت الكتابة للسيد أحمد وهو بجدابيه أثناء زيارته لها في جولته التفتيشية المذكورة فأمر نائبه ببرقة السيد صفي الدين أن يقوم بهذه المهمة وربط به قيادة المعسكرات السنوسية بطرابلس كما عين السيد محمد عابد نائبا عنه بمنطقة فزان وسنأتي بتفصيل ذلك أما الآن فنذكر عن القيادة الشمالية .

توجه السيد صفي الدين من جدابيه وترك المعسكر بموقع الشلالات وذلك يوم ١٣ جمادى الاول سنة ١٣٣٣هـ إلى الجهات الغربية فكان لتعيينه رنة سرور لان الامة ما دامت ترى أفراد البيت السنوسي يقودون الجيوش بأنفسهم ويتولون الاعمال ويخوضون ميادين القتال لا تتأخر للدفاع عن كيان الوطن وحوزة الدين فهكذا كان جدهم وهذه الناحية أي جهاد النفس والعدو من مبادىء السيد محمد السنوسي . الامر الذي جعل كل فرد من أفراد الامة يتطوع باختياره للدفاع عن الوطن حيث لا يجد عذرا يبرر تأخيره عن القيام بواجبه وأفراد البيت السنوسي أنفسهم يخوضون المعارك .

استعدت جميع القبائل بالجهات الغربية لاستقبال السيد صفي الدين والاحتفاء به وشد أزره فاستقبله السيد عبد الله بن إدريس الذي غادر المعسكر خصيصا لمقابلته وكان أهله بموقع (أم الطرائين) وبعد أربعة أيام من وصول السيد صفي الدين إلى منتجع السيد عبد الله بن إدريس توجه بحاشيته يرافقه السيد عبد الله إلي المعسكر فاستقبله صالح باشا الاطيوش وبعد أن أجريت مراسم الاحتفال فتش المعسكر ثم سوى الخلاف

---

(١) كتب قائمقام سرت الى قبائل أولاد أبي سيف يطلب منهم الاسراع في التفاهم مع ايطاليا والخضوع لها ويخبرهم أن جميع أهل الوطن تقريبا خضعوا ويعلمهم بوجود سيف النصر تحت السلطان الايطالي وبالمفاوضة التي حصلت مع المغاربة فرد عليه شيوخ القبيلة بقولهم :

على وطنا والله لا ولينا نحنا نحاربوا والغير بينا بينا

المعنى اننا لا نرد عن سيرنا في الحرب لصالح الوطن وغيرنا له ما يريده .

الواقع بين السيد عبد الله بن إدريس وصالح باشا الاطيوش وقد حصل الخلاف عن حسن نية لان هدف الاثنين ومقصودهما واحد فقد كان صالح باشا يبرر مفاوضة الطليان التى سبق ذكرها لانقاذ عائلة سيف النصر الذين التجأوا لصالح باشا وطلبوا منه العمل لاخراجهم وكان السيد عبد الله يرى أن لا فائدة فى مفاوضه الطليان ولا يمكن أن الاتصال بهم بل يجب أن نستمر في محاربتهم حيث لم يكن من حقنا مفاوضتهم وبذلك حصل الخلاف المذكور فسواء السيد صفي الدين وكان المختلفان أصدقاء إلي حد بعيد وبينهما روابط متينة فالسيد عبد الله هو ابن رئيس زاوية النوفلية وصالح باشا أحد التابعين لرئيس الزاوية ومن بطانته الخاصة الامر الذى جعل الخلاف يزول بكل سهولة .

غادر السيد صفى الدين معسكر المغاربة إلي معسكر حمد بك سيف النصر وفى معيته السيد محمد صالح البسكرى والحاج مصطفى منينه والسيد رويفع بن ادريس والسيد عبد العزيز صهد فكان الضيف العظيم أينما حل والقائد المطاع أينما سار ونذكر هنا أول معركة حصلت بالجهات الغربية بين السنوسيين والطليان بعد وصول السيد صفي الدين.

علمت إيطاليا بوصول نائب السيد أحمد الشريف الي جهات سرت من طرابلس فاستعدت بحملة عظيمة لملاقاته وصده عن مواصلة سيره إن لم تتمكن من القبض عليه فعملت كل ما تستطيع عمله من تجهيز هذه الحملة وتزويدها بأقوى الاسلحة كما كانت قد فعلت ذلك عندما وصل السيد احمد الشريف إلى جهات درنة فالتحمت معركة حامية الوطيس بين القوات السنوسية والايطالية بموقع (أبى هادى) وكان السيد صفي الدين فى طليعة المجاهدين مصحوبا بابطال الوغي منهم حمد بك سيف النصر والسيد عبد الله بن إدريس وصالح باشا الاطيوش والسيد أحمد التواتي وغيرهم من الصيد البواسل واستمرت المعركة بشدة وعنف عدة ساعات انجلت عن خسارة الايطاليين خسارة فادحة فى الارواح والعتاد ولم يعد من جيش ايطاليا العرمرم إلا النزر اليسير وقد وصف الشعراء هذه المعركة وكان من بين من وصفوها السيد أحمد بن ادريس ونجله السيد عبد الله والشاعر البدوى الشيخ موسى حموده الذى جاد وأجاد وثبت كلمته فى غير هذا المكان والان نذكر شيئا من قصيدة السيد عبد الله بن ادريس لانها جمعت أسماء بعض المعارك التى حصلت وقتذاك قبل معركة أبى هادى :

سطع الضياء بكوكب الاقبال ... بالفتح والتعظيم والاجلال
والدين جدد بعد ضعف واحتمى ... والكفر فى محو وفي اضمحلال
والنور (لاح ببرقة) وكأنه ... بدر مضيء فى سماء عال
والنصر من رب البرية لم يزل ... يحمى الحمى ويزيد في الاقبال
هنئت يا بطل الخلافه بالذى ... تبغيه من نصر على الجهال
فلك البشارة قد أتت من أول ... بالفوز والفتح المبين العالى

إلى أن يقول :

ذاك الذى نصر الشريعة أحمد ... نجل الرسول وصفوة الابطال
لا زال فى الاسلام حصنا مانعا ... يحمى الديار من العدو الجالى

إلى أن يقول :

لما رآه مصمما ومحاربا ... والصلح لا يبغيه بالأموال
قال الفرار وليس لى من حيلة ... وتبدلت أحواله في الحال
من ساحة (الفزان) ولى راجعا ... فى خزية ومذله ووبال
من (مرزق) ولي و (سوكنة) التي ... هى موضع الأرزاق والأموال
نكب العدو وقال مالى حيلة ... أخذت جميع مدافعى وعتالي
يا حسرة إني تركت مدائني ... ورأيت ما لم يخطرن ببالى
ما كنت أحسب أن (برقة) هكذا ... فيها رجال الحرب أى رجال
إن (المغاربة) الذين هم بها ... جاءوا يوم في ربيع تال
وكذا الذين (بخشة) ورفاقهم ... نالوا التناء بهمة وقتال
نالوا الفخار بجمعهم فى (خدة) ... لقا العدو الماكر المحتال

إلى أن يقول :

يوم (العويجة) انذر الطليان أ ... ن الشعب شعب كريهة ونزال
فتعددت أمواتهم وتمزقت ... أشلاؤهم فى الحل والترحال
من بعده ركبوا (البحار) وأقفلوا ... متخاذلين تخاذل الأنذال

إلى أن يقول :

أما (العواقير) الكرام (ببرقة) قد خلدوا الآثار للاجيال
وكذا (البراعصة) الذين هم هم قد أيدوا الأقوال بالأفعال

إلي أن يقول :

أبناء (عبيد) في الجهاد كأنهم أسد أتت لحماية الأشبال

قبل حصول هذه المعركة شن بعض العرب غارة على جهات مصراته فجاءوا بجمال غنموها ومن بينها جمالا لرمضان بك شتيوى فصعب عليه أخذ جماله وطلب من إيطاليا وهو يومئذ تحت سلطانها أن يلحق بالغائرين لترجيع جماله وفى ذلك ما فيه من الاستطلاع والوقوف على القوات السنوسية وإخبار إيطاليا بذلك ، هذه هي أعذار رمضان لايطاليا كي تسمح له باقتفاء أثر جماله وأن له معارف وأصدقاء بالمعسكر السنوسى لا يردون رمضان خائبا فسمحت له بطلبه ولما وصل ورفاقه وشقيقه حمد إلي المعسكر السنوسى أكرمت وفادته وردت له جميع جماله وكان قد اتفق مع السنوسيين أن يعمل جهد المستطاع للاتصال بهم دائماً إن لم يتمكن من الالتحاق بهم هو ومن يحذوحذوه ووعد أن يبذل جهده لاخراج بعض ما يحتاجه المعسكر السنوسي من المؤن والبضائع من سوق (مصراته) اذا أرسل المعسكر من يشتري ذلك سراً وبينما هو بالمعسكر التحمت معركة (أبي هادى) المذكورة فاشترك ورفاقه إلي جانب المعسكر وابلي الجميع بلاء حسناً وقد أصيب أخوه حمد بجراح وعاد رمضان بجماله بعد انتهاء المعركة .

تحرج موقف إيطاليا لهول ما أصيبت به وتشويه سمعتها العسكرية وإخفاق هذه الحملة التى كانت علقت عليها أكبر الآمال فكبر عليها ما لقيته وأخذت تعد العدة من جديد كما أخذ المعسكر بدوره يستعد وتوجه الشيخ صالح الاطيوش لتجنيد أهالى (الحشه) من المغاربة واتباعهم كما توجه عمر سيف النصر لتجنيد قبائل أولاد سليمان واتباعهم وتوجه عبد الجليل سيف النصر لتجنيد قبائل القذاذفة وتوجه السيد محمد على بن الشفيع لتجنيد قبائل الفرجان والهامله ومعدان وبقى إلي جانب السيد صفى الدين بالمعسكر عدا حاشيته الخاصة كل من السيد محمد علي بن إدريس وكيل رئيس زاوية التوفلية والسيد عبد الله بن إدريس والسيد أحمد التواتى والقمندان صالح أفندي الزنتانى

وقندان المعية محمد مصطفي المصراتى كما بقي بالمعسكر الثاني رئيسه حمد سيف النصر .

جلبت إيطاليا والحالة هذه خيرة ضباطها وصفوة جنودها من طرابلس وضواحيها كما جندت قسما عظيما من العرب الخاضعين بحكم الظروف لسلطانها فى مصراته وزليتن وترهونه وورفله وبقية ضواحي طرابلس وكانت هذه الحملة أكثر وأقوى من الأولى باضعاف مضاعفة وأسندت قيادة هذه الحملة للكلونيل (ميانى) وكان قد طار صيته بين الضباط الطليان فى حرب طرابلس وسطع نجمه وهناك أربع قيادات كل قيادة منها مستقلة بذاتها إلا عن القائد الايطالي المذكور فكانت رآسة الجيش العربى من مصراته وضواحيها إلى رمضان شتيوى (السويحلي) ورآسة جيش زليتن إلى محمود عزيز ورآسة جيش ترهونه إلي الساعدى بن سلطان ورآسة جيش ورفله إلى عبد النبى أبى الخير وهناك الجيش المجند من الأرتريا تحت قيادة ضابط إيطالي برتبة ماجور وجميعها تتلقى الأوامر من الكلونيل (ميانى) الذى يقود جيشاً من أبناء الطليان أنفسهم وتتألف هذه القوات من المشاة والخيالة وسيارات النقل بينها عدد كبير من المصفحات والمدفعية الثقيلة والجمالة وكان عدد الابل التى تحمل المؤن لا تقل عن ثلاث آلاف وتسير هذه القوات بانتظام في اتجاه واحد وبأمر واحد تتعاون فى مهمتها ، خرج هذا الجيش من مصراته أواخر جماد الأولى سنة ١٣٣٣ هجرية متجهاً نحو المشرق حيث المعسكرات السنوسية ولما وصل إلى موقع (بئر الوشكة) بوادى زمزم طلب أعيان العرب من الكلونيل ميانى أن يسمح لهم بارسال وفد إلى المعسكرات السنوسية ينصحهم بالتسليم وينذر كل منتجع في طريق الحملة أن يتقدم بالطاعة لسلامته أمام هذه القوات الزاحفة فى لكل فرد من أعضاء هذا الوفد قريباً وأصدقاء ينصحهم بان يخضعوا للحكومة وفى ذلك ما فيه من تحسين سمعة إيطاليا ومن أبى ذلك فلا لوم علي القوات الزاحفة من تأديبه فاستحسن القائد هذه الفكرة وعين أفراد الوفد من أربعين فارساً أكثرهم من أهل مصراته وكتب معهم الاعيان ومن بينهم رمضان شتيوى الذي كتب للسيد صفى الدين ينذره بشدة العقاب إن لم يستسلم ويهدده باقتدار هذه القوات العظيمة علي الفتك به إن لم يخضع وليس فى وسع رمضان أن يكتب أقل من هذا أو أكثر حيث سيطلع القائد على فحوا هذا الكتاب ولكن رمضان أفهم بعض رجال الوفد أن

يخبروا السيد صفى الدين بكثرة معدات العدو وعدده وأن ليس فى وسعه الآن أى عمل وينصح له بالانسحاب إلي برقه إذ ليس من الحكمة الوقوف أمام هذا الزحف الجارف وذلك يوم ١١ جمادى الثانى سنة ١٣٣٣ هـ ولما وصل الوفد إلى المعسكر السنوسى رفض العودة إلى الحملة الايطالية إلا نفر قليل وهنا وفق القائد السنوسي السيد صفى الدين لحيلة غريبة والحرب كما يقولون خدعة . أمر السيد حفي معاونه حمد بك سيف النصر أن يعلن جهاراً بأنه سيغزو ورفله ويعمل في الظاهر لذلك وفعلا لم تغرب الشمس حتي اخذ معسكر سيف النصر يشد الرحال للتوجه إلى ورفله وسرعان ما وصل الخبر إلى العدو بواسطة الاشخاص الذين عادوا من المعسكر وبعض الجواسيس فاتفق رأى القائد الايطالى وأركان حربه أن يرجع عبد النبى أبو الخير بقواته للدفاع عن ورفله قبل أن يصلها سيف النصر وبذلك خسر القائد الايطالى هذا القسم من قواته وقائده عبد النبى الذى اشتهر بالاخلاص والولاء لايطاليا وقتذاك وكانت جنوده من خيرة العرب الاقوياء ثم أن السيد صفي الدين أعلن بين قواته انه أخذ معلومات صحيحة تفيد أن جميع العرب التابعين للقوات الايطاليه سيكونوا إلى جانبنا عند ما تشتبك المعركة وأنا سنأخذ العدو وقواته لا محالة . كان قصد السيد صفي الدين من ذلك تقوية الروح المعنوية فى رجاله وبعث روح الامل لا أقل ولا أكثر فصدق الناس خصوصا وقد وصل الوفد المذكور من قوات العدو يحمل للسيد صفى الدين كتبا وللناس في الغالب ما ظهر من الامور لا ما بطن وسرعان ما وصل هذا النبأ إلى قائد القوات الايطالية فجرد العرب الذين معه من الاسلحة ووضعهم في القسم الخاص بنقل المؤن فقط أما الاعيان فقد وضعهم بسيارات خاصة ومخفورة فخسر بما دبر له جيش ورفله الذى بعثه كما قلنا إلى ورفله وخسر القوات العربية التي جردها من السلاح وخسر رأى القواد العرب الذين حجزهم بسيارات مخفورة اذلا يستهان برأى من أخلص منهم معه باعتبار أنهم وجيوشهم سيكونون بجانب القوات السنوسية عند ما تشتبك المعركة وأيد ذلك تأخير بعض رجال الوفد المرسل للسنوسى وتقدمت القوات الايطالية زاحفه صوب المعسكر السنوسي وكان أحمد سيف النصر يقتفى أثرها خلسة فكان يختفى بالنهار ويقفوا أثرها ليلا وكان من المؤكد عند الطليان أن أحمد سيف النصر ذهب بقواته ليغزو ورفله وبالصدفة قبل

التحام المعركة بقليل وصلت نجدات إلى المعسكر السنوسى بعث بها صالح باشا الاطيوش من جهة الخشه كما وصل عبد الجليل سيف النصر وأخيه عمر بنجدات أخرى واشتبك الفريقان فى معركة طاحنة يوم ١٤ جمادى الثانية سنة ١٣٣٣ وقد سيطر على الموقف بادىء الامر الطليان حتي كادوا أن يحوزوا الراية السنوسية وعندها باغتهم من الخلف حمد سيف النصر واشتدت المعركة حول البيرق السنوسي فؤنقذ بعد أن قتل الكثير من الجيش السنوسي وهنا تمكن بعض العرب من أولئك الذين جردهم القائد الايطالى من السلاح أن يأخذوا أسلحتهم فاشتدت المعركة ضد الطليان ودخل الرعب فى صفوف العدو فبعثرت وقد اشترك في المعركة من حاشية السيد صفى الدين كل من السيد أحمد التواتى والسيد محمد علي بن إدريس وشقيقه السيد عبدالله والسيد محمد علي بن شفيع وعبد الجليل سيف النصر وأخيه عمر والسيد رويفع بن ادريس والكثير من أعيان المغاربة كما اشترك الوفد الذى سبق ذكره وكان عدد الشهداء خمسمائة وعشرين شهيدا اغلبهم من عساكر حمد سيف النصر وقبل أن تنتهي المعركة وصل صالح باشا بنجدة أخرى فاشترك في آخر المعركة وأخذ السنوسيون جميع قوات العدو خلاف ما أتلف واحرق بالنار أثناء المعركة ومن بين ما أخذ صحيحا اثني عشر مدفعا من مدافع الميدان وعشرين مدفعا رشاشا وسبع سيارات وعشرون ألف بندقية وقسما عظيما من الذخيرة وقسم المستشفي العسكري بجميع معداته وجميع المؤن التى يصعب حصرها والتجأ بعض العرب التابعين لايطاليا الى قصر سرت الذى به مركزا للعدو وعددهم ستمائة وخمسين فقتلهم الطليان حقدا وغيظا وتعرف هذه المعركة بالقرضابيه لوقوعها في هذا المحل ، رفع الستار في هذا المسرح الحربى عن أعظم مأساة عرفها تاريخ إيطاليا العسكرى وقتذاك وكان بطل هذه الرواية المشؤمة الكلونيل (ميانى) فسجل لايطاليا هذه المعرة الى جانب سابقاتها في سجل الخيبة والوبال

فقررت إيطاليا الانسحاب فوراً من جميع دواخل طرابلس وكانت قد احتلت الكثير منها قبل وصول السيد صفي الدين الي سرت لتحتفظ بمدينة طرابلس وضواحيها الغربية منها (والخمس) فقط كما قرر القائد السنوسى السيد صفى الدين أن يتقدم بقواته لتطهير الدواخل وأرسل الخبر فورا إلى القائد الأعلى السيد احمد الشريف.

تقدم القوات السنوسية صوب مصراته

أمر سيادة القائد السنوسى أن يتوجه رمضان شتيوى بقسم من القوة الى مصراته للرباط عليها واثارت حركات هناك وعينه قائمقاما بها وعين الشيخ سوف المحمودى متصرفا لغريان ووجهه اليها بقسم من العساكر وعين الشيخ أبو بكر قرزة البوسيفى مزدهوالسيدعبد الله بن ادريس قائمقامانزليتن واحمد سيف النصر لاورفله والساعدى سلطان لترهونة واستمرت الانتصارات تلازم قوات السنوسيه والتوفيق يصاحبهم فاحتل الساعدى بن سلطان ترهونه واحتل سوف غريان وتعرف معركة ترهونه بمعركة البويرات وقد حاصر حمد سيف النصر قصر بن وليدفى أورفله وبعد معركة شديدة استمرت اياما طلب الطليان ان يسلموا أنفسهم للسيد صفي الدين نفسه وعند ذلك كتب حمد سيف النصر للسيد بذلك وهذا الاخير بحاشيته فى موقع بئر الوشكه بوادي زمزم فتوجه السيد الى أورفله وهناك استسلمت له القوات المحصورة بقصر بن وليد وعددهم الف وسبعمايه عسكرى واحتل الجيش السنوسى القصر وذلك فى شهر شعبان من السنه نفسها وهناك شرذمة من الجيش الوطني التابع لايطاليا تحصنت بموقع منيع وأبت الاستسلام وبعد جميع المحاولات التى قامت بها القيادة السنوسية لاستسلامهم وفشلها هاجمهم حمد سيف النصر وقتلهم عن آخرهم وقد استتوافي الدفاع ولم يبق للطليان أي مركز الا قصر حمد بمصراته وبعد قتال عنيف انسحبوا منه بحراً يوم ٢٥ رمضان سنة ١٣٣٣ وتنظمت الادارات السنوسية بالمراكز السالفة الذكر فخول لكل قائمقام سلطانه العسكرى والمدني وحدد نفوذه وعين بكل قائمقاميه مجلس من الاعيان للشورى ورتب رجال القضاء الشرعى وقد طارصيت القائد السنوسى بسرعة البرق فى جميع أنحاء البلاد الطرابلسيه فجاءته الوفود من جميع أنحاء القطر تترى وحسب الطليان للسنوسيين الف حساب وتهدم بسرعة جميع ماباناه الطليان فى مدة أربع سنين من احتلالهم لطرابلس فقد احتلوها من حدود تونس الى قصر سرت شرقا وتوغلوا في دواخلها الى منطقة فزان والجفره ، بينما كانت الحالة على مايرام وكان العدو فى اضطراب وقلق

واذا بالحظ يخدم العدو فقد ظهرت بعض الخلافات والفتن في صفوف العرب بالميدان الغربي أو باصح عبارة فى مصراته وكان بطل هذه الحركات رمضان شتيوى فكان من جرائها تغيير مجرى الحالة، قام رمضان بما قام به من العداء للسنوسيين ناسيا أو متناسيا ما خصه به السيد صفي الدين من العناية والعطف الكريم وترجيع جماله التي اخذها المغيرون من العرب كما ذكرنا عندما كان تابعا للطليان وعينه قائمقاما بمصراته التي تعد قائمقاميتها من الدرجة الاولى بعد معركة القرضابية وخصه بهذه المكانة المحترمة بالرغم من وجود السرات الافاضل من أبناء مصراته وبما أننا لا نريد أن نستعرض الذكريات المؤلمة فى كتابنا هذا المختصر ولا نريد أن نعدد المساوى التى تتطلب الشرح الكافى والتفصيل الوافى فى هذا الكتاب الصغير فى حين أننا لا نريد أن نضرب صفحاً عن سرد الحقائق التاريخية التى وصلت إليها معلوماتنا نكتفى الان بما ذكرناه والله يعلم أننا لا نميل للعاطفة الخاصة بأى حال من الاحوال وليس لها علينا أى سلطان فى حالة كتابتنا هذا التاريخ .

حاول السيد صفي الدين أن لا تكون هذه الفتنة التي فرقت صفوف العرب والتى تهيئي للعدو احتلال البلاد بواسطة أبناء البلاد وتساهل مع رمضان في كل شيء ولكنه لم يصل الى فائدة فقد انقطع كل أمل للسيد صفى الدين بعد أن قبض رمضان على قائمقام زليتن السيد عبد الله بن إدريس والسيد أحمد التواتى والشيخ مفتاح الزوى وقتلهم شنقاً وبدون أى مبرر إلا أنهم سنوسيون مجاهدون وقد عزز رمضان مركزه بمساعدة عبد النبي أبي الخير الذي يسعى ويعمل للقضاء على مركز عائلة سيف النصر في ورفله والاستبداد بها والسيادة عليها أثناء هذه الانقلابات كان (سمو الامير) السيد إدريس السنوسي وكيلا عاما عن نائب الخليفة السيد أحمد الشريف فأصدر أمره إلي السيد صفي الدين بالعودة من طرابلس الى برقه وان يترك الامر بعد تطهير أكثر البلاد من الطليان أطفأه للفتن وحقنا للدماء .

إنسحب السيد صفى الدين وفي معيته صالح باشا الاطيوش الى قصر سرت حيث هناك معسكر آخر يرأسه نائبه السيد محمد علي ابن ادريس والقائمقام السيد محمد على بن الشفيع وبقي هناك حتى جاءه الطلب من السيد ادريس السنوسى يستقدمه الى جدابية بجميع قواته فعمل بالامر :

القيادة السنوسية الجنوبية

نذكر الان عن القيادة السنوسية الثانية بطرابلس وهى التى تضم اقليم فزان والجفرة والنواحى الغربية من فزان فكانت هذه النواحى المذكورة تابعة للسيد محمد عابد نائب السيد أحمد الشريف هناك وقد اتخذ سيادة النائب مركزه بزاوية (واو) ويتبع هذه القيادة ثلاث معسكرات أحدها يرأسه وكيل السيد محمد عابد وكبير مستشاريه السيد محمد على الاشهب وقندان هذا المعسكر البطل المغوار كوسى التارقى ويؤلف هذا المعسكر من التوارق وقبائل فزان واخلاط من أهل برقه والمعسكر الثانى بالجفره ويرأسه الشيخ سيف النصر أما المعسكر الثالث بالجهات الغربية الشمالية من فزان ويرأسه السيد السنى ويشرف على الادارة العامة السيد محمد على الاشهب باعتباره الوكيل عن السيد محمد عابد فاشتركت هذه المعسكرات فى المعارك الدموية مع الطليان بالجفرة وفزان وقد كانت هذه الجهات بيد العدو فتسبب عن حركات هذه القيادة مع ما يضاف اليها من حركات القيادة الشمالية كما سبق ذكرها الجلاء العام لا يطاليا عن الجفرة وفزان فى ليلة واحدة وقد احتل معسكر فزان أعظم قلعة محصنة بعد معركة مهولة فغنمها بكل ما فيها وهى حصن (قاهره) ثم احتل مرزق عاصمة فزان وصار احتلال ودان وهون وسوكنه وكانت الغنائم تفوق الحصر وكان عدد الاسرى بفزان كثيرا ومن بينهم الضابط الايطالى الكاتب المعروف (انريكو باترينيالى) . (PATRINIALI) الذى ألف كتاب صحراء طرابلس وطبع تحت اشراف وزارة المستعمرات ، يفصل فى كتابه الكثير عن حركات السنوسيين ، وللسيد محمد عابد مجلس شورى يضم الكثير من الاعيان والوجهاء ورجال الدين وكان الاتصال بين القيادتين المذكورتين بصورة مستمرة وكذلك بالقائد الاعلى ولم يزل السيد محمد عابد على حالته هذه حتى حصلت الفتنة التي أشرنا اليها وقد اندلع لهيبها الى كثير من الجهات الغربية والتى لعبت فيها الاهواء والاغراض وعز زنها الايد الخفيه التى تعمل لصالح الطليان فلم ينج منها اقليم فزان وهناك قتل السيد محمد علي الاشهب كبير مستشارى السيد محمد عابد ووكيله ضحية الواجب الوطنى وهناك سافر السيد محمد عابد بقواته الى واحة الكفرة حسب الامر الذى تلقاه من السيد ادريس السنوسي وبقي وكيلا عن السيد ادريس بواحات الكفرة :

مساعى ايطاليا لاغراء السيد أحمد

ثبت لايطاليا وتحقق أن ليس في وسعها ومقدورها مقاومة السنوسيين وعلي رأسهم سيد المجاهدين الكبير السيد أحمد الشريف وأن حسابها الذى حسبته قد خانها فى حين أنها كانت تعتقد أن مسألة فتح طرابلس ما هو إلا مسألة بسيطة وأنه عبارة عن نزهة عسكرية لا يمتد أجلها أكثر من أسبوع أو أسبوعين وما ذلك إلا أن يظهر أسطولهم أمام المدن الساحلية ويطلق بعض القنابل حتى ترفع الرايات البيضاء وتستسلم الشراذم التركية المشردة هنا وهناك ثم تزل جنودهم إلى البر فيستقبلها العرب بالأزهار والرياحين لأنهم جاءوا لتحريرهم من النير التركي«١» ، لعمرى أنه حساب صبياني وأنها نظرية غبي أحمق . فشل حسابها وأخفقت آمالها فالتجأت إلى شتي الوسائل لعلها تفوز بطائل التجأت إلى المفاوضة ربما تجديها نفعاً بدلا من تجهيز الحملات الواحدة تلو الأخرى فكانت جميع قواتها تضعف أمام الوطنيين الغر البهاليل فأخذت تخطب ود السيد أحمد وتتقرب إليه وتتخذ الذرائع والوساطات والشفعاء وتتوسل بأحب الاصدقاء للسيد أحمد وبخيرة رجال البلاد الذين قدر لهم أن يكونوا تحت سلطانها الغاشم وفي متناول يدها فأبى السيد أحمد أن يعيرها سمعا وكره أن يصغى لأقوالها لما يعرفه من الضرر الذى لا يعالج إلا بالمقاومة الشريفة ، ناهيك ما بذلته إيطاليا من الوعود الخلابة والعهود البراقة وتبذير الذهب الساحر والتعهد بمنح السيد السنوسى سلطاناً واسعاً في البلاد يليق بمكانته فأبى أن يسمع شيئا من كل هذا : جاء في مجلة الهداية ما يلى : « أرسلت هذه الاشيا علي إحدى بواخر خفر السواحل المصرية فى صندوق كبير وشفعوها بكتاب كله المدح والثناء وتحبيب السيادة الانجليزيه أو الطليانية والوعود بالمرتبات الكبيرة لسيدي أحمد

---

(١) كان الجنرال كانيفا القائد الايطالى بطرابلس قد كتب إلى حكومته برومارداً على بعض أسئلة وجهت له وقد نشرت بجريدة المؤيد بتاريخ ٢٣ مارس سنة ١٩١٢ جاء منها: « على الحكومة الايطالية ان رغبت فى انتصار باهر أن تخير نفسها بين واحد من اثنين أما أن تعين قائداً غيرى أو تبحث عن هذا الانتصار فى أرض غير طرابلس .

الشريف واعتراف هذه الحكومات بسلطته ان قبل مطلبها فأمر السيد أحمد بارجاعها (الهدايا) من حيث أتت »وجاء في مجلة الهداية أيضا مايلى : «حضر عزيز عند الاستاذ المبارك وأخذ يصور له حالة الجنود المجاهدين بصورة مفزعة تدعو إلى القنوط ويبين له استحالة المقاومة وضررها ونفاذ الميرة والذخيرة والأموال واقترح عليه الصلح على شرائط أهمها قطعة الارض الواقعة بين (بومبا) والجغبوب وبين الحدود المصرية وترك بقيه برقة للطليان على شرط أن تدفع روما ولندرة وباريس مرتبا سنويا يليق بمقام السيد أحمد الشريف وكرامته وأن تكف فرنسا عن محاربته فى الصحراء والسودان فامتعض السيد وقال اسمع يا ولدى اني كنت أقبل عن طيب خاطر التنازل عن القطعه المذكووة وضمها إلي مصر لو كانت حكومة إسلامية حرة أتركها لها وأنتقل أنا ورجالى إلى الغرب لمحاربته الطليان على بقية برقة حتي أزيل ظلهم الثقيل عنها دفاعا عن بيضة الاسلام أما ومصر فى قبضة انجلترا فلا معنى لهذا العمل وإني سأقاوم حتي النهاية».

ولقد اطلعت على صورة تقرير موقع من السيد أحمد ومهور بمهره بعث به إلي وزير الحربية أنور باشا بتاريخ ٢٩ صفر سنة ١٣٣٥ وقد اطلعني عليه ابنه السيد ابراهيم وسمح لى بأن أنقل عنه فقرات منها ما يلي : « أني الطليان للوطن وراسلنى وأرسل الى الاموال الهائلة فرجعتها كلها تعففا وطلبا لرضاء الله ورسوله وقمت بمعاضده الدولة العلية ولله الحمد وأمرت كافة أهل الوطن وقمت بجهدى ثم بعد ذلك قدمت بنفسى للجهاد » .

طلبت ايطاليا من السيد أحمد الشريف أن يدخل معها في مفاوضة للصلح واشترطت على نفسها ضمان كيانه كأمير للبلاد تحت حمايتها أو انتدابها وتتفق معه في منطقة نفوذ تحدد لسلطانه وتحتفظ هى بالموانيء والثغور الساحلية فضرب بقولها عرض الحائط وعندما فشلت في مقصودها بواسطة الاخصاء عندها التجأت الي سمو الخديوى عباس باشا بعد أن فشلت جميع وفودها التي كانت تترى على السيد أحمد الوفد بعد الآخر فلم يتغير موقفه وهو الذى لا تأخذه فى الله والوطن لومة لائم وكان يقول : (إنى أقسم أمام جمع المجاهدين على هذا المصحف والبخاري اني لن أنفك أذود عن حياض الاسلام ومجاهدة أعدائه الى النفس الاخير ما دام معى نفر واحد من المجاهدين واذا خانني الجميع وسلموا للعدو أهاجر الى المدينة لأعيش بجوار جدى الاعلي شاكيا الى الله من

خيانة الخونة مستنزلا لعنته عليهم الي يوم الدين) كان السيد أحمد الشريف يقابل جميع وعود ايطاليا بالسخرية والازدراء اذ لا يرى لايطاليا الغاصبة حقا فى المفاوضة معه على بلاده التي أرادت احتلالها عنوة فأما أن تملكها بالقوة وأما أن تأخذ عنه الدرس القاسي لتفهم معنى النطرسة والاعتداء قائلا (انى لا اتفاوض مع ايطاليا فى بلادى ولا اتفق معها علي تنازلى عن شبر واحد من البلاد ولا أحيد عن أحد امرين اما تحرير الوطن واما الموت في سبيل ذلك) ومن كلماته المأثورة أيضا (انى أعاهد الله على أن لا أتساهل مع ايطاليا فى حق من حقوق أهل البلاد ولا أتنازل لها عن مقدار حافر حصانى) ولما تحققت ايطاليا من الفشل الذريع ولم تصل الى ما تريد بواسطة مندوبيها وكتبها ورسلها من مختلف الهيئات والشخصيات لازمت كما قلنا اعتاب خديوى مصر على أن يتدخل فى الامر ويكون حلقة الاتصال كي تستطيع مفارضة السيد أحمد ونترك الآن ما بيدنا من المعلومات الكثيرة تجنبا للاطاله ونكتفى لذلك باشارات بسيطة نضيف اليها ما قاله المؤرخ العربى أمين سعيد فقد قال (فوسطوا الايطاليون الخديوى عباس الثانى فأرسل وفدا سنه ١٩١٣ الى الجبل الاخضر لمقابلة الشيخ السنوسي الى أن يقول : وحمل اليه الوفد كتابا خاصا من الخديوى وقد تألف الوفد من السادة المألون والسنوسى ومصطفى انجال السيد محمد عبدالمتعال الادريسى(١) وانضم اليهم عبد الحميد بك شديد فقابلهم الشيخ مقابلة حسنة وقال أن شروطه للاتفاق مع ايطاليا هى أن تجلو عن البلاد وليس هناك من سبيل غير هذا السبيل للتفاهم فعاد الوفد الي القاهره ونقل للخديوى ما سمعه وكان بذلك ختام هذه الوساطة واخفاقها .

ان ايطاليا لم تقف عند هذا الحد بعد هذا الاخفاق بل استمرت فى اتخاذ الوسائط

---

(١) تربط هذه العائلة بالبيت السنوسى روابط متينة عراها المحبة والولاء المتبادلين بين أفراد العائلتين ولعائلة الادريسى مقام معلوم لدى البيت السنوسي الذى يحترمهم باعتبار أنهم أبناء واحفاد السيد أحمد بن ادريس الذى كان شيخا للسيد السنوسى الكبير فاطمأنت ايطاليا عندما كان بعض أفراد البيت الادريسى بين أعضاء الوفد المرسل من الخديوى ظنا بأن المسعى قد نجح وإذا بالفشل يلازمها حتى هذه المرة بالرغم من وجود أفراد البيت الادريسى .

وكان لها سماسرة كثيرون فى كل جهة لهذا الغرض .

من بين الاجوبة التى بعث بها السيد أحمد الشريف الي سمو خديوي مصر كتابا يحمل قصيدة عصماء يظهر فيها مدى ما يكنه السيد احمد الشريف من التقدير للبيت العلوى المجيد وحبه لأفراد اسرة هذا البيت العظيم من ملوك وأمراء ومن تلك القصيدة مايلى :

الي سيد سامي المقام معظم — همام كبير في الملوك شهير

لقد نال توفيقا ونال مراتبا — ونال مقاما لم ينله أمير

الى أن يقول وهو بيت القصيد :

ولا تنظرن الصلح يوما فكم أتا — كتاب بها الامر منك يشير

إن سلطان المادة كثيرا ماحط بالكرامه ونزل بالنفوس العالية الى الحضيض الاسفل وعبد الاحرار واذل الاعزاء ولم يتمكن المستعمرون من اخضاع الشعوب التى خلقت لان تكون حرة الا بشيطان حب المادة وعدم التعفف غير أن هذا الشيطان المارد (المادة) لم يستطع الصعود الى سماء كرامة السيد احمد الشريف فأخذ الطليان يرسلون شيطانهم هذا لغير السيد احمد الشريف ظنا منهم أن ينفذ الي ساحته بالواسطة وتثبت هنا صورة كتاب بعث به أحد سماسرة الطليان الدكتور عزت الجندي الى الجنرال أميليو قائد قوات ايطاليا ببنغازى :

القاهرة في ٨ مايو سنة ١٩١٤

الجنرال أميليو — سيدى الجنرال الفاضل تشرفت بمطالعة كتابكم الاخير وشكركم علي ودكم ولطفكم ونرجوكم أن تعفرا عن قصورى لتأخير الرد الي الآن لاني كنت خارج القطر المصرى فى سياحة بين الاستانة وسوريه الي الآن ثم أخبر سعادتكم عن الاسباب التي دعتني للامتناع عن استأناف السفر لعند (هكذا) السنوسى لاتمام العمل الذى بدأنا فيه ولكن بعد أن ظهرت نتيجة مساعى الذين ذهبوا وفشلوا مع أنه كان بالامكان حل المشكلة يمكن أطلع سعادتكم على السبب بصفة خصوصية لاني اعتقد فيكم ذلك الرجل الحر الذى يهمه معرفة الحقائق . اخبركم بذلك لتعلموا مبلغ ما أصابنى من المضار مع تحمل المتاعب والاخطار في الحر والبرد والاوطار اتتدبنى، سمو الخديوى فى

أواخر ١٩١٢م للسفر الى بنغازى لمخاطبة عزيز بك فسافرت ثم انتدبنى للسفر الى اليمن فسافرت مرتين وامرنى بالسفر الى بنغازى فسافرت وقابلت السنوسي ثلاث مرات كما تعلمون فمن ذلك التاريخ الى مارس سنة ١٩١٤ وأنا واقف نفسى لخدمة سمو الخديوى وتارك أشغالي الطبية وغير الطبية وبيتى وأولادى وكل مصالحى والوسط الذى أعيش فيه فهل يريد أن يعلم سعادة الجنرال الكبير بعد كل ذلك ماذا تكرم به على سمو الخديوى طول هذه المدة أى مدة سنة ونصف تقريبا ؟ أرجو أيها الصديق المحترم لا تضحك اذا قلت لسعادتكم أنه اعطانى مأتين جنيه انجليزى فقط وأرجوك ايضا أن لا تتأثر وتتألم اذا قلت لسعادتك أن هذا المبلغ لا يكفى لتسديد أجور منزلى فقط فضلا عن مصارف أولادى وبيتي وعن عطلة عيادتى وتوقف أشغالي ، شعرت اثناء الشغل بقبض من سمو الخديوى عني وامساكه العظيم فأردت أن انسحب واتخلص من مواصلة العمل فى هذه المسأله حذرا من تضاعف الضرر الذي لحق بى ولما علم بذلك شديد بك اتفق معي بالنيابة عن سمو الخديوى من جهة وعن دولة ايطاليا من جهة أخرى علي ما يأتى : أن يدفع لى مرتبا شهريا قدره مايه جنيه انجليزى وان يعطى لى مكافأة قدرها ألف وخمسماية جنيه انجليزى عند اعادة أسري الطليان ومثلها عند اتمام المسألة وامضاء شروط الصلح والاتفاق بين الطرفين : إذا مت أو قتلت اثناء الشغل في صحارى بنغازى يعطى كل هذا المبلغ أى الثلاثة آلاف جنيه انجليزى الي أولادي فورا . اتفق معي شديد بك على ذلك قبل سياحتي الاخيرة وتعهد بأن يعنى بتنفيذه ولكن لما رجعنا الى مصر لم يدفع لى شيئا فسكت الى أن أمرنا سمو الخديوى بالسفر وحينئذ طلبت تنفيذ هذه الشروط واعطاء مرتبات الشهور التى مضت اعتبارا من يوم قيامنا بالوفد الاول وطلبت تحرير عقد يتضمن البنود الثلاث السابقة وامضاءه اما من قبل شديد بك او من طرف احد رجال المعية الخديوية بشرط ان يكتب بآخر العقد العبارة الآتية (اتعهد للدكتور عزت الجندى بما تقدم وانا الضامن بتسديد هذا المبلغ) ولما بلغ سمو الخديوى ذلك غضب لمطالبتى بتنفيذ اتفاق سبق بينى وبين شديد بك وبمبلغ لا اهمية له ابدا بالنسبة للعمل الخطير الذى نشتغل به وبالنظر للمتاعب والمهالك والمخاطر التى صادفناها ، رفض سمو الخديوى قبول ذلك فانسحبت فى الحال عن العمل ولولا حبي

الزائد وصداقتى العظيمة لسعادتكم ما كنت اخبرتكم بهذه المسألة التي تجعل كل شريف يبتعد مها أمكن عن خدمة من لا يقدرون الخدمة ولا يعرفون قدر الرجال ولا تضحك أيها الجنرال الكبير إذا قلت لسعادتك أن كل المبلغ الذي استلمته بيدى لا يكفي مصاريف سفر الوفد الاول والثاني من سمو الخديوى وهو ثلاثماية جنيه انجليزى فقط وبكل أسف اخبر سعادتكم بان الضرر الذي لحق بى عظيما لاني أضعت مركزي الطبي وخسرت فى هذه الاشغال مبلغا لا يقل عن الالف جنيه وأود ان تعتقد اني لا ازال ذلك الصديق الذى لا يتأخر عن كل خدمة من ورائها تأليف ذات البين بين العرب وايطاليا كلما سنحت الفرصة لاعتقادى أن هذا فى مصلحة العرب أكثر مما هو في مصلحة ايطاليا « الشيخ عبد العزيز العيساوى لا يزال عند السنوسى وقد رجعت الاشراف الادريسيين (هكذا) أولى أمس واخبرونى أنه يروم الحضور الى مصر واني أرغب تسجيل الارض التى باعني نصفها في الدفاتر الحكومية الرسمية واذا كان هذا لا يمكن استرد المبلغ من وكيله محمد صالح . قالوا لى الاشراف الادريسيين كلفنا بالسفر لمقابلة السنوسى ولم يقال لنا لماذا نحن ذاهبون وبماذا ينبغى أن نخاطب السيد احمد الشريف ولم تعط لنا تعليمات أبدا وشديد بك لم يخاطبنا بشيء يتعلق بالمأموريه التى انتدبنا اليها ولما وصلنا عند السنوسي طلبنا لمقابلته قبل أن يطلب شديد بك حسب العادة وسألنا عن الغاية التى جئنا من أجلها فقلنالا نعلم شيئا عنها فقد أمرنا بالسفر مع شديد بك فسافر وليس عندنا تعليمات بشيء ولكن الظاهر اننا جئنا حراسا لشديد بك فغضب حينئذ سيدى أحمد الشريف وقال أنا لا أكون أبدا العوبة بين شديد وغيره وقال : مما لا أرى أبدا مناسبة لذكره هذا ما رووه الاشراف . علمت من مصدر يوثق به أن الدولة الانجليزية ساعية باستمالة السنوسى الكبير وأقاربه بواسطة الاشراف الادريسيين القاطنين بجهات دنقله بالسودان وغرضهم من ذلك ضم الجغبوب والواحات وجهات أخري الى حكومة السودان ويقفون مع الفرنساويين جنبا لجنب من أجل جهة أخرى وفى الختام تفضلوا بقبول احترامى .

(نقل حرفيا وعلى علاته)

« المخلص امضاء: الدكتور عزت الجندى »

القيادة السنوسية العليا

نذكر الان عن مقر القيادة العليا فنقول، بعد أن تم ترتيب معسكر المغاربة والقره قولات (النقاط) التابعة له ومعسكرات العواقير وما يتبعها من النقاط ومعسكرى العبيد والعرفا ومعسكرى البراعصة والعبيداب وما يتبع هذه المعسكرات من النقاط وتنصيب السيد صفى الدين قائدا لمنطقة برقه الغربية واسناد كل مسؤلية لصاحبها توجه القائد الاعلى السيد احمد الشريف فى شهر رمضان سنة ١٣٣٣ هـ من معسكر العواقير مارا بالجبل الاخضر وكان مصحوبا بعدد كبير من الاخوان وشيوخ القبائل وطابور المعية الخاصة وقد انتظم عقد المعسكرات والنقاط التابعة له انتظاما محكما . استقر قرار القائد الأعلى أن يكون مقر قيادته بموقع (مساعد) الواقع غرب السلوم وبالقرب منه وكان الموقع المذكور قبلئذ يعرف باسم (مزيعط) فغيره السيد احمد الشريف باسم مساعد تفاؤلا واتخذه مركزا رئيسيا تصدر عنه الاوامر ومنه تستمد الارشادات والتعاليم والية ترفع المعلومات والتقارير وتضم حاشية القائد الاعلى كثيرا من الاخوان وشيوخ القبائل والضباط المدربين والكثير من اعيان مدينتي بنغازى ودرنه وقد مر السيد احمد الشريف فى طريقه هذا على اكثر الزوايا السنوسية لاخذ ابناء رءوسائها كما أخذ الكثير من أبناء شيوخ القبائل وسراتها وامر بان تجعل لهم مدرسة عسكرية خاصة لتدريبهم فتخرج الكثير منهم برتب عسكرية ومنهم من رقي الى رتب عالية واذكر من تحضرني اسماءهم :

ناصر بن السيد السنوسي الاشهب	وصل الى رتبة	يوزباشي
أبو القاسم بن السيد عبد العزيز العيساوى	« «	«
السنوسى محمد الدردفي	« «	«
عبد الله بن السيد بدر فركاش	« «	بكباشى
حميدة بن السيد العلمي الغمارى	« «	يوزباشى
الشيخ السنوسى الغزالى	« «	«
عبد السلام بن السيد مرتضى فركاش	« «	«

صاحب السعادة والسياده : السيد محمد عابد باشا السنوسي
قائد القوات السنوسيه بمنطقة فزان و نائب سمو الامير بواحات الكفره

عبد الواحد بن السيد سعد فركاش	وصل الي رتبة يوزباشي
المهدى بن السيد احمد العيساوى	» » »
محمد الحبيب	» » »

واذكر من بين ابناء مشايخ القبائل من تحضرني أسمائهم :

منصور بن عبد ربه الكزة	وصل الى رتبة يوزباشى
أبو شنيف محمد الكزة	» » »
المختار بن السيد محمد المختار	

وكثيرا غير هؤلاء من جميع قبائل البراغيث والحرابى والمرابطين يضيق المقام عن سرد أسمائهم وسنخصص قسما لذكرهم تفصيلا بالطبعه الثانية .

كانت العلائق والحالة هذه بين السيد احمد الشريف والحكومة المصرية من جهة وبينه وبين الحكومة الانجليزية من جهة اخرى علي احسن ما يرام وكانت حركته تلاقى كل عطف من مصر حكومة وشعبا وكانت الصحف المصرية تخدم القضيه السنوسيه كما كان الكتاب المصريون لا يألون جهدا فى الكتابة عنها وتصويرها للعالم في أحسن صورها وحذا حذوهم الشعراء وهكذا الشرق العربى بأجمعه، اما من جهة الانجليز فكما قلنا كانت العلائق بينهم وبين السيد احمد الشريف يسودها الوئام والوفاق التام .

نائب الخليفة

لما توجه أنور باشا الى الجنبوب كما تقدم ذكره لتسليم الامر بحذافيره الى السيد احمد الشريف كما اطلعنا علي ذلك من تقرير بعث به السيد احمد الى انور باشا وهو يومئذ ناظر الحربيه ، ان انور باشا ابلغ السيد احمد الشريف شفاهيا على لسان السلطان بانك رئيس المجاهدين فى قارة أفريقا قاطبة ونائبا عن جلالة الخليفه أظف الى هذا التعيين السلطانى ان السلطة الوحيدة هي للسيد احمد الشريف وان أهل برقه ما جاهدوا وساعدوا تركيا علي الجهاد وكانت قد قررت الانسحاب الا بامر السيد احمد وبما أن أنور باشا رأى كل ذلك ودرسه وعرفه فقد اعترف بمجهود السنوسيين العظيم الذى لولاه لما وقف انور باشا ورفاقه ساعة واحدة فلذلك قرر السلطان العثمانى ان يمنح السيد احمد الشريف هذه النيابة ويخول للسيد أحمد ماللسلطان نفسه من النفوذ المطلق مدنيا وعسكريا وحق اعطاء الرتب والنياشين والعفو عن المحكومين والتولية والعزل بدون الرجوع الي دار الخلافه فوصل نورى باشا أخ أنور باشا يحمل هذا الامر ويحمل معه الكثير من الاوسمه الرفيعة والمختلفه والنياشين المتنوعه وكان السيد احمد الشريف بعد تعينه نائبا للخليفه قد منح رتبة المشير بتاريخ ٢٨ محرم سنة ١٣٣٣ كما منح بعده رتبة وزير مع رتبة الباشاويه من الدرجة الاولي ونال عدة أوسمة رفيعة منها الوسام العثماني وقد منح سمو الامير السيد ادريس السنوسى نفس هذا الوسام مع رتبة الباشاوية من الدرجه الاولى ورتبة (بالا) ومنح كل من السيد محمد عابد والسيد رضا والسيد على الخطابي والسيد هلال والسيد صفي الدين رتبة الباشاويه مع أوسمة رفيعة وقد منح نائب الخليفه بدوره الكثير ممن يستحقون الرتب من رءساء الزوايا وشيوخ القبائل والضباط اذكر من بينهم من تحضرني أسماؤهم : رتبته الباشاويه لكل من حسين بسيكرى (مع التيشان العثماني) والسيد احمد بن ادريس والسيد احمد العيساوى والسيد محمد علي عبدالمولي والسيد المرتضى فركاش والسيد محمد الدردفى والسيد محمد بن عمور والسيد عمران السكرى ونورى (شقيق انور) ورتب واوسمة مختلفه أخرى لكل من

السيد محمد الاسمع والسيد عبدالله بن عامر وعبدالسلام أبوقشاطه ومصطفى منينه ، ووصفى الخازمى وغير هؤلاء كثير ممن سنذكر عنهم بالتفصيل فى الطبعة الثانيه ولا يفوتنا أن نذكر ان سمو الامير السيد ادريس السنوسى كان وكيلا عن نائب الخليفه بكل ماهذه النيابه من حقوق بما فيها حق اعطاء الرتب والنياشين فقد منح الكثير من الرتب والاوسمه لمستحقيها سنذكر عنهم فى محله .

تولى السيد احمد الشريف سلطته العامه باسم نائب الخليفه العثماني وقائد المجاهدين الي جانب ماهو عليه من السلطان في بلاده وكونه سيدها المطاع قبل ان يمنح ذلك من الخليفه .

ابتدأت الحرب العامه في أوربا ولاحت شرارة نارها تدنو من الشرق ولهذا فقد اخذ كل من الاتراك والانجليز والعرب وغيرهم من دول أوربا يعمل علي شاكلته وفي مصلحته وكل منهم يعدو عدواً سريعاً للوصول الى ميدان الفوز قبل الآخر وأخذت دول أوربا وخصوصا تلك التى لها مقاصد فى الشرق العربي تسعى بكل وسيلة تصل بها الى غايتها مهما كان نوع الوسيلة على قاعدة (الغاية تبرر الوسيلة) وهناك الكثير من الضباط الاتراك والعرب التابعين للحكومه العثمانيه وعلى رأسهم نوري باشا الذى جاء كما قلنا يحمل الاوسمة والنياشين والكتب الخاصه من السلطان لنائبه السيد احمد الشريف ويبقي كضابط اتصال بمعية السيد احمد ثم هناك الضابط الالماني مانسمان الذي جاء يحمل كتابا خاصا من امبراطور المانيا الي السيد احمد الشريف ويحمل نشيانا رفيعاً منحه الامبراطور الى السيد احمد وقد عين هذا الضابط بعدئذ ممثلا للقيادة الالمانية فى أفريقيا وهناك أيضا جعفر باشا العسكرى قائد الكتيبه الخاصه بنائب خليفه فكانوا هؤلاء الضباط مستائين لحسن العلائق الموجودة بين السيد احمد الشريف والانجليز حيث هذا يختلف تماما مع اغراضهم وما ربهم فاخذوا يعملون في طى الخفا وتحت الستار ليلعبون دورهم المناط بهم .

السيد احمد الشريف والانجليز

بذل نورى باشا «١» وكان برتبة فريق جميع جهوده مستعينا بجعفر باشا العسكرى وما نسمان للتأثير على السيد احمد الشريف كي يهاجم الانجليز فاخفقوا بادي ذى بده واخذ نورى باشا يبعث بالكتاب تلوا لاخر الي شقيقه أنور باشا ناظر الحربيه كي يستصدر امراً من السلطان الي نائبه بذلك وقد وصلت عدة كتابات من أنور باشا يظهر فيها للسيد احمد محاسن التحرش فى وجه الانجليز والاصطدام بهم كما تقتضيه ضرورة الموقف وكان السيد احمد يجامل أنور باشا وبوده اقناعه فى ان المساله تكون سيئة النتيجة وها نحن نسوق هذه الجمله من التقرير الذى بعث به السيد احمد الى انور باشا بتاريخ ٢٩ صفر سنة ١٣٣٥ (حرب ياتيك (يقصد به حرب الطليان) وحرب تاتيه (يقصد به الانجليز) فالحرب الذى ياتيك يجب عليك مدافعته باى حالة كانت والحرب الذى تاتيه يجب عليك الاستعداد له) ويظهر السيد فى تقريره المذكور أن حربه للانجليز لافائدة فيه وان عاقبته وخيمة وان لاقدرة له على الحرب الانجليزى فى حين أنه يحارب الطليان وأخذ نوري باشا ورفاقه يلحون علي السيد احمد ويرجونه أن يتقدم بالهجوم على الانجليز فلا يجد رجاؤهم قبولا وقد جاء فى أحد كتب أنور باشا للسيد احمد الشريف مايلي (جلالة السلطان عينكم رئيساً للمجاهدين في قارة أفريقيا ونائبا عنه ويأمل منكم الحرب في تونس والجزائر وفى مصر) بالرغم من أن السيد احمد الشريف مقتنع كل الاقتناع ان الحرب مع الانجليز ضارة به ولبلاده فقد اكفهر الجو بينه وبين الانجليز واصبح بين أمرين احلاهما مر فماذا ياتري يعمل السيد احمد الشريف ؟ أيخالف الخلافة العثمانيه التى يراها انها خلافة عن رسول الله وهو الذى يحكم علي من خالفها بالكفر ؟ أو يمتثل أمرها ويقدم على شيء هو أعلم بما ينتج عنه من المضار والمصائب .

« ١ » منحت رتبة الباشويه الي نورى من نائب الخليفه السيد احمد الشريف وكذلك لجعفر باشا العسكري .

أننا لا نقول أن السيد أحمد الشريف يميل للانجليز أو بينه وبينهم تفاهم سرى أو بينهم مصالح مشتركة كلا ولكن للسيد احمد الشريف نظريات خاصة .

كان ما كان من أضطرار السيد احمد الشريف لمهاجمة المراكز البريطانية عبر الحدود المصرية وذلك بحكم موقفه ومركزه وقتذاك ولا يجهل أحد أن ذلك كان بواسطه القادة العثمانيين كما ذكرنا وهم الذين يلحون على السيد احمد الشريف للاتيان بالهجوم وهم لا يجهلون مغبة ذلك ولكن تخفيفاً للضغط الذى اصيبت به قواتهم فى الشرق ولسنا فى حاجة لان نكرر ذكر معارضة السيد احمد لفكرة الهجوم ولما يئسوا من اقناعه بادروا سريا بمهاجمة المراكز البريطانية وزوروا أوامر باسم السيد احمد الشريف الى ضباط العرب وعساكرهم فلم يشعر السيد احمد إلا وقدوقع ما وقع فاصبح أمام الامر الواقع وحصل ما حصل من الكر والفر والمد والجزر وانتهت تلك الحركة بالفشل كما هو معروف : يقول المؤرخ أمين سعيد فى كتابه ما يلى :

(ورأى ولاة الانجليز فى مصر أن يعالجوا الموقف بالاساليب الدبلوماسية وأن يبتعدوا عن العنف تجنبا للاصطدام وتقليلا لعدد خصومهم واعدائهم فاتصلوا بالسلطان حسين كامل واطلعوه على ما جرى وراء الحدود ورجوه أن يعمل للاصلاح والتوفيق ولاقناع السيد احمد الشريف بالتزام الحياد وعدم الانقياد الى دسائس الترك والالمان الذين ماجاءوا لخدمة العرب والمسلمين وانما جاءوا ليضحوا بهم وليلقوا بهم فى التهلكه فاختار السلطان حسين كامل السيد محمد الشريف الادريسى نجل السيد عبد المتعال بن السيد احمد بن ادريس مؤسس الطريقة الادريسية ووجه معه كبير انجاله السيد محمد مرغنى الادريسي للسفر الي مساعد وزيارة السيد احمد الشريف واقناعه بالتزام الحياد وعدم الاندفاع فى تأييد السياسة التركية الالمانية فغادر القاهرة فى شهر سبتمبر سنة ١٩١٥ وحمل الوفد الى السيد احمد الشريف ثلاثة كتب الاول من السلطان حسين والثانى من السير ماكمهون نائب ملك الانجليز فى مصر والثالث من الجنرال ماكسويل قائد جيش الاحتلال البريطانى وهي تدور جول النصح له بالتزام الحياد وتذكره بما بين مصر وبرقه من صلاة وترجوه ان لا يسبح فى بحر الدسائس التركية وأن يعمل على طرد الرسل والدعاة الذين جاءوا لذلك خير له ولامته ولبلاده وكلف الجنرال

ماكسويل السيد محمد الشريف بان يبلغ السيد احمد باسم حكومته بانها اذا انتهت الحرب العظمي ولم يشترك فيها (يعنى السيد احمد) واحتفظ بالحياد فان انجلترا تتعهد بان تساعده فى الحصول على استقلال بلاده وتوفق بينه وبين ايطاليا وقال له أيضا اذا احتفظ السيد احمد بحياده فسيكون أعظم شخصية عربية فى البلاد العربية ومرجع أمراء العرب وكبرائهم الخ .

استمر نورى باشا وجعفر باشا العسكري ومانسمان فى تكدير الصفو واستعمال كل الاساليب الغريبه المزيفة والمغرية ويدسون الدسائس بواسطة بعض من لا يهمهم الامر ولا يعرفون عنه شيئا فانصرم بذلك حبل الولاء وسبق السيف العذل وتكدرت العلائق بين السيد احمد وخاطبى وده الانجليز كما يريد دعاة الشقاق في حين أن السيد احمد لم يسع فى يوم من الايام لحدوث شىء بينه وبين الانجليز وعذر السيد احمد فى حدوث الواقع جلى وقد أوفى المؤرخون والكتاب نصيب تلك الحوادث ، ويضيق بنا المقام لو أردنا استيعابها ونذكر نبذة بسيطة عن مبادىء الحادث كما وردت فى كتاب أمين سعيد قال : (لقد دارت بين جعفر باشا العسكرى من جهة وبين الانجليز من جهة أخرى ستة معارك منها معركة (بئر ماجد) المعروفة وكانت يوم ٢٥ من ديسمبر سنة ١٩١٥ وفي ٢٦ فبراير سنة ١٩١٦ دارت المعركة الفاصلة بشرق سيدى براني وفيها وقع جعفر باشا أسيرا بيد الانجليز وفى ٢٤ مارس سنة ١٩١٦ احتل البريطانيون مركز السلوم واستولوا علي المعسكر السنوسي وبعد الاستيلاء على المعسكر كتب الجنرال ماكسويل قائد جيش الاحتلال للسيد احمد يلفت نظره لما كان عليه الانجليز مع السيد احمد من الولاء والاتفاق وانه علي استعداد لاعادة الحالة الى مجاريها السابقة وان أجاب السيد احمد الى شروط الجنرال بكتابه وهى شروط خفيفه لامساس لها بالسيد احمد وقضيته وأهم شرط اساسى بتلك الشروط ابعاد نورى ومانسمان وكان هذا الجواب بتاريخ ٤ جماد الاول سنة ١٣٣٤ الموافق ٨ مارس سنة ١٩١٦ وكان السيد احمد قد تحول بقسم من جنوده وقواده الى الواحات البحريه والداخلة ماراً بسيوه فاستعد الانجليز بجيش عظيم لمواجهته هناك وصده ان تقدم الي مصر عن طريق المنيا وأسيوط كما كانوا يتوقعو الخ) .

كانت آخر المعارك بين السيد أحمد والانجليز هي معركة (قربا) إحدى ضواحي الجغبوب .

إننا لا نتحل عذراً للسيد أحمد الشريف بمحو ما حصل ولكننا قلنا الحقيقة التي احتفظ بها التاريخ ردحاً من الزمن عن العامة وأظهرها بعد ذلك شذرات مقطعة وها نحن أثبتنا جوهرية الواقع بالتفصيل .

كان السيد ادريس المهدي السنوسي أثناء هذه الحوادث ببرقه وكيلا عاما عن السيد أحمد الشريف وقد عرف سيادته بالكياسة وبعد النظر والتضلع في معرفة الامور وقد أدرك أن الحالة اذا استمرت هكذا ستكون وخيمة العاقبة كما كان قد نبه السيد أحمد الشريف أكثر من مرة الي ذلك وأوضح له الحقائق قبل وقوع ما حدث وقد أصبحت البلاد في حالة يرثى لها فقد تفشت فيها المجاعة كما تسرب اليها مرض الطاعون وسدت جميع السبل في وجوه اليبيين بعد ما كانت السوق المصرية مفتحة الابواب وأصيبت الحيوانات بالجدب وهي أهم موارد البلاد وقد أمسكت السماء هذا عد الحرب مع ايطاليا من جهة ومع الانجليز من جهة أخرى فالتفت الامة بأجمعها حول السيد ادريس تستنجد مكارمه وتستمد العون بآرائه كي يرشدها الطريق الاقوم ومحجة الصواب الذي لا يمكن الامة سلوكها وسط هذه الزوبعة الشديدة وذلك الظلام الحالك ويخرجها من هذا المأزق الحرج فهو رجل هذه الساعة الرهيبة وأن السيد أحمد الشريف أصبح بعيدا عن الوطن فلا تستطيع الامة أن تبثه آلامها .

أن الحالة قد بلغت الدرجة القصوى من التعب، فبادر السيد ادريس بالكتابة للسيد أحمد الشريف يخبره بما آلت إليه حالة الامة وكان السيد أحمد بواحة الداخلة فأخذ التقرير الاجمالي الذي بعث به السيد ادريس وعرف وجهة النظر لمداركة البلاد وتلافي الخطر فكان جواب السيد أحمد الشريف : (اعمل ما تراه مناسبا ويري الحاضر مالا يرى الغائب وإني موافق على مطالب أهل الوطن) .

سفر السيد أحمد الشريف الى تركيا

غادر السيد أحمد الشريف الواحات إلى برقة عن طريق سيوه فالجغبوب وهناك حصلت آخر واقعة بينه وبين الانجليز بموقع (قربا) كما ذكرناه ومر بواحة جالو وزله والجفرة (هون وسوكنه) ومن هناك عرج على موقع سلطان بقرب سرت وذلك سنة ١٣٣٥ و ١٣٣٦هـ وكان معه جيشاً جرارا وكانت المجاعة قد ضربت أطنابها في جميع أنحاء برقة وبالرغم من سوء الحالة فقد كان الضيف الكريم أينما حل ويقابل في كل موقع بالاكرام والتقدير والتبجيل وتقدم له جميع المساعدات من الاهالى وكانوا يقدمون له الجزر والاغنام وكل ما تصل إليه أيدى الاهالي من التمر والحبوب وقد كان سيادته يطلب أشياء من الاهالى ليبتاعها منهم مقابل سندات يقدمها على نفسه فكانوا يجيبونه بكل ذلك وقد اتصل كل إنسان بحقه عندما وصل السيد أحمد إلي الاستانة اذ أرسل من هناك مندوباً خاصاً يحمل المبالغ الكبيرة لتسديد تلك السندات وإيفاء كل ذى حق بحقه ومن بين من تقدموا لخدمته بصدق وإخلاص والحالة هذه سيف النصر زعيم قبائل أولاد سليمان وابنه عبد الجليل فقد تقدما هذان الزعيمان الى السيد بقولهما أن جميع ما نملكه ونملكه قبيلتنا هو لكم وتحت تصرفكم وقد حققا القول بالفعل وكذلك الكثير من قبايل المغاربة وعلى رأسهم صالح باشا الاطيوش وكذلك الشيخ أبو حلفاية نحيمة والشيخ السنوسى البرانى والشيخ عبد المجيد سليم القبائلى والشيخ ان شرادة .

كان السيد أحمد فى طريقه هذا يواصل نورى باشا الذى كان موجودا بمصراته وكان يرسل كل طلبات السيد أحمد الشريف وبالطبع أن ذلك لا يسر رمضان اشتيوى الذى أشهر العداء للسنوسيين بدون مبرر فكان يرسل من بطانته الخاصة أشخاصاً يختفون فى الطريق حتي تمر بهم القافلة المرسلة من نورى باشا فيقتلون رجالها وينهبون الاموال المرسلة وكانت هذه المؤامرة تدبر من المدعو محمد الحداد صديق رمضان الخاص ، ومن بين من راحوا ضحية هذه المؤامرات سكرتير السيد أحمد الشريف المدعو عبد اللطيف أفندى المزينى والسيد أبو طريف وغيرهما وبقى السيد أحمد الشريف يعانى مصائب الدهر

وحوادثه وانتهى به مطافه الى العقيلة وكان الخطر محدق به وبجنوده فالمجاعة عامة ولا عدوا عدا من الجوع وكان فى شبه حصار لان الجهة الغربية لا يمكنه التوجه اليها وفيها رمضان اشتيوي الذى ساعد إيطاليا على معاداة السيد أحمد«١» ولا يستطيع والحالة هذه الاتصال بالسيد ادريس الا سراً لمجري السياسة وقتذاك ولارتباط السيد ادريس بعهود مع بريطانيا وإيطاليا .

لما وصل السيد أحمد الشريف الي العقيلة توجه لمقابلته والدى السيد أحمد بن ادريس الذى كان مخيما بموقع (بشر) وكان معه سبعة جمال هى كل ما في وسعه وقتذاك ليذبحها الجند ويقتات بها كضيافة لهم وكان الوالد يهيء بمحله مؤنة السيد أحمد الشريف الخاصة وهي مؤلفه من البيض المسلوق واللحم وشيء قليل من خبز الشعير وكلما يأتي هذا الطعام الخاص بالسيد أحمد ورجال مائدته وهم محمد صالح باشا حرب ووصفي باشا الخازمى والاستاذ مصطفى الهونى وعبد السلام باشا أبو قشاطة وطبيب السيد الخاص عبد السلام أفندى المسلاتى وعندما يحضر الطعام المذكور يبادر السيد أحمد بتوزيعه على بعض الجنود فى حين أنه لا يكفي السيد ورفاقه الخاصين وأحيانا لا يمسك منه شيئا بالمرة فقاسى رحمه الله ما قاسي من أنواع الشدائدمالا تتحمله الجبال بصدر رحب وجلد عظيم وكثيراً ما تمر الايام عليه بدون أن يتناول شيئا يسد به رمقه ومع كل هذا لا يعرف عنه أنه شكا أو تألم وفي شهر ذى القعدة سنة ١٣٣٦ وصلت الغواصة التي أقلته الى تركيا : يقول الامير شكيب أرسلان : (السيد أحمد الشريف الذى اشتهر أثناء الحرب الطرابلسية وأقام فيها المقام المحمود الذى لم يقمه أحد ولولاه لم يمكن أنور ولا غيره من أبطال الدفاع عن طرابلس أن يعملوا شيئا واتصل جهاده من الحرب الطرابلسية الي ما بعدها فلم تحمد

---

(١) سمعت من أحد أعيان ليبيا السراة وعل مسمع من جمهرة من الاعيان قائلا انني كنت أتحادث مع الجنرال الكونت (فولبي) أحد ولاة طرابلس وآل بحثنا الى أن تطرقنا لرمضان اشتيوي فقال الجنرال ان رمضان خدم ايطاليا خدمات جليلة لا تنسى من حيث لا يشعر بذلك وبهذا أسدى لنا أكبر معونة ألا وهى عداؤه للسنوسى لا تا لا نرى عدواً اعدالنا منهم ولا نرى صديقا أصدق من رمضان عندما نذكر موقفه هذا بغض النظر عن محاربته لنا .

له نار الى الحرب العامة الى أن يقول أرسل السيد احمد الشريف الى أنور باشا ناظر الحربية يومئذ وذلك سنة ١٩١٨ يطلب منه غواصة لنقله الى الاستانة فاستقلها بحاشيته الى تريستا ومنها ركب قطار الحديد الي (فينا) ومنها جاء الى الاستانة فاستقبله أهلها استقبالا فائقا واعظم السلطان محمد وحيد الدين قدومه وصادف ذلك بداية جلوس السلطان على عرش آل عثمان فاختار السيد المشار اليه لتقليده السيف فى الحفلة المعتادة لذلك فى جامع أبى أيوب الانصارى في الخليج الذى يسميه الاتراك (جامع سلطان أيوب) ولما دخل الحلفاء الاستانة أقام (بورسا) ثم لما احتلها اليونان تحول الي (قونيه) ثم ذهب الى حدود العراق العربي داعيا الى الوحده الاسلامية) الخ .

أعمال السيد احمد الشريف فى تركيا

لم يكن سفر السيد احمد الي تركيا ينسيه ما يفرضه عليه الواجب الوطنى نحو بلاده وأمته ولكنه نسى الى جانب ذلك أو تناسي أولاده وفلذة كبده الذين تركهم صغارا وزوجه وأعمال منزله الخاصة كما قد نسي ذلك من قبل وهو فى برقه فلم يفكر فيهم وهو في ميدان الجهاد من سنة ١٣٣٠هـ فمن ذلك التاريخ لم ينظر اليهم ولم يفكر فيهم وكل همه وتفكيره وشغله الشاغل نحو أمته ووطنه فقط ولهذا فلم يكن السيد احمد الشريف لنفسه أو لاهل بيته أو لاولاده فلا بيت له الا الوطن ولا أبناء له الا أهل الوطن فكان أولاده أقل أفراد الامة نصيبا فى أبيهم ، كان السيد احمد وهو بتركيا يكتب الكتابات لاهل الوطن يحثهم باتباع عاهلهم العظيم الامير الجليل السيد ادريس وكان اتصاله بالامير مستمرا وكان الامير هو وكيله على آل بيته، لما كان السيد احمد الشريف بالاناضول (ببلدة ازكي شهر) جاءه مصطفى باشا كمال ورجاله واحتفلوا به احتفالا عظيما وفى هذه الحالة دعى لمنصب خليفة الاسلام وحاول الداعون اقناعه ليقبل ذلك فأعرض ونأى وأبدا أعذارا لا يكون معها قبوله لعرش الخلافه وقد بذل السيد احمد الشريف جهودا جبارة لاخماد الثورة التى كانت ضد حكومة انقره فوفق بين الحكومة والشعب وقد التمس منه مصطفى كمال أن يذهب لبلاد الاكراد ليخمد الثورات

وليطفىء الفتن المستفحلة هناك فلبى الطلب عن طيب خاطر وسافر الى ديار بكر وماردين واتصل بالزعماء وجلة الرجال فسكن الثوراث واطفأ الفتن وقد دعاه رجال وزعماء القبائل العربية والكردية أن يبقى بينهم ويبايعونه سيدهم الوحيد فأبى ذلك ووفق بينهم وبين الحكومة وأزال بحكمته وسلطانه علي النفوس ماكان من سوء التفاهم ، هذا قليل من كثير قام به السيد احمد الشريف من الخدمات الجليلة لبلاده وللاتراك الي جانب ما قام به من جليل الخدمات للعالم الاسلامى لا يريد بذلك جزاءا ولا شكورا ولم يكن في يوم من الايام منخدعا بزخارف الدنيا وجلال الحكم وأبهة المال وعظمة السلطان ولكن السلطان الخالد الذى يريده والعظمة الباقية التي يهواها والعز الدائم الذى يصبوا اليه هو أن يرى الاسلام قد وصل الى المقام المحمود وتبوأ مكانه ويرى العرب جميعا قد اخذوا مقعدهم الذى يستحقونه فوق سطح المعمورة وبذلك يطمئن خاطره ويرتاح ضميره هذا هو السيد أحمد الشريف بطل التاريخ .

هذا هو السيد احمد الشريف بقية الرعيل الاول من السلف الصالح . هذا هو السيد احمد الشريف الذى نقش التاريخ اسمه في صفحات الخلود باحرف الابدية والاجلال والاكبار ، هذا هو القائل لانور باشا فى كتاب بعث به (ذكرتم أن الدولة العلية عينت لنا راتبا شهريا فلا حاجة لى بذلك وكل ما نطلبه من مولانا أمير المؤمنين المساعدة بالذخائر الحربية) هذا هو الرجل الذى عين نائب للخليفة وقائد للمجاهدين ومنح رتبة المشير من الدرجه الاولى ومنح النيشان العثمانى المرصع العلي الشأن ومنح الباشوية من الدرجة الاولى وعين وزير للسلطان بموجب فرمان مؤرخ ٢٨ محرم سنة ١٣٣٧هـ فكان نائب الخليفة وكان باشا وكان مشيرا وكان قائدا أعلا ورئيسا اعلا للمجاهدين بافريقيا وكان وزيرا فلم تغره هذه الالقاب ولم يذكر بها ولم تقترن باسمه فلا يذكر اسمه الا مجردا عن كل لقب لان التاريخ يعرفه بدون هذه الالقاب وعندما يذكر اسم (احمد الشريف) تتهافت عليه ألقاب البطولة ، الزعامه ، الفخر ، العبقرية العظمة ، الاجلال تهافت الظمآن على الماء البارد .

وفاة السيد أحمد

غادر السيد احمد الشريف تركيا الى الشرق العربي أثناء خلاف حصل بينه وبين مصطفى كمال الذي لم يرع في السيد احمد الا ولاذمة فقد اتهمه بالتشيع لبنى عثمان المتشردين وقد أوجس مصطفى كمال في نفسه خيفة من نفوذ السيد احمد الشريف واستحواذه على النفوس بطريقة غريبة مع مايظنه ويتوهمه مصطفى كمال من ميول السيد احمد الى آل عثمان فتنعكس الآية . ولذلك كتب الى السيد احمد يطلب منه مغادرة تركيا . تركيا التى لا تعرف العرب ولاتريد أن تعرفهم ، تركيا التي نسيت السيد احمد وما قام به السيد احمد وفى الحقيقة أن الذى تناسا هو مصطفى كمال لاتركيا ، غادر السيد احمد تركيا فزار الشام والحجاز ونجد واليمن فكان محل الاكرام حيثما حل وقد بالغ فى اكرامه والاحتفاء به سمو الأمير سعيد بن علي حفيد المجاهد الكبير عبد القادر الجزائرى اذ نزل السيد احمد الشريف في ضيافته فاقام له حفلة تكريم بلغ مأصرفه فيها ٢٠٠٠ جنيه واستقبله الامير سعيد في جمع من العرب لايقل عن ثلاث آلاف شخص وقد صدر الامر من الجنرال فيجان المندوب السامى الفرنسي بان يسافر السيد احمد الشريف الي حيث شاء فى ظرف ٢٤ ساعة فحاول الامير الجزائرى محاولات كثيرة ضد الامر ولكنه اخفق وقد زار السيد احمد القدس الشريف وجميع الاماكن المقدسة هناك ثم سافر الى الحجاز حيث حل ضيفا علي صاحب الجلالة الملك المعظم عبد العزيز آل سعود (١) وأخذ يتنقل بين المدينة المنورة ومكة المكرمة وبينما كانت بلاده تتطلع لما يقوم به فى وقت من الاوقات وتترقب الساعة التى يمكنه فيها العمل بعين الثقه والامل واذا بداعي الموت ينساديه ففى ١٠ من شهر مارس سنة ١٩٣٣ وافاه الاجل المحتوم أثر مرض عضال لم يمهله ففاضت روحه الطاهره

---

(١) اتصلت وكتابي تحت الطبع بسمو الامير سعيد الجزائرى فرويت عنه الكثير من المعلومات القيمه عن السيد احمد أثناء زيارته للشام ارجات ضمها لكتابي في الطبعة الثانيه لضيق الوقت .

راضية مرضية بعد أن حاربتـه السياسة الغاشمة حربا لم تعلن علي غيره ، فتركيـا امرته بمغادرة بلادها وفرنسا وبريطانيا منعتاه من البقاء فى الشرق العربى وزيارته وحكومة مصر أبت أن تسمح له في الدخول الى مصر حتي للتـداوى والعـلاج وهـكذا عاش السيد احمد الشريف يـعاني اهوال الاستعمار حتى توفاه الله فدفن بمقبرة البقيـع عند قدمي الامام مالك بن انس امام دار الهجره فعـلى روحه الطيبـة الطـاهرة رحمة الله وبركاته .

صدى الوفاه

نشر بمجلة اللطائف المصوره بعدد ٩٤٥ ٢٠ مارس سنة ١٩٣٣ مايلى

يوم ١١ الجارى نعت برقيات الحجاز السيد احمد الشريف السنوسى الكبير فكان لنعيه رنة حزن مرير اعادت الي الاذهان تلك الجهود الجبارة والتضحيات الغالية التى بذلها هذا الفقيد العظيم في نشر الاسلام وتثقيف أهل البيد ومكافحة الاستعمار الايطالى سنوات عديدة قضاها أرسخ مايكون ثباتا وايمانا فقد كان للفقيد نفوذ روحى عجيب استطاع به ان يعمم دعوته فى احشاء الصحراء وشمال أفريقيا وأعماق السودان ولما اغارت ايطاليا على طرابلس منذربع قرن ثارت نخوته الوطنية الدينية ووقف يدافع عن وطنه ودينه مثيرا روح العزم والقوة فى انفس العربان ثم انظم الى الاتراك ضد الايطاليين الا ان تركيا اشتغلت بالحرب البلقانية الثانية سنة ١٩١١ فضل الفقيد يناضل وحده في الميدان وصمد به مايزيد عن ثلاث سنوات استطاع خلالها بجلده ومضاء عزمه ويقينه مع قواته القليلة أن يقهر القوات الايطاليه المنظمه الكبيرة ويلحق بها الهزائم والخسائر حتى أرغم ايطاليا علي طلب الصلح معـه علي يد الخديوى السابق عباس حلمي فرفضه قائلا اني لا اصالح أبدا دولة مسيحية على شبر من أرض للمسلمين واستمر فى جهاده المستميت الي آخر سني الحرب العالميه حيث سافر الي تركيا وعرضت عليه الخلافة الاسلاميـة فرفضها لكراهيته للسياسه وبعد أن وضعت الحرب أوزارها التجأ الى بلاد الحجاز وظل فيها أربعة عشر عاما بعيدا عن وطنه محتفظاً بايمانه وتقشفه

ووطنيته الى أن لبى نداء ربه وله في القلوب أفعم الذكريات الخ .

وقد جاء فى المجلة المذكورة مايلي .

(المغفور له السيد احمد الشريف حفيد السنوسي الكبير خالق الدعوة السنوسيه في طرابلس وبرقه والصحراء الكبرى الذى وهب حياته الى الدين وأهله فحارب الايطاليين فى طرابلس والانجليز فى الواحات المصرية ووقف الى جانب الكماليين ضد اليونان ثم برح تركيا الى الاراضي المقدسة حيث يتعبد هناك الى ان ادركته منيته وجاء فى مجلة الاتين عدد ٣٢٢ صحيفة ١١ الصادة بمصر مايلي .

أما السيد احمد الشريف فابرز شخصية فى الاسرة السنوسية بل أبرز الشخصيات الاسلاميه التى عرفت فى العهد الحديث فقد تولي رياسة الاسرة وايطاليا تحاول استعمار طرابلس وكانت ولاية عثمانيه وقد حاربت تركيا ايطاليا فى طرابلس مدة من الوقت وكانت تعانى أهوال الدسائس والفتن والضعف فصالحت ايطاليا علي طرابلس والقت الى السيد احمد الشريف مقاليد الحكم فى هذه الولاية بارادة سنية من السلطان محمد رشاد الخامس وقد نهض السيد السنوسي بمهام امارته وضيق الخناق على ايطاليا وأصلاها ناراً حامية حتى اضطرت أن توسط فى الامر سمو الخديوي عباس حلمي وعرضت شروطاً للصلح ولكنه رفض ذلك بكرامة ومضي فى جهاده حتى وقعت الحرب الماضيه وقد لقي السيد احمد الشريف السنوسي من العنت والضيق ما لم يلقه الكثير من المجاهدين والأحرار وكان بعض أهله لايطيقون الجهاد ولكنه بقي صامداً للخطوب في شجاعة فذة وإيمان قوى وذهب إلي تركيا فى غواصة ثم عاد إلى طرابلس (١) وأخيراً مضي إلى مكة وفى هذا البلد المقدس توفى هذا الرجل العظيم الذى مجد التاريخ اسمه واستحق البطولة الخ :

أعلنت ايطاليا وفاة السيد احمد الشريف على لسان وزير مستعمراتها وقتذاك الجنرال دى بونو داخل قاعة المجلس الفاشيستى المنعقد حينذاك فقال : مات السيد أحمد الشريف السنوسي بالحجاز متأثراً بالشلل وبموته ماتت جميع مخاوفنا فى افريقيا وقال

---

(١) لم يعد السيد أحمد إلى طرابلس بعد أن سافر إلي تركيا سنة ٣٣٦ هـ إلى أن توفاه الله بالحجاز فربما تكون اشارة المجلة لعودته هفوة مطبعية :

أيضاً مامعناه ان موت هذا الرجل العدو اللدود لنا يجعلنا نطمئن لجميع أعمالنا ومقاصدنا التمدينية فى شمال أفريقيا (٢) وقد كتبت أكثر الصحف الايطاليه يومية كانت أو أسبوعية فى فصول عقدتها خصيصا حول تصدع ذلكم الصرح العظيم . أما في برقة فقد أعلنت وفاته بجريدة (بريد برقة الأسبوعية) وكان رئيس تحريرها عمر بك المحيشى الذى لم يستطع أن يأتي بأى تعليق حول الوفاة وبالرغم من شدة الرقابة وكون الجريدة حكومية نجد تحت ذلك الاعلان (وفاة السيد أحمد) ووراء كل حرف منه شعور كل فرد من أفراد الأمة الفياض نحو فقيدها العظيم فبكته جميع الأمة في صمت وذهول إذ لايستطيع أى فرد من أفرادها الظهور بذلك كما لايستطيع والحالة هذه اخفاء شعوره المسيطر وهنا اجتمع الضدان رغم القاعدة المعروفة (ضدان لايجتمعان) بكته الأمة بأجمعها في شتي صور البكا ، بكاه ساكنوا المدن وهم القريبون من مراكز ايطاليا وتحت متناول يدها وعلى مرأى ومسمع من مخبريها ، وبكاه الشعراء والمغنون فى شيء من اللغز والطلاميس داخل أغنياتهم وأشعارهم ، وبكى فى أبيات قديمة من الشعر أخذت ترددها الالسن وبكته النساء لمناسبة ذكرى أمواتهن القدماء فاخذن يتغنين فى ذلك حتي يعرف أدباء لغة البدو أن المبكا عليه هو السيد أحمد الشريف واطنبن في وصف المجهول الذي أخذن يبكينه بما هو جدير به وبكاه الرعاة في الفلا واشترك في البكاء عليه جميع أفراد الامة بمختلف أنواع البكاء . أما في الشرق العربى فقد نعته أغلب الصحف بأقلام أكابر الشعراء والكتاب ومن بينهم أمير البيان الامير شكيب ارسلان وسعادة عبدالرحمن عزام باشا فقد كتب فصلا تاريخيا عن السيد احمد نشرته جريدة البلاغ الغراء الصادرة بمصر وقد ابنه الشاعر الكبير الاستاذ احمد محرم المصرى بقصيدة خالدة والكثير غيرهم من أدباء وشعراء الاقطار العربية :

---

(٢) كان وزير المستعمرات قد أعلن موت مخاوف إيطاليا بموت السيد احمد الشريف الا انهم لم تمت فها نحن نجد الجنرال غرسياني والي برقة وقتذاك يعلن مخاوفه من بقاء سمو الامير السيد ادريس السنوسي في تقرير بعث به فى إلي حكومة روما خاص بتلك المخاوف ومن جملة ماقاله هذه الجملة الآتية (اذا أردنا أن نقضى مرة واحدة على العصيان يجب أن يغيب (ادريس) عن عالم الوجود فاذا مات هو مات معه التمرد والعصيان ،، يجب لتحقيق هذا أن نضغط علي مصر حتي تسلمه لنا أو نقضي المهمة من وراء الستار الخ)

قال الاستاذ احمد محرم :

هتف النعي فما ملكت بياني ... ليت النعي الى الامام نعاني
فزع الحيطم وراع يثرب عاصف ... للموت ضج لهوله الحرمان
سهم أصاب المسلمين وجال في ... كبد الهدى وحشاشة الايمان
جرح الائمة واستمر فما ارعوى ... حتى استباح مقاتل الفرسان
ذهب الامام يقيم حائط دينه ... ويراه انفع ما يقيم الباني
ذهب المجاهد يشترى لبلاده ... عز الحياة باشرف الاثمان الخ

ويقول أمير الشرف الاستاذ عبد القادر المجددى الافغانى نزيل الحجاز من قصيدة عصماء يؤبن السيد احمد الشريف :

الله أكبر ما هذه المصيبات ... ذابت لاهوالها منا الحشاشات
اعلام جيش الهدى قد نكست جزعا ... لما توالت من الايام صدمات
مات الذى كان للاسلام خير حمى ... رباه رحماك ما هذى الدهيات
من للبواتر من بعد الفقيد ومن ... للعشرفية ان صحت ملاقات
كانت تسيل دما واليوم من جزع ... من عين افرندها تنهل دمعات
قامت قيامة دين الله في بطل ... قامت لنصر الهدى منه قيامات
فاسلم الروح غاز في سبيل علا ... عليه من ربه الاعلي تحيات
مجاهد أعظم لبى الندآ وله ... بارض طيبة حصن الحديقات

إلى أن يقول :

عم المصاب واصم الخطب وأكبدى ... اني التفت فأنات وآهات
فرائص القلب من هول المصاب غدت ... وجفى وفاضت من العينين عبرات

ومنها :

كانت حياتك أنوار لناظرها ... وفي مماتك للرائين ظلمات
وفى بقائك آثار لسالفنا ... وفى فنائك للاخري اشارات
سماء وجهك طالعناه قد وضحت ... من الكرام الالى فيه العلامات
مجاهد قمت عن دين الاله وقد ... لبت نداك من الاسلام اصوات

ففي سبيل الهدى والدين قمت وقد ... شدت اليك باخلاص مطيات
كل يجاهد لكن دون غايته ... لذا تفاوت بالاخلاص غايات
شاهدت فيك خلوص الدين حيرني ... هل كنت بالذات أم كانت بك الذات
ثبت فى الله ايماناً بلا طمع ... مازحزحتك عن الاخلاص صدمات
ولا انخدعت لميثاق العدا كذبا ... ولا استمالتك نحو (الصفر) رنات
ذببت عن حوض هذا الدين متكلا ... على الاله فوافتك الشهادات
في الغرب في الشرق فى الاسلام فى عرب ... بطن الصحائف من ذكراك آيات

نفثات الشعراء تشارك قراع السيوف

نسوق هنا بعد قصائد الشعراء فى الحرب السنوسية الايطالية

من قصيدة لاحمد الكاشف بن ذي الفقار مايلى

ومن البلية أن تقوم وحوشكم ... فوضى المخالب تدعي التمدينا
يا مغرب الاسلام فيك تعلة ... تسلى أخاك المشرق المغبونا
وبقية الاسلاب فيك مذكر ... ومحرض لحماتك الباقينا
لحقت بتونس والجزائر بغتة ... مراكش فليكها الباكون
وأبت على العادى طرابلس وما ... تخذت سوى مهج الاباة حصونا
عربية زهراء يحمي خدرها ... عرب كما تحمى الليوث عرينا

ومنها : يأخت مصر وفى حشاها جمرة ... لبيك حتي يكتفى الداعون
بعثت اليك بزادها وتود لو ... بعثت اليك الجند مبتدرينا
والنيل لو ملكت اعنته جري ... خلف القلوب مودة وحنينا
هل بعد ماجاد الوفى بروحه ... يتلمس التصديق والتأمينا
يا حبذا (عمر) الجليل موفقا ... للصابرين الثابتينا معينا (١)

---

(١) الامير عمر طوسون

وحنان (أم المحسنين) لفيضه ... بسماحها ونوالها مقرونا(٢)
ياليتني سايرت بعثتها عسى ... أأسو جريحا أو اغيث طعينا
وأطوف بالشهداء في ميدانهم ... فاهز شم لجباله تأبينا
وأرى النفوس الحائمات على الوغي ... من بعد ما لحقت بعليينا
وعزائم الابطال حول حماهم ... مشدودة وهزائم الطاغينا
يا آل (رومة) تطلبون أمانيا ... خيالة أم تطلبون منونا
جئتم تجرون الحديد ورحتم ... بحديدكم في أليم مغلوبينا
ورقصتم فيه سكاري فارقصوا ... في الليلة السوداء مذبوحينا
لئن استفزكم صليل سيوفكم ... فلقد تبدل زفرة بأنينا
نهم على نصحائكم وأبيتم ... فالآن تنحصكم لظي الراءينا
هاتوا الذئاب الى الليوث فخمسه ... منهم أبادوا منكم خمسينا
واستجمعوا حيلكم ونسوركم ... فالصائدون هناك مرتقبونا
واستكثروا الزاد الشهي فانكم ... وسلاحكم والزاد مأخوذينا
لم يبق منهم معسر أو أعزل ... بعد الذى غنموه منتصرينا
فكلوا من الزقوم ان جاوزتم ... حد الاساري واشربوا الغسلينا
واستكملوا المدد الكبير بفتية ... سيقوا الى الهيجاء هيا بينا
سيموت خوفا يوم يشهد هولها ... من لم يمت قبل القتال جنونا
احسبتم بطحاء برقة حانة ... لكم وغزو القيروان مجونا
أعياكم بأس الحماة فرحتم ... تشفون علتكم من الثاوينا
مثلم بشيوخهم ونسائهم ... وذبحتم الاطفال جيارينا
وخشيتم شمم الاسير وكبره ... ففتلتم المأسور والمسجونا
غضبت عليكم أرضكم وسماكم ... والدين لو تدرى العقارب دينا
وتنكرت لكم وجوه صحابكم ... وتبدل الحلفاء لوامينا
هل ترفعون رؤسكم بعد الذى ... أخزاكم أم تفتحون عيونا

---

(١) والدة الخديوى عباس

يا قائد الاسطول تلك بحارهم ... أأمنت أعماقا لها ومتونا
اثقلته بالدارعين فعد به ... ملان من أشلائهم مشحونا
وإذا وصلت الى مراسيه التي ... وهنت فانك أبلغ الناعينا
احمل الى القوم اليقين فانهم ... ملئوا هناك خديعة الروايا

قصيدة أمير القوافي الاستاذ معروف الرصافي :

الا انهض وشمر أيها الشرق للغرب ... وقبل عر ار السيف واسل هوى الكتب
ولا تغترر ان قيل عصر تمدن ... فقد بان ما قالوه من اكذب الكذب
ألست تراهم بين « مصر وتونس » ... اباحوا حمى الاسلام بالقتل والنهب
وما اقصد (الطليان) بالذنب وحدهم ... ولكن جميع الغرب اقصد بالذنب
فلولاهم لم ينقض العهد ناقض ... ولا ضاع حق في طرابلس الغرب
بلاد غدت في الحرب تندب أهلها ... فتبكي وتستبكي بنى الترك والعرب
قد اغتالها الطليان وهي بمضجع ... من الانس لم يفضض برعب على الجنب
فما انتبهت الا لصرخة مدفع ... وما نهضت الا الى موقف صعب
فأمست وأفواه المدافع دونها ... تمج عليها النار كالو ابل السكب
صواعق من سحب الدخان تدكها ... وتنفسها نسف الزلازل للهضب
غدت ترمى فيها أصيل وبكرة ... فلا يابسا أبقت ولم تبق من رطب
وما ان شكت من عضة الحرب أهلها ... ولكنهم شاكون من عضت الجدب
فما خففت عنها الهياج قلوبهم ... ولا أخذت أعصابهم رجفة الرعب
ولكن جرت نكب الرياح بأرضهم ... فجرت عليهم كلكل اللجج الشهب
يعز علينا أهل برقة أنكم ... تدور عليكم بالدماء رحى الحرب
وأنا اذا ما تستغيثون لم نجد ... اليكم على بعد المسافة من درب
وقد علم الاعداء ان سيوفنا ... تعامل في الاغماد شوقا الى الضرب

ولكن هو البحر لذى حال بيننا ... فلم نستطع زحفا على الضمر الغلب
فلولاه فاجأنا العدو بفيلق ... يبين ضحي من هوله مطلع الشهب
فيا بحر فاجمد وانظران جيوشنا ... عليك غدت كالبحر يزخر بالعتب
ويارب قد ضقنا فهل لك طاقه ... لحمل منايانا الى المعرك الرحب
الى خير أرض داسها شر معشر ... بارجلهم قطعن من ارجل جرب
نراك على بعد تسامين ذلة ... فيحزننا ان لم نكن منك بالقرب
(امام العلا) فى أرض برقه اتتا ... لتشرق من جراك بالبارد العذب
وما نحن الا الليث شدت قيوده ... والقي حياً شبله فى فم الذئب
يرى الشبل مأكولا فيزأر موثقا ... ويضرب كفيه علي الارض للوثب
فلا يستطيع الوثب الا تطمئا ... وزارا وانشاب المخالب فى الترب
وياهل (بنغازي)سلام فقد قضت ... صوارمكم حق المواطن فى الذب
حميتم حمى الاوطان بالموت دونها ... وذاك بما فيكم لهن من الحب
ومن مبلغ عنا (السنوسى) أنه ... يمد لهذا الصدع منه يد الرأب
فانا لنرجوا أن يقود الى الوغى ... طلائع من خيل ومن ابل نجب
فيحمى بلاد المسلمين من الردى ... وينهض كشافا لهم غمة الخطب
فان حشا الاسلام أصبح داميا ... الى الله يشكواقلبه شدة الكرب
فقم أيها الشيخ «السنوسى» مدركا ... جنود بنى (عثمان) في الجيل الغرب
وكن أنت بين الجند قطب رحي الوغى ... وهل من رحى الاتدور علي قطب
ويا معشر الطليان قبحت معشرا ... وقبحت ياشعب الاسافل من شعب
تركت وراء البحر مزحف جيشنا ... واججت نارا في (طرابلس) الغرب
أتحسب هاتيك الديار وقد خلت ... من الجند تخلو من ضراغمة غلب
فما هى الا أرض أكرم معشر ... من العرب لم تنبت سوى البطل الندب
سترجع عنها بالفضيحة ناكصاً ... وتذكرك الايام باللعن والسب
مشيتم الينا معجبين بجيشكم ... تظنون حرب المسلمين من اللعب
فلما حللتم أرضنا ذقتم الردى ... باسيافنا حتى صحوتم من العجب

سلبكم ثوب المخازى ضافيا ... ونحملكم منها على مركب صعب
ونستمطر الاهوال حتى نخيضكم ... بسيل دم فوق البسيطة منصب
وما دعوة (البابا) لكم مستجابة ... فقد اغضبت طغواكم غيرة الرب
أجل أنكم أغضبتم الله فاتقوا ... وان رضيت تلك الحكومة فى الغرب
ايا زعماء الغرب هل من دلالة ... لديكم على غير الخديعة والكذب
تقولون أن العصر عصر تمدن ... أمن ذا لكم قتل النفوس بلا ذنب؟
الم تبصروا القتلى تمج دماؤها ... على الارض والجرحى يؤنون فى الحرب

أفى الحق ام فى العلم الا يسوءكم ... ويخجلكم شن الاغارة للغصب
وهل اغلقت هذه العلوم قلوبكم ... بأغلفة قدت من الحجر الصلب
كذبتم فان العصر عصر مطامع ... تقدها الاوداج بالصارم العضب
فلا تغضب الاسلام أن سيوفهم ... مواض كما قد كن فى سالف الحقب

وقال الاستاذ الاديب فؤاد باشا الخطيب :

فيم الجمود وجرعاء الديار دم ... الحرب — الموت — أين السيف والعلم؟
يا آل عثمان من ترك ومن عرب ... هبوا فقد صرخت تحت الثرى الرمم
الله أكبر انى قد سمعت لها ... صوتا تزلزل منه البيت والحرم
يا للخلافة قد ضاقت محارمها ... يا للمروءة والمظلوم متهم
أين الصواعق ينشق الفضاء لها ... حتى تقض لها العقبان والاكم
أين الفيالق تقض الحتوف بها ... حتى تضج لها الاحقاب والامم
أجدادكم يا رجال الشرق ترقبكم ... لا الغيب يحجبكم عنهم ولا العدم
تالله ماعودوكم ان يلين لكم ... عزم ولا هكذا الاسلام والهمم
لا تركنو وبنو الطليان تطلبكم ... هل بينكم صلة أم بينكم رحم!
صونوا (طرابلس الغرب) انصروا بلدا ... حامت على أهله العقبان والرخم
فالارض راجفة والشمس كاسفة ... والبر مضطرب والبحر مضطرم
لهفى على الشرق قد زالت مهابته ... لهفى على المجد كيف المجد ينهدم؟

يايها العرب الاحرار هل وهنت ... تلك العزائم والاخلاق والشيم
متى يسد فضاء الارض عسكركم ... متى يهز اللواء المفرد العلم ؟
فالجو اكدر والاوطان صائحة ... أين الاجنة والاخوان أين هم ؟
لم يبق أهل ولادار ولا وطن ... الا الوحوش على الاسلاء تزدحم
هل تحجمون وحبل الدين منصرم ؟ ... أم تجزعون وفيكم ذلك الشمم ؟
اخوانكم يابنى الانسان تسألكم ... عطفا وان تبخلوا فالله منتقم
لاتجعلوا القول عونا فى الخطوب لكم ... أين الفعال وماذا تنفع الكلم ؟
ياصاحب السيف والاجال واحدة ... اسرع إلى الحرب لازلت بك القدم
ياصاحب المال والأموال بائدة ... بادر إلى البذل لاضاقت بك النعم
لاتطلبوا من بنى الطليان صالحة ... ان الرزية فى أرجائهم غمم
لوشاء ربك لم يجعل لهم رصدا ... في أرضهم كيف صاروا فوقها وحموا
آلوا على نفسهم الاتجاورهم ... الا البراكين والنيران والحمم
هل يذكرون وقد سال البنان ندى ... منا عليهم أم الذكرى لها ألم
قالوا الحضارة والدنيا تكذبهم ... والعدل ينكرهم والفضل والكرم
فلا الشرائع والاديان نرجعها ... إلى الصواب ولا الاخلاص تحترم
يادهر فاشهد لدى التاريخ ان كذبت ... أهل السياسة واصدق أيها القلم

وقد عثرت على هذه القصيدة الآتية فى مجموعة والدى ولم أقف على اسم ناظمها ويقال ان قائلها ليبى

حيا الاله ببرقة الابطالا ... خذلوا العدو وأوسعوه نكالا
أسد اذا دعت الوغى أبناءها ... نفروا خفافا للوغى وثقالا
الناهضون المقعدون بعزمهم ... الضاربون الهام والاوصالا
شوس إذا حمي الوطيس تدافعوا ... باليأس حزما والرماح طوالا
دول السلام على السلام تحية ... ان كان تأويل السلام نزالا
في أى دين أو كتاب منزل ... فيه أبي قتل النفوس حلالا
والصلح خير تصلح الدنيا به ... وبه عباد الله تنعم بالا

لم تقتصد (روما) بخطتها ولم ... تترك لعقد الصلح ثم مجالا
وطغت وعاثت فى البلاد بظلمها ... ولكل حال أوجدت أشكالا
هل منصف والحق أبلج واضح ... والعدل يملك للزمان عقالا
ان كان بالظلم اتساع ممالك ... فالظلم يهدم كل ملك طالا

إلى أن يقول

من كل وضاح الجبينين مجاهد ... نور اليقين بوجهه يتلالا
عرب اذا دفعوا الجياد لغارة ... هزوا العباب وخضخضوا الاوشالا
هذى طرابلس وفعل سيوفها ... ضرب العدى لاتعرف الاقوالا
هرع الطموع لضمها جهلا بها ... هيهات قد طلب الطموع محالا
أبنى طرابلس حفظتم ملككم ... يوم النزالا وصنتم الاعمالا
بيضتم وجه الحمى وملأتم ... عين العباد مهابة وجلالا
قد أقبلت أيام دولتكم بكم ... فاستقبلوا الايام والاقبالا
تيهوا على الدنيا فخارا واسبقوا ... يوم الفخار وجردوا الاذيالا
قد خلد التاريخ ذكر فعالكم ... ان الزمان يخلد الافعالا
من مبلغ عنا الأنام جميعهم ... ومخبر الايام والاجيالا
ان السلامة في سلامة موطن ... نقف النفوس عليه والاموالا
وإذا أراد الله بين عباده ... اصلاح حال غير الأحوالا
(لاهاى) من أين الوفاء وهذه ... نار الحروب تشيب الأطفالا ؟
أبرمتم عهد الوفاء وصحتم ... بين الملا ان التوحش زالا
مابال (رومة) تنقض العهد الذى ... أبرمتم وتجدد الاهوالا
ماذنب (برقة) تفترى وثغورها ... التى عليها الطامعون حيالا
لاتنتهى طول الحياة مطامع ... ان المطامع تقطع الاجالا
شر الانام على الانام طغاتهم ... الشاهرون علي الانام قتالا
(ايطاليا) عشقت فاتحلها الهوى ... والعشق يجعل من يحب خيالا
عشقت (طرابلسا) وكم من عاشق ... يقضى عليه ولاينال وصالا

جاءت (باسطول) وخالت أنها ... تجني به نفعا فجر وبالا
وأتت بكل محلق من صنعها ... يلقى الرجوم تخالهن نبالا
جهلت وماعرفت بان حروبها ... جلبت عليها الخنف والاذلالا

ويقول شاعر النيل حافظ بك ابراهيم

طمع الق على الغرب اللئاما ... فاستفق ياشرق واحذر أن تناما
واحملي أيتها الشمس إلى ... كل من يسكن في الشرق السلاما
واشهدي يوم التنادى أننا ... فى سبيل الحق قد متنا كراما
مادت الارض بنا حين انتشت ... من دم القتلى حلالا وحراما
عجز الطليان عن أبطالنا ... فاعلوا من ذرارينا الحساما
كبلوهم قتلوهم مثلوا ... بذوات الخدر طاحوا باليتامى
ذبحوا الاشياخ والعجزى ولم ... يرحموا طفلا ولم يبقوا غلاما
احرقوا الدور استحلوا كلما ... حرمت (لاهاي) في العهد احتراما
بارك المطران فى أعمالهم ... فسلوه بارك القوم علام ؟
أبهذا جاءهم انجيلهم ؟ ... آمرا يلقي على الارض السلاما
كشفوا عن نية الغرب لنا ... وجلوا عن أفق الشرق الظلاما
فقراناها سطوراً من دم ... أصبحت تلتهم الشرق التهاما
اطلقو الأسطول فى البحر كما ... يطلق الزاجل فى الجو الحماما
فمضى غير بعيد واثني ... يحمل الانباء شؤما وانهزاما
قد ملانا البر من أشلائهم ... فدعوهم يملؤا الدنيا كلاما
اعلنوا الحرب واضمرنا لهم ... أينما حلوا هلاكا واختراما
خبروا (فيكتور) عنا انه ... أدهش العالم حربا ونظاما
أدهش العالم لما أن رءى ... جيشه يسبق فى الجرى النعاما
لم يقف بالبر الا ريثما ... يسلم الارواح أو يلقي الزماما
حاتم الطليان قد قلدتنا ... منة نذكرها عاما فعاما
انت أهديت الينا عدة ... ولباسا وشرابا وطعاما

وسلاحا كان فى أيديكم ... ذا ملال فغدا يفرى العظاما
اكبروا النزهة في أحيائنا ... وربانا أنها تشفى السقاما
وأقيموا كل عام موسما ... يشبع الايتام منا والايامى
لست أدري بت ترعى أمة ... من بنى الطليان أم ترعى سواما ؟
مالهم (والنصر من عاداتهم) ... لزموا الساحل خوفا واعتصاما
افلتوا من نار (فيزوف) الى ... نار حرب لم تكن أوفى ضراما
لم يكن (فيزوف أدهى حما ... من كرات تنفث الموت الزؤاما
ايه يافيزوف ثم عنهم فقد ... نفضت أفريقيا عنها اللئاما
فهى بركان لهم سخره ... مالك الملك جزاء وانتقاما
لو دروا ماخبأ الشرق لهم ... أثروا فيزوف واختاروا المقاما
تلك عقبى كل جبار طغى ... أو تغالا أو عن الحق تعاما
تلك عقبي أمة غادرة ... تنكث العهدولا ترعي الذماما
لو درت رومة ماقد نابها ... فى (طرابلس) ابت الا انقساما
وأبي كل اشتراكي بها ... أن يرى التاج على رأس أقاما
اعلنوا ضم مغانينا إلى ... ملك فيكتور ولم يخشوا ملاما
اعلنوا الضم ولم يقتحموا ... قيد اظفور وراءا واماما
فاعجبوا من فاتح ذى مرة ... يحسب النزهة فى البحر صداما
ويرى الفتح ادعاء باطلا ... وافتراء واحتجاجا واحتكاما
أيها الحائر في البحر اقترب ... من حمى (البسفور) ان كنت هماما
كم سمعنا عن لسان البرق ما ... يزعج الدنيا إذا الأسطول عاما
عام شهرين ولم يفتح سوى ... هوة فيها الملايين تراما
دفنوا تاريخهم في قاعها ... ورموا فى أثره المجد غلاما
فأطمأني أيم الشرق ولا ... تقنطى اليوم فان الجد قاما
ان في أضلاعنا أفئدة ... تعشق المجد وتأبي أن تضاما

ويقول الاستاذ الكبير مصطفي صادق الرافعى

من الصواعق لا يبقي ولا يذر ... اذا انتضاه لاهل النقمة القدر
يرمى به الله رجما لا يقوم له ... هام الشياطين الا ريث ينحدر
فى حده من شعاع الموت بارقة ... يموت من هولها فى الضربة النظر
تمبح أطرافه يوم الوغى شررا ... يضيء للموت والارواح تستتر
فلا يباريه الا لحظ حامله ... ولا يجاريه الا الموت يبتدر
سيف تجرده الدنيا لمن جحدوا ... بأس الاوائل حتي يشهد الاخر
فكلما بلي التاريخ جدده ... وكلما كاد ينسى أهله اذكروا
سيف الطبيعة تنقض الطبيعة فى ... آثاره وبها من غيظها زور
فترجف الارض من أجبالها انفصلت ... إذا جنود بنى عثمانها انتشروا
ويعصف الجو من أنفاسه التهبت ... إذا هم لاشتياق الحرب قد زفروا
وتسأل الشهب رب الكون يرسلها ... هدارة كبنى عثمان ان هدروا
يارامى الشهب بالاحجار تحسبها ... كالشهب هيهات ينسى طبعه الحجر
جاءوا الينا سوادا كالدجي فبدا ... من بيض أسيافنا خلف الدجى السحر
والليث يكرم ان يلوى على جيف ... وربما هان فيها الناب والظفر
جاءوا الينا كجيش النمل منسربا ... وفيهم بعض أبطال ولاضرر
يقود كل كمى منهم أمل ... فى طيه أجل يقضان ينتظر
خاطوا لاجسامهم من نقمنا كفنا ... فان أسيافهم فى حربنا ابر
أسطولهم أم كلاب البحر تنبحنا ... أم الضفادع قد ضجت بها الغور
هذا وذاك سواء فى طرابلس ... والكل فى مسمعى صحرائها هذر
ان البعوضة في الصحراء أضخم من ... أسطولهم ولها من دونه اثر
ياويلها حومة كانت وطيس وغى ... فصيروها سباقا حينما انكسروا
ظنوا القيامة فيها قد بدت لهم ... وبرزت لادهاى ربها سقر
فما السيوف تهادت فى جوانبها ... الا جهات سماء الله تنفطر
وما القنابل تهوى بينهم كسفا ... الا النجوم بأمر الله تنكدر

وما الفوارس من ترك ومن عرب ... الا زبانية لله قد نفروا
هم حاربوا الله يوما ثم انهزموا ... فكيف لا يقبل العذر الذى اعتذروا

الى أن يقول

ومن رقابهم فى الجو أعمدة ... وفوق كل عمود فى السما قمر
وتحت أرجلهم قاع المحيط ومن ... أطراف أيديهم يسترسل المطر
وكان فيزوف فوق الماء بارجة ... وخلفه كل بركان سينفجر
واقبلوا ولهم هذى القلوب وما ... صدوا عدوا ولا فازوا ولا انتصروا
لابد من ثورة رجافة حنقا ... هوجاء لا نظر فيها ولا فكر
يمشي بها الموت مجنونا وكيف خطا ... فليس الا قبور ثم تحتفر
لابد من عضة ان ثار ثائرها ... على الشياطين من جن الفلا ذعرو

ثار تكفل منه كل منتقم ... على البلاد الذ يمضي به الخبر
ثار تعاظم فيهم أن يقال له ... ذنب مخافة ان الحلم يقتصر
ثار العرين إذا جاعت ثعالبه ... فلم يرى الشبل فيه الضيغم الهصر
ثار اليتامى وثار الثأكلات وثا ... رالحذر ينعي وثار العرض يشتهر
واهاً لها غدرة تخزى النساء بها ... لو تغدر امرأة يوما كما غدروا
يالرجولة من قوم اذا انفردوا ... بالطفل يلعب ردوا الطفل يحتضر
يالفضيحة من قوم اذا انفردوا ... بالبائسات غدت اكفانها الازر
يالشهامة من قوم اذا انفردوا ... بالشيخ يرعش لم يعطفهم الكبر
يالمروءة من قوم اذا نظروا ... للمستغيث بهم فى موته سخروا
يذبحونهم ثارا لمن فقدوا ... فالان قد ربحوا اضعاف ماخسروا
هم يخسرون سوى أشباههم وهم ... معرة الارض أن قلوا وان كثروا

ومنها يصف الجندى الايطالي :

يلقى المهند خوفا أن يجد به ... جد الذهول فعند اليأس ينتحر
وان تقحم منا الغمرة انقلبت ... عيناه رعبا فما يهدى له البصر
وفر لا فزعاً منا ولاجزعا ... لكن خبال وجبن منه مبتكر

يا أمة النحت والتصوير ويحكم حتى جنودكم الانصاب والصور

نشيد المجاهدين سنة ١٩١١ :

يا دولة الطليان بل يا عصبة الاعداء هل
أبقي القضا لما نزل بالله كم نجم فل
البستموا روما الحداد

يا فتية الطليان قد مال القنا فيكم وقد
إنا إذا الحرب اتقد نمشي ولا نخشى عدد
لا لا ولا نأبى الجهاد

من حربنا يا ويلكم افعالنا (أفعى) لكم
ولت هبا أموالكم هل غركم أسطولكم
أم ضلكم أمر الحياد

أسد الشرى لا تنكر نحيا ويحيا «أنور»
سيف (السنوسي) القسور ماض ففروا وانقروا
دون البقا خرط القتاد

نحن كماة الغاب لا نلهوا بأكواب الطلا
قوم لنا قدر علا نصر من الله علي
جيش تولاه الفساد

نشيد العلم من شعر الاستاذ محمد بشير المغربي شاعر الشباب سنة ١٩٤٣ م :

رفرف كأجنحة النسور فوق الشوامخ والقصور
فلك المكانة في الصدور يا أيها العلم النضير
يحيا الامير (ثلاثا) عاش الامير

رفرف فانت شعارنا وإلى الامام منارنا
بك علقت أبصارنا وإليك بالفخر نشير
يحيا الامير (ثلاثا) عاش الامير

إن الهلال مبشر والنجم عهد نير

أما السواد مذكر ولطالما انتفع الذكير
ادريسنا وأميرنا انا بنوك فثق بنا
لبيك حتي للفناء من كل حادثه تغير
يحيا الامير (ثلاثا) عاش الامير
نحن الشباب الناهض وإلي المفاخر راكض
بالأمس جاش رابض واليوم قد آن المسير
يحيا الأمير (ثلاثا) عاش الأمير

وللاديب الاستاذ أحمد محرم من قصيدة عصماء نشرت بالمؤيد :

رويدا بنى روما فللحرب فتية تهيج الظبي أصرابهم واللهازم
معمون فيها مخولون إذا اعتزوا تمتهم قريش فى الحفاظ وهاشم

إلى أن يقول :

الست ترى ذئبان روما ومالهم من الحتف في بطحاء (برقة) عاصم
إذا استنفروا أسطولهم لم يكن لهم من النصر إلا أن تثور الدمادم
وما عاب عهد العرب فى الناس عائب ولا لامهم يوما على الغدر لائم
ولا جاورتهم منذ كانوا مسبة ولا فارقتهم حيث كانوا المكارم

إلى أن يقول :

وما هى إلا غضبة فانطلاقة فوثبة ضار تتقيه الضياغم
ولولا آباء من نفوس أعزة اذا وطأت منا الجباه المناسم
وضاعت بلاد نام عنها ولاتها إلى أن تولاها المغير المهاجم
فقالوا يمين الله نسلم أرضنا ولما تزل أنجادها والتهائم
بهم من فنون الحرب ما تجهل العدا وتعرفه أسلابهم والغنائم
وقائع يمشى النصر فى سلباتها وسرب المنايا والنسور القشاعم

وللاستاذ الاديب حسن القاياتى من قصيدة عصماء :

يعز على الاسلام أشلاء جمة رماها بيلواه الزمان فلم يعد
أحل بقلبي لوعة كل سيد (ببرقة) لا ينفك يقتله وغد
بلاد تشكت طول حرب فجاءها من النبل وبل فى مواطده الرعد

أفي الرق أن يغتال في المهد راضع ... يكاد من الاشفاق يبكي له المهد
سحائب يمطرن المواعيد عدنة ... واقتل ما استسقي الظماء هو الوعد
(يرقه) وهد لا تعد تملئت ... بأشلاء قتلاهم فليس بها وهد
على مثل صرعى الحرب تهمل أدمع ... ويرمي الاسى في كل صدر فينقد
أفيضوا عليهم سجل جود فلا الندى ... بمستنزر منكم ولا بلكم ثمد
كفى سبة أن يستباح لنا أخ ... فنعابه والحادث النكر يشتد
الا أن في الاموال لو تبذلونها ... لحشد اذا ما قامهم منكم حشد
أهزكم للسير بالشعر هزة ... كما هز للسير المصاعيب من يحدو

ومن قصيدة للاستاذ الاديب محمد صبري :

جزى الله عنا أنوراً ان أنوراً ... معين (السنوسي) الذي كافح الردى
هما غارب للمكرمات وكاهل ... نسيبان طالا هامة المجد سؤددا

ومن قصيدة نشدها أحد إخواننا المصريين بين يدي الامير أرسلان بعد ما عاد من برقة إلى مصر :

علوج من الرومان شردها الوغي ... بمقفرة تيهاء كالفكر الشرد
لقد أمطرونا بالسلوك صواعقا ... من الزور والبهتان تنبو عن الحد
يشيمون ان شاموا من البرق صفحة
وان هم أصاخوا يسمعوا صيحة الرعد
فلا حي منهم يرتجون ومالهم ... من المحق والتدمير ثمة من يد
أخادع مغلوبين ما في نطاقهم ... سهام أطارت لبهم نزعة الحقد
يداجون أبصارا تساقط حولهم ... كأنهم الاجرام في موضع الرصد
نشدتك بالبيد التي كنت غيثها ... ترد عليهم كيدهم أكبر الرد
وتلج أكباداً نهيض من الاسى ... على سيد ندب وغانية نهد
عهدناك أوفى القوم في القول حجة ... وأنك في المجموع واسطة العقد

وللاستاذ الاديب محمود عماد :

ألا أيها النجدي الذي جاء من نجد ... بربك أين اليوم نحن من المجد !

أما قومت تلك القنا من قناته ... وطاحت عواديه على الصارم الهند
وهل قومنا في الحرب حرى قلوبهم ... ثقال على الاعدا خفاف على الجرد
وهل بينهم من ان تذأب كاشح ... لجائحة أغرى به سورة الاسد
وما حال زمناهم وما خطب شيبهم ... وما حال جرحاهم من الطرد والمرد
رأيتك روادا هناك وجائسا ... فانت خبير بالكثيب وبالوهد
لعل لصوص الروم لم يبلغوا منى ... سوى أنهم ساروا من الدار للحد
شجاهم بريق في (طرابلس) فارتموا ... وكان بريق الموت يقدح في الزند
اتوهم على متن السفين تزجهم ... يدا الموج والآمال في الجزر والمد

وللاستاذ حمزة الفقى الجهيني من قصيدة طويلة :

يا أرض برقة عن رجالك خبرى ... ماذا جرى للظالم المتجبر ؟
أخذوا بثأرك أم رضوا بمذلة ... عار على الشيخ (السنوسي) أو (أنور)
قالت سلوا زرق الاسنة والضبا ... ينبي المهند والقضيب السمهرى
أسد إذا حمي الوطيس رأيتهم ... ما بين مرتجز وبين مكبر
فكانما الاعداء أوغال الفلا ... صكت مسامعها بزأرة قسور

إلى أن يقول :

ماذا رأيت من الحروب وشرها ... يا جيش رومة لا تمين وخبر
حقا ذهبت وقد رجعت بنكبة ... وعلمت ما عقبى الظلوم المفتر
وبليت من عرب بكل سميدع ... يسعى الى الهيجا بنفس غضنفر
عصر التمدن أنت أم عصر الشقا ... لا كنت يا منهوم بين الاعصر
صيرت موج البحر نارا والهوى ... وجعلت أهلك فى لظي متسعر
وسللت سيف البغي لا متأولا ... أهراق ذاك الدم من ذاك البرى
وأباح شرعك أن يكون بلا مرى ... ملك المسالم مضغة المتجبر
يأمة بالبغي أغضبت الورى ... كفى عن المظلوم لا تتهورى

وله أيضا عندما وصل السيد أحمد الشريف إلى ميدان القتال وهى قصيدة طويلة تأتي منها بما يلى :

ياليت (جغبوب أتيت لبرقة ... والام ثكلي والدموع هوامى
والاسد فى كنف الهلال يظلها ... يابن البواسل والجروح دوامي
قدعودت أن لاتضام فخاطرت ... والعرب لا ترضاسوى الاقدام
والخيل تصهل والوجوه عوابس ... والطير غرثى والسيوف ضوامى
قل للصوص تشتتوا فأنا الذى ... أحمى الذمار بهمتى وحسامى

وله أيضا من قصيدة أخرى :

ولى نفس إذا مارمت أمرا ... تحمل جسمها يقوم مالا
فقالوا ماوهبت فقلت روحي ... وقالوا مابذلت فقلت مالا
ولى قلب (ببرقة) مشتهاه ... يميل مع (السنوسي) حيث مالا
ولى الله مقدام تقي ... إذا ماجئته شمت الجلالا

ومن قصيدة عصماء نشرت بالمؤيد بتوقيع «عربى» نقتطف منها مايلى :

الله أكبر سيف الحق مسلول ... على العصاة وأمر الله مفعول

إلى أن يقول

عم الاسود ونصل السيف مخلبهم ... كذا طرابلس الفيحاء غيل
يحمونها بسيوف لوينازعها ... سيف من الدهر يمضى وهومفلول
يصيح فيهم فتا الهيجاء انوريا ... سد اللقاء على أعدائكم صولوا
لا يعرف النوم في أجفانهم سكنا ... فان طرفهم بالسهد مكحول
فكيف يلجؤا وغاد قرانصة ... على ربوع عرين وهوماهول
سل عنهم أمة (الطليان) حين عدا ... بها إلي جيشهم طيش وتضليل
يامعتدين علينا فى منازلنا ... ذوقوا جزاءكم فالمرؤمسؤل
أمست (طرابلس) قبرا لكم فاذا ... بها مررتم فغضوا الطرف اوجولو
بالسيف يوخذ من بالسيف يأخذنا ... هذا الذي قاله من قبل انجيل
يآل عثمان رفقا بالعدا فلقد ... عدا وواهم ذل وتنكيل

وعاملوهم برفق كي نعلمهم سماحة الدين ان الدين تسهيل
ويابنى العرب الامجاد حسبكم فخر فمجدكم بالفخر موصول
صنتم طرابلس الغرا فحق لكم منا مدى الدهر اجلال وتبجيل
سيخلد الدهر فى التاريخ ذكركم كفاكم مدحة التاريخ مأمول

ومن قصيدة عصماء لحضرة الفاضل الاديب محمد بك أبو شادى عضو جمعية الهلال الاحمر المصرى نشرت بالمؤيد

لافارق النصر ابطالا حجاجحة ابلوا فاعلوا لصرح الحق بنيانا
كماة برقة والترك الاولى عرفوا لايرهبون غداة الروع فرسانا
صدوا العدو وفلوا من عزيمته فما أقام له من بعد أركانا

إلى أن يقول

اني وانى كاني فى طرابلس سمعت ماقتت الاكباد أحزانا
سمعت صوت جريح يستغيث بمن يزيل عنه تباريحا واشجانا
يئن فوق أديم الارض منسكبا من الدماء ينابيعا وغدرانا

العالم الاسلامى وبرقة

سبق أن ذكرنا عن (أنور باشا) وفاتنا الفصل الآني والآن نعالج أن نفى المقام حقه : انظر صحيفة ٢٦٥

بعد أن استمرت المعارك بين الطليان والعرب علي أبواب مدينة بنغازي ومدينة درنة وخاب أمل الطليان فى هذه الجولة الرياضية التي كانت لاتتجاوز خمسة عشر يوما في حسابهم والتى قدرها القائد الكبير والسياسى المحنك البريطانى (كتشنر) بثلاثة أشهر ، بعد كل ذلك علمت حكومة الاستانة ان الشعب الليبي جاد فى صموده ضد العدو وانه شعب جدير بالمساعدة وقد تعلق عليه الآمال بالرغم من استسلام ممثل حكومة الاستانة فؤاد مراد فبعثت الحكومة بانور باشا وكان وقتذاك (بك) وجاء إلى برقة عن طريق الاسكندريه كقائد عام وليجس النبض ويدلى بتقاريره بعد التحقق مما يراه ومعه قسم من الضباط فوصل يوم ٢ نوفمبر سنة ١٩١١ إلي معسكر درنة وقوبل من لدن رءساء الزوايا وشيوخ العشائر وجميع أهل القطر الذى يدين للخلافة بالحب الصادق والولاء المتين وبدأ القائد يتصل برءساء الزوايا وشيوخ القبائل وأعيانها ويستانس برأيهم ويشركهم بالفعل في كل كبيرة وصغيرة للدفاع عن وطنهم فوصل ببحوثه ودراسته للحالة عن كثب الى نتيجة واقعية وهي (ايمانه بالاعتماد علي أهل الوطن) وبذلك رفعت تقاريره إلى حكومته فاخذت وفود الضباط ترد من الاستانة كما أخذت الامدادات ترد منها وبدأت وفود المتطوعين من مصر والعالم العربى تترى لمساعدة اخوانهم عرب برقة ونضمت الادارة العسكرية والمدنية بصورة طيبة ومما ساعد على ذلك انقياد الأمة واتجاهها في سبيل واحد وإلى هدف واحد وتم تنظيم المعسكرات بصورة تدعو للدهشة. كان معسكر درنة عندما وصله أنور لايتجاوز (٩٠٠٠) مجاهد وفي يوم ٣٠ ديسمبر سنة ١٩١٢ كان عدد المجاهدين بمعسكر درنه (١٦٠٠٠) مجاهد وعلي الطريقة الآتية كان الترتيب :

أنور بك للقيادة العامة ومركزه معسكر درنه

مصطفى كمال (اتاتورك) لقيادة دور درنه
عزيز على المصرى باشا لقيادة دور بنغازى
ادهم باشا الحلبي لقيادة دور طبرق
شكرى بك دور دفنه
عصمت بك بناحية السلوم
نورى بك (غير نورى أخ أنور) أركان حرب
شوكت بك قمندان مدافع المترليوز
شكرى بك قائد للطبجية

ولم يطل الوقت حتي وصل عدد المجاهدون بطبرق ودرنه وبنغازى إلي الربعين الف وهذه القوة تؤزرها الأمة المحاربة بطبعها والتى لاتقل عن الجيوش النضامية قياما بالواجب فعند ما يشتبك الفريقان في معركة تجد الأهالي وقد نفروا خفافا وثقالا من منتجعاتهم إلى مؤازرة المعسكرات وكانت المواصلات التليفونية بين المعسكرات على أحسن مايرام وقد وصلت بعثة طبية من تركيا للقيام بواجبها الانسانى ثم وصلت البعثات الطبية التابعة للهلال الأحمر المصرى وقامت بواجبها خير قيام فأسدت للامة الليبية جميلا لاينسي ففي يوم ٧ ديسمبر سنة ٩١١ وصلت إلي برقة البعثة الطبية المصرية الاولي برآسة الدكتور عزت الجندى ومعه الضابط أحمد افندي عبدالرحمن من أعضاء البعثة ومراسل جريدة المؤيد الغراء ومحمد افندي رشدى كاتب وجودة الجندى صيدلي و٧ من الممرضين ، ومن بين أطباء بعثة الهلال الاحمر المصرى نصر بك فريد الذى كان قبل مجيئه لبرقة طبيبا لمرض العيون بالمنصورة ومحمد افندي كمال خريج مدرسة الطب بألمانيا .

وبعد ان تجمعت البعثات الطبية المصرية ببرقة صار ترتيبها علي الوجه الآتى .

(١) البعثة الطبية الخاصة بمنطقة بنغازى مؤلفة من الدكاترة أحمد بك حدى ـ حافظ عفيفي (باشا) سيد افندى شكرى ـ عبد الغني افندى زاهد ـ محمد افندى كمال
(٢) مركز للبعثه الطبية بدرنة
(٣) مركز للبعثة الطبية بمرتوبه

(٤) مركز للبعثة الطبية بدفنه

(٥) مركز للبعثة الطبية بطبرق

(٦) مركز للبعثة الطبية جنوب درنة ويبعد عنها ٧٠ كيلو مترا ينقل اليه الجرحى الذين يتطلب علاجهم وقتا طويلا :

ومن بين الاطباء أيضا الدكارة فكرت بك ـ احسان بك ـ نهاد بك ـ نبيل بك ـ عزيز بك ـ علي بك وربما يكونوا هؤلاء الاخيرون من بعثة الاستانة وسلانيك وهناك أطباء كثيرون من البعثات المصريه لم تتحصل علي أسمائهم وفي يوم ١١ فبراير سنة ٩١٢ احتفل رسمياً بافتتاح المستشفى الخاص ببنغازى فخطب الكثير من رؤساء الزوايا وشيوخ القبائل مشيدين بأعمال سمو الامير عمر طوسون وسمو والدة الخديوى (أم المحسنين) وسماحة الشيخ على يوسف رئيس جمعية الهلال الاحمر المصرى والامة المصرية حكومة وشعبا وفى يوم ١٥ يناير سنة ١٩١٢ أى قبل افتتاح مستشفى بنغازى وصل سمو الامير شكيب ارسلان على رأس البعثة الطبية التى كان عدد جمالها التى تحمل الاثقال من المؤن والادوية ٦٥٠ جملا يصحبه خمس أشخاص من أخص رجاله قد تطوعوا للجهاد ببرقة وهم . شلبي عبد الصمد ـ عجاج عبدالصمد ـ عباس عبد الخالق ـ شاهين عبد الخالق ـ يوسف أحمد فياض .

استمر القتال بين الطليان والعرب فى حالات مختلفة فمن هجوم إلى دفاع ومن كر إلى فر ومن مد الى جزر وكانت جميع المعارك الا ماقل منها وندر خلال سنة ١٩١٢ فى صالح العرب وكانت الكفة الراجحة لهم وكان المجاهدون ينظرون إلى أنورباشا بعين الاكبار والاعجاب لما تحققوه في شخصيته من اخلاص وشجاعة ونبل وتفاني في الواجب وكان يبادلهم هذا الشعور وهكذا حتي شهر نوفمبر سنة ١٩١٢ اذ توجه أنور باشا بالاتومبيل إلى الجنوب لمقابلة السيد أحمد الشريف والادلاء اليه بمايجب حيث تقتضى الحالة بسفر أنور باشا عقب الصلح كما فصلنا عن ذلك فى غير هذا المكان وفى يوم ٣ ديسمبر سنة ١٩١٢ وصل أنور إلى الاسكندرية فى طريقه إلى الاستانة ـ والشعب الليبي يحفظ له أعز الذكريات ويحي فيه الرجولة الحقة والاخلاص للوطن والنزعة الاسلامية الطاهرة .

ومن بين الاعمال الكثيرة التي قام بها أنور أثناء وجوده ببرقة ارسال البعثة البرقاوية من أبناء الامة إلى الاستانة لاغتراف مايمكن اغترافه من معين المدارس العسكرية وغيرها للقيام بمهمات الادارة ولقيادة الجيوش الوطنية وقد أحسن فيما فكر فيه ونفذه بسرعة :

بمجرد ابتداء الغزو الايطالي المشؤم على ليبيا وكانت ايالة تابعة للدولة العثمانية هب العالم الاسلامى والعربى وفى المقدمة الشعب المصرى الكريم لمساعدة الحكومة العثمانية بليبيا وعرب برقة .

هرع المتطوعون الي ميدان القتال عن طيبة خاطر وجاد الخيرون بأموالهم وأعز مامملكت أيديهم وفاضت قرائح الشعراء وأقلام الكتاب بما أوحته ضمائرهم وقامت الصحف وفي طليعتها المؤيد الغراء بدورها خير قيام فكانت حلقة الاتصال بين ليبيا والعالم الخارجى

وكانت مصر المورد الذى لاينضب فتردها التبرعات من البلاد العربية والاسلامية لمجاهدى برقة وألفت بها جمعيتا ن خيريتان احداها جمعية الهلال الاحمر يرأسها سماحة الاستاذ الكبير المغفور له على يوسف وانضم اليه خيرة الرجال من الشعب المصري فاسدت هذه الجمعية الي برقة خيرات عظيمه اما الجمعية الاخري فهى اللجنة العليا لمساعدة عرب ليبيا ويرأسها صاحب السمو الامير الجليل فقيد العروبة والاسلام عمر باشا طوسون فقامت هذه اللجنة بمساعدة المجاهدين مساعدة قيمة فعالة اما ما قام به سمو الامير باسمه الخاص فحدث عن ذلك ولاحرج ويضيق المقام بمايريد الكاتب أن يسجله عن سموه من الشعور الفياض والعطف الابوى والكرم العربي والحنو الاسلامى ولايقل عن موقف سموه ذلك الموقف الذى وقفته صاحبة السمو والعصمة الحرة الطاهرة والدة الخديوى (ام المحسنين) لقد كانت رحمها الله مثلا عاليا للمرأة المسلمة وكانت من الصالحات اللواتي يبخل الدهر بأمثالهن .

مابرحت خيراتها تترى على المجاهدين الفينة بعد الاخري وفى ذات مرة من المرات الكثيرة تبرعت بالاشياء الآتي ذكرها نسجلها كصورة من صور محاسنها الكثيرة :

عدد (١٠٠٠٠) عشرة آلاف أقة (بقسماط)

عدد (١٥٠٠) بذلة للجرحى والمرضى تتألف كل بذلة من جلابية ـ قميص ـ لباس ـ طاقية .

« (١٠٠٠) بطانية لفراش وغطا المرضى والجرحى

« (٢٠) صندوق ملاى من سكر الماكينة

« (١٠) صناديق صابون نابلسي

وقابلت الوفد الذى استلم هذه الاشياء قائلة له (انني لم أفعل شيئا يذكر في جانب مايقوم به أولئك المجاهدون فى سبيل الله والوطن وانى قلقة لاني لم أسمع منذ أيام خبرا عن ميدان القتال)

ان هذا النبرع المشفوع منها بهذه الكلمات الطاهرة البريئة يكفى عن التعليق .

ولاتقل النبرعات التى قدمت من العالم الاسلامى والعربي بطريق اللجنة العليا عن مائتي الف جنيه ولقد اطلعت علي احدى القوائم التى كان ينشرها المؤيد تباعاً باسماء المتبرعين ان سمو الامير عمر طوسون تبرع فى أحد الاكتتابات بثلاثة آلاف جنيه وتبرعت والدته بألف جنيه ومثلها حرمه المصون ويمثل الشعب المصرى تبرعت الشعوب العربية لماكان (الناس ناس والزمان زمان) فى مرة من المرات أرسل أهل طرابلس الشام مائتي ليرة انجليزية الى رئيس اللجنة العليا وذلك يوم ٧ محرم سنة ١٣٣٠ وأرسل أهل دمشق ١٣٤٠ جنيه انجليزى وكذلك أهل قضاء درعا التابعة لولاية سوريا فقد بعثوا بثلاثماية ليرة انجليزية وارسل أهل نابلس بالف ليرة افرنسية و (٦٠٠) ليرة عثمانى وفى ذات مرة من المرات بعث لملوم بك الساعدى وأخوه المصرى الي رئيس اللجنة ب ٣٥٠ ليرة عثماني وارسل علي بك المصرى ب ٢١٠ ليرة أما سمو الخديوى عباس باشا حلمى فقد جعل قطار خط مربوط تحت تصرف اللجنه العليا وجمعية الهلال الاحمر لنقل المؤن والادوات الطبية مجانا ونكتفى بذكر هذه الاشارات البسيطة من تلك النبرعات العظيمة ومن أراد استقصائها فليراجع جريدة المؤيد الغراء التى كانت تصدر وقتذاك بالقاهرة والآن نذكر نبذة عما قام به بعض اخواننا المسلمون في الاقطار الاخري .

اجتمع أعيان ووجهاء وشباب مسلموا جزيرة موريس الواقعة شرق مدغشقر

ورفعوا احتجاجهم الي نظارة الخارجية البريطانية ضد الاعتداء الايطالي على طرابلس الغرب « ليبيا » ونضموا مظاهرة عظيمة ثم ارسلوا الى رئيس اللجنة العليا بخمسة عشر الف روبية لمساعدة المجاهدين وفي يوم ٢٠ ذى الحجة سنة ١٣٢٠ دعا جلالة ملك افغانستان حبيب الله خان جميع وجوه مملكته ورجال حكومته وأعيانها الى مقره الاسر وحثهم على مساعدة المجاهدين «١» وقد خطب فيهم خطبة حماسية وكان فى شدة الانفعال وشديد التحمس ومما جاء في خطبته قوله (أيتها الرعية الصادقة ان اشرف هذا الكتاب (كانت بيده ورقة خاصة بالاكتتاب) كتاب اعانة يتامي شهداء ومجروحى مجاهدى طرابلس الغرب افتحوا كيس همتكم وبلوا قلوبكم بماء الشفقة الاخوية اعينوا يتامي وايامى أولئك المجاهدين الذين جادوا بأرواحهم لاجل حفظ وطنهم وشرف ملتهم اعينوهم علي الاقل بلفائف يشدون بها جروحهم لاتنظروا الى قلة ماتعطونه من المال وكثرته ، اعطوا ماتمكنون من اعطائه واثبتوا أسماءكم فى هذا الكتاب ان الله لايضيع أجر من احسن عملا) وقد تبرع جلالته بمبلغ عشرين الف روبية :

ومن بين المتبرعين السادة الاعيان أهل سيرابى بجزيرة جاوه بالهند فقد ارسلوا مبلغا إلى اللجنة العليا كي يرسل للمجاهدين ، وكذلك صاحب السمو الشيخ قاسم بن محمد حاكم ولاية قطر فقد تبرع للمجاهدين بعشرين الف روبية وتألفت بالبحرين لجنة برياسة السرى الشيخ مقبل بن عبد الرحمن لجمع الاعانات وتألفت فى بمباى لجنة لجمع التبرعات برآسة الشيخ قاسم بن ممجد آل ابراهيم فارسلت أول دفعة ٤٢٦٦٧ روبية .

ولنذكر الآن عن بعض المتطوعين الذين هرعوا إلي ميدان القتال ببرقة . محمد حلمى ، عبدالمعطى صالح ضابط مصرى ـ عارف بك والى البصرة سابقا ـ نشأت بك

«١» اخبرني سعادة وزير الافغان المفوض بمصر السيد محمد صادق المجددى قائلا تألفت سنة ١٣٣٠هـ لجنة بمملكة افغانستان لجمع التبرعات برآسة الامير نصر الله خان شقيق الملك وعضوية الشيخ عبد القيوم المجددى وفضيلة الشيخ عبد الرازق وقاضى قضاة افغانستان وكانت التبرعات تجمع باسم السنوسي المجاهد وسألت سعادته عن قيمة الروبية فقال انها تساوى وقتذاك خمس غروش صاغ

أحد كبار تركيا المشهورين ـ محمد طاهر افندى مصرى ـ محمود فهمي تركي مصرى ـ عبد القادر حسن كردي ـ مصرى ـ مهدى شقلوف مصرى ـ سليمان آغه مصرى ـ عبدالرحمن افندى حقي عضو جمعية الاسعاف المصرية ـ ابراهيم الجبالى من كفر الزيات عبد اللطيف افندى جاويش ـ حسن جاويش ـ أحمد جاويش ـ ومن بين المتطوعين الاجانب الضابط الانجليزي الذى اسما نفسه (المستر عثمان المهدى) فون جنبتبرج ضابط المانى وفون بنشين ضابط بيادة المانى ـ سالم افندى ضابط بخفر السواحل المصرية وكثيرا غيرهم من جميع مختلف الاقطار الاسلامية ومما يدعو للعجب ان هذه الروح القوية التي كانت تتغلغل فى جسم كل مسلم بغض النظر عن اللغة والموطن والجنس قد ظهرت واضحة جلية فى الحرب الليبية الايطالية ولكنها تلاشت واضمحلت بعد انتهاء الحرب العالمية الاولى فما السبب ياترى ؟

سمو الامير السيد محمد ادريس السنوسى

ولادته ، نشأته ، تعليمه

ولد بالجغبوب يوم الجمعة ١٠ من رجب سنة ١٣٠٧ هـ فكان يوم مولده يوم فرح وسرور فاحتفلت الجغبوب بهذا الطالع الميمون وهو ثالث عشر مولود لابيه وعطلت الكلية الجغبويه والكتاتيب القرآنية ودور الاعمال ونحرت الجزر ومدت الموائد وقدمت الصدقات شكرا لله تعالي وأقيمت الافراح في كل منزل بالجغبوب كما أقيمت في جميع الزوايا السنوسية بمجرد وصول البريد المخبر بذلك والمشعر بشروق هذه الشمس الوضاءة واخذت التهانى تترى على منزل السيد المهدى من جميع الطبقات ومن بين التهانى المذكرة هذه القطعة الشعرية التي جادت بها قريحة العلامة السيد فالح الظواهرى مهنئا :

لاح فى أفق بنى الزهرا ... كوكب الافراح والبشرى
وأتي المقدور من غرض ... بالذى أملته جهرا
إن للدهر لدى يدا ... ليس اقرارى بها سرا
يالها ضيعة جملت ... كان منى شكرها مهرا
عظمت عندى مواقعها ... وجلتها ضحوة الاسرا

يا مجد انحو حضرت من ... هو بالذكر الشذى احرا
دمث الاكناف لينها ... السيد (المهدي) ان يطرا
فهو اسنى ذا الورى شرفا ... وهو اسمى ذا الوري قدرا
مورد العلوم مصدرها ... ذو المعالى الاية الكبري
عبق الاخلاق عاطرها ... لا تقس بخلقه العطرا
فرع منشأ كل مكرمة ... وبهذا قد كفا فخرا
فمتى ابصرته وبدت ... لك تلك الطلعة الغرا
فاقرأه منى السلام وقل ... له والثم كفه عشرا
نائبا عنى ومنشرحا ... بالوقوف عنده صدرا
يهنئى المخدوم ما خوله ... الله من البشرى
بغلام اليمن كان له ... منكم طول البقا ذخرا
وبلغتم فيه بغيتكم ... فى ظلال عيشة خضرا
ودواعى البشر لا برحت ... تنتحى ناديكم الدهرا

وهذه الابيات التاليه من قصيدة السيد أبى سيف مقرب مهنئا

هنئت بالكوكب الدرى اذ سطعا ... وارج الافق والارجاء وارتفعا
وغصت للدر بحرا لجه عظما ... وصغت للفظ نظما حسنه جمعا
شنفت اسماعنا ياخير مبتكر ... للشعر بلغك الله المنا جمعا
فانشر شمائلهم واذكر محاسنهم ... واهزج بها دائما لا زالت مخترعا
ثم آل مجد لهم ظل يظللهم ... قد آب بالذل من في شأوهم طمعا
لهم مفاخرو المهدى أعظمها ... طوبي لمن طاف فى ذاك الحمي وسعا
موفق ماجد للحق متبع ... ثبت الجنان بامر الله قد صدعا
وفرع دوحة مجد قد زكت ونمت ... اغصانها حيث بدر الحسن قد طلعا
لا زال تشرق فى الافاق بهجته ... مخولا بيقا الاصلين مرتفعا

ولما تجاوز الخامسة من عمره المديد ادخل الكتاب ليتعلم القراءه والكتابة وليحفظ

القرآن على معلم خاص ويحفظ القرآن عند السنوسيين شرط أساسي فحفظه ثم حفظ الكثير من المتون الفقهية والنحوية وكان يمتاز حفظه الله أيام طفولته عند جميع معارفه بامتيازات خاصة فكان لا يميل الى اللهو واللعب كبقية أقرانه فى السن اولئك الذين يميلون عادة وبطبيعتهم الي ذلك فكأنه خلق جدى بفطرته وكانت تظهر على محياه علائم الرجولة ومن شيمته التثبت فى جميع حركاته بهذا عرفه اكابر الاخوان وهكذا يقولون عنه وكان يلازم ابني عمه وكبرى أفراد الاسرة السنوسية وقتذاك وهما ، السيد أحمد الشريف والسيد محمد عابد فكان يقابل معهما الزائرين ويخرج معهما فى التجولات والفسح وقد سمعت من السيد محمد عابد السنوسي أن السيد ادريس من طبعه لا يكثر الكلام في المجتمعات وحتى بين اخوته وأقرب الاخوان اليه واذا سئله احد فيجيب الجواب المقنع واذا سئل هو فيقع سؤاله علي بحث وتدقيق ويقال عنه وهو صغير السن أنه كثير التفكير فان لم يهتد بتفكيره الى ما يدور حوله أو يخالج فكره فيسأل اذن سؤال المدقق الذى يحاول أن يقتل الامر بحثا هذا ما يرويه لنا كبار الاخوان الذين عرفوه طفلا فشابا فرجلا وهو محل اعجاب جميع الاخوان الذين ينظرون اليه كانما ينظرون الى الرجل المفكر المدقق المتزن الناضج العقل وهو طفل وكلهم مقتنع ان لهذا الطفل شأن عظيم وقد ظهر صحة اعتقادهم عند ما بلغ هذا الطفل اشده ولو شئنا ان نسجل كل ما سمعناه من الاخوان والخواص لضاق بنا المقام .

حفظ القرآن الكريم كما قلنا والكثير من المتون الفقهية والنحوية فى حالة وجود والده وكان يعرض عليه فى وقت خاص كل ما حفظه أو درسه فى يومه وكان والده يناقشه فى ذلك وكان عمه السيد الشريف رحمه الله معجبا به كثير العطف عليه وله فى سويداء قلبه منزلة خاصة ولكن السيد الشريف لم يطل عمره حتى يرى محبوبه ومحل عطفه وتقديره في الحالة التى يريدها له فقد توفى السيد الشريف ولازال السيد ادريس صبيا صغيرا :

كان السيد الشريف مفتونا بابن أخيه وكان يعمل جهد المستطاع أن لا يفارقه ساعة من الزمن ولما غادر السيد الشريف الكفرة قاصدا الجغبوب فى سنة ١٣١٣ هـ كبر عليه فراق السيد ادريس فاستاء لذلك أكثر من استيائه لفراق شقيقه السيد المهدى

وابنه السيد أحمد الشريف وبقية آل بيته ونستدل علي ذلك بما وقفنا عليه في الكتب الكثيرة التى بعث بها السيد الشريف الي شقيقه السيد المهدي وقد تسنت لنا مطالعتها وها نحن نورد هذه الجملة الاتية من كتاب منها :

(فوالله ما هيج احزانى الا ادريس فانى حينما اذكر كلامه وأنا خارج من عندكم لا أمسك عينى أبدا ولا اتذكر بكاءه الا وتتقطع كبدى فالله تعالى يعجل بالتلاق ويطوى شقة البين والفراق) .

ولما سافر السيد المهدى الى السودان سنة ١٣١٧هـ كان معه السيد ادريس بين بقية اخوته وقد توفى السيد المهدى ولم يكمل السيد ادريس الرابعة عشر من سني عمره المديد فبقي بعد أبيه وهو السلوة الكبرى والامل القوى وهو الذى تتمثل فى ذاته الغضة شخصية والده العظيمة تلك الشخصية التي أنجبها التاريخ مفخرة للتاريخ وعجز التاريخ الذى جاء بها أن يصف كنه حقيقتها فما هذا الشبل الا من ذلك الاسد . أصبح السيد ادريس فى هذه السن المبكرة يحسب حسابه فكأنما هو شيخ وقور له وعليه ما للرجال الكمل وعليهم وهو الذى أيد السيد أحمد الشريف ليتبوأ مقام السيد المهدى فيكون عميد الاسرة السنوسية واما للطريقة المثلي ولو أراد أن يقف موقف الوارث الشرعى دفاعا عن حقه لكان السيد أحمد الشريف أول الانصار الخلص للسيد ادريس ولكان أول من بايعه عن طوع ورضا ولكن للاعتبارات التي سبق ذكرها فى محلها والتى اوفينا بها الموضوع حقه وللطابع الكريم الذى طبع به وعليه السيد ادريس وبتلك النفس الزكية العالية والضمير الطيب الطاهر والخلق النبيل الذى كانت عليه جبلته احتفظ لابن عمه وكبير انحال الاسرة السنوسية بمركز الاسبقيه كما يقتضي بذلك قانونهم فاتخذه والدا فى محل والده وبايعه على ذلك راضيا مرضيا فكان لموقفه وقع طيب في جميع النفوس وأثر بالغ وقد قام بهذا العمل العظيم رغم حداثه سنه والمرؤ كما قيل بأصغريه قلبه ولسانه وقد تألف مجلس الشورى العظيم بعد وفاة السيد المهدى وتنصيب السيد أحمد الشريف من السادة الآتية أسمائهم : السيد أحمد الشريف ، السيد احمد الريفي السيد محمد بن حسن البسكرى ، السيد محمد عابد ، السيد محمد ادريس ولم أك مبالغا اذا قلت أن هذا السيد الصغير فى سنه هو قطب رحى ذلك المجلس العظيم ونقطة ارتكازه أما انه روح تضامنه فهذا

عمالا يختلف فيه اثنان ولم يك مستغرب عليه ذلك وهو فرع تلك الشجرة التى أصلها ثابت وفرعها فى السماء . كان السيد ادريس في هذه السن لا يبعد عن سن والده عندما توفى والده السيد محمد السنوسي فقد كان للسيد المهدى وقتذاك لا يتجاوز السادسة عشر من السنين . وقد زوج السيد المهدى قبل وفاته ولديه السيد ادريس والسيد رضا من كريمتى السيد الشريف وهما السيده عائشة والسيدة فاطمة السنية .

بقى السيد ادريس محاطا بالاجلال والاكبار والتعظيم بين أعضاء تلك الشورى السنوسية التى كان قطب دائرتها وبين جميع أفراد البيت السنوسى المجيد وجميع طبقات الامة والكل ينظرون اليه نظرة التقديس ويرجونه رجاء من لا يخيب راجيه ولما انتقلت الاسرة السنوسية من السودان كما جاء فى غير هذا المحل وذلك سنة ١٣٢١ هـ إلى الكفرة ابتدأ السيد ادريس مستهل حياته الجديدة ومواصلة عمله .

حياة السيد ادريس الخاصة

نظم السيد ادريس لنفسه حياة خاصة ورسم خطة أشبه بخطة عظماء الملوك والامراء فشيد له منزلا بزاوية التاج مؤثثا بابدع الاثاث وأغرب أنواع الفرش يحتوى على كل نفيس مما لا يوجد الا فى قصور الملوك وعكف على الدراسة بهمة ونشاط وله مكتبة خاصة تعد فى طليعة المكاتب العربية وقد اتخذ حاشية مؤلفة من خيار الاخوان وكبارهم وجعل هناك بالمزارع السنوسية التي تقع ضواحى التاج بواحة الكفره منازل جميلة أعدها بجميع ما تحتاجه من الكماليات فاذا ما اشتهت نفسه التنقل للترويض والترفيه دعا اخوته أفراد البيت السنوسى وأعيان الجهة ويخرج بحاشيته الخاصة فيبقى وكل من معه للنزهه من يومين إلي أسبوع أحيانا ثم يعود ، اما مجلسه فهو عامر بالعلم والعلماء والادب والادباء ومن المعروف عنه انه يحب العلماء ويجلهم ويكبر في نفوسهم العلم وينزلهم منه منزلة خاصة ويحيطهم بعطفه ويشجعهم برعايته وقد عرف باحترامه للشيوخ الكبار فى السن فينظر اليهم كما ينظر الابن البار لوالده المحبوب

ومما اشتهر به انه مجد فى جميع أعماله وأقواله فلا يتطرق اليه الهزل وإلى جانب تواضعه الكبير وحلمه الغزير وأخلاقه السامية فانه جد مهاب ولا لاحد عليه سلطانا الا سلطان العلم والعقل ولا يسير وراء الخيال عظيم التفكير سليم المنطق كبير العقل واسع الاطلاع سياسى من طبعه حكيم فى تصرفاته لا يتسرع في أى عمل من أعماله متزن فى كل حركاته يميل الى جميع العلوم من حيث هى واحبها اليه الحديث الشريف وعلم التاريخ والادب والسياسة ولا يتكلم فى موضوع الا ويعلل رأيه فيه بعد تمحيصه ثم يأتى بالحجج الدامغة والبراهين تارة من كتاب الله وطورا من الحديث الشريف وحينا من أقوال السلف الصالح وأئمة المسلمين سريع الخاطر قوى الذاكرة متين الحجة ولسموه عطف خاص على الفقراء والمعوزين وله حنان أبوى على اتباعه وخدمه فيعود مرضاهم بنفس متواضعة ويقاسمهم شعورهم بنفس ديمقراطية حقه كثير التسامح عن المذنبين مالم يكن الذنب مغضبا لله ولرسوله أوضار بمصالح الامة وقد كان الى جانب هذا التواضع الكثير جبارا فى أعماله متى اقتضت الحاله ويميل سيادته الى اقتناء جياد الخيل وله شغف عظيم بجميع أنواع السلاح وبجميع الكتب بصورة مدهشة خصوصا ما كان حديث منها كثير المطالعة وله قلم سيال اذا كتب كماله أوفر نصيب في ميدان الخطابة فيرتجل خطاباته ويسترسل في موضوعه متدفقا تدفق السيل الجارف فلا يفكر ولا يتلعثم ولا يتردد حتى ينتهي من موضوعه قوى اللهجة حاد المنطق وقد تغير أخيرا صوته القوى إلى هدوء وربما يكون ذلك من أثر المرض الذى كان قد تألم منه سنة ١٩٣٣

سفر السيد ادريس الى الحجاز

فى شهر رجب من سنة ١٣٤٣ سافر السيد ادريس من الكفرة الي الجغبوب متجها الى الحرمين الشريفين لاداء فريضة الحج فمكث بالجغبوب أسابيع جاءته الوفود من يرقة لمقابلته والسلام عليه ثم سافر فاستقبله قطار خاص فى آخر تركيب بأمر سمو الخديوى عباس حلمى الذى كان متغيبا عن مصر وقابله مندوب عن سموه ومندوب عن الحكومة المصرية وقد احتفلت بمقدمه مصر حكومة وشعبا وأنزل بقصر رأس التين بالاسكندرية ضيفا علي سمو الخديوي ورحبت بمقدمه الصحف المصرية ترحيبا يليق بسامى مقامه ومدحه الشعراء والكتاب علي صفحات الجرائد ثم غادر مصر إلى الحجاز فعرج علي القدس الشريف وهناك استقبل استقبالا رائعا ولما وصل إلى الحجاز احتفلت به الحكومة الحجازية وعلى رأسها جلالة شريف مكة الشريف حسين وقد خصصت له الحكومة العثمانية قصرا فخما بالمدينة المنورة مؤثث بأفخر الأثاث

السيد ادريس باشا السنوسى بالسلوم

وفي شهر ربيع ثاني سنة ١٣٣٣ الموافقه ١٩١٤ وصل السيد ادريس إلى السلوم حيث مقر نائب الخليفة والقائد الأعلي السيد أحمد الشريف وهناك استقبل استقبالا رائعا فاشترك الجيش السنوسي والاخوان السنوسيين وأقطاب العرب في هذا الحفل الحافل وأصدر السيد أحمد الشريف بهذه المناسبة أمراً بالعفو عن المسجونين ووزعت الصدقات شكرا لله تعالى وقد اطلعت على كتاب بعث به نائب الخليفة السيد أحمد الشريف إلي وكيله بالجهات الغربية السيد صفي الدين يأمره باقامة الافراح والعفو عن المسجونين بمناسبة عودة السيد ادريس من الأراضى الحجازية موفور الصحة وقد وصل الامر العثماني بمنح السيد ادريس رتبة الباشوية من الدرجة الممتازة مع الوسام العثماني المرصع الرفيع الشان «١» وقد تفاءل السيد أحمد الشريف خيرا بوجود السيد ادريس بالقرب منه ورآى ذلك فاتحة عهد جديد ومستقبل نير فاتخذه العون المعين فى جميع المهمات والساعد المتين فى الحوادث والملمات وأخذت تحف به الامة وتجله وتكبره وتحيطه بعنايتها وتفديه من كل سوء بالاموال والانفس والثمرات :

كان السيد أحمد الشريف يعمل من زمن بعيد لتسليم الامر بحذافيره إلى صاحب الامر وهو السيد ادريس الذى يراه كفؤا لذلك وكان لايألوا جهدا فى أن يتم هذا الامر الذى آن أوانه وكان السيد ادريس يتحاشا ذلك ويعارض السيد أحمد الشريف في هذه الفكرة حياء وكرما وكانت الحالة يومئذ مضطربة بين السيد أحمد الشريف والانجليز وذلك بسبب وجود نورى باشا ومانسمان ممثل القيادة الالمانية فى أفريقيا وجعفر باشا العسكري قائد الكتيبة الخاصه بحراسة السيد أحمد الشريف كما يسمونها وقتذاك (طابور المعية) وكان هؤلاء ورفاقهم من الضباط العثمانيين من دعاة الحرب ضد بريطانيا يعملون ليلا ونهارا لتلبد الجو وتعكير الصفو بين السيد أحمد والانجليز كما سبق ذكر ذلك فلا يروق لهم بال مالم يتمكنوا من اثارة القلاقل التي تجعل الانجليز

«١» الرتب الممنوحة للسيد ادريس (بالا) (وزير)

فى شغل شاغل مع السيد أحمد الشريف على حدود مصر الغربية وبذلك يستطيعون عمل مايريدون عمله ولاتتعدا غرضهم والحالة هذه كسب الوقت واشغال قسم كبير من قوات بريطانيا فى حدود مصر الغربية وهذه غاية ماهنالك فأخذوا يسعون سعيا حثيثا فى ايجاد الخلاف بين الطرفين المذكورين وقطع مابينهما من العلائق الودية الحسنة وكل ذلك يدور في الخفاء ولكنه لم يغرب عن السيد أحمد الذى أخذ يعالج الموقف بالتؤدة والصبر والاناءة والتبصر فى حين أنه لايمكنه مخالفه أوامر السلطنة العثمانيه باعتبار أنها الخلافة الاسلامية التى تجب طاعتها وتنفيذ أوامرها هذا من جهة ومن جهة أخرى فان الحكومة العثمانيه وعلى رأسها السلطان الذى يمثله السيد أحمد مافتئت تمده ببعض الاسلحة لمحاربة أعدائه الطليان حيث لايرى عدوا غيرهم وهو الذى يقول في كتاب بعث به لاحد وجهاء بنغازي بتاريخ ١٣٢٨ هجرية عندما كان يحارب الفرنسيس بالسودان (ماعندى صديق أعز ممن يساعدني بالسلاح) وتمده الدولة العثمانية أيضا ببعض الضباط النظاميين لتدريب المجاهدين الوطنيين أضف إلي كل ذلك أنه نائب الخليفة ولاتزال النيابة نافذة المفعول مادامت الخلافة قائمة علي أصولها . كل هذه الاعتبارات لها تأثيرها فيما وقع بين السيد أحمد الشريف مع الانجليز وكان الاول لاينوى معهم الحرب ولم يكن في يوم من الايام قد فكر فيه (انظر إلي الجمل التى أوردناها من كتابه الذى نشرته جريدة المقطم وقد ذكرناه في موضعه تحت عنوان السيد أحمد الشريف والانجليز بهذا الكتاب) وكان السيد ادريس والحالة هذه غير راض على مايدور فى الخفاء ولم يغرب عنه وقد علم عن سياسة نورى باشا ورفاقه أى سياسة التفرقة فجاهر السيد أحمد الشريف بذلك وصرح له بوجهة نظره وأبان له سوء مغبة الحرب مع الانجليز لوحصل حسبما يريده دعاته بناء على الاوامر التي ترد اليهم من الاستانة وبرلين ورغم ما كان عليه السيد أحمد الشريف من الحيطة والحذر والميول إلي موقف السيد ادريس الذى يذل قصارى جهده فى ابداء النصايح والغلو فيها فقد حصل ماحصل كما سبق ذكره فى محله :

صاحب السمو الامير الجليل السيد ادريس المهدى السنوسى

السيد ادريس فى برقة

توجه السيد ادريس فى أواخر النصف الاول من سنة ١٣١٤ هـ ١٩٤٤م إلي برقة وكيلا عاما عن نائب الخليفة السيد أحمد الشريف الذى خوله كل ماللنيابة من حقوق ونفوذ وقوة وحق اعطاء الرتب والنياشين والعفو عن المحكومين بموافقة الخلافة :

سافر السيد ادريس من السلوم إلى برقة كما قلنا ليتولي مهام منصبه كسيد للبلاد فاستقبل أينما حل وحيثما سار بمراسم الاجلال واطاعته الامة الطاعة الواجبة له عليها وأكبرت وصوله وحيت فيه رجل الساعة وكانت البلاد قد أصيبت بالقحط والمجاعة إلى جانب الحروب التى أصبحت فيها مع الطليان من جهة ومع الانجليز من جهة أخرى وقد سدت السبل التجارية بين برقة ومصر كما تكونت ببرقة عصابات نتيجة المجاعة والفوضى فأخذت هذه العصابات تعيث في الارض فسادا وعندئذ التفت الامة بأسرها فى هذه الساعة الرهيبه بالسيد ادريس الذى رأته منقذها الوحيد وربان السفينة الماهر فطلبت منه أن يقود سفينتها حتى تخرج من هذا المأزق الضيق ويسلك بها إلي المحجة القويمة كي تصل إلى ساحل النجاة وكان السيد ادريس أحق بما أسند اليه وأهله : بعد أن ساس السيد ادريس الامور ودرس الحالة درسا دقيقا واتصل بجميع المسؤلين كتب إلي السيد أحمد الشريف وهدا الاخير قد تحرج موقفه كما سبق ذكر ذلك وهو يومئذ بالواحات الداخلة وأنبأه بحالة البلاد نبأ العليم الخبير وأطلعه على ما آلت اليه وعلى مطالب الامة فكان جواب السيد أحمد الشريف التفويض التام الذى سبق أن فوضه له ووافقه على كل مايراه صالحاً بالأمة والوطن .

كان السيد ادريس والحالة هذه حايزاً لجميع المؤهلات التى تجعله يفعل كل مابداله بدون أن يرجع إلى السيد أحمد الشريف الذى كان يعمل من مدة لتسليم الامر إلي السيد ادريس الذي أصبح هو السلطة الوحيدة وقد سامه ذلك فعلا ثم أن الامة بأجمعها فوضت له أمرها أتم تفويض أضف إلي هذا وذاك ان الحالة الراهنة تخول للسيد ادريس أن يعمل بكل سرعة ممكنة هذا إلى جانب علمه اليقين بأن السيد أحمد يحبذ كل شيء

جاء به السيد ادريس وينظر السيد بعين الكمال ولكن نفس السيد ادريس العالية وماطبعت عليه من السمو والكرم وذلك الخلق الذى كان هو مصدر الكمال والنبل وهو منبع الادب والفضل كل ذلك مما جعل السيد ادريس والحالة هذه يرجع إلى السيد أحمد ويستنير برأيه :

أخذ السيد ادريس يسوس حالة البلاد الداخلية وشرع فى تنظيم شؤنها وتوطيد الامن العام والسلام فيها فضرب على أيد العابثين وقطع دابر المفسدين وبينما كان منهمكا فى أعماله وفى تجولاته على المعسكرات السنوسية وتفتيشها اغتنم الايطاليون هذه الفرصة فهجموا أحد المعسكرات السنوسية بقوة عظيمة في موقع (سيدى الحسين) وبالرغم من كثرة عددهم وعديدهم صاروا لقمة سائغة للمعسكر المهجوم عليه فأكلها هنيئاً مريئاً وكانت هذه القوة المهاجمة من أعظم القوات التى التحمت مع العرب وقتذاك ولكنها مزقت شر ممزق وغنم المعسكر جميع ذلك ووقع عدد كبير من الضباط والجنود الايطاليين فى الاسر فسيقوا إلى معسكر جعل لهم خصيصا بموقع (انتلات) زمراً وتعد تلك المعركة من أكبر المعارك في برقة وكان قندان المعسكر السنوسي قجه بك عبدالله أحد موالى السيد أحمد الشريف : ابتدأت رحلة السيد ادريس التفتيشية من السلوم وانتهت بمقطاع الكبريت فاطمأنت البلاد بتجوله فى داخليتها وبدل الخوف أمناً وحل النظام محل الفوضى التى كانت ضاربة طول البلاد وعرضها من جراء المجاعة .

الامير السيد ادريس

شعرت البلاد بأن السيد أحمد الشريف يسعى لمغادرة البلاد الي تركيا أو جاءه طلب من تركيا وتلقت الامة أوامر من السيد أحمد يعلن أنه تخلي عن سلطته الى صاحب الامر السيد ادريس فقرر مفكروا الامة من الشيوخ والاعيان ورءساء الزوايا وقادة الجيش في أن يبايعوا السيد ادريس أميراً بدلا من أن يكون وكيل نائب الخليفة أو نائب الخليفة وقد شعروا أن لاعلاقة بينهم وبين تركيا يومئذ فانعقدت الهيئات من رءساء الزوايا وشيوخ الامة وأعيانها فى كل مركز يمر به السيد ادريس ويتقدمون لسيادته بالبيعة وفى كل معسكر يمر به يتقدم قواده لنفس الغرض الذى أقرته الامة ثم يمر الجيوش أمامه لاداء تحية البيعة ولم تكتف الامة بما قام به شيوخها وممثلوها ورءساء الزوايا بل أخذوا يفدون على الطريق بنساءهم وأولادهم وهناك يبايعونه بالنداء هكذا (أمير) وبطلقات الرصاص من بنادقهم وبزغاريد النساء وهكذا الحال من السلوم الى مقطاع الكبريت أما واحات الكفرة وجالو واوجله التى لم يمر بها سمو فقد وصلت منها الوفود بهذا الشكل وأدت المهمة التى جاءت من أجلها : أخذت البلاد تتطلع الى عهدها الجديد بكل طمأنينة ووثوق وتغلب المتفاءلون على المتشائمين، هذه الحركات الداخلية التى قام بها سمو الامير مع جسامة خطورتها وثقل عبئها لم تقعده عن الاهم فكان أثناء عمله المتواصل ودرس الحالة عن كثب يصدر الكتابات الي ومن يهمهم الامر للوصول الي نتيجة تجني ثمرتها الامه التي أرهقها الحرب وعضتها المصائب وهكذا فقد كتب له النجاح وكللت مساعيه بالفوز الباهر : كان نورى باشا وقتئذ موجود بضواحي البطنان فبعث اليه سمو الامير يأمره بمغادرة البلاد الى حيث شاء معززاً مكرماً فامتثل نورى باشا الامر وحضر مع الوفد المرسل اليه وقوامه السيد عمر المختار السيد خالد الحمرى الشيخ ابراهيم المصراتى . الى جدابيه وهناك عومل المعاملة التي تليق بمقامى الضيف والمضيف وقد سعى نورى باشا ان يقنع سمو الامير فى مواصلة الحرب ولكنه فشل فى هذا السعي الذى لاتستطيعه الامة والحالة كما ذكرنا : خير نورى باشا من لدن سمو الامير في البقاء معززاً مكرما وان لايلحقه أذى تشمله رعاية الامير وتحوطه عنايته أو مغادرة البلاد ،واذا شاء السفر الي حيث شاء مع تسهيل كل الصعوبات فهذا لك فلم يسع نورى باشا الا السفر وغادر جدابيه الى مصراته أواخر سنه ١٣٣٥

جدابيه العاصمة

اتخذ سمو الامير مدينة اجدابيه عاصمة لامارته ومقر رياسة حكومته وقد كان اختياره موفقا لمركزها كما يقال الآن (الاستراتيجي) وموقعها الجغرافي وقتذاك فنظم بها دواوين الحكومة السنوسية وقسم الادارات ورتب الجيش وقد شمل نفوذ هذه الحكومة جميع أراضي برقه من الحدود المصرية البرقاوية شرقا الى قصر سرت غربا ما عدا المنطقة الساحلية فى جهات محدودة مثل مدينة بنغازى ـ درنه ـ سوسة ـ طبرق فكانت هذه خاضعة لايطاليا اداريا وقسمت برقه الى منطقتين نفوذ او مقاطعتين فكانت المنطقة الغربية يرأس ادارتها نائب مقره جدابيه ويقال عنه (نائب المنطقة الغربية) وكانت المنطقة الشرقيه يرأسها آخر بنفس اللقب ومقره (الابار) وقد تولي منصب هذين المنطقتين خيرة الرجال السنوسية وفى وقت من الاوقات كان السيد صفى الدين السنوسي والسيد عمر المختار ولهذين النائبين السلطة العليا عسكريا ومدنيا يستعين كل منهما بمجلس ادارى كما يتبع كل منطقة حكام مدنيين آخرين بوظيفة متصرف أو مدير أو مامور أو وكيل وفي العاصمة حاكم يقال عنه (متصرف) يشمل نفوذه منطقه جدابيه مستعينا في تيسير دفة الامور بقائمقام جدابيه وعميد البلدية وحكمدار الشرطة ومجدابيه مدير عام قسم الجمارك وقيادة الجيش وقاضي القضاة وفى وقت من الأوقات اسندت الوظائف المذكورة للسادة الآتيه اسمائهم :

السيد عمر المختار نائب المنطقة الغربية

« علي باشا العابديه متصرف جدابيه

« سامي بك شتوان ـ السيد محمد الزيتونى ـ السنوسى قادربوه كل من هؤلاء تولى قايمقاميه بجدابيه

السيد حسن بك الغرياني رئيس قسم المحاسبه العامه

« محمد على بن الشفيع رئيس قسم الجمارك العامة

السيد المختار الغدامسي ـ السيد سليمان الحوتى السيد ادم الفزانى ، كل من هؤلاء السادة تولى منصب قاضى القضاة

محمد افندي محيله ـ دخيل افندى عبد السلام ، كل منهما تولى حكمدار البوليس

الشيخ مفتاح الحرنه ، الشيخ الغريانى البرعصى ، الشيخ محمود أبو هدمه كل منهم تولى منصب عميد البلدية .

علي باشا العابديه ـ الشارف باشا الغرياني كل منهما تولى قيادة الجيش السنوسي

وهناك بجدابيه مقر ولي عهد الامارة السنوسية السيد رضا المهدى السنوسي الذى يتولى منصب (الوكيل العام لسمو الامير)،وهناك بجدابيه مجلسان احدهما يضم كبار العلماء والاخوان ويقال عنه المجلس الخاص وله السلطة التشريعية والتنفيذية أما المجلس الثانى فكان اعضاؤه من شيوخ وأعيان القبائل ويقال له مجلس الاعيان والمجلسين هما بمثابة البرلمان فى باديء الامر وقبل أن يكون مجلس النواب فى بنغازى وبجدابيه قسم من الجيش النظامى يقال عنه جيش المعية وهذا مهمته حراسه القصر الاميرى ومنه قسم لا يفارق سمو الامير فى تجولاته الداخلية وقد اتخذت منطقة العقيلة والبريقة للمعسكرات السنوسية الاحتياطية وللتدريب تضم هذه المعسكرات الكثير من خيرة الضباط وكان أول من تولي رياسة هذه المعسكرات الشارف باشا الغريانى ثم اسندت رياستها أخيرا الي البطل المغوار والمجاهد الكبير سيد الشهداء حسين الجويفي وكان عدد المعسكرات السنوسية كما يلى :

١ معسكرات التدريب والاحتياطى بمنطقتى العقيلة والبريقة ويقال عنهما (خط النار)
٢ « المعية بجدابية
٣ « يضم القدماء المحاربين بجدابيه ويقال عنه (بره كنده)
٤ « بالزويتينه
٥ « بالابار
٦ « بجردس
٧ « مراوه
٨ « سلنطه

٩ معسكر خولان

« عكرمه

وفي جدايه معسكر آخر منفصل عن المعسكرات المذكورة ولكنه مرتبط بالقيادة وهو مؤلف من الذين يحسنون القراءة والكتابه ويقال عنه (طابور الطلبه) وكان قمندانه في وقت من الاوقات السيد حسين الجويفي :

أما المراكز الحكومية التابعة لاحدى المنطقين المذكورتين فتكون أهميتها بأهمية الموقع ويكون عادة حاكم المركز قائم مقاما أو مأموراً أو وكيلا وفى كل مركز قاضى أو نائب قاضى للنظر فيما يتعلق بالاحكام الشرعية ومجلس من المشايخ يرجع اليه حاكم المركز فى كثير من الشؤون حسب التعليمات الحكومية التى هى بمثابة القانون وفى كل مركز قسم من البوليس للنظام وسلامة الامن العام .

التعليم

بجدايه مدرسه قرآنية كبري تعد في طليعة الكتاتيب القرآنية وقد نهجت منهج سابقتها الجغبوب وكان المعلم الأكبر فى هذه المدرسة سيدى الحاج طاهر المراكشى مستعينا بمعلمين آخرين هما السيد سعد المنفي والسيد أحمد بن موسى السيوى وقد لبست هذه المدرسة صبغة المدرسة الجغبوبية في عهد السيد السنوسى والسيد المهدى وقد كان مؤلف هذه المجموعة ممن تشرف بالانتساب إليها وإني أتذكر في رمضان سنة ١٣٤٠ هجرية أراد أستاذنا السيد طاهر أن ينتخب بعض الطلبة لصلاة التراويح فتقدم ثلاثون طالبا ممن يجيدوا حفظ القرآن وقد شيد سمو الأمير مدرسة على الطراز الحديث أرادها سموه كلية فأسست بها فروع للفصول التي تضمها وبذل سموه فى تشييدها وتنسيقها جهوداً جبارة وجلب لتخطيطها وتصميمها مهندساً خاصا فجاءت في أحسن صورة وكان ينوى سموه أن يأتي لها بخيرة الاساتذة من الخارج وهو الذى وضع الحجر الأساسى لها فى محفل حافل ضم الكثير من رجال السلطة والاعيان والوجهاء وألقيت يومذاك الخطب والقصائد من الشعراء ومن بين هؤلاء الاخيرين : السيد أحمد إدريس والد مؤلف

هـذا الـكتاب ، السيد عبد العزيز العيساوي ، السيد محمد المحجوب ، السنوسى أقـدى الهوني الاستاذ عبد الله إسماعيل المصرى ، ساسى بك شتوان ، وبعد إتمام بنائها وتنسيقها وجلب الادوات المدرسية وما يلزم من الـكتب أخذ في تسجيل أسماء التلاميذ الذين ينتسبون إليها وجلهم من تلاميذ المدرسة القرآنية ولـكن للاسف فقد حصل الانقلاب الاخير فحول الهدوء إلى اضطراب والسكون إلى حركة والسلم إلي حرب ولا زال القايم من جدرانها يلفت نظر كل من يمر بهـا فيقف مستحضراً روح تلك الحالة وما وصلت إليه فى وقت قصير وقد اتخذ الايطاليون هذه المدرسة بعد احتلالهم لمدينة جدابية سنة ١٩٢٣ مركزا لضباط الطيران وفي سنة ١٩٢٧ اتخـذت ناد للضباط وفى سنة ١٩٣٠ جعلت مستوصف مدنى وبقى هكذا إلى سنة ١٩٤٢ حيث نسفها الالمان ولم يبق منها الا الأثر وكان يجلس الى التدريس بالمسجد السنوسي بجدابية جلة الاخوان من فطاحل العلمـاء الذين خرجهم المعهد الجغبوي لدرس العلوم الفقهية واللغوية والتفسير والحديث والرياضيات وعلم الفلك منهم :

العلامة السيد أحمد بن إدريس ، العلامة السيد سليمان الحوني ، العلامة السيد المختار الغدامسى ، العلامة السيد حامد بركان الشريف ، العلامة السيد عبد العزيز الهونى ، العلامة السيد عبد العزيز العيساوى ، العلامة السيد على المحجوب ، العالم السيد محفوظ الورفلى . وقد كان هـذا الاخير قاضيا بمعسكرات الجبـل وقتل شهيداً فى حومة الونى ، وهو من خيرة الفرسان وكان الاقبال على تلك العلوم مما يدعو للاعجاب والاطمئنان فعندما يدخل الداخل الى المسجد بعد الساعة التاسعة صباحا وبعد صلاة العصر يجد تحت عرصات المسجد حلقات الطلبة وقد احتاطوا بالاساتذة احاطة السوار بالمعصم وخلف هؤلاء طبقات الاعيان والوجهاء والـكثير من ضباط الجيش ينصتون الى الدرس ليستمعون القول فيتبعون أحسنه وهناك مدارس قرآنية أخري متفرقة بدواخل البـلاد وبجميع المراكز عـدا مدارس الزوايا .

الوكيل العام

بجدابية مقر ولى عهد الامارة السنوسية الوكيل العام السيد محمد رضا المهدى السنوسى فله عين السلطة والنفوذ الذين لسمو الامير داخل البلاد وهو السلطه الثانية بعد سمو الامير يرجع اليها جميع رؤساء الدوائر الحكومية عسكريا ومدنيا وبقربه مركز مستشاره الخاص الذى يعين بمرسوم أميرى وقد أسندت لسيادة الوكيل العام قيادة القوات السنوسية سنة ١٩٢٠ عقب معاهدة الرجمة ولكن للحالة التى تقتضى وجوده فى العاصمة ولمهام منصبه الكثيرة فقد أعفى عنها وقد سافر الى ايطاليا على رأس وفد من أعيان الامة عقب انتهاء الحرب العالمية الاولى وكان غرض سمو الامير من ارسال ولى عهده على رأس الوفد هو الاتصال بالرئيس ولسون عندما زار إيطاليا قبل اجتماع المؤتمر لعقد الصلح النهائى وقد تمكن الايطاليون من الحيلولة بين هذا الاجتماع بوسائل خفية حتى سافر الرئيس ولسون قبل وصول السيد رضا الى روما وقد استقبل سيادته استقبالا عظيما واحتفل به رسميا . هناك قسمان من أقسام الادارة السنوسية لم نذكرهما سهواً وها نحن نثبتهما ففى جدابية يوجد مستشفى وقد كان به دكتور إيطالى عسكرى برتبة يوزباشى واسمه كورتيلا ثم أخلفه طبيب مدني واسمه الدكتور الايمو وهناك أيضا قسم خاص بالتخطيط والهندسة يرأسه وصفى باشا الخازمى .

الوفد الانجليزى

عقب المحادثات التى دارت بين سمو الامير ومن يهمهم الامر من رجال السلطة البريطانية بالقاهرة وصل الوفد الانجليزى من القاهرة للاجتماع بالوفد الايطالى المنتدب من قبل حكومته للمفاوضة مع سمو الامير ويتألف الوفد الانجليزى من اللواء (تالبوت باشا) فاحمد حسين بك (باشا) ويصحب هذا الوفد من القاهرة السيد محمد الادريسى وابنه السيد مرغنى ، أما الوفد الايطالى فيتألف من الكولونيل بيلاوالكمندتور بياجنى وسافر الوفدان بسرعة الى الزويتينه المرسى الواقع شمال شرق جدابيه واستمرت المفاوضة بين سمو الامير والوفد الايطالى بحضور الوفد الانجليزى الذى كان كواسطة وموفق وكان الاتفاق مبدئيا على ما يلي :

(١) تنتهى الحرب بين السنوسيين والطليان وينادى بالسلام .

(٢) يعترف الايطاليون باستقلال السنوسيين داخل برقه .

(٣) يبقي الايطاليون بالسواحل ويحتفظون بما بيدهم من اذراض

(٤) تحدد الحدود بين أراضى الفريقين

(٥) تفتح الطرق وتعود البلاد الى حالة السلام ويكون الخروج والدخول بتصاريح .

(٦) يعترف الايطاليون بالسيد ادريس أميرا على برقة

وقد حمل الوفد الايطالى صورة المعاهدة لعرضها على حكومته قبل التوقيع عليها وفى سنة ١٩١٧ سافر الوفد المصرى الانجليزي من القاهرة الى طبرق حيث بلغ أن الحكومة الايطالية أقرت المعاهدة ووافقت عليها وأن الاجتماع تقرر أن يكون فى طبرق وقد وصلها الوفد الايطالي يحمل المعاهدة وكان اعضاؤه الكمندتور بنتور — الجنرال دى فيتا ووصل سمو الامير وحاشيته الموقرة الى عكرمة ومن ثم اجتمع الوفد السنوسى والوفد الايطالى واتفقا ووقعت المعاهدة التي سميت بمعاهدة عكرمة وهى أول معاهدة بين السنوسية والطليان واستمر العمل بها في هدوء واطمأنان حتى نقضها الايطاليون بشتى الوسائل التى اتخذوها لذلك وسيأتى تفصيلها في محلها .

الطمأنينة

استمرت الامة فى بحبوحة من العيش لا يكدر صفوها مكدر وتقدمت الحياة الاقتصادية تقدما باهراً يدعو للاعجاب والدهشة فلم تعرف الامة لتلك الحالة نظيراً واستتب الامن في جميع أنحاء القطر فلا تكاد تسمع فى جميع أنحاء البلاد الشاسعة أن هناك أى سرقة حدثت أو أن هناك لصاً يخشى ولم تحدث أي جريمة من أى نوع كان وأني لاعذر السيد عبد العزيز العيساوى الذى أخذ منه العجب مأخذه لما عرفه عن هذه الحالة فقال من قصيدة عصماء وجهها لسمو الامير :

أمر يحير الفكر في تدبيره ... عجب لحل عويصه كيف اهتديت؟

وبالاختصار فان الازدهار الذى وصلت اليه برقة وهذا التقدم الاقتصادى من جميع وجوهه من حيث التجارة واصلاح الماشية وتنميتها وجلبها الى الاسواق المصرية وجودة المواسم الزراعية التي لم تقعد بأربابها سنة واحدة والا من الضارب أطنابه كل ذلك مدعاة للتعجب الامر الذى سبب نقطة التحول في أسرع وقت من حال إلي حال ، أن الامير تولي سلطته بالبلاد وهى فى أشد المرض ملازمة الفراش فقيره فقراً مدقعاً جاثمة على ركبتيها لا تستطيع النهوض فى كل صقع من أصقاعها ، أمضها الجوع حتى أن أناساً اضطروا الى أكل لحوم الخيل والبغال والحمير اذا وجدت وقد تفشت فى البلاد الاوبئة الفتاكة مثل الطاعون والحمى التيفودية فضلا عن الحروب المستمرة مع الطليان من جهة ومع الانجليز من جهة أخرى عدا بعض الفتن الداخلية . استطاع سمو الامير الحكيم الرشيد أن يكون الحاكم الجبار الذى قبض على ناصية الامر بيد من حديد واستطاع أن يكون الطبيب الماهر والنطاسي الخبير فعرف مواطن الداء وعالجه بأنجع الدواء واستطاع أن يكون القاضى العادل فسوى المشاكل وقضى على المنازعات القائمة بأحسن ما تحل به عويصات الامور واستطاع أن يكون الاقتصادى العظيم فحارب الفقر وخلق الروح الاقتصادية التى ظهرت في أحسن مظاهرها واستطاع أن يكون القائد العظيم المحنك فقاد الامة الى ساحل النجاة في امن وسلام واستطاع أن يكون القانونى الكبير

فاوجد حكومه منظمة ترجع الى تعليماته التي سنها في جميع تصرفاتها فنجح واستطاع أن يكون أمة قائمة بنفسه فكان ، كل من يلقى على البلاد نظرة واحدة تعاوده الذكريات الى أزهر عصور الاسلام فهناك المساواة وهناك لافضل ولاتفاضل الا بالعلم والعمل المجديين النافعين وهناك لاقدرة لقوى على ضعيف ولاعزة لجليل على حقير ولافخر لغنى على فقير ولست مغاليا اذا قلت (ان لافقير بالبلاد وقتئذ) وقد انقطعت المنازعات واضمحلت المشاجرات وكل حق لفرد قبل آخر أو للجماعات أعطى لمستحقه على الوجه الأتم المرضى أما الحقوق التي كانت لجماعات نحو آخرين فى عهد الفوضى وشن الغارات والتى تسبب القلق والاضطرابات وتوجد الحقد والضغائن فبعد دراستها الدرس الدقيق والاخذ والرد والاتصال بالمسؤلين من أهل البلاد وتبادل الآراء حصل التغاضى عنها والتسامح الاسلامى الحقيقى تلك الحقوق التى كانت قبل بيعة سمو الامير وتصافت القلوب وخلصت النوايا واذا وقف خصمان بعد ذلك في طلب حق من حقوقهما يضعف الطالب والمطلوب أمام العدل ويظهر الحكم جليا على احدي كفتى ميزان العدل والصواب وكان هم الامة هما واحدا لاثانى له وهو الانقياد الى سموالامير الذى عرفته الامة حق المعرفة فبايعته ملفة حوله ببيعتها لله ورسوله ولقد عرفت الامة من تحب فأحبت وقد عرف الامير أمته فأحبها .

كان سمو الأمير كثير التنقلات فى داخلية بلاده وكان يلاقي الكثير من المتاعب لراحة أمته ويسهر الليالى الطوال لتنام الامة فى أمان وكان يشرف على كل مامن شأنه أن يرفع مستوى الامة وعلي نظام حكومته الحرة الفتيه منقبا عن كل صغيرة وكبيرة ويرقب عن كثب سير الاعمال فكان كالناقد النزيه والمنصف العادل والمرشد الخبير والعلم الهادى فينبه ويلفت النظر ويرشد ويصلح ما اعوج من الامور ويثبت مايفيد اثباته وينسخ مادعت الحالة لنسخه وهذا دأبه فلايهدأ له بال ولايرتاح له فكر دون الوصول الى الغاية التى يصبو اليها وهى اكمال واستيفاء مانقص من شؤن وبناء حكومته حتي تتبوا المقام اللائق بها والذى يريده لها بين حكومات الشرق العربى والامم الناضجة والحكومات المستقلة بكل مافى كلمة الاستقلال وكانت كل فكرته متجهة الى الحياة السياسية والاقتصادية والعسكرية والثقافية وهذه الانواع هى دعامة كل أمة وأساس

كل شعب راق ولكنه لم يوفق تمام التوفيق للحياة الثقافية نظرا لضيق الوقت ووجود العراقيل وان كان قد وصل الي جل مايريده فى عهد قصير لم يشأ الانسان أن يكمل فيه عملا خاصا فما بالك بتنظيم شعب وايجاد حكومة وتدبير أمرها وشؤنها وهي بين مخالب الأسد وبالقرب من متناول يده ورغم كل ذلك أوصل أمته بحكمته الى ساحل النجاة والسلامة بالرغم من الزوابع التى اعترضت السير وتلك العواصف التي كانت تضل القافلة عن محجة الهدى لولاه :

أوجد حكومة فتية قوية مهابة الجانب عزيزة المكان لها ما للحكومات من العزة والمكانة وعليها ماعلي الحكومات من الفروض والواجبات والمسؤليات ولماوصلت البلاد والامة الى ماهى عليه بهمة الامير وبعد عناء طويل لقيه شأن العاملين أراد أن يرفه عن نفسه قليلا من عناء التعب واستعدادا للمستقبل وكره أن يكون هذا الترفيه عزلة عن العمل أياماً أو أسابيع أو يروض النفس بما لذ وطاب كما جرت بذلك العادة عند أمثاله فاختار السفر الى الحجاز

سمو الامير بالحجاز

اختار سمو الامير السيد ادريس السنوسى أن يسافر الى الحجاز لزيارة قبر جده عليه السلام وتكرار أداء فريضة الحج وتمتيع النفس بالنظر الى تلك البقاع المقدسة واستلهام الوحي من روح صاحب الرسالة ومبعث الارشاد ومهدى البشرية ومشرق الحضارة محمد العظيم (صلعم) وخلفائه الراشدين الذين ساروا بالامة الاسلامية على قدم الرسوخ والحق فاسسو الامبراطوريه الاسلامية العظيمة ومن هناك يرجع وكله آمال وأعمال وعزم وحزم وهمة ونشاط وقوة على الحق وثبات فيه وفي ذلك مافيه من الخير الذى يكون عادة مستترا وراء حجب الكتمان . سافر سموه سنة ١٩٢٠ ومعه بعض رجال حاشيته الاميرية الخاصة منهم المستشار الاميرى السيد عبدالعزيز العيساوى «١»

«١» السيد عبد العزيز العيساوى ابن السيد أبو القاسم ترجمة السيد أبو القاسم العيساوى بهذا الكتاب

السيد ابراهيم بك أحمد الشلحي ياور الحضرة الاميرية «٢» السيد حسين أبو خضرة أحد سكرتيرى الامير فمرسمـــوه بمصر واستقبل بهـا استقبالا فائقا ولما وصل الى الحجاز استقبل سموه من قبل جلالة الملك حسين بن على وحكومته والشعب الحجازى بكل مايليق بسامى مقامه وانزله الملك فى ضيافته الخاصة واعتنى به الى أن غادر الحجاز موليا وجهه شطر بلاده وقد زار المدينه المنورة بعد الوقوف على جبل عرفات ولما عاد ركابه الميمون باليمن الى عاصمة جدابيه استقبلته الامة استقبالا عظيما فقد وصلت الوفود الرسمية والهيئات من كل جهه إلى جدابيه قبـــل وصول سموه لتشترك فى استقباله ولم يكتف أفراد الامة بممثليهم بل سارعوا خفافا وثقالا إلى مدينة جدابيه التي أصبحت قبلة الآمال وهناك تشرف الكثير من وجهاء وأعيان الامة بمصافحة الامير وهذه أول مرة يغادر فيها سموه بلاده بعد البيعة وقد أقيمت الافراح بمقدمه في جميع أنحاء البـــلاد وقد تشرف بالمثول بين يديه كل من العلماء ورءساء الزاويا والمشايخ والاعيان وموظفى الحكومة فقواد الجيش وضباطه وقرأت فى حضرته وبين يدى سموه قصائد الشعراء الذين تركوا العنان لقرائحهم ومن بينهم السيد أحمد بن ادريس السيد عبد العزيز العيساوى الاستاذ عبدالله اسماعيل المصرى ـ محمد السنوسى الهدنى ساسى بك شتوان . وهانحن نثبت الابيات التالية عن قصيدة الشاعر المصرى الاستاذ عبد الله اسماعيل .

«٢» ولد ابراهيم بك الشلحى بزاوية قفنطه من الجبـل الاخضر وكان والده المرحوم السيد أحمد احد الاخوان السنوسيين وكانت ولادته حوالي ١٣٢٠ هجريه وتعلم القراءة والكتابة ودرس القرآن بزاوية القايدية والزاوية البيضاء ولما تولى السيد أحمد الشريف قيادة المجاهدين وأخذ أبناء رءساء الزوايا وشيوخ العشاير وكبار الاخوان كان ابراهيم بك من بينهم ليكون السيد أحمد الشريف منهم طابورا خاصا فيكون هو طابور المعية ولما وصل السيد ادريس إلى السلوم خصص له السيد أحمد الشريف قسما من أبناء الاعيان ليكونوا في معيته ومن بينهم كان المترجم وكانت تظهر عليه سمات الحياء والادب والذكاء الامر الذي قربه من سمو الامير وقد اسندت له خدمات خاصة حسب مقدرته فوفق لاداء ذلك ومازال هكذا تحت الاختبار حتي

بعدت فأبعدت المكارم والندى وأبت فآب الفضل والرشد والهدي

الى أن يقول : هنيئا لسلطان الحجاز وقومه وطوبى لهم لما ركابك قد بدا

ومن عمدة البيت السنوسي ضيفه جدير على أن يكنس الترب عسجدا

ويقول وهو يسأل سمو الامير وفى ذلك اشارة لنزوله بالقصر الخديوى حينما قصد الامير للحجاز في المرة الاولى

وقل لى عن القدس الشريف وحاله ومافيه من حكم بغيض تجددا

وهل قصر رأس التين لما قصدته كما كان لما كان للضيف موردا

ومنها : سمت بك بنغازى ودانا لك من بها وطير التهانى في ربى الانس غردا

لم تكن ايطاليا مرتاحة لزيارة سمو الامير للحجاز واتصاله بجلالة الملك حسين وان كانت تحاول اخفاء عدم ارتياحها وتصيغه فى شيء من التهكم والتهور كما ظهر لنا ذلك من كتاب الايطالى المشهور (آلدوكيشرى) الذى كان أول اتصاله بسمو الأمير على مائدة التكريم الذى أقامها لسموه والي بنغازى الجنرال دى مرتينو فى شهر نوفمبر سنة ١٩٢٠ وأخذ الكاتب الايطالى بمحاولاته وخز عبلاته كما جرت بذلك عادة الكتاب والصحافيين يسجل شيئا عن ذلك فيقول ان الامير السنوسى قوبل من لدن ملك الحجاز مقابلة تفوق حد التصور وقد اشترك ملك الحجاز وولداه

حاز ثقة الامير الغالية وكان من أنجب رجال الديوان الاميرى فرقي الي رتبة الياور في جدايه وصاحب سمو الامير الى ايطاليا كما كان دائما في صحبته ثم تولى الوكالة العامة للخاصة الاميرية ومن أبرز خصال ابراهيم بك الاخلاص اللانهاءى لولي نعمته سمو الامير والتفانى فى خدمته والسلوك الحسن في جميع أعماله والثبت في حركاته هذه بعض مؤهلاته كما يمتاز بأخلاق عالية وفى تلك الظروف العصبية التى مرت بسمو الامير أثناء مرضه ووجوده بمصر عندما كانت ايطاليا توجه كل همها للضغط علي سمو الامير بطرق مباشرة وغير مباشرة كان ابراهيم بك محل الشجاعة النادرة والاخلاص العظيم وله ثقافة عالية اكتسبها من التجارب وطول الاتصال بسمو الامير وقد سمعت أنه درس اللغة الفرنسية بالاسكندرية على أستاذ خاص ويقال انه فى مستوى طيب قراءة وتكلما وهو لايزال محل ثقة سمو الامير وفى الحقيقة انه جدير بها !

الأميران علي وعبدالله فى حفلة أقامها العرب التابعون وللمتسبون للسنوسى بالحجاز وقد كان عدد العرب الذين اشتركوا في الاحتفال يقدر بالآلاف وان اتباع السنوسى هناك كثيرون جدا ثم يقول في موقف آخر من كتابه ان الامير السنوسى وهو جالس علي المائدة يبدو عليه شيء من التفكير والوجوم ثم يتسأل الكاتب بقوله وربما كان تفكيره حول تسليح جماعته بالحجاز ويخرج عن الموضوع (أي الكاتب) فيقول ان الخلاف بين الامير السنوسي وملك الحجاز كان من العوامل التى جعلت الامير يفكر . ويذهب الكاتب للاطناب فى الحركات التكتيكية التي يقوم بها الامير على المائدة كما كان الكاتب معجبا بكل حركة يقوم بها سمو الامير ثم لايخفى اعجابه عندما يتكلم سمو الامير سائلا أو مجاوبا : وقد كان الكاتب الايطالي يتبع سبيل الصواب حينا ويخرج عن دائرة المعقول أحيانا ومن ضمن ماجاء به فى كتابه ان السنوسى يفكر أيضا في تسليح قومه باليمن فانظر الى محاولاته اخفاء تذمر ايطاليا من سفر الامير للحجاز ولكن الحقيقة تغلبه فتظهر فى الصيغة التى جاء بها مبهما .

تعديل المعاهدة السنوسية الايطالية

أصرت ايطاليا على تعديل معاهدة عكرمة وزيادة أشياء بها وتنقيص أشياء وعمدت إلى ذلك لمختلف الطرق والوسائل وبعد طويل أخذ ورد وتبادل آراء ومشاورات مع شيوخ الامة وممثليها حصل اجتماع الرجمة الذى مهد له باجتماعات أخرى بموقع الآبار وغيره وذلك سنة ١٣٣٩ هجرية فعقدت الاتفاقية المعروفة باتفاقية الرجمة واجتمع ممثلوا الامه وشيوخها وأعيانها من الحدود المصرية البرقاوية شرقا إلى موقع قصر سرت غربا بموقع الرجمة وهناك حضر سمو الامير وفي معيته السنية السيد محمد عابد السنوسى والسيد صفى الدين السنوسى وحاشيته المؤلفة من بعض رجال الحكومة وأفراد المعية الاميرية كما وصل ممثل الحكومة الايطالية الجنرال جاكمو ديمرتينو وإلي بنغازى وأعوانه والجنرال دى فيتا ومشاور الوالي سعادة عمر باشا منصور الكيخيا فعقدت الاتفاقية وامضيت وكان من بعض موداها ان يكون بمعسكرات برقة السنوسية قسم

من الجيش الايطالي بالنسبة الآتية ، كل ثمانين من الجيش السنوسى يقابلهم مائة من الجيش الايطالى ولكل من هذين الجيشين رئيس أعلا أحد الرئيسين سنوسى والآخر ايطالي وهذا بعد أن طالبت ايطاليا بالحاح أن تحل المعسكرات السنوسيه بتاتا وان يكون الجيش السنوسي محدودا فلا يتعدى كونه بوليسا للامن العام فقط وبعد جهد جهيد توفق سمو الامير بمحاولاته أن لاتحل المعسكرات السنوسية وان كانت ايطاليا قد نجحت فى ايجاد النسبة المذكورة .

وإلى جانب القائدين المذكورين يكون مستشاراً يعينه ويختاره سمو الامير من بين رجاله ولايطاليا الحق في تعين المدير العربي لكل معسكر من المعسكرات السنوسية التي هي بمثابة مراكز عمومية حيويه ويعرض اسم المدير على سمو الامير للموافقة عليه والافيعين بدله على شرط حصول الموافقه وتبقى هذه المعسكرات الى مدة محدودة فتستأنف المفاوضات بشأنها وقد عين سمو الامير لقيادة الجيوش السنوسيه السيد صفي الدين فاعترضت ايطاليا على تعينه بحجه أنه رئس مجلس النواب فتعين السيد رضا وحيث أن مهمة هذا الاخير عامه بصفته الوكيل العام وهذه الصفة تقضي وجوده بالعاصمة فقد عين السيد صفي الدين بدله رغم اعتراض ايطاليا بالحجة السابقة ، أما ايطاليا فقد عينت الجنرال دى فيتا وسميت الادوار السنوسيه (المعسكرات) بعد هذا التزيب باسم (ادوار الخليطه) وعددها سبعة هى .

الابار ـ دور جردس ـ دور سلنطه دورمراوه ـ تاكنس ـ خولان وعكرمة .

وقد زعمت ايطاليا انها نجحت في خطوتها هذه الاخيرة ولكنها فى الحقيقه لم تنجح فقد اظهرت للعيان سوء ماتخفيه فتبدلت الصداقه التي كانت نتيجة المعاهده الاولى الى عداوة نتيجة المعاهده الثانيه وكان موقف سمو الامير لايتعدى أحد امرين والحالة هذه أما التسليم بدون قيد وشرط وابطال جميع المعاهدات والغاء الشروط الأولى وهذا لايسوغه سمو الامير وأما الحرب بسرعة والوقت لهذه الاخيرة لم يحن بعد والامة لازالت فى دور الثقاهة وأقصي ما يستطيع الامير عمله يومئذ هو مايتم بمعاهدة الرجمه التي كانت كصدمة قوية اثارت فيه روحا أخرى ونبهته لما سيكون ولا أستطيع أن أخفى أعمال بعض العناصر الموالين لايطاليا أو بعبارة أصح أن

صاحب السعاده والسيادة ولى عهد الاماره السنوسيه
السيد محمد رضا باشا المهدى السنوسى

صاحب السعادة والسياده السيد صفى الدين باشا السنوسى
نائب سمو الامير بالمنطقة الشرقية من برقه

ذلك وليد اجتهادهم وان كان اجتهادهم عقيما اذ لا أعتقد أن هناك فردا واحدا مواليا للطليان وان كانت السياسة فى كل زمان ومكان تخلق اقواما يبيعون لوطنهم بدل ما يحسنون له ولو كانت ايطاليا عمشت بالسياسة الأولي وتركت معاهدة عكرمه نافذة المفعول لما تكبدت ماتكبدته من الخسائر ولوفرت على نفسها سمعتها التى تلطخت ولا يحرم أحد الفريقين من المصالح المشتركه ولكن سياسة النفاق التى نهجتها ايطاليا لم تكن بخافية فكان سوء نتيجتها من تحصيل الحاصل وخسر الطالب والمطلوب .

سفر سمو الامير الى روما

دعت الحكومة الايطالية سمو الامير لزيارة روما رسميا فقبل سموه هذه الدعوة وسافر بحاشيته المؤلفة من حضرة وكيل الخاصة الاميرية ابراهيم بك الشلحى والسادة عبدالعزيز باشا العيساوى وعبدالقادر باشا فركاش والسيد محمد المحجوب والشارف باشا الغريانى وعلى باشا العابدية والسكرتيرين السيد حسين أبوخضره والسيد محمد الفزانى إلى بنغازى فاستقبل استقبالا رائعا وذلك فى شهر نوفمبر سنة ١٩٢٠ واشترك الشعب البنغازى النبيل فى هذه المناسبة لاعلان ماكان يكنه نحو أميره المحبوب وليظهر بمظهر الاخلاص الصادق : خصصت الحكومة الايطالية قصراً فخما لينزل به سمو الامير يرفرف على شرفاته العلم الوطنى ويحيط بالقصر المعد لسموه حرس الشرف وقد زخرفت المدينة وأزينت كما رفع العلم الوطنى على جميع الدور والمتاجر ونظمت لهذه الزيارة الاميرية برامج خاصه باشتراك المجلس البلدى البنغازى مع الحكومة فى وضعها وقد وضحت بها جميع حركات سمو الامير وزياراته ومقابلاته والاحتفالات التي تقام لسموه وطوافه بالمدينة ومروره بالمصالح الحكومية والمؤسسات وأرسلت نسخة من البرامج لسمو الامير كي يطلع عليها قبل وصوله إلى بنغازى وموافقته وقد وضعت ثلة من حرس الشرف امام كل محل يمر به سموه لاداء التحية العسكرية ومن أروع الحفلات التي أقيمت لسموه حفلة الحكومة وكان خطيبها والي بنغازى الجنرال دى مرتينو وحفلة قيادة الجيش وكان خطيبها الجنرال دي قيتا وحفلة بلدية بنغازى وكان خطيبها عميد البلدية

محمد بك المحيشي ومن بين خطباء العرب الوجيه عمر بك المحيشي والاستاذ مصطفى ادريزه والاستاذ الاديب موسى البرعصي و بثت هنا كلمة عميد البلدية محمد بك المحيشي :

ياسمو الامير : اذا كانت القلوب قد استبشرت وعمها الفخر بما نلتموه من عظيم الشرف المضاف الى شرفكم الطبيعي ومهابتكم الموهوبة من لدن باريء النسمات فان أحق الناس بالحظ الاوفر من الفخر والابتهاج هذه المدينه المتشرفه اليوم بمقدمكم السعيد بنغازى الصادقة الامينة . بنغازى شديدة التعلق ببيتكم الطاهر الاسمي وطريقتكم المقدسة المثلي ، هذه المدينة التي حيت فيكم بالامس لدى عودتكم من الاقطار المقدسة الحجازية الرجل العظيم الذى أنقذ الله على يده آلاف النسمات من مخالب القحط والمجاعة تبتهج اليوم وتفتخر بتشريفكم لها وتحيى فيكم سموالامير الخطير والمصلح الكبير الذى سلك سبيل الوفاق ونبذ الخلف والشقاق مراعاة لصالح الامة ورغبة فى رفاهيتها لقد كانت هذه البلدة الطيبة لدى زيارتكم الاولى فى أوائل نقاهتها من سقم الحروب المتواليـة والمصائب المتتابعة فقابلتكم مقابلة السقيم المعترف بالجميل لطبيبه الذى سبب له الشفا أما اليوم وقد تم شفاؤها وزال عناؤها وتحصلت بفضل مجهوداتكم العظيمة وقوانين الحكومة الحرة على جل ما كانت تتمناه ولا تجد له سبيلا فهى تقابلكم مقابلة الامم الحرة لعظماء الرجال الذين لا رائد لهم إلا الصالح العام ، ان كل ما يصدر عن الامة اليوم يكون له معنى أبلغ وتأثير أشد من الماضي وإذا كانت البساطة التامة تلوح من أقوالها في الماضى فان الجلالة الشماء والمهابة العظمى تظهران اليوم بأجمل مظاهرها وأكمل معانيهما ، لقد أصبحت الامة حرة مطلقة اليد فى سائر أقوالها وأفعالها فاذا قابلت سموكم بالاجلال والتعظيم فانما ذلك صادر عن شعور وجداني محض إخلاص منزه عن شوائب الرياء والتملق : هاهم يا مولاى أعضاء المجلس البلدى الذين اختارتهم بنغازى للقيام بشئونها الادارية وهاهم نوابها الذين انتدبتهم للدفاع عن حقوقها مع باقى نواب القطر يحيطون بكم دلالة على اشتراك الامة بأسرها فى الاحتفاء بكم . الى أن يقول حضرة الخطيب (بعد أن وجه الثناء لدولة الوالى .اغتنم هذه الفرصة لاعبر لكم عن إحساس هذه الامة السقيمة الصادقة وهنا أختم كلامى شاكراً سعادتكم وحضرات الافاضل الحاضرين على مشاركتكم لنا في هذه الحفلة الشائقة داعيا الجميع أن يهتفوا

معى ليحيا جلالة المليك ليحيا سمو الامير المحبوب لتعش برقه .

وكانت كلمة الوجيه عمر بك المحيشى شعرية منها قوله :

لقد رضي الرحمن عنك وأنعما أديتناودينا زادك الله أنعما؟

ومنها :

وما الرتب العلياء إلا ضئيلة تتيه فخاراً بالامير الذي سما

سمو ولكن السمو أسير فـ ـضل مولاى يوليه مواليه كيفما

وقد أظهرت مدينة بنغازى جميع ما تكنه نحو أميرها المحبوب من شعائر الولاء وآيات الحب المتغلغل في النفوس ، وفى أواخر نوفمبر أقلعت الباخرة (ريجينا إيلنا) REGInA ELINA بسمو الامير وحاشيته الموقرة وكانت مؤلفة من السادة الآتية أسمائهم : السيد عبد العزيز العيساوى مستشار أميرى ، السيد عبد القادر بدر قركاش مستشار أميري ، السيد محمد المحجوب ، على باشا العابدية متصرف جدابية ، الشارف باشا الغرياني قائد معسكرات الاحتياطى ، السيد إبراهيم بك الشلحي ياور سمو الأمير ، السيد محمد الفزاني والسيد حسين أبوخضرة من سكرتيرى الديوان الأميرى عدا الخدم ويصحب سمو الأمير فى هذه الرحلة والى بنغازى الجنرال جاكمودى مارتينو ومشاوره الخاص سعادة عمر باشا منصور وكان العلم الوطني المحبوب يرفرف علي الباخرة ولما وصل الركاب الميمون إلى إيطاليا استقبل هناك استقبالات رسمية في كل محل يمر به فتزين المواني والمحطات الحديدية والشوارع التى يخترقها إلى أن وصل إلى روما وهناك بمحطة روما استقبل سمو الامير مندوب خاص عن الملك وكان فى استقباله أيضا وزير المستعمرات عن الحكومة واستقبله أيضا الوزير الثاني لوزارة الداخلية مع جميع رؤساء الادارات التابعة لوزارة المستعمرات ورجال الصحافة على اختلاف أشكالهم والكثير من مجلسي النواب والشيوخ وقد زين رصيف المحطة وأفرش بالسجاد البديع وخصص لسموه الباب الملكى بالمحطة ليجتازه وأطلق ٢١ مدفعاً للتحية وقد استقبله أيضا الوزير الثانى لوزارة الخارجيه وعمدة بلدية روما وصحبته وفود المستقبلين إلي الأوتيل الفخم (اكسلسيور) الذى أعدت منه ثلاثة أجنحة لسمو الامير وحاشيته وفى يوم ٤ ديسمبر سنة ١٩٣٠ أقام الملك لسموه حفلة غذاء شائقة دعى إليها الكثير من الوزراء وأعضاء مجلسى البرلمان ورجال الصحافة

ورجال البلاط الملكى كما أقيمت لسموه حفلات كثيرة منها حفلة وزارة المستعمرات وحفلة أقامتها بلدية روما وحفلة أخرى أقامها الملك بحديقة سافويا (الملكية) وأقيمت لسموه حفلة أخرى بالبندقية VInESIA وتعد هذه المدينة من أجمل مدن العالم وأثناء عودة سموه أقيمت له حفلة شائقة فى باليرمو بمنزل الوزير الثانى لوزارة المستعمرات وقد أخبرنى سعادة عمر باشا منصور أن المدعوين لهذه الحفلة من جميع الطبقات العالية أكثر من ألف نسمة وقد ضمت هذه الحفلة كل العائلات الكبيرة فى مدينة باليرمو ومن بين هذه العائلات عائلة عربية الأصل لا زالت تحتفظ باسمها العربي القديم (شائب الرأس) بدون أن يغير هذا اللقب إلى اللغة الايطالية وكان عدد الأيام التى أقامها بروما خمسة أيام.

وصل سموه فى أوائل النصف الثانى من شهر ديسمبر فاستقبل بكل ما هو جدير به وكان في استقباله كبار الاخوان ورجال الحكومة وقواد الجيش وشيوخ الامة وبعد وصول سموه بيومين أقام حفلة شاى بقصره الاميرى العامر فألقيت أثناءها الخطب والقصائد ومن بين أولئك والد المؤلف فقد أنشد قصيدة رائعة استهلها بكلمة نثرية بطريقة السجع تثبت هنا بعض ما تذكره منها فقال:

الحمد لله الذى أزال الضرر والبؤسى، القائل لقد أوتيت سؤلك يا موسي. والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، المبعوث رحمة للعالمين، ورسولا إلى كافة الخلق أجمعين، أما بعد فان الله شرف هذه الامه بنبيها الكريم. ومن عليها بأولاده الحائزين للشرف العظيم فكانت الاسرة السنوسيه غرة في جبهة الدهر. وهكذا لهم الشرف الزائد فى كل عصر، لا سيما الامير الاكبر الذى لا يجهل فضله ولا ينكر فهو المعول عليه في جميع المهمات. والمستضاء برأيه فى جميع الملمات. فنهنيه وسائر الاخوة. الذين هم فى المكارم أسوه. بشروق شمس سعادتهم فى جدايه. التي جمعت بين الحضور والباديه. ومنها: فمشي إلى الحجاز مرتين. وتردد على مصر أكثر من كرتين. ومشى إلى الجغبوب مراراً. ونال من زيارة جده خيراً وأسراراً. ومشي الى إيطاليا مع جملة من الاخوان للاطلاع على الامور المجهولة فى ذلك الآوان الخ.

عناية الامير بالقطر الشقيق

نذكر الآن عن الحركة بين القطرين الشقيقين فنقول . وجه سمو الامير نظره الثاقب لتسوية المشاكل القائمه بين قبائل برقه من جهة وقبائل طرابلس من جهة أخرى وكانت تلك المشاكل نتيجة الفوضي التى سادت البلاد قبل وصول سموه إليها وما نتج عن موقف بعض أهل الاغراض وكان أهل طرابلس فى حالة سيئه فهم في حرب مع الطليان تتسع رقعته يوما فيوما ولا يمكنهم العامل مع إخوانهم اهل برقه والتعاون معهم والالتجاء إليهم فيما لو دعت الحالة ما لم تسوى بينهم تلك المشاكل القائمه التى كانت نتيجة أعمال من لهم حاجة فى نفوسهم أولئك الذين لا يرقبون في المصلحة العامة إلا ولا ذمة من شريري الامة مع أن القطرين فى حاجة إلى الذين ينسون أنفسهم وينكرون ذواتهم ويؤثرون على أنفسهم . حصل سوء التفاهم بين القطرين الشقيقين بواسطة مسببيه كما أشرنا لذلك فأدي إلي ضيق المعيشة والاضطراب وخصوصا في المدة الأخيرة وبمصراته فقط الامر الذى جعل سمو الامير يوجه عنايته لذلك. هذه المسائل كانت تحتل من فكر سمو الامير المكان الأول فوجه نظره نحوها وعمل كل ما استطاعه وأخيراً بعث بوفد من شيوخ وأعيان برقه يرأسه صالح باشا لطيوش إلى قصر سرت حيث يجتمع بوفد مصراته وهناك سويت كل المشاكل على وجه التراضي والتسامح ليتقرب الاخوان الشقيقان بعدان نزغ الشيطان بينهما وقد تنازل سمو الأمير عن جميع الحقوق الفردية والعامة تلك الحقوق التي يطلبها أهل برقه من إخوانهم أهل مصراته وسرعان ما استؤنفت الحياة الاخويه وابتدأت الاعمال التجارية والمواصلات الودية بين القطرين الشقيقين فانتفع بذلك أهل مصراته وتنفس القطر الشقيق الصعداء بعد عناء طويل لا داعي له . كانت هذه المأثرة الحميدة التى قام بها سمو الامير كهدية ثمينه قدمت منه إلى القطر الشقيق وتعد من جلائل أعماله يذكرها تاريخ القطرين الذين لن يتجزآ كان سفر الوفد السنوسي فى شهر رجب سنة ١٣٤٠ ولما تحسنت العلائق بما أبداه سمو الامير من المساعى الطيبه والجهود الجبارة وغض النظر عما فات ونبذ الضغاين

وتناسي الماضي ارتاح إخواننا الطرابلسيون الذين لا ينكر موقفهم هم أيضا نحو هذه المصلحة واستأنفوا مواصلة العلائق الودية وقد جنوا ثمراتها فكانوا يرسلون بقوافلهم إلى برقة لتحمل لهم من أنواع المأكول والملبوس وجميع أصناف البضائع مما هم في حاجة له وليردوا أسواق برقة أني شاءوا في أمن وسلام وفي كثير من العناية بهم ، أما الحالة بين القطر الشقيق وإيطاليا فانها مكدرة إذ أصبحت الحالة من حيث هي تطفح مرة وترسوا أخرى والمراوغة من قبل إيطاليا تظهر في كل عمل من أعمالها واضحة جلية وبما أنني ما قصدت أن أورد شيئاً عن الحركة بطرابلس لموانع كثيرة سبق أن ذكرتها وأهمها أن المعلومات التي كانت لدينا فقدت بالرغم من تحفظنا عليها السنين الطوال ولم تكن بين أيدينا مراجع تاريخية يمكننا الاعتماد عليها وقد قلنا في موضع غير هذا أن كتابنا خاص ببرقة ولم يكن غرضنا من ذلك أن برقة شيء وطرابلس شيء آخر بل فكلا القطرين جزء متمم للاخر هذا ما يدين به كل ليبي وبهذا الوضع الجغرافي والسياسي والطبيعي وضعهما يد القدرة الالهية وغاية من هنالك أنني بصورة مستعجلة أردت أن أخرج هذه المجموعة التي هي في نظري مبتورة ما لم تفي بالغرض حيث كانت خاصة ببرقة كما أسميت هذا الكتاب بها والامل أن يكون في الطبعة الثانية أعم كما أرجو أن يكون هذا الكتاب باكورة كتب أخرى تؤتي ثمرها فالوطنيون ولله الحمد ببلادنا متوفر عددهم والكتاب قد ملؤا أمكنة كانت شاغرة والمتعلمون يشغلون القسم الأكبر في الصعيد الليبي الذي يجمع الجميع والشباب المتوثب للمعالي والمتحفز لأخذ مقعده اللايق به بين الشباب الشرقي العربي يؤلف مجموعة طيبة يتجاوز عددها عشرات الآلاف الامر الذي جعل كل فرد من أفراد الامة الليبية يطمئن لمستقبله الباسم .

هناك عوامل قوية تجعلنا نمر مر السحاب على بعض الوقائع الطرابلسية لارتباطها بموضوعنا ولا تكاد تنفصل عنه ولها أهميتها وتشغل من تاريخ برقة مكانا كبيرا ولذلك نأتي ببعضها تتميما لما نحن بصدده .

يقول أمين سعيد في كتابه الاستعمار الايطالي الفرنسي في بلاد العرب ما يلي :

استقر قرار زعماء الحركة الوطنية في طرابلس الغرب بعد طويل أخذ ورد على التقرب من السنوسيين والتعاون معهم والاستعانة بهم في حربهم مع الحكومة الايطالية

التى انقضت عهودهم وأبت أن تنفذ القانون الاساسى الذى اتفقت معهم علي تنفيذه وقرر مؤتمرهم المعقود فى غريان الاتحاد مع برقة وبيعة السيد إدريس السنوسي أميراً عليهم ثم أوفدوا وفداً من رجالاتهم قوامه الشيخ محمود المسلاتي ، الشيخ طاهر الزاوى فبلغ جدابية فى شهر شوال ١٣٤٠ هـ ١٩٢١ م فاجتمع بالسيد إدريس وبسط له مهمته وطلب إليه أن يسافر معهم إلي مصراته ليبايعه الطرابلسيون فاعتذر عن السفر لاعتلال صحته ووعد بالزيارة عند حلول الخريف (كان الوقت صيفا) وعرف الايطاليون ما هنالك واتصل بهم خبر الوفد وغايته فأرسلوا إلي السيد إدريس يحذرونه من قبول الاقتراح ومن التعاون مع الطرابلسيين فرد عليهم بلطف قائلا أن مركزه ومقامه لا يسمحان له برفض ما عرض عليه واعادة الوفد خائبا كما أن توحيد القطرين يريح ايطاليا من مشكلات كثيرة ويضع حدا للاضطرابات الداخلية يضاف الى ذلك أن الطرابلسيين هم الطالبون وهم المقترحون فلم يرق هذا الجواب الايطاليين فأرسلوا يلحون بالرفض ويهددون بالحرب فكرر الاعتذار وقال أنه لا يستطيع رفض مصافحة اليد التي تمد اليه فكان ذلك مقدمة للخلاف والشقاق وتجديد الحروب والمعارك بينهما) تقول نحن اما هذه البيعة التى أراد الطرابلسيون أن يقلدوها سمو الامير السيد ادريس وهذه الوحدة الليبية التي لابد منها هما حق من حقوق الامة الشرعية ولكل أمة حقوق معلومة لا يصح مغالطتها وليس من السهل اغتصابها وما جاء الطرابلسيون الا بحق من الحقوق التى تقرها الشرائع السماوية وتفرضها القوانين الوضعية والعقل والمنطق والعرف ولكن الايطاليون كما هى عادة الغربيين أرادوا أن يتجاهلوا هذا الحق فينكرونه على أهله ان أمكن ويغتصبونه منهم وقد فات الطليان أن الأمة الليبية التى أرادوا أن يمنعوها حقها ستدافع عنه بكل ما أوتيت من قوة وشجاعة وتقاتل في سبيله حتى آخر لحظة وفعلا دافعت الامة الليبية فما وهنت وما استكانت تناضل من أجل هذا الحق وتنادى به واقفة عند رأيها وعقيدتها فمن هاجر منها وأوذى فى سبيل الحق المشروع بقي محتفظا به فى هجرته كما كان يقاتل عنه في بلاده وسيان عنده الشدة والرخاء ومن بقى في دياره يقاتل فقد قاتل حتي وقع صريعاً فى حومة الوغي ومن غلب علي أمره فقدر له أن يستسلم

لقوة الطغيان الغاشمة بقي متحملا ما لقيه من ذل ومسغبة صابراً على مضض حتى آن الوقت الذي يستطيع فيه المناداة بحقه عاليا والمجاهرة على رءوس الاشهاد وهاهم أخواتنا الطرابلسيون يجددون تلك البيعة ويعاهدون الله عليها«١» .

لا يخفى أن إيطاليا قد هالها الامر لما رأت ما آلت اليه البلاد من قوة جانب الحكومة السنوسية الحرة ومناعتها والارتباط الذى وثقت أواصره بين جميع طبقات الامة والوحدة التي أبت أن تقبل الانفصام تحت قيادة سمو الامير العظيم الذى اقترن حب الشعب له بالعقائد الدينية فأخذت تحاول بدسائسها وبذل أموالها ونشر دعاتها للتغيير من ذلك فآبت بالخسران وحاق بها المكر السيء وأخفقت ولازمها الفشل من كل جانب . أن هذه الامة النبيلة التي عرفت ما لها وما عليها قدست أميرها وحيت فيه رجلها العظيم وحامل شعلة حريتها وجامع شملها . عرفت عنه أنه جدير بتفانيها في حبه فوضعته المكان المقدس منها ، ولسان حالها يقول :

أما القلوب فأنت والايمان فى سوداتها وسواء ذلك عيل

حاولت ايطاليا أن توقف من تيار ذلك الحب الى حد معلوم فكان نصيب محاولتها خسرانا مبينا وتحققت أن الامر في ازدياد مضطرد ونمو متزايد ولا حد له يقف عنده وحسبت له ألف حساب متأكدة أن هذه الحكومة الفتية وهذا الشعب النبيل الباسل الملتف بأميره والساير خلفه لا بد أن يكون حجر عثرة فى سبيل غايتها وعقبة في الطريق الذى رسمته فى الخفاء ومما زاد الطين بله تقلد الفاشيست مقاليد الحكم فى ايطاليا فتغير الوضع السياسى وان كان بالنسبه لما نحن فيه فمن تحصيل الحاصل تغييره فأراد الفاشيون بقوتهم وطغيانهم أن يفتكوا بالامة قبل أن تستيقظ لما يدبر لها ويتمكن الطليان من بسط نفوذهم على البلاد فيتخذون من سهولها وجبالها معسكرات لجيوشهم ومواطن للتدريب العسكري ووقوفه بالقرب من مصر وتونس اللتين هما جزء متمم لامبراطورية الفاشزم كما يحلمون بذلك ويتخيلونه وهكذا يقولون ، طال الامد أم قصر فالخطة الموضوعة لا بد من ضم

---

(١) إشارة للبيعة التى أرسلت من مدينة طرابلس الي سمو الامير وهو ببرقة أثناء زيارته لها سنة ١٩٤٤ .

مصر وتونس لامبراطوريتنا، هذا من الوجهة العسكرية التي تحتم الاستيلاء على ليبيا بكل ثمن أما من الوجهة الثانية أو هي الاولى عند بعضهم هي أن تكون البلاد الليبية بسرعة قطعة من ايطاليا يغشاها كل من استعصى عليه الحصول على العيش وضاقت به مسالك الحياة بايطاليا ويتخذ منها أيضا مأوى للمتشردين والمجرمين فينفوا من بلادهم ليحلوا بليبيا حكاما وسادة . بهذا كان موسليني يمني نفسه ولذلك سعى فسار عدة خطوات حقق فيها شطراً من غرضه ولازمه بعض التوفيق بادىء الامر غير أنه دفع ثمن هذا التوفيق باهظا عندما جابهته الامة الليبية مجابهة الأسود وفي ختام الفصل النهائي من روايته انهارت كل آماله وخابت مساعيه ، ثم أن موسوليني الذي كان ابان الحرب الليبية الايطالية والحرب الكونية السابقة (نكرة) أراد اليوم وقد تقلد زمام الحكم بايطاليا أن يكون (معرفة) يسجل في صفحات تاريخه انتصارا يظهر به في مصاف القواد العسكريين ويخفف بذلك ما أثقل كاهل أمته من المعرات التي سجلتها في الميدان الليبي بينما يجد ليبيا قد سجلت لنفسها في تاريخ الحرية والبطولة فخراً عظيما بمداد من دم شهدائها . بدأت ايطاليا تبحث عن حيثيات تبطل بها المعاهدة الايطالية السنوسية لانها مرتبطة بها وان كانت لا تراعي حرمة العهود والمواثيق كما أخبرنا بذلك التاريخ وعلمتنا التجارب . رأت أن لابد من اتخاذ وسائل تبرر بها الغاء المعاهدة ونكثها ولهذا أخذت تتذرع بأسباب هي أوهي من خيط العنكبوت لتبرر موقفها ازاء العالم فيما تقدم عليه :

ثوب الرياء يشف عما تحته فاذا التحفت به فانك عارى

صارت تطالب تارة بتعديل المعاهدة وطوراً بادخال مواد أخرى تضر بالشعب الليبي وتخولها هي السلطان الذي تريده وحين تسعى للتدخل في شئون البلاد الخاصة كل ذلك مع تحرش في الاعمال بشدة في اللهجة وغطرسة في الأقوال وتهجما في الالفاظ وجاءت بكل مالا يقره القانون الادبي والعرف الانساني والدستور الدولي وما من سبب من الاسباب الواهية إلا وقد تذرعت به وما من وسيلة ضعيفة الا واتخذتها حجة قوية غير قابلة للنقض والابرام فما بالك بهذه الحجه القوية (استئناف العلائق بين طرابلس وبرقة) التي جعلت ايطاليا تزبد وترغي وتبرق وترعد وتزمجر ورأت أن ذلك أكبر وسيلة في نظرها لتتخذ سلما لتعرج به الى الغدر والخيانة فلا تلام بعد .

نعود الى ذكر الوفد الطرابلسي فنقول ، ولما وصل الوفد الطرابلسي الى مصراته عائدا من جدابيه وكانت الحروب مشتدة بين أهـل مصراته والطليان وكبر على الطرابلسيين ألا انتظار أرسلوا وفدا آخر يحمل البيعة ليقدمها الى سمو الامير فوصل الوفد الى جدابيه فى أوايل سنة ١٣٤٢ واستقبل بكل حفاوة تليق به وهذا نص البيعة ندرجه بالحرف الواحد : بسم الله الرحمن الرحيم

إلى سمو مولانا الامير الجليل السيد محمد ادريس المهدي السنوسى حفظه الله ورعاه تحية تليق بالمقام الرفيع والجناب المنيع وبعد

فانه غير خاف علي سموكم ان الخلاف لم يزل قائم بيننا وبين الحكومة الايطالية ذلك لانها وجهت غرضها الى العبث بجميع حقوقنا شرعيها وسياسها وأداريها وجعلت من قوتها مبرراً للتصرف فى مصيرنا وحقوقنا الطبيعية ونحن خير أمة أخرجت للناس لانحتمل ضيما ولانرضى أن تضمحل شريعتنا ولا أن يتطرق الخلل الى ديننا القويم كائنا ماكان الامر الذى حملنا علي ركوب الاخطار واقتحام الحروب المتوالية معتمدين علي قوة الحق الى أن نظفر بتحقيق أمنيتنا القومية الا وهى تأسيس حكومة دستورية يرأسها أمير مسلم جامع للسلطات الثلاث الدينية والسياسية والعسكرية مع مجلس نيابي تنتخب الامة أعضاءه وبهذا يسلم وطننا ويتم أمر ديننا وتصلح أحكام قضائنا ويحفظ شرعنا وعنعة تاريخنا الباهر وهذا لايتنافى مع ماتدعيه ايطاليا وما دأبت عليه في خطت رجالها من أنها لاتحتل ديارنا بنية الاستعمار وانما ساقها دواعي السياسة الدولية فى البحر المتوسط ولوكانت صادقة فى دعواها هذا لما عرضت بلادنا للخراب بتوالى المهاجمات واستعمال دهائها وقدرتها للتفريق والفوضى وقد حاولت فصل الامه بعضها عن بعض بطرق مختلفة وابي الله الا أن يجمع كلمة القطرين بأن يلتفا حول أمير واحد يرضيانه حيث كان سموكم من أشرف عائلة وأكرم بيت مع مانجتمع فى ذاتكم الشريفة من المزايا العالية والاوصاف الجميلة فان هيئة الاصلاح المركزية الحائزة للوكالة المطلقة من مؤتمر (غريان) الذى يمثل الامة الطرابلسية بانتخاب واقع منها قد وجدت فى سموكم أميرا حازما قادراً على جمع الامة حائزا للثقة العـامة محبوبا فهي لذلك تبايع سموكم أميرا للقطرين طرابلس وبرقة على أن تقودونها الى مايحقق آمالها الشريفة الاسلامية

المنوه عنها ، لقد كانت مبايعتكم مفخرة في النفس منذ وقع الاتحاد بين مندوبي القطرين في (سرت) وكان السبب فى تأخير تحقيقها طوارىء الحرب الذى طوحت بكل واحد من أعضاء الهيئة ورجال القطر في منطقه شاسعة من المناطق الحربية وبهذه المبايعة ان شاء الله أصبح سموكم الامير المحبوب للقطرين المباركين ومتي سنحت الفرصة عند تشريفكم ايانا حسب رغبة الامة تقام لكم مظاهر هذه البيعة في موكب لائق بسموكم والله سبحانه وتعالى يمدكم بروح منه ويجعل البركة في البيت السنوسي المؤسس على التقوى والصلاح : فى ٣ ذى الحجة سنة ١٣٤١

التوقيعات : رئيس هيئة الاصلاح المركزية أحمد المريض ـ مستشارها عبدالرحمن عزام

أعضاءها : بشير السعداوى ـ حسين بن جابر ـ محمد فرحات ـ عبد الرحمن زبيده محمد التايب ـ سالم البحباح ـ عثمان القيزاني ـ عمر أبودبوس ـ محمد الصادق بن الحاج محمد مختار كعبار ـ محمد فكيني ـ الصويعى الحيتوني :

أعيان : محمد الديب ـ محمد سوف ـ عمر حبيل ـ احمد اشتيوي ـ فرحات القاضى خالد القرقنى ـ أحمد السنى ـ البغدادى بن معيوف ـ محمد الصغير المريض

قائد الجيش الوطنى : محمد سعدون

وفيما يلى نورد نص الكتاب الذى بعث به صاحب السمو الامير الجليل قال حفظه الله بعد البسمله :

من خادم الملة الاسلاميه محمد ادريس المهدى السنوسى :

الى أصحاب السعادة رئس هيئة الاصلاح المركزيه وعموم الموظفين ورؤساء الجيوش وكافة الاعيان والاهالى الطرابلسيين ـ السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد فقد تناولت يدالشكر عريضتكم التى اظهرتم فيها رغبتكم الخاصه التي اجتمعتم عليها في مؤتمر (غريان) وجاهدتم لها جهاداً صادقا بالانفس والثمرات فى شخصى فاخذتها داعيا الله أن يحقق آمال هذه الامة ويكلل مساعيها بالنجاح :

ولما كان اتحاد الوطن وسلامته هما الغاية التى طالما سعيت اليها وجدت من واجبى أن اتلقي طلبكم بالقبول وان أتحمل المسئوليه العظمى التى رات الامة تكليفى بها

فعلي اذن أن أعمل بجد معكم ولكن لاتنسوا أنى بغير جدكم واقدامكم لاقدرة لى على شيء :

أنى أعلم أن الحياة الخالده هى للامم لا للافراد وكذلك الاعمال العظيمة الباقيه هى التى تتصرف الى صالح الجميع : فلذلك أدعوه سبحانه وتعالى أن يهدينا الى كل عمل ثمرته للامة . أن من حق كل شعب أن يسيطر على شؤنه والناس قد نشئوا أحراراً وقد أظهر شعبنا فى كل أدواره مقدار محبته للحريه فدفع مهورها غالية فلا يصح لاحد أن يطمع فى استعباده والاستبداد بشؤنه :

لقد إشترطتم على الشورى وهي أساس ديننا وسأعمل على قاعدتها ، هذا وقد رايت أن أقر الامور علي ماهي عليه حتي تجتمع جمعية وطنية لوضع نظام البلاد فلذلك اكل الي الهيئة المركزيه لما ابدت من الحمية والعدل والدرايه أن تستمر على اداره شؤن القطر الطرابلسى ولى الثقة العظيمة فى حكمة رئيسها البطل الحازم احمد بك المريض ورفقائه الرؤساء الكرام والذين أيدوا مساعي الهيئة الملكية ان يتحملوا مشاق المسئولية بصبر لتثبيت دعائم البناء الوطني الذى شيدوه وأسأله تعالي أن يمد الجميع بعنايته وان يثبت الاقدام ويقهر الاعداء ويمن بالنصر الموعود أنه على مايشاء قدير .

فى يوم ٢٢ ربيع سنة ١٣٤٢ الختم الشريف

قلنا أن ايطاليا تذرعت بكل الوسائل الواهيه لتتحرش نحو الوطن وأهله ولتنقض ما كان أبرم وقد ظهرت نواياها فى كثير من أعمالها فاخذت الامة بدورها تستعد للدرئى الخطر ومقابلة الشيء بمثله فيما لو هو جمت البلاد وكان سمو الامير يشكو شدة وطأة المرض الذى أضناه وسلبه جمال طلعته واضعف قوته فقرر الاطباء أن يسافر سموه الى مصر ليتولى علاجه هناك الخبراء وخيرة الاخصاء ورجاء كبار الامة أن يجيب اقتراح الاطباء وان لايتهاون بصحته ويهملها وقد الحت علية رجال حكومته بذلك فالامة تراه قطب رحاها وجامع شملها وعماد بيتها وفي اعتلال صحته مافيه من

الضرر العام وكان سموه يرى مغادرت البلاد والحالة هذه أشد خطراً من الالم المبرح ولكنه أجاب طلب الامة التى أصبحت تقاسمه الالم المضنى وتشعر به كلها فسافر الى مصر وسنأتى بتفاصيل ذلك .

التوجيه الجديد

طلبت الامة من سمو الاميران يوجهها التوجيه الجديد لمقابلة الانقلاب الذى أحدثه الفاشيون ولعلم الامة بدنو ساعة الحرب التي لاريب فيها ولظهور بوادر ذلك فى جو السياسة الايطالية السنوسية فعين سموه قيادات أربعة وها نحن نفصل الكلام عن كل قيادة من تلك القيادات :

« ١ »

معسكر برقة الغربية ومقره الزويتينه الواقعة شرق شمال جدابيه ويرأسه صالح باشا الاطيوش ويؤلف هذا المعسكر من المتطوعين من أهالى برقة الغربية والمجندين الحديثين وبه ضباط من المحاربين القدماء ومن بين الرجال الذين قاموا بمعاونة هذا المعسكر ووهبوا أنفسهم لخدمته وبذلوا النفس والنفيس المشايخ الآتية أسماؤهم صر الأعمى المهدي الحرنه ، الفضيل المهشهش ، وها نحن نبين أسماء بعض المشايخ الذين كانوا بالمعسكر لمعاونة القيادة وتيسير دفة الامور كما وضعهم لذلك سمو الامير فبذلوا هما مشكورة منهم جلغاف شلبي ، سعيد يونس ، محمد قادوم ، عبد النبي مذكور ، بجيح الصبحى ، فرج الذباح ، الزروق خطاب ، موسى القذافي ، موسى حموده ، المبروك حامد ، عبدالقادر المقريف ، منصور نشاد ، أبو حلفاية نجيمه ، السنوسي البراني ، محارب عليوه ، سعيد الاطيوش ، أبو بكر جبيهة ، محمد الدايخ ، محمود أبو هدمه ، الفضيل جبيل ، موسي المعدانيه ، مفتاح سويكر ، عبدالقادر أبوحشيشة ، على أبو جليل ، خليل الرهيوين ، محمد النعاس ، السنوسى مشاقن ، ابراهيم أبو سيف ، ادريس الظريف ، الحاج حسن الظريف ، ابراهيم الفيل ، الحاج حبيل الابعج ، المبروك باسل ، محمد الحرنه ، الحسين القرقة ، سالم باسل ، عمر الحليق ، محمد الساعدي ، ابن ادريس أبوحليقه ، على غربيل

خالد القيصه وكثير غيرهم من المشايخ لا يتسع المجال لذكرهم وهناك مجموعة طيبة من الضباط النظاميين والمتطوعين نذكر منهم من تحضرنا أسماؤهم : محمد على قادربوه ، خليل دربي ، اللافى مفتاح ، عبدالسلام رجعه ، حنيش وأخيه ادريس جبيل ، فرحات الشاخ ، حمد الشاخ الصبيحى أحمد الاطيوش رابح القايلي ، أحمد شعيب ، عطيه المهشهش ، عبد السلام حمد الذباح ، دخيل عبدالسلام ، سالم شمام ، سلطان أبو ميز ، مجيد الربع عبد المجيد سليم ، محمد البرقاوى ، الصكلول أبوميز ، عبد السلام الاطيوش ، الصالحين عبد الهادى البراني ، حامد أبوشعله ، مصادف أبوعمران ، عبدالرحيم القضيل الزوى ، المبروك غيث الزوى ، عطيه العبيد ، ادريس عبد ربه ، خليل خميس ، آدم النويحف ، عبدالقادر أبو جليل .

« ٢ »

معسكر برقة الوسطى ومقره موقع البدين الواقع غرب بنغازى وغرب شمال قمينس يرأسه قجه بك عبدالله ويضم هـذا المعسكر جميع الجيوش النظامية يضاف اليهم المتطوعون من قبايل العواقير ، وكان به أكثر الضباط النظاميين والمحاربين القدماء نذكر منهم سيد الشهداء حسين الجويفى ، الغمارى الصغير ، محمد أبو الشويخ ، الفالح الدرسى ، عبدالله أبو سلوم ، عبدالسلام ادريس ، عبدالرحيم العجوز ، حبيب المسمارى ادريس المسمارى ، موسي الطلحى ، محمد أبو محيله ، عوض السوداني عبدالله أبوحوريه المسمارى المبروك فركاش ، محمد أبونصرالله ، علي الورفلى المعروف با (الطرابلسى) عياد أبو القاسم ، على رحيم ، الحاج شيله ، عبد السلام أبوتصيره ، عوض أبوقمره عمران الشويخ .

ومن بين ضباط المتطوعين : علي العبار ، منصور عبدربه الكزه ، المبروك العبيدى مسعود أبو بكر ، البقلال الصديق ، بورقعه بوشينف ، بوشنيف محمد ، الفضيل العبار حسين بريك ، وهناك معسكر آخر لم يكن تعيينه من بين هذه المعسكرات الاربعة التي نحن بصددها وهو معسكر قمره الذى كان قائده المجاهد الكبير السيد محمد أبونجوى ومعه البكباشي حسن بصرى ، أما المشايخ والاعيان الذين عهد اليهم سمو الامير بمساعدة

هذه القيادة ومنهم يتألف مجلس الشورى بالقيادة أذكر من بينهم . عبد السلام الكزة باشا ، عبد الحميد بك العبار ، سليمان رقرق عقيرب ، عبد الجليل المصراتى ، بريك اللواطى ابن علي اللواطى ، محمد الاحمر الفاخرى ، عوض العبار ، عبدالله حويل ، التواتى أبوسيف ، خليل مصطفي ، عمر الاصفر ، علي القذافى . سعد أبوجريعيد . ميلاد أبوشنيف . علي محجوب . عبدالله عبدربه . حمد مفتاح . محمد ابراهيم المصراتي . سعدالله النمر . خطاب الفاخرى وقد اتخذ هذا المعسكر بقيادته موقع البدين كما سبق ذكره ومهمته الرباط علي أبواب بنغازى وقينس وسلوق وعلى طول الساحل من بنغازي الي الزويتينه أما معسكر قمره الذى سبق ذكره فمهمته الرباط على الآبار والشليظيمة والرجمه وبنينه والساحل الشرقي عن بنغازى وبذلك أصبحت جميع حركات العدو مقيدة فامن صغيرة أوكبيرة يأتي بها الا وتحصي عليه . ولهذه القيادة فروع (كاراقولات) جميع أفرادها من الخيالة وهى التي ترابط الرباط المباشر علي العدو ومن هذه الكاراقولات مايرأسه عبد الحميد العبار الذى تطور بعد ذلك فى الجهاد ضد الايطاليين حتي نال رتبه قائمقام عسكرى لاحد المعسكرات بالجبل الاخضر وهو آخر من هاجر الى مصر بعد موت السيد عمر المختار .

« ٣ »

قيادة المنطقه الجبليه وقد عهدت رياستها الى السيد عمر المختار وبمجرد ماتلقي الامر من سمو الامير باشر فى مهمته وتقتصر بادى الامر على تسجيل اسماء المتطوعين من أهالي الجبل الاخضر ومنطقة البطنان اذ توجه لهاتين المنطقتين وكان فى معيته قسم من الجنود والضباط النظاميين أما الهيئة التي عهد اليها سمو الامير بمساعدة هذه القيادة اذكر منهم المشايخ الاتيه أسماءهم سعادة علي باشا العبيدى ـ أبو شديق مازق ـ السيفاط أبو فروه ـ محمد أبو القاسم جلغاف ـ محمد العلوانى ـ سويكر عبد الجليل ـ موسى عيضان ـ عبد الله الخرصاني ـ رجب أبوسبحه ـ رواق درمان ـ كريم أبوراقى وكثير غيرهم من مشايخ العبيد والعرفا والدرسا والحاسه والبراعصه والعبيدات والمنفا والقطعان والشواعر والعوامه والمسامير :

« ٤ »

أسند سمو الأمير قيادة طرابلس إلى صاحب السيادة السيد صفى الدين السنوسي مع لقب نائب الامير وذلك بعد وصول الوفد الطرابلسى الذى جاء يحمل البيعة وكان أعضاء الوفد السادة البشير بك السعداوى ـ عبد الرحمن بك عزام ـ الصادق بك الحاج ـ وماكاد يعين السيد صفي الدين حتي وصل نبأ ذلك إلي هيئة الاصلاح المركزية فاستبشرت خيرا وقد بعثت بكتاب إلي السيد صفي الدين هانحن نثبته هنا بالحرف الواحد :

إلي صاحب الفخامة والسيادة السيد صفى الدين الشريف السنوسى دامت معاليه آمين بعد تقديم مايليق بذلك المقام الرفيع الاسنى من الاحترام الفائق والسلام العاطر نعلمكم سيدى أن العدو جمع كل قواته الموجودة بطرابلس وجلب التي كانت بينغازى وزحف بها علينا وتقدم على طريق (جفاره) إلى (شقران) حتى انه وصل ليلة الامس إلي (مسلاته) ونحن في مقابلته نحارب فيه منذ ثمانية أيام بلياليها والمجاهدون يكافحونه مكافحة الابطال وتنازعه التقدم شبرا بشبر وقد اشتبكنا معه بالسلاح الابيض عدة مرات وقد حصل للطرفين تلف جسيم وان كان تلف العدو أكثر باضعاف مضاعفة ولازلنا نحاربه بمسلاته ونحيط به من الجهات الاربعة ولم يترك من قواته شيئا بالمراكز التى مر بها خوفا من ضبطها بل تقدم بكل قواته ولانعلم أي محل يقصد من (مسلاته) أورفله ؟ أم ترهونه ؟ وعلى كل حال فنحن فى أثره أينما يتوجه حيث جميع الناس خرجو من أماكنهم لمحاربته ولم يخضع له أحد في جميع الجهات ولكن ياصاحب السيادة ان الناس كما تعلمون في هذه الحروب المحرقة أتلفوا أكثر ما بأيديهم من (الجيخانة) تخفيفا للحملات على العدو ولذلك نطلب من مكارمكم ومروءتكم باسم الانسانية والوطنية أن ترسلوا ولو مقدار مائة صندوق (فوشيك) بوجه السرعه قبل كل شيء وقبل حتى حركتكم ان لم تتحركوا الى الآن وحاشا لفضلكم ولآل بيتكم أن تخيب أمة مسلمة قامت للالتفاف حول بيتكم الطاهر فحاشا أن يخيب رجاؤها ـ هذا وان الانظار متجهة والقلوب شائقة إلى قدومكم فالبدار البدار لان الفرصة تمر مر السحاب وان كتاب التاريخ وحفظته يسجلون ما يفعله آل السنوسي أبناء البتول وفى الختام لسيادتكم وفطنتكم المشهودة كفاية والسلام :

١٩ جمادى الاولى سنة ١٣٤١

التوقيع : باسم الهيئة المركزية محمد خالد القرقني ـ ناظر أمور الخمس حمدا شتيوى
عضو الهيئة المركزية : عمر أبو دبوس .

تحرك السيد صفى الدين السنوسي من جدابيه أواخر سنة ١٩٢٢ قاصدا مصراته ولم يصل هناك حتى احتلها الطليان وكانت معسكرات المجاهدين بطرابلس ثلاث ، المعسكر الاول بموقع (نقذ) وبه القيادة والثانى بموقع (تاجموت) والثالث بموقع (تمد حسان) ولما وصل القائد العام ونائب الامير السيد صفى الدين إلى المعسكرات المذكورة قوبل بكل احترام فأطلقت المدافع ايذانا بوصوله واستعرض الجيوش واستقبل عموم الضباط يتقدمهم الحاج علي المنقوش الذى كان رئيسا للمعسكرات بالنيابة بعد وفات محمد بك سعدون قائد القوات الوطنية بمصراته وأول عمل قام به السيد صفى الدين زيارته للمقبرة التى دفن بها الشهيد سعدون .

هناك معسكران آخران غير المعسكرات الثلاث بجهات طرابلس وهما معسكر عبد الجليل سيف النصر وموقعه (وادي زمزم) أما المعسكر الثاني فهو معسكر أورفله ولما تفقد السيد صفي الدين بصفته القائد العام هذه المعسكرات واتصل بالمسؤلين من رءساء الجيوش وشيوخ الامة أمر بمهاجمة أهم المعسكرات الايطالية المخيم بزاوية المحجوب (مصراته) فاحتله المجاهدون بعد معركة حامية الوطيس دامت عدة ساعات ووقع أثناء هذه المعركة فى الاسر على القرنيلى أحد قادة جيوش ايطاليا ومن ثم استعد الايطاليون وجهزوا قواة عديدة هاجموا بها مواقع المجاهدين فانسحب الاخيرون تحت ضغط القوات التي تفوقهم عدة وعددا بعد معارك عنيفة إلى مواقع أمامية واستمر هجوم العدو فدارت بين الفريقين معارك طاحنة خسر فيها الفريقان عدداً كثيرا لانها كانت حرب موت وحياة بالنسبة للمجاهدين أوهى المعركة الفاصلة وكان عدد الشهداء من المجاهدين أربعماية شهيد وبذلك انسحب المجاهدون تحت ضغط المجاعة واستمرار هجوم العدو بشدة وعنف ونقص الذخيرة وقد ترك المنسحبون جميع اثقالهم وانتقل معسكرا سيف النصر وأورفله إلى موقع سرت . أما معسكرات مصراته وترهونه انسحبت مع الاهالى الذين آثرو مغادرة الوطن كرها فى البقاء مع الطليان وكان من

بين هؤلاء المنسحبين الكثير من الزعماء والاعيان والشيوخ منهم محمد بك خالد القرقني وحمد بك المريض وعثمان بك القيزانى وحمد بك شتيوى والصغير بك المريض وكثير غيرهم أما القائد العام السيد صفى الدين فكان انسحابه تدريجيا إذ سبقه الزعماء إلى برقة وقد بعث معهم كاتبه الخاص السيد عبدالله بن عامر للاتصال بسيادة الوكيل العام وعرض الحالة عليه وهنا نثبت صورة كتابا بعث به الاعيان المنسحبون من واحت جالو الى سيادة القائد العام :

جالو ١٢ ربيع الاول يوم الثلثاء ١٣٤٢ هـ

جناب الامجد صاحب المعالى السيد صفى الدين السنوسى نائب سمو الامير المبجل صانه الله ووفقه بعد اهداء عاطر التحية وفائق الاحترام . نعرض أننا عرفناكم عند حركتنا من سرت ونعلم سيادتكم الآن اننا وصلنا الي جالو يوم ٨ الجارى وقد سرنا بالطريق ١٩ يوما لان سيرنا كان مع الطريق السفلى إلى (العقيلة) ومنها إلى جهة الوادى الفارغ وسلكنا درب (غيزل) (والراشدة) وكان السير طيبا فوصلنا على أحسن حال وعقب وصولنا الي جالو توجهنا الى (الخط) لمقابلة سيادة الوكيل العام السيد رضا وصادفنا هناك على العابدية ثم رجعنا لاتمام ضروریاتنا وها نحن بعد ساعة متحركون للخط لمقابلة معالى الوكيل العام واستلام تذاكر المرور بصفة تجار(١) والامل بعون الله أن يكون سفرنا غدا فى المساء نرجو الله السلامة والنجاح سلامتنا يشمل كافة من يلوذ بالمقام الارفع والى جميع الاخوان . المخلص خالد القرقنى ـ المخلص عثمان القيزانى ـ المخلص مصطفى الترجمان ـ عبدكم عبدالله عامر الاسمع .

«١» كان سفر هؤلاء الزعماء الي مصر

سفر سمو الامير الى مصر

بعد أن تم تشكيل المعسكرات واسناد كل قيادة إلى الرئيس المختار وترتيب مايلزم ترتيبه للادرارة المدنية والتفويض التام لولى عهد الامارة السنوسية الوكيل العام السيد رضا الذى ارتبطت به جميع الامور توجه سمو الامير إلى مصر طلبا لعلاج صحته والاهم عند سموه علاج الحالة الراهنه حسبما يتمكن وكانت رحلته مؤلفة من خمسين جملا تحمل أمتعته وحاشيته الخاصة المؤلفة من حضرة الياور الاميرى ووكيل الخاصة الاميرية ابراهيم بك الشلحى واثنان من سكرتيرى الديوان الاميري هما السيد محمد الفزانى والسيد التواتي أبوسريويل والبشير بك صالح أحد موظفى الخاصة ويصحب سموه سعادة عبدالرحمن بك عزام وكانت الطريق الذى سلكها بالاتجاه الآتي :

جدابيه ـ الحسيات ـ جالو ـ الجغبوب ـ فسيوه وبهذه الاخيرة استقبل من جانب الحكومة المصرية استقبالا يليق بسامى مقامه ولماوصل الى حمام مريوط وجد فى انتظاره صالونا خاصاً فخما أعد لسموه وكان به محمد وصفى بك موفدا من الحكومة المصرية وفي الاسكندرية استقبله بالمحطة سعادة محافظها حدايه باشا وكان فى استقبال سموه بمحطة القاهرة صاحب السعادة سعيد ذو الفقار باشا كبير أمناء جلالة الملك العظيم فؤاد الاول مندوبا من جلالته كما استقبله المندوب الخاص عن دار المندوب السامى البريطاني وسفير فرنسا ووفود العرب يتقدمها صالح باشا لملوم وعبد الستار بك الباسل وكثير من الأعيان والوجهاء المصريين وبقى سموه موضع تقدير واحترام وعناية جلالة الملك الراحل فؤاد العظيم ورجالات حكومته ودار السفارة البريطانية .

طلبت ايطاليا من سمو الامير قبل سفره ان تكون معالجته بروما والله أعلم ماذا كان جواب سموه ولكن رأى الامة فى الطبيب الذى يزعم أنه يتولى علاجه بروما هو ماقاله الشاعر (ان الذى أضنا السقيم طبيبه) وكان اقتراح الاطباء أن يكون العلاج بمصر لان مناخها حسب تقريرهم يوافق مزاجه ولو على فرض أن سمو الامير أجاب طلب ايطاليا فى أن يعالج بروما فالامة على استعداد لان تقف سداً فى وجهه

وتمانعه السفر لايطاليا حفظا لصحته التى تفديها الامة بكل شيء فالامير للامة وان كان أمة وحدة ولن ترضى الامة البرقاوية أن يكون علاجه خارج مصر وسواء كانت الامة معيبة أو مخطئة في رأيها هذا فلا تبالي ولاتنظر الى قول القائلين وتعليل المعللين .

أرادت ايطاليا أن تجعل من هذا السفر حجة تكون أقوى من تلك الحجج الواهية التي مابرحت تختلقها ليتلبد بها الجو السياسى وهانحن نسوق بهذه المناسبة حجة من حجج الايطاليين وقد سبقت هذه الحجة سفر الامير ولحقتها حجج واهية من نوعها جعلتها ايطاليا عذراً من الاعذار التى وجبت نكث العهود والعذر أقبح من الذنب .

أخذ الايطاليون فى نزع الاسلحة من الوطنيين الذين قدر لهم أن يكونوا بمقربة من المراكز الايطالية وتحت أيديهم ونزع اسلحة كل من يرد الاسواق من الاهالى الذين يأتو لقضاء مصالحهم كما جرت بذلك العادة فتمطرهم بعد نزع اسلحتهم بوابل من السب والشتم والتهديد فاستاء لذلك كل فرد من أفراد الامة سواء كان من الاكثرية الساحقة التابعة للامارة السنوسية أو الأقلية التابعة لايطاليا اداريا بحكم المواطن والغرض من ذلك عند الايطاليين واضح وهو استدراج العرب للدفاع عن أنفسهم وعرضهم وشرفهم والعربي يرى العرض والشرف محفوظين بجعبة بندقيته فمتى نزعت منه ضاع العرض والشرف داخل جعبتها واذا ماحصل من أحد العرب مايريدونه وهو المدافقة فيتخذوا ذلك وسيلة كبرى لمهاجمة البلاد بحجة أن العرب شهروا السلاح في وجه ايطاليا فيكون بذلك ذنب الطليان مغفوراً وعذرهم مبرورا وسعيهم مشكورا ولكن لم يحصل شيء من ذلك فرد سعيهم مدحورا .

اتفق ذات مرة أن الايطاليين اغتصبوا أسلحة قوم جاءوا إلي بنغازى لقضاء مصالحهم فكبر ذلك على هؤلاء القوم وبعد أن خرجوا من بنغازى جمعوا أمرهم وأغاروا على بعض من أفراد العساكر الايطاليين واغتصبوا أسلحتهم (واحدة بواحدة سواء) فاحتجت ايطاليا وكتبت الى سمو الأمير منددة معتقدة في رأيها ان الحق إلى جانبها لأن الخطأ إذا وقع من غيرها فهو خطؤ عظيم فاحش لايمكن تلافيه مهما كان

خئيلا أما اذا كان منها فهو صواب مهما كبر فكان جواب سمو الامير (ان نقض العهد سبق منكم وانكم غيرتم معاملتكم مع العرب فكان عملكم مخالفا لمعاهدتكم معنا وأردتم سحب السلاح من أهله فنصحتكم بعدم الاقدام علي ذلك وصرتم تقبضون علي كل من تجدونه بسلاحه) في الحقيقة ان ايطاليا ساءها مارأته من توطيد دعائم الحكومة السنوسية الحرة وتشيد صرحها على الاسس المتينة ولم تهتد ايطاليا إلي الطرق التي تمكنها من تقويض هذا البناء القوي المدعم والقضاء علي هذه الحكومة التي أصبحت شوكة عين ما تمت فى المهد كما صرح بذلك أكبر رجالات ايطاليا وكتابها .

وفي ذات مرة خرجب كوكبة من الفرسان الايطاليين (داوريه) من أحد المراكز فوجدت رجلين من العرب أحدهما يعلوصهوة جواده والثاني ممتطيا ناقته وكانا مسلحين ولكنهما لم يتوجسا خيفة من الايطاليين حتى يدافعا عن نفسيهما ويأخذا جذرهما وأسلحتهما فتمكن الايطاليون بحيلهم وخدعهم من نزع أسلحة الرجلين واغتصاب الفرس والناقة (١) الامر الذى كدر العرب أباة الضيم ولم يكن كدرهذين

---

(١) أرسل أحد الرجلين الذى أخذ سلاحه بكتاب إلي أهله مستشهدا بقول أحد الشعراء.

(جميع ماتألف العين طقت أفراقه أمفيت الفرس والبندقة والناقة)

وقد كان المستشهد بهذا البيت علي مارونا يعشق ابنت عمه وكانت تهيم به وجدا ولسنا فى حاجة إلى وصف جبهما العذرى حتي نفصل عنه وانما نذكر شيئا حدث بمجرد سماع هذا البيت الذى استشهد به لما أخذت بندقية الرجل وفرسه وناقته أبا أن يعود لمنتجعه حيث توجد معشوقته فيكون محل سخرية أهل الحى كما يكون مخجولا أمام ابنة عمه ومعشوقته ولما شاع الخبر كتب له ابن عمه وشقيق معشوقته يقول له ما معناه كيف تستطيع صبرا عن أهلك وكيف يؤدى بك الصدود إلى مقاطعة ابنت عمك فتتحمل هذه المدة الطويلة بدون أن تراها وترى أقاربك فارجع الينا ولا تفكر فى أعمال الطليان فلنأتينهم بجنود لاقبل لهم بها وكن واثقا ان جميع مالدينا من خيل وابل وأسلحة هى لك ولا يصح لك أن تصبر عن ملاقاتنا فرد العاشق بالبيت المنوه عنه فانظر إلي هذا العاشق النبيل الذى لا يؤثر الحب على العرض والكرامة وان كان الحب مبرحا ويكون الحب في الغالب سبب للجنون فيسرف صاحبه ويتنكر ذاته ويخرج عن حده كل ذلك بواسطة الحب العذري الصحيح ولكن ثبت أن الشرف والكرامة هما أسمى من كل ماعداهما حتي الحب .

الرجلين علي أخذ سلاحهما وركائبهما أكثر من كدرهما على عدم الدفاع ليقاتلا أو يقتلا واتفق رأيهما أن لا يرجعا لمنتجعهما حيث يقيم أبناء عمومتهما وهما مجردين من السلاح فيميلون عليهما باللوم ميلة واحدة وأصبحا يتنقلان من محل لآخر ومن منتجع إلى غيره متشكرين تربصا للفرصة وقد شاع الخبر مما حصل معهما فارسل اليهما الاهل والاقارب بالمواساة في المصيبة التي حصلت ويقولون لهم ارجعوا فكل مامعنا من الاسلحة والركائب هو لكما فكان ردهما الرفض البات بأن لا نرجع حتى نأخذ بثارنا وقد بعث أحدهما بأغنية بدوية فلما سمعها العرب ثارت ثائرهم وظهر استياؤهم على ماتقدم عليه ايطاليا من الاعمال السيئة وأخذوا فى معاملتها بمثل ماتقدم عليه متقمين لابادئين حيث ان الحق اغتصبه الطليان ومنهم يؤخذ بالقوة ولا يعطي لاهله باللين والمراوغة .

كانت ايطاليا والحالة هذه تعد عدتها وتستورد جيوشها وتحصن معاقلها مستمرة فى عمل المناورات العسكرية وحصل نقل الكثير من الموظفين المدنيين من بنغازى الى ايطاليا واستبدالهم بموظفين عسكريين وأصبحت ايطاليا تتجهز للوثوب علي المعسكرات السنوسيه زاعمة ان الامة فى غفلة من هذا كما استمرت في تحرشها بالوطنيين وسلب كل ما تصل اليه يدها من السلاح واتفق ذات مرة ان خرجت سيارة عسكرية من المرج ذاهبة الى الجهة الشرقيه فالتقي بها الغاري الصغير (١) ومعه نفر من بني عمومته فاراد الانتقام وهاجت مشاعره ولم يتريث أو يفكر في الامر فاسرع منفعلا ثائرا الى تلك

«١» هو الغارى افندى الصغير من قبيلة (عبد) احدي قبائل البراعصه وكان من قدماء المحاربين واحد الضباط المجاهدين فى المرحلة الاولى من الحرب سنة ١٩١١ ولما وضعت الحرب أوزارها بالمعاهدة السنوسية الايطالية عاد الى بيته بمرتب شهرى يتقاضاه وكان أول عمل قام به بعد ملازمة بيته هذا الحادث الذى عرف بحادث (البياضه) وهو أول حادث من نوعه وقع من جانب السنوسيين بالرغم عن تكرار الحوادث الايطاليه فاصدر سمو الامير أمره السامي بالبحث عنه والقبض عليه ليأخذ التحقيق مجراه ولكنه اختفي عن الانظار ولما عادت البلاد الي حالة الحرب مع الطليان ظهر من مخفاه ورقي الي رتبته قمندان فاشترك في معركة بلال والبريقة سنة ١٩٢٣ وقاتل

(انظر الي ص ٣٩٧)

السيارة وفتك بها منقضا عليها انقضاض الصاعقة بدافع الغيرة والتأثر آخذ بثار بنى عمومته فقتل من بالسيارة من الايطاليين وأخذ سلاحهم ورجع من حيث أتى ولسان حاله يكرر أغنية بدوية معناها أنا عملنا كل شيء معكم طلبا للوفاء فابيتم «١» كانت هذه الاخري من حجج الايطاليين الذين كانوا وأيم الحق هم السبب في اثارة هذه

«١» الاغنية التي كان يرددها الغارى افندى الصغير عقب فتكه بالسيارة الايطالية هى قوله :

(ها ذول هم اللى ياعين دروك عل وفا كادك لهم)

(يأتي الشرح ص ٣٩٦)

العدو قتالا مرا وأظهر من الشجاعة أنواعا تثير الدهشة ثم نقل من معسكر المغاربة بامر سيادة الوكيل العام الي معسكرات العواقير بمعية السيد محمد أبو نجوى وأشترك فى انقاذ الفواخر التى سيأتي ذكرها وقتل رحمه الله في معركة كبرى تعرف بمعركة (الحقيفات) أو يوم (الرحلان) وهى من كبريات المعارك في برقه تخلف صفحات مجيدة تعيد الي ذاكرتنا مواقف البطولة النادره والشجاعة الفذه حيث كان اسلافنا العرب البهاليل وفى المعركة التي قتل بها الغاري استشهد أيضا البطل المقدام الشيخ عقيله الكزه والفارس الكبير السيد صالح بن اسماعيل شيخ زاوية الفايديه واليوزباشى عمران الشويخ واليوزباشي منصور عبد ربه الكزه والملازم أول خير الاشهب احد موالي السيد احمد بن ادريس وكثير غيرهم ومن بين الجرحى السيد محمد أبو نجوى وعبد السلام باشا الكزه والقمدان فالح الدرسي واليوزباشي فرج القرعانى والحاج سعد أبوجر يعيد ومسعود أبوبكر :

القلاقل فثارت بذلك ثائرهم الصبيانية وهاجت مشاعرهم الجنونية وقرروا الهجوم على جميع المعسكرات (الادوار) السنوسية «١»

«١» كان العساكر الوطنيين المجندين بصفوف ايطاليا يميلون بفطرتهم وطبيعتهم الى أبناء جلدتهم من العساكر السنوسيين وكانوا في الغالب يشعرون بما يشعر به اخوانهم وكثير منهم من أفاد في حال وجوده مع الطليان ولا نقول أنهم أحسنوا صنعا بانخراطهم في الجيش الايطالى وان كانت أعذارهم صحيحه منها الجهل وضيق دائرة التفكير وعلى كل فالكثير منهم أفاد وكان أحد أولئك قد تحقق من جمع قوات ايطاليا واستعدادها لمهاجمة معسكر الآبار ومن محاسن الصدف أن العسكرى الوطنى وقف ليلتئذ ديدبانا فاخذ يتغني بؤغنية بدوية ليتسلي بها كما هى العادة ويسمع اخوانه من العساكر السنوسيين المحاذيين للمعسكر الايطالى وهذه كلمته التي كان يرسلها فى الفضاء الخالي وفى سكون من الليل البهيم لتصل إلى مسامع المعسكر السنوسي .

(الناس مانحون الجار واحنا خاينين جارنا)

ولما ردد كلمته هذه بكثرة ولم يشعر بأى حركة بالمعسكر السنوسي تمكن من وجود عامل آخر دفعه بالتغنى بؤغنية أخرى أكثر صراحة من أغنيته الاولى وهذا العامل هو المطر الذى كان يهطل فى تلك الليلة فقال

(ياحا فظيت الدور ، أصحوا م الشراب أيعسكم)

فانتبه لذلك قسم من المعسكر السنوسى وتنبه غيره وبذلك تمكن كل من لم تقيده الاوامر العسكرية فتسللوا لواذاً ولم يبق بالمعسكر الا من كان مقيدا باوامر رءسائه ولكنه أخذ حذره وفعلا هوجم المعسكر في الليلة الاخرى وبعد قتال عنيف مات فيه من مات وانسحب بقية المعسكر وهو الذى عسكر فى موقع (قمره) تحت قيادة السيد محمد أبو نجوى كما سبق ذكره .

الغدر الاثيم

عرفت إيطاليا بغدرها وخيانتها فعزمت على مهاجمة جميع المعسكرات في وقت واحد وهذا ما كانت قررته في الخطة الأولى ولما لم يتم لها ذلك فاجأت أول معسكر وهو (دور الآبار) حيث مركز نائب المنطقة الشرقية السيد صفي الدين السنوسي ومتصرف المنطقه السيد صالح الجالى العوامى«١» وكانت القوة المهاجمة تحت قيادة ضابط برتبة ماجور (صاغ) مصحوبا بمتصرف بنغازى السكندتور (روليني) وكمندان البوليس بنغازي وكان الهجوم فى شيء من الهدوء فلم يشعر المعسكر إلا وقد ضرب عليه حصار خارجي خوفا من تسرب الاخبار أو مجيء نجدات من العرب وفى هذه الحالة اى حالة الهجوم لا تزال العلاقات مستمرة بين الطرفين والمخابرات تدور بين الحكومتين السنوسية والايطالية وان كانت بوادر الخلاف تتراءى وشبح الحرب يدنو والمقاطعة قاب قوسين أو أدنى . دخل القائد الايطالي ورفاقة إلى السيد صالح العوامي فى هدوء كما كانت الحالة وقدموا إليه رجاء وان كان مشوب بصفة الامر وفي شيء من الغطرسة أن يصحبهم إلى بنغازى حسب طلب الوالى للتحدث معه شخصيا ويرجع بعد ذلك وبما أن العادة لم تسبق بمثل هذا تمنع السيد صالح قائلا لا أصحبكم إلا بالامر من سمو الامير وهذا هو نائبه موجودا وبينما هم فى جدال بلغ الخبر إلى السيد صفى الدين فأسرع إليهم وتدخل

---

(١) هو صالح بن الجالى عائلة أبو الضباع إحدى قبائل العوامة ومن كبار الاخوان الذين عاصروا السيد المهدى وقد حفظ القرآن بزاوية الجغبوب ودرس مبادىء العلم الشريف وفى سنة ١٣١٤ عينه السيد المهدى رئيساً لزاوية بنغازي وكان مخلصاً في جميع مواقفه ويعرف بالشجاعة والاقدام ومن دهاة العرب وله المواقف المشهورة فى الجهاد عندما هجم الطليان برقة سنة ١٩١١ م وفى سنة ١٣٣٦ هـ عين عضو بالمجلس الخاص بجدابية ثم عين متصرف لمنطقة الآبار ومستشار لنائب المنطقة الشرقيه ومن هناك أخذه الطليان سنة ١٩٢٣ م كما ذكرنا وأودعوه سجن بنغازى ولم يعرف لحد الآن متى وكيف وأين مات ؟ ولا زال موته سر من الاسرار الايطالية التى لم تكشف بعد .

فى الموضوع داخل اختصاصه فألح القائد الايطالى بأخذ السيد صالح على أى حال من الاحوال قائلا أما أن يذهب معى حسب الاوامر المعطاة لى ويرجع واما آخذه بالقوة حيث أنى مستعد لذلك ولست مسئولا عما ينتج عن هـذا التمنع وكان السيد صفى الدين والسيد صالح لا يعلمان بالحصار المضروب على المعسكر بادىء الأمر ولما علم السيد صالح بأن المعسكر محاط بالجنود الايطالية وأن المسألة قد تشعبت والاخذ والرد لا يجديان نفعا وأنه ذاهب لا محالة أو تشتبك معركة بدون أمر سمو الامير وقبل التدبير والتريث كل هذه العوامل كان لها تأثيرها في نفس السيد صالح فتحاشى الاصطدام واستعمال القوة الثارية والناس لا يعلمون ، اعتبر كل هذه الاعتبارات وخشى أن تكون شعلة الحرب هو موقدها فاختار مصاحبة القائد الايطالى ورفيقيه بدون أى عمل قائلا ان الجميع فدى لسمو الامير : يعيش الامير ويحيا الوطن فصاحب القائد الايطالى إلى بنغازى وفي الحال أودع السجن . هـذه الفعلة النكراء أقدم عليها الايطاليون وكانت من الاعمال البارزة التى لها تأثيرها فى مجرى السياسة ومن ثم ابتدأت ايطاليا في سحب رجالها الذين كانوا بالمراكز السنوسية . علم سمو الامير بذلك وهو وقتئذ بموقع (جردس) فخف مسرعاً الى عاصمته للاتصال برجال الحكومة وكبار الاخوان والشيوخ . ومن بين من أرادت ايطاليا سجنهم من رجالها توطئة للضربة الاخيرة التى تريد توجيهها للوطن منـدوبها الموجود بموقع (الزويتينة) كضابط اتصال وتفصيل ذلك أن ألقت الباخرة مراسيها بميناء الزويتينة ولم يكن وقتذاك وصول الباخرة مستغرب لانها تصل عادة بين أسبوع أو أسبوعين على الاكثر وعندما تصل يستقبلها الضابط الايطالي مصحوبا بحاكم المركز السنوسى ليتسلم كلاهما البريد الخاص به ثم يبتدىء تفريغ شحنتها . صعد الضابط الايطالي يتسلق سلم الباخرة وخلفه الموظف السنوسى وهو محمد أفندى اللذيذ المصراتي وكان الاهالى فى سكون يتولون أعمالهم العادية أذ أنهم لا يخشون عاديا ولا يفكرون في مثل هذه العملية الوحشية ولم يعيروا الباخرة أى التفات . أما الموظف السنوسى أثناء تسلقه لسلم الباخرة خلف رفيقه رماه الايطاليون بأعيرة نارية خر من وقتها صريعا وأقلعت الباخرة تمخر عباب البحر صوب بنغازى فكان هذا آخر إنذار من إيطاليا بالحرب ونواة للحركات الجديدة . لما قتل الموظف السنوسى هوجم المخيم الايطالى بالزويتية

وقبض على كل من فيه فظهر أن الضابط الايطالى قد حرق جميع أوراقه منذ يومين ولم يترك سوي رفاقه فقط كما أحرق الجهاز اللاسلكي الذى كان معه فأودع ورفاقه السجن ولما وصل الخبر الي سمو الاميرا أمر بارسالهم مخفورين الى بنغازى فهل هناك تناسب بين أعمال سمو الامير وأعمال ايطاليا وهل هناك وجه مقارنة ؟

لا يخفي أن المواصلات وقتذاك كانت بخلاف ما هي عليه الآن ولم تكن الوسائط التليفونية بجميع المراكز فهى محدودة ولهذا لم يصل الخبر الى جميع أنحاء القطر في وقته وعند ما انتشر الخبر استعدت الامة فى جميع أنحاء البلاد للدفاع عن نفسها وصون حرمتها من أولئك العابثين الذين جاءوا لقلب الاوضاع وإحلال الباطل مكان الحق .

عود على بدىء

قلنا أن سمو الامير سافر الى مصر ولم نف الموضوع حقه اذ اعترضتنا حوادث لا مفر من سردها والشيء بالشيء يذكر ونعود الآن فنقول : سعت إيطاليا سعيا حثيثاً لدى الحكومتين الانجليزية والمصرية لمنع سمو الامير من السفر الي مصر وقد وضع الطليان قوات كبيرة على طول الساحل الشرقى لمنع السفر بالقوة فما شعروا إلا وسموه بالقاهرة وعلموا ذلك بواسطة سفيرهم بها . يقول أمين سعيد في كتابه اليقظة القومية ص ٢٧٩ « فأذاع سفيرهم المفوض بمصر بيانا في الصحف قال فيه أن الحكومة الايطالية لا تعترف بامارة السيد إدريس وتقطع كل صلة لها به ثم سعى الطليان سعيا حثيثا عند الحكومتين المصرية والانجليزية لشل حركاته وأقاموا حوله مراقبة شديدة وما زالوا بالحكومة المصرية حتى انتزعت منه وعداً بأن لا يشتغل بالسياسة وكانت صحته لا تزال مضطربة الخ » .

ومن الدواعي التي حدت بسفر سمو الاميروهى كثيره أهمها عند الامة الليبية العلاج واستجمام صحته لان اعتلالها هو الخطر الداهم التي تشعر به الامة ولما وصل سموه الي القاهرة تولى علاجه الكثير من الاطباء منهم الدكتور محمود عبد الوهاب والدكتور سليمان عزمى والدكتور بال النمسوى والدكتور اسماعيل مرتضى والدكتور حامد واصف

ولم يكن شغل الامير الشاغل هو العلاج فقد اختلف مع أمته التى لايختلف معها الا فى هذه النقطة لان الامة همها الاهم صحة سمو وهو يخالفها فى هذا فهمه الاهم علاج الحالة السياسية فاغتنم سموه الفرصة بوجوده فى القاهرة وأراد الى جانب علاجه أن يوفق فى عمل من الاعمال لمساعدة وطنه ولكنه في الحقيقة لم يوفق لذلك فقد كان السيد أحمد الشريف بذل مجهودات جبارة لدي الحكومة المصرية وعلى رأسها سمو الخديوى السابق عباس باشا حلمي ولدى جميع حكومات الشرق العربية فذهبت مجهوداته أدراج الرياح بحجة أن القانون الدولى يمنع المساعدات لعرب طرابلس بعد أن اصطلحت ايطاليا مع الحكومه العثمانية وكان سمو الامير السيد ادريس يعلم كل العلم بذلك ولكنه تجاهله وأخذ يعمل بالرغم من أن سموه لم يسمح له بالة خول الى مصر الابشرط المداواة فقط وفعلا فقد أخذت منه الحكومه المصرية وعدا بذلك بيد أنه لم يتأخر عن عمل يستطيع عمله لمساعدة بلاده وكان قد وهب الكثير من أمواله ببرقه للمجاهدين واني لاذكر تلك الابل التى جاء بها الشيخ موسى أبو غيضان العبيدى من معسكر السيد عمر المختار وصحبته كتاب من سمو الامير إلى وكيله بجالو ليسلمه جميع (التمر) المستنتج من أملاك سمو الامير بواحتى جالو واوجله وذلك سنة ١٩٢٦ م ، وكان سموه العامل الاكبر لخلاص الزعماء الطرابلسيين الذين لجؤا إلي مصر سنة ١٩٢٣ م منهم خالد بك القرقنى وبشير بك السعداوى وعثمان بك القيزاني وعلي باشا العابدية وعبد السلام باشا الكزة والاستاذ مصطفي الترجمان والسيد عبدالله بن عامر وغيرهم عندما طالبت ايطاليا بتسليمهم اياها وفعلا حجزهم الحكومة المصرية بحام مريوط حسب الحاح ايطاليا فبذل سمو الامير مجهوداته الجبارة لدى ولاة الامور وراجع السراى الملكية المحروسة ودار المندوب السامى البريطاني والوزارة القائمة وقتذاك بمصر وعلي رأسها دولة يحيى باشا ابراهيم ثم أعقبتها وزارة المغفور له الخالد الذكر سعد باشا زغلول فسعي لديها سعيا مشكورا واستخدم الصحف المصرية التى أيدته وناصرته وآزرته الامر الذى أحرج الحكومة المصرية التى أصدرت بعد ذلك أمرا بابعاد الزعماء الليبيين إلى حيث شاءوا بدلا من تسليمهم لايطاليا ثم أن سمو الامير فكر في اكتتاب خيرى للمجاهدين وكلف بذلك صديقه الاستاذ عبدالرحمن بك عزام أن يسعى بقدر امكانه وان يتكلم مع

سكرتيرية المندوب السامى فتكلم الاستاذ عزام مع الميجر تويدى ولكن طلبه لم تجاب فاتصل الامير السيد ادريس السنوسى بسمو الامير عمر طوسون باشا وبعد التفكير فى الامر والاخذ والرد كان جواب سمو الأمير عمر طوسون أن الوقت لم يحن بعد وهكذا عمل الأمير العمل الكثير وهكذا قدر لمجهوده أن يخفق

لو كان للاسلام سالف عهده　　والجار للجار الضعيف معين
مابات أبطال الجهاد علي الطوى　　يستنجدون الشرق وهو ضنين

هذا أقل ماتذكره عن مساعى سمو الامير وهذا أقل مايعرفه عنه شعبه الوفى

جاء فى كتاب أمين سعيد صحيفة ٢٧٤ مايلى (انه كان للسيد ادريس غاية أخرى من قدومه إلى مصر غير التداوى وكان المرض قد برح به واذاب عافيته حتى يئس بعض الاطباء من شفائه فقد كان يرجوان يوفق لحمل عظماء المصريين وكبرائهم وأمرائهم على مديد المساعدة لاخوانهم البرقاويين والطرابلسين واسعافهم فى نضالهم الدموى ولئن فاز من الناحية الطبية فتحسنت صحته قليلا الا أنه أخفق من الناحية الاخرى فان الايطاليون سعوا سعيا حثيثا عند الحكومتين المصرية والانجليزية وكان الملك فؤاد معروف بالعطف على ايطاليا والحرص على مودتها وصداقتها فضيقوا علي الامير المسالك وحالوا بينه وبين الاتصال بالكبراء وانذروه بالخروج من مصر ان لم يقطع على نفسه عهدا بعدم الاشتغال بالسياسة ولما كانت حالته الصحية لاتسمح له بالخروج من مصر اضطر مكرها إلى اعتزال السياسة الخ) .

ورغم كل هذه الصعوبات التى اعترضت سمو الامير فى سيره ومنعته الوصول إلى غايته لم يتأخر فى تقديم مايستطيعه من الاعمال فهذا كتاب بين أيدينا بعث به السيد عبدالله بن عامر ألي السيد صفى الدين السنوسى وكان الاخير بمصراته والاول بمصر حيث أوفده السيد صفى الدين يحمل تقريرا عن الحالة ألى سمو الامير : ومما جاء فى الكتاب مايلى :

(ان سمو الامير ساع لدى الجهات المختصة والسلطات وزعماء وأعيان العرب فى تسهيل أمر الطرابلسين المحجوزين حسب طلب ايطاليا والآمال قوية فى نجاحه وان كانت المسألة أخذت دوراً مخيفا كما أن سموه ساع فى جمع مايمكن جمعه من

الاعانات وارسالها لكم وها هو سموه أرسل لكم ما أمكنه الآن من خاصة نفسه مع حامله أبو خزام لتتعاونوا به على المصرف فى هذه الايام وقدر ذلك الفين مجيدى ومقدار من الاقمشة لكساء العساكر وبعض لوازم وأدوات أخرى مقيدة بالكتاب المرسول لكم ومقدارا (من الجيخانة) ترسل لسيادتكم من جالو وها هو سموه متشبث فى اخراج تصريح لارسالي إلى السيد أحمد الشريف بكل سرعة لعرض الحالة عليه وسأعود قريبا ان شاء الله بما يمكن هذا وفى الختام تقبلوا منى فائق الاحترام : ١٥ رجب سنة ١٣٤٢

الامضاء : عبدكم عبدالله عامر الاسمع

اذا سلمنا جدلا أن ايطاليا نجحت بعض الشيء في مسعاها نحو عرقلة سير سمو الامير بمصر الا أنها لم تنجح بما تريده فى برقة بدون طويل عناء ومشقة وبدون تضحيات كبيرة في الاموال والانفس والثمرات والشرف والسمعة ان الامة السنوسية التي عرفت عن ايطاليا الكثير والتى تلقت المبادىء السنوسية السامية والدروس الوطنية الحقة عن المصلح الكبير السيد محمد السنوسى لايفت في عضدها أى عمل تقوم به ايطاليا بقصد التهديد والارهاب والوعيد ومامن دور كبير وفصل خطير لعبته أو مثلته ايطاليا فى مسرح السياسة والحرب ببرقة الا وتمنى فيه بالفشل الذريع ولم تحسب الامة البرقاوية لذلك أى حساب مادام فيها عرق ينبض وفيها للصراع قوة : ان ايطاليا لم تتأخر فى استعمال قوتها واستخدام دعاتها وبث جواسيسها وبذر أموالها تارة باللين وطوراً بالشدة علها تفوز بطائل دون أن يسطر لها التاريخ بأقلام رجالها السياسيين والعسكريين ماتستحقه من وبال الخزى والعار فلم يفدها ذلك شيئا الامر الذى صيرها اضحوكة جميع أفراد الشعب البرقاوى والاستخفاف بها فاصبحت محل سخريته وازدراءه :

الادوار السنوسيه

سبق أن ذكرنا عن القيادات الاربعة التي عينها سمو الامير قبل سفره تحت عنوان - التوجيه الجديد - والآن نذكر بالتفصيل عن جميع المعسكرات السنوسيه المعروفه فى برقه باسم الادور ومفرده دور بدلا من معسكر اما نحن فاخترنا أن نقول معسكرا ومعسكرات ، عدد المعسكرات بليبيا عندما سافر سمو الامير ثمانيه منها خمسة بطرابلس كما فصلت عنها سابقا وهذه تحت قيادة السيد صفى الدين وثلاثه ببرقه واحد تحت قيادة صالح باشا الاطيوش وآخر تحت قيادة فجه بك عبد الله والاخر تحت قيادة السيد عمر المختار وهذا الاخير منطقة نفوذه أوسع بكثير من غيره لانه يضم جميع منطقة الجبل الاخضر والبطنان وهناك أيضا دوران كانا موجودين قبل سفر سمو الامير أحدهما هو دور (قمره) الذي كان بموقع الابار وهوجم كما سبق ذكره وقائده السيد محمد أبو نجوي أما الثانى فكان (بمكرمه) فارتبط أولها بقيادة فجه بك عبد الله وثانيها بقياد: السيد عمر المختار فيكون مجموع المعسكرات عشره بالضبط ولم تكن القيادات المذكوره مرتبطه ببعضها من حيث الادارة فكل منها مستقل في ادارته وجميعها مرتبط بسيادة ولى عهد الامارة السنوسيه الوكيل العام السيد محمد رضا المهدى السنوسى الذي يصدر الاوامر والتعليمات وله حق التصرف لتيسير دفة الامور وتتعاون القيادات فى مهمتها وتتعاضد وكل الاوامر التي أصدرها سمو الامير وتصدر بعده من وكيله تحذر الاشتباك مع الايطاليين مالم يكونوا هم البادؤن (ويخرج عن هذه الاوامر معسكرات طرابلس التي كانت فى حرب مع الطليان قبل سفر سمو الامير) والمهم أن القيادات السنوسيه تكون على قدم الاستعداد وفي شيء من اليقظه والحذر كما تفعل ايطاليا وفى حيطة من جميع الطوارى وقد حصل نقل بعض الاهالي من منطقتى العواقير والمغاربه فانتقلوا من السواحل الى دواخل البلاد وتطوع الكثير ممن يستطيعون حمل السلاح فجاءوا الي المعسكرات يتقدون همة ونشاطا وحماساً يرددون ياعلا صدتهم هذه الكلمه (أحنا أهلك يابرقه) وقد أخليت الاماكن المستهدفه فيما لو تحصل غارة

فجأة فلم يبق بها الا العساكر فقط. اما المعسكرات التى كانت بقرب المراكز الايطاليه والتي كانوا يسمونها با (ادوار الخلطيه) فهى لم تدخل في عداد المسكرات المذكورة اذا استثنينا منها معسكر الابار الذى ذكر عفواً وهذه المعسكرات هى التى كان الايطاليون يطالبون بحلها ونزع السلاح من افرادها فقد سافر سمو الامير وهذه المعسكرات باقيه بمواقعها بالرغم عن ظهور بوادر الخلاف وكل فرد ينظر الي جاره بعين الحذر والريبه وهذه المعسكرات هي كما يلي . معسكر (الابار) معسكر (جردس) ـ معسكر (مراوة) معسكر (سلتطه) معسكر (خولان) ـ معسكر (عكرمه) وفى يوم ٥ نوفمبر سنة ١٩٢٣ كان أحد الوطنيين المجندين بالجيش الايطالي لما علم بنية ايطاليا يتغني بأغنيته التى سبق ذكرها منبها بذلك معسكر الابار السنوسى وفي يوم ٦ نوفمبر هجم الايطاليون بقواة كبيرة على جميع هذه المعسكرات في ساعة واحدة من يوم واحد والتحمت المعارك بين الطرفين وكانت قوات العدو كثيرة جدا فقتل من العساكر السنوسيين وفر من كتبت له السلامه بعد ان قبض علي قسم منهم فظن الايطاليون انهم فازوا وأن القوات السنوسيه أنهارت لانهم يعتقدون أن القوات السنوسيه لاتعدوا (ادوار الخلطيه) التى هوجمت بدون سابق انذار واندحرت ولكن خانهم حسابهم وسقط فى ايديهم : وكان يوم ٦ نوفمبر آخر علاقه لهم بالوطن وآخر صلة لهم بالامة :

سمو الامير وقد امتطى جواده في جولة رياضيه ويرى خلف سموه أحد أفراد حرسه الخاص

سمو الامير السيد ادريس السنوسى في برقه
يستمع الي خطاب قائد القوات البريطانيه في الشرق الاوسط

المرحلة الثانية من النضال

في أواخر شعبان سنة ١٣٤١ هـ ١٩٢٣ م زحفت قوات عظيمة من بنغازي وسلوق تحت قيادة الكولونيل (رونكيتي) مزودة بأحدث أنواع السلاح وتتألف هذه القوات من أرط المشاة والخيالة وسيارات النقل تؤيدها المصفحات والمدفعية الثقيلة وكان القائد رنكتي مصحوباً بالضابط السياسي الكمندتور (روللينى) فاشتبكت الطلائع الايطالية مع (القاراغولات) السنوسية«١» ثم اشتبك المعسكر السنوسي المخيم بموقع البردين تحت قيادة قجه بك عبد الله فى معركة مع هذه القوات وقد أبلى القائد بلاء حسنا ولما لم يتمكن المعسكر السنوسى من توقيف هذا الهجوم القوى المتدفق والمؤيد بالنجدات الكبيرة انسحب المعسكر إلي الجهات الغربية صوب جدابية انسحابا منظما بحيث لم تبطل المعركة فى مؤخرة المنسحبين ومقدمة الهاجمين إلى عدة أميال ثم توقف العدو قليلا واتصل قائد المعسكر قجه بك عبد الله بصالح باشا الاطيوش قائد معسكر برقة الغربية وكان ساعتئذ بالزويتينة مع أفراد وقلائل من معسكره الذى نقل إلى جدابية بناء على الامر الذى صدر له من متصرف جدابيه على باشا العابدية ويذهب بعض القواد السنوسيين المفكرين أن هذا الانتقال من الزويتنية إلي جدابية كان غلطة كبيرة لها مفعولها في كل ما حصل وقد اتفق قائدا المعسكرين على مشاغلة العدو الزاحف جنوب الزويتنية وبذلك يتمكنوا من قطع خط الرجعة عليه وقد خالفهما فى ذلك المتصرف الذى أمر أن لا تكون المعركة إلا فى جدابية فأجيب طلبه وفي يوم ١١ أبريل زحفت القوات الايطالية بعد أن أن نظمت هجومها الذى مهد له بأعظم هجوم جوي على المعسكرات السنوسية وأمطرت مدينة جدابية بكثير من أنواع المقذوفات فقتل وجرح من كتب له ذلك

---

(١) القاراقول اسم لنقطة عسكرية صغيرة أو شبه معسكر صغير وعادة يكونوا جميع أفراده خيالة ويرابط علي العدو ليحصي عليه حركاته وسكناته وعلى اتصال بالمعسكر فى كل وقت ولكل معسكر عدة قاراقولات وعادة يتولى القاراقول ضابط من رتبة ملازم إلى بكباشى ويكون من الضباط الممتازين وكلمة قاراقول هى تركية الأصل .

وان كان قليلا ثم زحفت الجيوش الايطالية على النظام الآتى : تقدمت قوة من السيارات من موقع أنتلات فمرت بموقع (سبيكة) ومالت الى الجنوب لتحاصر جدابيه من الجنوب وتقدمت قوة من أنتلات ومالت إلى الشمال وتقدمت قوة أخرى تشق طريقا وسطا إلى جدابية وجميع هذه القوات ميكانيكية تتبعها قوات المشاة وترافقها الطائرات وتؤيدها المدفعية وهذه القوة الوسطي اشتبكت مع المعسكرين فأخذا يقاتلانها مع الجناحين الأسير والأيمن غير حاسبين للقوتين الثانيتين حسابهما ثم انتبه المعسكرين للقوة الشمالية فأخذا يعاركانهما هى الأخرى وأوقفاها عدة ساعات عن التقدم وكانت الطائرات تمطر المجاهدين بوابل رشاشاتها وكان لها النصيب الأوفر في النجاح الذى أحرزه الايطاليون وبينما المعركة ملتحمة أدرك المجاهدون أن هناك قوة أخرى تسربت إلي الناحية الجنوبية وأنها أخذت تطوقهم ولتحتل مدينة جدابية من الجانب الغربي وتقطع عنهم خط الرجعة وكانت الفاراقولات التى ترابط علي العدو قد انضمت إلى المعسكرين للقتال معهما فاضطرت القوات السنوسيه إلى الانسحاب غربا من جدابية وأخليت جدابية فاحتلها العدو يوم ٢١ أبريل سنة ١٩٢٣ وقد اشترك فى هذه المعركة عدا قجه بك عبد الله وصالح باشا الاطيوش كل من أبطال الجهاد السيد محمد أبو نجوى وعبدالحميد العبار وسعد الله النمر وحسين جفيلة وبريك اللواطى وسليمان رقرق فأبلوا بلاءا حسنا وقد استسلم للطليان بحكم الظروف القهرية أثناء هذا الهجوم كل من قبيلة الفواخر والعشيبات وقبيلة إبراهيم ومطارع وبعض من عائلات الكرة والعبار الذين أصبحوا داخل الشبكة الايطالية وخلص فرارا نجع عبد السلام الكرة وعبد الحميد العبار وعائلة أبوا شنيف وأغلب قبيلة العمارنة وجميع قبائل المغاربة وانتقل بعض هؤلاء الناس إلى مواقع الشعفة (آبار بالبساط) والبعض إلى واحة جالو وأرجله ولم يبق بنواحى جدابية إلا قبائل المغاربة ومن حولهم من أهالي المنطقة وبعد احتلال جدابية زحفت قوات ايطالية الى منتجعات العرب الضاربة جنوب شرق جدابية وعاثت فيها فساداً وتقتيلا وسلبا ونهبا ومن بين هذه المنتجات منتجع الشيخ القاسى ابليقه ولم تراعى حرمة النساء والاطفال أما منتجعات المغاربة فقد انسحبت الى الغرب والجنوب من جدابية وكان المعسكر المنسحب مولفا من معسكري المغاربة والعواقير وقد اتخذ مقره موقع (أبو اجدارية) الذى يبعد

عن جدابية غربا خمسين كيلو مترا تقريبا وقد أصيب بنوع من المجاعة وافرط بعض عقد المتطوعين الذين اضطرتهم الحالة إلى مباشرة أعمال أهليهم مؤقتا فأخذ شيوخ القبائل يجمعون الاعانات لتموين المعسكر كما باشروا فى جمع المتطوعين وكانت أول إعانة وصلت إلي المجاهدين من مكارم الخيرين هى المائة نعجه والثلاث نياق التي وصلت من الشيخ الفضيل المهشهش كما تبرع الحاج موسي المعدانية وأخيه الحاج شعيب بجملين وخمسة عشر شاة ومثلهما الحاج حسن الظريف بجملين وعشرين شاة وتبرعت عائلة أبو شيبة بخمسة جمال وخمسين شاة وتبرعت عائلة نصر بعشرة جمال وخمسين شاة وتبرع السنوسي عبد الهادى بجمل وخمسة عشر شاة واشتركت فى جمع هذه الاعانات بكل سرعة جميع قبائل المغاربة والعربيات وأولاد الشيخ والقبايل وقد ذكرت من ذكرتهم بالاسم لمعرفة ماهية ما جادوا به ولم يمضي أسبوع حتى تجمع بالمعسكر أكثر من خمسة آلاف راس من الغنم وخمسمائة جمل وفي هذه الحالة قد تقرر نقل عمل سيادة الوكيل العام الى واحة جالو وفى معيته على باشا العابدية الذى واصل سيره بعد ذلك إلى مصر وأخذ المعسكر يعد العدة بهمة ونشاط بقيادة القائدين صالح باشا الاطيوش وقجه بك عبد الله والمشايخ الذين بذلوا جهودا وأجبارة فى أعصب الاوقات لمهاجمة العدو باجدابية أو توقيفه علي الاقل عند حده لأن مواصلة زحفه بدواخل برقة من تحصيل الحاصل ولا يستطيع أحد من أولئك الذين درسوا الحالة وقتذاك عن كثب أن يخفي ما لشيوخ قبايل المغاربة من الفضل فقد ساهموا في تأييد المعسكر وتموينه وإشراكه في مؤونة عائلاتهم وتزويده بالمتطوعين الذين جاءوا أفواجا تتفطر أفئدتهم حسرة وتلهبا على الانتصار الذي أحرزه الطليان باحتلال جدابية ومن بين من أوقفوا أنفسهم لخدمة المعسكر الشيخ نصر الاعمى والشيخ المهدى الحرنة والشيخ الفضيل المهشهش وأثناء هذه العمليات وصل إلى جدابية وإلى بنغازى الجنرال ابونجواني مصحوبا بالشارف باشا الغرياني كما جيء إلي جدابية بالسيد ظافر المدنى وأراد لوالى أن يمثل فصلا سياسيا من رواياته الهزلية على مسرح التزييف والخداع تبعث بالطائرات لتلقي علي الاحياء العربية والمعسكر مناشير بتوقيعه يطلب من الجميع الخلود الى السكينة ويعلمهم أن قواته الظافرة ما جاءت لتحاربهم ولكنها جاءت لمحاربة السنوسيين فقط (فاته أن الجميع سنوسيين) ويحذر من أتباع نجه عبد الله

وصالح الاطيوش ومحمد أبو نجوى فكانت تلك المنشورات محل السخرية والاستهزاء وفي يوم ١٧ شوال سنة ١٣٤١ الموافق ١٠ يونيه ١٩٢٣ زحفت قوة كبيرة مؤلفة من سيارات النقل تويدها المصفحات مممة صوب الغطاية الواقعة غربا عن جدابيه ٤٠ ك م اذ للايطاليين هناك نقطة جعلوها بعد احتلال جدابيه الذى كان يوم ٢١ ابريل سنة ١٩٤٣ وزحفت في نفس الوقت قوة أخرى من الخيالة والمشاة فسلكت الطريق الساحلية جدابيه ـ الامارش القرين ـ البريقه وهنا كان الغرض أن تلتقي هذه القوة بالقوة الحديدية المذكورة وبذلك تكون ايطاليا قد احتلت جميع دواخل برقة الغربية وسواحلها عدا الواحات حيث ستوجه الضربة الاخيرة لها لولا أن خانها تقديرها وسقط القلم من يدها .

علم المجاهدون عن خروج هذه الحملة الحديدية بواسطة الطلائع فاخذوا محلاتهم يترقبون بشوق وتلهف وصولها وفي يوم ١٨ شوال وصلت الحملة إلى موقع بئر بلال حيث يرابض المجاهدون فانقضوا عليها واشتبكت المعركة التي دامت من منتصف النهار إلى الساعة الثالثة فانجلت عن خسارة الحملة الايطالية بأجمعها ولم يفلت منها الاسيارتان احداهما تقل الضابط السياسى الكندتور روليني وترجمانه وقد أتت النار علي جميع السيارات فاصبحت هياكل محطمة كما قتل جميع من بها من الجنود والضباط وهذه الحملة الايطالية يقودها الماجور تلقر الذى كان ضابط اتصال بالزويتينه ومن بين الشهداء القليلين يومذاك البطلان المعروفان الشيخ نصر لاعمى والشيخ المهدى الحرنه ومن الضباط القمندان عبدالسلام ادريس والملازم الاول حمد الشاخ الصبيحى والشيخ الصالحين الضبع والشيخ حمد سكات ومن بين الجرحى القمندان أحمد الاطيوش وجمعه شلش والشيخ عبدالنبي مذكور ومن بين الغنائم الكثيرة مدفع من مدافع الميدان الضخمه وأربعة وعشرين مدفعا رشاشا ومايزيد عن ألف بندقية عدا ماخسر من الاسلحة والذخير وفى مساء نفس اليوم اكتشفت طلائع المجاهدين مع الحملة الساحلية فتسابق المجاهدون للحاق بها وكانت نشوة النصر قد أخذت منهم مأخذها والجميع متعطشون لسفك دماء العدو الاثيم ويرون الموت في سبيل الوطن حياة :

وصل إلى الحملة الساحلية وهى بالبريقة النبأ بما حل بؤخرتها في بلال وقد فوضت

القيادة الايطالية بجدابيه لرئيس الحملة الساحلية الماجور توريللى حرية العمل ان شاء أن يتحصن بقصر البريقة ويدافع عن نفسه ان هوجم من قبل المجاهدين حتى تصله النجدة بحريا أو يشق له طريقا ليعود بها إلى جدابيه ويرضى من الغنيمة بالاياب فجمع القائد المذكور ضباطه وتشاور معهم في الامر فاستقر رأيهم ان يشقوا لهم طريقا بالقوة ان دعت الحالة ويعودوا إلى جدابية خيرا لهم من أن ينتظروا النجدة المزمع وصولها لهم عن طريق البحر ، من المعروف عن الايطاليين فى مثل هذه الحالة اذا فر أحدهم بسيارة يخيل له أنها بطيئة في سيرها فيتركها ليسرع بقدميه وهذا فعلا حصل أثناء حروبهم مع العرب وحصل أثناء انسحابهم أمام قوات الانجليز أثناء هذه الحرب الثانية ، لهذا أراد قواد وضباط الحملة الساحلية المذكورة أن يرجعوا إلى جدابيه بسرعة أضمن لسلامتهم من انتظار البارجة التى ستأتى من بنغازى — ربما سيدخل العرب قاع البحر لاغراقها — لاشك أنهم تخيلوا ذلك ولهذا بات رأيهم على العودة إلى جدابيه بالطريق التى جاءوا بها ولاشك أن الحظ لازم المجاهدين فى هذه المرحلة لانهم يجدون عدوهم خارج حصن البريقة خيرا من أن يجدوه متحصنا فيطول على الاقل دفاعه عدة ساعات ، خرجت الحملة الايطالية من البريقة يوم ١٩ شوال ١١ يونيه ١٩٢٣ وعندما بعدت من الحصن بمالا يقل عن ٨ كيلو مترا التقت بجحافل المجاهدين الذين أسرعوا خفافا وثقالا وبخيلهم ورجلهم بعد معركة (بلال) لهذه المعركة الثانية وكانت المسافة بين الموقعين لاتقل عن ٣٠ كم فالتحمت المعركة وأثناء نشوبها وصلت البارجة الحربية إلى ميناء (البريقة) وأخذت تقذف بقنابلها يمنة ويسرة لحماية الجيش الايطالى ولانزال الرعب فى قلوب المجاهدين فلم يكن هذا ولاذاك ولم ينج من ذلك الجيش العرمرم الذى قتل قائده الاثرذمة ضئيلة سابقت الريح جريا على الاقدام والتي بعض أفرادها بأنفسهم في اليم فكانت هاتان المعركتان أكبر صدمه اصطدمت بها ايطاليا وأقبح عار سجلته في تاريخها العسكرى من النضال الثانى وقد جاءت لفتح البلاد عنوة ومن بين الشهداء في هذه المعركة الشيخ ابراهيم الفيل والقمندان حبيب المسمارى والضابط ادريس المسمارى ورابح القبايلى وعلي عبدالله الاطيوش ومفتاح سعيد الاطيوش والسيدعبدالله أبوفارس وغيرهم ولا يخفى أن عدد شهداء هذه المعركة

أكثر من شهداء سابقتها أما الغنائم من الاسلحة والذخيرة فكانت جد كثيرة وكانت وكانت النساء اللواتي يسقين المجاهدين يسلبن الاسلحة من الطليان حتى أن هناك امرأة واحدة من قبيلة الزوية جاءت بسبع بنادق وشيع الخبر في حينه إلى سعادة الوكيل العام ، لقد وصف هاتين المعركتين الكثير من الشعراء وأحسن وصف لها هو قول الشيخ موسى حموده والشيخ عبدالقادر موصاخ باللغة الشعبية وسنثبته في غير هذا المكان من كتابنا .

اتخذ المعسكر السنوسي بعدئذ مقره بموقع (القرين) وهنا وصل السيد عمر المختار قادما من (جالو) بعد مقابلة الوكيل العام الذي أهداه جواده الخاص فسر السيد عمر لهذه الهديه النفيسة واعتبرها فاتحة خير لعهد الجهاد ومقدمة بشائر .

معركة بئر « القبى »

قصد السيد عمر المختار بعد تعيينه لقيادة الجيل والبطنان كما سبق ذكره ومع رفاقه إلي المنطقة التى عين بها وأخذ في تسجيل كل من تطوع من رجال قبايل البراغيث والحرابي وأتباعهم وأمرهم بالبقاء عند أهلهم ريثما يحين الوقت الذى يدعون فيه للحضور فبقوا حسب الامر وعلى استعداد لتلبية الطلب وقد ترك رفاقه ورجال معيته بموقع (بئر القبى) حتى يعود اليهم وسافر إلى الاسكندرية وكان معه علي باشا العبيدى للاتصال بسمو الأمير وذلك فى شهر مارس سنة ١٩٢٣ ثم عاد إلى رفاقه بالموقع الذي أبقاهم فيه وها أنا ذا أسوق الرواية كما سمعتها منه رحمه الله :

قال : كنا لا نتجاوز خمسين شخصا من العساكر والمشايخ وبينما اجتمع هؤلاء حولنا لسؤالنا عن صحة سمو الامير وأخذت ورفيقي علي باشا نشرح لهم عن صحة سمو الامير وكنا صائمين رمضان واذا بسبعة سيارت ايطالية قادمة نحو بنافشعرنا بالقلق لان مجيئها كان محل استغرابنا ومفاجأة لم نتوقعها وكنا لم نسمع عن هجوم الطليان على المعسكرات السنوسية واحتلالها جدابيه فأخذنا نستعد في هدو والسيارات تدنو منا فى سير بطيء فأراد علي باشا العبيدى أن يطلق الرصاص من بندقيته ولكنى منعته

قائلا لابد أن تتحقق قبلا من الغرض ونعرف شيئا عن مجيء هـذه السيارات كي لا تكون البادئين بمثل هذه الحوادث بيننا نحن فى الاخذ والرد وإذا بالسيارات تفترق في خطة منظمة المراد منها تطويقنا وشاهدنا المدافع الرشاشة مصوبة نحونا فلم يبق هنـاك أى شك فيما يراد بنا فامطرناهم وابلا من بنادقنا واذا بالسيارات قدولت الادبار الى منتجع قريب منا وعادت بسرعه تحمل (صوفا) ولما دنت منا توزعت توزيعا محكما وأخذ الجنود ينزلون ويضعون الاصواف أمامهم ليتحصنوا بها من رصاصنا وبادرونا بطلق الاعيرة فاخذ على باشا يولع (سجارة) فظنت انه سها وقلت له رمضان ياعلى باشا منبهـا له بالصوم فاجابنى قائلا (م يوم اصيام المنشر زام) وفى أسرع مده انجلت المعركة بخسارة الطليـان والنار تلتهم السيارات الا واحده فرت راجعة وغنمنا جميـع مامعهم من الاسلحة وكان الفضل الاكبر في تعطيـل المصحفات لسلاحنـا الذى هو من النوع (الالمـانى) :

وقد أخبرنى فى هذه المدة القريبـة أحد رفاق السيد عمر يرمذاك وهو الضابط السنوسى على أفندى مبارك اليمـنى عن هذه الرواية فلم تختلف روايته عما نقلنـاه عن السيد عمر وربما لطول المدة تكون قد نسينا منهـا شيئا ولـكن على افندى لم يزدنى عما نقلته شيئـا الا قوله : بعد المعركة وصل البريد من سيادة الوكيل العـام الي هيئـة المجلس يامرهم بان يخبروا السيد عمر بمجرد وصوله من الاسكندرية أن يلحق به فى (جالو) وصادف وصول البريد وصول السيد عمر نفسه وعلمنا من البريد احتلال اجدابيه فأمر السيد عمر رفاقه من المشايخ أن يذهبوا الى أهليهم ويباشروا فى جمع المتطوعين حتى يعود من (جالو) أما الشهداء فى هذه المعركة فكانوا ثلاثة جنود وضابط المغيـه مرجان افندى ولمـا ذهب السيد عمر وكنت في معيته مررنا بآبار (الشعفه) فوجدنا هنـاك منتجعات البراعصة وبعضا من العواقير وأهل السيد عمر المختـار كما وجدنا بعض الجنود تحت رياسة القمندان حسن أفندى بصرى التابع لقيادة السيد محمد أبو نجوى فصبحنا الضابط وجنوده الي جالو وكذلك عائلة السيد عمر المختار وبعد وصولنا الى جالو بأيام قليلة امر سيادة الوكيل العام بأن يتوجه السيد عمر لاتمـام مهمته بالجبـل وهى تأسيس المعسكرات أو المعسكرات وفي معيته السيد حسين الجوبى والسيد الفضيل أبو عمر الذى جند من

قبيلة (زوية) ماية جندى متطوع فتوجهنا من جالو فى أواخر مايو سنة ١٩٢٣ وكان معنا قجة بك عبد الله الذى وصل الى جالو بعد معركة — بلال — فسافرنا أولا الي معسكر المغاربه المخيم بموقع (المرير) وهناك حضرنا معركة بلال الثانيه — ستأتى بتفاصيل هذه المعركة — ومن ثم توجه السيد عمر مصحوبا بالسيد حمد أبو نجوى والغمارى أفندى الصغير وهذان يريدان تأسيس معسكر العواقير أما السيد حسين الجويني والسيد الفضيل أبو عمر وعبد السلام أفندى أبو نصيره فكانوا بمعية السيد عمر فواصلنا سيرنا الى آبار (الشعفه) وهناك منتجعات البراعصه وأولاد الشيخ وقد إستقبلنا الشيخ الصغير أبو بكر حدوث وابنه يونس وأخذا فى الانفاق علينا من أموالهما الخاصه طيلة المدة التي مكثناها بمنتجعهم وبعد أن تمكن السيد عمر من جمع المتطوعين انتقلنا الى موقع « الشبيكه » وهناك تأسس أول معسكر واشتبك مع الطليان فى معارك كبيرة ولما قويت شوكة المعسكر إنتقل إلى آبار « تيلزم » الواقعة جنوب المرج واستمرت الحاله التي يعرفها كل إنسان — يعنى بها علي أفندى الحرب بالجيل الاخضر —

عودة السيد صفى الدين من طرابلس

وصل السيد صفي الدين إلى برقة تمهيداً لدخول أهالى جهات طرابلس من قبائل رهونة والحاميد وورفلة ومصراته أولئك الذين يئسوا البقاء هناك من شده وطأة الهجوم الايطالى ولم يكن هناك أى مدد يصل إلي المجاهدين ونقصت الذخيرة فلم يبق هناك أمل فى المقاومة كما لم يبق بجهات طرابلس غير معسكرات أولاد سليمان تحت قيادة أحمد بك سيف النصر وأخيه عبد الجليل وهي بنواحى (الجفرة) (والنوفلية) وقد أناب السيد صفى الدين أحمد سيف النصر عنه : اتصل السيد صفى الدين بسيادة الوكيل العام واستصدر منه أمراً الي رؤساء المعسكرات ببرقة لمساعدة أخوانهم أهالى طرابلس الذين سيلجأون الي برقة — كان الفوج الاول من اللاجئين قد وصل — وافساح الاماكن التى ينزلونها لمرعي وسقاية حيوانهم ومساعدتهم بكل ما يتطلبه الموقف وفى شهر جمادى الاولى والثانية سنة ١٣٤٢ وصلت رحالهم فقوبلوا بكل احترام وعناية ونزلوا على

الرحب والسعة ، لقد بقي ابراهيم بن رمضان الشتيوى فى جهة سرت بقسم من العسكر النظامي ولكنه لم يستطع البقاء طويلا فقد وصل الى برقة فى شهر شعبان سنة ١٣٤٢ وبقى اللاجئون ببرقة مدة من الزمن باعوا وابتاعوا ما يلزمهم بأسواقها و (ربعت) حيواناتهم وانتقل قسم كبير منهم الى (جالو) وهناك استقبلهم السيد صفي الدين الذى اعتنى بهم وجميع أهل جالو ابكل ما يجب للضيف كما أصدر سيادة الوكيل العام أمره الذى يقضى بأن جميع ما يحتاجه هولاء الاخوان من السوق لهم الحق فيه دون غيرهم وأن لا يزاحموا وبعد قضاء ما ربهم انتقلوا الي الجغبوب فسيوة فالاراضي المصرية التي اتخذوها لهم مهجراً ثم سافر السيد صفى الدين من جالو وكان قد وصل اليها يوم ٢٤ جمادى الثانية ١٣٤٢ فوصل الى الجغبوب ومن هناك اتصل بسمو الامير كتابيا ليمهد له دخول مصر وبعد أخذ ورد وصل الى الجغبوب سعادة محافظ الصحراء الغربية (بيلى) فاتصل بالسيد صفى الدين والسيد ابراهيم وأخيه السيد محي اسين السنوسى وأثر عودة المحافظ غادر الجغبوب الى مصر كل من السادة المذكورين فاتخذوا مصر داراً بعد دارهم وأهلها بعد أهلهم ولقوا من عناية الحكومة المصرية والشعب المصرى ما يجعل اللسان يلهج بالشكر والثناء .

معركتى البريقة وبلال الثانيتين

بعد شهر من معركتي بلال والبريقة الاولتين وأكثر بقليل وصلت بارجة حربية الى مرسى البريقة وأنزلت قسما من الجنود لضم رفاه الطليان الذين قتلوا فى المعركة الاولي فوجد الجند أغناما تسقى علي الآبار فما كان منهم الا أن أبادوها برشاشاتهم ورجعوا وكأنهم قد جاءوا بشيء يذكر ثم خرجت قوة أخري من السيارات المصفحة وسيارات النقل الي موقع بلال حيث دارت المعركة الأولى وكان خروج هذه الحملة على مرأي من طلائع المجاهدين (القاراقولات) فتوجه المعسكر بقواده لملاقات العدو وفى موقع الواقعة الاولى التقى الجمعان فدارت بينهما معركة لم تطل انسحب أثناءها المعسكر السنوسى الى الجغبوب تاركا لعدو الفرصه التي مكنته من ضم الاشلاء ولم يخرج العدو الي منطقة

المغاربة بعد هذه المرة حتي أواخر سنة ١٩٢٧ حيث استولى علي عموم برقة الغربية كما سيأتى تفصيل ذلك في محله .

بما أن المؤرخ الذى يتصدى لسرد الحقائق التاريخية التي تمكن من معرفتها لا يجب عليه أن يحابى ويجامل فيما يختص بالتاريخ الذى هو أمانة في عنقه ، ومن واجبه أن لا يغادر صغيرة أو كبيرة من التاريخ عرفها أو تحقق من صحتها واذا مال عن هذه المحجة ما لم يكن ميوله سهواً ، أما اذا استولت عليه العاطفة ، وتجاهل ما يعرفه بقصد فلا مفر اذا من اللوم وعلى الاقل يكون عرضة لتأنيب ضميره .

وليس هناك زاجر أشد زجراً من الضمير ولا يكون فيما لا يعرفه أو يتحقق منه اذا لم يذكره لوماً لان التاريخ بحر لا يدرك قاعه ومن محاسن المؤرخ أن يكون رائده الحق غير مبال بما قيل ويقال فالحق أحق أن يتبع مهما جهله وتجاهله المغرضون وبما أن الامر كذلك فاني أذكر عاملا قويا كان وحده ووحده فقط السبب في انسحاب المجاهدين ان لم أقل تخاذلهم وكان فى امكانهم الاشتباك مع عشر حملات مثل هذه الحملة التى انهزموا أمامها ، أولا أن القوات العربية كانت علي ما يرام من حيث الاستعداد والحماس المتغلغل في النفوس ونشوة النصر التى لا زال القوم بها سكارى ، ثانيا لم تخرج الحملة الايطالية من جدابية الاعلى مرأى ومسمع المجاهدين الذين استعدوا لملاقاتها بجميع الاحتياطات ، ثالثا أن المجاهدين كانوا أكثر عدة وعدداً مما كانوا عليه فى المعركة الاولى رابعا أن القواد الثلاث وهم : السيد عمر المختار ، وصالح باشا الاطيوشي ، وفجه بك عبد الله فى طليعة المجاهدين وقد اشتركوا فى هذه المعركة كما كان يوجد بالمعسكر من الابطال المبرزين عدد كبير منهم السيد محمد أبو نجوى والسيد حسين الجويفي والسيد الفضيل عمر والغماري أفندى الصغير وعبد الله أفندى أبو سلوم وعبد السلام أفندى أبو نصيره ومحمد أفندى الشويخ وأمثالهم من الضباط الممتازين أضف اليهم مشايخ العرب الغر البهاليل .

فكيف اذن يتصور الانسان انسحاب القوات العربية تحت قيادة هؤلاء الابطال المذكورين بدون معركة تذكر ؟ وكيف تنام الحملة الايطالية طيلة ليلها بموقع (بلال) آمنة مطمئنة ؟ وكيف ترفع أشلاء الموتى وترجع بسلام ؟ الجواب عن ذلك حسبما

توخينا فيه الحقيقة أنه حصل خلاف بين ضباط المعسكر فكان الضباط النظاميون وعلى رأسهم محمد أفندى الشويخ في جهة وكان الضباط المتطوعين فى جهة أخرى وكان هذا الخلاف بعد المعركة الاولى بموقع (بلال) والتى تلتها بموقع (البريقة) وفيه شيء من التنافس أدي ذلك الى اختلاف وجهة نظر الجانبين فى هذه المعركة وقد تأثر بذلك الجند التابع لكل من الفريقين بتأثر ضباطه الامر الذى سبب الانسحاب بدون أن يعلم القادة المذكورين وشيوخ العرب عن ذلك بادىء الامر ويلقى الضباط والعساكر تبعة ذلك على القمندان محمد أفندى الشويخ وهو من خيرة المجاهدين فى جميع مراحل الجهاد وكان محبوبا ومطاعا بين رفاقه ، لم يشتبك معسكر المغاربة بعد هذه المعركة مع الطليان مباشرة ولكن ما برح يشن الغارات الواحدة تلو الاخرى ليقلق الايطاليين في مضاجعهم وليلقى الرعب فى قلوبهم فلعلهم يخرجوا من معاقلهم للمبارزه ومن بين الغارات تلك التي كانت على مركز (سلوق) تحت رياسة عبد السلام الأطيوشى وتلك التي كانت علي مركز (قمينس) ونقطة (ضحوى) وكانت رياسة الغائرين الى سالم أفندى شمام وقتل أثناءها البطل المشهور والشاعر الكبير الشيخ حسين شهاوى الذى كان الى جانب الطليان وتلتها غارات كثيرة فى مختلف الازمنة والامكنة ولما وصل ابراهيم بن رمضان بك اشتيوي سنة ١٣٠٢ وأخذ مقره بموقع (القرين) وكان معه من الجيش النظامي ما لا يقل عن ثلاثمائة جندى استقبلته قبائل المغاربة .

علي الرحب والسعة وسرعان ماصدر الأمر من سيادة الوكيل العام إلى معسكر المغاربة لمساعدة ابراهيم اشتيوي ماديا وأدبيا فقدم له صالح باشا الاطيوش كل مايلزم من أنواع الاكرام والمجاملة وبقى معسكراً بموقع (القرين) حسب اختياره وخصص له قسم وافر من واردات المعسكر السنوسى وعومل ابراهيم من قبل صالح باشا وجميع المشايخ وأعيان برقة بمعاملة خاصة وروعيت فى ذلك اعتبارات عالية ولما كان من المقرر أن يهاجم المعسكر السنوسي جدابيه أخذ في ذلك رأي ابراهيم الذى حضر المجلس العسكرى الذى رسم خطة الهجوم ، قال ابراهيم ان لدى قسما من العساكر النظاميين وانى التجأت إلى اخواني البرقاويين لمعاونتهم والقتال إلى جنبهم حيث لم تعد فائدة لبقاءى بالجهات الغربية وكل ماينقصنى هو الذخيرة فقط وانى أتعهد بالناحية الشمالية من

جدايه عندما يبتدأ الهجوم فقوبل كلامه بالقبول والشكر والتقدير لشخصه واعطى له كل ما طلبه من الجبخانة وحددت ساعة الهجوم فعرف كل قسم من الضباط وجنودهم الموقع الذى يقف فيه ساعة الهجوم غير أن ابراهيم كان باطنه مخالفا لظاهره فلم تخلص نيته فى ذلك وعندما أزفت ساعة الهجوم المقررة كان المحل الذى عهد لابراهيم بالوقوف فيه خاليا لأن ابراهيم نقل معسكره ليلا وقفل راجعا إلى جهات (سرت) ولما أعطيت اشارة الهجوم المقررة من القيادة وظهر أن ابراهيم لم يحضر بمعسكره أما المعسكر السنوسي فقد هاجم ولكنه لم يتمكن من فك حصار المدينة التي أخذت قواتها تدافع بكل مالديها من قوة ولما انبثق الفجر انسحب المعسكر السنوسي : أما ابراهيم فقد وصل إلى (سرت) وكانت العلائق بينه وبين قبايل الفرجان فى غاية من السوء فتقاتل الطرفان وقد انتصر علي منتجعات الفرجان وأخذ اسلابهم فلجأ من بقي منهم إلي مصراته وهناك شعر ابراهيم بالخطر وتحاشا العودة إلي برقة اما حياء واما عمدا ولو عاد لوجد من العناية ماوجده فى المرة الاولي فواصل سيره قاصدا « فزان » ولاداعى لان أذكر ماحصل منه وعنه لعدم اتصال ذلك الموضوع بتاريخنا .

الفواخر واخراجهم بالقوة

كانت قبيلة الفواخر ولم تزل من كبريات قبايل المرابطين ببرقة وعلى جانب عظيم من الثروة ويعرف رجال هذه القبيلة كبقية رجال قبايل برقة بالشجاعة والاقدام ولما هاجم الطليان معسكر البدين وتوغلوا بدواخل برقة الوسطى استسامت هذه القبيلة عن آخرها ضمن القبايل المستسلمة بحكم الظروف القهرية اللهم الا بعض أفراد منها موزعين فى أنحاء برقة وبين القبايل الاخرى وكانت اليد العاملة لاستسلام هذه القبيلة السيد ظافر فكان وسيطا لهذه القبيلة لدى الحكومة الايطالية ولذلك صرح الطليان لافراد هذه القبيلة بحمل السلاح والبقاء ببرقة داخل الاراضى الواقعة تحت نفوذ الطليان وهي الواقعة بين « انتلات وسلوق » إلى الساحل ينزلون حيث شاءوا وقد نالوا ثقة ايطاليا وعطفها وبعد أن حصلت معركتي بلال والبريقة أمرهم ايطاليا

بالنزول ضواحي سلوق « والشليظيمه » بدعوى أنها تحفظهم من غارات العرب وربما كانت ايطاليا تخشى فرار هذه القبيلة والتحاقها بالمعسكرات السنوسية فتكلم شيوخ القبيلة بواسطة السيد ظافر مع ايطاليا للحصول علي شروط هي فى صالح ايطاليا أكثر منها في صالح الفواخر فاتفقت معهم ايطاليا ومدتهم بأسلحة وانتخب شيوخ القبيلة قوة لايستهان بها من خيرة الشباب واعتبرتهم ايطالياً كجند غير نظامى لايقيد بقيود الجندية وربطت لهم الرواتب الشهرية وعهدت اليهم بحراسة المناطق المتأخمة لسلوق وقمنس والشليظيمة فنشطت هذه القبيلة نشاطا جعلها محل فخر الطليان واعجابهم وصارت هذه القوة غير النظامية تجوس خلال الديار يمنة وشمالا وطارصيتها بين جميع الاهالى الذين أصبحوا تحت حكم الطليان فالتجأ الى هذه القبيلة واحتمي بها الكثير ممن لايريدون الظهور فى مثل هذه الحالات خالدين للسكينة حتي يأتي الله بأمر من عنده «١» هذه الحالة الطارئة التى لابد من زوالها فى يوم من الايام لم ترق لكثير من شيوخ وأعيان قبيلة الفواخر نفسها كما أنها محل سخط بقية القبايل الاخري التي قدر لها أن تكون تحت الطليان وبما أن هذه القبيلة تعرف الكثير بل الكل من المواقع الخفية بالبلاد وتعرف مسالك الوطن وطرقه وشعابه وسهوله وأوعاره واوديته مالا يعلمه الايطاليون أصبح من المستحيل دخول أحد الاعراب التابعين للسنوسيين إلي تلك الاراضى بغية

«١» قال أحد شعراء البدو التابعين لقبيلة الفواخر سائلا

(لابس أحلاط او بندقا اوجربدى اوماشى انحارب فى عساكر سيدى ؟

فأجابه الفاخرى بقوله :

لابس أحلاط اوبندقا اوعمامه وراكب هجين اتقول طير حمامه

أوين ماطيرى ناغوز هو وعلامه انجيت في كراهب واجدات حديدى

(وناغوز هذا لقب لمامور التجنيد عطيه المهشمش)

فرد عليه الأول قائلا :

لابس أحلاط وبندقا طلياني وماشى انحارب فى قرا واذني

أنعنك اصدافن ساعت الزناني والبارود يشاكع أتقول وقيدي

ونعتك طريق اللي مشا ماجاني للقبر عدا فى قماش جديدى

التجسس عن ايطاليا والاتصال بالاهالى التابعين لهم وهم فى موقف الاخلاص للعسكرات السنوسية . أصبحت هذه القبيلة عقبه فى سبيل المجاهدين وحجر عثرة فى طريق جواسيس المعسكرات وعطلت الكثير من الحركات العسكرية السنوسيه الامر الذى حدا بمفكرى المجاهدين أن يعملوا جهد المستطاع لاخراج هذه القبيلة من تحت الطليان مهما كلفهم ذلك أو ابادتها ان استعصت أو اختارت البقاء على ماهى عليه .

اتفق رأى المسؤلين من المجاهدين بعد التفكير فى ذلك على تنفيذ هذه الفكرة وكان المفكرون قجه بك عبدالله وصالح باشا الاطيوش والسيد محمد أبونجوى والشيخ عبدالحميد العبار والشيخ عبدالسلام الكزه والشيخ سليمان رقرق والشيخ على غريبيل الفاخرى وحضرات الاعيان والشيوخ والضباط فكان الاتفاق النهائى كما يلي :

موافقة الجميع على مهاجمة منتجعات الفواخر لاخراجها وانقاذها من مخالب العدو والانتفاع برجال هذه القبيلة حسما للشر الذى يأتي عن طريقها وبواسطتها : القيادة العامة لعمليات الهجوم تسند إلى قجه بك : ضمان سلامه القبيلة المذكورة وحفظ كرامتها وأموالها . تحديد موعد الهجوم . الاحتفاظ بسرية القرار : رفع القرار إلى سيادة الوكيل العام للموافقة عليه واستصدار الامر منه .

هناك بمنتجع الفواخر بعض الموالين للمجاهدين من قبيلة الفواخر أنفسهم ومن القبايل الاخرى التى قدر لها الاحتماء بهذه القبيلة وكان هؤلاء على اتصال سرى مستمر مع القيادة السنوسية ولما قررت ساعة الهجوم وزحف الجيش السنوسي عهد لكل ضابط من الضباط بمهمة لا تعداها ومسؤلية تحمل عبئها وبعد أن احكمت القيادة خطتها الجبارة والمقررة حصل الهجوم وكانت القوات الهاجمة تتألف من تشكيلتين أحدهما خياله والثانية (هجانه) وفى مقدمة الجميع القائد فالمشايخ فالضباط المسؤلين وبعد مضى ثلثى الليل الاول وصلت القوات إلي القرب من المنتجعات وأخذ كل فرد مربضه وأحاطت القوات بالمنتجع بشكل تطويقى محكم لا يمكن معه الدخول أو الخروج الى ومن المنتجعات المهجومة وهناك قوة أخرى من المجاهدين عهد اليها بتطويق مركز « سلوق » وتعطيل أي حركة عسكرية تبدو فيه وعند إنبثاق الفجر الاول أمر الشيخ على غريبيل الفاخرى من قبل القيادة ان يؤذن أذان الصلاة فأذن ثم قال بصوت

جهورى (أيها الفواخر ان المجاهدين قد جاءوا بعددهم وعديدهم لانقاذكم من شر ما أنتم فيه وقد طوقوكم فان استسلمتم سلمتم وساهمتم فى المحافظة على أرواحكم وأموالكم وان تعرضتم إلى هذه القوات بسوء تكونوا قد سببتم لانفسكم النكال والله أشد بأساً وأشد تنكيلا) وما كاد يفرغ الشيخ المذكور من ندائه حتى أطلقت الصفارات من كل ناحية وأطلق الرصاص فى الهواء بشدة فأصاب المنتجع ما أصابه من الرعب والفزع ولم يتمكن أهله من أى عمل يقوموا به وربما لم يريد القيام بأى عمل غير التسليم وعلى كل فقد علموا أن لامفر من أحد أمرين اما التسليم أو الفناء فعملوا للاولى وخرج شيوخ وأعيان القبيلة ينادون للسلام بكلمة « الامان » فوضعت أسلحتهم فى موضع خاص ولم يفلت من هذه القبيلة الا الشيخ مراجع أبو عين الذى تمكن من الاختفاء ليلتئذ وعلى الاصح انه متغيب من المنتجعات قبل الهجوم عليها وأشرقت الشمس الوضاءة وتوسطت السماء تقريبا والمنتجعات في حالة النقل محاطة بالجيوش السنوسية على مرآى ومسمع من قوات العدو « بسلوق » تلك القوات التى لم تبد حراكا واتجهت الرحال مصوبة الجنوب تؤم الجهات التى عينتها القيادة وكان أعظم فوز أحرزه الايطاليون يومئذ هو عدم اقتحام معاقلهم وقد اختير لهذه المنتجعات ان تخيم بضواحى « ساونو » والمطر (والقرارة) وكان هـذا أعظم انتصار سياسي وعسكرى أحرزته القوات السنوسية عامة ومعسكر العواقير خاصة بعد الفشل الذى لقيته أثناء معركة البدين : تلك المعركة التى لازالت تحز فى نفوس قواد وضباط وأعيان وشيوخ معسكر البدين: تقرر بقاء معسكر العواقير بساونو وأخذ مكانه اللائق به بين المعسكرات السنوسية وظهر جلياً في هذه الاعمال تعاضد الامة وتكاتفها في المهمات فقد جاءت النجدات من معسكر المغاربة لمعاونة اخوانهم بمعسكر العواقير لانقاذ القبايل المذكورة وتعاون قادة المعسكرين فى الرأى وتبادل المشورة .

أما قبيلة الفواخر رأت أنها فازت حيث كانت مغلوبة وانها كانت بحكم الظروف مرغمة علي الوقوف بجانب الطليان ، اما خسارة ايطاليا سياسيا وعسكري فهذا مما ينطق بصحة الواقع .

وقد استعان المعسكر السنوسى بالاسلحة والخرطوش التي جاءت بها القبيلة كما

انتفع برأى شيوخ القبيلة وقوة شبابها الذين وقفوا الي جانب اخوانهم موقف البطولة والاخلاص وقاموا بواجباتهم خير قيام ورفع بذلك تقرير الى سيادة الوكيل العام فأصدر سيادته بدوره أمراً للقياد: فحواه أن تعامل هذه القبيله بالحسنى وزياده وان يشترك شيوخها وأعيانها في الهيئات العسكرية والادارية وان لا يؤخذ منها سوى الزكاة الشرعية ولكن هذه القبيلة لم تقف عند هذا الحد بل تجاوزته بالتبرع بكثير من الأموال لصالح المعسكر .

نظام معسكرى المغاربه و العواقير

اتخذ معسكر المغاربه بعد معركة بلال الاخيره مقره بموقع سبط أبو عين وكان نظامه كما يلى .

صالح باشا الاطيوش رئيس الادارة العسكريه والمدنيه

الشيخ الفضيل المهشش رئس مجلس المشايخ

الشيخ محمود أبو هدمه للماليه مع عضوية مجلس المشايخ

دخيل عبد السلام رئس الشرطه

الشيخ أحمد المسلاتي قاضى شرعى

عطية المهشش قمندان التجنيد

محمد البرانى الزوى والسنوسى الهوني لجباية الزكاة والاعشار مع مجلس يرافقهما من المشايخ ، الافي مفتاح ، حنيش أجبيل ، آدم التويجف ، فرحات الشامخ ، ادريس أجيل ، هؤلاء ضباط « القاراقولات » مجلس المشايخ مؤلف من السادة الاتية أسماءهم .

محمد الدايخ ، أبو حلفاية نجيمه ، السنوسي البرانى ، أبو بكر بوجبيهة ، فرج الذباح ، موسي حموده ، موسى الرقعى ، المبروك الباسل ، فرج صالح ، منصور نشاد ، الزروق خطاب ، جلغاف شلبي ، سعيد يونس ، عبد النبي مذكور ، مصباح دواس ، محمد يونس قادوم ، بحيح الشيحى ، ابراهيم بوسيف ، الفضيل جبيل ، عبد القادر أبو

مشيشيه، مفتاح سويكر ، محمد الساعدى ، عمر الحليق بن ادريس أبوحليفه ، مصطفى كداد ، محمد النعاس قادربوه ، الحسين القرفه ، سالم باسل ، مختار مدوم ، على أبوجليل صميده الشيخى ، الحاج حسن الظريف مفتاح الفيل ، الحاج محمد الابعج ، جبريل مفتاح وكثير غيرهم .

وكان معسكر العواقير بالنظام الآتى :

قجه بك عبد الله للاداره العسكريه والمدنية .

السيد محمد أبونجوى رئيس مجلس المشايخ والاعيان

جمال أفندي عقيرب للعالية والمحاسبة العامة فى جميع المعسكرات السنوسية .

الشيخ محفوظ الورفلى قاضي شرعى .

الشيخ على غريبل نائب القاضى .

الشيخ أبو بكر الظريفية والسيد عثمان الصادق لجباية الاعشار والزكاة .

عبد الحميد العبار ، شيلة ، مسعود أبو بكر ، يسوف المسلماني (للقاره فولات) .

محمد أفندي الشويخ ، فالح الدرسي ، عبد الله أبو سلوم ، عوض السوداني ، فرج القرعانى كل من هؤلاء قندان .

يتألف مجلس المشايخ والاعيان من السادة الآتية أسماءهم :

عبد السلام الكرة ، سليمان رقرق ، عبد الجليل المصراني ، خليل مصطفى ، النواتى أبى سيف ، عوض العبار ، عبد الحميد العبار ، سعد الله النمر ، ابن على اللواطي ، عبد الله حويل ، ميلاد أبو شنيف ، على القذافي ، محمد الاحمر الفاخرى ، خطاب الفاخري ، سعد أبو جريعيد ، وغيرهم من بقية مشايخ القبايل .

الحركة الاولى بالجبل

ليس قولنا الحركة الاولى بالجبل نقصد به أن أول حركة قامت به ، ولكن نقصد بذلك تأسيس المعسكرات التى استمرت تقاتل الطليان من سنة ١٩٢٣ الى سنة ١٩٣١ م وسبق أن ذكرنا بأن السيد عمر المختار عين قائد لمنطقة الجبل بما فى ذلك منطقه البطنان وكان ما كان من سفره الى الاسكندرية لمقابلة سمو الامير وعودته ومعركة بئر الغبى واشتراكه فى معركة بلال الاخيرة وانتقاله إلى (آبار الشعفة) والآن نواصل تفاصيل ذلك . وصل السيد عمر الي (آبار الشعفة) حيث منتجعات قبائل البراعصة وبعضا من العواقير والعبيد وأولاد الشيخ والعوامة والشهيبات والمنفة والمسامير وقد قام الشيخ الصغير أبو بكر حدوث وابنه يونس بتموين معية السيد عمر من مالها الخاص الى أن تم تنظيم المعسكر الاول وجمعت به طائفه كبيرة من المتطوعين وهناك أخذ المعسكر أول مقره بموقع (الشبيكة) وبدا في اقلاق راحة العدو ومهاجمته في مراكزه وشن الغارات على نقاطه فزحف عليه العدو بقوات كبيرة فردخاسئاً حسيراً ، ثم انتقل المعسكر الي آبار (تيلزم) ووزع (الفاره قولات) للمرابطة علي مراكز العدو وسمى هذا المعسكر بدور البراغيث بالرغم من وجود غير البراغيث من القبائل الاخرى بالمعسكر وترجع هذه التسمية الى وجود المعسكر بمنطقة البراغيث وهم الاكثرية الساحقة فيه وقد التحم المعسكر فى معركة كبيرة تعرف بمعركة (جردس) في أوائل ربيع الثانى سنة ١٣٤٢ وهى أول معركة عظيمة اذا استثنينا المعركه المعروفة بمعركة (الحيران) التى كانت بين المنتجعات والقوات الايطالية يوم ١٩ أبريل سنة ١٩٢٣ .

غنم المجاهدون يوم معركة جردس مدفعين من مدافع الميدان وخمسة مدافع رشاشة وغنائم مهمة من الاسلحة والذخيرة وكان عدد الشهداء ما يقرب من مائتين ثم تأسس معسكر البراعصة تحت قيادة السيد حسين الجويفي وأول عمل قام به هذا القائد مهاجمة مراوه وسلنطه وحصارهما أياما وقد التحق بالقائد مدير (مراوة وسلنطة) السيد محمد السرقمى وكان وقتذاك تابعا لايطاليا ولما حوصرتا (مراوه وسلنطة) فر المدير والتحق

بالهاجين وكان من المخلصين للقضية الوطنية ومفيدا للمجاهدين فعين بعد ذلك قائمقام بمعسكر البراعصة ويؤلف هذا المعسكر من قبيلتي البراعصة والدرسا وأتباعهما وكان قيادة المعسكر عثمان الشامي في معية رئيسه حسين الجويني وموقع المعسكر بمنطقة (شحات) ثم أسس معسكراً آخر بمنطقة (درنة) أسندت رياسته إلي السيد الفضيل عمر ، وعلي الترتيب الآتي كان تأسيس المعسكرات الثلاث بادي الامر وحصل تغيير كثير وتنقلات بعد ذلك :

السيد يوسف رحيل قائمقام معسكر البراغيث ونائب عن السيد عمر في عموم منطقة الجبل، السيد علي الغرياني للعالية والتموين .

السيد حسين الجويني لمعسكر البراعصة والدرسا .

السيد الفضيل عمر رئيسا لمعسكر العبيدات والحاسا .

وهناك تبع كل معسكر مجلس من شيوخ وأعيان المنطقة والقبيلة يرجع اليه في جميع الامور كما أن هناك مجلس أعلى بمثابة المجلس التشريعي ومن أعضائه السيد يوسف رحيل ، السيد حسين الجويني ، السيد الفضيل عمر ، السيد محمد الشرقسي ، الشيخ موسى غيضان ، الشيخ محمد مازق ، الشيخ محمد العلواني ، الشيخ جربوع سويكر ، الشيخ قطيط الحاسي ، الشيخ رواق درمان وغيرهم من المشايخ ويرأس هذا المجلس السيد عمر المختار وفي حال غيابه يرأسه السيد يوسف رحيل وبالمعسكرات الثلاث مجموعة طيبة من الضباط النظاميين والمحاربين القدماء ومنهم من نالو ذلك باستحقاقهم وجدارتهم الحربيتين وكان معسكر البراغيث الذي هو محل الرياسة العليا ومقر السيد عمر هو النواة الاولي وحجر الاساس لهذه المعسكرات وكان السيد عمر وقتئذ يلقب بنائب الوكيل العام ويلقب السيد يوسف أبو رحيل بوكيل النائب فنظمت الادارات من المحاكم الشرعية والمالية وإدارة التموين وجباية الزكاة الشرعية وإدارة خاصة بالخمس الشرعي من الغنائم فأخذت هذه المعسكرات الثلاث تتعاون في السراء والضراء وتقوم بحركات عظيمة ضد العدو وتهاجمه في معاقله تارة ويهاجمها طوراً فيفروا ويكروا والحرب هكذا سجال ومن أساليبه المد الجزر ولهذه المعسكرات الثلاث فروع (قاراقولات) ترابط على المراكز الايطالية وتحصي عليها حركاتها متصلة بالمعسكر التابعة له وقتيا فاضطر العدوان أن يحجز قوة كبيرة

بالمرج وشحات وسلطته ومراوه ودرنه وطبرق والباردية لحساب هذه المعسكرات التي أقلقت راحته وكلفته أفدح الخسائر فاولاها كل عنايته وحصر نحوها كل فكرته السياسية وحركاته العسكرية ولجميع قبايل الجبل والبطنان ممثلين بالمعسكرات ومنهم أعضاء المجالس والضباط والجنود وجميع هذه القبايل من العبيد والعرفا والبراعصه والدرسا والعبيدات والحاسا والمنفا والمسامير والفطمان والشواعر والعوامه وأولاد الشيخ واتباعهم ساهموا في الحركة واشتركوا في العمل باخلاص نية وحسن طوية وهمة ونشاط ولاشك ان الأعمال تتفاوت اذا شئنا أن نخصص ونفصل ولكن إذا القينا نظرة عامة فالجميع لهم ايد تشكر وعمل يذكر قل أو كثر : أخذت هذه المعسكرات الثلاث تتعاون ويتبادل رءساؤها المشاورات وإذا دعت الحالة فتأتي النجدات من معسكر لآخر مثل تلك النجدة التي ذهبت من معسكر المغاربة إلي معسكر العواقير عندما قرر إخراج الفواخر ومثل النجدة التي خفت من دور العواقير إلى معسكر البراغيث فاشتبكت في أكبر معركة عرفت بمعركة الرحلان وكان يقود المجاهدين يومذاك السيد حسين الجويني ومن بين أعضاء هذه النجدة عبدالله محمد الكزة والشيخ أحمد عقيلة وأبي خريص بن على الكزه وأبي رقعه وأبي شنيف الكزه والكثير من اضرابهم وعلى نظام التعاون جرت الامور واستمر العمل . وكل قيادة من القيادات المذكورة ترفع تقاريرها لسيادة الوكيل العام السيد رضا أما حالة القتال بين الايطاليين والعرب فقد استمر بدون انقطاع سيما في منطقة الجبل والبطنان ويضيق بنا المقام لو أردنا أن نتتبع جميع حركات القتال الذي يحدث في الغالب يوميا وبذلك صعب علينا أن نذكر الوقائع واحدة واحدة ولكن سنذكر قسما من أشهر الوقائع ولهذه القبائل المذكورة بالجبل والبطنان يسجل التاريخ مواقف البطولة في ميادين الوغي ومواقف الصدق في الاعمال ومواقف المروؤة لدى الحاجة فقد كان أكثر هذه القبائل مستسلماً تحت الطليان وأبناء هذه القبايل هم الجنود والضباط بالمعسكرات وكان تموين المعسكرات في الغالب من هذه القبائل عدا اعطاء الزكاة الشرعية ، وأكثر شيوخ هذه القبائل هم أعضاء المجالس للمعسكرات وعندما تلتحم المعركة بين المعسكرات والطليان ينفر أهل المنتجعات خفافا وثقالا للاشتراك في المعركه فمن مات منهم يدفن بين المجاهدين ومن عاش يرجع إلى أهله وهذه نبذة

صغيرة عن أعمال العرب ببرقة .

ان جميع أهل برقة بذلوا النفس والنفيس من المال والانفس والثمرات تحت قيادة أميرهم المحبوب للدفاع عن حوزة الوطن والدين ولرفع شأن العروبة ولاعطاء دول الاستعمار دروساً قاسية كي تعرف أن العرب أباة الضيم ورعاة الحمى وليوث الوغى لايتساهلون في شرفهم وكرامتهم وانهم يعرفون قيمة الحرية ولا يعرفون للحياة معنى في سبيلها لأنهم رضعوا لبان ذلك فى المهد وسيكونون عليه إلى اللحد .

لقد ثبت للعالم بأسره ان هذه الامة القليلة فى تعدادها القوية في عقيدتها وقفت في وجه عدوها الاثيم مواقف البطولة الفذة والشجاعة النادرة وسجلت للتاريخ مامن شأنه أن يفتخر به التاريخ وضربت المثل العليا لدول الاستعمار ليعلموا ان الحرية لايمكن اغتصابها :

الظلم لايمحوا بغاشم سيفه ... مافى صميم الروح من أصرار

ان قوة الغاصب مهما تظاهرت فى نظره فهى حقيقة الضعف فى نظر من يراد اغتصابه وهؤلاء العرب شم العرانين لايمكن اخضاعهم بالحديد والنار والغازات وجميع أساليب الفناكل ذلك لاينت فى أعصابهم ولاهم يرهبون بمجرد سماع قعقعة السيوف وازيز الطائرات وضجيج المصفحات كما أنهم لاينخدعوا بالمواعيد المغرية الخلابة والاقوال المزيفة الجوفاء وبذر الاموال بسخاء فكل ذلك حصل من ايطاليا وكل ذلك لايغير من موقفهم ازاء حقهم المشروع عملا بالمبدأ القائل الموت في سبيل الحرية حياة والحرية توخذ ولاتعطي وليس للحرية ثمن غير الفناء من أجلها وان العرب أعرف الامم بحقوق الوطن ومايفرضه عليهم وفى ذلك يقول شاعرهم القديم :

لايسلم الشرف الرفيع من الاذى ... حتى يراق على جوانبه الدم

ويقول أمير السعراء :

وللاوطان من دم كل حر ... يد سلفت ودين يستحق

ومن يسقى ويشرب بالمنايا ... إذا الاحرار لم يسقو ويسقوا

وللحـــرية الحمراء باب بكل يد مضرجة يدق «١»

أذن فلا أمل فى أن تتهاون هذه الامة البرقاوية العربية النبيلة فى حق الوطن وقد لقنت ان الموت في سبيله هو حياة الخلود فضربت الرقم القياسي للبطولة والايمان بالحق وخرجت فى مسرح الوطنية علي شاشة الحياة البيضاء لتعرض للعلا ماتعلمته من خالق نهضتها الـكبير وباعث مجدها العظيم السيد محمد السنوسى فـكانت فصول الرواية محل اعجاب الناظرين . كيف ترضخ هذه الامة لعيش الذل والهوان وتتساهل فى حقوقها الطبيعية وقائدها الاعلى هوسمو الامير المعظم المحبوب السيد ادريس السنوسى حفيد الامام الاعظم السنوسى الـكبير فلا وربك لايلذ للعدو منام حتى يـكسي الوهاد وتملاء النجاد باشلاء الموتى وحتى يغطى أديم أرض الوطن بدماء الشهداء من أبنائه فتجرى أوديته من ذلك وهناك الحياة الخالدة والعز الـا ئم والشرف المقيم (٢) هذا ماعاهدت

---

(١) ويقول شاعر ليبيا بر البدوي :

علي وطنـا والله لاولينا نحنا نحاربو والغـير بينا بينا

ويقول البرقاوى مخاطبا أحد قادة الطليان :

ياپيانـكى ياما تعـانى دونه خيط الحبل واعر عليك اسكونه

ويقول الآخر :

يبقى ظليـل رأى العقـل عليـه كان باريلا حـكم

وباريلا هو حاكم المرج الايطالي :

(٢) يقول المسيو دريمون مراسل الالسترا سيون المصورة عن وقائع الحرب التى شاهدها في طرابلس (انه لم يجد قوما عندهم شغف بالقتال واستخفاف بالموت كهؤلاء القوم) وقد كتب فى جريدته (وإذا سمع هؤلاء نداء الحرب قامت قيامتهم وتدفقوا اليها كالسيول من الجبال وبالجملة فالحرب عندهم انها لذة لاتتصورها عقولنا) ويقول الجنرال كانيه من ضمن ردوده عن جملة أسئلة وجهتها له حكومة روما كما نشرت بالمؤيد تاريخ ٩ يناير سنة ١٩١٣ م

(على الحكومة الايطالية ان رغبت فى انتصار باهر ان تخير نفسها بين واحد من اثنين اما ان تعين قائدا غيرى أو تبحث عن هذا الانتصار فى ارض غير طرابلس) .

الامة أميرها عليه وغلظت بذلك الايمان اليه يوم ان بايعته أميراً لها طائعة مختارة فأوفت بوعدها وبرت يمينها وهـكذا كان يقول الشاعر الليبي .

تلاميـذ لا يعدون أمرا أراده ... بواد واشراف تبيـد الاعاديا
كتائب أمثال الجبـال رزانة ... وان حملت خلت الهضاب جواريا
أوليك أقوام على الموت بايعوا ... مبايعة أضحى بها الصـبر راضيا
فـكم جدلوا يوم الجدال أجادلا ... وكم أغمدوا فى الهام عضبا يمانيا

ويقول الآخر :

قده ان للبيض ان ينهل وابلها ... وعن سناها لثام الصـلد ينحسر
تدعى نزالا فتحكي في تراجمهـا ... وقع الصواعق في الظلماء تستعر

ويقول الآخر :

اذا بسطت يمناه للبيـعة التي ... بها تصلح الدنيا وينتظم الشمل
يجر بحوراً من بنى العرب تزتمى ... بأموج آفات هى الضرب والقتل
إذا صففت تحت السلاح جنوده ... تخال خيـالا فوقه شعل شعل
وان هجموا يوم النزال حسبتهم ... سيول خيـول برقها بيرق يعلو
كان مثار النقع فى حومة الوغي ... غيوم بها برق الصـوارم ينهل
ومارعـده الا زلازل غارة ... وما وبله الا الجماجم تنهـل

ويقول البرقاوى الآخر يصف بنى قومه

ولاعيب فيهم غـير أن جبانهم ... له صـولة تخـلى الديار بلاقع

ويقول الآخر

إذا ما الخيـل هاجت قام منهـا ... غبـار سار للشمس حينـا
فتشتبك السيـوف لها شعاع ... مزيل للحجـاب إذا التقينـا

الرهدو فى معسكر العواقير والمغاربه

قرر سيادة الوكيل العام أن يكون قجة بك عبد الله قائد معسكر العواقير بجانبه في جالو فتولى قيادة المعسكر بدلا منه السيد أبو القاسم عبد العزيز العيساوى وعلي مايظهر أن سيادة الوكيل العام كان يفكر وان لم تتحق هذه الفكره بالتنفيذ فى تأسيس معسكر بالجغبوب واسناد قيادته إلي قجه بك عبد الله وقد سمعت ذلك من هذا الاخير سنة ١٩٢٧ م ان سيادة الوكيل العام قد انتوى ذلك فعلا وعندما بدأ يدرس ذلك ظهر له ان الجغبوب المكان المقدس والذى به المعهد الديني العظيم وضريح السيد السنوسى الكبير هو محل احترام وقداسة جميع الشعوب الاسلاميه وان العالم المتمدين لا يرضى لايطاليا ان تفكر فى مهاجمته عسكريا ولو جعلت فيه حركات عسكريه لربما يستهدف لغارة الطائرات فعدل عن هذه الفكرة ،هذا ماسمعته من قجه بك بالحرف الواحد . لم يطل قجه بك البقاء بقرب السيد رضا فبعد ثلاث شهور علي وجه التقريب عاد الى معسكر العواقير ولم يحدث بعد انقاذ منتجعات القواخر أى اصطدام مباشر بين القوات الايطاليه والمسكر اذا استثنينا تلك الغارات التى مابرح المعسكر يشنها على المراكز الايطاليه وقد غنم المجاهدون من جراء ذلك مغانم كثيرة من المؤن والحيوان والاسلحة ومن بين تلك الغارات التي شنها المعسكر غارة كبرى على سلوق «١» وأمثالها

«١» في احدي الغارات التى شنت علي سلوق لزم الايطاليون السكوت وتمنعوا بمعاقلهم ولم يبد حراكا ما وكان مدير المركز قبل ذلك باسبوع سحب جميع الاسلحه الموجودة عند العرب المستسلمين لايطاليا .

فقال أحد شعراء العرب متهكماً

ياحضرة المدير ويش السيرا	ماعطيتنا نآيب حقوق الجيرا
حطيتنا فى طاقه	خليت سعينا منشور للفلاقه
نخادبك واللى غيرنا بنداقه	ماينهضوا مكروب وان أمغيره

علي الشليظيمه والرجمه وبنينه والآبار وديارنه وقيس وجردينه والنواقيه وضواحي بنغازى فلم يهدأ للطليان بال في جميع مراكزهم وقد انتقل المعسكر السنوسي من (ساونوا) حسب رأى قائده السيد أبو القاسم وخيم بموقع الحقيفات فضيق الخناق علي العدو وشن غارتين كبيرتين احداهما على (الابار) والاخرى علي (الشليظيمه) فجهز العدو حملات كبيرة خرجت من نقاط ثلاث هى (الابار) (وسلوق) (والشليظيمه) وكانت منتجعات العواقير ضاربة بقرب المعسكر الامر الذى سبب الفشل للعسكر يومذاك اذ ان أكثر أفراد المعسكر اشتغلوا بحماية النساء والاطفال وكانت قوات العدو كثيرة جدا واشتركت الطائرات في المعركه فضربت برشاشاتها المنتجعات والحيوان والنحم القتال في كل ناحية من منطقة المعسكر واختلط الحابل بالنابل وجميع (الفاره قولات) مشتبكة فى معارك بمواقعها فلا تستطيع مساعدة المعسكر باكثر من اعلامه بخروج القوات من الاماكن المذكوره وكل منتجع من المنتجعات اشتبك فى معركة عنده بشدة وعنف وكان فضل انتصار العدو يرجع لامرين احدهما وجود المنتجعات بقرب المعسكر كما قلنا والثانى اشتراك الطائرات بكثرة فائقه اضف الى هذين الامرين سوء التدبير وقد نسبه بعض الضباط الي المرحوم الشيخ عبدالسلام الكزه وصفة ذلك ان الفاره قولات لما أبلغت المعسكر بخبر خروج القوات الايطاليه أمر قائد المعسكر بنقل الاثقال والمنتجعات والتوغل فى الجنوب وبقاء الرجال فقط لملاقات العدو فخالفه الشيخ عبدالسلام الذي رأى أن فى ذلك مجلبة للرعب وان القوم اذ يبقوا فى معاملة العدو يحتاجون لى مساعدة المنتجعات فى الاكل وسقايه القوم ثم ان المعاركين اذا بعدت عنهم المنتجعات يخشون عليها من طوارى اخرى فلا يستميتون فى مقاتلة العدو فانزلت الاثقال بعد حملها

وكلمة فلاقة لقب يطلقه الايطاليون على المجاهدين ويشير الشاعر الى أن العرب مجردين من السلاح وان الطليان المسلحين لافائده من تسليحهم فاجابه أحد الشعراء قائلا ومنددا باستسلام العرب للطليان .

المدير خادم عيشه المدير متبغدد وكاثر جيشه

والله ما يطلقك نين يبولك فى شنبه

من يوم حدرتك وايدك علي الخنفيره

على الجبال والتحمت المعارك فى كل جهة قبل منتصف النهار حتي قبيل الغروب بقليل وهناك إنجلت المعركه عن خسارة فادحة فساب الايطاليون ونهبوا وعاثوا فسادا وترك العرب أثقالهم فى ميادين القتال وتعرف هذه المعركه بمعركة (الرحلان) أو (الحقيقات) وبهذا الاسم (الرحلان) سميت معارك كثيره وكان من بين الشهداء البطل المقدام الشيخ عقيله الكزه ومنصور بن عبد ربه الكزه وعمران أفندى الشويخ والقمندان الغماري أفندى الصغير والسيد احمد بن موسى السيوى والسيد سعد المنتى ومن بين الجرحي السيد محمد أبو نجوى وقد قتل تحته حصانان كما جرح الحاج عبد السلام الكزه والسيد صالح بن اسماعيل رئس زاوية الفائده فتوفي متأثرا بجراحه وكثير غير هؤلاء من الموتي والجرحي ، وقد رجعت القوات الايطاليه التى فقدت هي الاخرى قسما كبيرا من جنودها وخيرة ضباطها ولكنها أفقدت العرب من خيرة رجالهم من أبكى وأحزن وكان مفعول هذه الهزيمة علي المجاهدين كبيرا فشتتوا يرمون كما تشتت المنتجعات ونهب أكثر الاموال من الحلى والحلل وكانت أكثر الآبار التي يستقي منها المجاهدون قد وضع الايطاليون داخلها السم ففر بعض أفراد المعسكر وضباطه بدون انتظام الى معسكر البراغيث المخيم بموقع (تيلزم) وفر قسم آخر مع المنتجعات الى الجنوب والغرب من مكان الواقعة وقد قدم معسكر البراغيث كل مساعده ممكنة فآوى من التجأ اليه وبعث البعثات للبحث عن الاموات والجرحى وضم الاثاث الباقى بميدان المعركة وكان هذا الحادث فى شهر ذى القعدة من سنة ١٣٠٢ ولما وصل الخبر الى سيادة الوكيل العام بعث بفتحه بك ليتولى الامر كما كان فنظم المعسكر ورفعت صفوفه وأخذ مقره (بساونو) ورتب (القاره قولات) وكان أهمها من حيث الموقع ذلك الذى يرأسه عبد الحميد العيار وبمناسبة ذكرى هذه الواقعه اسطر بعض مشاهداتي :

فى شهر شوال سنة ١٣٤٢ توجه قسم كبير من قبائل المغاربة بقوافلهم لحصاد الزرع المحاذي للمراكز الايطاليه وأكثره من النوع الذى ينبت (بعلى) بدون زراعة وكنت قد توجهت معهم بقسم من اتباع والدى وخدمه لنتحصل علي مؤنتنا شراءا وحصاداً واذكر من بين الرفاق أحمد الاطيوش وصيده الشيخي وعبد القادر قصيميل وعلي المختار الشريف وابراهيم الخرم الصبحى وكلهم من اعيان المغاربة

ثم عبد الله أفندى أبو سلوم وكان عدد الرفاق لايقل عن ماتين شخص أما الابل فكانت لاتقل عن ثمانيه جمل ونزلنا بقرب زاوية (أم شخب) وكان معسكر العواقير بقربنا يمكننا الاتصال به في الصباح وفى المساء وفي يوم من الايام بعث لى السيد محمد أبو نجوى وهو بالدور لاتصل به ليطلع رأيي في تنظيم حملة يهاجم بها موقع (الابار) لأن هناك متتجمع السيد محمد يحي السنوسى الاشهب والسيد محمد عابد عبد المولى الذين أودعا السجن الايطالى وبقت عائلتا هما بمركز الابار وكان غرض السيد محمد أبو نجوي انقاذ العائلتين فما نشعر ونحن نتناول الشاى بخيمته حتى جاء النذير يخبر بخروج القوات الايطالية فذهبت فوراً للاتصال برفاقي وكان معى القمندان محمد على أفندى قادربوه وقد اقترح على أن النحق برفاقي الخاصين بالمعسكر ولكنى رفضت ذلك وعندئذ اتصلت بالسيد حسين أبي خضرة الذى كان مع (أذواد) سمو الامير وقد جاء هو أيضا لما جئت من أجله وفى هذه الحاله وكانت المعارك مشتبكة في كل محل من الجهات الاربع وكنا نحن فى موضع محصن لم تصل الينا يد العدو بيد اننا لم نستطع الخروج من محلنا والحالة هذه وكان من رأى السيد حسين أبي خضره أن نلزم السكون وان لانبدى أى حراك مالم يفاجئنا العدو حتي يجن الليل وهناك ننقل ما تحصلنا عليه من القمح والشعير ونتوغل في الجنوب والتحمت المعركة فى كل جهة وناحية حتى كأن الجو أصبح ناراً ملتهبة ولولا رحمة الله لاخذت جميع (اذواد) سمو الامير يومها وقبيل الغروب بقليل وصلت قوة مؤلفة من المشاه الى الموقع الذى كانت به الاذواد فعارك عنها السيد حسين أبو خضرة معركة الابطال هو رفاقه حتى توارت الابل عن الانظار في الجهة التى تساق اليها ثم يلحق بها حسين ورفاقه حتى اذا ماأدركهم العدو فيقفو فى وجهه برهة من الزمن فيتوقف والابل في سيرها وهكذا الي أن خيم الظلام وفرق بين المتحاربين : حصل ما حصل من تلك المعارك الشديده وغنم الايطاليون ماغنموه ونحن نرى ذلك ونسمع ولم نتصل بالمعسكر الذى حيل بيننا وبينه وبعد المغرب نقلنا كل ما معنا وتوجهنا ميممين الجنوب فقابلنى والحالة هذه عبد الله أفند أبو سلوم وخير الاطيوش وقالا اننا نريد السير ببقية جمالنا الى معسكر البراغيث ونرسل ما تحصلنا عليه من الحبوب صحبة قوافل

بقية المغاربة فاستقر رأيي ان اذهب معهما وصحبتي خمس أشخاص من السودانيين التابعين لوالدي وبينما نحن نسير فى هدو بعد ظلام المغرب التقينا برحل المرحوم عبد ربه الكزه محاطا بتشكيله من الجنود الصوما ليين التابعين لايطاليا فصاحنا فيهم حتي تركوه ولاذوا بالفرار وفى الحقيقه لولا عناية الله لما تركوه لاننا لانستطيع الاشتباك معهم فى معركة نظرا لقلة عددنا وبعد مددنا وجهلنا بالطريق ولكن الله اراد أن ينقذ هذا الرحل على يدنا بمجرد صيحتنا ، صحبنا معنا المنتجع الذي لم يكن فيه الانساء وبعدمنتصف الليل نزلنا بموقع خفى وقد أمضنا الجوع فاحضرت لنا زوج عبد ربه وهى كريمة المصراتى أبو شنيف طعاما شهيا وأكرمتنا غاية الاكرام وفي الصباح التالى التقينا برجال من عائلة الكزه الذين أبلو البلاء الحسن وقاتلوا قتال الابطال في اليوم السابق فسلمناهم الرحل ومررنا قبيل الغروب ببئر لنستقي منه واذا بالسيد صالح بن اسماعيل قد سبقنا عليه ليشرب منه وكان قد أصيب بجراح في يوم المعركة ولما لم يكن معه (دلو) ولاعدة لاخراج الماء ربط فرسه ونزل الي داخل البير فصعب عليه الخروج وهناك توفى رحمة الله عليه وفى الصباح التالى وصلنا ونحن بالبير بعنه من معسكر البراغيث وعلي رأسها الشيخ موسي أبو غيضان للبحث عن الجرحي من المجاهدين فاخرجنا السيد صالح ودفناه والتقينا بنجدات أخرى جاءت من معسكر البراغيث لانقاذ الفلول الممزقه فكانت والحق يقال أنها معركة مشؤمة ولم نقف أو نمر بمحل الا ونجد فيه أمواتا أو جرحى أومعالم تدل على شدة الملتقى وهكذا الي أن وصلنا الي معسكر البراغيث بموقع (تيلزم) وقد قام هذا المعسكر بتقديم جميع أنواع المساعدات الفيمه نحو أولئك المشردين وقد دعيت وعبد الله أفندى سلوم الى تناول طعام العشا علي مائدة السيد عمر المؤلفة من اللحم المسلوق وهو الطعام الرئيسى وقتذاك لعدم المؤنه وشربة من (دشيش) القمح ونوع من القمح (المفلي) (قليه) أما السيد عمر نفسه فاكتفى بشيء من اللبن وقد تناولنا عنده نوعا من الشاى الاخضر البديع وقال أرسله لى أحد اصدقاءى بالاسكندريه .

لما علم السيد عمر بانني أريد ميراً أخبرنى أن المعسكر لايوجد به شيئى فى هذه الايام غير الحيوان وها أنت ترى مايقتاته العساكر وأنى بالذهاب الى منتجعات

المسامير الذين تربطني بهم الخئولة وهم يومئذ بموقع النريب الواقع شرقا عن (المرج) وبالقرب منه أى تحت متناول السطات الايطاليه وصحبني برفاق من المعسكر هم الملازم الاول مطير بن البشير السماري وجاويش اسمه سعد الثوير وخادم السيد عمر الخاص واسمه (موسال) وامرهم ان يكونوا معي حتي اتم عملي وارفقني بمكتاب منه وآخر من السيد يوسف ابو رحيل الي الشيخ حامد عبد القادر البروك أحد اعيان ووجهاء المسامير وكان في طليعة الاثرياء فقام معنا هذا الرجل بكل مايلزم واخذ معي قيدا في لوازمي من الخضه والرز والدقيق والبضائع التي احضرها من سوق المرج وفي يوم من الايام ونحن بالمنتجع رايت حركة غير عادية فالفت نظري في شيء من الريبه فقال لي الشيخ حامد أن متصرف المرج وفي معيته أحد رجال الادارة الايطالية وهو بتروش وقسم من مشايخ العرفا قد جاءوا الى المنجع فلانخشى أي شيء وهم سيغادرون المنتجع بعد مناولة طعام الغذاء بمنزلي وغاية ماهناك أن هؤلاء السودانيين من رفاقك يجب أن يكونوا في خفاء بهذا المحل (وقد عين لهم محلا) أما أنت والضابط مطير أفندي لا حرج أن تتناولا معنا الغذاء كانكما من أفراد المنتجع فصممت أولا على مخالفته وأخيرا رأيت أن الضيف في حكم المضيف خصوصا وقد وافق رفيقي مطير أفندي وفعلا حضرت معهم وفي أثناء مناولة الغذاء تحدث المتصرف الى الشيخ حامد عن أشياء مهمة منها أن الشيخ فلان الفلاني (هو أحد اعيان المعسكرات السنوسيه) قد تمكنا من مواصلته وقد جاءتنا منه معلومات أفادتنا ونحن ننتظر ان يصل هذا الشيخ بأهله فتبادله عطفا بعطف فسجل هذه الحكاية الشيخ حامد وكلف الضابط أمطير باعلام السيد عمر عن ذلك «١» وفي اليوم التالى جاءني الشيخ حامد قائلا أن العدو قد خرج بقوه

«١» ارفقني السيد عمر المختار عندما غادرت معسكره الى جهات برقه الغربيه بمكتاب الى سيادة الوكيل العام وآخرين احدهما الى قجه بك والثاني الي صالح باشا بخصوص الشيخ . . . . . لاخذ مايلزم في الاحتياطات ولما لم يتضح الي صالح باشا الاطيوش السبب الذى يعاقب الشيخ به أبقى ذلك حتي يكشفه المستقبل وفي سنة ١٩٣٦ وصل السيد عمر المختار الى معسكر المغاربه حيث هناك سيادة الناظر العام وقد اتضحت له اشياء اخرى نحو الشيخ فقبض عليه واودعه السجن بجالو وبقي به حتى تم احتلال جالو من قبل الطليان :

هائلة وانا ذاهبون هذه الساعة لاعطاء السيد عمر خبر ذلك ونقاتل بجنبه ومن كتبت له منا الحياة سيعود في الغد فرجوته أن لا يذهب هو وبعد محاولة طويلة بقي معى وارسل بكل رجل في المتجع وفعلا عادوا بعد يومين وقد قتل أحدهم وجرح منهم اثنان فجاءوا بالجرحى بعد ان دفنوا شهيدهم واخبروني ان السيد حسين الجويفي قد اصيب بجراح : هذه صفة بسيطة تمثل دوراً بسيطا عن الادوار التى تقوم بها المتجعات التابعه لايطاليا ومواقفها مع المجاهدين رايناها رأى العين والذى نسمع عنه ولم نره اكثر من هذا وكل يوم يقص علي مسامعنا معاصروا تلك الحركة مايدعو للتعجب والدهشه وقد علمت اخيرا ان الشيخ حامد المذكور لازال على قيد الحياة ومما يؤسف له انه فقير فسبحان مبدل الاحوال ومقلب القلوب والابصار .

هنا اردنا ان نذكر الهدؤ كما وصفنا هذه الكتابة الاخيرة تحت عنوان الهدو في معسكر العواقير والمغاربه ولكننا خالفنا نفس العنوان بحكم الحقيقة فكانت كتابتنا عن الحركة لا الهدو والشيء بالشيء يذكر ولكن الهدو الذى قصدناه هو ان معسكر المغاربه بعد معركة بلال الاخيرة لم يشتبك في معركة اخري مع الطليان حتي تم احتلال برقه الغربيه اخيراوذلك سنة ١٩٢٧ ومثل ذلك لم يحصل فى معسكر العواقير بعد معركة (الرحلان) التى كانت السبب في خروجنا عن العنوان (الهدو):

الناظر العام ببرقة

فى السنة التى أخذ فيها الجغبوب توجه وفد من أعيان المغاربة وشيوخهم إلى جالو لزيارة سياة الوكيل العام ويرأس هذا الوفد صالح باشا الاطيوش ومن بين أعضائه الشيخ الفضيل المهشهش ، الشيخ فرج الذباح ، الشيخ ابراهيم أبو سيف ، الشيخ أبو حلفاية نجيمة ، الشيخ السنوسى البراني ، السيد رويفع بن ادريس ، الشيخ فرج الهتش ، الشيخ محمد الحرنة ، الشيخ الزروق خطاب ، الشيخ موسى الرقعى وغيرهم من بقية الاعيان والمشايخ وقد طلب هذا الوفد الي السيد رضا أن يسمح بإيفاد ابنه السيد الصديق الذى وصل إلى جالو من الجغبوب قبل احتلالها وكان يدرس بها فيكون السيد الصديق نائبا عنه ببرقة وفي ذلك ما فيه من المصلحة العامة وإطفاء الفتن التي تكون عادة بين القبائل لاختلاف وجهة النظر كما حصل ذلك بالفعل بين قبائل المغاربة الامر الذي أدى الى تقسيم المعسكر إلى معسكرين أحدهما اتخذ مركزه (القرين) والثانى مركزه (سبط أبو عين) وكانت تلك الاختلافات نتيجة اختلاف وجهة النظر والرأى ولم يكن ذلك لمصلحة خاصة أو دسيسة أجنبية ، ويكون السيد الصديق في حالة إيفاده مرجعاً عندما تدعو الامور للاتصال بسيادة الوكيل العام وتخول له سلطة الوكيل العام لتتوحد فى شخصه القيادة السنوسية العامة حيث كانت كل قيادة من قيادات المعسكرات السنوسية مستقلة فى إدارتها وعملها وإن كان الامر بمقتضى التعاون نافذ المفعول ومن محاسن الصدف وتأييداً لمطالب مشايخ المغاربة فقد وصل إلي جالو السيد محمد أبو نجوى والسيد الخظير العيساوى والسيد الفضيل أبو عمر قادمين من معسكرات الجبل فطلبوا نفس الطلب من سيادة الوكيل العام ثم وصل الشيخ عبدالسلام الكزة والشيخ عبد الحميد العبار وطلبا هذا الطلب فأجاب سيادة الوكيل العام وعين ابنه السيد الصديق نائبا عنه وخوله السلطة العامة ولقب بـ « الناظر العام » لجميع المعسكرات الحربية فسافر السيد الصديق من جالو بعد أن أهداه صالح باشا الاطيوش حصانا عربيا إلى معسكر المغاربة الذى كان أقرب المعسكرات اليه وكانت تضم حاشيته الخاصة السيد عبد العزيز العيساوى

مستشاراً . السيد أبو القاسم العيساوى ، السيد ابراهيم الغمارى وكثيراً من حملة القرآن الكريم وقتدانا خاصا للمعية وممن تشرف بالانتساب إلى معيته مؤلف هـذا الكتاب فكان لتعيين السيد الصديق الاثر البليغ والوقع الحسن فى جميع النفوس واستبشر الاهالى وقواد الجيش والجنود خيراً إذ يرون المشرف على كل صغيرة وكبيرة من أمورهم هو حفيد السيد المهدى العظيم مباشرة ومن العادة أن الشعب البرقاوى يتفاءل خيراً كلما رأى أحد أفراد البيت السنوسى يتولى عملا صالحا ولما وصل سيادته إلى موقع (سبط أبي عين) حيث مركز أحد معسكرات المغاربة استقبله هناك جميع شيوخ وأعيان القبائل مؤكدين لسيادته الطاعة التامة والتفاني فى سبيل الوطن والاخلاص فى العمل ورفض سيادته أن يقابل قنصدان وضباط معسكر (سبط أبى عين) على انفراد بل أمرهم أن يقفوا بمعسكرهم حتى يصل قائد المعسكر الثانى وهو صالح باشا الاطيوش والضباط الذين فى معيته وهناك يقابل الجميع وفعلا حصل ما كان طلبه السيد الصديق من المعسكرين وبعد الاجتماع وحصول الوفاق التام تشرف الضباط بمقابلته واستعرض الجيوش وأزيل ما كان بينهم من الخلاف وتوحدت القيادة في شخصه وأقيمت حفلات من قبل الضباط لسيادته كما أقام سيادته حفلتي غذاء وعشاء دعا إلى الاولى المشائخ والاعيان وإلى الثانية الضباط وانتقل المعسكر اذ اتخذ مقره الرئيسي موقع (المنيشى) بالوادى الفارغ وقد وصلت وفود العواقير من المشايخ والاعيان كما وصل قنصدان المعسكر عبدالله أفندى أبوسلوم لتهنئة الناظر بسلامة الوصول ولطلبه كي يشرفهم بالمعسكر فوعد بذلك ثم وصل البريد من معسكرات الجبل بالصدد المذكور وبعد الانتهاء من مهمة الناظر التفتيشية وإقرار الامور وتنظيم الادارة واجراء مناورات عسكريه توجه سيادته بمعيته الخاصة لزيارة معسكر العواقير وذلك في رمضان سنة ١٢٤٤ فسمع بذلك الايطاليون وحاولوا أن يأتوا بعمل ما فجمعوا أمرهم وخرجوا من (سلوق) لمهاجمة المعسكر وقد اكتشفت حركاتهم بواسطة الفاره قولات المرابطة وحصل اصطدام بسيط لم ينل أحد الفريقان شيئا فرد العدو الي سلوق وفى أثناء وجود سيادة الناظر بالمعسكر وصل السيد عمر المختار واقتضى الحال بأن يرجع سيادة الناظر العام الى معسكر المغاربة ويؤجل زيارة معسكرات الجبل الى وقت آخر أوسع فصحبه السيد عمر الى معسكر المغاربة وكان

السيد الناظر قد قرر زيارة والده سيادة الوكيل العام فصحبه السيد عمر المختار أيضا وقد ساعدني الحظ وخدمني القدر فكنت في معية السيد الناظر واني أعد هذا شرفا إذ كنت رفيقا له وللسيد عمر المختار الذى يحنو ويعطف على حنواً أبويا ويرجع ذلك الى الروابط التي كانت تربط السيد عمر المختار بسلفه شيخ زاوية القصور جدى لوالدتى السيد العلامة محمد المبخوت التواتى فكان يقول لى رحمه الله قد كان جدك كثير الحنو على وله عندى أياد متي ما ذكرتها تحسمت شخصه فيك ولو ساعدتنى الاقدار لبادلتك أعماله نحوى . وفي الحقيقة أن السيد عمر المختار كثير العطف على جميع أبناء الاخوان يحترم صغيرهم ويوقر كبيرهم ومن تواضعه رحمه الله كان لا ينادى أبناء الاخوان الا بـ (سيدى) فلان بالرغم من صغر سن المنادى وعظمة شخصية المنادى وقد عرفته رحمه الله معرفه طيبة وقد مكنتنى هذه المصاحبة من الاحتكاك به مباشرة فكنت أنام بخيمته والي جانبه وأهم ما كنت أمقته منه رحمه الله وأنا وقتذاك حديث السن هو أنه لا يتركنا أن نتام اذ يقضى كل ليلة يتلو القرآن ويقوم مبكرا فيأمرنا بالوضوء بالرغم عما نلاقيه من شدة البرد ومتاعب السفر ولكنه لما يلاحظ رحمه الله أننى منقبض لذلك يقول لي نم فالصلاة تؤدى في كل وقت وكان لما يشعر بى أنني نغط أثناء قراءته يخفت صوته لراحتى وكان يطلب الى دائما أن أقرأ على مسامعه قصيدة والدى التى رثا بها شيخه السيد أحمد الريفى ويطلب الى قراءة قصيدة الرصافى التى أنشدها بمناسبة غزو الطليان برقة وكثير من الناس من يجهل تاريخ ولادة السيد عمر بالضبط واني رويت عنه رحمه الله فى مرات متوالية تاريخ ولادته بقوله لى أنا أصغر من والدك بخمس سنوات وكان والدى قد ولد سنة ١٢٧٢ ويقول لى أنا ولدت بعد وفاة سيدى ابن السنوسي بسنتين فلهذا كانت ولادته سنة ١٢٧٨ . وكان رحمه الله لا ينام من الليل الا قليلا ولكنه يحب نوم الضحى ولو نصف ساعة واذا كنا سائرين وقد حل وقت الضحى حيث يحب النوم فينام ولو على ظهر حصانه ومن تواضعه الكبير رحمه الله أنه لا يشبع شهوته علي مائد سيادة الناظر العام فكان يأكل قيلا ولما يأتي لخيمته يأمر خادمه بتجهيز شيء من الاكل ولو قليلا ليأكله وكثيراً ما يكون ذلك الاكل من النوع المعروف عندنا بـ (الزميته) .

واني أحاول أن أجعل كتابا خاصا لاتحدث فيه عنه والله الموفق .

مكث السيد عمر على وجه التقريب بجانب سيادة الناظر العام سنة كاملة وفى هذا الاثناء وصل البريد من معسكرات الجبل يحمل نبأ وفاة السيد محمد أبو نجوى شهيدا فى ميدان الوغى أثناء معركة نكراء مع الايطاليين الذين منيوا بخسارة فادحة فبكى السيد عمر المختار لوفاة هذا الشهيد العظيم وندبه المجاهدون لاعتقادهم ان موت أمثال أبو نجوى يعد خسارة لاتعوض وان كان أمثاله من الابطال كثيرين الا ان موته أدمى القلوب وجرح الافئدة وان تلك الجرحات التي أوجدها موت هذا البطل بنفس السيد عمر لا تندمل .

عندما وصل الى السيد عمر الكتاب الخاص به من السيد يوسف أبى رحيل وعلم منه بوفاة أبى نجوى خرج من خيمته وأخذ يتمشا بين خيمته وخيمة سيادة الناظر العام ذهابا وايابا فى حالة من الانفعال والارتباك ساعة من الزمن وقد مررت ومعى السيد ابراهيم الغمارى فرأيناه فى حالته هذه وقد بدأنا بالسلام عليه فلم يجبنا ولما انصرفنا دعاني يافلان فجئته قائلا نعم سيدى فقال لى ألم يخبرك السيد الصديق بشيء فقلت له أبدا ياسيدى فقال لي البركة فيك لقد توفى خالك أبو نجوى شهيدا ولكن مادام ساداتنا بخير فالجميع فداؤهم ثم ردد هذه الاغنيه البدويه (راحو الكل ياعين الحيران و أصحاب الغلا) .

تقرر سفر السيد عمر المختار الى الجبل وكان قد طلب من سيادة الناظر العام أن يرسل معه السيد الحسن رضا نائبا عنه وبعد أخذ رأى سيادة الوكيل العام تم ذلك حسب رغبة السيد عمر فسافر السيد الحسن الى معسكرات الجبل بلقب (وكيل الناظر العام) وفي معيته السيد عمر واستقبل السيد الحسن فى معسكرات الجبل بكل ما يليق به وباشر أعماله مستعيناً بالسيد عمر المختار الذي أصبح يلقب (برئيس الهيئة الجبليه) وتصدر الاوامر والتعليمات بتوقيع السيد الحسن حسب اقتراح السيد عمر فيقوم هذا الاخير بتنفيذها :

مضار الانانية

عقب تنظيم المعسكرات وترتيب الادارات بها والاطمئنان للحالة وتتابع الانتصارات التي سبق ذكرها بذلت مساعى خاصة لدى سيادة الوكيل العام كي يسند للشيخ الفضيل المهشش منصب (نائب الوكيل العام) بمنطقة المغاربة وكان هذا المنصب بهذه التسمية لم يسند لاحد الا للسيد عمر المختار أخيراً لان التعيين الاول كان كما ذكرناه وهو ان السيد عمر القائد بمنطقة الجبل وقجه بك عبدالله قائداً بمنطقة العواقير وصالح باشا الاطيوش قائدا بمنطقة المغاربة وحمد بك سيف النصر قائداً بالجهات الغربية وأعنى بها فزان والجفرة والنوفلية مستعينا بأخويه عبدالجليل بك وعمر بك ولكن الذين سعوا بايعاز من الفضيل نفسه أرادوا أن تكون هذه الوظيفة مدنية لاعلاقة لها بالقيادة فصدر الامر من سيادة الوكيل العام بذلك ولم يجد صالح باشا بدا من التسليم والرضا لانه أصبح فى الامر الواقع فطاعة أمر سيادة الوكيل العام واجب مقدس ثم ان الفضيل من المعروف عنه أنه منسوب على صالح باشا من زمن بعيد وبينهما صداقة متينة العرى فكان لهذين العاملين تأثيراً على صالح باشا وبقت القيادة العسكرية لصالح باشا .

لم ينل هذا التعيين قبولا عند الجميع وان كان قد سر له البعض ثم بذلت مساعى أخرى لترشيح قجه بك لهذا المنصب ويتخلى عن قيادة معسكر العواقير لغيره وتتوحد الادارة العامة في المعسكرين في شخصية قجه بك عبدالله وفعلا عين المذكور وبذلك تكون برقة جميعها قسمت إلى منطقتين (أى نيابتين) ولكل معسكر قائد عسكرى يخضع حسب منطقته إلى إحدى النيابتين (نيابة الجبل الاخضر ونيابة برقة الغربية) وصل قجه بك عبدالله إلى معسكر المغاربة واستقبله صالح باشا بكل حفاوة واستلم مهمته ولكن هذا التعيين لم يرق الفضيل المهشش وأنصاره فعملوا من جانبهم على ابطاله وان كان ذلك العمل بطرق غير مشرفة ومن وراء الستار وأخذ أنصار كل فريق يعمل من جانبه وعملت معاول السوء ، وبما ان الفضيل المهشش يعرف بالدهاء البدوى

والطموح البعيد والانانية أخذ يتربص الفرص لهدفه الذى يرمى له وانتقل من المعسكر إلى منتجعه ليعمل فى عزلة وبعيداً عن الانظار فشعر قجه بك بالخطر وأراد القبض عليه فكتب كتابا للشيخ الفضيل يستدعيه للمعسكر وكانت لهجة الكتاب توحي للفضيل بما يراد به فكتب لقجه بك معتذراً لاسباب زوجيه ووعد بالحضور عندما يتسنى له ذلك وهنا أراد قجه أن يلقي عليه القبض ولكن الفضيل شعر بذلك فانتقل بمنتجعه ونزل علي أهل صالح باشا محتميا بهم ومما ساعده على الافلات من القبض واظهار هذه الحماية ظاهرة جلية كون صالح باشا موجودا بالصدفة عند أهله في أجازه فابى أن يسلمه للجنود المأمورين بالقبض عليه ولايخفي أن هؤلاء الاخيرون يهدم أمراً لابد من تنفيذه فاتسع بذلك الخرق علي الراقع وهنا تدخل بعض من لهم وجاهتهم فارسل قجه بك الى الجند بالعودة إلي المعسكر وخانه الرأى فى هذه المرة لانه أسرف في تحميل صالح باشا المسؤلية أى مسؤلية وتدخلوا (ورثة ابليس) بما ياعدبين صالح وقجه الامر الذى أدى إلي انقسام معسكر المغاربة إلى معسكرين اتخذ أحدهما وهو الذى يرأسه صالح باشا مقره بموقع (القرين) واتخذ الثاني تحت رياسة قجه بك مقره (عين الناقه) وعندما يئس قجه من الاتيان بأى عمل نقل مقر عمله إلى معسكر العواقير بموقع (شاونو) وأناب عنه وكيلا هو الشيخ محمود أبو هدمه واستفحل الخلاف بين صالح باشا وقومه من جهة وبين قجه بك من جهة أخرى وكلا المعسكرين مرتبط بسيادة الوكيل العام .

هناك لايفوتنا أن نذكر من بعض الشعراء البدو الذين سعوا بأخلاصهم لتوحيد المعسكرين حيث شعروا بجسامة المسؤلية فقال أحدهم من قصيدة باللغة الشعبية :

(الله والنبي ياولاد عبد الدائم ـ لا تجعلوه (دور) العموم قسايم)

أخذ الشاعر يتضرع إلي المغاربة وهم (أولاد عبد الدايم بن جبريل) باسم الله تعالى ونبيه أن يعملوا لتوحيد الصفوف ويظهر فى قصيدته الطويلة مضار الانقسام وهكذا حتي توجه وفد من المغاربة يرأسه صالح باشا الاطيوش إلي (جالو) حيث يقيم سيادة الوكيل العام لمطالبته بايفاد ابنه السيد الصديق فنال هذا الطلب بعد الحاح شديد قبول سيادة الوكيل العام ووصل السيد الصديق إلى برقة بلقب (نائب الوكيل وناظر الادوار الحربية) كما فصلنا عن ذلك ، هذه الحوادث المحزنة كانت فى أواخر سنة ١٩٢٤ وسنة ١٩٢٥ .

احتلال الجغبوب

فكرت ايطاليا في احتلال الجغبوب بعد أن فشلت فى جميع الحملات العسكرية التى وجهتها لجميع المعسكرات السنوسية ببرقة وقد أخفقت فى سياستها المتطلية على الاراجيف والخداع . رأت أن احتلال الجغبوب والحالة هذه نقطة جوهرية في سياستها وفى ذلك أكبر نجاح عسكرى وبه تقضى على المجاهدين فلايستطيعون أن ينتفعوا بعدئذ بالاسواق المصرية وستضيق حياتهم وتسد فى وجوههم جميع السبل فلايجدون بدا من التسليم هذا هو رأى ايطاليا وهذا ما استنتجته من بعض من رجعت اليهم من مستشاريها كما تدل علي ذلك كتاباتهم للوالى وابداء رأيهم ويبدنا قسما من تلك الكتابات اعتزمنا علي نشرها فى الطبعة الثانية ، فى الحقيقة كانت الجغبوب حلقة الاتصال بين برقة ومصر ومحطا مريحا للقوافل التي تسافر ذهابا وإيابا اذ يجد المسافر فيها راحته وراحت جماله وقد بذلت كل الجهود بمصر والشرق العربي للحيلولة دون هذا الاحتلال وصدرت الاحتجاجات علي صفحات الجرائد المصرية بعدأن تم الاحتلال ولكن كل ذلك لم يفد شيئاً حيال القوة الغاصبة والمؤيدة فى الوقت نفسه من الحكومة البريطانية في احتلاله ، جهزت ايطاليا حملة كبيرة جعلت نقطة ارتكازها الاول في (طبرق) وبردي سليمان (باردية) وأخذت الامدادات البرية والبحرية تترى على هذين المركزين والقيادة الايطالية ترسم خططها هناك وتدرس الطرق التي تسلكهاهذه الحملة وفى شهر رجب سنة ١٣٤٦ سنة ١٩٢٦ تحركت هذه الحملة من بردية فوصلت إلي الجغبوب يوم ٢٤ رجب ولم تجد هناك قوة تقاومها كما كانت تظن وقد غادر الجغبوب قبل الهجوم عليه كل من السادة السيد صفى الدين والسيد ابراهيم واخيه السيد محى الدين ابنى السيد أحمد الشريف .

هذه الحملة يقودها الكلونيل (رنكيتى) الذى رقى بهذه المناسبة إلى رتبة جنرال وكان مصحوبا بمستشار الحكومة الايطالية في بنغازى الشارف باشا الغرياني كما اختارت ايطاليا أن يكون في هذه الحملة الاستاذ الشيخ موسى البرعصى ليكونا كدعاة للسلم

والاستسلام وقد أمر والي بنغازى الجنرال (مومبيلى) أن يكون السيد هلال السنوسى بجانب قائد الحملة فاعتذر لمرض به وهو (مرض الكلى) ولم يفد هذا الاعتذار فرافق القائد وكان موقفه لا يعدو موقف الاسير وان كان البعض يظنون به الظنون وقع الاحتلال فى نفوس البرقاويين موقع الصاعقة وأثر حادثه تأثيراً سيئا لاعتبارات كثيرة أهمها قداسة هذا المحل الذى تجب قداسته واحترامه فى جميع العالم المتمدن فلا يجوز احتلاله عسكريا وهتك حرماته لما فى مثل ذلك من التعدى الذى يكون عادة شأن المحتلين ومن المعروف أن ليس بالجغبوب مايبرر احتلاله عسكريا وقد جرت العادة ان زائري الجغبوب لا يدخلونه حاملي الاسلحة وقد يضعونها في محل خاص خارج الحرم الشريف إحتراما لقداسته ومبالغة فى الادب داخل هذا المحل فلا يجوز لهم والحالة هذه أن يتخذوه ميدانا للقتال أو هدفا للاحتلال العسكرى الغاشم هذا من جهة اعتباراته الادبية واما من جهة الاعتبارات المادية فانه كان محط الرحال للغادين والوافدين وفيه استجمام راحتهم وازالة أتعابهم إلى غير ذلك من الاعتبارات الكثيرة وانه همزة الوصل بين مصر وبرقة فاحتج جميع سكان برقة على هذا الاحتلال وبعثو بصور من الاحتجاج إلى سمو الامير بمصر ليتولى سموه إرسالها إلى الجهات المختصة لتعمل من جهتها على حماية هذا الحرم الآمن وقد شاركت الأمة البرقاوية فى هذا الاحتجاج جميع الشعوب الاسلامية والكثير من قادة الفكر والرأي حتي من الغربيين أنفسهم ومن بينهم (لاتارير) الكاتب الفرنسى فقد احتج على احتلال الجغبوب قائلا ان فى ذلك اثارة عواطف الرأى العام الاسلامى ونشر مقاله بجريدة النيل التى كانت تصدر بالقاهرة وقد أشار إلى مقال ذلك الكتاب أحد كتاب العرب والاسلام بمقال تحت عنوان (مشكلة الجغبوب) نشرته جريدة النيل فى عددها ١٩٣٠ ومما أيد ايطاليا وقت ذاك في احتلالها الذى اقدمت عليه الحكومة المصرية فقد تساهلت واتفقت مع ايطاليا على ماتريده الاخيرة وان كنا نشعر أن ذلك تحت الضغط البريطاني وهكذا السياسة قبحها الله لها في كل يوم شأن .

بذلت ايطاليا جهودها العسكرية والسياسية فلازمها الفشل فى جميع حركاتها وقد أمرت سفيرها بمصر أن يفاوض الحكومة لتوافق على الاحتلال المذكور وتتنازل

لها عن هذه الواحة العظيمة فى شأنها ومركزها (ان صح ان هذه الواحة تابعة لمصر) باعتبارها تابعة لبرقة وكان سفير ايطاليا بلندن يسعى ويبذل جهده لذلك وشاءت الصدف أن تكون الوزارة المصرية وقتذاك هى الوزارة الزيورية التى اشتهرت بالضعف فكان الامر كما تريد ايطاليا وتألفت لجنة ايطالية كان احد أعضاءها ابن المرشال بادوليو ولجنة أخرى مصرية يرأسها اسماعيل باشا صدقي وزير الداخلية وقتذاك فحددتا هاتان اللجنتان بالاتفاق الحدود بين مصر وبرقة وتنازلت الحكومة المصرية عن الجغبوب بيد أن احتلاله لم يوهن من عزائم المجاهدين الذين دأبوا على مثل هذه الصدمات وكل اللوم يوجهه الليبيون إلي اخوانهم المصريين وإلى العالم العربى أما ايطاليا ومن حذا حذوها من دول الاستعمار فلا تلام لانها أعدت العدة لمثل هذا الفوز الذى أحرزته وقد جاءت لقهر الشعب العربي واذلاله واغتصاب حقوقه فلها أن تعمل كل وسيلة تمكنها من القضاء على أهل برقة اذ أنها لا تصغى لما يسمونه الانسانية ولم تتقيد ايطاليا بالشرائع السماوية والقوانين الوضعية : لم تتوقف الحركة التجارية في برقة بمجرد هذا الاحتلال بل اتخذ التجار المسافرون طريقهم غرب وجنوب الجغبوب وأحيانا شماله فلم يفقدوا الا الجغبوب نفسه وتعرف الطريق الجديد غرب وجنوب الجغبوب بطريق (الغرد) وإذا دعت الحالة فانهم يشقوا طريقهم بأسلحتهم وكثيراً ما اصطدم المسافرون بالطليان وقاتلوهم وخاصوا بكل مالديهم وقد حصل ذلك عشرات المرات وهناك طريق آخر وهو التسرب إلى السلوم عن طريق البطنان وكثيراً ما انتقل الفريقان هناك واستمرت حركة المرور بين برقة ومصر على مايرام رغم وجود جميع الاحتياطات التى عملتها ايطاليا حتي اتخذت الاحتياطات الاخيرة فى عهد الجنرال غرسياني وسيأتى تفصيلها في محلها .

الطليان والعواقير

في سنة ١٩٢٦ رأى الايطاليون مارأوه من استحالة القضاء على معسكرات الجيل فعمدوا الى حيلة أخرى عليهم ينالون منالا أو يدركون بها مطالا . لقد اوفدو وفداً من شيوخ قبايل العواقير الذين اخضعتهم الاقدار لسلطانهم ليطالبوا ابناء عمومتهم بالكف عن القتال وان ايطاليا مستعدة للتفاهم معهم وكان غرض الطليان ابطال الحرب ببرقه الغربية وهذه الانانية عند الطليان من العوامل التي جعلتهم محل الاستخفاق وان لايقام لهم وزن ولا يهم بمفاوضتهم وهى انهم يعمدون الي مفاوضة الجهات غير المسؤله ويسعون الي انقسام الوطن شعوبا ليتفاهموا مع كل شطر منها بحسب مايتراءي لهم غير حاسبين للعامة حسابها علي قاعدة (فوق تسد) وهم يدركون كل الادراك ان لاحق لمعسكر من المعسكرات ولاحق لقائد من القواد ولا حق لقبيلة من القبايل ان يتفاهم معهم ويفاوضهم فجميع المعسكرات والقواد والقبايل مربوطين بامر واحدوجهة واحدة هي سيادة الوكيل العام الذى يمثل شخصيه سمو الامير وفى الوقت نفسه ليس له الحق أن يتفاهم مع الطليان لودعت الحالة بدون تفويض من سمو الامير والرجوع الي ممثل الامة جمعاء والطليان يعلمون أن الحرب معهم هي حرب عامة لاخاصة وبجهة دون غيرها ولكنهم عمدوا الى تجاهل ذلك وهم في الواقع لايجهلونها وكانوا يريدون من وراء سعيهم نجاحا أو على الاقل كسباً للوقت .

خرج الوفد من مركز سلوق ولم يبعد عنها مسافة بسيطه حتى أحيط به من رجال « القاره قولات » فؤخفزوا الى المعسكر وأخذ فى استجوابهم على حدة من بعض المسؤلين وطير الخبر الى سيادة الناظر العام فبعث هو بدوره الي سيادة الوكيل العام واتفق على أن يرجعوا بسلام من حيث جاءوا اذا أرادوا ذلك بدون أن تمس كرامتهم ولماسئلوا هل يختارو العودة فطبعا أنهم يحبذونها لوجود أهلهم « بسلوق » وعندئذ صرح لبعض المشايخ أن يتصل بهم فى المحل الذين كانوا محجوزين به فخاطبهم أولئك بقولهم فى لهجة حادة اننا مأمورون واننا لانملك حق التفاهم مع من أوفدكم فان شاء

الطليان أن يتفاهم معنا على خلوص نية وحسن طويه فلهم أن يتصلوا بسمو امير البلاد السيد ادريس السنوسى بالقاهره أو يراسلوا سيادة ولى عهده الوكيل العام وهذا يتصل بسمو الامير وسيد البلاد الشرعى وقائدها الاعلى ومتى وصل الى اتفاق مع ايطاليا ووصلتنا منه الاشارة بتوقيف القتال فسيوقف في جميع أنحاء برقه لا بمعسكرنا فقط أما ماعدا ذلك فنحن نعده مراوغة واننا لم نخدع بمثل المراوغات وأخبروا ايطاليا ان كان لها أمل وهمى غير الحقيقة تقصد به تضليلنا فهو برق صيف ومانحن الا جنود مجنده لقتالها فلا نعرف غيره ولن نتأخر عنه مادام فينا عرق ينبض فلو كانت ايطاليا تريد الصلح بالمعنى الصحيح وتعترف بصحة الواقع وهو أننا أمة لم ترهب بما جيء به من القوات الحديدية والاسلحه الغاريه وأدوات الفتك ولم نخدع بالسياسة الجوفاء لسلكت معنا جادة الصواب ولم تضل السبيل وهى لاشك أنها تعرف كل ذلك ولكنها تريد اخفاء الحقيقة وتحاول عبثا فرجع الوفد بخفي حنين .

كان من بين الاهالي الخاضعين لايطاليا بحكم ظروفهم من تنبأ بهذا الفشل فنضم قصيده باللغة الشعبيه يقول فيها : جماعة (سلوق) اللى مشايخ (باقا) مايامنوا بختومهم (فلاقا) «١»

ولا يامنـوا بالزورى ... ولا يامنوا بختوم (فاماتورى
هذول ماطاعوا لعسكر نورى ... يابال ، كواليز ، هو . واسلاقا ،
مشـايخ عازه ... اللي يراسلوا واللي لهم منحازه
راجل على بئر حسى أتقول قزازه ... عارفينه يكسر اخشوم ،، انياقا ؟ ،،
وايجى لوطن الذل والهمازه ... وكل يوم يطرولا عرب فلاقا

«١» باقا كلمة ايطاليا ومعناها الراتب والمعاش و(فلاقه) كلمة يطلقها الطليان على المجاهدين وهى مأخوذه من قول البرقاويين (التفليق) (الزورى) مأخوذة من الزور والتزوير (فاماتورى) كلمة ايطالية معناها الاستعلامات و تطلق على الجواسيس (الكواليز) رتبة ايطالية ومعناها بالعربى الفارس وكان حاكم سلوق الايطالي الذى بعث بالوفد المذكور بالنيابة عن حكومته يحمل رتبة (الكواليز) (أسلاقا) باللغة الشعبيه في برقه جمع (سلوقي) وهو من فصيلة الكلاب وقد صور الشاعر أن أعوان الكواليز هم من هذا الحيوان

لا يامنوا بتساكر ولا يامنوا بحديث حيلا عاكر
اوخاذ البنادق م التريس الساكر يخلى قلوب العارفين حراقا
لاصلحوا مخروبة ولا علم جابوا من بعاد الجوبه
ولا شيخ جت تضرب عليه . التوبه . مفوض جديدا مصدقات أوراقا

ويقصد الشاعر : أن العرب الذين يستنكفون من الطاعة لتركيا ممثلة عند الشاعر في شخص نورى باشا فكيف يذعنون بالطاعة لهذا (الكوالير) (قزازه) يقصد بها الشاعر للوفد : أن رجلا عربيا بدويا يسقي نوقه علي بئر صافية . ووصف صفاء ماءها بالزجاج . يطاطأ رأسه لكم وجعل هذا المعني فى كسر خياشم الذوق ، ويقول الشاعر أن هذا البدوى العربي لا يسكن مواطن الذل والهمز ، يقصد به التجسس

وفي كل حين يسمع بغارة من المجاهدين . هنا عرف المجاهدين بالكلمة التي يقولها عنهم الطليان وهى فلاقة ، ويصف الشاعر المجاهدين بانهم لا يصدقوا بالتساكر ـ الاجوبة ـ ولا بكلام أكثره لف ودوران وذلك فى قوله (ولا يأمنوا بحديث حيلا عاكر) وان أخذ ايطاليا للاسلحة من الرجال السكارى بخمرة العزة القومية كل هذه الاشياء تجعل قلب من يعرفها محرقا ، ويقول الشاعر عن رجال الوفد المذكور أنهم لم يصلحوا ماخرب لانهم ليسوا من رجال الاصلاح ولاخبرا جاءوا به نمن بعد عنا من أبناء عمومتنا وليس من الوفد شيخ جاء موفقا فى مهمته حتي يقابل بالموسيقا وقد قوض من جديد واعتمدت أوراق تفويضه .

الطليان والمغاربة

في سنة ١٣٤٦ هـ ١٩٢٧ م اجتمع معسكر العواقير والمغاربة بموقع واحد فى برقة الغربية تحت ضغط الظروف أما (القاره قولات) التابعة لكل معسكر فبقت بمواقعها ترابط على العدو وكانت السنة من السنين المجدبة وقد تفشت المجاعة في طول البلاد وعرضها حتي أن قسما كبيراً من أهالى برقة الغربية انتقل إلى جهة (النوفلية) بالقرب من قصرسرت وكان صالح باشا الاطيوش انتقل بعائلته وجميع منتجعات الرعيضات واتباعهم وقسم آخر من بقية المغاربة فأسس معسكراً بجهة زاوية النوفلية فاغتنمت ايطاليا هذه الفرصة وأسرعت للتفاهم معه بنفس الطريقة التى أرادت أن تتفاهم بها مع معسكر المغاربة والعواقير ببرقة وذلك بان تفتح سوق قصر سرت للمجاهدين وأرادت أن توسع تفاهمها مع صالح باشا الذى اكتفى بفتح السوق وايقاف القتال إلى أجل غير مسمى فاتفق الطرفان على فتح السوق فقط وان ايطاليا لاتظهر بقواتها من مراكزها التى بيدها كما أن المجاهدين لايأتوا بأى عمل من الاعمال الحربية .

هذه الاعمال كانت أعمال تمهيدية من ايطاليا لتنجح فى ضربتها الاخيرة التى تريد أن توجهها للعرب وكان هدفها والحالة هذه احتلال الجفر وفزان وماحولهما من قبل القوات الايطالية بطرابلس واحتلال جميع برقة الغربية بواسطة قواتها فى بنغازى وكان صالح باشا يرى الفرصة سنحت لاغتنام المؤن الكافية من سوق سرت وبيع الفائض من الحيوانات ومايتتج عنها حتى إذا ماشعر بالخطر من جهة ايطاليا أمكنه مقاومتها بعد فترة الراحة ، أما فى برقة فقد عينت ايطاليا الجنرال (روتسى) أحد أقطاب الفاشيست واليا ببنغازي وتعين معه الجنرال (ميزني) قائداً عسكريا وكان هذان الجنرالان قد عمدا الى سياسة الخداع والمراوغة فى شيء من اللين وأظهرا أن الحرب ضارة بهذه البلاد وأهلها كما أنها ضارة بالحكومة الايطالية نفسها وفى امكان الطرفين أن يعملا بالتفاهم والصدق والاخلاص وعلي قاعدة الاقتناع بالمصالح المشتركة واتا على استعداد باسم حكومة ايطاليا (الموسولينية) أن تتفاهم مع الوطنيين بكل تساهل واخلاص واتا

تنتقد خطة أسلافنا الذين لم يحسنوا العقل فى هذه البلاد ، هذه الأقاويل وماشابهها من الاراجيف صارت ديدن الوالى ورفيقه وأعوانهما وصارا يتصلان بشيوخ وأعيان القبايل الواقعين تحت متناول أيديهم وغيرا من سياسة العنف السابقة ما أمكنهما تغييره فى الشكليات والاسماء فأصبح لكل من هذين الجنرالين أصدقاء وأعوان وأذناب وقد وقع فى شرك هذه السياسة الكثير ، أصبح مفعول هذه السياسة الزايفه قويا فخدعت الامة التى لاتجهل ماوراء الاكمة ولكنها تجاهلته لضغط العوامل التي استولت عليها وسيأتي تفصيلها .

كانت فكرة الوالى ورفيقه باتخاذهما هذه الفكرة هو التمهيد الذى أرادا أن يصلاه وللسياسة المراد اتخاذها تجاه برقة الغربية وذلك لما علموه وتحققوه من تفشي المجاعة فارادا أن يقضيا على الحركه فى برقة الغربية سواء كان ذلك باحتلال عسكرى يمهد له التمهيد الكافى أو يتفاهم سلمى ، وهذه السياسة موحدة مع سياسة حكومة طرابلس التى اتخذتها مع معسكر صالح باشا الاطيوش كما سبقت الاشارة له فتتفرغ ايطاليا وتصرف كل همتها وقوتها للقضاء على معسكرات الجيل الاخضر .

ولذلك نشرت ايطاليا بساط الغدر والغرور ومدت موائد الخداع فخصصت قسما كبيراً من الاموال لانفاقه فى سبيل تنفيذ هذه الفكرة الاخيرة عملا بالقول المأثور فى برقة (الرأى قبل العركة) والرأي قبل شجاعة الشجعان وقد لقيت الفكرة نجاحا وان كان الفضل في هذا النجاح للقوة أو للمال الذى يبذر أو لسياسة المراوغه فكل هذا حصل فى هذه المرة وفي أوقات كثيرة يشتي الاساليب ومختلف الاوضاع منذ أن وطأت ايطاليا بقدميها أرض الوطن ولكن الفضل يرجع للمجاعة التى فتكت بالبلاد وأتت علي الرطب واليابس الامر الذى جعل قسما كبيرا من الاهالى ينتقل إلي جهات طرابلس كما أسلفنا جريا وراء المرعى للحيوان وابعاد النساء والاطفال عن برقة التي لم يكن بها زرع ولامرعى ولايمكن للابل التي هزلت والحالة هذه أن تجوب الفيافى الي أسواق مصر لما حل بالطريق من الجدب ومما لاشك فيه أن ابعاد المتجعات من مواقع المعسكرات له تأثيره كل هذه الاسباب سهلت للطليان الوصول الى غايتهم والوقت كما قيل من ذهب والفرصة لاتضيع لأنها أهم عامل للنجاح هذا هو سبب فوز الجنرال

(تروتسي) ومساعده « مازيني » ولعل الجنرال « غرسياني » تنبه لهذا العامل فأبعد المنتجعات من منطقتي الجبل الأخضر والبطنان إلي العقيلة والبريقة ليتسني له القضاء على معسكرات الجبل بسرعة وقد ظهر مفعول ذلك واضحاً

أرسل الجنرال « تروتسي » وفداً من بنغازي إلي جدابيه برأسه السارف باشا الغرياني وكان الوفد مؤلفاً من أعيان وشيوخ قبائل العواقير وعين الكمندتور المي متصرف لجدابيه ولما وصل الوفد اليها بعث منها بكتاب إلي المعسكر السنوسى المخيم بموقع القرين فحواه طلب التفاهم مع المسؤلين ويرجو تحديد الزمان والمكان وانتخاب هيئة تمثل سلطة المجاهدين وبمجرد وصول ذلك أرسل السيد الصديق بالخبر إلى سيادة الوكيل العام لاعلامه بذلك وانتظار الأمر من سيادته وقد ظهر لسيادة الوكيل العام ماظهر لسيادة الناظر العام من أن الحالة تجتاز دوراً عصيباً وان المصيبة عامة ولكن الطامة الكبرى في الاستسلام للطليان وبالاتفاق بين سيادة الوكيل العام وسيادة الناظر طلب رأى الشيوخ والاعيان وهنا اختلفت الآراء وتشعبت الاقاويل وطال الاخذ والرد فقائل يقول لاتفاهم ولامفاوضة مع الطليان ولالقاء بيننا وبينهم الا في ميادين القتال وهؤلاء بالطبع أقلية نظراً لحالة البلاد التي هي من سوء إلي أسوأ وقائل يقول تتفاهم معهم فان رأينا مايسر فنواصل التفاهم ونجارى الظرف فعسانا نتمكن بهذا التفاهم وتجلب من أسواقهم مانحن فى مسيس الحاجة اليه ونبيع بها مابيدنا ممانريد بيعه دون أى عمل يضربنا ونجمع أمرنا ونكون علي حذر عند ماتدعو الحالة لمقاطعتهم نقاطعهم ونعود إلى ماكنا عليه من حالة الحرب وهذا الفريق هو الاكثرية وأخيراً وبعد طول أخذ ورد أمر سيادة الناظر العام أن تنتخب هيئة منهم وتعهد اليهما هذه المهمة أى مهمة المفاوضة بعد أن حذر وانذر من سوء العاقبة وتخلص من مسئولية المفاوضة وفتح بابها حيث لم يكن له رأى فى ذلك لانه يرى البلاد مرهقة وفي حالة تعسه بل هى تعانى سكرات الموت ولم يكن بها الا بعض أنفاس ترددها ولذلك لزم الحياد عند تصميم بعض المشايخ على فتح باب المفاوضة اما من جهة أخرى وهذا هو يقينه الثابت واعتقاده الراسخ أن هذه الحركة هى مبادىء الانهيار وفتح باب الفساد علي مصراعيه وعلى كل فقد تخلص من المسؤلية ومغبة الواقع

وتأنيب الضمير ومحاسبة التاريخ فاحتفظ برأيه وترك الرأى المشايخ والأعيان وهناك بموقع (الجديد) الواقع غرب جدابيه والذى يبعد عنها بمسافة سبع كيلو مترات التقي الجمعان وكان الوفد الايطالى مكون من الكمندتور المى فالشارف باشا الغرياني وبعض من الاعيان والمشايخ وهؤلاء الاخيرون لارأى لهم الا أنهم صور مجسمة فى أعين الناظرين تملا مكانها من الفراغ وكان الرأى والقول هو للكمندتور المي ومستشاره الشارف باشا الغرياني ولم يصل الوفدان إلى اتفاق فارفض الاجتماع على أن يكون فى وقت آخر وجاءت ايطاليا بكثير من شيوخ القبايل الخاضعة لها وخصصت لهم محلا بجدابيه للاتصال بعامة الناس وفتحت أبواب السوق على مصراعيها فاخذ الاهالى ينزلون الى السوق مسلحين يبيعون مامعهم ويبتاعون مايريدونه ولم تتعرض لهم ايطاليا بسوء بادى ذى بدء واختلط بعض شيوخ المجاهدين بشيوخ القبايل التابعة لايطاليا فانخدع الاولون للآخرين «١» أما سيادة الناظر العام فقد نقل معسكره إلي موقع (أبي الطفل) وأسس نقط قوية في الجانب الشمالى والجنوبى والغربي من جدابيه وعهد بهذه النقاط إلى خيرة الضباط ليمنعوا كل من يريد الدخول إلى سوق جدابيه الا بالنظام المقرر وهو أن ينزل إلى السوق عدد محدود تحت رياسة أحدهم في لائحة محفوظة ومتى خرجوا من السوق إلى نقطة من هذه النقاط ينزل غيرهم كي لايكون الدخول الي جدابيه والخروج منها بطريقة فوضوته وأخذت ايطاليا تعد العدة من وراء الستار للضربة الاخيرة وتنزل قواتها بمرسى الزويتينه الذى لم يصل اليه أحد من الاهالى باعتباره تابع لايطاليا ومنطقة محرمة فلم يتمكن العرب من الاطلاع على مايدور فيه واما في مدينة جدابيه فلم تحرك ساكنا وأصبحت البضائع ترد من بنغازى بكثرة مدهشة وقد

---

(١) كتب أحد شيوخ العواقير التابعين لايطاليا إلى الشيخ عبدالحميد العبار بقصيدة بديعة وكلها رموز وطلاسم وتحمل من المعانى والحقائق ماتتوه بحمله الجبال وفيها يحذره من الوقوع فى الشرك وعلى ضوء هذه القصيدة أخذ عبدالحميد حذره وهانحن نثبت منها مطلعها .

امنين مامشي خالد مع الغرياني على مامضى داروا أصلاح أدغاني

يقصد بخالد الفيصه عضو الوفد الايطالى :

استجلبت ايطاليا تجاراً عهدت اليهم أن يشتروا كل ما يجلبه العرب للسوق ويبيعونهم جميع بيعه ما يريدون ومن بين هؤلاء التجار نعيم افندى خزام ـ الحاج عبد الحفيظ أبوقعقيص الفقيه محمد صالح المجبرى ـ وكانت ايطاليا تفسح المجال لهؤلاء التجار وغيرهم وتقبل بضائعهم بدون مقابل وتعفيهم من الضرائب الجمركية الامر الذي جعل الكثير من ذوى المطامع يهرعون لهذا السوق متكالبين علي ورودها كما أمرت ايطاليا كل شيخ من المشايخ التابعين لها بمواصلة أقاربه من المجاهدين واعلامه ان ايطاليا لاغرض لها الا فتح الاسواق وتأمين السبل وان لامطالب لها غير ذلك وان لاتخرج من جدايه لاى ناحية كانت فهي مكتفيه بالاراضي التابعة لها وهذا هو الوتر الذي يضرب على نغمته أعوان ايطاليا ويرقصون على هـذه النغمة ، اما سيادة الناظر العام فقد لازم الحياد كما قلنا وقد حاولت ايطاليا وأعوانها الاتصال به فلم تتمكن وأخذت قبائل العرب من كل حدب وصوب تترى علي هذه السوق النكراء فتبيع وتشترى لاسائل ولامسئول .

كان السيد الصديق فوض للوفد السابق الذكر أتم تفويض مادامت الحالة فى مصلحة الامة وأمره أن ينظر للمصلحة دون كل الاعتبارات منبها للخديعة والخيانة وحذر من الوقوع فى المصيده وتسلل عن المسؤليه لما رآى ان الاراء مختلفه كما سبق ذكره بسبب المجاعه مع علمه بسوء العاقبه قائلا أن هذه السوق السوداء هى الطامة الكبرى وهى المصيبة التى لامحيد عنها ولامناص منها وكان السيد الصديق بين أمرين أحلاهما مرف اما التسليم بدون قيدولاشرط واما الجلاءعن الوطن ولذلك أخذيعمل لارتكاب أخف الضررين : إذا لم يكن غير الاسنة مركبا ـ فلايسع المضطر الا ركوبها) أخذ كما قلنا يعمل لاخف الضررين كي لايكون مسؤلا فى حال من الاحوال وكان العامل الذى استولى على سيادته بحيث تساهل مع الشيوخ والاعيان فى المفاوضة وهم الذين لايعصون له أمراً لومنع هى الحالة التي آلت اليها الامة ولاعدو الدوا قوى من الجوع ولاخصم أشد منه وعلم أن الامة لامحالة من وقوعها فى أحد الامرين اما التسليم بدون

الى أن يقول (اودارو طيبه اوتم الحبيب أيجي البيت حبيبه
اوريضك كلام العيب لاتدوى به لايغيب عقلك فكرهم جواني

قيد ولاشرط واما الجلاء عن الوطن ولاقدرة لهم عليه فتساهل مع شيوخ الامة وأعيانها حسب رغبتهم بعد أن وضع لهم كل شيء وأرشدهم ونصح لهم وكان الوفدان على طرفى نقيض لاختلاف مشربيهما فكانت مطالب الوفد الوطنى مطالب مشرفة ومشروعة وعلى رأس هذه المطالب القاعدة الاساسية وهي لايمكن التفاهم بدون الرجوع اليها الاولى تحل المشكلة الشاغرة ولن تضع الحرب أوزارها بدونها الا وهي رجوع ايطاليا الي سمو الامير الذي له حق الحل والربط وكانت مطالب ايطاليا معروفة وهى كسب الوقت لا أقل ولا أكثر فحل الاجتماع وأجل الى وقت ما وأبت أن تعمل لاجتماع آخر فهى لاتريده وجاءت بنغمة أخرى جديدة كلفت أذنابها أن يشيعوها في المنتجعات وفي الاسواق ولقد نجحت أذنابها صارت تضرب على الوتر الحساس وهو القول بأننا فتحنا السوق للعرب واطمأنت خواطرنا من أن العرب لايتعدون على مراكزنا ونحن جميعاً نكتفى بهذه الحالة السائدة حتي تتفاهم مع سمو الامير عن طريق سفارتنا بمصر وسيبعث سموه أو يحضر بنفسه إلي شعبه .

جاءت ايطاليا بهذه اللهجة المغرية علي ألسن سماسرتها وهذا الاسلوب الخلاب وهذه المراوغة التي دونها مراوغة الثعالب وأخذت تتسرب هذه الاقوال من واحد لآخر وقد صرح مندوبها بجدابيه حيث قال ذات مرة لمن يهمهم الامر ان دولة الوالى ضد سياسة الحرب الذى معناه الدمار ولذلك فقد فصل من العمل جميع رجال تلك السياسة واستبدلهم بغيرهم من رجال سياسة الوفاق ودعاة السلم وان دولة الوالى مقتنع ان الوفاق الذي كان بين ايطاليا والسنوسيين أصلح أداة لمصلحة الطرفين وعليه يجب أن ننتقل من سياسة الشك والوهم إلي مواجهة الحقيقة والآن يجب أن تبقى السوق مفتوحة للعرب فى جدابيه وسلوق وبنغازى ان شاء العرب ونحن نلزم مراكزنا ولا نطالب بأي شيء مخل بالسلام حتى يتم الامر بيننا وبين السيد ادريس بمصر وهو بدوره يخابر المجاهدين ورءسائهم وعلى الاهالى الآن أن يردوا الاسواق بأسلحتهم أو بدونها فلهم ذلك .

ان هذه السياسة التي هى سياسة النفاق وهذه الاقاويل المزيفه وهذه المواعيد الخلابة لايجهلها البعض ولكنه تجاهلها حتى تصيب مرماها السهام وحتى ينفذ ماأراده

الله وقضاه. استمر النشاط التجارى بسوق جدابيه الذي يرده الحيوان الهزيل والاصواف المتجمعة عند أصحابها من سنوات وتصدر عنه مختلف أنواع البضائع من المأكول والملبوس وهكذا الحال بسوق سرت أيضا وايطاليا تعمل من جهتها فى هدوء كما أن سيادة الناظر العام يعمل من جانبه ولكن اتسع الشرط علي الراقع وكان غرض الوطنيين ظاهراً وهو اغتنام الفرصة والتزود من السوق والاستعداد للمستقبل القريب العاتم .

السيد رضا السنوسى فى الاسر

في هذا الاثناء بعثت ايطاليا إلي سيادة الوكيل العام بكتاب تطلب منه الدخول معها فى مفاوضة وان تكرم بتحديد موعد لمقابلة مندوب ايطاليا فيكون ذلك عملا مجديا فتشاور سيادته والسيد عبد العزيز العيساوى واتفق رأيهما أن يذهب الاخير بنفسه إلي بنغازى لمقابلة المسؤلين ولعل سيادة الوكيل العام أراد أن يجس النبض بواسطة رسوله الذى رآه كفؤا لما أسنده اليه فذهب الرسول الى بنغازى وقابل واليها ورجال ادارته كما قابل الشارف باشا الغريانى والكثير من الاعيان الذين له بهم صلة واستقر رأى الوالي ومستشاروه أن يعود السيد عبد العزيز العيساوى إلى السيد رضا مصحوبا بكتاب يبين فيه أن مقابلة السيد رضا والوالى من الضروريات للمصلحة العامة وفى هذا الاثناء جاءت ايطاليا الى جدابيه بسعادة حسين باشا بسيكرى تابعاً للسلطة المدنية كما جاءت بعبدالله أفندى أبوالعون ورمضان القريتلى في معية القائد العسكرى: وصل السيد عبدالعزيز الى جالو واتفق رأيه مع سيادة الوكيل العام على أن يحضر الى المعسكر السيد الصديق بموقع (أبي الطفل) فاتخذت ايطاليا كل الاحتياطات الجبارة لاصطياد هذه الغنيمة . حصل كل هذا والعرب منهمكون فى الدخول الى سوق جدابيه وورد الكثير منهم أسواق بنغازى وسلوق وهناك أخذت الايد الخفية تلعب أدوارها لتمثيل آخر فصل من الرواية النهاية على مسرح الخيانة والغدر وأخذت ايطاليا تدس الدسائس وتبعث بالجواسيس وتنشر الدعاة تحت ستار الزيارات التي نبه

لها الشاعر البدوى فى قصيدته الى الشيخ عبدالحميد العبار فدرست ايطاليا حقيقة الطرق والمسالك وجميع المواقع ومنازل الاهالى والمسافات التى بين المعسكر (والقاره قولات) ومدى الاستعداد الموجود .

كلفت ايطاليا بعض الشخصيات التى يرتاح لها سيادة الوكيل العام ويثق بها أن يكتبوا لسيادته وان يدعوه للعمل الي الصالح العام وقد وعدت ايطاليا هذه الشخصيات خيرا وقطعت علي نفسها عهدا أنها لاتريد غير التفاهم مع السيد رضا حيث مركز ابنه الناظر العام العسكرى لايسمح له بذلك بيد أنه يعمل في الخفا بمايقلق ايطاليا التى لم ترتاح لعمله وهي قد أخلصت في عملها وحسنت نيتها (علي حد قولها) فتكلم هؤلاء مع السيد عبد العزيز العيساوي وكتبوا الى سيادة الوكيل العام منخدعين بالوعد الامر الذى جعل سيادته يستعد للمقابلة ظناً أن يطاليا لاتنقض وعدها ولاتنقص فى عهدها ويظهر أن سيادة الوكيل العام بعد طول المدة التي هي من سنة ١٩٢٣ الى سنة ١٩٢٧ قددرس الحالة درساً جيداً وعلم أن جميع المسالك قد سدت فى وجه المجاهدين وان جميع المراكز الحيوية أصبحت في يد ايطاليا وان لافائده تنتظر من العالم العربي ومصر التى كان لنا فيها أعظم الآمال رآى كل هذا وعلم فأراد أن ينهى المسألة بطريقة سلمية بحيث لاتجعل المجاهدين في حكم الاستسلام ولاتمكن الطليان من احتلال البلاد عسكريا وفى ذلك مافيه من التخفيف عن الشعب الذى لقي مالقيه من العذاب والعسف .

وصل سيادة الوكيل العام الى معسكر (أبي الطفل) وفي معيته السيد عبدالعزيز العيساوى والحاج يونس عبدالله العكى والحاج عبدالله البشارى من أعيان المجابره والشيخ محمد الزروالي وهناك بمعسكر أبي الطفل قابله مندوب ايطاليا الكمندتور (المى) الذى جاء خصيصاً في سيارته وبدون أى حرس معه وأخبر سيادة الوكيل العام بأن دولة الوالى وصل الى جدابيه بالامس لمقابلتكم وهو فى انتظاركم ولولا التقاليد العسكرية التى لاتسمح لدولته بالخروج بدون حرس يرافقه لقابلكم هنا وان الاتفاقيه التى سبقت مع وفدكم الوطنى تقتضى بأن لانخرج من محلاتنا وقد خالفتها أنا وجازفت للوصول اليكم كي أبلغكم أن دولة

الوالي فى انتظاركم وبمجرد خروجى من جدابيه وقعت فى أيد عساكركم فرجوتهم أن يحملونى اليكم وأنى متأكد أن سيادتكم ودولة الوالي ستصلا إلى نقطة طيبة في صالح الجميع وان شئتم أن أبقى هنا بدلا منكم حتى تتقابلوا مع الوالي وتعودوا فانى على استعداد لذلك وهكذا لم يجد سيادة الوكيل العام بداً من الاجابة بنعم بدلا من قول لا فى حين أن سيادة الناظر العام غير راض بذلك كما أن بقية المجاهدين ومن بينهم عبدالحميد العبار الذى همس فى أذن السيد رضا بقوله أتسمح أن نمنعك السفر الى جدابيه بالقوة أمام مندوب ايطاليا ؟ فكان جواب السيد رضا انني أعطيت كلمة يجب أن نفي بها ولعلي ان أصل الى مصلحة ما ونأمل ذلك وكونوا فى أنفسكم فان وصلت الي الغاية التى نصبوا اليها سأعود وان قدر لى أن أكون أسيراً فهذا أمر الله :

وصل سيادته الى جدابيه ومعه السيد عبدالعزيز فقط اذ بقية رفاقه بقوا بالمعسكر فى انتظاره وأنزل بمحل محاط بالحرص ولم يتصل بسيادته سوى الشارف باشا وحسين باشا بسيكري ثم نقل الى بنغازى محروساً بقوة عسكرية ومنها نقل الى ايطاليا ففضى بها أكثر من سنة بعيدا عن أهله ووطنه وهكذا تقتضى كلمة الشرف الايطالية والعهود الفاشيستية ولم يؤت به من منفاه الا بحيلة أخرى فلم تكن بخافية على سيادته ولسان حاله يقول (أما فى الاولى فالحر غر كريم واما فى الثانية لا يلدغ المرؤ من جحر مرتين) .

أخذت الجرائد الفاشستية تتبجح بعملتهم هذه وأعلنوا للملا في بلاغاتهم ان السيد رضا وقع أسيراً وهو الآن في ايطاليا وان الحرب قد انتهت في برقة باستسلام الزعيم السنوسى وأرادوا ان يجعلوا تغطية لهذا الغدر الاثيم فقالوا عنه انه استسلم لقواتنا وباستسلامه انتهى الحرب وقد جاء فى جريدتي المقطم والاهرام يوم ٩ فبراير سنة ١٩٢٨ فى التلغرافات الخصوصية والعمومية من ان الحرب في برقة قائمة على قدم وساق رغم مفارقة زعيمهم لهم : وجاء في جريدة الشورى بتاريخ ٢٣ فبراير سنة ١٩٢٨ (ان السلطات الايطالية أرسلت للسيد رضا فى آخر جماد الثانيه طيارتين أسقطت كل منهما خطاباً أحدهما فى مدينة جالو والثاني فى أوجله يطلب الصلح معه والامان وجاء في نفس المقال ايضا : فلما لم تحصل على رد أرسلت له وفدا مؤلفا من بعض الاعيان وحددوا مهمتهم وانهم جاءوا من قبل الطليان يطلبون الصلح وسافر معهم الى جهة جدابيه وهناك أحاطت به قوة

ايطاليه ورحلته إلى بنغازى ومنها الى روما وقد أذاعوا بعد ذلك انه استسلم أو أسر والحقيقة انه أخذ غدراً بعد أن أعطوه الامان : وجاء فى المقال أيضا . فهناك من يحل محله ويدير دفة الامور بنفس الروح التى كان يديرها بها السيد المخطوف .

بمجرد القبض على السيد رضا خرجت قوة مؤلفة من (٢٠٠) سيارة نقل تؤيدها المصفحات وقد شقت طريقها من (القطفيه) بلال (البريقه) وخرجت قوة أخري من المشاة الصوماليين والايطاليين فسلكت الطريق الساحليه حتى وصلت (البريقه) حيث التقت بالقوة المذكورة وخرجت قوة أخرى من السواري تحمل مؤنهم سيارات النقل وشقت طريقها من جدابيه الى (الحسيات) وخرجت قوة أخري من السوارى الخيالة والهجانة يرأسها رمضان الفرتيلى وهى من الوطنيين فشقت طريقها من جدابيه الي أبى الطفل (فغيزل)، فجميع الافرادو المنتجعات والمتجولين من العرب ورعاة الحيوان الذين فوجئوا بهذه القوات نزعت أسلحتهم وأمروا بالانتقال الى محلات عينت لهم وكل من فلت من ناحيه وقع في يد العدو فى ناحية أخرى ولم يفلت الا المعسكر السنوسي وعلي رأسه السيد الصديق ومن بين رفاقه الشيخ عبدالحميدالعبار وعائلته الي موقع غيزل وفي هذه الاثناء زحفت قوات الجنرال (غرسياني) على (الجفرة) وفزان كما هاجمت القوات الايطالية من قصر سرت جميع المنتجعات الواقعة جنوب وشرق (النوفليه) وشتت شمل معسكر صالح باشا الاطيوش الذى اشتبك مع العدو وعارك عراك الابطال ولكن القوة تغلبت وزحفت القوات المهاجمة من سرت الى مقطاع السكريت حيث التقت بطلائع قوات بنغازى وكان العرب الذين فروا من الجهات الغربية للشرق وقعوا فى أيد العدو وبالعكس .

وفى موقع آبار (تاقرفت) قاتل العرب قتالا عنيفا فتكبد الطليان أكبر خسارة وكان يقود المجاهدين يومذاك عبدالجليل بك سيف النصر وتؤلف هذه المجموعة التي قاتلت الطليان من أولاد سليمان واتباعهم ومن المغاربة ثم حصلت واقعة أخري عظيمة بموقع (قارة عافيه) فاقتتل فيها الفريقان قتالا مراً وكان قتال المجاهدين قتال المستميت وكانت هذه ختام المعارك بجهات طرابلس اذا استثنينا بعض معارك دفاعية يقوم بها العرب أو شن الغارات ، أما قوات الجنرال (ميزنى) ببرقة فقد احتلت العقيله ومراده

وجميع دواخل برقة الغربية وساعدها على هذا الاحتلال السريع ماحصل في جهات سرت والنوفليه مماذكر ثم خرجت قوات كبيرة من جدابيه والعقلية وتقدمت القوات التى خيمت بموقع « الحسيات » الي موقع غيزل حيث معسكر السيد الصديق فالتحمت بينه وبين القوات الزاحفة معارك عنيفة أبلي فيها عبدالحميد العبار بلاء حسناً ولما أظلم الليل انسحب المعسكر السنوسى الى جهات جالو في شيء من الفوضى ورجع الكثير من أفراده الى منتجعاتهم وفى الصباح التالى هاجمت القوات الايطالية رحل الشيخ عبدالحميد العبار فقاتلهم قتال المستميت طيلة اليوم ومات الكثير من صحابه رمياً بالرصاص ونهب كل عفشه وخيامه ولم يفصل بين المتقاتلين الي ظلام الليل فانسحب عبدالحميد العبار وعائلته من ميدان المعركة وكانت معركة غيزل خاتمة المعارك ببرقة وتوغلت القوات الايطالية فى جميع دواخل برقة لتطهيرها ونزع مابقي بها من الاسلحة وحددت المناطق التى يلجأ اليها العرب حسب تقرير القيادة الايطالية فيكونوا تحت الرقابة الشديدة وبذلك استسلم جميع أهالي برقة اذا استثنينا المنتجعات التي التجأت للهاروج والتى التجأت الى جالو ثم واصلت سيرها الى سيوه فالاراضى الاخرى المصرية وكان من بين من التجأ للهاروج عائلة صالح باشا الاطيوش ونفر قليل من بطانته ـ الشيخ سعيد شلبي وأهل بيته ـ الشيخ عبدالنبي مذكور بأهله ـ الشيخ حسن الظريف بأهله ـ الشيخ الفضيل المهشهش بأهله ، الشيخ عبدالسلام الكزه بأهله ـ الشيخ عبد القادر أبو حشيشه بأهله ـ وعائلات قليلة من مختلف القبايل وعندما هاجم الطليان موقع الهروج رجع من رجع بعد معارك طاحنة وفر من واصل سيره فهاجر الي الله ورسوله فكانت الهجرة وقتذاك جد صعبة ولكن تمكن البعض منها بعد مقاسات الشدايد والعذاب الاليم ورجعت قبايل أبو القراقع وأبو ثيبه والعربيات وأولاد سليمان وكثير غيرهم وهؤلاء كانوا قد التجأوا الى الهاروج في معية السيد جمال الدين السنوسى لتأليف جبهة هناك تدافع عن النساء والاطفال وقد انتقلت عائلة سيف النصر وسيادة السيد جمال الدين السنوسي الي جهات فزان وصادف وصولهم اليها احتلال الطليان لها فواصلوا سيرهم الى السودان الفرنسي بعد معارك كبيرة وأهمها معركة (واو) أما مهاجرى برقة منهم السيد الصديق قد التجأ الي جالو ثم واصل سيره الى الكفره ومنها الى مصر وكذلك منتجع الشيخ عبدالحميد العبار ومنتجع الشيخ محمود أبوهدمه .

احتلال جالو وأوجله

نظمت إيطاليا حملة كبيرة سارت من جدابية وأخرى مثلها من العقيلة لاحتلال أوجله وجالو وفى يوم ٢٦ شعبان سنة ١٣٤٦ الموافقة سنة ١٩٢٧ تم احتلال أوجله ومن هناك بعث قائد الحملتين بوفد مؤلف من الشيخ بن إدريس أبو حليقه والسيد شهيد الشريف لمقابلة السيد الصديق بجالو و نصحه بالاستسلام لقوات إيطاليا ولكنه لم يخضع للوعود المقدمة له بسخاء فخرج من جالو خائفا يترقب ولم تكن معه قوة يستطيع الوقوف بها في وجه الهاجمين فكتبت له السلامة ووصل إلى الكفرة وفى يوم ٢ رمضان تم احتلال مدينة جالو وكان قائد الجيش المحتل الكولونيل (ماليتي) الذى رقي بعد إلى رتبة جنرال وقتل فى معركة (البراني) سنة ١٩٤١ أثناء الحرب الثانية ، فتحت ضغط هاتين القوتين الكبيرتين اللتين قام باحداهما الجنرال (مازيتى) في برقة وقام بالاخري الجنرال (غرسياني) فى جهات طرابلس واللتين لا يقل عدد جندوهما بالاحصاء الصحيح كما قدره الايطاليون عن ماية وخمسين ألف جندي تؤيدهم المصفحات والطائرات والمدفعية الثقيلة أضف إلى هاتين الحملتين حملة أخرى ولا أكون مبالغا إذا قلت أنها أشد منها فتكا وهى (الجوع) الذى عبر عنه فى هذه الحرب الكونية الثانية بالجنرال (جوع) قضت ايطاليا على جميع الحركات الحربية ببرقة الغربية وطرابلس نهائيا ولم تبق هناك الا الحركة القائمة في بالجبل الاخضر التى بقت بعد ذلك تقاوم الايطاليين أكثر من ثلاث سنين وقد جعل الايطاليون مراكز عسكرية ببرقة في المحال الآتية :

جدابية ، البريقة ، العقيلة ، مراده ، جالو، أوجله ، الصهابي ، الحسيات ، القطفية ، ساونو ، مسوس ، سبيكة ، اتلات ، عدا المراكز الاولي المعروفة وكانت هذه المراكز العسكرية متصلة ببعضها فمنها ماكان اتصاله تليفونيا ومنها ماكان اتصاله بالداوريات هجانة أو خيالة أو سيارات ، وفي كل مركز محطة لاسلكية بحيث لا يمكن الدخول والخروج من وإلى هذه المحلات المذكورة ومناطقها إلا تحت الرقابة الشديدة وخصصت أماكن لمتجمعات العرب وتحت متناول المراكز المحاذية لها فكان بذلك الفضاء المبرم ماديا

لامعنويا علي كل حركة ضد الطليان ووجهت العناية لمعسكرات الجيل الاخضر التي أصبحت في شبه حصار لا قوة لافرادها إلا الايمان ولا مؤنة إلا القناعة ولا أمل إلا في الله والاعتداد بالنفس فازدادوا إيمانا مع إيمانهم وثباتا على ثباتهم ورسوخاً دونه رسوخ الجبال الراسيات وصبرا علي الشدائد وأخذ الجنرال (مازيتي) يعبأ الحملة تلو الاخرى وكان يسمى هذه الحرب الاخيرة بالجيل في تقاريره بحرب (التهشيم) فلم يغنه ذلك شيئا بل كلما ازدادت قواته عتوا وطغيانا ازدادت انهزاماته ظهوراً وتبيانا وأخذت معسكرات الجيل تكيله الضربات بأوفى كيل ولا يستطيع الانسان أن يحصي تلك المعارك التي تكون عادة يوميا وفي كل موقع من مواقع الجبل ومن أعظم هذه المعارك التي كلفت إيطاليا أفدح الخسائر معركتي وادي الكوف وقصر المقدم وكانت في يوم واحد هو أول يوم من يناير سنة ١٩٢٨ ثم تلتها معركة أخرى بوادي الكوف أيضا يوم ٨ يناير ومن بين هذه المعارك العظيمة معركة غوط قرنادة (الفايدية) يوم ٧ أغسطس سنة ١٩٢٨ ومعركة بموقع سيد عزيز (درنة) يوم ٦ يونيو سنة ١٩٢٨ وكثير غير هذه المعارك لا مندوحة من إغفال ذكرها لانها تحتاج إلي مجلدات خاصة وسنذكر في فصل خاص عن بعض أشهر الوقائع في مواقعها بقدر الامكان : فكرت حكومة روما أخيراً في الامر وعلمت أن لا فائدة من الجيوش والعتاد كما جاء في تقرير الجنرال غرسياني إذ يقول في بعض فصوله ما معناه : « إذا قدرنا جنودنا وعتادهم ومدا قواتنا الجسيمة وقارنا بينها وبين قوات العرب المبعثرة والتي انتصرت علينا في كثير من الوقائع ظهر لنا عجزنا كل العجز وفي ذلك ما يخجلنا أمام أنفسنا إلي أن يقول ان العربي متى وجد بندقية وركوبة وماء وشيئا قليلا يقتات به فلا يبالي بأي قوة كانت وسيان عنده الموت والحياة الخ . فكرت إيطاليا في حيلة أخرى وهي الاتصال بالسيد عمر المختار وجاءت بالسيد رضا من منفاه لتجعله ترجمانا لها عند ابنه السيد الحسن ورفيقه السيد عمر فكان السيد رضا يرفض القيام بأي عمل يؤمر به لعدم استعداده لذلك وكان رفضه بمنتهى الجرأة وبهذه المناسبة أثبت حكاية سمعتها من الشارف باشا الغرياني قال لي بحضور جماعة لا زالوا أحياء . إني شاهدت من السيد رضا موقفين أظهر فيهما في الشجاعة وقوة الارادة وصلابة الرأي ما لم يخطر ببال إيطاليا وما كنت أظنه يقف هذه المواقف وأحد هذين

الموقفين هو أن إيطاليا لما أرادت أن تستخدمه كسلاح لها ضد ابنه والسيد عمر وأمرته فى شىء من اللين واللياقة أن يعمل معها لاخضاع ابنه والسيدعمر فرفض رفضا باتا بقوله لا أستطيع أن أعمل شيئاوليس عندى أى استعداد لذلك ولا يمكننى أن أتعهد بشىء ولا لى رأى أو مدخل في هذا الميدان واذا أمرت بأى حركة اكون اذاً مرغما ولا فائدة من ذلك وقد كان السيد رضا حيال ذلك مساق فيمشى ويجلس عندما يؤمر فنال موقفه هذا اعجاب نائب الوالى بينغازى (سيشيليانى) أما الموقف الثانى هو أن إيطاليا سعت بكل ما لديها من الوسايط لتبتاع منه أملاكه بالزيتون واحة سيوة وأرادت أن تضاعف له الثمن فى حين أن سيادته في احتياج عظيم وشاءت أن تعطه أملاكا بينغازى فيما لو رفض قيمة أملاكه نقودا فامتنع ولم يصغ لاقوالها فاتخذت إيطاليا مختلف الوسائل لاقناعه فأعرض بشمم وفكر أحد رجال الاداره الايطالية (ولم يقل عن إسمه) فى أن يجبر السيد رضا بتوقيع صك البيع ولكن المركيز (ميسكى) متصرف بنغازي اعترض على هذه الفكرة وهذا الاقتراح. سمعت هذه الحكاية من الشارف باشا أكثر من مرة مع تعليقه عليها. عند ما فكرت إيطاليا فى مواصلة السيد عمر المختار نقلت والى بنغازى الجنرال (تيروتسى) كما نقلت الجنرال (ميزنى) قائد القوات الايطالية ببرقة اللذين عجزا عن إخضاع السيد عمر المختار وجيء بالمرشال بادوليو حاكما عاما على طرابلس وربطت ولاية برقة بطرابلس وتوحدت حكومة القطرين وعين (سيشيليانى) نائبا عن الوالي بينغازى.

الاتصال بالسيد عمر المختار

كلف متصرف المرج وقتذاك الكولونيل (باريلا) بأن يرسل إلى السيد عمر المختار يطلب منه ميعاداً للتفاهم معه فى شأن الاقلاع عن الحرب والاتفاق لصالح الطرفين وكان ذلك يوم ٣٠ رمضان أى يوم وصول كتاب المتصرف إلي السيد عمر وفى صبيحة العيد أول شوال بوغت المعسكر بالقوات الايطالية والمجاهدين يؤدون صلاة العيد فالتحمت المعركة بين الفريقين واستمرت حتى بعد صلاة العصر وقتل قائد هذه الحملة الايطالية ورد الايطاليون على أعقابهم يجرون ذيل الخزى والعار وفى يوم ٨ منه أرسل متصرف درنة الكمندتور (داوديانى) للسيد عمر كتابا وحدد معه الزمان والمكان لمقابلة الطرفين فلبى السيد عمر هذا الطلب ووصل في الزمان المحدد الى المكان المتفق عليه محاطا بقوة كبيرة من الخيالة استعداداً للطوارىء وبعد اجتماعه الذى لم يسفر عن فائدة ضرب موعد آخر يوم ١٥ شوال فلم يكن وفي يوم ١٧ منه كتب المتصرف المذكور يحدد موقعا للاجتماع هو (الشليونى) فاجتمعوا هناك يوم ٢٥ شوال وكان الوفد الايطالى مؤلف من مشايخ وأعيان قبائل العبيدات والحاسة والبراعصة والدرسا يصحبهم المتصرف والكثير من الايطاليين وكان الوفد مكلفا بأداء مهمة لا يتعداها وكانت لهجة إيطاليا مشوبة بالمواعيد الخلابة لكسب الوقت وجس النبض واتباع طريق التفرقة إن وجد لها سبيلا وليؤثر على السيد عمر المختار بانهاء هذه الحركة المضرة والاستسلام لايطاليا التى ستحافظ على مركزه الشخصى وترجع لمشاوراته فى بعض المسائل العربية وتخصص له راتبا وافراً وقدره خمسين ألف ليرة ايطالية أى ما يتجاوز وقتذاك خمسمائة جنيه مصرى فكان جوابه وهو جد منفعل الرفض البات قائلا انني ما اجتمعت مع الوفد الايطالى لاسمع هذه المهازل ولست أحارب من أجل هذه التزهات وأرفض الاجتماع علي أن يعقد فى وقت حدد بموقع (قندولا) وفى الوقت المحدد اجتمع السيد عمر المختار بنائب الوالي سيشيليانى فى قندولا يوم ٨ ذى الحجة وهنا طلب السيد عمر المختار من نائب الوالى أن يسلمه شروط حكومته ويتسلم منه شروط المجاهدين لدراستها

وارفض الاجتماع على أن يعقد يوم ٢٨ منه ولدا الاجتماع طلب نائب ألوالى شروط السيد عمر المختار فكانت شروطا مشرفة للوطن وأهله ولكن ايطاليا بعد المراوغه والتسويف ضربت بها عرض الحائط .

وفى اليوم الخامس من محرم سنة ١٣٤٨ وصل المرشال بادوليو الى موقع سيدي رحومه محاطا باركان حربه وكبار القواد والمشايخ فاجتمع بالسيد عمر وبعد محادثة طويلة كانت فيها لدعات السيدعمر لمرشال ايطاليا مرة وكان السيد عمر يوجه اللوم لايطاليا التى لم تخلص نيتها فى عمل قدمت عليه وكان المرشال يعتذر حينا عن نفسه وأحيانا عن حكومته وسياستها ثم وقف السيد الفضيل بن عمر وقرأ على السامعين شروط السيد عمر المختار بصوت جهورى فوعد المرشال بارسالها الى حكومة روما وهو يبذل مساعيه لتحقيقها وان كانت على حد قوله هى وحدها صاحبة النظر وأرفض الاجتماع وبعد أيام من ذلك حصل الاجتماع المعروف باجتماع سيدى (رافع) وذلك يوم ١٢ صفر وعندئذ قال المندوب الايطالى ان الاتفاق النهائى لا يكون الا في مدينة بنغازي وانا واصلون لاشك الى حل المشكله بما يرضيكم فاتفق السيد عمر والسيد الحسن رضا على أن يتوجه الثانى الى بنغازى وان كان السيد عمر مقتنعا تمام الاقتناع ان لافائدة ترجا وان الحالة لاشك أنها ستئول لما كانت عليه وان الوقت يضيع سدى بهذه المماطله وهذا التسويف ولكنه جامل مكرها فى الموافقه على توجه السيد الحسن الذى عاد بعد ذلك يحمل شروط ايطاليا فعرضت على المجاهدين الذين قابلوها بالسخرية والاستهزآء ومرت أشهر بعد ذلك لم يحدث بين الفريقين أى شيء الا أن كلاهما ينظر لصاحبه بعين الحذر ويستعد للمستقبل وفي هذا الاثناء كتب السيد عمر الي نائب الوالى يخبره برفض الشروط التى بعثت بها ايطاليا ويلفت نظره إلى الشروط السابقه التي أخذها المرشال من السيد عمر ووعد بالاجابة عنها بعد دراستها حيث لا تحل المشكله بدون تلك الشروط ويطلب منه تحديد موعد للمقابله وفي حالة رفض نائب الوالي وعدم اجابته انذارا باعادة الامور الى ما كانت عليه فكان جواب الحكومة انها على إستعداد ولالزوم لانذاره باعادة الحرب . كان المشايخ والاعيان الذين حضروا من قبل ايطاليا قد أساءوا إلي السيد عمر المختار وقد جرحوا عواطفه ببعض

كلمات لاتصدر الا عن السفهاء فكيف تصدر عن وفد انتخب للاصلاح وبذلك أصبحوا عرضة للوم ومحلا للقذف وقد أراد بهم بعض أفراد المعسكر سوءاً لولا اعتراض السيد عمر نفسه ومن أولئك من تربطهم أواصر الدم وعلائق المحبة بالسيد عمر فكان لا يعبأ بقولهم ولا يغيرهم أى التفات لظنه أنهم مكرهين على ذلك ولهؤلاء أبناء عم وأقارب مع السيد عمر فكبر عليهم أن يسمعوا هذه الترهات من شيوخهم وأعيانهم فارادوا الانتقام لقائدهم السيد عمر ولو علي الاقل بالتهديد والوعيد فمانع السيد عمر جنوده ومرت الايام والشهور والسنون وهم محل السخط لما بدر منهم وعنهم واني أذكر في هذه الايام القريبة انى اجتمعت مع أحد أولئك الشيوخ فسألته فى شيء من اللوم ان لم أقل انتأنيب عما أقدموا عليه يومذاك فقال لى انني من بين من نحرش مع السيد عمر وتحداه بالكلام الذى سمعته والذى كان محل السخط علينا إلي هذه الساعة ولكنا كنا علي اتفاق تام مع السيد عمر وكل ماقلناه له جهاراً سبق أن تفاهمنا معه فى ذلك سراً فاذن لنا أن نقول ذلك على مرآى ومسمع من مندوب ايطاليا وسماسرته الحافين بنا . هذا جواب من سألته والله يعلم صحة ذلك . أما الذي يعلمه الجميع وقد أثبته الواقع هو أن بعض أولئك المشايخ ولا أقول جميعهم وكل الموظفين التابعين لايطاليا وقتذاك لهم أغراض يرمون اليها ولكل منهم اجتهاد خاص لغرض خاص وقد ضاع الحق والصراحة بين تلك الاغراض السخيفة . لقد أخبرنى أحد رجال ذلك العهد البائد وأحد أعضاء ذلك الوفد بهذه الحكاية الآتية :

كان متصرف المرج وأعوانه يريدون حل المشكلة وليس لها حل فى نظرهم الا التسليم بدون قيد ولاشرط عن يدهم ولذلك أخذوا يغررون بايطاليا من جهة ويغررون بالسيد عمر من جهة أخرى وبمثله متصرف درنه وأعوانه وهكذا متصرف شحات وأذنابه ولاننسى متصرف بنغازي وشيعته وكان قائمقام مركز الابار وقتذاك (ملا كريا) فاتصل هو الاخير بنائب الوالى وطلب اليه أن يسمح له بالولوج فى ميدان السياسة ليتصل بالشيخ عبدالحميد العبار بصفة أن هذا الأخير من قبيلة العواقير التي يحكمها القائمقام وان الابار تعد منطقة من مناطق العواقير ولعله بهذا الاتصال المرغوب يأتي بقائده لم يأت بها غيره فأذن له نائب الوالى وذهب مسرعاً بسيارته يصحبه قسم

من مشايخ العواقير ومن بينهم صاحب الرواية وكانت العلاقات لازالت مستمرة مع السيد عمر المختار والتزاور مباح للطرفين في دائرة محدودة، قال الراوى ولما وصلنا إلي معسكر الجبارنه وهو أحد المعسكرات التابعة لقيادة السيد عمر وكان قائمقام هذا المعسكر هو الشيخ عبدالحميد العبار وكان موقع المعسكر في (التكاسيس) فوجدنا أن المعسكر قد انتقل الى موقع (أبي غسال) فأرسلنا في أثره وإذا بالشيخ عبد الحميد قد أقبل فى كتيبه من رفاقه لاتقل عن خمسين فارساً وبعد مبادلة عبارات السلام والتعارف وتناول أكواب الشاى والسماع إلى حديث القائمقام للشيخ عبدالحميد وكان كلامه مشوبا بالمجاملة واللياقة نهض القائمقام واختلى بالشيخ عبدالحميد وكنت أقوم بدور الترجمة بينهما فقال القائمقام إلى الشيخ عبدالحميد ان هذه السياسة التى أقدمت عليها ايطاليا والتي يقوم بها بعض المشايخ والمؤطنفين من جهتنا ماهي الا كلام فارغ ولكل عامل من هؤلاء العاملين الذين يقع بصرك عليهم غرض خاص وحاجة فى نفسه وخدمة لحبيبه وها اذا أقول لك الحقيقة وبصراحة: لاتضيعوا وقتكم ان حكومة ايطاليا لاتحيد عن أحد امرين فى النهاية فاما التسليم منكم بدون قيد ولاشرط واما اخضاعكم بالقوة فان شئتم العمل من تفادى هذه الأخيرة فاعملوا جهدكم وان أردتم الاولى يمكنني أن نؤكدلك مايأتى بصفة خاصة : أتعهدلك بأن تكون انت الشخصية الوحيدة فى منطقة العواقير معترف بها رسمياً وتحدد لك الاماكن التى يمكنك الاقامة بها بدون الرجوع إلي الدوائر الحكومية (كان الانتقال محظر) ويصرح لك بيندقية تحملها ويؤخذ رأيك فيما يخص قبيلة العواقير متى دعت الحالة ويربط لك راتب شهرى طيب وينظر فى حياتك الاقتصادية بصفة تضمن لك اعادة ثروتك التي فقدتها بسبب الحرب ويعفي عن جميع من هم معك وبمعرفتك هذا من جهتك أما من جهة السيد عمر المختار ان حذا حذوك فيما لو أردت التسليم فستحفظ كرامته الشخصية وسترجع له الحكومة في كل المسائل العربية وسيربط له راتب كبير ويؤذن له فى البقاء بزاوية القصور ويجعل لها حرم محفوظ هذا مافى وسعي أتعهد لك به وهذه صراحتى أصارحك بها لما تعلمه عنك وهذه نصيحتي لك لا كمثل أولئك الذين يخدعونا ويخدعونكم من أجل مصالحهم فعندئذ صافحه عبدالحميد العبار وقال له أشكرك على هذه الصراحة

فانها صراحة (رجل) ولم يفه عبدالحميد بغير هـذه الكلمة وغادرنا برفاقه إلى معسكره ورجعنا نحن فى معية القائمقام وبعد أيام قلائل عادت الحالة لما كانت عليه :

دارت الأيام دورتها وقدر لي أن أجتمع مع الشيخ عبدالحميد العبار فقرأت له هذه النبذة وناقشته فيها وسألته عن صحتها فأمن عليها ومن بين ماقاله لي عبدالحميد هـكذا (لازلت أشكر ذلك الايطالى على صراحته لانه أنار لنا السبيل وان كنا لانجهل مراوغتهم) .

وقد تقدم أولئك المشايخ لنائب الوالي بشروط لم يرجعوا فيها للسيد عمر المختار فوافق عليها نائب الوالى فانظر الى تباين الافكار واختلاف وجهة النظر فايطاليا لها شروط ولاولئك الوسطاء شروط وللسيد عمر شروط لم يتفق منها شرط مع آخر .

السيد الحسن رضا

تعين السيد الحسن رضا وكيلا عن الناظر العام بأمر من سيادة الوكيل العام وبحسب اقتراح السيد عمر المختار وسيادة الناظر العام وعلى أن يكون مقره بمسكرات الجبل الأخضر وذلك أواخر سنة ١٩٢٦ فتوجه مع السيد عمر بمجرد تعينه وكان السيد الحسن شاباً صغيراً لا يتجاوز السادسة عشر من عمره وبهذه السن المبكرة فقد كان شجاع إلي أبعد حد والشجاعه حتى نال إعجاب جميع رفاقه وكثيراً ما كان يمنعه السيد عمر المختار ويأمر بمنعه من دخول معمعة القتال لما رأي فيه من الجراءة والاقدام حرصا على حياته الغالية التى يراها السيد عمر المختار أعز شيء عنده وهي رمز الوحدة والبقية الصالحة من البيت السنوسي المجيد فى المعسكرات فكان السيد الحسن يخالف ذلك فى شيء من الزعل ويقول لا فرق بيني وبين بقية رفاقي وما من معركة حدثت بالقرب منه إلا وخاض غمارها وكان يبادل السيد عمر حبا بحب وعطفا بعطف وبنفس

الحالة كان يبادل رفاقه من الضباط والجنود . ولما لعبت السياسة دورها أثناء اتصال ايطاليا بالسيد عمر المختار أصبح الكثير من مواطنينا يوجه اللوم للسيد الحسن ويرى أن السيد الحسن قصر في واجبه وجاء بأشياء لم يتعودها الوطنيون من أفراد البيت السنوسي وفي الحقيقة أنهم كالوه اللوم ظلما وغابت عنهم الحقيقه والحق أحق أن يتبع ولقد توخينا الحقيقة في كتابتنا هذه عنه وبحثنا عنها بحثا وصلنا به إلي شيء منها ولسنا نلق القول على عواهنه أو بحكم العاطفة ولكن المستندات متوفرة بين أيدينا والبراهين ساطعة . لقد أصيب السيد الحسن بصدمات كبيرة تحز لهولها الشامخات الرواسي مع أنه صغير السن وهذه الصدمات عدا ما أصيب به في أفراد رفاقه الأعزاء من الضباط والجنود فقد تلقى خبراً أليما وهو أسر والده ونقله منفيا الى ايطاليا ثم الاتيان بأفراد عائلة والده الى بنغازى ولا عائل لهم ثم علمه بسفر أخيه السيد الصديق الى مصر ولم يعلم أي طريق سلكها فتطرق اليه اليأس وخامره القنوط أضف الى ذلك ما علمه من القضاء على حركة المقاومة في برقة الغربية ، كل هذه الصدمات كان لها تأثيرها بشبابه الغض وعقليته الحديثة وتفكيره الذى كان تفكير من لم يجرب الحياة والحقيقة أن مثل هذه الصدمات تجعل من الرجل الكبير العاقل المحنك طفلا صغيراً لم تمضغه التجارب ولم تسبكه الحوادث بورشتها ولم تحنكه الأيام فما بالك بالسيد الحسن الصغير فى سنه وقد أضنته هذه الحوادث المذكورة والتي أصبحت تتكرر كل يوم بنوع أشد وأقسى ، لما فاتحت ايطاليا السيد عمر المختار للمحادثة معه والدخول فى المفاوضة والتفاهم للوصول الى ايقاف الحرب كان السيد عمر المختار يرجع الى السيد الحسن ويتشاور معه فى جميع ما يدور ويحدث وكان السيد الحسن يفوض للسيد عمر التفويض الكامل بحيث لا يكلفه تعب المشاورة وقد تابعت الاجتماعات المذكورة فرأي السيد الحسن أن الفرصه قد سنحت للاتصال بوالده الذى هو غايته الخاصه من هذه الحياه وهذا أهم ما يصبو اليه السيد الحسن من حياته فجيء بالسيد رضا كفرد من أفراد الوفد لا أكثر وربما يكون أقل وكان رجال الوفد الموثوق بهم من ايطاليا يتصلون بمن يريدوا . أما السيد رضا فكان محظوراً عليه الاجتماع بأي أحد وكان محاطا بالرقابة الشديدة وكانت الاعين المكلفة به ترقب حركاته وتعد عليه أنفاسه فضلا عن الاوامر التي تلقاها قبل مغادرته

بنغازى مع أعضاء الوفد وهي أن لايخلي بابنه أو بالسيد عمر المختار ولا بأى أحد كائن ماكان وعلاوة عن الاوا ، المعطاة له أوعزله بمن يناصحه باجتناب كل حركة وكان لا يشترك فى المفاوضه التى تدور بين الفريقين ولكنه يحضرها كمستمع ولذلك فلم يتمكن السيد الحسن بالاجتماع مع والده على حدة وقد أذاب الشوق هذا السيد الصغير وهاله الامر ولما لم يصل الفريقان الى حل للمشكلة كما أسلفنا وطلبت ايطاليا فى أحد الاجتماعات أن لا يكون الاتفاق الا فى مدينة بنغازى اتفق السيد عمر والسيد الحسن أن يذهب هذا الاخير الى بنغازى قطعا لاعذار ايطاليا وجريا وراء المصلحة العامة هذا من جهة ومن جهة أخرى لعله يتصل بوالده في خلوة فيعرض عليه بعض الاشياء ويستعرضها منه — ولكن الايدى الخفية قد لعبت لعبتها فوصل السيد الحسن الي بنغازى وأنزلته ايطاليا فى منزل خاص واحاطته بسياج محكم من الرقابة الشديدة وأوقف الحراس على محله ولم يتصل به الا أذناب ايطاليا وسماسرتها الداعون لها ولمصلحتها دون المصلحة العامة التي لا يرونها فى نظرهم الاهراء وأخذ كل فريق من هؤلاء يستدر فكرته ويستعمل نشاطه ليصل كل منهم الي غاية واحدة وهدف واحد ولكل فرد من هذه المجموعة السيئة والمسيئة طرق وأساليب خاصة فى الحيلة والخداع فمنهم من يقول للسيد الحسن تضليلا ، ان شروطكم على ايطاليا شروطاً شريفة ولا حل للمشكلة بدونها وأن ايطاليا مستعدة لقبولها وقبول كل شرط تبدونه فى صالحكم ، أما الحكومة الايطالية فلاشرط لها الا شرط واحد تتقدم به اليكم وهو ايقاف القتال المضر بالطرفين وأن الوقت لاعلان الموافقة على شروطكم لم يحن بعد لخلاف وقع بين دوله الوالى الذى يحبذ شروطكم ويعمل لاعلان قبولها وبين حكومة روما التي ترغب تعديل بعض موادها ولكن دولة الوالى سيوفق وستنالون غرضكم على يده ثم يذهب هذا الفوج من عند السيد الحسن ويدخل غيره بالاتفاق مع سابقه وبدون أن يعلم السيد الحسن فيقول الآخر أن السيد عمر المختار جر عثرة في سبيل الاتفاق لانه تعود حد سفك الدماء فلا تروق له الحياة بدونها وأن نوايا ايطاليا نحوه حسنة للغاية وبما أن السيد عمر يجهل كل ذلك فقد صعب معه التفاهم . هذا هو الوتر الذى يضرب عليه كل واحد من أولئك الدساسين الذين أحاطوا بالسيد الحسن الصغير السن والذي لا يعرف عنهم شيئا الا

ظاهرهم فينخدع بهم ويغتر . وبعد أيام قليلة أمرته ايطاليا بالعودة الي السيد عمر وأرفقته بشروط منها فعاد وكله آمال لما سمعه من أولئك الذين أحاطوا به وأخذوا يقولون له بأفواههم ما ليس فى قلوبهم والكل يضرب على وتر واحد الا أنهم يختلفون فى التعبير والالفاظ والجوهر غير كريم الامر الذى جعل السيد الحسن ينخدع لهم وبأقوالهم، كان السيد الحسن يصبو الي غرض واحد وهو الغرض الذي يصبو اليه السيد عمر لا من أجل مصلحتهما الخاصة ولكن من أجل البلاد التى لقيت مالقيته من أنواع التعب والارهاق : اتصل بالسيد عمر وسلمه الشروط التى وصفها له ايطاليا بالشروط الاولية تمهيداً لاعلان شروطكم السابقة ووعدت بهذه الموافقة قريبا ودار بينه وبين السيد عمر الحديث نحو ما رآه وسمعه ولما علم منه السيد عمر أنه لم يصل بذلك الى الصفة التي يريدها علم أن فى الامر شيء وكان رأى السيد عمر المختار الشيخ الوقور الكبير والمحبوب الذى شاب عذاره فى مثل هذه الاحوال وتحت ضغط الحوادث الرفض البات والاستعداد لما هو آت أى الرجوع الى حالة الحرب وكان رأى السيد الحسن معالجة الحالة بالتأني والصبر ومتابعة التفاهم ما دامت هناك أذن صاغية والاخذ والرد دون الرجوع الي القتال حيث ضعفت قوي المجاهدين وأصبحوا فى حكم المطوقين ولما كان لكل شيء سبب والانسان يسعى لما يريد والله يفعل في حكمه ما يريد فقد كان لكلا السيدين رأيا خاصاً مع احترام كل منهما للآخر ولكل منهما اجتهاد خاص وكثير ما يجتهد الانسان ويخطى بدون قصد وهذه عادة عرفها الكون منذ كان وهذان السيدان فى رأى المنصف وفى رأى التاريخ الذى يحفظ لكل منهما حقه انهما مجتهدان فللمصيب منهما أجر المصيب ولا يحرم المخطىء من أجر المجتهد والعقيدة متي رسخت في فكر إنسان والاقتناع بالشيء لها تأثيرهما على كل إنسان وما هذه الحياة الا كفاح من أجل العقيدة والاقتناع (إن الحياة عقيدة وجهاد) .

كان السيد الحسن مخيما بحرسه الخاص وحاشيته التى لا تخلو من بعض من لهم حاجة في أنفسهم مثل كاتبه السنوسى اللافي العوكلى الذى أصبح صنيعة ايطالية فكان وامثاله عاملا كبيرا لايجاد ما حصل ووقع وكان المعسكر المذكور في محل منفصل عن

المعسكر الذى فيه السيد عمر المختار وكان على مايظهر أنه حصل فى نفس كلا السيدين انتقاد نحو عمل الآخر وكان ما انتواه السيد الحسن هو أن يكون التمشى مع سياسة التفاهم بعض خطوات أخرى على الاقل أما السيد عمر الذى يئس من الوصول الى نتيجة وسئم المراوغة والمماطلة والتسويف وادرك ان ايطاليا تعمل لكسب الوقت فصمم على مواصلة القتال حتى يقضى الله أمراً كان مفعولا : قطع السيد عمر المختار جميع علاقاته مع ايطاليا وفى نفسه مافيها من الحسرة والالم وأمر أولئك الذين جاءوا لزيارة أقاربهم بالمعسكر أن يعودا الى منتجعاتهم الخاضعة لايطاليا حيث كان التزاور بين الطرفين مباحاً أثناء المباحثات وأمر بضم جميع العساكر الذين كانوا خارج المعسكر وانتقل من موقعه الاول وقد أخبرني أحد رفاقه المقربين اليه أن السيد عمر المختار كان يسير فى كوكبة من الخيل بعد نقل المعسكر وكان الوجوم يبدو على رفاقه الذين لزموا الصمت ولم يتغنوا للتسلية كما جرت العادة فسألهم السيد عمر قائلا أيها الرفاق مالكم (سكوت) فأجابه أحدهم بقوله ماذا تريد أن نقوله ياسيدي :

فقال السيد عمر غنينا وقل

أجواد راكبين الخيـــل علي وطنا ما تماينـــوا

أما معسكر السيد الحسن فقد بقى بموقعه وقد أخبرنى أحد رفاقه وهو موسي بن عود العوامي وكان ضابط بمعية السيد الحسن قال (ولما انتقل السيد عمر فكر السيد الحسن مليا وطلب بعض الضباط ومن بينهم أنا وكان السنوسى الافى حاضراً فقال لنا حضروا أنفسكم ومن أراد منكم شيئا من السوق فليغتنم وجودنا اليوم ويذهب للسوق للاتيان به وبعد المغرب ننتقل لنتصل بمعسكر السيد عمر فلو كان السيد عمر وافقنا وتمهلنا وطالبنا ايطاليا بمحادثاتنا لعلنا نصل الي نتيجة كان اولى وهذا هو رأيي الذى خالفت به السيد عمر أما وقد امتنع السيد عمر فلايجب علينا الا الموافقة له والنزول علي ارادته وعندئذ اجابه السنوسى قائلا (من الأحسن ان نبقى بمحلنا ونواصل المباحثات فان وصلنا الى نتيجة فلايحرم منها السيد عمر وسنتصل به وان لم نصل الي نتيجة سنلحق به بعد ان نيأس) ولكن كل هذا لم يكن فقبل الغروب الذى كان يريد السيد الحسن الانتقال بعده وقبل مضى الايام التى كان ينتظر السنوسى ليعمل بها قبل كل ذلك حصل مالم

يتوقعه السيد الحسن فقد كان معسكره مأوى الوفود والزائرين من المنتجعات والمراكز الايطالية وكان الكثير من حرسه وحاشيته متغيبا بالمنتجعات والمراكز الايطاليه فى قضاء مايلزمهم وقد علم الايطاليون بنقل معسكر السيد عمر المختار فاخرجوا قوة كبيرة توجهت صوب معسكر السيد عمر وأخرى توجهت صوب معسكر السيد الحسن فشتت شمل الاولى ومزقت أما الثانية فقد كتب لها النجاح حيث توجهت إلى معسكر السيد الحسن وبالقرب منه توقفت وأخذ قائدها فى ترتيبها فضربت حصارا على المعسكر القليل فى عدته وتعداده بحيث لايشعر وتقدمت سيارة واحدة بها قائمقام الآبار وترجمانه الذى كان راوينا فى حادث قائمقام (الآبار) مع الشيخ عبدالحميد العبار فتقدم القائمقام بسيارته إلى خيمة السيد الحسن ولم يكن مستغربا مجيء هذه السيارة أو ملفتا للانظار لان المدة التي أوقف بها القتال لم تكن محددة ولازالت الاتصالات سارية بين الطليان والمعسكر وكان هذا القائمقام يزور المعسكرات الفينه بعد الاخرى وكان مركزه مؤقتاً في (مراوه) لانه عين أثناء هذه المحادثات ضابط اتصال ، نزل القائمقام الثاني بخيمة السيد الحسن وطلب منه الركوب فى السيارة للاتصال بالسيد عمر فى أمر هام وكان السيد الحسن لايعلم بالقوة التى خرجت لمقاتلة السيد عمر ولم يدر بالقوة التي ضربت عليه الحصار ولما امتطى السيد الحسن السيارة أشار سائقها (البناني) الذى لايزال حياً من طرف خفى إلى المعسكر (ان فى المسألة سر غامض وانها مدبرة) ولم تتقل السيارة راجعة حتي أخذت القوة الايطالية فى مهاجمة المعسكر فقتل من قتل ونجا من فر وقبض علي الباقين وجيء بالسيد الحسن إلى (مراوه) ثم سيق الي بنغازى وخصص له محل بالبركة تحت الرقابة الشديدة التى فرضت عليه واوقف الحرس الخاص بالشارع الذى يسكن فيه السيد الحسن ليلا ونهاراً فبقى هناك أسابيع تحت الضغط ثم نقل إلى ايطاليا منفياً في شهر أغسطس من سنة ١٩٣٠ وعندما أطلق سراح المعتقلين بايطاليا لم يترك سبيله فقد كتبت ولاية بنغازى إلى متصرفيها تستطلعها فى ترك سبيل السيد الحسن بين بقية المعتقلين فاعترضت المتصرفيه قائلة ان السيد الحسن لا يمكن ترك سبيله لانه خطر والروح السنوسية لازالت قوية وهو فى حد ذاته جريء وقد جرحت عواطفه ولاشك أنه يتمكن من عمل ما مع أولئك البدو الذين ينظرون

اليه بالتجلة والاحترام . فبقي بالمنفا إلى أن أدركته المنية سنة ١٩٣٦ فجيء برفاقه إلي بنغازى وهـذه صـورة الامر الذى أصـدره الجنرال غرسياني لالقـاء القبض عليـه حرفياً :

بروتوكل رقم ٥٠٣ ؛

نائب الوالى ببرقه

الموضوع : التأكد من أن الوطني حسن رضا السنوسى يسعى في عرقلة سير نظام الحكومة :

بعد استشارة المجلس المنعقد بموجب القانون الولاءى رقم ٤١٢٧ المؤرخ ١٢ ـ ٦ سنة ١٩٣٠ وبعد الاطلاع على برقية وزير المستعمرات رقم ٥٠٧٤ المؤرخة ١٤ ـ ٨ سنة ١٩٣٠ وبعد الاطلاع على القانون رقم ٨٨٤ المؤرخ ٨ ـ ٥ سنة ١٩٢٧ المؤيد لنظام البوليس فى طرابلس وبرقة .

يأمر

بأن يعتقل الوطنى الليبي حسن رضا السنوسى باحدى مناطق المملكة لمدة خمس سنوات ابتداء من تاريخ هذا الامر :

بنغازى في ٢٨ ـ ٨ سنة ١٩٣٠ العام الثامن للعهد الفاشستى

الامضا (غرسيانى)

مساعى السيد محمد عابد السنوسى

بعد احتلال ايطاليا لبرقة الغربية ووصول قواتها الى واحتي جالو واوجله ولم يبق أمام زحفها الا واحة الكفرة أخذت تستعد للضربة الاخيرة التي ستوجهها لهذه الواحة الآمنة العزلاء وهنا شعر السيد محمد عابد السنوسى وكيل سمو الامير بتلك المناطق أن الخطر محدق بالكفرة خصوصا وقد أخذ بعض التجار يتسرب من الكفرة إلى جالوا وهذه الاخيرة مركز من المراكز الايطالية ومن بين هؤلاء التجار الشيخ عبد الحميد أبو مطارى أحد شيوخ قبيلة زويه والسيد الحسن البسكرى والسيد على كشبور وغيرهم وأخذت ايطاليا ترسل بالمنشورات الي سكان الكفرة ترغيبا وترهيبا فلم يجد السيد محمد عابد مخرجا من مأزقه الا بأحد أمرين فاما أن يغادر الكفرة إلى مصر أو السودان مهاجرا وهذه الفكرة تتطلب قوة لمجابهة الطريق الصحراوى الطويل من الابل والمؤن والقرب ومايلزم للموقف ولم يكن بيده والحالة هذه شيئا، واما أن يبقى منتظراً زحف القوات الايطاليه وفي ذلك مافيه من الشر والوبال عليه وعلى هذا المعقل السنوسى الديني الذى لم يبق من المعاقل السنوسية ببرقة الغربية سواه فوصل به تفكيره واجتهاده إلي الاتصال بايطاليا كتابيا والتفاهم معها بأن الكفرة معقل دينى وكان في اعتقاده واجتهاده ان ايطاليا ستكتفي بتعهدات منه وتقف بواحة جالو وتوفر على نفسها مشقة تكاليف الاحتلال وعندئذ يتمكن السيد محمد عابد من نقل عائلاته إلى حيث شاء وانقاذ مايمكن انقاذه من الآثار السنوسية هذا ان لم تضمن سلامة الكفرة من الاحتلال الايطالى والاعتداء الوحشى وقد يكون السيد محمد عابد مصيبا فى هذه النظرية لو أنه تشاور مع أعيان المنطقة وأخذ الاراء وسمعها ليخرج منها برأى متفق عليه ولكن الانتقادات التى كانت توجه إلي سيادته مع التقدير لاجتهاده والاحترام لشخصه هو انفراده بهذا الرأي فى حين أن بالكفرة من السادة السنوسية السيد الصديق رضا السنوسى وكبير أنجال السيد أحمد بالكفره السيد العربى وطائفة من الاخوان وشيوخ وأعيان قبيلة زويه والمجابره، ندب السيد محمد عابد ابنيه السيد

أحمد بن ادريس والسيد عبد المطلب إلى جالوا يحملان كتبا من سيادته إلى والي بنغازى وحاكم جالو العسكرى وحسين باشا كوبرى مدير جالوا وذلك رداً عن كتب وصلت إلي سيادته وموضوع رده لا يخرج عما ذكرنا فوصل السيدان إلى جالو ومهمتهما مقتصرة علي حمل كتب والدهما وابداء رأيه السالف الذكر ولا يخرجا عن ذلك فرحب الحاكم العسكرى بمقدمهما وسكن روعه بعض الشيء من المخاوف التي كانت تنتابه من جهة الكفرة فطلب والى بنغازى الجنرال تروتسى أن يحضر السيدان إلى بنغازى وأنزلهما فى ضيافته بمنزل عائلة منينه وهذه العائلة من سرات بنغازى وجعل عليهما مراقبة خفية مدة شهرين من الزمن وعندما طلب السيدان السفر الى الكفره أخبرهما أنه ينتظر وصول تعليمات من روما وفى هذه الاثناء أخذت ايطاليا تستشير بعض مساعديها ومن تثق فيهم لتستغل وجود السيدين وتتخذهما هدفا تصطاد به السيد الحسن رضا السنوسي والسيد عمر المختار ومن طرف خفى علم السيدان بذلك فأخذا يستعدان بدورهما لمعالجة الموقف ، أقام متصرف بنغازى الكمندتور ألمى للسيدين حفلة تكريم حضرها القائد العسكرى والكثير من مديرى ادارة السياسة والبعض من أعيان بنغازى ودار حديث بسيط بين المتصرف وبعض أعوانه من جهة وبين السيدين من جهة أخرى حول الهدف المقصود فلم يجد المتصرف استعدادا عند السيدين وهنا أخبرهما أن الوالي يرغب في زيارتهما مساء الغد بمنزلهما فطلبا اليه أن يتناول معهما العشاء وفعلا استعدت عائلة منينة باقامة مائدة العشاء فحضرها الوالى والقائد العسكرى الجنرال ميزتى ورئيس الادارة السياسية الماجور باور وسكرتير الوالى الماجور سيرا والكثير من أعيان بنغازى أذكر منهم سعادة حسين باشا كوبرى وسعادة حسين باشا بسيكري والسنوسى بك جبر وصالح بك المهدوى ومحمد بك أبو زيد وقد طلب الوالى من السيدين أن يعملا جهدهما ونفوذهما لنصح ابن عمهما السيد الحسن رضا والسيد عمر المختار فى التفاهم مع الحكومة فانها على كامل الاستعداد للتساهل معهما ولصرف النفقات التي يتطلبها الموقف وللسيدين أن يختارا إحدى مدينتى المرج أو درنة لاتخاذها قاعدة عملهما ولهما حق اختيار من يريد انه فى معاونتهما كما أن الحكومة ستعين معهما من تختاره من أعوانها ولكن السيدان رفضا رفضا باتا ما طلب منهما وأوضحا وجهه نظرهما فى حجيج معقولة

منها أنهما لا يستطيعا عملا من الأعمال بدون أن يأمرهما والدهما وأنهما جاءا يحملان كتبا فقط وقد ظهر عجزهما عن اتمام مأموريتهما التي لا تتم الا بالعودة الى والدهما برد ما جاءا به أو بدونه وأن ابن عمهما السيد الحسن لم يرتبط بهما في مأمورية وأن السيد عمر المختار الذى لا يعرفانه شخصيا لم يكن مربوطا بهما فى مهمته ولا بوالدهما حسب النظم السنوسية المتبعة فأيدهما في قولهما سيادة السيد هلال السنوسى قائلا : اذا كان السيد رضا الى الآن فى الاسر بايطاليا فكيف لابنه أن يقبل محادثة مع الحكومة وبعد محاولات طويلة وأخذ ورد قبل الوالى عذرهما وأوعدهما بأن يسعل لعودتهما الى الكفرة :

أرادت ايطاليا أن تحاول محاولة أخري لغرض فى نفسها فأمرت أن يسافر معهما طبيب لعلاج السيد محمد عابد الذى كان مريضا فحاول السيدان أن لا يرافقهما هذا الطبيب بدون اذن والدهما ولكنهما أخفقا فى هذا الاعتراض وأصر الوالى علي أن يسافر السيدان بعد يومين من تاريخ أخبارهما بتعيين الطبيب المرافق لهما بأدواتة الطبية سافر السيدان أواخر سنة ١٩٢٧ الى جدابية من بنغازى فى طريقهما الى الكفرة وهناك بجدابيه علما بأن قوة كبيرة من الهجانة لا يقل عددها عن ٥٠٠ عسكرى بجميع معداتهم أحضرت بجدابية لمرافقتهما بحجة حماية الطبيب فتكدر السيدان لهذا التصرف السيىء وعقدا جلسة بعد العشاء في محل المدير عبد الله بك زواوه حيث نزلا وحضر هذا الاجتماع كل من السيد أحمد العيساوى والسيد محمد الفضيل كشي وحصل الاتفاق على الاعتراض فان لم يجد نفعا يؤثر السيدان البقاء ويعتبرا أنفسهما أسري كعمهما السيد رضا وفى الصباح التالى وقد حضرت الواسطة لنقلهما ومن معهما الى جالو اتصلا بمتصرف جدابية (باريلا) واحتجا لديه على التصرف فاعتذر قائلا لا يمكنني التحدث معكما في هذا الموضوع ولا يمكن أن تنتظرا بجدابية وبعد تفاهم طويل اتفق الرأى على ان يكتبا برأيهما إلى والى بنغازى وأن يذهبا ومن معهما الي جالو وهناك يصلهما الرد . كنت وقتئذ بمعية السيدين فاتفق الرأى علي صفة الكتابة وأمرت بحملهما الي بنغازى وهي ثلاث كتب إلي الوالى والى السيد هلال السنوسي والى الشارف باشا الغريانى أو كان كتاب السيد هلال أكثر صراحة من الاثنين فتوجهت الى بنغازى وتوجه

السيدان الي جالو وبعديوم من وصولى الى بنغازى عقد الوالى اجتماعاً حضره كل من السيد هلال والشارف باشا الغرياني ورئيس قسم السياسة الميجر باور وخلفه بالوكالة متصرف جدابية الذى حضر يوم الاجتماع نفسه وسكرتير الوالى الميجر سيرا وتباحث الجميع في الموقف فكان من رأى السيد هلال الذى لا يعدو موقفه موقف الاسير هو الآخر اجابة طلب السيدان والا فلا رأى له وقد أيده الشارف باشا وبعد يومين من الاجتماع صدر أمر الوالى بعدم سفر القوة وأن لا يذهب مع السيدين الا الطبيب وترجمانه (فرناري) والتمرجي مسعود اليمني وتمرجي آخر ايطالي وأنهم وديعة السيدين علي حد تعبير والي بنغازى .

سافر السيدان مع رفاقهما من جالو وقلبيهما ملاى حسرة لمصاحبهما بالطبيب ولم يكن عندهما أمراً من والدهما فى ذلك ولكنها القوة التى أرغمتهما وان كانا قد نجحا فى ابطال سفر القوة العسكرية معهما .

تسربت الاخبار الى الكفرة أن هناك قوة ايطالية سافرت من جدابية الي جالو فى طريقها الى الكفرة ولم يفهم بالتفصيل عن ماهية هذه القوة كما لم تفهم الاخبار عن السيدين وكان قد لجأ الى الكفرة بعد احتلال جالو وأوجله والجفرة قسم كبير من الاهالى المشردين وكل من فر أمام الزحف الايطالي ببرقة وقد أصيبو بالجوع والعراء وفقدوا كل ما تتطلبه حتى الحياة الضرورية فتكونت جماعات من هؤلاء اللاجئين لغزو جالو وبعض المراكز الايطالية ببرقة ان أمكن وتوجهت هذه الجماعات التي لا يقل عددها عن ٥٠٠ شخص وهم خليط من بعض من التجأ الى الكفرة وان كانت الاكثرية من قبيلة زوية وفى موقع الزيغن التقت هذه الجماعات مع مجموعة الابل التى تنقل السيدين وحاشيتهما وهى ثلاث قوافل واحدة خاصة بالسيدين والثانية برفاقهما من التجار الذين صحبوا السيدين لغرض التجارة ولا يخلوا غرض التجار أيضا من كره ايطاليا وأكثرهم من المجابرة أما القافلة الثالثة فكانت تنقل الادوات الطبية وحاجيات الطبيب فأخذت تلك الجماعات مجموعة القوافل بحجة أن هذه الاثقال هى للايطالى وقبض علي الطبيب ورفاقه كاسرا وبما أن هذه الجماعات هم خليط كما قلنا فهم لا يأتمرون بأمر واحد وليست هناك رابطة تربطهم فلم يتمكن السيدان من التفاهم معهما ورعي

السيدان أن ماجاءت به تلك الجماعات هو ماساً بكرامتهما حيث أهين رفاقهما من التجار العزل والطبيب الذى هو في موقف الذليل فضلا عن المساس بكرامة والدهما الامر الذي ادي الي مغادرة السيد محمد عابد واحة الكفره الى السودان وتحول بذلك ابناء السيد احمد الشريف السنوسى الى مصر كما تحول السيد الصديق السنوسى الى مصر وعمت الفوضى راحت الكفره بعد ذلك وكان قيل حدوث ما حدث ان وصل الى الكفره الكثير من أعيان برقه كلاجئين بعائلاتهم منهم عبد السلام باشا الكزه والشيخ الفضيل المهشهش والشيخ عبدالنبي مذكور والشيخ جبريل مفتاح والشيخ رمضان حبيل واقترحوا على السيد محمد عابد اقتراحات تؤءدى إلى أعمال سيئته بين العرب في الكفرة وكان من بين القائلين بذلك والمستعدين للعمل المجاهد المصرى الكريم محمد محمود (١) ولكن السيد محمد عابد رفض ذلك واختار السفر إلى السودان بعائلاته متجشما مشاق السفر وتكاليف الطريق الوعر متكبدا أفدح الخسائر مادياً فبقى الى أن توفاه الله حوالي سنة ١٩٣٧ أما الطبيب فقد بقى بأيدى قابضيه مدة من الزمن ثم جيء به الى سيوه حيث صار تسليمه إلى ايطاليا مقابل قسم من المال :

---

(١) هو الضابط المصرى الكريم السيد فرح بك وقد التجأ الي برقه حوالى سنة ١٩٢٥ باسم محمد محمود فجاهد الطليان بالمعسكرات السنوسيه جهاد الابطال وسمعت الآن وأنا أطبع كتابى انه يشغل منصب وكيل محافظة الصحراء الغربيه بمرسى مطروح .

كفاح برقة

اشتدت المعارك بين الطليان ومعسكرات الجبل فوصل القتال إلى أبعد حدود العنف والقسوة ولم تغن الطليان قواتهم فأخذوا يتلقون الضربة تلو الاخري وكلما حاولوا محاولة منيوا بالفشل الذريع الامر الذى أدى الى فصل كثير من القواد الايطاليين ببرقة وبعض الولاة فصدر الامر من حكومة روما بتعيين كبير قادتها كما تزعم والحامل لاعظم رتبة عسكرية بايطاليا المرشال (بيتر بادوليو) حاكما عاما لطرابلس وضمت له بنغازى التي كان يرأسها حاكم مستقل عن طرابلس كما عينت الجنرال غرسياني نائبا عنه في برقة وقائداً عسكريا ليتولى منازلة عمر المختار بعدته وعديده ومهارته العسكرية كما يزعمون ، وصل الجنرال الى ميناء بنغازى تقله طرادة حربية وذلك في شهر مارس سنة ١٩٣٠ فاستقبله كبار الموظفين الايطاليين وثلة من الجيش لاداء التحية العسكرية (وبعض من أعيان العرب مكرهين) وعندما وطأت قدماه الرصيف صافح الكاتب العام ورئيس أركان حربه وسكرتير الحزب الفاشستى والاسقف ولم يلتفت الى بقية المستقبلين أياكانت صفتهم كما لم يفتر ثغره عن ابتسامة للمجاملة كما جرت العادة بين الزائر والمستقبلين بل كان يتقد حقداً وغضباً وترسل عيناه الشاحبتان شرارة المكر وأخذت جميع المراكز تتأهب فى رهبة لتلقي أوامره الجديدة وكان معروف عند الايطاليين بالغطرسة والطيش والجبروت الموهوم والعمل الصبياني والافكار الجنونية ولذلك فلايقل خوف الايطاليين منه عن مخاوف العرب الذين استهدفوا لجزارهم الاثيم : ابتدأ من أول يوم من وصوله فى تغيير الموظفين الايطاليين القدماء واستبدالهم بغيرهم ممن حازوا ثقته من طرابلس وايطاليا وأحدث تنقلات كثيرة بين موظفي العرب وبدأ يدرس الحالة فى بيته الخاص راجعا فى بعض مايستحق المراجعة فيه الى بعض خواصه والى قائد البوليس (الكره بنيرى) الذى جاء به خصيصا من طرابلس لمساعدته وهو الكلونيل (كاستريت) والكاتب العام موريتي) ومتصرف بنغازى صديقه الحميم (اجيدى) ورئيس الحزب الفاشستى ببنغازى (تونتي) فوصل الي ماوصل اليه من

دراسته معتمدا علي القوة المسموح له باستعمالها والسلطان المخول له من حكومته ثم أخذ يجوب المراكز العسكرية متوعداً ومهددا ويأمر بجمع كل العرب حتى من النساء والاطفال وكان يسهل خطابه الذى يلقيه بين الجموع المحتشدة والمكرهة لحضور ذلك بقوله (صموا أفواهكم وافتحوا آذانكم) وكان يطبق هذه الكلمة بالاشارة باصبعه الذي يختم بها على فيه فالقي الرعب في نفوس جميع أولئك العزل المساكين والذين لم يأتوا بذنب ما الا استسلامهم لايطاليا أولئك الذين أصبحوا علي حد تعبيره فى احدى خطبه التي القاها بموقع (البريقه) ما أنتم الا سيجارة موقودة من الجانبين تلتهمها النار من هنا ومن هناك حتي تصيروا رمادا ، هانا ذا أولع فيكم النار من عندى وعمر المختار يولعها من عنده حتى يؤتي عليكم)

وكان يقول فى بعض المناسبات مهددا ، انه تحت يدى وتصرفي باخرة واقفة فى الميناء فبأقل اشارة أنقل بها كل من أرى من الصواب نقله لايطاليا وهذا أخف عقاب أعاقب به .

وهكذا أخذ غرسياني يبرق ويرعد ويرغي ويزبد وخزائن حكومته تحت تصرفه لاستعمالها في القضاء المبرم علي الشعب العربى الاعزل والجيش الايطالى تحت أمرته وأخذ يستعد كأنما يستعد ضد أكبر حكومة لينازلها ولو استعدت ايطاليا لهذه الحرب الثانية بما استعدت به في برقة لقاهرت وخرت ذليلة وعلم الله أن غرسياني بذل من مجهوداته الجبارة ما كلف خزانة ايطاليا داخل سنة واحدة من النفقات الطائلة أكثر مما تبذله حكومة كبيرة لمحاربة مثلها سنوات .

أخذت حكومة غرسياني ترهب العرب بشتى أنواع الارهاب من القتل بأنواعه والنفي والسجن ومصادرة الاموال وكل ذلك يكون بأقل تهمة وهمية تلقي فى قلوبهم الرعب ، عمدت الي نصب المشانق بينغازى وجدابيه والعقيلة والمرج ودرنه وسلوق وطبرق والبارديه وقتلت الابرياء شنقا أو رمياً بالرصاص بدون أى ذنب بل لاقل شبهة خيالية ارهابا كما قلنا للوطنيين وتنكيلا بهم وملات السجون التي ضاقت بالعرب في داخل البلاد وخارجها ولم تميز في هذه الحالة بين من كان معها باخلاص اوعليها فجاء عملها الوحشي الجنوني كالسيل العرم أخذ الانسان والنعم وهنا أذكر من تحضرنى أسماؤهم

ممن شنقوا أو رميوا بالرصاص داخل شهرين من تعيين الجنرال غرسياني فراحوا ضحية شهوته الجنونية .

الشيخ بحيح الصبحي بجدابيه ـ الشيخ علي ياسين وابنه عريبات بجدابيه ـ الشيخ عبدربه موصاح الشيخ خيرالله هليل الزوى ـ الشيخ محمو يونس قادوم مغاربه ـ الشيخ على حميد ابو ظفيره مغـاربه ـ اثنـان من قبيلة اسعيط أخوة حمد الرقيق لم تحضرني أسماؤهم وهم اثنان ، هؤلاء جميعا بجدابيه ـ الشيخ سليمان سعيدعرفه بالمرج ـ الحاج محمد الحداد وابنه ببنغازى الحاج عبدالسلام محبوب من الاخوان ببنغازى عدا من قتل ببرقة الشرقيه فهذ العدد الضئيل من تلك المجموعة الهائلة التى ضاعت شنقاً ورميا بالرصاص أذكرها مكتفياً بها للاختصار ثم زج بجميع الاخوان من رءساء الزوايا وأبنائهم وأقاربهم في السجون وكذلك جميع مشايخ القبائل وأعيانهم بدون تورع فلم يأخذه الحنان بشيخ طعن في السن كالسيد عبد المالك الموهوب البالغ من العمر مائة سنه وبالضرير المقعد أو بكفيف البصر مثل السيد السنوسى بن حنينه امام مسجد الزاوية السنوسية بجالو أو بذوى العاهات ، فملا من هـؤلاء وأولئك سجون برقة القديمة وسجونا أحدثها (كبنينه) (وبرج شويليك) ولما ضاقت بهم عمد إلى نفيهم لايطاليا ثم أمر بنقل جميع الاهالى من الجبل والبطنان إلى المعتقلات التى خصصت لهم وماهى فى الحقيقة الا مقابر غير أن المقابر في عرف الجميع هى التى يدفن بها الموتى أما هذه فيوادون بها وهم احياء وكانت المعتقلات في المواقع التالية ـ سلوق ـ المقرون ـ البريقه العقيله ، فالعبيدات والمنفه والقطعان والشواعر والكثير من حاضرتي بنغازى ودرنه وبعض عائلات الاخوان خصصت لهم العقيله والبريقه واسندت مقاليد الامور بهاتين المنطقتين لممثل الوحشيه الايطاليه التينتي (كسوني) وزميله التينتى (باريلا) وكانت قبائل العرفه والعبيد والدرسا والبراعصه واتباعهم وشطرا كبيرا من عائلات الاخوان الذين نفوا الى ايطاليا قد خصصت لهم منطقة سلوق والمقرون فجيء بجميع هذه القبائل المذكورة يساقون زمراً الى المعتقلات عن طريق البحر والبعض عن طريق البر بعد ان أتت ايطاليا على جميع ممتلكاتهم وأموالهم من الماشيه والمنقولات وكان الذين سيقوا الي المعتقلات عن طريق البر محاطين بعساكر من الجنود اذرتيريا والصومال

والبعض من الوطنيين ومن تأخر من المساقين ولو لقضاء الحاجة البشرية يرمي بالرصاص ممن لايسئل عما يفعل ، وبمجرد وصولهم للمعتقلات حفاقا عراتا لايلوون على شيء الا ماتجود به أريحية عدوهم عوملوا بجميع أنواع الارهاق والعذاب والجوع والعراء فى البرد القارس وكان عدد الذين جيء بهم إلي معتقلى العقيلة والبريقه يربو على الثمانين الف نسمة كما اطلعت على ذلك بسجلات المديريه بالعقيله ثمات منهم بحسب الاحصاء الرسمى أكثر من ثلاثين الف نسمه وحصل بمعتقلى سلوق والمقرون مثل ماحصل بمعتقلى العقيله والبريقه وقد وصف شعراء العرب باللغة الشعبية تلك الحالة وصوروها تصوير المطلع الخبير وفي أقوالهم تتصور الحقيقة التى لم يضيع منها شيء قط مما يكفي السائل عن أى بحث نحو ذلك وسنثبت بهذا الكتاب شطراً من تلك القصائد ، ولما أخليت مناطق الجبل والبطنان عمدت ايطاليا إلي احتلال زاوية الكفرة فحشدت لذلك قواتا بمرسى العقيله واجدابيه وأخذت تنقل التموين إلي جالوا وشرع غرسياني في جمع الابل التى ستحمل المؤن وكان عددها لايقل عن ثمانية آلاف جمل وتحركت الحملة بعد تجمعها فى جالو إلي بئر الزيغن الذى اتخذ محطة للتموين بعد المرحلة الاولى من جالو كما تحركت الحملة الثانية من زلة (طرابلس) تحت قيادة الكونيل (فلينا) الذى قتل في معركة سيدى براني أو وقع فى الاسر وهو برتبة جنرال وكانت الحملة الاولي يقودها الكونيل (ماليتي) الذى قتل هو أيضا بمعركة سيدي براني وهو برتبة جنرال وكانت القيادة العامة للجنرال (رونكيتي) وتحت اشراف الجنرال غرسيانى نفسه والتقتهاتان الحملتان بالكفرة وقد اشتركت فى المعركة عشرين طائرة وفى يوم ٢٩ شعبان سنة ١٣٤٩ حصلت المعركة الاولى براحت الهوارى دامت ثلاث ساعات قتل فيها الكثير من الجنود الايطاليين والوطنيين كما قتل الكثير من أهل الكفرة الذين قاوموا الطليان لايقصد رد هذه القوة ولكن بقصد أشغالها حتى يتمكن المسنجون من الكفرة ففر الكثير إلى السودان الفرنسى وغيرهم الى سيوه والفرافرة والواحات الداخلة وقد طاردت الطائرات لايطاليه جموع الفارين إلى أبعد من مايتى كيلوا مترا فقتلت الكثير من الجمال والانفس البشريه وبهذا اعترف البلاغ الايطالى نفسه وقد قبض الايطاليون على السيد الحسن الخطابي السنوسي فنقلوه بالطائرة الى بنغازى ثم نفي الى ايطاليا كما

قتلوا بالكفرة شنقا السيد محمد بن عمر الفضيل الاوجلي وابن عمه السيد حميده الفضيل والشيخ محمد الفضيل الديفار الزوى وأمروا عساكرهم أن يعيشوا في الكفرة أسبوعا كاملا أبيح لهم بها سلب الاموال والاعراض وقتل الانفس من الرجال والنساء والاطفال فلا يمنعهم من ذلك قانون وما من منزل بالكفرة الا وقد دخله أولئك الاشرار الاغبياء ولم يتركوا فتيلا ولا قطميراً الا وقد جاءوا عليه ولم تراعي حرمة النساء والشيوخ العجزة والاطفال الصغار فكانت مأساة الكفره من أعظم المآسى الوحشية وأفظعها يسجلها التاريخ لايطاليا (المتمدنه) بنوع عام ولاحد زعمائها وقادتها العسكرين بنوع خاص ولا أكون مغاليا اذا قلت ان هذه المعركة يسجلها التاريخ لجميع الاوربيين .

لقد أعادت تلك المأساة للاذهان ذكرى ماحصل بالاندلس وما كنا نسمعه من لاساطير فى العصور البربرية المظلمه والخرافات التي تقص على مسامعنا فى الازمنة الغابرة .

سمعت من الشارف باشا الغرياني هذه الحكاية الآتية قال : قد نزلت بمحل السيد محمد صالح البسكرى بقصد حمايته من التعدي ولو أنه أخذ جميع مافى منزله قبل نزولى بمحله ، وقد طلبت من قائد الحمله الكلونيل (ماليتى) ان يضع حارسا على البيت الذى أنزله فأمر بذلك وفي ذات مرة كنت أتناول الغذاء مع السيد محمد صالح فطرق الباب وخرج السيد محمد صالح ليستطلع الامر فلم يعد وطال انتظارى واذا به يعود بدون جلبابه الذى كان يرتديه فسألته عن سبب تأخيره وأين جلبابه ؟ أجاب أن الطارقون عساكر وقد قبضوا علي وأدخلوني الى محل منفرد لتفتيشي وقد أخذوا رداءي وساعة بجيبي وحذاءى وتركونى ، قال الشارف باشا فغضبت لذلك وخرجت فورا لمقابلة الكلونيل وقد سألت الحارس عن العساكر الذين دخلوا ولماذا تركهم يدخلون فاجابنى أنهم لم يكونوا من التشكيلة التى انتسب اليها حتي أمنعهم فيمتثلوا أمرى ولست أعرفهم كما أنى غير مسؤل عنهم وعن أى عمل يقومون به وقد أباح القانون أنهم يعملوا ما يريدون فذهبت إلى قائد الحمله ووجدته ورفاقه على مائدة الطعام فاستقرب مجيء ولما فاتحته بالموضوع بواسطة الترجمان أجابنى قائلا لانزال بأيدى العساكر ثلاثة أيام مباحاً لهم فيها كل عمل :

وقد وصل الي الكفرة مباشرة بعد الاحتلال الجنرال دى بونو وزير المستعمرات والسنيور (ليسونا) وكيل وزارة المستعمرات والمرشال (بادوليو) حاكم عام طرابلس والجنرال (سيشلياني) قائد القوات الايطالية بطرابلس أما الجنرال (غرسياني) فقد كان القائد الاعلى للقوات المحتله وكان يغادر بنغازي يوميا على متن طائرة للاتصال بقواته الزاحفه ويرجع للعبيت فى بنغازى ومن بين الضباط الذين اشتركوا في الزحف على الكفرة الامير (الدوكادى ليوليا ابن عم ملك ايطاليا والذي كان نائبا عن الملك بالحبشه فوقع بين يدى القوات الانجليزية أسيرا) ثم الجنرال (زوبكيتي) - (الكونيل رويرتو لورى) - الماجور (جوزيبى بوسيلى) - الماجور (اركوكامبينى) الماجور (نيكولاردي) - الماجور (أورلاندولوريسينى) - الماجور (روللى) الكابتن (فابرى) عدا ضباط الحملة الطرابلسيه التى يرأسها الكونيل (فلينا)

مكتبة الكفره العظيمه

بمناسبة ذكرى احتلال الكفره نذكر شيئا عن مكتبتها العظيمة .

مما يؤلم القارىء ويحزن السامع ما عمله جيش الاحتلال بالمكتبه السنوسيه تلك المكتبه التى تعد ثروة علميه دونها كل ثراء ومفخرة دونها جميع المفاخر ، أخذ العساكر المحتلون يوزعونها ذات اليمين وذات الشمال ويرمون بهم الي الرياح لتعمل فيها عملها ويوقدون بها النار وقد كسيت جميع ارض الكفره وغطيت المبانى والاشجار بأوراق تلك الكتب الممزقة والمبعثرة وقد ذهبت الى الكفرة بعد الاحتلال بمدة أشهر لعمل تجارى ومن بين رفاقى من التجار الشيخ سليمان أبوحليقه والسيد السنوسى الاشهب وعمر الغويل البنغازي والمختار الهوني ومحمد على السكى المجبرى وغيرهم فرأينا ذلك رأي العين لاأقول عن ذلك بمجرد سماع أو أقاويل فكان ذلك المنظر محل استياء الجميع حتى أن بعض التجار تشاءم قائلا أن هذه المناظر لاتؤثر في نفوسنا فحسب ولكنها تؤثر في تجارتنا أيضا فبدلا من أن نزيد ربحا في تجارتنا فلا تنال الا خسارة . وما من عسكرى ايطالى أوصومالى أو وطنى الا وقد جاء بقسم

كبير من تلك الكتب ليهديه كتذكار لاشتراكه في هذا الفتح أو لبيعه فامتلات بذلك أسواق برقه وما بقي من ذلك جمعته ايطاليا وجاءت به الى بنغازى ولم نقف علي صحة عدد ماجاءت به ولكنها شحنت من ذلك أربعين (لوريا) كبيرا وقافلة من الابل لاتحمل الا كتبا فملات بها عدة غرف بقصر الحكومة فى بنغازى وهناك لعبت بها ايد الفساد فصار الطليان يأخذون منها مايروق لهم حمله الى ايطاليا وأخذ الكثير منها لعرضه باسواق أوربا فى المواسم الخاصة وكل عربى تمكن من الوصول الى تلك الغرف أخذ ماستطاع أخذه وعلم الله مامن محل ببرقه الاوفيه القليل أو الكثير من تلك الكتب وقد اسندت رقابتها الي أحد رجال الادارة الايطاليه مستعينا باحد أبناء البلاد وهو (علي أفندى السمين) فلم يحرم هنا منها عربى تمكن من الدخول اليها ظانا انه ينفذها من ايطاليا وقد سعى المرحوم اسماعيل كمال مدير الاوقاف الاسلاميه بطرابلس للحصول على إذن من حكومتها ليستجلب هذه المكتبة كامانة تكون بدائرة الأوقاف الاسلاميه فتحفظ وترتب وينتفع بها فلقى سعيه الفشل ثم سعى خلفه محمود بك المنتصر لنفس الغرض فلازمه الفشل ايضا واخفق ولما عين الدكتور علي العنيزى مديرا لادارة الاوقاف الاسلاميه ببنغازي بذل جهده لايداع هذه الثروة العظيمه بالاوقاف الاسلاميه خوفا من نقلها لايطاليا وقد ذهب جلها فلقي سعيه بعض النجاح ولازمه التوفيق وان كان متأخرا وعندما عين الاستاذ خليل افندى القلال بدلا من الدكتور على الذى نقل الى طرابلس سلمته ايطاليا مابقي منها فجاء بها الي دائرة الاوقاف وقد اخبرني حضرته ان العدد الذى وصل اليه من هذه المكتبه خمسة آلاف مجلد فى مختلف العلوم فبوشر فى ترتيبها وتنسيقها على الوجه اللايق وتم ترتيب ثلاثة آلاف مجلد بفهرسة خاصه وكانت من انفس الكتب القيمة والمتنوعة ووضعت فى صناديق خاصه لحفظها حيث حالة الحرب لاتسمح بنشرها واذا بالامر يصدر من ايطاليا لنقل المكتبه الى سلوق بحجة الخوف عليها من الحريق اثناء الغارات فامتنع الاستاذ خليل متجنبا أرسالها وخوفامن تعريضها للتلف فماطل وسوف ولكنه لم يوفق واذا بالسيارات تقف امام دائرة الاوقاف لنقلها فنقل منها ماتم ترتيبه وهو ثلاثة آلاف مجلد وامر بتحضير القسم الثانى ولكنه لم يرسل لانسحاب الطليان بسرعة فبقي هذا القسم بادارة الاقاف

وعدده مايقرب من الفين مجلد وهذا العدد قدعرض الآن بدائرة الاوقاف للمراجعين ومحبي الاطلاع وفي الحقيقة انه اثراث عظيم وثروة اسلاميه جليلة اوجدها السيد محمد الشنوسى وزادها وحافظ عليها بعده ابنه السيد محمد المهدى وشقيقه السيد محمد الشريف فجزاهم الله عن حسن صنيعهم ومجهودهم خيرا وبارك لمن سعى في حفظها واعتنى بها :

أما القسم الذى نقل الى سلوق مع الاسف الشديد فقد احرقه الطليان اثناء الانسحاب الاخير :

الاسلاك الشائكه

فى أواخر سنة ١٣٤٩ وبعد احتلال الكفره فى يناير سنة ١٩٣١ وضع الاهالي في المعتقلات شرع غرسيانى في مد الاسلاك الشائكه على طول الحدود المصريه الليبية كي يقف الدخول والخروج من والي هذين القطرين وجاء للعمل فى ذلك بشركات خاصه من ايطاليا تعهدت كل منها بقطعة من الارض ليتم العمل بسرعة تحت مهندسى وفنانى الحكومه الايطاليه وجيء بجميع الادوات الصناعيه الفنيه على مختلف أنواعها وأشكالها ثقيلة كانت أوخفيفة فمن ذلك مااستورد خصيصا من المانيا وجيء لهذا العمل بعشرات آلاف من العمال عدا الجنود الايطاليه وجعلت مراكز قوية محصنة على طول خط الحدود من البحر الى مابعد الجغبوب جنوبا وطولها هذا أكثر من ثلاثمايه كيلو مترا وتقع هذه النقاط على خط مستقيم من ناحية وينعرج من ناحية أخري ومن بين هذه النقاط العسكريه الملتسقه بالاسلاك الشائكه أو التى تقع شمالها وبالقرب منها نقطة (مساعد الشقه ـ بئر الغبي ـ قبر صالح ـ سيدى عمر ـ بير حكيم) وكثيرا غير ذلك وتتصل هذه النقاط ليلا ونهارا بالداوريات الاستطلاعيه استعدادا للضربه الاخيرة وغدت هذه النقاط ترابط هناك على طول الخط المحكم القوى ويبلغ عرض الشريط (الاسلاك الشائكه) أكثر من ثلاثة أمتار فاصبحت المسافه الواقعه من البحر شمالا الى الجغبوب جنوبا لايمكن الافلات منها فى جميع الاوقات ولا يمر أحد بتلك الجهات الا ويقع تحت نظر تلك القوات المرابطة ويستهدف للموت الزعام ويضاء هذا الخط على طوله

بالكهرباء ليلا واذا قدر في القليل النادر لاحدان يصل الي هذا الخط فيكون بين معركتين شديدتين احداهما محاولة اجتياز الخط الصعب والاخرى الدفاع عن نفسه ولم يخترق تلك الاسلاك الا افراد قليلون منهم الشيخ عبد الحميد العبار الذى لقى كل صعوبة وقاتل عند اجتيازه قتال المستميت وتمكن من الخلاص وذلك بعد وفاة السيد عمر المختار فكانت هذه الاسلاك الشائكه عاملا قويا فى القضاء على الحركه بالجبل لان المعسكرات كانت تبتاع مايلزمها من اسواق القطر المصرى وتبيع باسواقه ما تغنمه من الطليان ورغم انتقال الاهالى كان المجاهدون لايقاسون اتعابا كثيره من جهة المؤنه كما حصل بعد وضع الاسلاك الشائكه اذ كانوا يستجلبون مؤنهم وكساءهم من السـوم وكانت الحاله يومئذ لاتخلو من الخطر والاشتباك مع العدو الا ان بعض الشر أهون من بعض ، أما وجود هذا الحصار الشديد الذى لقى كل من كتب له اجتيازه من العناء والمشقه والعذاب الوانا وشاهد الموت جاثما أمامه فهو الضربة الشديدة التى نزلت بالمجاهدين ، وعند اتمامه وتكميله أخذت القوات الايطاليه المؤلفه من مختلف التشكيلات يضاف اليها الصوماليون وجنود الأرتريا والوطنيون الذين استجلبوا خصيصا من طرابلس وانحائها ومن برقه تهاجم المعسكرات المرة تلو الاخرى والفينة بعد الفينه فكانت تصيب المرمي حينا وتخطىء احيانا وما من نوع من أنواع الفتك الا وقد استعمل بالجبل كل هذا والمجاهدون صامدون لايحزنهم الفزع الاكبر وتتلقاهم المليئكه هذا يومكم الذين كنتم توعدون ، فلم يرهبهم هول المصاب واشتداد الحالة وكانوا يقضون جل أوقاتهم بدون أكل فيكتفون بأقل شيء يجدونه ولو من نبات الارض قائلين ناكل لنعيش كي نقاتل عدونا ولانعيش لنأكل فيأكلنا عدونا وكانت خيولهم تموت مما يأكلونه وهو حشايش الارض وكانوا يفرحون ويستبشرون بلقاء عدوهم لأنهم يغنمون الاسلحه التى يضربونه بها والمؤنة التى يقتاتون بها ورغم تحكيم هذا الخط المذكور فكر غرسيانى بعقليته السخيفة أن يشعل النار فى غابات الجبل كلها ان لم تفيده الاسلاك الشائكه لكي يبقى المجاهدون فى الفضاء ولكن القبض على السيد عمر المختار جعله يعدل عن فكرته .

القبض على السيد عمر المختار

فى أول شهر ربيع الثانى من سنة ١٣٥٠ هـ ركب السيد عمر المختار فى كوكبة من الفرسان ليتجول في جهة من المناطق التابعة للمعسكر واستغرقت مدة تجوله أكثر من أسبوعين ولكنه كان على صلة تامه بالمعسكر وكانت هذه الجولة برأى خاص من قواد المعسكر وفي مقدمتهم السيد يوسف أبى رحيل والشيخ عبد الحميد بك العبار وقد اتفقوا هؤلاء بصفة سرية علي أن يبتعد السيد عمر من المعسكر الذى أصبح هدفا للطليان بين عشية وضحاها وأن المعارك لا وقت لها فهي تكون من ساعة إلى أخرى ورأوا فيما ارتأوه من شيخوخة السيد عمر وضعفه أن يرفعوا له رأيهم بصفة لا يستطيع معها التمنع وهى أن يعهدوا له بجهة من الجهات يرابط فيها ويواصلهم بالمعلومات ، هذه الجهة التى عهدوا بها للسيد عمر تبعد عن متناول يد العدو ومحصنة بصفة لا بأس بها ولكنه كان لا يعلم بنوايا قومه من أنهم يريدون بعده عن الميدان فأخذ على عاتقه هذه المهمة ومعه من نخبة المجاهدين جماعة لا بأس بهم يتقدمهم الضابط المقدام بن قويرش أفندى البنغازى .

وصلت الاخبار للطليان بأن السيد عمر لم يكن بالمعسكر وأنه فى جهة ما فعهدوا إلى ستة أنفار تحت رياسة أحد الخونة للبحث عنه وتحديد المنطقة التى يوجد بها ، ذهب المكلفون بذلك وكانوا من الملمين بمسالك الجبل وأوعاره وطرقه السهلة وأوديته وبينما هم فى محل جالسين سمعوا صوتا متجها نحوهم كما سمعوا وطي حوافر الخيل على الحجر فاختفوا حتي إذا قرب منهم الصوت تحققوا إنها سرية من المجاهدين ومن بينها السيد عمر وسمعوا سمعاً واضحا ما كان يقرره السيد عمر ورفاقه من الاتجاهات التي يتخذها وطريقه التي يسلكها وأين يكون مبيتهم هذه الليلة وأين يكونوا طيلة نهار الغد وفى أي يوم يصلوا إلى المعسكر وهكذا تحقق أولئك الخونة ما كان ينتويه السيد عمر فأرسل رئيس عصابة السوء مسرعاً إلي الطليان بشخص من رفاقه بالمعلومات الكافية وحدد الاماكن الذى يجب أن تبادر إيطاليا إلي محاصرتها وبقى هو يتبع حركات السيد عمر

فاسرعت إيطاليا بارسال قوات عديدة من عدة مراكز إلى جهة معينة ، أخذت القوات تتزى على الاماكن المحددة فما شعر السيد عمر الا وقد أحيط من كل جانب وأن جميع المسالك التى يمكن معها المرور أصبحت فى أيدى العدو ، حاول السيد عمر أى يخرج ورفاقه ولكن أنى له وقد سدت أمامه جميع الطرق فحاول أن يجد مسلكا بالقوة ولكنه أخفق كما يقول العربى ببرقة (إذا جاء الاجل تغيب الدبارة) فلم يتمكن السيد عمر من الخروج عن الوادى الوعر الذي حوصر فيه ولم يتمكن من الحصول على محل يؤمن به خط الرجعة وينازل العدو فأما النجاة وأما الموت في الميدان ، رأى السيد عمر أن لابد من الاشتباك مع العدو داخل الوادى التي أصبحت جميع مسالكه فى يد العدو وكان موقف السيد عمر موقف ، المحاصر لان الاشتباك لا يفيد وأن الموقف موقف يأس ، اشتبك معهم فى معركة ليشق طريقه بالقوة قتل فيها الكثير من رفاقه ومن جيش العدو وشقوا فيها رفاقه طريقا بالقوة فتمكن الباقي من رفاق السيد عمر من الخروج تحت وابل الرصاص المنهمر وهنا أصيب السيد عمر بجراح في يديه كما أصيب فرسه الذي وقع به ومن الصدف السيئة حصلت يد السيد عمر الصحيحة تحت الفرس الذى وقع به وعليه في ءان واحد فلم يتمكن السيد عمر من النهوض ولا من عمل أى شيء لان يده المصابة لا تستطيع حراكا ويده الصحيحة وقع عليها الفرس فأصبحت مثل الاخرى أضف الى ذلك ضعفه من الاتعاب وشيخوخته ووقوعه بقوة على تلك الارض الصلبه الحجريه ولم يدكه يره الضابط بن قويرش حتى نادى فى رفاقه فعادوا ولكنهم لم يتمكنوا وهناك قتل الضابط الجرىء وبعض الرفاق وثب الجنود الايطاليون وبعض اذ نابهم من الخونه على السيد عمر كما تثب الذئاب الجائعه على الفريسة وبسرعة البرق شيع الخبر الى متصرف المرج (داود ياشي) الذى خف لرأيته والتحقق منه ثم نقل الي (سوسا) ليرسل الى بنغازى عن طريق البحر خوفا من تجمع المجاهدين لنقذه اذ لم يثق الايطاليون من أنفسهم برغم ماهم فيه من العدة والعدد ثم نقل من سوسا الى بنغازى فوصلها يوم السبت ٣٠ جمادى الاول وبقي بها الي يوم الثلاثاء ٣ جمادى الثانى .

غرسياني في ايطاليا

في اليوم الذي قبض فيه على السيد عمر وهو يوم ١١ سبتمبر ١٩٣١ كان الجنرال غرسياني في حدود ايطاليا مع فرنسا لمواصلة سفره الى هذه الاخيرة لقضاء أجازة بسيطة يرفه بها عن نفسه من عناء العمل الشاق الذي اغيه ولم يأت بنتيجة وكان غرسياني مستهدفا للدغات المرة والانتقادات الموجه اليه من بعض رجال ايطاليا السياسيين والعسكريين وقد كتبت عن ذلك الصحف الايطاليه الامر الذي دعي غرسياني الى أن يكتب في احدى كبريات الصحف الايطاليه بمقال تجاوز فيه الحد المألوف عند الكتاب مهما تهوروا وخالف العرف الانساني بتوجيه السب البذئ الى السنوسيه بوجه خاص والى عرب برقه بوجه عام الامر الذي اعتبره المستشرق الايطالي البروفسور (نللينو) انه يثير الشرق العربي والعالم الاسلامي مادامت هناك نخوة عربيه وشعور اسلامي فاراد أن يرد علي غرسياني مدافعا عن ايطاليا قبل أن يثور العرب والمسلمون فكتب في نفس الصحيفة مفنداً آراء وأقوال غرسياني محتجا عليه باسم الانسانية والاداب والحضارة التي يعتقد أن مصدرها روما كما قال وأخذ نللينو يدافع عن ايطاليا ليقال أن هذا القول وهذا الرأى هو قول ورأى غرسياني بصفته الشخصية لا أقل ولا أكثر كي لا يحمل العالم الاسلامي والعربي علي ايطاليا وليقول نللينو للعرب والمسلمين امسكوا عن ايطاليا ولا تحملوا عليها فان بها من يرد على قول هو في الحقيقة رأى خاص ، اتسعت شقة الخلاف بين الرجلين ووجد البروفسور نللينو من يؤيده لادفاعا عن برقة ولكن انتقاما من غرسياني لعداوات خاصة ومن بين المؤيدين الجنرال بو نجواني — كان في سنة ١٩٢٣ واليا بنغازى — الذي جاء خصيصا لبرقة أثناء الاعمال التي قام بها غرسياني قبل القبض على السيد عمر وكتب الى موسليني بتقرير سياسي منتقدا فيه خطة غرسياني ، وهناك كثير من اسلاف غرسياني الذين لا تهمهم الحقيقه ولا تهزهم العاطفه للعرب ولكن لحاجة في نفوسهم ومنهم الجنرال تروتي الذي كان من ولاة بنغازى قبل غرسياني والجنرال (مزتي) الذي كان في منصب غرسياني

العسكرى ببرقة سنة ١٩٢٧ .

دعت الحالة موسليني أن يتدخل في الموضوع فجمع بين الكاتبين بحضوره وبعد مناقشة طويلة حادة وصل الى التوفيق بينهما فارضى نللينو بأن غرسياني لن يعود إلى الكتابة فى مثل هذا الموضوع المشين بايطاليا فى رأيك وارضى غرسياني بأن نللينو لايواصل كتاباته ، ثم ان تقرير الجنرال بونجوانى الذى زار مندوبا عن موسليني جميع المدن والقرى البرقاوية والسجون والمعتقلات وقفل راجعا بتقرير مستفيض الامر الذى جعل موسليني غير مرتاح لخطة غرسياني لامن حيث الفتك بالعرب واتخاذ خطة الفناءلهم ولكن من اتلاف الاموال والنفقات الهائلة وتكليف الخزينة بمصروفات اثقلت كاهل الحكومة وعمر المختار لايزال هو عمر والمجاهدون لازالوا يشتتون الجيوش الايطاليه ويكيلون لها الضربات الواحدة تلو الاخرى ، اغتنم الجنرال تروتسى ورفيقه مزتي هذه المناسبة فاخذا هما الاخران يعملان لاظهار عجز غرسياني ولاحباط مركزه وللاول حظوة خاصة عند موسليني فكانت تقاريره تلاقي نوعا من القبول ولذلك تزحزح مركز غرسياني لولا تمسك الجنرال دى بونو وزير المستعمرات الذى رآى ان غرسياني كفؤا لما أسند اليه .

ذهب غرسياني كما قلنا للترفيه عن نفسه وليكتب فى خلوة مذكراته وما يتعلق بالانتقادات التى مابرحت توجه اليه والتى يخشى أن يستفحل أمرها فتزحزح مركزه ولكن الحظ له مكانه فى هذه الحياة وللحظ تأثير في كل مكان أقوى من تأثير العمل فمايشعر غرسياني الكئيب الا وقد وصلت اليه برقية تخبر بالقبض على السيد عمر فقفل راجعا إلى بنغازى وترك أجازته بفرنسا وبمجرد وصوله الي بنغازى علي متن طائرة خاصه خف الى ديوانه بقصر الحكومة وطلب توا حضور السيد عمر المختار فاجتمع معه وقد طلب السيد عمر كرسيا للجلوس حيث لايستطيع الوقوف وفى ذلك مافيه من التوبيخ والتأنيب لغرسياني الذى لم يكن له من الادب شيئا فلم يراع شيخوخة السيد عمر الذى كان بالامس ينازله منازلة الند للند ، اطلع غرسياني السيد عمر على نظارة (مرآة) للقراءة كانت للسيد عمر وقد تحصل عليها غرسياني فاحتفظ بها .

محاكمة السيد عمر وقتله

يوم ٧ سبتمبر سنة ١٩٣١ أحضر السيد عمر المختار مكبلا أمام محكمة عسكرية عقدت لمحاكمته الصوريه وقد تألفت من الكلونيل (ماربتوني) وعضوية (فرنشيسكو رومانو) ومازولى) وغيرهم وارتفعت المحكمة بعد دقائق من انعقادها ثم بعد نصف ساعه أعيدت وتلى الرئيس قرار المحكمة القاضى باعدامه شنقا فكان جواب ذلك الشيخ الوقوروالاسد المهصور وبكل ثبات وشجاعة ورباطة جأش (الحكم لله وحده) قال هذه الكلمة الخالدة بصوت قوى جوهري ملا صداه قاعة المحكمة بالرغم من ضعفه لشيخوخته ومرضه وكان ساطع المحياقوى الجنان مرتاح الضمير فلم يتزعزع ولا يتزحزح.

وها أنا ذا أذكر صيغة استجواب المحكمة للسيد عمر ورده .

هل أنت رئيس الثوار ضد ايطاليا ؟

نعم : أنا أحد رءساء المجاهدين لتحرير الوطن ولم أك ثائراً علي ايطاليا بالمعنى الذى تؤولون به كلمة (ثائر) فانها تقال لمن اعترف بسلطان ايطاليا وخضع ثم ثار .

هل حاربت الدولة وشهرت السلاح في وجه قوات ايطاليا واشتركت فى القتال اشتراكا فعليا ؟

نعم :

هل قتلت الجنود الذين وضعوا لحراسة العمال الايطاليين أو أمرت بقتلهم ؟

نعم :

هل أمرت بالغزو واشتركت فيه وهل أمرت بتحصيل الاعشار ؟

نعم :

هل قتلت الايطاليين الطيارين (بيانى وأوبر) ؟

كلا : وانما بعد القبض عليهما كاسرى أمرت ببقائهما في المعسكر لان دستورنا السماوى يأمرنا برعاية الاسرى وفي ذات يوم دارت معركة بين قواتنا وقواتكم فاغتنما الأسيران اشتغالنا بالمعركة وفرا فأمرهما الحارس بالوقوف ولما لم يمتثلا أرميا بالرصاص .

بعد هذه الاستجوابات وصدور حكم المحكمه الهزليه باعدامه تقرر أن يكون ذلك بمركز (سلوق) فجيء اليها بجميع المعتقلين السياسيين من مواقع (بنينه . برج شويليك . السجن الرئيسى بنغازى) ومختلف السجون ببرقه والجميع مكبل بالسلاسل كما جيء باكثر الاهالى من مختلف انحاء برقه ورءساء الادارات العسكريه والمدنيه والموظفين وكانت هناك بسلوق عدة أقسام من مختلف التشكيلات العسكريه شاهرين السلاح على العرب من كل جانب وكانت هناك قوة كبيرة من سلاح (الكرنيرى) محاطة بالشهيد الذى أخذ يتهلل وجهه بشرا وارتياحا للقضاء والقدر وأخذت الطائرات تحلق فى الجو وعندما صعد رحمه الله على درج المشنقه أخذ الايطاليون يستعملون الدفوف والضرب على الالات الجوفاء ليملؤ الفضاء صوتا كي لا يسمع أحد أى عبارة تصدر عن الشهيد أو أى كلمة يوجهها للحافين به من بنى قومه المكبلين وهناك أعمل فيه الجلاد حبل المظالم فصعدت روحه الطاهرة التى لم تمت وان تموت بل ارتفعت الى الملا الاعلي آمنة مطمئنه .

كان يظهر لجميع الرائين ان السيد عمر وصل الي المشنقه مكتوف اليدين وعلي ثغره ابتسامه الراضى ، تلك الابتسامة الطاهره التي كانت آخر عهده بهذا العالم (المغرور) تلك الابتسامه التى كانت بمثابة التحيه لابناء وطنه وكانت تبدو هذه التحيات تاره بالابتسام وطوراً بارسال النظر يمينا وشمالا وأخرى باهتزاز رأسه ولم يبد عليه أى تأثير ، هذا ماظهر للناظرين الذين لم يبعدوا عنه الا امتارا أما الملتصقين به فقد سمع بعضهم منه أنه لما صعد الى المشنقه كان يؤذن آذان الصلاه . وسمعت من أحد كبار الموظفين العرب وقتذاك قال . لما صعد الشهيد الي المشنقة كنت قريبا منها وبجانبي قائمقام سلوق (بزوش) فسمعته رحمه الله يقول (يايتها النفس المطمئنة) .

وفى الساعه التاسعه صباح ١٨ سبتمبر سنة ١٩٠١ فارقت روحه الطاهره جسده الكريم لتأخذ مكانها بين الابرار والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا

تأبين الشهيد

كان رحمه الله ينتظر هذه الساعة اذ لايتوارى عنه شبح الموت وان كان لايعلم كيف وأين يكون ولكنه كان يعمل جهد المستطاع ليكون في أرض الوطن وفى

ميدان القتال وهو يدافع عن عقيدته ووطنيته فكان دائما يقول كما عرف عنة (اللهم اجعل موتي في سبيل هذه القضيه المباركة) وكان يقول (اللهم أمتني على عقيدتي وطوع سادتي وأرزقني رضاهم) وكان يقول (لاأغادر هذا الوطن حتى الاقي وجه ربي والموت أقرب الي من كل شيء فاني أترقبه بالدقيقه :

كم من مرة طلب منه رحمه الله رفاقه أن يسافر الي مصر ولكنهم لا يستطيعون مصارحته بما يريدون وكان مرادهم ابعاده عن تلك الاتعاب والمشاق فكانوا يقولون له سافر الي مصر لتقابل سمو الامير وتشرح له عن الحالة وتعود بتعاليمه ويقولون له اذهب الى الحجاز عن طريق مصر لزيارة الامير أولائم تؤدي الفريضة وتتصل بالسيد احمد الشريف وتفصل له بالحجاز عن الحاله ولعلك تجد بمصر من زعماء الاسلام والعرب الخيرين معاونة لنا فاذهب لتجاهر أولئك بالامر الواقع فكان جوابه دائما (لن أذهب ولن أبرح هذه البقعه حتى يأتي رسل ربي وان ثواب الحج لا يفوق ثواب دفاعنا عن الوطن والدين والعقيدة) أن رفاقه الذين يطالبونه بهذا الطلب لاقصد لهم الا راحته هناك وانه عندما يصل الي مصر يمنعه سمو الامير من العوده شفقة بشيخوخته ولكن لا يستطيعون الافضاء له بذلك فكانت توسلاتهم اليه والتماساتهم هي ما أوضحناه وكلها ضاعت سدى لقد كتب له سمو الامير أكثر من مره يطلب منه الحضور الى مصر الراحه فيرد على سموه معتذراً وطالبا من سموه قبول العذر وكان آخر كتاب جاءه من سمو الامير يأمره فيه بعدم الولوج في ميادين القتال كما جاء في الكتاب (أن مخاطرتكم بانفسكم تذهب لاسامح الله بحياتكم وبذلك تكون خسارة لاتعوض وبصفتكم الفائد فالتقاليد لاتسمح لكم بذلك) وقد بعث سمو الامير بقسم من (الامقاص) الخاصة بقطع الاسلاك الشائكه ولكنه أثر البقاء بين رفاقه حتى وافاه الاجل المحتوم ونفذ فيه ماقدره مالك الملكوت جل شأنه .

لايفوتني أن أذكر هذه الحكايه الاتيه لحرصي على أن لاأترك كل ماوصل الى وتحققت صحته للتاريخ ، عندما نقل السيد عمر المختار وأمرت الحكومه بنقله الى بنغازي فقد عهدت بذلك الى قائمقام سلوق (الكولير بتروش) فجيء بسيارة لنقله وأمر القائمقام المكلف الحاضرين بقوله (ارفعوا هذه الجيفه الى السياره) وكان حاضر مدير

سلوق وقتذاك الـكيلاني عبدالسلام الضريريط الذى عرف بالاخلاص لايطاليا كامثاله الذين يظهرون ذلك لما يحتمه الموقف والله يعلم ماتكنه صدورهم فاستاء الـكيلانى للعبارة القذره التي فاه بها بتروش ومن المعرروف أيضا عن الـكيلاني أنه لا يخش أحدا من كبار الطليان فيما يتراءى له من قول ويعتقدون ذلك صراحة منه فقال للقائمقام (نحن اليوم اموات والمثل عندنا يقول — الضرب فى الميت حرام — فلا يمكن أن نجرح عواطفنا اكثر مما جيتم به ويكفي مانحن فيه ، هذه الحيفه كما عبرت عنها بالامس كانت أسد يرهب الجميع بمجرد ذكر اسمه وبالامس كنت اشد ممن يترددون له ويتقربون اليه لما كان فى موقفه ، أما اليوم وقد اصبح في خبر كان فلا يصح لك ان تظهر جراءة كانت بلامس لم تذكر)

حزنت البلاد من أقصاها الى أقصاها لما جاءت به (المدينه الرومانية الغربية)من الوحشية انسكراء والهمجية السوداءوقد أقدمت عليهما ايطاليا غيرمبالية بنقدالناقدين وقول القائلين وزعمت انها بحشدها للـكثير من الامة البرقاوية يوم قتل الشهيد بسلوق انها ترهب الامة وتنزل بها الرعب ولم تدر أنها اساءت لنفسها قبل أن تسيء للامة وانها سجلت عاراً لمدينها الرومانية التي تتبجح بها وخلدت ذكرى يوم يبقي ماثل فى سويداء كل فرد من افراد الامة ولن ينسى بمرور الزمان وكر الجديدان :

يا ويحهم نصبوا منارا من دم يوحى الى جيل الغد البغضاء

لطخت ايطاليا بعملها الوحشى وجه المدينة التى كانت تدعى انها من انصارها بل وتدعي اكثر من ذلك فتقول انها مصدر المدنيات — وهكذا تتمشدق ، لقد ساهمت البلاد الاسلامية والاقطار العربية فى الحزن الذى حزنته برقه وشاركتها فى مصابها فؤقيمت المآتم فى كل من الشام والعراق ومصر وتونس وسميت به والفرق الرياضية والفرق الـكشافة فى كثير من تلك البلاد واقيمت صلاة الغائب علي روحه الطاهرة وابنة الـكتاب وكتبت كبريات الصحف الشرقية منددة بما فعلت ايطاليا .ودفن رحمه الله تعالي بمدينة بنغازي داخل مقبرة (سيدى عبيد) وكان قبره مجهولا الا عند بعض الخواص الذين مابرحوا يزورونه خلسة وفي أى مناسبة تكون للذكري والعبرة ، ومحالة وقد زاره الاستاذ تيسير ضبيان الـكيلاني عندما زار بنغازى سنة ١٩٣٨ تلك الزيارة التي كانت بدعوى من ايطاليا

لتصطلح معه كي ينقض من الكتابة ضدها كما سبق له ولكنه لم يسافر من طرابلس حتى اتسعت شقة الخلاف بينه وبين (بالبو) فقفل راجعاً وكانت الاشاعة المتواترة بين الناس أن الطليان سيغتالونه داخل حدود برقه خوفا من قلمه ولسانه حيث تشعب الخلاف بينه وبين بالبو ولاداعى لشرح ذلك الا ان الشيء بالشيء يذكر :

فى اثناء زيارة ضباط لبنغازى اغتنم بعض الشباب هذه الفرصة بعد ان تحققت لهم نواياه وطلبو اليه ان يزور قبر عمر المختار فذهب معهم وجميعهم متشكرا واخذ صورة لمقر شهيدنا الاخير : وبعد الاحتلال البريطاني لبرقه اشهر العرب ضريح فقيدهم ويزار الان وتقام الذكري السنوية لوفاته في جميع انحاء القطر واطلق اسمه علي اكبر شارع بنغازى — هو شارع الجنرال بريسكولا سابقا — كما سميت به شوارع اخرى فى المدن البرقاوية ولا زالت الامة تحفظ لهذا الشهيد العظيم اطيب واسمي الذكريات مخلدة له تاريخ الابطال فتخلق المناسبات للاشادة بذكره ولاظهار شعورها نحوه مهما كانت نوع المناسبة ولقد رثاه الكثير من شعراء اللغة العربية فى مصر وتونس وغيرهما من بلاد العرب كما انبه شعراء البادية باللغة الشعبية ولحكم الظروف كانت مراثي بدو برقه مطامسة الالفاظ ولا تخلو من اللغز المبهوم عند من لا يعرف اشعارهم وكان رثاءهم فيه بالمناسبات المختلفة فتاره يكون رثاؤهم له بمناسبة موت اى شخص ولو كانت شخصيته مجهولة فيكون عمر فى تلك الشخصية العادية ولكن المعانى ظاهرة ولن تخفى علي من لهم بالشعر البدوى المام مهما حاول قائلها الاخفاء تجنبا للعقاب الاليم فانظر مثلا الى قول احد الشعراء من قصيدة في ظرف مشابه ويخبر عن السبب الذى جعل النساء يبكين:(فاقدات (الشايب): اللي قبل قائمقام (النائب)

ويقصد بالشائب عمر المختار وبالنائب السيد احمد الشريف نائب الخليفة .

ويقول المرحوم عبد السلام باشا الكزة راداً علي بيت قاله حمد باشا الباسل يرثي عمر المختار ولم أتذكر قول حمد باشا الا ان رد عبد السلام كان على رويه وورنه :

نلقن العزافيه راع التليل عناقيد خيل ف أول (طوابير) دايرات سيل

فراسين في يوم الرحيل فكاكت النار أطوال العنى يوم ضرب العيار

هذيك هى اللى خير من قول قيل أنجل الغيار أبيرا قلب م الفيض رايح دمار

فقا الشيخ الفضيل المهشهش

نلقن العزافيه ركاب تمح النبات لو بكا بنات ولاهن حجج ف ورق (بايزات)

حقه (طوابير) متزمات ايجنه اصدار ف القايلا عز وسط النهار

أيقبن (بكوماندا) دازات أبديرن نهار ماعمر اطرى فى حرب صار

ومن هذا النوع كثير وقد أبدع الشعراء .

وقد رثاه الشاب البنغازى (الصغير) وقتذاك وهو بالمدرسة الايطاليه محمود افندى مخلوف بقصيدة كانت من شعور ذلك الشاب الصغير مطلعها

ما أنت ياعمر باول ميت ظلما به قد جاء الاستعمار

بعد موت السيد عمر المختار بسنة على وجه التقريب أخذت ايطاليا تزكم سبيل قبايل المنفى والقطعان وأهل الجغبوب وأهل حاضرتى بنغازى ودرنه من المعتقلات وذلك في أوايل سنة ١٩٣٣ ثم سرحت بعض قبائل العبيدات من العقيله والبريقه وقد حددت لهم مناطق لايتعددها ثم بوشر فى تسريح معتقلي المقرون وسلوق تدريجيا وتحت قيود ثقيله دفعة بعد أخرى وهكذا قد تم نقلهم الي الاماكن المحددة لهم ثم جيء بالاخوان السنوسيين الذين كانوا قد نفوا الى ايطاليا وهم السادة : عمران السكورى ، الحسن الغمارى ، رافع بدر فركاش ، الامين المرتضى فركاش ، محمد أبو فارس ، أحمد عبد القادر فركاش ، حميده العلمى الغمارى ، عبدالمالك الموهوب ، مصطفي الساقزلي ، عبد الرحمن العجال ، على أبوشو الاوجلى ، عبدالعزيز العيساوى ، هديوه الغمارى ، مصطفي الدردفي ، احميده بن اسماعيل ، صالح المرتضي العزياني ، وفى مقدمتهم السيد الحسن الخطابي السنوسى وهناك الكثير من الاخوان كانوا في سجون برقه وعندما تم جمعهم أمروا بالبقاء فى بنغازى حتى يصل أعيان مدينة بنغازي من المنفى وهم السادة : حسين باشا بسكرى ، حسين باشا كويرى ، الحاج محمد ابراهيم منينه ، محمد أبو زيد ، صالح بك المهدوى ، ـ هذا سبق رفاقه في الوصول الي بنغازى ـ محمد السنوسى الساقزلي ، عبد الله أبو العون . عبدالسميع العبار وغيرهم ممن لم تحضرني أسماؤهم وعندما تكامل جميع المعتقلون سيقوا الى قاعه المحكمه العسكريه وهناك خطب فيهم غرسياني متوعدا ومتهددا وكم تطاول مفتخرا

بالقضاء على عمر المختار وأظهر استعداده للقضاء على كل من تحدثه نفسه بما كسته واتقاد سيرته وعندئذ أمر كل فرد من أولئك المعتقلين أن يذهب الى محل اقامته وان لا يغادره الي مكان فترك سبيلهم لا يختلف وسجنهم الذى كانوا به وقد اصبحوا فقراء بكل ماتشتمل عليه كلمة الفقر ولا يمكنهم مزاولة أى عمل ـ أين يكون العمل في بلاد اصبحت قاعا صفصفا لا مزرعاً فيها ولا حيوان ولا عنصر من العناصر التي تقوم عليها الحياه ـ أما الاهالى الذين كانو فى المعتقلات فقد خرجوا حفاة عراة لا يلوون على أي شيء إذ ضاعت جميع حيواناتهم وأموالهم وان الارض الصالحة للزراعة والتى يمكن استغلالها أصبحت في أيد الايطاليين الذين احتكروها ـ حقا حياة الذمنها الموت ـ .

أخذت ايطاليا فى فرض سلطانها الغاشم الذى ماجاءت لهذه البلاد الا لفرضه ولكنها كانت مشغوله عنه بالحرب فلم تتمكن من بسطه على وجه الذى تريده تماما وكاملا الا بعد القضاء على الحركه الوطنيه فاصبحت بعد طليقة حرة تفعل ماشاءت ثم أعلنت الحرب الاقتصادية كما فصلناه فى غير هذا المكان وجاءت بالشركات الايطالية لاستغلال منتوجات البلاد واستئصال مابقي من حياة الامة واحتكار كل عمل يجعل الوطنيين يشعرون بشبه الحياة الشكليه وكان قلم التجارة ملكا خاصا بالايطاليين لاينازعهم فيها منازع اللهم الا انفار قليلون من العرب وكانوا دائما تحت رحمة هذه الشركات . أما قلم الزراعة فلا يشارك الايطاليين فيه مشارك ، وقسم تنمية المواشي فهو نصيب خاص بهم لايمكن مزاحمتهم فيه وجميع الوظائف الحكومية هي حق من حقوق أبناء ايطاليا الا ماتفه منها وليتها لذوى الكفاءة «١» ولكنهم جاءوا بالطبقة الملائمه لهم والتى تعداداة للفساد فاسندوا اليها مازاد على الطليان من الوظائف ـ لا تكران هناك البعض من خيرة أبناء الشعب أسندت لهم بعض الوظائف ولكنهم لايستطيعون عملا ما بجانب الايطاليين والطبقه الملائمه لهم ـ وقد أعلنت هذه الطبقه المشار اليها حربا شعواء على أبناء جنسها غير الحروب التى ذكرناها وعلى هذا المنوال قدر للشعب

«١» مما جاء فى تقرير البروفسور كبانى الذي ذكرنا شيئا منه هنا وقد كتبه لمتصرفيه بنغازى بتاريخ ٢٣ أغسطس سنة ١٩٤١ تحت رقم ٤٠٩٩٤٣ جاء منه في الفقرة الثالثه (موظفين أهليين لاقيمه لهم الى أن يقول وأشر من ذلك .

الاعزل المنكود أن يبقي فريسة بين مخالب الوحشيه الفاشيه لايبدى حراكا ولا يسمع منه الا الأنين ولا عدة له غير الصبر والتربص لوقت الوثوب واثقـا من زوال دولة الظلم مهما طال بها المطـال اعتماداً على القول المأثور (ان الله يملي للظالم حتي إذا أخذه لم يهمله ـ والله يمهل ولا يهمل) تحت عنوان تأبين الشهيد جئنا بمـا لا يتفق مع العنوان ولـكنها أشياء جاءت في طريقي وأنا استعرض الحالة بعد قتله فلم أجد بدا من ذكرها، وقد رثاه الـكثير من الشعراء فى الشرق العربي كأمير الشعراء أحمد بك شوقى وشاعر النيل حافظ بك إبراهيم وشاعر القطرين خليل بك مطران والـكثير من شعراء اللغه العربيه الفصحى والشعبيه :

وقد رثاه الشاعر الـكبير التونسى الاستاذ محمود أبورقيقه بقصيدة خالده .

وفى سنة ١٩٤٢ وأنا إذ ذاك بمصر قرر بعض الوطنيون أن يقيموا حفلة تأبين بمناسبة الذكري لوفاة الشهيد وكنت تعرفت الى استاذ مصرى معلم بمدرسة للمكفوفين ـ بقصر للمكفوفين بمغاغه ـ ولم نعلم أنه يقول الشعر فـكتبت له كتابا من مصر أرجوه الحضور وأخبرته عن عزمنا ـ لم يتم ماأردناه لاسباب خاصه ـ فوصلني منـه القصيده الآتيه مع إعتذار لعدم تمكنه من الحضور وها أنا ذا أذكر منها شيئا على علاقها :

ذكرى بها ألم النفوس دفين ... وأسى له صلد الصخور يلين
وسقام شعب فى رفاة ضحية ... ونداء قطر بالفلاة سجين
ودموع ثـكلى من دم اذ راعها ... سفاح روما والرحاب أمين
صاحت على بعل يساق مكبلا ... إذ قال عرضي والحمى والدين

ومنها : فارتاع شعب أعزل لـكنما ... فى كل ركن فى البلاد عرين
من واحت (الجغبوب) قامت أسرة ... بالله يربطها هدى ويقين
بيت الامارة والمهابة والتقي ... والعزم ماجدت هناك شؤون
فاسطفت الابطال تحت لوائها ... وتجرد الهندى والمسنون
والسيد المهدى يذكي نارها ... بالحزم والاقدام ضل يبين
يستنهض الفرسان فى ساحاتها ... والشعب منقاد له ورهين

يستعذبون الموت في أرضائها ... في حب (برقه) يضحك المطعون
عشرون عاما في الجهاد بهمة ... لم تكتحل فيها المنام جفون
صبرا لالى فتحوا ممالك قيصر ... وتسوروا الايوان وهو حصين
لو كان للاسلام سالف عهده ... والجار للجار الضعيف معين
مابات أبطال الجهاد على الطوى ... يستنجدون (الشرق) وهو ضنين
يالهف نفسى كيف سار بغله ؟ ... من كان للسرج الرهيب يزين
(عمر ابن مختار) الشهيد و من له ... في كل قلب موطن وحنين
فختامه يحكى نهاية (جعفر) ... حتي جلي لى فيها التباين «١»
عيناه قد رأت الحصان مجندلا ... والجو أطبق والرصاص هتون
والسيف فى اليمنى وان قطعت نما ... يلقيه حتي أن يحين الحين
من كان لله القدير جهاده ... والحق يعلم أنه المغبون
لايلتوى عن عزمه والموت فى ... حبل المشانق جائم مرهون
ومنها : مارد الا حيث قال قضاتهم ... (نعم) وفي الصوت الجهور رنين (٢)
فاضت على حبل المظالم روحه ... والله قدر ما عليه تكون
نفس الشهيد وقد تولى صقلها ... شيخ على (مهد المعز) حنون (٣)
(دار السنوسى) لفت اشباهها ... موت المعز بالكماة قمين (٤)

---

(١) هو جعفر بن طالب رضى الله عنه ولقد كان لشهيدنا عمر المختار فيه أسوة حسنة فكلاهما قاتل الروم فقتل حصان عمر المختار وأصيب بجراح ، أما جعفر فكان فى جيش زيد فلما استشهد زيد تلقف جعفر الرايه وانطلق يقاتل بها ولما لم يجد مفراً من الاسر عقر فرسه كي لا ينتفع بها العدو حتى قطعت يمينه ثم شماله فاحتضن راية النبيء بعضديه حتى جاءه رومي فضربه ضربة قطعته نصفين .

«٢» كان جواب السيدعمر بالمحكمه التى عقدت لحاكمته كلمة (نعم) عند كل سؤال يوجه اليه بصوت القوى المؤمن بأن الجنة تحت ظلال السيوف .

«٣» مهدالمعز رمز لموطن الدولة الفاطميه بالمغرب (٤) المقصود بدار السنوسي المعهد الجغبوبى يقصد برب الدار صاحب السمو الاميرالجليل السيد ادريس المهدى السنوسى حفظه الله .

فالصبر ياشعب الجهاد فضيلة ... يامرسل الشكوى وأنت حزين
لازال رب الدار لديار ابضا ... ان غاب عنها ليس عنك يبين
لازال (ادريس) الوفي بعهدكم ... والحر للعهد النزيه يصون
لازال يسعى للخلاص بفتيه ... منكم وقد سهرت عليه عيون

كلمة اجمالية

أن برقه التى كانت فى حروب متوالية ومتنوعه من سنة ١٩١١ حتي سنة ١٩٣١ مع ايطاليا ابتدأت فى حروب أخري أشد قسوة وعنفا من سابقتها ، كانت هذه الحرب الثانية فى تعبيرنا بخلاف ماكانت عليه الحروب الاولي وكان التباين ظاهرا والفرق ملموساً لان البلاد كانت ازآء الحرب الاولي مسلحة وكانت تدافع وتدفع وتهاجم فتكر مرة وتفر أخرى بحسب مقتضيات الاحوال فلم تضعفها قوة العدو ولم تركن للطيفان ولم تستسلم للجور ولم ترهب بشتى وسائل الفتك الحديثه والتنكيل بل كانت تنازل عدوها منازلة الند للند ، أما فى هذه الحرب الثانيه التى أعلنها الفاشيون للقضآء علي القوميه واللغة والدين والشعور كما قضوا على الحركة العسكريه فاعدوا العدة لهذه الحرب الثانية بجميع وسائل المحو والفنا وكانت البلاد عزلاء مجردة من كل مادة تمكنها من الدفاع عن نفسها ولو دفاعا سلبيا والذودعن حياضها حسبما تفرضه الشرائع السماوية أو القوانين الوضعيه التى كان مصدرها العقل والمنطق وتقره الانسانيه في كل زمان ومكان وخصوصا في الزمان الذى يعبرون عنه بزمان العلم والتقدم الانسانى .

أصبحت البلاد لاتبدى ولاتعيد ترزح تحت ثقل القيود وتئن تحت وطأة الاثقال لامن يفكر فى أمرها ولا من يسمع صوتها ولا من ينظر اليها وبالرغم من كل هذا فقد كان لديها سلاح واحد لازالت الامة تحتفظ به وتحافظ عليه ، هذا السلاح الفتاك القوي هو الروح فكان هذا السلاح هو مفخرة الامة التى تفاخر به وتعده للمستقبل

القريب أو البعيد فلا يكن القضاء عليه ولا تصل اليه يدمها تطاولت ولا يفل بتتابع الكوارث .

هوجمت الامه فى جميع النواحي السياسيه والاجتماعيه والدينيه والثقافيه والاقتصاديه والقوميه ولكنها بقت محتفظه بهذه الروح المحصنة القويه وذلك الايمان الثابت والصبر الذى لا يضعف ولن يبلي وقد ضعف أمامه الدهر وبلى ، مما لا يشك فى صحته انسان ولا يختلف فيه اثنان هو أن الظلم لا يدوم معه ملك وان هذا السلطان الايطالى المؤسس علي شفاجرف من الجور والاستبداد ستنهار دعائمه وتتقوض أركانه وسيخر الى الحفيض غير مبكى عليه في يوم من الايام وما ذلك اليوم ببعيد وسيظهر الحق عالى الرأس مهما طأطأه أمام القوة وأخفته العاصفة البربريه وستخفق الويه العدل مؤيدة بجبروت مالك الملك مذل الطغاة وقاهر العتاة رب الارض والسموات . هذا هو السلاح الوحيد الذي يتسلح به كل فرد من أفراد الامة معتز به وهو السلاح الذى لا يفل ولم تعمل فيه القوة .

كان التباين بين الغالب والمغلوب واختلاف وجهة النظر أمراً ظاهراً فى كل شيء فالضعيف لا يعرف للحق موطناً لانه ضعيف والقوى لا يعرف للحق موطنا لانه قوى والقوة كما يتصورها الغربيون فوق الحق وبين القوة والضعف قبر الحق وكبر عليه أربعاً ولسانه يقول ويل للضعيف من سلاح الاقوياء وهو الماده وويل للقوى من سلاح الضعفاء وهو الروح وهذا أقوى سلاح عرفه التاريخ ، أصبحت البلاد تبكى وتستبكي لو لم تكن قلوب السامعين صخريه ، كما أصبحت جاثمه على ركبتها الهزيلتين لاحول لها ولاقوه ومع هذا كله أصبح يقول عنها بعض الاجانب من الشرقيين والغربيين أنها فى تقدم مطرد ورقى مستمر ويقولون بنهما أن الحياة سائرة الى الامام فهذه المدارس وهذه المساجد وهذه الاسواق وهذه الطرق المعبده وهذه العمارات الشاهقه تبشر بخير وهذا وذاك من جميع مايراه الناظر بنظرة خاطفه ونحن نتسآل كيف ان هذا القائل قال بمجرد النظر الخاطف فحكم به ؟ أم يأتى بحث ونقب ودرس وسأل فكان حكمه بعد التمحيص ؟ أم غرته المناظر والمظاهر فاسرع بحكمه الخاطف مستمدا حيثيات هذا الحكم من النظر الخاطف وهذه هى الحقيقة لانه لا يستطيع أن يقول حكمت بعد

الدرس واذن فجوا بناله ماقاله أمير الشعراء أحمد بك شوقى .

لاتأخذن من الامور بظاهر ان الظواهر تخدع الرائينا

والى جانب هذا الجواب الخاطف نجيب أيضا أجابة عن بحث وتنقيب ودرس وتريث فى حكمه وفكر قبل أن يحكم : صحيح أن هذه الاشياء الذي سبق ذكرها موجودة ومتوفرة وموجود غيرها ومتوفر مما يلفت النظر أكثر ويجعل الرآءي أشد تعجبا وان أهل مكة كما قيل أدرى بشعبا بها ورب البيت أعلم ما فيه :

انتشرت المدارس وبالاخص أخيرا فى جميع انحاء القطر حتى لاتكاد تخلو منها قرية فضلا عن المدن ولكن لالمصلحة الوطنيين ولا لدراسة العلوم وتهيئة النشأ لميدان الحياة ولا لحفظ اللغة العربيه من الضياع بل هى حربا شعواء عليها ولا لدراسة العلوم الدينيه والتاريخ ولا للصنائع ، كلا فهى أسست من أجل القضاء على ماذكرنا ولمحاربة الكتاتيب القرآنيه والمعاهد العلميه والتعليم الخارجى ولمنع الذين يسعون لتسفير أولادهم للمدارس أو الجامعات والمعاهد الشرقيه ومن برامج هذه المدارس وهو البرنامج الوحيد تعليم اللغه الايطاليه ولكن على شرط عدم التبحر فيها والمهم دراسة المبدأ الفاشيتى وتاريخ مؤسسه والمبالغة فيه وفى عظمته وجبروته حتى قيل أنه من يستطيع كتابة إسم الزعيم (الدوشى) يعد ناجحاً من فصل الي آخر أما تعليم اللغه العربيه فلا أساس له بهذه المدارس ويكفى أن هذه المدارس هى ابتدائيه فقط وهى أقل فى مستواها عن المدارس التحضيريه في مصر وغيرها ولا يتعلم النشأ أكثر من حروف الهجاء للغة العربيه لانها لم تكن شرط بهذه المدارس وقد كنت بنفسى منتسبا للمعارف مابين سنة ١٩٣٠ الى ١٩٣٦ فكنت بمدرسة جدابيه التى تعد في طليعة المدارس ثم نقلت باختيار المعارف الى مدرسة العقيله عندما كان بها المعتقلون من العرب وكان معى أربعة من الوطنيين لتعليم اللغة العربيه وثلاث من الايطاليين أحدهم مدير المدرسة التى لايقل عدد تلاميذها عن ثلاثماية تلميذ ثم ضعف هذا العدد حتى وصل الى خمسه وستين فنقل جميع المعلمين وعهد الى بنظارة تلك المدرسة وأخيرا انتقلت الى الزويتينه وكنت ناظر مدرستها وطبعا أنى اتلقى التعاليم والبرامج من نظارة المعارف فكنت أعلم الكثير عن ذلك وفوق كل ذى علم عليم ، كنت أبعث ببرامج خاصة لتصديقها من المعارف كي

أسير عليها حيث لم تصلنا تعاليم منها فكنت أتلقى الامر برفضها حينا وأحيانا لم تعد لا بالسلب ولا بالايجاب حتى تنتهى السنه الدراسيه وطوراً تعاد بعد أن يضرب على جلها وكثير من المعلمين فصلوا من وظائفهم لالأى ذنب اقترفوه الالانهم يغذون النشأ بلغتم العربيه ومبادى علوم الدين والتاريخ وهؤلاء كثيرون اذكر منهم عبدالرزاق أفندى شقلوف الذى فصل من مدرسة سلوق وحسن أفندى عبيده الذى فصل من مدرسة جالو ويونس أفندي الذى عزل من مدرسة الابار فيختلقون لمثل هؤلاء أسبابا تبعدهم عن المدارس . واذكر أنه في سنة ١٩٣٠ أرادت نظارة المعارف تعيين معلمين للمدارس فأعلنت عن ذلك بالجريدة الرسميه وحددت موعداً لاجراء الامتحان فتقدم عدد كبير من خيرة المتعلمين والفت لجنة الامتحان من فضيلة قاض بنغازى وقتذاك العلامة السيد محمود بن مسعود رئس ثاني وعضوية الاستاذ الاديب مصطفى أدريزه والاستاذ الحاج السنوسى المرتضى ورياسته احدي المعلمات الايطاليات بزعم أنها تجيد اللغة العربيه وقدمت أوراق للطالبين تحمل اسماء العلوم التي سيجرى الامتحان فيها فكانت والحق يقال محل الاعجاب حتى أن كل من لم يأنس في نفسه الكفاءة تأخر عن الحضور وكان الاعضاء المذكورين لاهم لهم الا النظر بأعينهم والسماع باذانهم فقامت الرئيسه الى (السبوره) لتكتب سؤالا الى الممتحنين كي يجيبوا عنه وبدلا من أن تكتب هذه الكلمة (المكاتب) كتبتها هكذا (المكاتيب) فقام لها أحد الممتحنين وهو الاستاذ محمد أفندى فلاق سائلا بقوله أن المكاتب والمكاتيب كلمتان لكل منهامعناها وليس هما كلمة واحدة والمفهوم من نفس الموضوع أن المقصودمن الكلمة (المكاتب) فتكون هذه الياء زيادة فى الكلمة وعندها غضبت الرئيسه وحرمت المذكور من قبوله في الامتحان كل ذلك وحضرات الاعضاء في حياد تام فتبين للحاضرين ان نجاحهم من تحصيل الحاصل وفعلا كل من كان جاهلا أو تجاهل قصدا كان نصيبه النجاح وكل من هو كان متعلما سقط سقوطاً فظيعا .

أما الإمتحانات التي تجرى للتلاميذ آخر السنه المدرسيه تنحصر فى تحصيلهم الايطالي فقط وهذه الدروس لاتتعدي معرفة حروف الهجاء الايطاليه وبعض الارقام الحسابيه ومعرفه اسماء رجال الحكومة وعلى رأسهم الزعيم والملك واسماء مدن ايطاليا وهكذا

أما اللغة العربيه التى تدرس أحيانا لا يستغل التلميذ عنها . ولا توجد بالبلاد مدرسة ثانويه لغير أبناء الطليان كما لا توجد مدارس عليا أو كليات ولا توجد مدارس صناعية الا مدرسة واحدة في بنغازى محدودة ومقيدة ومن اراد السفر لايطاليا علي سبيل الدراسة تخلق له جميع العراقيل وتوضع فى طريقه جميع الاوحال وفي الحقيقه أن الرغبة فى ذلك حد قليلة ، أما الدراسة فى الاقطار العربية فتكاد تكون من المستحيل والعمل جار بكل جد واهتمام لاستحالتها الهم الا انفارا قليلون تحملوا كل الصعوبات واجتازوا تلك العقبات وقاسوا أنواع العذاب لانتساب أبنائهم الي الازهر الشريف وهناك يكونون تحت الرقابة الفنصليه متى تراءى لها سفراى طالب الى بلاده سفرته قهرا وبين هؤلاء الطلاب الذين كانوا بالازهر تكون الدسائس ومن يواصل منهم دراسته بالازهر يكون على مضض من ضيق العيش لان أولياء الطلاب لايستطيعون ارسال المبالغ الكافيه لاولادهم :

أما عناية ايطاليا بتأثيث المدارس وتنسيقها وزخرفتها وتحضير الادوات المدرسيه ما لم تتمكن من الكتب فهذا شيء حدث عنه بملء فيك ومن الادوات التى تحضر بالمدارس ما يكاد يكون أحيانا مفقودا في أكبر مدارس الشرق وبالاختصار فان عناية ايطاليا بالمدارس التى نشرتها فى برقه كان الغرض منها بث الروح الفاشيسيه واستئصال الروح العربيه التي لم تمت .

عدد المدارس الابتدائيه فى برقه .

٥ مدارس بنغازى ٣ للذكور من أبناء المسلمين وواحدة للبنات وأخرى للصنائع عدا المدارس الخاصه بابناء الطليان ومدرسة أبناء اليهود .

٢ بالبركه واحدة للذكور والاخرى للبنات

وبكل من جدابيه — العقيله — البريقه — مراده — جالو — أوجله — الكفره الزويتينه — المقرون قمبس — سلوق — القوارشه — الكويفيه — سيدى خليفه — دريانه — المرج جردس طلميثه — الابار — البيضاء — شحات — سوسه — القبه — مرتوبه — أم الرزم — طبرق باردیه بكل من هذه المدن والقرى المذكوره مدرسة وفى درنه مدرستين واحدة للذكور والثانيه للبنات فيكون مجموع المدارس ٣٧ مدرسة

(٣) أما تشييد أو تدعيم المساجد من قبل ايطاليا فكان للدعاية فقط ولارضاء العالم الاسلامى الذى يرضى بمثل هذه الا لاعيب وليقال ان الحكومة الايطاليه معتنية بالناحية الدينيه أوعلي الاقل تحترمها وكانا نسينا قوله تعالى (إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله) وقد أدى الغرور بزعيم ايطاليا حتي أنه أضفى على نفسه لقب حامي الاسلام ونسى أن الاسلام لايحميه الا أهله ولولا الدعاية الجوفاء لما تكلفت ايطاليا بناء المساجد فى المحال التي لا يسكنها أحد ولا يؤتى اليها كذينك المسجدين اللذين بنتهما بمرسى البريقه والعقيله هاتين القريتين اللتين لايتجاوز سكان كل منها عشره أشخاص غير دائمين أما في المدن الكبيرة والاهلة بالسكان فكانت كل مساجدها قديمة وتقوم بترميمها إدارة الاوقاف ويقوم بذلك بعض الخيرين وهناك مساجد أخرى أقامها أصحاب الفضل فرادى وجماعات ولو كانت ايطاليا تعتني حقا بهذه الناحيه (الدينيه) وتحترمها ارضاء للعالم الاسلامى كما تريد لما إتخذت المسجد السنوسي باجدابيه (فرنا) لاحضار الخبز الى جنودها ثم بعد ذلك اتخذته مخزنا (للحشايش) (التبن) التى تمون بها البغال ولازال الى وقت كتابة هذه السطور خربا وبه آثار ماكان مستعملا لاجله ولم تراعى فى ذلك عواطف المسلمين وخصوصاً أهل مدينة جدابيه الذين ينظرون الى مسجدهم (فرنا) ومخزنا فى الصباح والمساء ثم أنها هدمت المسجد العتيق باجدابيه والذى يرجع تاريخه الى أزمنة بعيدة وكما يقولون فقد جلس للتدريس به الفقيه المالكى الامام (سحنون) فلم تبق منه حتي آثاره وقد جعلته قبل هدمه مخزنا للقنابل التى كانت تقذف بها الوطنين ما بين سنة ١٩٢٣ وسنة ١٩٢٧ وفى سنة ١٩٢٧ فكر سكان جدابيه في تشييد مسجد لهم يادون فيه الصلاة فتبرع الاهالى بأموال طائله كان فى الامكان أن تشيد منها أماكن أخرى أو مساجد ولكن تولت هذه الاموال ايطاليا نفسها لتحميها علي حد قولها من الفساد فكان (حاميها حراميها) وشيدت منها المسجد الحالى الواقع بشارع الكفره وهو الوحيد الآن بجدابية ومابقى من تلك الاموال ضاع سدى وإني لاذكر فى الوقت الذي أرادت ايطاليا تخطيط المسجد واعطاءه للمقاول تحت أشرافها تقدم الاسطى بن حميده الجهاني الذى كان من أبرع العرب في البناء وسبق أنه الذى تولي تصميم المدرسة السنوسيه التى كنا أشرنا اليها وبناء القصر الاميرى

بجدابيه وقد اعترف له مهندسوا الطليان انفسهم فى براعته وكثيرا مايرجعون اليه فطلب من ايطاليا أن يقوم بتحضير المسجد فى الوقت الذى تطلبه ايطاليا وتحدده له بموجب الخارطة الفنية التى تقدم له وطلب المصاريف عن ذلك ثلاثين الف ليره ايطالية فقط فامتنع الطليان وجاءوا بؤسطى ايطالى أخذه علي عهدته بماية وأربعين الف ليره فانظر الفرق بين الثمن الاول والثاني ولم يتمكن العرب من أى عمل حيث الاموال التى جمعت من أجل المسجد أصبحت فى خزانة ايطاليا وتحت تصرف رئيس القسم السياسى الضابط (برصاني) وبعد مضي سنه من بنائه تداعى للسقوط وظهرت عيوبه فجمع الاهالى مبلغا آخر لترميمه فكان المجموع لايقل عن ثمانين الف ليره لم يصرف عليه أكثر من عشره الآف منها ، وفي سنة ١٩٣٦ جمعت أموال أخري لترميمه بواسطة موظفين الحكومة الذين استعملو نفوذهم تحت اشراف متصرف جدابيه الكمندتور (دى الرى) فكان المجموع لايقل عن ماية الف ليره ولمافهم أن المبلغ المذكور قدلعب فيه المتصرف وصديقه أو ذنبه محمد على الجوهرى وكثر الهمس وحصل الغمز تخوف المتصرف من ذلك وبايعاز من رفيقه المذكور الذى أفهمه أن السبب فى ايقاض العرب الى ذلك هو مؤلف هذا الكتاب وصديقه فويدر عبد الونيس البرعصى الذى كان وقتذاك مديرا بالزويتينه ، أراد المتصرف أن ينتقم لنفسه ولصديقة فكتب تقريرا الى ولاية بنغازى ضد مؤلف هذا الكتاب ونحوا تقريره أن (فلانا) يشوش أفكار العرب بقوله أن السنوسيين جمعوا جيشا كبيرا بمصر وبمساعدة حكومة بريطانيا والحكومة المصريه للزحف على برقه (فى هذه الحالة كانت الحرب قائمة بين الحبشة والطليان)ومن مثل هذه الاقاويل مايجعلنى مستهدفا لاكبر خطر فاردت أن أدافع عن نفسي وقدمت تقريراً مسهبا كان ترجمانه من اللغة العربية الى الايطاليه عيدان أفندى الاسرائيلى وفصلت فيه المقصد من النكاية بي وهو مسالة المبلغ المتجمع للمسجد وانفراد المتصرف والجوهرى بتبذيره في شهواتهم وبررت كل أقوالى بالحجج الساطعة فطلب المتصرف للمحاسبه ولما اتضح صحة قولى وظهرت أشياء أخرى نقل المتصرف ونقل الجوهرى وأرادت ايطاليا أن تتخذ عذراً في جمع هذه الاموال من الاهالي فكتبت بواسطة قاض جدابيه الشيخ منصور الابيض الى فضيلة قاض بنغازى السابق ورئيس مجلس الاوقاف يومذاك السيد محمد بن مسعود

لاعطاء فتية شرعيه نحو هذا المبلغ المتحصل عليه باسم الزكاة الشرعية لترميم المسجد واتخذوا له صبغة الزكاة كي لا يقال جمعه المتصرف لقصد فكان رد فضيلة الاستاذ أن للزكاة الشرعيه أبواب لاتصرف الا فيها فضاع المبلغ بدون أن يعرف عنه أحد كيف ضاع وأمرت ايطاليا بترميمه من صندوق الاوقاف بجدابيه والتابع الى بلديتها وكانت مصارف الترميم لاتتجاوز عشرة آلاف ليره في حين أن المبلغ المتجمع والتي ضاع بين المتصرف والجوهري يتجاوز المائة الف ليره وجميع أهل جدابيه يعرفون عن صحة ذلك .

(٤) عبدت ايطاليا الطرق وخدمتها بأيد جبارة وصرفت في ذلك الاموال الطائلة مما لا يصح نكرانه ولم يكن المقصد من ذلك مصلحة الشعب وان كان تمهيد الطرق من المصالح الاوليه التي لايحرم من فائدتها حتى الشعب ولم يستفد من ذلك أحد، وأكثر من استفادمنها الحلفاء في هذه الحرب ولعل الطليان كانوا يقصدون من ذلك ربط جميع مدن ليبيا من حدودها المصرية حتي حددوها التونسيه لنظرة عسكرية بحتة في المستقبل القريب لانهم كانوا يحلمون دائما بغزو تونس أو مصر أو كليهما فيعيدون أمبراطوريه الرومان التي مابرحوا يتمشدقون بها فجاء الامر بعكس مايريدون (ومن حفر سوء حفرة لاخيه وقع فيها)

لاشك أن الرأى الذي حكم كما أسلفنا بنظره الخاطف من أول وهلة في تقدم الزراعة وتنمية الحيوانات بعين الاعجاب كان قد رءى ذلك غيره والحقيقه أن الحالة الزراعية وحالة تنمية الحيوان لاتدعو للاعجاب فحسب بل تدعو لمنتهي الدهشه ولكن أيد الوطنيين من ذلك صفر فجميع ثمرات ذلك عائدة للايطاليين فقط وليقول قائل أن العرب كسالى لا يخدمون الارض ولا يحسنون زراعتها ، الجواب لوان الجميع يقف موقف الانصاف لما جادلنا أحد ولسلم الينا بصحة الواقع ولصدر الحكم الوطنيين لاعليهم وها نحن نفصل عن ذلك والحق رائدنا .

قبل الغزو الايطالي الذى كان فى سنة ١٩١١ كانت الزراعة بالطرق الفنيه وبالآلات المستحدثة لم تعرف وكانت الزراعة متأخرة في جميع بلاد العالم وبالاخص عند الشرقيين. ولما تقدم الفن وأحدثت الآلات الزراعية وأخذت كل بلاد تستعملها كانت برقه فى حالة حرب أقعدها عن كل عمل مكتفية فى زراعتها بالطرق القديمة المعروفه وكانت هذه

الطرق الزراعيه رغم أنها عقيمة تكفي البلاد ويزيد عن حاجتها مايصدر للخارج ولما وضعت الحرب أوزارها أى بعد القضـــاء على الحركة الحربية الوطنيه في سنة ١٩٣١ وأصبح لا بأس من توجيه اللوم على الشعب فى تأخيرة ولابدله من أن ينهض بزراعته إغتصب الطليان جميع الاراضى الصالحة . شيء من ذلك باسم بيع الغبن وشيء باسم المصادره وشيء باسم الاراضى الميريه وهلم جرا فلم تترك ايطاليا للوطنيين شبرا واحدا من الاراضى الخصبة التى يمكن استخدامها واستغلال ثمراتها الا واحتكرتها ايطاليا على أبنائها وجاءت بهم من مواطنهم وشجعتهم للزراعه ولو فرضنا أن العرب أرادوا تعميرها ولم تنزع منهم فلا يستطيعون أولا . أن جميع الاموال ضاعت بالطرق التي ضاعت بها وسبق أن فصلنا عنها فلا يتمكن العربي والحالة هذه من تعمير الارض حتي بالطريقة التي قلنا عنها أنها عقيمه والتي تستلزم على الاقل وجود دابة (جابدة) لانهـا مفقوده ومن المتعذر الحصول عليها فما بالك اذا استوجب الامر وجود الادوات الفنية الحديثه .

أما ايطاليا فقلنا أنها جاءت بالمعمرين وها نحن نذكر تفصيلا بسيطا مختصرا عمـا هيئته ايطاليا لاولئك المعمرين قبل وصولهم .

اخذت ايطاليا الاراضى وقسمتهـا الي مناطق زراعية فشيدت بكل مزرعة بيتاً جميلا أنيقا يحتوي في الغالب على أربعة غرف على الطراز الحديث مستوفيا بجميع شروطه الصحية والكماليه وجعلت بالقرب من كل مزرعة اصطبلا وخدمت أرض المزرعة بالآلآة الحديثه فاقتلعت من أرضها الاحجار وأعقاب الشجر ومهدت الارض حتى استوى عاليها بسافلها وبكل مزرعة عربة تجرها الخيول أما اذا كانت المزرعة ممتازة فتكون بها سيارة وبكل مزرعة مخزن يحتوى على جميع أدوات المزرعة وأطراف الغيار للمكنات (متور) ولكل مجموعة من المزارع المتلاصقه جعلت مدرسة لابناء المعمرين ومصلحة بريد وكنيسه ومستوصفاً وسوق يوجد به مايحتاجه المزارع وبأثمان مخفضة ولكل مجموعة فى المزارع رئيس مسئول يشرف على أعمال المزارعين ويمثلهم وهو حلقة الاتصال بينهم وبين الحكومة ثم جيء بعائلات المعمرين بعد كل هذه الاجراءات فانزلت كل عائلة بمنزل خاص من تلك المنازل المنظمة نظاما بديعا وكل مايحتاجه هذا المزارع من الادوات الزراعيه فما عليه الا التلفظ بطلبها وجميع لوازم بيته متوفرة وخصص

لكل مزارع راتب شهرى يتقاضاه الى مدة معينة وأكثرها الى عشر سنين وأقلها خمس كى لا تلحقه ضائقه أو تصيبه خصاصة تمنعه عن العمل أو تضعف من نشاطه الزراعى وفي كل موسم من مواسم الحصاد تقوم هيئة التقدير لمحصول المزرعة فيأخذ منه المزارع كفايته وما بقى تستلمه الحكومة وتخصمه مما تطلبه منه والعمل جار بهذه الطريقة مع استعداد الحكومة بكل ما يطلبه هذا المزارع والسماع لجميع مقترحاته فهل يكون الفضل والحالة هذه للمزارع أو للمساعدة الجبارة التى تقدم له والتي تجعل من الفحم ياقوتا أو من الحجر ذهبا ؟ وكيف يقال أن هذا الايطالى جدير بملكية الارض الذى عرف كيف يخدمها ويستخدمها دون العربي الذى لم يشجع ولم يمكن فى يده ما يمكنه من خدمتها حتى على الطريقة القديمه فلو كان المزارع الايطالى فى موقف العربي لما أمكنه عمل أى شيء لان كل عمل من الاعمال في هذه الحياة هو حربا ضروسا ولا بدلها من العدة والقوة والا خرج منها خاسرا مغلوبا .

فاذا رأينا شعبا ضعيفا أعزلا مجردا من جميع وسائل الدفاع خر جاثما امام شعب قوى مسلح معتد يحق لنا والحاله هذه أن نسخر بالأول ونلومه لماذا لم يأت بخرق العوائد كى لا ينهزم امام الثاني ام نعذره ونقول ان القوة فوق الحق كما يقال ؟

أن جميع الاراضى الصالحة للزراعة والتى تسقى بالعيون الجارية أو بماء المطر هى التي استولى عليها الطليان استيلاء المالك الحر لملكه وقدمها هدية لابناء جنسه ولكن لا ننسى أن هذه الملكيه الموهومة وصلت اليه عن طريق التسلط والاغتصاب لاعن طريق مشروع فتملكوها كانها من تراث آبائهم وعنهم ورثوها فلا منازع لهم فيها وطردوا أصحابها الشرعيين واستثمروها لانفسهم فحسنوها ونسقوها حتى أصبح النظر اليها يأخذ بمجامع القلوب وحتى جعل الناظرين حكموا على أهلها الاصليين لا اليهم ، أما العربى فلا يتمتع من ذلك الا بالنظر المفيد ، وهناك جعلت ايطاليا شركة حكومية تعرف باسم لينتا (ENTA) لتنمية الحيوان ومد المزارعين بما يحتاجونه من أجود أصنافه وهذا عدا الالطاليين المدنيين الذين جاءوا لاستئناف بقية ما بيد الوطنيين فاخذوا في تنميه الحيوان بالاراضى الصالحة الخصباء والمواقع الطيبه التى أبعد عنها أهلها حتى أصبح الوطني لا يملك الا جزءاً ضئيلا من الحيوان لا يستفاد به في الاسواق التي غمرتها

حيوانات الطليان لجودتها بالنسبة لمفعول المراعي الطيبه واكثرتها (أى الحيوانات) فى برقة وهناك ايطالى واحد بموقع المرج بلغ عدد حيوانه ثلاثون الف شاة من الغنم عدا البقر والخيل والبغال والحمير والابل الامر الذي جعل العربي لايملك الا قطاعا صحراوية تسقى حينا بمياه المطر وأحيانا تجدب فيزرع قسما من القمح أو الشعير على طريقته القديمة ليكفي بها مؤنة عياله في تلك السنة وينمى بها قسما من الحيوان لسد حاجته الخصوصية اذ لا مطمع له فى غزو الاسواق التى أصبحت محتكره علي ايطاليا وحدها فنكبة العرب في برقه لاتقل عن نكبة العرب في فلسطين علي الأقل ، ثم ان الطليان إستولوا على جميع الرخص لتصدير منتوجات البلاد والتوريد اليها فى حين أن العربى لاحق له من ذلك وبذلك انتصرت ايطاليا في حربها الاقتصادية لقد جاءت في المدة الاخيرة لاماتة اللغة العربية والعادات القوميه والشرائع الدينيه وهدم الاسر العريقه وتقويض دعائم الانسانيه وبتر هذا العضو العربي العامل من جسم العروبة والاسلام فقد صدر مرسوم من حكومة روما يقضى بالحاق هذا الوطن العربي المسلم بايطاليا الاعجميه المسيحيه متسترة علي هذه الفضيحة برداء الغرور الشفاف وهو الاسم الذي منحوه كما يقولون للعرب (مسلمون ايطاليون) وقد بذل الفاشيون جهدهم لكي يطلب العرب هذه التسمية بانفسهم فلم يفلحوا الا فى طبقة بعض الموظفين والذين فى قلوبهم مرض سلكوا طريقا آخر وهو كل من لم يتحصل على شرف هذه الجنسيه يحرم جميع المساعدات ولا حق له فى ميدان العمل الذى هو (الحياة) ولما لم تنجح أيضا هذه الطريقه أخذت الحكومة تمنحها بنفسها لمن يقبلها فليتصور حضرة القارىء الكريم كيف أن شعبا صغيرا قليلا فى تعداده أعز لامن كل سلاح الا ايمانه مجردا من كل مادة الامن روحه اشهرت عليه امة كثيرة فى تعدادها قويه في معداتها حربا ضروسا من سنة ١٩١١ الي سنة ١٩٤٠ وكادت هذه الحرب في جميع النواحي ان تقضى على بقية تراث آبائه الصيد العطاريف واجداده الغر الميامين او ثمالة من ثمالات الاسلام ولكن هذه المصائب التى لم نذكر عشرها الا النزر اليسير حلت منه ونزلت به نزول الصاعقة طيلة هذه المدة المذكوره فجاهد بكل وسيلة دون حوزته وقاتل قتال المستميت في سبيل قوميته ودافع عن عقيدته وحافظ علي وطنيته وان كان قد غلب علي امره فاستسلم الا انه لم يستسلم راضيا وصبر على ماصيب

به من المصائب كما صبر أو لو العزم من الرسل ولم يتطرق اليه اليأس في حال من أحواله وتظهر لك تلك الروح في الشيخ الهرم والصبي الصغير وفي الجاهل ومستنير الفكر وفي الذكور والاناث معززا بتلك الروح التي لا يستطيع كائن من كان التغلب عليها حتى وان وقت خلاصه وحانت الساعة التي كان يرقبها متمسكا بالقانون السماوي الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه القائل (أصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون) والقائل (لتبلون في أموالكم وأنفسكم) والقائل (ولنبلوكم بشيء من الخوف والجوع ونقص في الاموال والانفس والثمرات) والقائل (وبشر الصابرين) ولسان حال كل فرد يردد القول المأثور (ان الله يمهل ولا يهمل) وبالاجماع اننا لا نستطيع سرد تلك المآسي الوحشيه ولا يستطيع إنسان عرضها مهما أوتي من قوة في البيان وغزارة في المادة فكل ناحية من تلك النواحي تشغل الكاتب طيلة عمره فلا يصل الى منتهاها ولا يمكن استيعابها والله يعلم اني حاولت الاضراب كي لا أمل القارىء في هذا الكتاب المختصر ولعلي وفقت في الاختصار حيث لم نستعرض من تلك المآسي الا شطراً يسيرا .

أو ليس في التلميح ما يكفي عن الشرح اللبيب

وبما إنني سطرت ماسطرته من تلك المخازي الايطاليه المخجله والتي يحمر لها وجه التاريخ فقد أردت ان لا أخفي لهم من المحاسن مايستحقون الاشادة بها وان كانت محاسنهم وهمية وليس لها مادة تدرك أو حاسة تلمس وما محاسن الطليان الا خيال كالسراب الموهم ومن المعروف في هذا الكون أن لكل انسان حسنات وسيات ولكل فرد أو مجموعة عيبا يذكر وصوابا يحفظ وللحكومات والامم أمثال ذلك والتاريخ وقف بالمرصاد منذا وجد الله هذا الكون ليسجل لهذا ولذاك ولكن ايطاليا وقرت على التاريخ وكتاب التاريخ أن لا يسجلوا عنها محاسن وان كانت أتعبت التاريخ وكتابه في تسجيل عيوبها التي لا حد لها وبما أني واثق من أن القلم يطاوعني لو اردت أن يسترسل معي الى يوم القيامة في كتابة معائبهم فقد أردت أن أبادله هذه الطاعة فاميل معه جانباً ليسجل ما لهم من الحسنات الوهميه وان اعمم تعميما كليا ولا أترك لهم من ذلك شيئا الا واثبته هنا ولا أخفي لهم حقا والله يعلم والتاريخ يشهد أنني ما أخفيت لهم حقا نحو التاريخ في

بلادنا بيدان الله يعلم والتاريخ يشهد أننا أخفينا فى كتابنا هذا الصغير جميع معائبهم .

(٦) انحصرت جميع المحاسن الايطاليه ان صح لنا أو لغيرنا ان تسميها محاسن فى نقط أربع لا أقل ولا أكثر وها نحن نأتى بها اجمالا وتفصيلا موضوحة على كفتي ميزان العدل والصراحه والانصاف حتى يطفح .

(١) النقطة الاولى نظام الامن العام وسلامته الامنهم فالامان بين أفراد الجمهور والحق يقال متوفر الى أبعد حد وان كان نظام الامن العام سليما في بلادنا وبين أفراد شعبنا منذ قرون حتى أصبحت سلامته بالعظرة الموروثه ولاشك ان ذلك ساعد الطليان حتى ظن الكثير ان سلامته من نظامهم نحوه .

(٢) النقطة الثانيه توفر المستشفيات في جميع المدن الكبرى ومدها بجميع أنواع العلاجات والادوية اللازمة والتي تفقد بعض الاحيان فى كبريات المدن المتمدنة ، ووفرت الاطباء فى جميع المراكز الصغيرة والقرى ، وفى بعض المحلات توجد مستوصفات بدلا من المستشفيات مستعدة بجميع مايلزم ويكون بها فى الغالب (تمرجى) ماهر في فى حالة غياب الطبيب وعلى اتصال بالمستشفيات الرئيسيه مع النظافة التامه التي يعجز الواصف عن وصفها وإذا جاء بأقل وصف لها فذلك ضرب من ضروب الخيال .

(٣) النقطة الثالثة تعمير الارض وان كان على الطريقة التى سبق ذكرها وتعبيد الطرق ونظام المواصلات وتنسيق المباني ومد المدن بجميع أنواع الكماليات فى العصر الحديث وعمر الاسواق بجميع مختلف البضائع وان كانت فوائد جميع ذلك مقتصرة على الطليان الا اننا نرى هذه الناحيه من المحاسن متوفرة كما يجب .

(٤) النقطة الرابعه توفر العمل للعمال حتى وإن كانت ثمرات العمل فى الحقيقه خاصة بالايطاليين الا أن أبناء الشعب لايموتون جوعا لعدم العمل ولا يضعون يدا على يد كسالا فالعمل متوفر والعرب من ذلك أجورهم وبسبب توفر الاعمال تمكن العرب من إسترداد بعض ثروتهم التى أضاعها غرسياني فلا تكاد تجد متسولا واحد بالبلاد ولا تنظر الي عاطل عن العمل وكانت أجور العمال لابأس بها ان لم نقارن بينها وبين أجرة العامل الايطالي ، هذه هي محاسن الطليان كما عبرنا عنها (بمحاسن) وقد جئنا عليها تفصيلا واجمالا وقد استوعبناها استيعابا شافيا فلم نترك منها صغيرة ولا كبيره وهم

أنفسهم يعلمون أننا ما أخفينا لهم حقا الى جانب علمهم أننا أخفينا جميع مساويهم ولم يؤت في هذا الكتاب الصغير الا بأقل من القليل عنها .

الحرب الكونية الثانية

كان شبح هذه الحرب يتراء للاعيان وكان خطره المخيف يدنو من هذا العالم فيهدده وكان الضعفاء من البشر والابرياء والعزل فى رهبة من ذلك خوفا من أنهم يكونوا لقمة سائغة يبتلعها القوى الذي لا يرقب في الضعيف الا ولا ذمة وهناك الدكتاتوريتان الفاشمتان الفاشية والنازيه من اكبر دعاة الحرب وأقوى عوامله فأخذ كل من زعيمى هاتين الدكتاتوريتين يستعد لبلع العالم الآمن المطمئن والسيطرة على الكون الذى أوجده مالك الملك جل شأنه ليتعاون فيه أبناؤه ويتآخوا فى أمن وسلام أخذ الكبرياء والطغيان من هذين الزعمين مأخذهما وكلاهما يدعى الوحدانية لملك هذا العالم ان لم يدع الالوهية وسيتعد بأدوات الفتك والتنكيل بسكان المعمورة والسيطره عليهم وفرض السلطان الغاشم في غير رحمة ولا شفقه وينشر مبادىء الساحقة لو كتب له نشرها والله اشد بأسا وأشد تنكيلا : رحم الله الشاعر وأكرمه :

قل لحامى الاسلام فى زعمه البا ... طل سحقا فقد زعمت عجبا
لا تلمني اذا كرهتك لصاً ... فاتكا أو كرهت (هتلر) ذيبا
خلتما الحق (مدفعا وجيوشا) ... وأفتياتاً على الحقوق غريبا
ونسيتم ان للناس رباً ... يكره الظلم للدعاء مجيباً

وكان المفكرون من بين ساسة الدول لا يجهلون ما سيرفع عنه الستار فى هذا المسرح المخيف فى يوم من الايام :فاخذوا ينادون بالويل والثبور ان لم تتدارك الامم القوية هذا الخطر المحدق وتستعد لمواجهته وكان من بين أوليك المنادين المستر شرشل زعيم حزب المحافظين بانكلترا لقد صرح أكثر من مرة وكتب ونادى ودعى ونبه وحذر فلم يسمع له ولا لأمثاله لان العالم لا يريد حربا وكل من نادى بهذا القبيل يعد داعية من دعاة الحرب المبغوضة فكل شعب غالب أو مغلوب عليه منهمك فى

عمله فالغالب يعمل لتوطيد قدميه وتثبيتهما وبسط سلطانه على المغلوب وربما هذه الحرب تنزع منه ما كان إستحوذ عليه بأى وسيلة .

والمغلوب يعمل جهد المستطاع لخلاصه مما هو فيه من تلك القيود المفروضة عليه وربما هذه الحرب تزده بلاء ولهذا فالجميع مشغول لايريد شاغلا آخر مهموم النتيجه وكانت عصبة الامم تعالج الموقف بقدر طاقتها غير ان ضعفها ازآء الانقلابات السياسيه الاخيره وانسحاب بعض أعضائها سبب لها شللا فلم تتمكن من الاتيان بأكثر مما جآءت به وبينما الخطر يهدد البشر واذا بأول رصاصة تنطلق من بندقية (هتلر) فيصاب بها (السار) واذا هو يخر صريعا فكان صوت هذه الرصاصة كنذير للحرب وهنا وقف هتلر مليا كتجربة منه وليسمع هل من حركة تقام من أجل ذلك ؟ أوسيسال عن سوء عمله ؟ فلم ينظر ولم يسمع أى شيء الاصوت السار يستغيث ولا مغيث فيتساءل هل أتقدم لاصطياد فريسة أخرى أم اعمل قليلا حتي أهضم ما اكلته كي لا أتخم ؟ واذا به يسمع صوت شريكه موسليني يبرق ويرعد ويتوعد ويهدد ويصيح بملء شدقيه تاره يحلق في الفضاء وطوراً يمخر عباب البحر وأخرى يقف على مدفع خطيب ومرة يطالع فى شرفه قصره متمشدقا ليشرح الي شعبه الموهوم عن نفسه وهنا يصغي هتلر ليتحقق هل من راد على موسليني أوهل هناك من يعترضه في هذه الحركات (التكتيكيه) ؟ فلا يسمع الا كلمات الشعب الايطالي الجوفاء (أنوى فيفا) نحن ، يحيا الزعيم .

ANNOI. Viva. IL DUCE فيقول هتلر لموسليني الى اين تريد ياصديقي فيجيبه بملء فيه أريد الحبشه : الحبشة المتوحشة لأمدنها وأحمل لها مصابيح الحضارة ومشاعل النور من روما ، وأجعلها أمة راقيه كما جعلت (ليبيا) وهنا يرد عليه (هتلر) في شيء من الامتعاض والحيرة :

انى لاأريد من وراء استعدادنا للحرب أن نمدن العالم ونجعله أمماً راقيه وشعوبا متعلمة ولكنني أستعد لاستعباده وجعله خدما للعنصر الالماني العظيم الذى يجب أن يسود العالم بدون مزاحم ذلك العالم الذى ملكته بريطانيا ولا مشجع لي غيرك ياعزيزى وأراك تقول أريد أن أمدن الحبشة ونجعلها امة راقيه كما جعلت (ليبيا) فوقفنا فى مفترق الطرق واختلفت وجهتا نظرنا ، فيرجع موسليني الي رشده ويقول لاتأخذ كلامى ياعزيزى على ظواهرها

وأرجعها الى الاصل التي صدرت به من قرارة نفسي وهي أعكس نصب فاني أريد أبادة الحبشة وامتلاكها كما ملكت (ليبيا) التي أصبحت جزءا من ايطاليا ويوشك أن يقضي على البقيه الباقيه من أهلها فتكون ايطالية بالمعنى الصحيح ، هنا اتفق الصديقان وتعانقا عناقا طويلا ثم انقض موسليني على الحبشة الامنه انقضاض الصاعقه فخرت أمامه صريعه مضرجة فى دمائها بعد ان استماتت في الدفاع عن كيانها وكلفته الخسائر الفادحة فوقف هتلر مصفقا لها تفائم قال ، اني أريد الوثوب على (النمسا) ففف ياعزيزى لتسمع مايقال عنى لعل هناك من تحدثه نفسه بالوقوف فى طريقي وهنا لايجد موسليني بدا من الطاعة في حين أنه ممتعض النفس ويها مابها من الحسرة لانه كان يعمل من جانبه لاصطياد هذه الفريسة ، انقض هتلر على النمسا فابتلعها بدون طويل عناء كسابقاتها وكانت عصبة الامم التى لاحول لها ولاقوه قد أصدرت نداء للعالم بمقاطعة ايطاليا أثناء الحرب الحبشيه فتقبل موسليني بتشجيع هتلر هذه المقاطعة أو التقاطع بصدر رحب معتمدا على القوة ونسى أن لابد من إنهيارها وأنها ستضعف أمام الحق ثم يتقدم هتلر لابتلاع شيكوسلوفاكيا ليشبع نهمه وهنا تقف في وجهه بريطانيا التى لازالت عزلاء ومجردة الامن النضامن البديع والشعور السامي والروح القوية وكانت غير مسلحة للدفاع عن الضعفاء كما تظهر ذلك فيمتطى رئيس وزرائها المستر (شمبرلن) طائرته للتفاهم مع هتلر وصديقه موسليني لعلاج هذه الحالة السيئة بالطرق الدبلماسيه وإذا بالعالم يعلق على حكومة بريطانيا ورئيس وزرائها أكبر الامال ويسمي شمبرلن (بطائر السلام) فيجتمع شمبرلن بهتلر وموسليني ويبحث معها الحالة معالجاً فيعدانه خيرا ويرضيانه في ناحية كما أنه أرضاهما فى أخرى والعالم أجمعه يسخط على هذا العلاج ولاحيلة لطائر السلام والحالة هذه غير ماجاء به ووصل اليه ثم يقف موسليني مرة أخرى لاصطياد جارته وصديقته البانيا الوادعة المسكينة فيثب عليها ويفترسها وإذا به يملؤ الافاق دويا وضجيجا مفتخرا كانما خرت أمام قوته أعظم إمبراطوريه فى العالم وهنا وقف هتلر مصفقا لرفيقه .

جاء هتلر وموسليني بما جاء به من هذه الاعمال كمقدمه للحرب الذى لابد منه وتوطئته لاعمالها الاجراميه التي قدما عليها فاسعرا نار هذه الحرب التى اكتوى بها جميع من أظلته السماء ولكنها سيحترقا بها حرقا اذا كان غيرهما اكتوى بها ، وفى شهر

سبتمبر سنة ١٩٣٩ هاجم هتلر بقواته ممر دانزيك التابع لحكومته

بلونيا فكانت الجذوة الاولى التى استعرت بها نار هذه الحرب الدهماء الثانية

ممر دانزيك والتاريخ يشهد قد أولجت هذه الورى فى المازق الخطر

لابد من سبب تذكي الحروب به (ومعظم النار من مستصغر الشور)

أبت همته بريطانيا عندئذ أن تقف مكتوفة اليدين وتترك النازية والفاشية تتربصان الفرص حينا بعد آخر فتثبتان كل مرة على شعب او أمة أو حكومة ليس فى مقدورها الدفاع عن حوزتها لتفترسها فتقع الفريسة المهجوم عليها بين مخالب الوحشين الغاشمين فاعلنت بريطانيا الحرب على المانيا يوم ٣ سبتمبر سنة ١٩٣٩ واعقبتها فى نفس اليوم فرنسا فاعلنت بدورها ضد المانيا واخذ الفزع يستولى على النفوس والرعب يسيطر على الامم والخطر يدق على كل باب فى هذه المعمورة ويد الفساد تعبث بالاصلاح كل ذلك وبريطانيا واقفة الموقف المشهور والذى جعلها محط الامال ولم تمض مدة يسيره حتى خرت فرنسا جاثمه على ركبتها أمام الطيغان النازى الكاسح وذلك يوم ١٧ يوليه سنة ١٩٤٠ بعد ان ابتلعت المانيا في مجومها الخاطف كل من بلونيا وهولند والبلجيك والدانمارك والنرويج وهنا تشجعت ايطاليا ورفعت رأسها عاليا بجدوها الكبرياء الخيالى والغطرسة الوهمية فاعلنت الحرب ضد بريطانيا وفرنسا يوم ١٠ يونيه اى قبل سقوط فرنسا بسبعة أيام حيث تحقق هذا السقوط لتضرب فرنسا بخنجرها الملطخ بدماء شهداء ليبيا والحبشه والبانيا من الخلف وتقاسم المانيا فى هذه الغنيمة فانظر الي هذا الحلم البديع لو تحقق ولكنه من أحلام النخمة وهنا انفض كل من كان حول بريطانيا أو الي جنبها فوقفت لوحدها تصارع الطغيان فى هذا الميدان العالمى المتسع الارجاء والمترامي الاطراف لاعون لها ولا معين غير آسفة أو متحسره لانها مؤمنة بالعاقبه والاعتبار بالنهايات فى كل أمر لا بالابتداء وكان العالم يترقب من ساعة الى أخرى سقوط بريطانيا وعندئذ تقدم سمو أمير ليبيا المعظم وزعيمها المفدى السيد محمد ادريس المهدي السنوسى فعرض علي بريطانيا مساعدته لها في الوقت الذى لم يكن معها أحد من الاصدقاء الا وفياء وقد خانها الرفيق العون فى المسلك الوعر فرحبت بهذا العرض الطيب ومدت يد المصافحة لسموه واتفقت معه واستطاع سموه أن يجند كل ليبى فى ديار الهجرة يستطيع حمل السلاح للدفاع

عن بلاده وقومه ولانقاذ وطنه من براثن الفاشيه بمساعدة بريطانيا وقائلهم يقول :

شعب يرى ادريس رمز ولائه ... ويراه جامعه ورافع شأنه
لم يثننا عن عزمنا ضغط الاولى ... كانوا لنا (عزريل) أواعوانه
ملأ السجون وقتل البرءآ وقد ... أرغي وشبت بيننا نيرانه
لم يثننا هذاك عما قد دعا ... نا له (الامير) وكلنا أعوانه

إلي أن يقول :

شعب أبى النفس زج بمآله ... وبنيه كيما يستعيد مكانه

فكان لعمل سمو الامير تأثيرا فى الاوساط الانجليزيه وكثيراما صرح بذلك رجالها العسكريون وساستها المسؤلون وكان اتفاق سموه معها يوم ٩ أغسطس سنة ١٩٤٠ فاتخذت البلاد هذا اليوم عيداقوميا اذ رفرف فيه علمها المقدس علي رؤوس الجنود الوطنيين بعد ان طوى مدة من الزمن وقد اشترك مع الامير وقومه الذين معه في المهجر جميع أفراد الشعب الليبي الواقع تحت النفوذ الايطالى رغم القيود الطغيانية الذى يرزح تحت ثقلها وكان هذا الاشتراك بادى الامر بالروح والفكر ثم تدرج الى العمل بالجوارح والكل يبتهل الى الله سبحانه وتعالى أن يؤيد سمو الامير واعوانه بروح منه ويوفقه في القول والعمل الصالح لبلاده .

أصبحت البلاد باسرها تترقب ساعة الخلاص التى لابد منها و تنتظرها بعين ملؤها الثقة فى الامير والايمان بالوطن .

فتبت يد الطاغي وشلت يمينه ... ولا بد ما للشعب ان يتحررا

رأى الايطاليون مارتأوه ظاهراً على محياكل فرد من أفراد الشعب ولكنهم لا يستطيعون القضاء على تلك الروح القوية التي آن الاوان للظهوو بها والضغط لابد ان يعقبه الانفجار ، قبل ان يتفق سمو الامير مع الانجليز وقف المرشال (بالبو) حاكم ليبيا العام وقائد الجيش الايطالى في ليبيا وذلك فى يوم ١١ يونيه سنه ١٩٤٠ علي منصة الخطابة التى اقيمت له خصيصا بميدان السراى الحمراء بطرابلس ليعلن الى الطرابلسيين أن ايطاليا أعلنت الحرب ضد بريطانيا وفرنسا وناهيك ماقاه به من التهديد والوعيد والقول الذى لايعدو ثرثرة الصبيان وهراء المجانين وفى يوم ٢٨ منه سقط صريعاً من

من طائرته التي أسقطت وهي تحلق فى سماء طبرق ومعه الكثير من أعوانه، فات الموتة التي حيرت الافكار ولاتزال سراً من أسرار هذه الحرب رغم التخمينات والظنون التى حامت حولها وبعد يوم من سقوطه وصل الجنرال غرسيانى على متن طائرة من روما ليتولى القيادة العامة بدلا من سلفه الساقط بطائرته وبعد توليه القياده بقليل زحفت قواته الي الحدود المصريه ليشرب جنوده من ماء النيل كفاتحين ولكنهم شربوه وهم أسارى فوصل بزحفه هذا الى موقع سيدى براني ولم يمر شهران حتى زحفت قوات الجنرال (ويفل) القائد العام لقوات الانجليز في الشرق الاوسط ومعاونه قائد الجيش الثامن الجنرال ميتلاندويلسون وبعد معارك قليلة أزيح الستار المسدول عن الهزيمة العسكرية لايطاليا فاسر ويفل العشرات من قواد ايطاليا البارزين والمئآت من ضباطها وعشرات الالاف من جنودها كما مات أكثر من ذلك وانسحب المرشال غرسيانى يجر ثوب الخزي والعار ناجيا بنفسه يطلب الخلاص بحياته تاركا جنوده وقواته التى كانت محل فخره يتسللون لواذا وفى خلسة عن القوات الزاحفة فيلتجؤن الى خيام العرب ودورهم ليقتاتون منها ونسيوا أنهم كانوا بالامس يسومونهم سوء العذاب (١) ولكن النخوة العربية والشهامة الاسلامية ابتا على العرب الانتقام فى مثل هذه الاحوال فصار العرب يوكلون الطليان ويقاسمونهم مؤنه أولادهم ويدفؤنهم ويسكنوا من روعهم ويقولون لهم

«١» نثبت هنا جملا من تقرير بعث به البروفسور كمباني رئيس السياسة العامة بولاية طرابلس ونائب الوالي تحت رقم ٤٠٩٩٤٣ بتاريخ ٢٣ أغسطس سنة ١٩٤١ الي ولايه بنغازى ومما جاء فيه : استعملت السياسة مع المشايخ ولكن تبعها محوهم محوا كاد يكون تاما من الوجهتين الماديه والمعنويه ، إضطهد الاطاليون المحبين للسنوسيه الى أن يقول ، الاهالى ضدنا على خط مستقيم لأن عائلات قليلة لم تفقد قريبا لها مات شنقا ، أناس يعتقدون أننا تسببنا في مضرتهم لانهم حرموا من أراضيهم وخيراتهم التى انتقلت الي أيد المعمرين ولانهم منعوا من المواصلات التجاريه المتبادله التي كانوا قد اعتادوها مدة طويلة مع القطر المصرى ولانهم قيدوا باوامر عديدة حددت من أعمالهم الاوليه المعتاده وعرفهم المتداول كحملهم على تغيير الاسم . . . . . هذا قليل من كثير ذكره رئيس السياسه معترفا بخطئهم . . . . . .

إذهبوا بسلام خاضعين لسلطان قوله تعالى : ويطعمون الطعام على حبه مسكيناً ويتيما وأسيرا)، واذا كانت هناك مواقع للجيوش المحتله فيذهب العرب مع الطليان وفي شيء من العناية بهم حتى يسلمونهم الى البريطانيين فانظر الى علو اخلاق العرب بجانب هبوط أخلاق الطليان وانظر الى حسنات الاولين مقابل سيئات الاخيرين وانظر الى هذا الخلاف المتباين تباينا غريبا .

تقدم العرب فى كل ناحية من نواحى ليبيا بطوعهم واختيارهم غير مكلفين ولا مأمورين لمساعدة الانجليز بمجرد انهم حلفاء وأصدقاء سمو الأمير وأظهروا لهم الولاء فى أسمى معانيه وأجلها ليبرهنوا أن هذه الأمة التى يقودها سمو الامير لمن أنبل وأعرق الامم وأنها واقفة لتنفيذ كل ما يشير به فلم يتأخر عن تقديم المساعدات كبير أو صغير ذكر أو أنثى ، ومما لاشك فيه أن جميع الجيوش الزاحفة يحصل منها التعدى عادة خصوصاً إذا كان الجيش خليطا ولو على الأقل فى حالات السكر كما يحصل الخراب فى مثل هذه الحالات لبعض المواقع الحيوية والتى بها مصالح البلاد لاعتبارات عسكريه وقد حصل بالفعل الكثير من ذلك النوع فأحرقت بعض الزراعة بغير قصد ولكن لوجود القوات بقربها أثناء ايقاد النار ولوجود مطارات عندها ونسفت بعض الآبار لخطط حربيه وكان الشعب يقابل كل ذلك بعين الرضا والقبول مادام قد حصل هذا من أصدقاء وحلفاء الامير الذين يعاونونه على انقاذ بلاده وقد تقدم جميع أفراد الشعب للخدمة اختياريه فى صالح الانجليز فضاع ضحية هذه الخدمات الكثير من أبناء البلاد وكان لعمل البرقاويين التأثير البالغ فى نفوس القواد البريطانيين وضباطهم وجنودهم كما إعترفوا بذلك رجالات بريطانيا فى مناسبات مختلفة وكما صرح بذلك الكثير منهم وإن كان التصريح محاطاً بشيء من التحفظ الا أنه عنوان التقدير ودلالة الاعتراف وشاء القدر ان تتخذ بريطانيا سياسة الكر والفر فانسحبت قواتها فى أول شهر إبريل سنة ١٩٤١ بعد أن وصلت فى زحفها إلى العقيله ولم يمض أسبوع من الزحف الالماني الايطالى الذى إنسحب تحت ضغطه الجيش البريطاني الا وقد إحتل الاولون جميع انحاء برقه من العقيله آخر محل إحتله الانجليز غرباً إلى عقبة السلوم شرقا حيث وصلت القوات الايطاليه والالمانيه إلى موقع (حلفايه) الذى تردد ذكر اسمه فى كثير من البلاغات

الحربية ولم يبق بيد الانجليز سوى (طبرق) المحصوره فقد احتفظ بها قسم من الجيش الانجليزي الاسترالى وقسم من الجيش السنوسى فدافع عنها دفاع الابطال وأظهر الجيش السنوسى من البسالة والاستماته والصبر ماجعله محل اعجاب رفاقه وتقديرهم ولطالما أثنى الضباط البريطانيون على ازدراء العرب بالموت وسخريتهم به وتفانيهم في قضيتهم المقدسه وبقيت طرق المحصوره فى يد الانجليز من شهر يناير سنة ١٩٤١ الى شهر يونيو سنة ١٩٤٢ حيث سقطت في أيد الالمان :

كان الاحتلال البريطاني لبرقه (وهو مرتين وكان انسحابهم مرتين) محل سرور أهل برقة ومدعاة لنشاطهم الوطنى فكانوا يظهرون ولائهم للانجليز فى مختلف الوانه ويقدمون المساعدات اللازمة باعتبار التحالف والصداقة ولوجود الجيش السنوسى الذى عارك الى جانب حلفائه فدخل الى برقة كمنقذ لبلاده بالتعاون مع الحليفة وهناك اعتبارات أخري لاتغرب عن كل انسان وهى أن الجيش المحتل مهما كانت صفته فمجاملته جائزه فى شريعة المجتمع الادبى ان لم تكن واجبة ولا سيما ان كانت هناك علائق سياسية فما بالك اذا كانت لصالح الوطن اما طاعته فواجبة على البلاد المحتلة ولكن أهل برقة نظروا الي اعتبار واحد طغا على ماسواه من الاعتبارات وهو الاتفاق السنوسي البريطانى الذى جعلهم يساعدون الانجليز مهما أدت بهم هذه المساعدة الي الفناء وكانت هذه الحالة وتلك الاعتبارات لاتسر سماسرة الطليان وبعض رجالهم الموجودين أولئك الذين تركهم ايطاليا المندحرة ليقيدون علي العرب كل عمل يقدمون به ويحفظون عليهم الحركات والسكنات حتي تحين الساعة المنتظره عندهم وهي عودة ايطاليا منتصرة ولقد حقق هذا الرجاء ففي اليوم الثالث من ابريل كان آخر انسحاب القوات البريطانية من بنغازى ودخلت عقب ذلك وبسرعة القوات المحوريه وقد تجمع قبل دخولها الطليان المدنيون وبعض الضباط والجنود الذين بقوا مختفين في ثياب الوطنين أثناء الانسحاب الايطالي بين بنى جنسيتهم فكانت قوة لايستهان بها وعاثت فى البلاد فسادا عظيما فهاجموا الدور العربية واقتحموا المنازل وفتكوا بالاسواق فلا تجدوا الحالة هذه الا تقتيلا شنيعا في العرب ونهبا وسلبا ولا حيلة للعرب لأن القوات البريطانية ولت الادبار والقوات الايطالية الزاحفة لاتمنع ماتراه رأى العين وعندما استتب للقوات الايطالية أخذ مكانها من

المراكز والمصالح فبدلا من أن تمانع من الأعمال الاجرامية جاءت بأكثر ما جاء به المدنيون من بنى قومها وهكذا شهر الايطاليون أسلحتهم للفتك بالعرب في أشنع مظاهر الوحشية فيالها من برهة عصيبة مثل فيها الايطاليون جميع أدوار الهمجية وفصول البربرية التى يحفظها لهم وعنهم التاريخ

الضحايا

أخذ الطليان يقتلون العرب فى المراكز الحكومية وفى الاسواق وفى الطرقات وفى منازل العرب انفسهم وفى الخلا رميا بالرصاص وبالقنابل اليدويه وصلبا على أعواد المشانق وذبحا بالسكاكين بدون تميز ولا تحقيق ولاسؤال لالأى ذنب اقترفه أولئك المساكين ولا لاى عمل قاموا به غير واجبهم الذى لا بد منه وليت أن الطليان تعقب وعاقب العاملين وليت أن هذا العقاب الشنيع مبرراً من محاكم ولو وهمية فهو عمل لم يعرف له التاريخ مثيلا ولا يمكن للشعب الليبي أن ينساه أو يتناساه وما من بيت من بيوت العرب فى الغالب الا وقد دخله الايطاليون غاصبون وناهبون وقاتلون وما من عائلة من العائلات الا وفجعت بقتيل وقهرت بمختلف أنواع القهر وأن العدد الذي قتله الطليان جد كثير وها نحن نثبت أسماء من وصلتنا أسماؤهم :

عدد

٥ عائلة جعوده مكونة من الحاج صالح وأخويه موسي وأبي بكر وابنيه عثمان وابراهيم : (١)

---

(١) هاجم الطليان هذه العائلة في عقر دارهم وفي وسط النهار وعلى مرآى ومسمع من مراكز ودور الحكومة فلم تعر الحكومة ذلك أى التفات ولم توجه لهذه المسألة أى اعتبار ولم يفلت من هذه العائلة التي مثل بها أشنع تمثيل غير طفل صغير أصيب بجراح وكتبت له النجاة أما الاشخاص الخمسة المذكورين فقد قتلوا جميعا ولم يستطع أحد العرب القيام بدفنهم وهم مرميون أمام منزلهم يا لبركة الا بعد أيام :

عدد

٥

٢ أبو شعالة وأخيه

١ الحاج عبدالرحيم الشطشاط وقد قتل وهو مار بسوق الظلام

١ سليمان المحجوب وقد قتل وهو مار بسوق (الظلام)

١ اسرائيلي غاب عني ناسمه وقد ذبح بالسكين كما تذبح السوائم علي مرآى من الجميع

١ سليمان موسى السعيطي	قبيلة	سعيط
١ محمد منصور النجمى	«	نجم
١ فرج عثمان السلطني	«	عرقه سلاطنة
١ محمد عبد العال المصراتى	«	مصراته
١ طاهر موسي خنيفر	«	عبيد
١ السيد المهدى عمران السكورى	«	الاخوان السنوسيين
١ علي عبد الكريم متوبل	«	أولادشيخ
١ عمران أبو القاسم أبو شيحه	«	عرفه الطرش
١ مراجع عبد الله متوبل	«	أولاد شيخ
١ عمران الغيتورى	«	«
١ سعد فضل الله	«	حاسا قلابطة
١ احمد ابراهيم	«	أشراف
١ خميس مبارك	«	سودانى
١ محمد مصطفى المحجوب	«	مصراته
١ محمد يوسف الطلحي	«	براعصه
١ شويقي خير الله	«	مصراته
١ محمد ابن احمد	«	عرفه طرش

عدد

٢٧

١ الصادق جبريل « براعصه نايل

١ حمد على مبارك « عرفه سلاطنة

١ فرج سليمان ابن حمد « حاسا قلابطة

١ عبد الله ابن على « درسا حامد

١ محمد بن حمد « « دغار

١ طاهر بن محمد « « «

١ عبد الواحد عوض « « «

١ جادالله حمد « « «

١ حسين عبد الحميد « « «

١ عمر سليمان موسي « حاسا بخايت

١ حمد سعيد « براعصة حسين

١ عوض عبد القادر « عواقير

١ عبد القادر عبدالله « عبيد دخاخنه

١ الحاج عباس عمر « عرفه طرش

١ سعيد عبد السلام « « «

٣ الاخوة محمد مصطفى ، حمد رقية ، محمد رقيه

١ محمد جاد الله أبو بسيسه

١ عبد الجواد فضل الله

١ آدم عبد ربه

١ حسن السنوسي عبد الله عرفه

١ خليفه المسماري

١ محمد خطاب صالح قمره

عـــدد

٥٢

١ خليفه الجلالي

١ حمد بن محمد جازيه

١ محمد آغا التركي

١ فاطيمه بنت يربدان زوجة نورى أبو شعاله

١ محمد نصر قبيلة عرفه طرش

١ محمد عبد الله حمدون قبيلة أواجله

١ سالم عياد قبيلة مصراته

١ الحاجه مبيريكه العمياويه قبيلة عرفه أولاد الاعمى

١ عبد الله الاوجلى قبيلة أواجله

١ الحاج عثمان الدباشه قبيلة عرفه سلاطنه

١ على العامى قبيلة العمائم

٢ عبد العاطى وأخيه عيد النبى بن عمر قبيلة العبيدات عواكله

١ حمد جبريل قبيلة عواكله الوادادى

١ اسميع بن مسعود قبيلة العبيدات

١ رافع مازق المرير قبيلة العبيدات

١ الشيخ صالح حمد منصور قبيلة العبيدات

٢ ابراهيم عثمان ورأف الله يونس قبيلة العبيدات

١ ابن السيد محمود الملكى قبيلة اخوان

١ عوض البدرى قبيلة عواقير البدور

١ فضل الله مبروك قبيلة عبيدات تراكي

١ الشيخ المهدى بن المختار امدوم قبيلة مغاربه منصور

١ خليفة الطويل قبيلة حاسا

١ معتوق القبايلى قبيلة القبايل

عـدد

٧٧

١ رمضان عمر الورفلي	قبيلة ورفله
١ الشاب على الحرارى	قبيلة بنغازى
١ اسميع مسعود	قبيلة مصراتى
١ حسين المتيد	قبيلة درنه
١ الشيخ حمد صالح منصور	قبيلة عبيدات
٢ مخزوم مفتاح قبيلة أولاد شيخ ، السيد حسن إسماعيل قبيلة الاخوان السنوسيين	
١ ابو بكر مشاش	قبيلة عبادله
١ الباشه العزومي	قبيلة عرفه
٨٥ جملة العدد	

٩ اغسطس العيد القومى

فى هذا اليوم ٩ أغسطس سنة ١٩٤٠ دعى سمو الامير السيد محمد ادريس المهدى السنوسى وهو بمصر كل وطنى يدار الهجرة لامتشاق الحسام من جديد ضد ايطاليا فلباه كل من بمصر وغيرها وتقدم الاعيـان والوجهاء والشيوخ طائعـين مختارين وأخذوا ينفـذون كل مايؤمرون به وتقدم كل من يستطيع حمـل السـلاح للوقوف الى جانب بريطانيا دفاعا عن القضيه العادله وانقاذاً للبلاد فتألف الجيش السنوسى الذى اشترك فيه أبناء السادهالسنوسيين وابناء الاعيان والشيوخ وأبناء الاخوان والعمال والتجار وجميع مختلف طبقات الامة ومما يلفت النظر أن جميع الطلاب الليبين بالازهر الشريف تقدموا لذلك تاركين مهمتهم الدراسيه التى يعرفون قيمتها وقد تركوا ديارهم وأهليهم ونالوا من العذاب أشده لتحقيق أمنيـة وطنهم وآبائهم فآثروا أن يتركوا لذة الراحة والتنقلات بين المعاهد العلميه والتجول فى عالم الكتب والفسح فى منتديات القاهره وحدائقها النضرة الى حر الصيف وبرد الشتاء في تلك الصحراء القاحله لتحرير بلادهم والذود عن كيانهم

وهكذا تألف الجيش السنوسى وخصص له مدربون من خيره الضباط البريطانيين وخفق العلم الوطنى عاليا فوق رءوس أولئك الجنود الابطال الذين قاتلوا فى سبيل إعلاء لوائهم وقاتلوا عدوتهم ايطاليا أكثر من ربع قرن ثم هاجروا الى خارج بلادهم في سبيل نصرة لوائهم الخفاق وهاهم اليوم يعودون للدفاع عنه والاحتفاظ بشرفه والاعتزاز به وألفت مجموعة طبية من الضباط الليبين تضم عدداً كبيراً من الضباط القدماء وهانحن تذكر بعض أسماء الضباط الذين تألف منهم الجيش السنوسى بمصر .

السيد أبو القاسم السنوسى بن السيد أحمد الشريف ـ السيد الصديق بن السيد محمد عابد ، السيد رضا ، والسيد منصور إبنى السيد صفي الدين السنوسي ، هؤلاء الساده قد تركوا المدارس للانخراط في الجيش الوطنى ثم حمد خير الله ، غيث قدوره ، على مبارك ، محمد رحيم ، حمد السنوسى شعيب ، إدريس سليمان جبيل ، مفتاح التريكى مفتاح سليمان وشاح ، التواتى عبد الجليل ، حمدو صالح ، محمود على قويطين ، أحمد محمد ، عبدالرزاق العوامى أحمد المختار ، حسن الفقيه عبد الملك ، على جعوده ، على حسن ، مصطفى حسين ، موسي العريبى ، سعد الرفيعى ، محسن الفرجانى ، صالح أمطير ، آدم منصور ، محمداً بوبكر ، الباسل الحمرى ، رحومه الجبالى وهؤلاء من الضباط والمحاربين القدماء :

محمد عمر المختار ، محمد عبد السلام الشلحي ، على الغزالى ، السنوسى الاطيوش ، عبد السلام شهوب ، نوري الصديق ، علي فرهود ، محمد علي لاغه ، محمد قصبات ، مفتاح الفيتورى ، علي عمر ، محمد عبد الرزاق ، جمعه مسعود ، يوسف مصطفى حسين ، ادريس عبدربه ، محمود المزغنى ، خليل السنينى ، حامد علي العبيدى ، مراد عبد السلام ، الصابر رسلان ، الصديق الجيلاني ، رجب عبيده وهؤلاء من الشباب الليبي الباسل فانخرطوا بالجيش ورقوا الى رتبه ضابط وازدادت كمية الضباط حيث رقي الى هذه الرتبه من كان صف ضابط ووصل بعض الضباط الى رتبة صاغ وتثبت هنا صورة من الاوامر المعطاة للضباط حرفيا .

السلطة البريطانية لجيش طرابلس برقة

بناء على اختيار سعادة الكلونيل بروملى قائد الجيش السنوسى البريطانى لما رآه فى حضرتكم من الاهلية والكفاءة وطبقا لموافقة الامير السيد محمد ادريس المهدى السنوسى أنا القائد العام للجيوش البريطانيه فى القطر المصرى أوجه رتبة ملازم أول فى الجيش السنوسى البريطانى الي حضرة . . . . . .

إعتبارا من تاريخ هذا الامر الصادر في ٢٣ أغسطس سنة ١٩٤٠

الموافق ١٩ رجب سنة ١٣٥٩ : القائد العام

الامضاء . . . . . .

كان الشعب الليبى مسلحاً بسلاح قوي مكون من الروح والعقيده فلم يخضع يوما من الايام ولم يتخل عن استقلاله بهذه الروح وتلك العقيدة بالرغم عن استسلامه للقوة ولم يعترف الشعب فى ساعة من ساعات العهد الايطالى البائد بسلطانهم ونفوذهم فى البلاد كسلطان شرعى رغم ما لقيه هذا الشعب من الاضطهاد وما قاساه من الاهوال والشدائد وكان يرى بعين الحقيقه ومرآة الوطنيه أن الايطاليين احتلوا هذه البلاد غاصبين ولا بدان يتخلص هذا الشعب من ذلك الغاصب طال الامد أم قصر وكانت ايطاليا نفسها تعرف جيدا ان الشعب لم يعترف بسلطانها كسلطان شرعى وانه غير راض على هذا السلطان القائم بالقوه فاخذت بعد القضاء على الحركة الوطنيه تدنوه من الشعب وتستميله وتلاينه لالان قانونها الاستعمارى يقضى بذلك ولكنها تريد اقناع الشعب بان حكومة ايطاليا حكومته الشرعيه وجاءت لاقناع الشعب بوسائل شتي منها اللين حينا والقسوة أحيانا ، ومنها التضليل والخداع ، ولكن كل هذا لم يفد ايطاليا ولم يغير من عقيدة الشعب ولم يطف من جذوة الروح الكامنه ومما لاجدال فيه أن هناك بعض النفعيين الذين لايهمهم من الامر شيء الاظهورهم بالمظاهر التى أرادوها فعملوا جهدهم للاعتراف بايطاليا ولكن الشعب نبذهم ورآءه ظهريا وأمثال هذه الاقليه . توجد في كل أمة من الامم وفى كل شعب من الشعوب وإني أذكر بهذه المناسبة

الحكاية الآتيه : في يوم من الايام طلب المرشال غرسياني ثلاثه من الاعيان لا يزال منهم اثنان احياء يرزقون الى مقر قيادته بشحات وقال لهم أريدكم أن تعاهدوني بأقدس الايمان عندكم أن تصدقوا معي في القول وان لاتخفوا عني شيئا أسألكم عنه وانتم تعلمونه وأنا أعاهدكم بشرفي العسكري أن أحفظ لكم شرف صراحتكم التي سأعدها محض إخلاص ولو كان في ذلك مايكدرني على فرض . فاجابوه بالموافقه فقال لهم سائلا : مارايكم في الامة البرقاويه نحو ايطاليا في هذه الحرب وماهو الشعور السائد حول انتصارنا في هذه الخطوات الاولى ؟ (كان الجيش الايطالي قد احتل سيدي براني) التي ستتبعها خطوات أخرى تمكننا من دخول الاسكندريه ، فهل كان شعور أهل برقه الى جانبنا ؟ هذا هو سؤالي واملي الصراحة . طبعا أن المسئولين والحالة هذه هم قبل كل شيء من أبناء الشعب المضطهد وهم الذين عرفوا غرسياني سفاح برقه الظالم ولم يعرفوا له عهدا ولاذمة وكان هو السائل فلا يجدون بدا من مجاملته ولو كلفهم ذلك أن يأتوا بغير كلمة الحق فكان جوابهم أن الشعب الى جانبكم وانه لايشعر نحوكم الا بكل ما يسركم وازداد هذا الشعور عندما أمرتم بالعفو عن المعتقلين (كان بالبو قبل سقوطه أمر بتحضير معتقل سياسي بموقع البويرات الواقع غرب سرت وزج فيه الكثير من خيرة الاعيان والشباب الطرابلسي وانني أذكر أن الشاب المهذب الاديب السيد الهادي المشيرقي وأخيه السيد عبدالمجيد كانا بين من اعتقل فيه ولما وصل غرسياني أبطله لحاجة في نفسه) فاحمر وجهه غضباً وتعقدت أسارير جبهته أمام هذا الجواب ولكنه تمكن من إخفاء غضبه وملك عواطفه وأجابهم في شيء من الحدة التي تعود اصطناعها في برقه قائلا انى اعرف ان جميع أفراد الشعب ينقمون علينا ويودون عدم انتصارنا في حين أن النصر بايدينا واني أشكركم على قولكم الذى هو مجرد مجاملة وقد أخفيتم الحقيقه الظاهره مع اعتقادي ان مجاملتكم هذه وليدة أمرين لاثالث لهما أما ان تكونوا قصدتم مجاملتي فقط فاظهرتم عكس ماتعلمونه أو لم تتصلوا بالشعب ولم تعلموا عنه شيئا. ان مثل هذه الصراحة من رجل كغرسياني درس البلاد وحكمها السنين الطوال وعرف عنها كل شيء وفي الوقت نفسه يعد في طليعة القيادة العسكريه بايطاليا وقد تقلب في عدة مناصب سياسية كبيرة لهو اعتراف صحيح بحقيقه الواقع وهو عدم اعتراف الشعب بالسلطان الايطالي وان

كان الشعب لايحتاج الي دليل و برهان علي عدم اعترافه بايطاليا (انظر الى بعض تقارير نائب الحاكم العام بطرابلس الاستاذ كباني الذي اثبتنا منه شيئا بهذا الكتاب) ثم انى اقول: لقد هاجر الكثير من ابناء البلاد ومنهم الزعماء والشيوخ والاعيان والكثير من مختلف طبقات الشعب وكانت هجرتهم الى مصر والشام والسودان وتركيا وتونس والحجاز والكثير من الاقطار الاخرى فلقي اولئك المهاجرون المجاهدون مالقيوه من انواع العنة والفاقة والتعب رغم ماقدمت لهم من المساعدات فلم يحنوا الى ديارهم واهليهم مادامت على الوضع الذى قدر لها ان تكون به والكل ينتظر ساعة الخلاص للبلاد والتي لم تعترف إلايطاليا فغلب هؤلاء المهاجرون على امرهم ولم يستطيعوا منازلتها كما كانوا وفي ذلك يقول احدهم فى كتاب بعث به الى احد اصدقائه الذى قدر له ان يكون تحت الذل والهوان :

غدونا في الفلا نمشى دواما ... لحفظ الدين خوفا أن يضاما
فان الجار جار وما علينا ... مجاورة الذى يبغى الاماما
تركنا كل مرتحض وغال ... وما اعتدناه من رغد تماما
وشعبكم يطالب فى حقوق ... له حتما وان كانت عظاما
فان جاد الزمان بها رجعنا ... والاقاقرء الوطن السلاما

إحتلت إيطاليا برقه كما يعرفه القراء وكان احتلالها عنوة بعد ان بذلت النفس والنفيس وقهرت في خيرة ضباطها وجنودها واتلفت الكثير من أموالها وعتادها فشوهت سمعتها العسكريه والسياسيه ولطخت صفحات تاريخها وعندما تم لها الاحتلال ظنت ان الشعب سيخنع لهذا الاحتلال ويعترف به كاحتلال دائمي ولكنها اخطأت فى ظنها اذا أدركت تمام الادراك ان هذا الشعب القليل في عدده الكثير بايمانه الضعيف فى قوته والقوى بوطنيته لم يعترف بها كحكومة شرعية بسطت سلطانها عليه وانه يتحين الفرص ليقوم قومته وإن المجاهدين الذين اختلفوا الى بقاع العالم خفافا وثقالا لاينفكوا يعملون فيها استعدادا ليوم لاريب فيه ولذلك أخذت تسلك الطرق المختلفه وتتخذ الوسائل بكل ما يمكنها لاغراء هؤلاء المهاجرين وعودتهم الى بلادهم فامرت سفاراتها وقنصلياتها في الخارج ليعملوا جهدهم لذلك بذرت من الاموال فى هذا السبيل قسما باهضاً كما كلفت الكثير من سماسرتها ليتصلوا بالمهاجرين فى الخارج ، كل ذلك لم يجد نفعا وها نحن

نسوق هذه الابيات التاليه : من قصيده للمجاهد الكبير البشير بك السعداوى تضمينا لقصيدة الطغراءى :

ياحادى الركب حث السير في عجل	نحو المواطن بين السهل والجبل
وقف بذاك الحمي والاربع الدرس	وجول الطرف فى الاكام والقلل

الى أن يقول .

عهدي بها وأسود الليل رابضة	حول الكناس لها غاب من الاسل
واليوم قد أصبحت والذل رائدها	وتشتكي دولة الاوغاد والسفل
قوم أحلو بها لا أصل يردعهم	ولاخلاق سوى الفحشاء والزلل
ظنوا بأن وعدوا أنا نصدقهم	وعندنا وعدهم كذبا بلا خجل
لا تيأسى ياربوع العز وانتظرى	فان دولتهم من انقص الدول

ويقول :

قالوا نحن الى البلاد وأهلها	فاجبتهم هى بغيتى ومرادى
تالله لم أشغف بغير طلالها	ولا منيتي مالت لغير بلادى
في حب ها تيك الديار وأهلها	ذابت حشاشة مهجتى وفؤادي
بالله ياريح الصبا ونسيمه	ان زرت يوما منزلا لسعادى
أبسط لها شوقى وفرط صبابتى	وأهدى تحياتى لها ووداد
وأخفظ جناح الذل عني وقل لها	أسرفت فى هجري وفى أبعادى
حر النوى أوهى فؤادى وإنني	متهتك متمزق الاكبادي
مذغردت بالبين اغربة النوى	من بيننا ماذقت طعم رقادى
أمسي سميرى في الدجي بدر السما	والبدر جسم لايجيب منادى
فلطالما ناديت فى غسق الدجى	حبي فتذهب صيحتى فى وادى
لهفى على تلك الديار وأهلها	قوم لهم في المكرمات اياد
لازالت أصبو بحبهم ووداهم	رغماً علي أنف الزمان العادى

ويقول شاعر برقه الكبير الاستاذ أحمد رفيق المهدوى

كادت تطير باضلعى أشواقى	يوم الفراق فهل يكون تلاقى ؟

ودعته والله يعلم إنني ... ودعت راحة قلبي الخفاق
لو كان قبل اليوم يوم قيامه ... كان الفراق قيامة العشاق
وطني من الايمان حبك ليس لي ... من عليك وأنت ذو استحقاق

ويقول : يأيها الوطن المقدس عندنا ... شوقا اليك فكيف حالك بعدنا ؟
كنا بأرضك لا نريد تحولا ... عنها ولا نرضا سواها موطنا
في عيشة لو لم تكن ممزوجة ... بالذل كانت ما ألذ وأحسنا
عفنا رفاه العيش فيك مع العدا ... وأبي لنا شمم النفوس وعزنا

الي أن يقول :

جعلوك مسخرة بايدي صبيه ... لا يبعدون عن الحمير نمدنا (١)
قالوا لنا جئنا نمدن أرضكم ... اين التمدن والذى قالوا لنا ؟
هدموا من الاخلاق في أوطاننا ... أضعاف ماشادوه فيها من بنا

ومن قصيده لمؤلف هذا الكتاب ولم تكن من الشعرا إذ أنه لايقول شعراً ولكنها من الشعور الذى فاض فغلبه حتى قال :

ماجنة الحسن الا في طرابلس ... عهدى بها وسناها مشرق عال
يابرقة الخير يادار الاحبة ما ... أقسى الفراق بقلبي يوم ترحال
وصوت ذكرك (يابرقا) يردده ... قلبي فيشغلني عن كل أشغالى
نار الفراق لها في مهجتي شرر ... لولا الدموع لاوهت جسمي البالى
دار الاحبة لا أبغى بها بدلا ... فلا بمصر ولا بالشام آمالى
ولا العراق ولاصنعا تغيرني ... عن حب (برقه) ولا الخضراء تحلالي
ولا دمشق ولا الدنيا باجمعها ... انسي بها برقة الفيحاء من بالى

---

(١) يقول البرفسور كمباني في تقريره الذى ذكرنا منه جملا بهذا الكتاب مايلي وهى الفقرة السابعه في تقريره : (وصول ايطاليون الى ليبيا أرسلو خصيصا لخلاص بلدانهم منهم لسلوكهم السيء ويلاحظ من رءساء العائلات البالغ عددهم ثلاثماية وقد وصلوا الى احدى القرى الليبيه منهم ٢٥٠ كانوا من أصحاب السوابق ومحكوم عليهم) ، هؤلاء جيء بهم ليبثوا المدنيه بليبيا . . . . . .

فهي النعيم اذا ماجئت أذكرها ... طاب المقام بها في عصرى الخالي
حصباءها ذهب والتبر ترتبها ... وماءها من رحيق الشهد سيال
وأهلها عرب قعساء همتهم ... شادوا المفاخر جيلا بعد أجيال
الدهر يعرفهم أسدا غطارفة ... فى حالة الجد لا فى القيل والقال
عرج بها يارعاك الله فى اسف ... وأروى الربوع بدمع منك شتال

إن هذه الشعور الذى يفيض في قلب كل ليبي فى شعره وغنائه وحزنه وسروره وضحكه وبكائه وجده وهزله لايكون عبثا ولا هو مجرد أقوال تلوكها الالسن ولكنه ضعم لنار الوطنية الخالصة ومنه يتصور الانسان كيف كانت حالة المهاجرين وما ذاقوه من الوان العذاب عندما تركوا ديارهم لا من أجل حب غيرها ولالمصلحة ذاتية ولالان بلادهم لفظتهم ولكنه احتجاج علي الاغتصاب الايطالى الشنيع وقد عجزوا عن مواصلة الجهاد في بلادهم ومع هذا وذاك فقد واصلوا الجهاد وهم في ديار الهجره حتى ضاقت بهم ايطاليا ضرعاً فانظر الى هذه الجملة من كتاب سرى بعث به الجنرال غرسياني الي حكومته وهو تقرير شامل بعد القضاء علي عمر المختار وقد ترجمه حضرة الشاب الاديب خليفه أفندى عبد المجيد المنتصر نسوق منه هذه الجمله (اذا أردنا أن نقضي مرة واحدة على العصيان يجب أن يغيب ادريس من عالم الموجود فاذا مات هو مات معه التمرد والعصيان ، يجب لتحقيق هذا ان نضغط على مصر حتي تسلمه لنا أو نقض المهمة ورآء الستار) وهكذا أخذت ايطاليا تواصل حربها ضد المهاجرين بكل الاساليب وهكذا إستمر المهاجرون وعلى رأسهم سمو أميرهم حتى آن الوقت المنتظر وحانت ساعة الخلاص المرجوه بفارغ الصبر ففي يوم ٩ أغسطس من سنة ١٩٤٠ تقدم سمو الامير المعظم كما أسلفنا بعرض مساعدته لبريطانيا التى صافحته مقدرة لهذا الشعور وماكاد يصل هذا النبأ الذى نقلته الى (ليبيا) اجنحة الاثير حتى قام الشعب وقعد لهذا الحادث التاريخى العظيم الذى أعاد الي الاذهان نداءات سمو الامير السابقه فى السلم والحرب فيلتف الشعب حوله مليبا نداءه وأعاد الى الاذهان الثقاف الشعب حول جده العاهل الكبير السيد محمد السنوسى وخليفته من بعده السيد المهدى وأعاد الي الاذهان قيام الشعب عندما دعاه سيد المجاهدين العظيم السيد احمد الشريف فقام ممتثلا وأعاد

الى الاذهان سكون الشعب عندما دعاه سمو الامير للسكون ووثوبه عندما دعاه للوثوب سنة ١٩٢٣ وهكذا الشعب قام قومة رجل واحد ملبيا نداء سموه مجيبا داعي الوطن على لسان قائده الاعلى ومع هذا فقد كان الشعب يعرف ماهو فيه وعليه من خطورة الموقف وشدة وطأة قيود الاستعمار الثقيلة فلم يابه لذلك لانه يقدر الواجب الذى يعده أثقل مما يحمله فلم يتأخر .

التف أفراد الامة من الزعماء والشيوخ الذين هم فى ديار الهجرة حول الامير وحفوا به لسماع مايقوله فيجيبون (بنعم) وأيدهم الشعب الذى هو تحت الكابوس الايطالى وهانحن نسوق اسماء بعض الاعيان بدار الهجرة أولئك الذين عاضدوا سمو الامير ولبوا نداءه (والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا)

صالح باشا الاطيوش ، عبد السلام باشا الكزه ، عبد الجليل بك سيف النصر ، عبد الحميد بك العبار ، محمود بك أبو هدمه — المشايخ — سعيد شلبي ، عبد النبى مذكور ، على جعوده ، السيد عبدالله بن عامر ، حسين عبدالملك ، حمدزيو ، على محمود لاغه ، عبدالكافي السمين ، منفور على ، طاهر القزيرى ، سيف النصر حدوث ، مفتاح الاشهب ، هرون ابراهيم ، عبد الحميد أبو مطاوى ، قصيبات المصراتى ، الصديق اسماعيل ، قطيط الحاسى ، السنوسى بريدان ، التريكى البرعصى ، يونس البشارى ، ابراهيم أبو سيف ، الحاج محمد الروياني ، السيد على بحيح ، الحاج عطيه بن جابر ، صالح البصير ، الهادى عبد الصمد النعاس ، عبد الله حويل ، حمد خليل ، سعد الله النمر ، جبريل مفتاح ، عبد الله الخرصاني — فهؤلاء الاعيان وغيرهم من المهاجرين كانوا هم النواة لتأليف الجيش الوطنى وهم الحجر الاول الذى وضع لبنائه من جديد ومنهم تكونت الجمعيه الوطنيه التى نابت عن شعبها فى القيام بواجبها الوطني الذى يتطلبه الموقف وعلى رأس هذة المجموعة قام السادة السنوسيون السيد صفى الدين والسيد إبراهيم بن السيد احمد الشريف والسيد الصديق رضا والسيد شمس الدين وكان أول اجتماع عقدته هذه الجمعيه اذا استثنينا الاجتماعات التمهيديه هو الاجتماع الكبير الذى كان يوم ٩ أغسطس ففى هذا اليوم رسم المجتمعون خططهم على ضوء ارشادات سمو الامير والف الجيش السنوسى بمصر كما سبقت الاشاره عنه وساهم بنصيب وافر الي جانب الجيش البريطاني

سمو الامير وقد جلس عن شماله سماحة الاستاذ ظافر المدنى
وقد حف بسموه أفراد حاشيته الموقره و بعض المحتفلين به في واحة سيوه سنة ١٩٢٣
ويري سعادة عبد الرحمن عزام (بك)باشا وقد أشير اليه برقم ١١

ومما يذكر لهذا الجيش السنوسي ذلك الموقف المشرف الذي وقفه أثناء انسحاب الانجليز من برقه حيث كان الجيش السنوسى بين المستحبين وعرج على (طبرق) فحوصر بها ودافع عنها دفاع الابطال وخدم هذا الجيش خلف خطوط العدو فقام المغامرات المدهشه وقام بواجبه خير قيام واشترك في أعمال رجال الكندوز (الفدائين) أما أعمال أفراد الشعب الليبي فلا تذكر وليست بخافيه فكانت أعمالهم سببا في نجاة الكثير من ضباط الحلفاء أثناء الكر والفر وكانوا الخبراء لرجال الكندوز وأعينهم المبصرة وكانوا العون المعين لرجال المخابرات الحربيه وكانت بيوتهم مخابئ ومطاعم للانجليز ومأوى لهم فى أشد الحالات العصيبه فيجدون بها ما يأكلون ويشربون وينامون فى بعض الحالات ويجدون بها مأمنا من غائلة العدو وكساء يقيهم الحر والبرد ومعارج يعرجون عليها لغاياتهم كما صرح بذلك رجال الانجليز وضباطهم وكما قال أحد قاداتهم (كل بيت للعرب فهو بمثابة مخيم لنا) ولولا العرب لما استطاع الانجليز أن يقوموا بأى عمل فى برقه وبين صفوف الالمان والطليان اذا استثنينا العمل الذى تحدثه القوة وقد أدت الاعمال الذى قام بها العرب الى فوائد لاتأتى بها القوه ولم تكن هذه الاعمال محصورة في نقطه من النقط أو ناحية من النواحى بل كانت عامة وقد قام بها جميع أفراد الشعب من الرجال والنساء والشيوخ والاطفال من البدو والحضر وكل ذلك نتيجة اجتماع ٩ أغسطس الذى رفرف فيه العلم الوطني والذى تألف فيه الجيش لانقاذ الوطن بمساعدة بريطانيا وتحت قيادة سمو الامير السيد ادريس وكان هو اليوم الذى إبتدأت فيه البلاد تعمل من جديد ولذلك اتخذته عيداً قوميا تحتفل به كل سنة راجية أن يكون فاتحة عهد زاهر نير وقد أراد سمو الامير كما أرادت أمته الاحتفال بهذا اليوم فبعث سموه بامر وهو بالقاهرة الي شعبه نشرته جريدة بنغازى يامر فيه قومه أن يحتفلوا به فى جميع انحاء البلاد وان يتخذوه عيدا على ممر السنين فاحتفل به لاول مرة سنة ١٩٤٣ في جميع المدن الليبيه والقري والاحياء البدويه وفى سنة ١٩٤٤ كان العيد أكثر بهجة وأعم سرورا وروعة وجلالا اذ شرفه سمو الامير الذى كان فى بلاده أثناء زيارته لها . (١)

---

(١) اتخذ الشعب الليبي يوم ٩ أغسطس عيدا فكبر ذلك علي أعداء الوطن واولوه بما تمليه عليهم ضمائرهم كقولهم عيد الاتفاق مع الانجليز والخضوع لهم والحق يقول

الادارة العسكرية البريطانية ببرقة

فى شهر اكتوبر سنة ١٩٤٢ ابتدأ الجيش الثامن تحت قيادة الجنرال مونتجمرى يهجومه العنيف ضد القوات المحوريه المرابطة بموقع (العلمين) واستمر فى هجومه الموفق حتى طهر الصحراء المصريه واجتازها الي برقه فطهرت هى الاخرى كما طهر جميع شمال أفريقيا وسرعان ماوصلت الادارة العسكريه بعد سقوط درنه وبنغازى وعلى رأسها سعادة البريجادير كامن فتولت هذه الادارة شؤن البلاد وابتدأت تعمل بحزم وعزم ونشاط لتنظيم الحالة الاداريه وتهيىء السبل الاصلاحيه بقدر الامكان لسلامة البلاد من عوائق الفوضى التى تكون عادة في كل مكان أثناء الكر والفر وان كانت الفوضي لم تكن ببلادنا كما نسمع عنها فى بقية البلاد الاخرى ، هيئت الادارة كل ما أمكن تهيئته فى سرعة فجاءت بالتموين للامة التى لقيت صنوف العناء أثناء الكر والفر وعانت الشدائد أثر الزحف والانسحابات الستة التى تعاقبت عليها، قدعانت الادارة الكثير من الصعوبات بادى ذى بدء ولكن حكمة رئيسها البريجادير كامن وكياسته ونبل الشعب سهل كل صعوبة ففى أسرع ما يكون عادت البلاد الي حياتها العاديه وتماثلت للنقاهة بعد السقم الاليم وقد اتخذ سعادة البريجادير كامن مقر رآسة العمل بموقع الزاوية البيضاء مشمرا عن ساق الجد مستعينا بالكثير من الضباط البريطانيين وقسمت المناطق الاداريه كما يلي .

طبرق ، درنه ، شحات ، المرج بنغازى ، اجدابيه ويرأس كل منطقة من هذه المناطق ضابط برتبة ميجر يعاونه ضابط آخر كوكيل ويطلق علي كل رئيس منطقة لقب (المتصرف) وفي كل من هذه المراكز قسم للتموين يرأسه ضابط انجليزى يتعاون بعض الموظفين العرب وسرعان ماحل الجيش السنوسي محل البوليس لنظام الامن العام وأسند لكل متصرف وظيفة القاضى والكل يؤدى عمله بنشاط وجميع هذه المناطق

(تابع امش ٥٣٥) لاولئك . لقد أخطأتم في تأويلكم فهو عيد لاعادة رفع العلم الوطنى الذي ضل معطويا منذ ستذ سنة ٩٣١ وسيان كان نشره من جديد بالاتفاق مع الانجليز أو غيرهم فلا يهمنا مادمنا نقصد بالاتفاق الى الهدف الوطنى المقدس .

المناطق مرتبطة برئيس الادارة البريجادير كاظن الذى يلقب بـ(والي برقه) ويمر سعادته بجميع هذه المناطق ودواخل برقه لتفتيشها وتفقد الحالة عن كثب والاشراف على سير العمل وأخذت المحاكم الشرعيه فى اداء مهمتها بكل عناية ويتصل سعادة الوالي بشيوخ وأعيان وتجار كل منطقة للبحث معهم فيما يلزم أو يعود بالنفع فاوصله موقفه الحازم الى غايته التى ينشدها وعادت المياه الى مجاريها وجاءت مجهوداته بنتائج محمودة وقد ابتعد شبح الحرب عن البلاد الامر الذى ساعد على العمل الا ان البلاد قد فقدت الكثير من حياتها الاقتصاديه نظرا لظروف الحرب ولكنها بالنسبه لغيرها من بقية البلاد فلا تدعوا للقلق والتشاءم وكانت عناية الوالى بجميع مرافق الحياة عناية كبيرة الى أبعد حد ثم وجه عنايته لبعض المؤسسات الوطنيه حسبما تمكنه الظروف مثل عنايته بالبلديه والمجلس البلدى وعطفه على جمعية عمر المختار الرياضيه وتشكيل مجالس من الشيوخ والاعيان في كل المناطق لفض الخصومات والمشاكل وعطفه علي ادارة الاوقاف الاسلاميه وعنايته بها وعنايته بالمعارف ومؤسسة اصلاح المساجد وتأسيس اللجان الخيريه التي جاءت بفوائد جمة فسدت الكثير من الحاجة .

البلديات

أن البلديات ومجالس البلديات فى كل زمان ومكان هما الدعامة الكبرى لتحسين المدن وابرازها فى ثوب يليق بها وللبلديات قيمتها الماديه والاديبه وهى الركن الاول في قوام المدن واظهار قيمة سكانها والقاعدة المهمة لصالح كل بلاد توجد بها وقطب رحاها ونقطة ارتكاز عملها ولايقل عميد البلديه في مركزه الاجتماعي والادبى عن أعظم رجال الحكومه في مراكزهم الممتازه وها نحن نقرأ ونسمع عن عميد لمدينة لندن وباريس وغيرها في جميع عواصم أوربا كما نسمع عن عمداء البلديات فى الشرق العربى ولقد رأينا على صفحات الجرائد أكثر من مرة مطالبة سكان القاهرة وأهل الرأى منهم بوجود بلدية فى القاهره كل ذلك مما يدل على ماللبلدية من الاهمية الحيوية أو هي شريان حياة كل مدينة ولقد علمنا بالتجربة مدى قيمته البلديات اجتماعيا وماديا وأدبيا

ولم تخل بلادنا فى أكثر العهود التى مرت بها من وجود بلدية فقد حلت هذه المؤسسة المكان الاول فى عهد الاتراك واحتفظت بمكانها في العهد الايطالي البائد فكان عميد البلديه فى رتبته السياسيه الشخصيه الثانيه مباشرة بعدالحاكم الاول (١) وبعد الاحتلال البريطاني الثالث كانت البلدية من المصالح الحكوميه التى لم تهمل فنالت اهتمام سعادة رئيس الادارة العسكريه واحلت من تفكيره المكان الاول فاسند رآسة بلدية بنغازى للضابط الانجليزى النشيط (جونس) وأخذ هذا الاخير يعمل باهتمام ونشاط مستعينا بالموظفين العرب ومسترشداً بمشورة أعيان البلد وأخذت تعمل لادآء رسالتها بهمة لاتعرف الكلل فى الوقت العصيب ومن بين موظفي بلدية بنغازى الشاب النشيط على أفندي فلاق الذى تقلب في عدة وظائف منها معلم بالمدارس الابتدائيه وموظف بالمديريات وكاتب بالمحكمة الشرعيه وأخيرا الحق بقسم السياسة ببنغازى الامر الذى أكسبه خبرة ودرايه فانتفعت به ادارة البلديه الحاليه اذ عين بها سكرتيرا عاماوهكذا ، وهو الذي يلى عميد البلدية مباشرة وبهذهالبلدية ستة أقسام يرأس كل قسم منهاموظف عربي وهى كما يلى :

قسم المحاسبه ويرأسه الشاب الاديب محمدأفندى الديباني ، قسم الضرائب والرسوم قسم دائرة النفوس ، قسم الصحة العامة والمجاري والاشغال ، قسم الرخص ، قسم الحرس البلدى ، يقوم كل قسم من هذه الاقسام بعمله خير قيام وها نحن نذكر بعض تفاصيل مختصره عن هذه البلديه لانها تعدفى الدرجة الاولى بين بلديات برقه .

المنطقه التابعه لهذه الاقسام الفرعيه من البلدية وفى دائرة عملها فتضم من الناحية الشرقيه عن بنغازى المراكز التاليه : الكويفيه : سيدى خليفه ، دريانه ، توكره ، بنينه ، الرجمه وأخيرا الآبار . ومن الناحية الجنوبيه تضم القوارشه التواقيه ، جردينه ، سلوق ، ومن الناحية الغربيه تضم قمينس ، الطليمون ، المقرون ، ونذكرهنا عدد الموظفين والعمال التابعين لهذه المؤسسة .

---

(١) اذكر من بين من سبق ان رأسوا بلدية بنغازى بن زبلح ، حمد المهدوى ، حمد الجهاني ، صالح بك المهدوى ، محمد بك المحيشي وأخيرا احتكرتها السلطة الايطاليه فحرمت منها الوطنيين كما هو شأن الطليان .

عدد ١٤ موظف بينهم الرءساء والكتاب داخل سراى البلديه

٥٠ موظفين تبع الصحة العامة

٣٠ حارس بلدى

٢١ موظف تبع الفنادق وسوق الحيوانات

١٤ موظف تبع دائرة الضرائب والرسوم

١٧ موظف بالمراكز الخارجيه

٣٢٠ عامل بينهم عمال الحدائق والتطهيرات والنظافة العامه

يضاف الى هذا العدد اثنان وثلاثون امام ومختار محلة كما يقال عنهما بمصر (شيخ الحاره) وكانت واردات هذه الادارة فى السنة الثانيه من الاحتلال البريطاني الثالث ١٢٩ مليما و١٨٧٦٤ جنيهاً وكانت المصروفات ٧٨٩ مليما و٢٥١٢٤ جنيها فكان العجز ٧٦٠ مليما و٦٣٦٠ جنيها قامت الادارة العسكريه البريطانيه بسداده وفي الحقيقه أن البلديه سدت الكثير من الحاجة فى البلاد وأسدت الكثير من المعاونات للفقراء وتقوم بتجهيز قبور الفقراء والاغراب وصرف معاشات لفقراء وعمال المقابر.

وهناك ببرقه بلديات أخرى مثل بلدية درنه وتكون في الدرجة الثانيه بعد بلدية بنغازى ويرأسها الشاب النشيط محمد سرقيوه وهى لاتقل فى أعمالها عن بلدية بنغازى الا أنها أقل منها بالنسبة للاخيره وهنال أيضا بلدية المرج ويرأسها محمد أفندى أبو دجاجه وتكون فى الدرجة الثالثه وتقوم جميع هذه البلديات بخير الاعمال وتمدها الادارة البريطانيه بالمساعدة والارشادات اللازمه وكانت هنالك ببرقه أربع بلديات أخرى هى بلدية البيضاء وسوسه واجدابيه وطبرق ضمت أعمال هذه البلديات للمديريات ففقدت الاهمية المطلوبة وطبعا كان السبب فى ضم هذه البلديات هو الازمة الاقتصاديه والامل أن تعود لما كانت عليه.

المجلس البلدى

من الاعمال المشكورة التى قام بها سعادة رئيس الادارة البريجادير كامن وأيدها بموافقته تشكيل هيئة المجلس البلدى ومده بالارشادات القيمه والسماع لجميع تقاريره التى من شأنها المساعدة على اعادة الحياة لمجراها العادى وازاحة العبء الثقيل عن كواهل الوطنيين وقد شكلت هيئة المجلس البلدى لمدينة بنغازى من السادة الآتيه أسماؤهم :

فضيله الاستاذ عبدالحميد الديباني ، والاستاذ خليل عبدالكافي حسين باشا كويرى ، حسين باشا بسيكرى ، يوسف لنقى ، خليل أفندى الغلال ، الاستاذ محمد أفندى عامر ، عبد الجليل أفندى العزبى ، الحاج محمد كاعيه ، الحاج محمد ابراهيم منينه ، محمود أفندى شتوان ، محمد على أفندى الزيانى ، ريناتو أفندى تشوبه ويقوم بسكرتيرية المجلس على أفندى فلاق السكرتير العام للبلديه ويرأس هذا المجلس عميد البلديه المكلف فقام هذا المجلس باعباء مهمته خير قيام وجاء بكثير من الاصلاحات في وقت كله صعوبات من جراء الحرب وما يحدث عنها ويترتب عليها وكانت اولى جلساته بعد تشكيله يوم الاربعاء ٣٠ ربيع الاول الموافق ٤ مايو سنه ١٩٤٣ وقد جاء باعمال كبيرة ومفيدة من ناحيتي الاصلاح المادي والادبي ومثل الامة في كثير من المناسبات الطيبه التى يجب أن يظهر فيها الشعب بالمظاهر اللائقه به وطرق كل النواحى الاصلاحيه والاجتماعيه بقدر الامكان وكان رئيس الاداره يسمع لاقواله ويجيب طلباته بقدر ماتسمح به الظروف وفى الحق أنه باكورة عمل كبير لخير كثير وكان يظهر باعماله الاديبه في كل مناسبة من المناسبات بمظهر أدبي سياسى منها أنه عندما القت ايطاليا السلاح أمام القوات المتحالفه عقد جلسة فوق العاده يوم ٩ سبتمبر سنة ١٩٤٣ بمناسبة هذا الحادث السعيد وقرر مايلى :

هتاف أعضاء المجلس بحياة الامم المتحالفه التي وفقت بفضل جهدها ومجهودها الى تقويض احدى دعائم المحور وتحطيمها تحطيما سيؤدى بغير شك الى دك الدعامة الثانية وانهيار صرح الظلم والاستبداد وزوال شبح الدكتاتوريه المظلم على العالم أجمع وقد أسفرت المحادثات بين أعضاء المجلس على ارسال برقيتين الى صاحب السعاده البريجادير كامن

متضمنتين أصدق عبارات التهاني وأخلص الابتهاج بحادث سقوط ايطاليا ليبعث بنص أولاهما الى كل من سعادة رئيس وزراء بريطانيا وحضرة رئيس جمهوريات الولايات المتحدة الامريكيه وثاني البرقيتين الى صاحب السمو الامير السيد محمد ادريس المهدى السنوسى . وطلب حضرات الاعضاء تخليد يوم ٨ سبتمبر وجعله مناسبة تاريخيه تحتفل بها البلاد على مدى الاجيال .

نص برقيته بعث بها دولة رئيس الادارة العسكريه البريطانيه ببرقه الى هيئة المجلس البلدى . قد استلمت رسالتكم المرسله بتاريخ ٩ أغسطس سنة ١٩٤٣ بأعظم سرور واتمنى ان يحتفل بهذا العيد بنفس الحماس على مدى اعوام كثيرة في المستقبل واني واثق ان الادارة العسكرية البريطانيه مدة حكمها لبلادكم يمكنها الاعتماد على مجلسكم لادارة شؤون مدينه بنغازى بعنايته وحكمته وتفضلوا حضراتكم بقبول وافر التحية والاحترام — الوالي كامن .

ومن بين أعمال المجلس البلدى طلبه فى جلسته المنعقده فى ٢٦ أغسطس ان تسمي الساحة المعروفه بميدان ٢٨ اكتوبر باسم ميدان ٩ أغسطس تخليداً لذكرى عيد برقه القومى ثم طلب المجلس من رئيس الاداره أن يوافق على تسمية أكبر شوارع بنغازى المعروف باسم شارع فيتوريو فينيتو باسم المجاهد العظيم السيد أحمد الشريف السنوسى فوافقت الاداره وسمى باسم بطل الاسلام والعرب السيد أحمد . وقد اشترك هذا المجلس باسم الامة البرقاويه مع الامة المصريه خاصه والاسلام عامه في الحزن على الفقيد العظيم الامير عمر باشا طوسون فابرق بالتعزيه الى سمو الامير السيد ادريس السنوسى في مصر والى الاميرين نجلى الفقيد والى صاحب المقام الرفيع مصطفى النحاس باشا وقرر فى احدى جلساته أن يطلق اسم الفقيد على أحد ميادين بنغازى فحصلت الموافقة من الادارة العسكريه وسمى ميدان (كانيي) باسم ميدان الامير طوسون وهذا نص البرقية التي رد بها الامير سعيد طوسون .

حضرة صاحب الفضيله الشيخ عبد الحميد عطيه الدبيانى وكيل هيئة المجلس البلدي البنغازى السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد فقد وصلت الينا تعزية فضيلتكم باسم برقه وشعبها في وفاة المغفور له صاحب السمو الامير والدنا واننا اذ نشكر فضيلتكم وحضرات

ممثلي هيئة المجلس البلدى البنغازى وأعيان برقه وشعبها أجزل الشكر نرجوا الله تعالى أن يطيل حياتكم ويمتعكم بكامل الصحة ووافر الهنا واقبلوا مزيد سلامنا واحترامنا ٥ مارس سنة ١٩٤٤ الامضاء (سعيد طوسون)

لم يقف هذا المجلس عند موقف واحد من أعماله بل أسدى مجهوداته فى جميع النواحى بهذه البلاد فمن ذلك ان الجمهور رفع له شكوى نحو عدم انتظام سير المدارس قبل أن تنتظم ادارة المعارف وتظهر بمظهرها الحالي فانتدب المجلس هيئته من بين اعضائه لمعاضدة دائرة المعارف فى وضع البرامج الدراسيه واختيار المعلمين الاكفاء واتخاذ إجراءات كفيلة بتحسن حالة المدارس ورفعها الى المستوى الذى يحقق رغبات الشعب فى نشر الثقافه والتعليم، ومن خدمات المجلس عنايته بلجنة اصلاح المساجد المشمولة برعاية الامير وعطفه السامي وحازت عناية رئيس الادارة العسكريه وكان بعض أعضاء لجنة اصلاح المساجد هم أعضاء المجلس البلدي أضف الى ذلك عناية المجلس باللجنة الخيرية التي كان لها الاثر المحمود وقد جاءت باعمال طيبة تذكرها على مر السنين.

أخذ المجلس يتطلع الي كل مكرمة من شأنها تشرف الامه فيبادر للجري وراءها وفى كل مناسبة من المناسبات التي تحدث يظهر المجلس بمظهر مشرف للشعب وقد جاء بأعمال مجيده وظهر بمظهر عظيم عندما زار الوفد الاميرى برقه وذلك فى شهر ديسمبر سنة ١٩٤٣ أما عن أعماله عند زيارة سمو الامير المفدى فحدث عن ذلك ولا حرج وانى اذ اختم هذه النبذة القليلة من أعمال المجلس البلدى ببنغازى لا يسعنى وأنا كفرد من أفراد الامة الا أن أتقدم لهذا المجلس بالشكر العميق الذى لا يمنعنى من توجيه اللوم الى الهيئة المذكوره كما يوجهه اخواني فى مناسبته على أى تكاسل أو تراخ اذا حصل منه وان كانت الاعذار التي يتذرع بها المجلس دفاعا عن نفسه تمنعنا حينا عن اللوم ولكنها لا تمنعنا أحيانا ونرجوا لهذا المجلس ولكل هيئة تخلفه التقدم المستمر والتوفيق في القول والعمل والاتحاد والتضامن للنفع العام والسير علي الصراط السوى ونكران الذات في سبيل الوطن وتقدير الواجب علي كل ماسواه هذا ماتريده الامة لكل هيئة من هيئاتها مؤمنة (اى الامة) بأن المجلس البلدى أو مجالسها التي تكون بالبلاد تعلم علم الحق أن العمل الخالد كما قال سمو أميرنا فى أحد كتاباته الخالده (انى اعلم أن الحياة

الخالده هى للامم لا للافراد وكذلك الاعمال العظيمة الباقيه هي التي تتصرف الى صالح الجميع فلذلك أدعوه سبحانه وتعالى أن يوفقنا الي كل عمل تمرته للامة) .

الاوقاف الاسلامية

تأسست ادارة الاوقاف الاسلاميه ببنغازى سنة ١٢٧٩ هـ وليس لها مورد يذكر اللهم الا بعض ماوهبه الخيرون والحكام الاتراك في وقتهم على المساجد وفي سنة ١٩١٩ تألف مجلس لادارة الاوقاف تحت رآسته الفقيه محمد بن شتوان ثم خلفه الحاج محمود كاهيه حتى سنة ١٩٢٣ فرأس هذه الادارة الاسلاميه مدير ايطالى استقل بها فى عمله واستبد فلا سائل ولا مسئول ولم يرجع هذا المدير للتشاور مع أهل الوقف المسلمين الذين هم أحق به وأهله الا فى بعض الصغائر واتفهها فيتشاور مع القاضى أسميـا وفي سنة ١٩٣٦ انتقلت ادارة الاوقاف الى أيدى المسلمين وهى أشد ما تكون من الفوضى والعوز فتولتها ادارة مشكله كما يلي .

فضيلة الشيخ محمد بن مسعود القاضى السابق رئيس
الدكتور على العنزي عضو مدير
عمر بك المحيشي عضو
خليل أفندى القلال ،
فرج الكوافي ،
محمد المدقوش ،

وبهذا الانتقال تغيرت حالة الوقف عما كانت عليه الي أحسن وقد بذل مجلس الاوقاف الجديد جهوداً جباره جاءت بنتائج محموده للغاية وأهم هذه الاعمال التفكير في تشييد عمارة الاوقاف بميدان البلديه وخرج هذا التفكير الي حيز العمل وتم تنفيذ ذلك فى عهد مدير الاوقاف الحالى لما كان مديرا بالنيابه وفي سنة ١٩٤٠ صدر قانون خاص بالادارة يحدد عدد الاعضاء الى ثلاث فقط بدلا من خمس عدا الرئيس فتالف المجلس بموجب هذا القانون من السادة : الحاج السنوسي المرتضى ، عمر بك المحيشى ،

خليل أفندى القلال أعضاء ثم عين الشيخ خليل عبد الكافي بدلا من عمر بك المحيشى الذي توفاه الله وفي سنه ١٩٤ صدر مرسوم من سعادة والى برقه عين بموجبه الشيخ السنوسي المرتضى رئيسا بدلا من الشيخ محمد بن مسعود الذى انتقل نهائيا الى طرابلس وخليل القلال عضو مدير ، الشيخ خليل عبد الكافى ، والحاج محمد ابراهيم منينه ، محمود أفندي شنوان ، الاستاذ سالم بن عامر أعضاء : ليس لادارة الاوقاف أملاك تذكر خارج مدينة بنغازى وبما ان الواردات كانت ضئيله في العهد الايطالى رغم التقدم الذى طرا عليها والتحسن الذى ادخل اليها أخيرا فكانت تحتاج الى المساعدة من الحكومة وكانت ايطاليا تدفع تبرعاً سنويا قدره خمسة عشر الف ليره ايطاليه وهى بمعدل مايه وخمسين جنيها مصريا لاقامة الحفلات التي تقيمها ادارة الاوقاف فى مناسباتها ولما انسحبت ايطاليا انسحابها الاخير كانت مالية الوقف مودوعة بالخزينة الايطاليه وقدرها سبعون الف ليره ايطالية فبقى المبلغ المذكور بخزينة ايطاليا المنسحبه ولذلك أصبحت الاداره في ضرر ظاهر وقد كانت عقارات الوقف مهدمة من جراء الغارات الامر الذى جعل الادارة في حاجة ماسه حتى كادت أن تقف عن اداء عملها فتبرعت الادارة العسكرية البريطانية بمبلغ وقدره أربعمايه وسبع وثمانين جنيها ونصف لمساعدة الاوقاف وقيام ادارتها بالعمل وقد شمر مديرها الحازم خليل القلال عن ساعد الجد وقدم الاجتهاد فاصلح بهذا المبلغ بعض المبانى وأجرت وبالوارد منها اصلحت مبانى اخري فتحسنت وأرادت الادارة وارتفعت حتي بلغت سنويا من ست وثلاثين الف ليره ايطاليه الى الف وستمايه جنيه مصري وهذا شيء لاشك أنه يبشر بخير.

هناك بمدينه بنغازى وتحت رعايه الاوقاف الاسلاميه ثمانية وعشرون مسجد لكل منها امام ومؤذن ولبعضها قيم عدا الامام والمؤذن تقوم ادارة الاوقاف بصرف رواتبهم كما تقوم بترميم وفرش وانارة هذه المساجد وتقوم أيضا بدفع رواتب موظفى الادارة وتصليح المنابر واقامة الحفلات الدينيه وتعيين رجال الوعظ والارشاد بالمساجد خلال شهر رمضان المعظم كما تقوم بتوزيع بعض اعانات للفقراء وان كان ذلك محدوداً وتوجد لدى ادارة الاوقاف مكتبة تضم الفين مجلد من الكتب السنوسيه أكثرها في علوم الفقه والحديث والتفسير واللغة وهى قسم من المكتبه السنوسيه التى جاءت بها ايطاليا من الكفره وبعد جهد جهيد وفقت ادارة الاوقاف الاسلاميه لضمها اليها بعد

أن ضاع الكثير منها ولكن الامر الذى يؤسف له ان ايطاليا أمرت بنقل المكتبه الى سلوق بحجة الخوف عليها من الحرق اثناء الغارات المعاديه وكان مدير الاداره يخالف هذا الرأى ولكنه لم يوفق فى هذه المعارضة فنقل منها ثلاث آلاف مجلد وهذا القسم المنقول احرقه الطليان فى انسحابهم الاخير من سلوق وبقى القسم الموجود بادارة الاوقاف وهو مرتب ومعروض لمطالعة الجمهور ويقوم مدير ادارة الاقاف بعزم وحزم منقطعى النظير لصالح الاداره فنال تقدير واعجاب مواطنيه ولما شرف سمو الامير الجليل بلاده فى زيارته أقامت له ادارة الاوقاف حفله شيقة حضرها جميع رجال السلطة ببنغازى وأعيان ووجهاء المدينة والقى حضرة المدير كلمة ترحيب باسم مجلس ادارة الاقاف تناول فيها ماقامت وستقوم به هذه المؤسسة الاسلاميه تحت رعاية سموه :

المعارف

لايخفى أن قوام الامم ونجاحها يتوقف على درجة تعليم أبنائها وغير خاف ان العلم هو عماد الشعوب القوي واسها المتين وركنها الاول وقد تتفاوت الامم بقيمة مستواها العلمي كما يمتاز الفرد بين الجماعات بسمو مداركه وفى ذلك يقول الله تعالى (هل يستوي الذين يعلمن والذين لا يعلمون) وان هذه الحقيقة الحقه لاتحتاج الي برهان فالكل يعلم أن الحياة بدون علم هى الموت الزؤام والعمل بغير علم نهايته الفشل المحقق وقد كانت برقه فى الصف الخلفي بين الشعوب العربية الشقيقه عندما تتبارى تلك الشعوب فى ميداني العلم والتعليم وماندرى بأى علة نعلل هذا اذا جئنا لبحث الموقف في العهد العثمانى فاذا أردنا ان نوجه اللوم للحكومة الدائمه وقتذاك وهي العثمانية عندما كانت سيدة البلاد نجد في الوقت نفسه أن للامة أوفر نصيب من هذا اللوم ولكن نصيبها وان كان وافر لايخفف لومنا علي الحكومة العثمانيه وقتذاك لانها لم تنشر المدارس في انحاء القطر ثم انها لم تجعل التعليم أجباريا ولم تدع له وهى العامل القوى لو فكرت في ذلك وهى صاحبة الشأن لو عملت وإذا فرضنا أنها تعللت بقولها ان سكان القطر أغلبهم من البوادى الرحل الذين لايستقر لهم قرار ولايمكن أن تعمل لهم مدارس رحالة ولم يهدؤ

لهم بال حتي يشق منهم قسم عصا الطاعة على الحكومة فاجبارهم للتعليم والحالة هذه أمر صعب ، اذا فرضنا أن العذر الوحيد الذى تذرع به الحكومة العثمانية لتخرج من طائله اللوم نجد العذر أقبح من الذنب كما نجد التهاون دليل على عجز الحكومة أو سوء نيتها وبرهاننا على ذلك هو عدم اعتناءها حتى في المدن بصفة عامه فيجدربنا أن نقول أنها أهملت التعليم اهمالا كليا حيث لم تكن هناك مدارس تذكر اللهم الا المدرسة الرشدية ببنغازى وأخرى بدرنه ولم يكن التعليم والسعى ورآءه بهاتين المدينتين علي الوجه المرضى وكانت المدارس القليلة وقتذاك ببنغازى ودرنه لاتفي حتى بحاجة سكانها وهى أقل في مركزها التعليمى من المدارس الابتدائيه فى وقتنا هذا ومع كل فاننا مقتنعون ان الشعب نفسه لايخرج من هذا اللوم . لقد ذكرنا في غير هذا المحل أن التعليم كان متأخر لدرجة أن الانسان بالباديه متى جاء له كتاب لايجد من يقرأه فيتكلف الذهاب الى أقرب مدينة اليه ولكن عندما وصل السيد محمد على السنوسى جعل الحجر الاساسي لجميع أعماله هو التعليم ونشره فى جميع أطراف البلاد فجعل الزوايا التى هى بمثابة المراكز في كل ناحية من نواحى القطر بحيث لايكون محلا خاليا منها وفى كل زاوية مدرسة قرآنية ويتعلم بها الى جانب القرآن مبادىء العلوم الدينيه فكان أسس أساس الزوايا هو التعليم أما المنتجعات التى تقع بعيدا عن الزوايا فلا يكاد يخلو منتجع واحد من معلم فيه ويقولون عنه (فقيه) وأعلن السيد السنوسى حربه الشعواء التي لاهوادة فيها على الاميه حتى كادت أن تموت فى عهده وعهد خليفته السيد المهدى وهناك أيضا المعهد السنوسي بالجغبوب فتخرج منه آلاف العلماء والفقهاء والمحدثون والشعراء والادباء والفلكيون والقواد فى أسرع وقت ولكن سير التعليم وقد تباطأ قليلا عندما تحول السيد المهدى الى الكفره فعالج سيادته هذه المشكلة بعنايته ونهض به ولو جئنا نقارن بلادنا نسبيا ببقية الشعوب لوجدناها نالت أو فرحظ من التعليم في عهد السيد السنوسى الا أن الغزو الايطالى أثر فى هذه الناحيه تأثيرا بليغا فقد شغلت البلاد فى حربها ضد المعتدى الغاشم دون كل ماسواه واشتغل رءساء الزوايا وشيوخ الامة وشبابها الفض بهذه الحرب قصورا لاتقصيرا وأهمل التعليم ورجع القهقرى . لم تفكر الامه وهى مشغوله بالحرب فى ايفاد البعثات العلمية كما هو الحال فى البلاد الاخرى للمشاغل التي اشغلت مفكرو الامة ردذى الرأي

منها عن العمل من أجل التعليم ولهذا فلم تكن هناك بعثات تذكر اذا استثنينا تلك البعثه التي أوفدت إلى الاستانه وكان الفضل في ذلك الي أنور باشا غير أن البعثه خصصت للتعليم العسكرى وأخذت دروسها بصفة سريعة فلم تطل مدة التعليم حتي عادت البعثه وكان عدد أفرادها لايستهان به ثم فكر نائب الخليفه السيد احمد الشريف في ارسال بعثة أخرى ولضعف ميزانيه حكومتة واشتغالها بالحرب اراد أن تكون هذة البعثه من أبناء رءساء الزوايا وشيوخ القبايل وسراة الشعب وأثريآئه ليستطيعوا النفقة على أولادهم وبدأ فى قيد أسماء أفراد البعثه فحال دون ذلك الظرف الاخير وهو الحرب مع الانجليز وما نتج عنه من الازمة السياسيه والاقتصاديه وأخيرا كان سمو الاميرالسيد ادريس وقد وجه اهتمامه وتفكيره لهذه الناحية فجاءت الحرب الايطاليه الليبيه الثانيه سنة ١٩٢٣ فأوقفت جميع الاعمال ، أما البعثات الى الازهر الشريف فكانت فى جميع العصور جد قليلة والاسباب فى ذلك جلية واضحة منها عدم عناية الحكومه العثمانيه بذلك ولكن المعهد الجغبوبي سد فراغا كبيرا ولايقلل المتخرج عنه عن خريج الازهر ومن بين الاسباب أيضا ظروف الحرب مع ايطاليا من جهة ومع فرنسا من جهة أخرى أضف الى ذلك عدم مساعدة الحكومة المصريه لابناء بلادنا كما كانت تساعد بقية بعثات البلاد الاخرى ثم أن ايطاليا لما بسطت سلطانها الغاشم عنوة على البلاد وفقت حجر عثرة زد على هذا وذاك الفقر الذى سببه الحرب .

هذه هى الاسباب التى جعلت التعليم محدودا ولكن استعداد الشعب الفطرى والذكاء النادر والرغبة اللانهائيه والاقتناع بفوائد العلم كل ذلك جعل مستوى التعليم نسبيا لابأس به ولذلك توجد بالبلاد طبقات متعلمه تعليما طيبا فهناك طبقة الادباء والفقهاء والصناع والمتعلمون من أصحاب الحرف ومختلف المهن والرياضيون والاداريون لايقلون فى مستواهم عن اخوانهم الشرقيين وقد انتشرت المدارس فى العهد الايطالى في كل مدينة وقرية ومركز وجعل التعليم اجباريا فلو كانت برامج التعليم صالحة والخطة المتبعة فيه مفيده لكان الشعب فى الصف الامامي ولكن كان التعليم الايطالى كما ذكرناه في غير هذا المحل لغير صالح الشعب وبالرغم من ذلك وصل أبناء الشعب الي مستوى طيب ولما انسحب الايطاليون انسحابهم الاخير وتولت الادارة العسكريه البريطانيه

وجهت العناية لناحية التعليم وان كانت قد لقيت صعوبات كثيره فى السنة الاولى وأخيراً توفقت الاداره للقيام بهذه الناحية فأرضت الشعب بالرغم عن حالة الظروف القهريه و نقص الحاجيات فخصصت الادارة مبلغا طيبا من ميزانيتها للمعارف وعين للاشراف عليها ضابط بريطانى برتبة ميجر كمدير للمعارف يتعاون مع الوطنى الغيور على بك أسعد الجربي ناظر المعارف الذى اختاره سمو الامير لهذا المنصب الحيوى وأخذت المدارس تؤدى رسالتها خير اداء بواسطة نخبة طيبه من أبناء البلاد تحت اشراف مدير وناظر المعارف المذكورين وفى سنة ١٩٤٤ انتقت المعارف نخبة طية من حضرات المعلمين الذين يشغلون الى جانب التعليم مناصب نظار للمدارس (١) وارسلت هذه البعثه الى مصر يصحبها مدير وناظر المعارف لاخذ دروس خاصة فى التربيه وعلم النفس وتطبيق ذلك بمدارس مصر والاطلاع على البرامج الدراسيه في المدارس المصريه وأخذ فكرة عن ذلك وقد لقيت هذه الفكرة عناية وعطف سمو الامير الفدى فاقام للبعثه حفله تكريم دعي اليها الكثير من الشخصيات المحترمه بمصر كما أن البعثة قويلت فى الاوساط المصريه وبين رجال التعليم ووزارة المعارف بكل احترام وعناية وبعد عودتها جيء باستاذين مصريين لالقاء دروس فى علم التربية على المعلمين ببنغازى ودرنه وأقبل عليها معلموا المدارس فتوفقت المعارف توفيقا طيبا نحو ارسال البعثة المذكوره والاتيان بالاستاذين واختيار المعلمين للمدارس وان ادارة المعارف عازمة عزما أكيدا على ايفاد بعثه كل سنة ، أما عدد المدارس الآن ببرقه فهو كما يلى : ففى المنطقة الشرقيه ببرقه إثنى عشر مدرسة واحدة من ذلك للبنات وعدد تلاميذ هذه المدارس ١٢٠٠ تلميذ يديرها ٣٧ معلم تحت اشراف مفتش المنطقة الشرقيه الاستاذ عبد الجواد القريطيس وعشرون مدرسة قرآنيه يديرها عشرون معلم وعدد تلاميذها (٤٠٠) عدا الكتاتيب القرآنية الموجوه بالمنتجعات البدويه وفى المنطقة الغربيه من برقه ستة عشر مدرسة يديرها ٤٩ معلم وتحتوي على ١٥٠٠ تلميذ

---

(١) في سنتي ١٩٤٣ و ١٩٤٤ يقال أن المعلمين بمدارس القرى خارج بنغازى لايزيدون في معلوماتهم عن التلاميذ ان لم يكن الاخيرون أقوى ومن المحقق أن ادارة المعارف ستلافا ذلك .

منها مدرستان للبنات وعدد المدارس القرآنيه خمس وعشرون تحت اشراف مفتش المنطقة الغربيه الاستاذ مصطفي بن عامر وهناك مدرسة داخليـة بجردس العبيد نظمت نظاما يدعو للاعجاب والدهشه تبرع لايجادها الخيرون من أهل البلاد وقد نالت عناية ورعاية سعادة الوالى وهي تحت اشراف المعارف وقد جيء لها بمعلم من خيرة الشباب الوطنى وهو الاستاذ المبروك الحباي والعمل جار على ايجاد غير هذه المدرسة .

مكتب النشر

فى شهر ابريل سنه ١٩٤٣ فتح مكتب فرعي لوزارة الاستعلامات البريطانية في مدينه بنغازى وتولي ادارته ضابط بريطانى برتبه كابتن وقد اصدر هذا المكتب جريدة بنغازى كما خصص صالة يأويها محبوا الاطلاع والاستطلاع لاخبار الحرب وسيرها واخبـار جميع العالم حيث كانت الاخبار منقطعة عن الشعب لعدم وجود مركز توليد الكهرباء وقد نسفه الالمان اثناء انسحابهم فاصبح الاصغاء الي صوت المذياع من المستحيل وكان هذا المكتب يمد اهل البلاد بجميع المعلومات وبالصحف المصريه وكانت جريدة بنغازى مع صغر حجمها تؤدى مهمتها خير آداء (وشيء خير من لاشيء) فسدت الكثير من الفراغ وقد عين لرآسة تحريرها الاستاذ الاديب عبدالجواد فريطيس كما عين الاستاذ الاديب محمود افندى مخلوف وهو من خيرة الشباب المتعلم رئيسا لصالة المطالعة وفى شهر ابريل من السنة نفسها وصل المستر ريد المدير العام لمكاتب الاستعلامات ببرقه ففتح فروعا لمكتب الاستعلامات في كثير من مدن برقه ومد هذه الفروع بآلات المذياع يسمع منها اهل الناحية الاخبار عما يدور حول هذا العالم المضطرب ولمكتب الاستعلامات ببنغازى صالة كبري تضم اكثر الصحف الشرقيه والافرنجية والكتب الحديثه ونشرات الاخبار اليوميه تحت اشراف محمود افندى مخلوف ومما يذكر لمدير مكتب الاستعلامات حنوه على تلامذة المدارس وزيارتهم الفينة بعد الاخرى ومدهم بالكتب وبعض الادوات المدرسية ومديد المساعدة للجنة اصلاح المساجد والترفيه عن المرضي بالمستشفى وعن المساجين وقد وقف موقفا محمودا اثناء زيارة الوفد الاميرى لبنغازى فأشترك مع الشعب البرقاوى فى

استقبال الوفد الاميرى والاحتفاء به ثم وقف نفس الموقف عندماشرف سموالامير بلاده بزيارته اليها فى شهريوليو سنة ١٩٤٤ وقد قام مدير مكتب الاستعلامات بتأسيس دار للثقافه واستجلب لها كمية طيبة من الكتب الادبيه والتاريخية وتلقي هذه الدار المحاضرات المختلفه :

الصحافة

لاشك أن الصحافة في العالم هى مقياس رقى الامم وهى التى تخدم الشعوب فى جميع الظروف وهى لسان حالة الامة الفصيح وترجمانها البليغ وطبيبها الاخلاقى الماهر وحكيمها الاجتماعى الخبير ومعلمها الرشيد وحلقة الاتصال بين جميع الامم وسفير الشعوب فى الخارج ونبراس حياتها الوضاع ومما يؤسف له أن بلادنا لازالت فى الصف الاخير من هذه الناحية ولاذنب للامه فى ذلك فالذنب هو ذنب الظروف وحدها ، أن برقه لم تعرف فى عهد الاتراك جريدة تصدر بها وغايه ماهناك تصلها بعض الصحف المصريه والتركيه وفى العهد الايطالى كانت تطبع بينغازى بعض الصحف الايطاليه يوميه وأسبوعيه ولكنها طبعا لا تمت للوطن بصلة لانها كانت لسان حال المستعمر وكانت أول جريده عربيه ببرقه (بريد برقه) وقد أسسها المرحوم محمد طاهر الحيشي سنه ١٩٢٥ فكانت هذه الصحيفة الفتيه مقيدة بقيود حكومية ثقيله ولم تتمكن من الوصول الي الغاية الوطنيه حتي أنها نالت سخط جميع الوطنيين وأصبحت العوبة بينهم لايقيمون لها وزنا ولا ينظرون اليها الا بعين السخريه والازدراء وانى أتذكر أن احد الشعراء الوطنيين هجاها بقصيده منها قوله :

فلا يغررك ما قال (البريد) خراف لا يضر ولا يفيد
اذا جاءوا اليك به فجل الي (الكانون) يصحبك الوقيد
مسيلمة الجرائد ما تنبا وزاد فذاله كفر شديد

الى أن يقول : أتوعدنا لزهبا بقول وما نفع الرصاص ولا الحديد

وقد توفي مؤسسها رحمه الله سنة ١٩٢٧ فتولى رآسة ادارتها وتحريرها شقيقة

القائد الاعلى للجيش السنوسي سمو الامير السيد ادريس يتوسط ضباط جيشه جالساً

منظر آخر لسمو الامير وقد توسط ضباط جيشه

سمو الامير السيد ادريس السنوسى ويرى عن شماله سيادة وكيله السيد ابراهيم السنوسى وقد حف بسموه أبطال الجهاد من زعماء ليبيا يوم ٩ أغسطس سنة ١٩٤٠ بالقاهرة

المرحوم عمر بك المحيشي المعروف بوطنيته والغيور عليها فكان الي جانب ما اتصف به من التطرف في الوطنيه والنزعة القوميه والغيرة العربيه مع كل هذا ومع ماعرف عنه من الاستقامة والاستمرار على مبدئه النبيل الي جانب كل ذلك أصبحت جريدته لسان حال المستعمرين لاصيغة وطنيه فيها الا رئيس تحريرها (المحيشى) فكانت والحالة هذه جريدة مبغوضة الى أبعد حدود البغض لانها ايطاليـــه استعماريه منفصلة عن كل شيء يتصل بالوطن وكان رئيس تحريرها محبوبا بين بني قومه الى أبعد حدود الحب حيث لاصبغة ايطالية فيه الا جريدته وذلك بحكم الزمن ، كانت هناك ببنغازى صحيفة عربية واسمها الحقيقه وكان رئيس تحريرها الايطالى المدعو (أولمى) ولكنها اختفت بسرعة لحلت محلها جريدة بريد برقه المذكوره ثم هناك جريدة ايطاليه اسمها بريد BENCASI CURRIERADI تصدر يوميا وهناك مجلة ايطاليه اسبوعيـــه اسمها برقه المصوره cirenaica Lustrata وفى سنة ١٩٣٦ اراد المحيشى رحمه الله أن يظهر بصحيفة أخرى ظنا منه أنها ستكون بمحاولاته وجهوده وطنية تحت ستار مجلة أدبيه وأسماها (ليبيا المصوره) ورغم جميـع محاولاته ومابذله من الجهود الجبـارة أصبحت هى الاخرى لاتقل في مركزها بين أفراد الشعب عن اختهـا جريدة بريد برقه ولولا شيئين اثنين هما القسم الادبي والتاريخي بهذه المجلة وكون رئيس تحريرها المحيشى المحبوب لما تناولتها يد واحدة بالبلاد وكان المحيشى رحمه الله رغم السلطان الايطالى الغاشم والرقابة الشديده وأعدائه الواقفين له بالمرصاد يقيدون عنه كل حرف يكتبه وكلمة يسطرها يواصل العمل المستطاع لخدمة بلاده بصحيفته الايطاليه الاستعماريه والجميع يعترفون له بذلك .

وفي هذا العهد الجديد أصدر مكتب الاستعلامات كما قلنـا جريدة بنغازى اليوميـه وكان يرأس تحريرها الاستاذ عبد الجواد الفريطس ثم نقل الي المعـارف فتولى رآسة ادارتها الاستاذ صالح أفندى بويصير ثم أن هناك صحيفة أخرى اسمها برقه الاسبوعيه صدرها مكتب النشر باللغتين الانجليزيه وتنشر بها حوادث تاريخيه شيقة باقلام الكثير من الكتاب الانجليز أنفسهم ومن بينهم البحاثه الخبير الميجر بر شارد . (١)

---

(١) علمت والكتاب تحت الطبع بصدور جريدة أسبوعيه بمدينة بنغازى اسمهـا (الوطن) يصدرها المركز الرئيسى لجمعيات عمر المختار كما علمت بصدور مجلة نصف شهريه إسمها (الفجر) يصدرها صاحبها صالح أفندى بويصير

وهناك أيضا برقه الرياضيه يصدرها قسم الرياضه التابع لجمعية عمر المختار الرياضيه يرأس تحريرها الشاب النشيط الاستاذ محمد أفندى الصابرى فاستمرت بعد صدورها أشهر ثم احتفت للظروف الحربيه والمأمول أن تظهر من جديد .

وهناك أيضا مجلة عمر المختار الشهريه يصدرها قسم الثقافه التابع لجمعية عمر المختار ويرأس تحريرها الاستاذ مصطفي بن عامر .

الوفد الاميرى ببرقه

كانت البلاد تنتظر بفارغ الصبر وصول صاحب السمو الأمير الجليل إذ قررت زيارته رسمياً في ٤ أغسطس سنة ١٩٤٣ وكان الشعب الوفي متعطش لرؤياه بعد أن غاب عنه مايربو عن العشرين سنه وما كادت تصدر جريدة بنغازي حاملة هذه البشرى التى طالما تاقت الامه لسماعها واشرابت الاعناق اليها حتي أخذت تستعد لاستقباله فلا يشغلها شاغل عن القيام بواجبها نحوه ولتظهر لسموه ولاءها الصادق وحبها العميق باسمى معانيهما فى هذه المناسبة الكريمة وفى يوم ٢٧ يوليو سنة ١٩٤٣ صدرت الجريدة تحمل البرامج الخاصه بهذه الزيارة المقرره فنسى الشعب نفسه أزاءها لانه يرى ويعتقد ان الاستعداد اليها من أقدس واجباته وبينما الامه مندفعة في هذا التيار المتدفق من أعماق القلوب واذا بجريدة بنغازى تحمل نبأ آخر كان بمثابة الصاعقه على الامة فحواه تأجيل الزيارة وقد نشرت في صفحتها الاولى هذا الكتاب الآتى :

بني وطني الاعزآء السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

كنت على عزم أكيد لزيارتكم ولاهنئكم بما من الله به عليكم من التحرر عن ظلم الطليان وغطرستهم وخلاص اراضيكم واملاككم من أيديهم حيث أخرجوا منها صاغرين كما نهبوها منكم مغتصبين فالحمد لله على نعمة الله وشكر الدولة بريطانيا العظمي ناصرة الضعفاء على تنفيذها الارادة الله أولئك الطغاة ورد الامانه الى أهلها وعلى عهدها لنا بان لا تسمح للنير الايطالى بالعودة الى بلادنا فى أى حال من الاحوال بهذا العمرى إنصاف تشكر عليه ومكرمة لا تنسي لها وقد وددت أن اكون بينكم يوم ٩ أغسطس لتحتفل به كعيد قومى لانه اليوم الذى تصافح فيه اخوانكم فى المهاجر

مع دولة بريطانيا لحمل السلاح وقتال العدو المشترك لاعادة بلادنا وحريتنا فيها وأمدت جيشنا بعتاد الحرب ورفع فيه علمنا المقدس لدينا الشيء الذى فقدناه منذ سقط بطلنا السيد عمر المختار شهيدا فى حومة الوغي والشرف سنة ١٣٥٠ ، اتخذوه عيداً لنا ليشعر بقداسته أجيالنا القادمه كما يشعرون بايدى بريطانيا العظمى علي بلادنا وأهلها مدي الدهر ولكن ظروفي الخاصه حالت بيني وبين أمنيتى هذه فى هذا الوقت واكتفي بكتابي اليكم فى الوقت الحاضر وانني آمل بان أحظى بهذه الامنية فى وقت مناسب لى صحياً وآمل أن تحتفلوا بهذا العيد في كل سنه وان كنت غائبا عنكم فان قلبي وشعورى حاضران معكم وأعلمكم بأنى على اتصال بالادارة العسكريه الموجوده عندكم مؤقته مدة الحرب بسبب مقتضيات القانون الدولى وأنها تطلعنى على الكثير من أمور البلاد فابذل لها دائما نصحي لمصلحتكم ومصلحة بلادكم وان سعادة الحاكم البريجادير كامن رجل سياسى حصيف صديق لنا وقد اختبرته فوجدته يود الخير لكم ولبلادكم وان موظفيه يختارهم من خيرة رجاله فالامل أن تتعاونوا معه لمصلحة بلادكم ولا يفوتكم قوله تعالى (ولا تتنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا إن الله مع الصابرين)

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ؟

القاهره فى ١٤ رجب سنة ١٣٦٢ ـ ٢٧ يونيو سنة ١٩٤٣ محمد إدريس المهدي السنوسى

إشمأزت النفوس لتأخير سموه واضطربت الافكار وان كان التأخير فى حدذاته لا يدل على شيء بكدر ولكن الامة ودت أن تتشرف بطلعة أميرها وبهذه المناسبة أنشد أحد شعراء البادية قصيدة باللغة الشعبيه تفيض شعورا وحماسا ويظهر فيها شدة شوق الامة لاميرها (١) وحذا حذوه الكثير ، قابلت الامة تأخير سموه بكل امتعاض وقد علم سموه بكدر أمته فتكرم بايفاد بعثة سنوسيته مؤلفه من السادة السيد صفى الدين السنوسى رئيس الوفد ، السيد محي الدين أحمد الشريف السنوسى ، السيد أحمد إدريس عابد السنوسى ، السيد الصديق رضا السنوسي ، السيد شمس الدين الخطابى السنوسى ، السيد عز الدين هلال السنوسى وما كاد يصل نبأ هذه البعثه حتى أخذت

---

(١) مطلع قصيدة الشاعر البدوى

سلطان ليبيا طول أو طال أغيابا وعاد ما ايجي للوطن غير اكتابا

البلاد تستعد من أقصاها الى أقصاها ففى كل مدينة وكل قرية وكل حي نجد الحركة آخذة في النمو المطرد لمقابلة الوفد الاميرى بحماس بالغ وفي طبرق ودرنه والبيضاء والمرج ومدينة بنغازى عاصمة برقه وجدابيه تألفت لجان الاحتفال من الاعيان والوجهاء والكبراء وخصصت برامج وافيه لهذه الزيارة وقد أوفت جريدة بنغازى المقام حقه وفى يوم ١٧ نوفمبر سنة ١٩٤٣ وصل الوفد الاميرى الى درنه فاستقبلته درة برقه شيبا وشبانا بما يليق بمقام الوفد والموفد واشتركت الحكومه فى الاحتفال وأقامت مأدبة التكريم وهكذا يلاقي أعضاء الوفد كل عناية وتقدير وإحترام من الشعب والحكومة والهيئات منذ نزوله فى طبرق قادماً من مصر الى أن سافر الى مصر ، أما ماقامت به عاصمة برقه فاتنا نعجز كل العجز عن أن نصف ذلك فقد جاءت بما يفوق حدا التصور ولا يستطيع الكاتب مهما أوتي من قوة البيان والبلاغه أن يأتي بوصف عشر معشار ماقامت به برقه عموما وعلى الخصوص مدينة بنغازى وشعبها النبيل الوفي المخلص فقد إشترك بمختلف طبقاته فى الحفاوة البالغه بهذا الوفد المحبوب وناهيك ماقام به المجلس البلدي والشباب الناهض من النصيب الاوفر فى تلك المهرجانات التى أقيمت وهانحن نذكر عن بعض المآدب التى أقيمت للوفد ما رين بهامر الكرام ـ حفلة متصرف الحاضره ـ حفلة المجلس البلدى ـ حفلة مدير مكتب الاستعلامات ـ حفلة البلديه ـ حفلة التجار ـ حفلة قسم المحافظه ـ حفلة جمعية عمر المختار بالمركز الرئيسي ـ حفلة قائد قسم الطيران الملكى البريطاني وقد فتش أعضاء الوفد حضائر الطائرات وورش التصليح وامتطوا طائرة من ذوات المحركين حلقت بهم فوق مدينة بنغازى ، ثم حفلة قائد البحرية البريطانيه ـ حفلة ادارة الاوقاف الاسلاميه وفى كل حفلة تلقي الخطب الرنانه الفياضه بالشعور والقصائد الخالده والكل يحي فى الوفد الاميرى شخص الامير المحبوب ثم أقام للوفد قائد المدفعيه البريطانيه حفلة وكذلك النادى الاسرائيلى ، وهذه هي الحفلات العموميه التى أقيمت بمدينة بنغازى غير الحفلات الخصوصيه وقد زار أعضاء الوفد جميع الدور والمصالح الحكوميه والوطنيه وهكذا كانوا محل التقدير والاحترام أينما حلوا وحيثما ساروا ولنذكر اسماء الخطباء ببنغازى أولئك الذين أظهروا شعورهم وشعور الامة في خطبهم وقصائدهم بين أيدى أعضاء الوفد .

عميد بلديه بنغازى بالنيابه ـ متصرف حاضرة بنغازى ـ على أفندى فلاق سكرتير عام البلديه ، فضيلة قاض القضاة ، مدير ادارة الاوقاف الاسلاميه ، علي أفندى الزيانى عضو المجلس البلدى ، عبدالله أفندى الزواوي وهذا القى قصيدة فى حفلة التجار ، مدير مكتب الاستعلامات ،رئيس الطائفه الاسرائيليه ، سكرتير عام جمعية عمر المختار بالمركز الرئيسى ، محمد أفندى الصابرى خطيب الشباب ، محمد البشر المغربي شاعر الشباب ، محمود أفندى مخلوف ، الاستاذ محمد عامر المحامى وفى يوم ٢٠ ديسمبر سنة ١٩٤٣ وصل الوفد الاميرى الى جدابيه وكان فى استقباله خارج المدينه الوفد المؤلف من السادة مبارك السوسى ، الحاج عبد السلام بعيو عن المجلس البلدى ، الشيخ محمود أبو هدمه والحاج ضبوح المسمارى عن جمعية عمر المختار ، الشيخ يونس الشرداخ ، محمد أفندى حويو ومحمد أفندى الطرابلسي عن التجار ، المختار بن ادريس ، محمد الغمارى ، إبراهيم السوسى عن الشباب وأقيمت الحفلات الآتيه لتكريمهم .

حفلة المجلس البلدى ، حفلة الشعب الاجدابى ، حفلة متصرف جدابيه ، حفلة حكمدار البوليس ، حفلة جمعية عمر المختار ، حفله أقامها الوجيه السيد مبارك السوسى باسم الاخوان السنوسيين وكان الخطباء كما يلي : عبد الرزاق أفندي شقلوف ، مؤلف هذا الكتاب ، الشيخ أبو سيف يس ، المختار بن ادريس ، يونس الشرداخ ، حكمدار البوليس ، عبد العزيز الابيض . ولم أذكر عن الحفلات التى أقيمت بالمرج وسلوق والبيضاء ، وشحات ، درنه كما لم أذكر عن الخطباء . حيث لم تكن لدينا تفاصيل كافية عن ذلك ولا تقل الحاله هناك عما ذكرناه فى المحلات الاخرى ونذكر هنا قصيدة شاعر الشباب البشير أفندى المغربى :

لبيت أمرا من صميم فؤادى ... وأتيت أنشدكم ولست بشادى
اللهم هب لى من لدنك عناية ... ومن الفصاحة بعض مافى الضاد
انى وقفت مرحبا ومعدداً ... فأعنى فى الترحاب والتعداد
أهلا بمن حفظ الجميع ودادهم ... رغم الظروف وفوق كل ودادى
أهلا بمن قد جاهدوا بنفوسهم ... ونفيسهم فى الله أي جهاد
أهلا بسادات سلالة سادة ... من سادة من سيد الاسياد

أهلا وسهلا أن كل تحية ... هى دون قدركم ودون مرادى
أرأيتم أن البلاد تصففت ... كتصفف الاجناد للقواد ؟
ومن الحواضر ما يعز حواضر ... ومن البوادى الخافيات بوادى
ماقام قائمها بادنى حقكم ... كيف القيام بتلكم الاطواد
رسل الامير وأنتم اوتاده ... وهو العماد لا رسخ الاوتاد
إن الامير وأنتم رواده ... كان الخبير باحسن الرواد
قولوا لهما ببرقة أنه ... لاب يغار لحالة الاولاد
هذى (بنى غازى) وهذا شيبها ... وشبابها فى وقفة الاحناد
جعلوا من (المختار) رمز نهوضهم ... واسترشدوا بمناره الوقاد
ياأيها المختار عد فى مامن ... إن العرين يغص بالاسآد
إنظر فحولك من نحب وهكذا ... صار التنادي قبل يوم تنادى
رسل الامير وكم بجيش بخاطرى ... ان السيوف تصان فى الاغماد
عفوا اذا كان اللسان مقصرا ... ان القصور يصيب كل جواد
طاب المقام بكم وطاب مقامكم ... وسقى المقام بكم سحاب غواد
ولتسعد الفيحاء (برقة) انها ... لجديرة بكم وبالاسعاد

وعندما أقامت جمعية عمر المختار بجدابيه حفلة التكريم طلب الشباب من مؤلف هذا الكتاب أن يلقى كلمة فوقف خجولا وأنشد هذه الابيات .

هذى شموس بدت أم تلك أقمار ... أم ذى بدور الهدا أم تلك أسرار ؟
أم السعادة قد جرت ذوائبها ؟ ... أم الاحبة بعد الهجر قد زاروا ؟
أم جنة الحسن قد راقت مناظرها ... فيها سرور وآمال وأوطار
أم تلك ليلى أراها وهى مقبلة ... نحوى وقد رفعت للوصل أستار
أم تلك زورة من قد كنت أذكرهم ... رغم الاعادى اذ بالسوء قد جاروا
أولاء صفوة مولانا (السنوسي) قد ... زاروا فأشرقت الايام والدار
آل (السنوسي) قد أحييتم أملا ... منا فأنتم لنا نور وأنوار
شرفتم الموطن الغالى بزوتكم ... وكان من بعدكم محل وأعسار
كم من أياديكم بيضاء يذكرها ... تاريخ برقه والتاريخ خبار

أيقظتمونا وكان الجهل أقعدنا ... عمن سوانا وقد شطت بنا الدار
سرتم بنا وطريق السير موحشة ... قفر آء مزعجة وحل وأوعار
سرتم سراعاً بنا حتى لحقنا بمن ... من قبلنا للعلا والمجد قد ساروا
الي الامام فعين الله تكلؤكم ... والشعب خلفكم جند وأنصار
فى كل بيت ترى الافراح قائمة ... والناس جذلي وهل فى ذاك انكار ؟
أنتم لعمرى هداة العالمين إذا ... ما الشعب أظلم أوعاقته اكدار
(نحيا بكم كل أرض تنزلون بها ... كأنكم فى بقاع الارض امطار)

سمو الامير يزور برقه

ما كاد يصل نبأ زيارة سموالامير المعظم لبرقه حتى أخذ الشعب يبذل جهوده الجبارة لاستقبال سموه وليظهر بمظهر يليق بمقام الزائر العظيم وتخلي كل فرد من أفراد الامة عما يشغله عن هذا الاستقبال واجتمع اقطاب وزعماء ، وشيوخ وتجار وأعيان وشباب الامة للتشاور عما يجب عمله فتألفت لجان الاستقبال والاحتفال في كل مدينة من مدن برقه وقراها وانتقلت الاحياء البدويه من دواخل البلاد للنزول بقرب المدن وبمحلات تحاذى الطريق الذى سيمر منها موكبه الكريم فاستعدت البلاد قاطبة للاحتفال بهذا اليوم التاريخى العظيم وامتلات أعمدت جريدة بنغازى بالمقالات الواحدة تلو الاخري والاعلانات والمنشورات وهانذا أثبت فقرات من مقال نشرته جريدة بنغازى لاحد إخواننا الكتاب الشرقيين فكتب ما أملته عليه الحقيقه بيراع من الاتصاف فى جريدة برقه الاسبوعيه التى يصدرها مكتب الاستعلامات ببنغازى في عددها ٣ ، ٢٢ يونيو سنة ١٩٤٤ قال (يعلم المتتبعون لتاريخ الإسلام الحديث أن السادة السنوسيه نشروا تعاليم الدين الاسلامى في أنحاء أفريقيا الشماليه بحالة جعلتهم محل الزعامة وقبلة الامال وإذا تحدثنا عن برقه وحدها وجدنا المجال لايتسع لسرد جميع مآثر السادة السنوسيه علي أن زعامتهم لهذه البلاد لاتقتصر علي الناحية الدينيه بل تتعداها كما هو الحال الى الناحية السياسيه فليس هنا زعيم دينى وآخر سياسى بل زعيم واحد يقود شعبه الى مافيه

خيره وصلاح حاله قيادة لاتدعوا أحدا من أهالى هذه البلاد يجرؤ على الخروج عليه وهم جميعا رهن اشارته ويفدونه بالنفس والنفيس الى أن يقول وكان ما كان من جهاده (يعني الامير) المتواصل بمعاونة اتباعه المخلصين كالمرحوم البطل عمر المختار وغيره من الغيورين على دينهم وحرية وطنهم وقد كافحوا مكافحة الابطال الى أن نفدت مواردهم القليله لانهم كانوا يقاتلون دولة كبري كان لها من وسائل الدمار أكثر مما كان لهم وقتل بعضهم وتشتت الباقون فى ديار أخرى وبعد ذلك انقطعت أخبار برقه عن العالم العربى بسبب التدابير التي اتخذتها ايطاليا الفاشيه ومع ذلك دلت القرائن على أن ما كان يجرى لم يقصد به خير اهل البلاد لافى قليل ولافى كثير ولقد أراد الفاشيست القضاء على هذه الامة القليله العدد واتخاذ بلادها فى الوقت نفسه مركزا للاعتداء على البلاد العربية المجاورة ولما أعلنت ايطاليا الحرب ضد الحلفاء راى سمو الامير السيد إدريس السنوسى أن الفرصة قد سنحت للتحالف مع البريطانيين وعرض عليهم تطوع أبناء بلاده للقتال بجانبهم فقبلوا هذا العرض بامتنان وقد لبى أبناء برقة نداء سموه فى الحال وكان لنداءاته الفضل الاول فى تحول آراء الكثيرين من البرقاويين الذين تعاونوا مع الفاشيست عن رغبة أو رهبة وشاء العليم القدير أن ينتصر البريطانيون فى حرب الصحراء بعد أن كاد الامل ينقطع وأصبح المغيرون قاب قوسين أو ادنى من وادي النيل وقد تهيأت لكاتب هذه السطور فرصة الاطلاع عن كثب على الادوار الاولى للتحالف الانجليزى السنوسى ومع أن أيام العلمين تنذر بشر مستطير فان السيد وأتباعه لم يتردد في الوقوف حتي النهاية بجانب البريطانيين كما أن الاخيرون من جانبهم قدروا هذا العمل النبيل كما اعترفوا جريا علي عادتهم بالمساعدة التى قدمها عرب برقه المقيمون فى أرض الوطن لرجال قسم الاستخبارات البريطانيه الذين كانوا يعملون خلف خطوط العدو وها نحن نرى البريطانيين يحيون سمو السيد إدريس ويقدمون نحوه ما يستحق من تكريم ونحن العرب يسرنا أن يعود زعيم البلاد ظافرا بعد غياب طويل ومما يزيد اغتباطنا أن نرى اخواننا عرب برقه ملتفين حوله التفافا لم يتمتع به زعيم آخر في أى قطر من الاقطار العربيه الى أن يقول وسيعز جانب العرب باخوان شاء الله تعالى أن ينقذهم من مخالب الفاشيستيه) وضع لهذه الزيارة الميمونه برنامج خاص نشر بجريدة

بنغازى وفي يوم الاثنين الموافق ٢٨ رجب سنة ١٣٦٣ الموافق ١٣ يوليه سنة ١٩٤٤ وصل سمو الامير السيد محمد ادريس المهدى السنوسى الى طبرق فى قطار حربى خاص وقد استقباله هناك سعادة رئيس الادارة العسكريه البريطانيه (والي) برقه البريجادير كامن والكلونيل قائد المنطقه وسيادة قائمقام بنغازى السيد أبو القاسم بن السيد أحمد الشريف السنوسي كما استقبلته جموع العرب المؤلفة من الشيوخ والاعيان والكل مبتهج بهذا الحادث السعيد وكانت حاشيته السنيه مؤلفة من السادة الاتيه أسماءهم :

إبراهيم أحمد بك الشلحى وكيل الخاصة الاميريه

الصاغ عمر بك شنيب أمين المكتب السنوسى

صالح باشا الاطيوش زعيم قبائل المغاربه

الشيخ ناصر بن عبد السلام باشا الكزه أحد زعماء قبايل العواقير

الشيخ عبد الحميد بك العبار أحد زعماء قبائل العواقير

الشيخ قدور بريدان حدوث أحد أعيان قبائل البراعصه

الحاج حسين عبد الملك أحد وجهاء مصراته

اننا اذا جئنا لنصف حالة الشعب البرقاوى ازاء هذه الزيارة الاميريه وماقام به أبناؤه وتفصيلهم عما سوى الامير لعجزنا عن ذلك (ان المقام أجل من أن يحمدا) اذ لا تستطيع أقلام الكتاب وقرائح الشعراء وخيال المصورين الطمع فى استقصاء وصف هذه الزيارة وما قوبلت به واستيعابها على الوجه الاتم وتكاد تكون الحالة خياليه أكثر منها واقعيه . لقد عرف الشعب البرقاوى حالات في أزمنة مختلفة ظهر فيها بمثل هذا المظهر تارة مندفعا بمحض اخلاص وطنى وصدق ووفاء وطوراً يساق الى مثل هذا المظهر كرهاً فمن بين هذه الحالات استقبال الشعب للسيد أحمد الشريف عندما زار هذه البلاد ليقود المجاهدين باعتباره سيدهم المحبوب وقائدهم الاعلى ونائب الخليفه العثماني ومنها مقابلات الشعب لاميره السيد ادريس نفسه عندما وصل من السلوم بصفته الوكيل العام عن السيد أحمد الشريف والثانيه عندما وصل من الديار الحجازيه وهو أمير البلاد الشرعى والثالثه عندما عاد من ايطاليا سنة ١٩٢٠ ومثل هذه الحالات عندما زار الوفد الاميرى السنوسى بلاده لأول مرة بعد تحريرها من النير الايطالى ففى كل هذه المرات المذكوره يتحرك

بحر الامة الزاخر وتتدفق أمواجه من أقصى البلاد الي أقصاها دون أى تملق أو مجاملة أو تكلف بل بمحض الارادة والامتثال للامر الذى يصدره كل انسان لنفسه بنفسه وتلبية لداعى الضمير ومن بين تلك المظاهر التى دعي اليها الشعب كرهاً واستعملت السلطة نفوذها المطلق كي تظهر الامة بمظهر الاحتفال وسيان رضيت الأمة أم غضبت وذلك عندما زار البلاد ملك ايطاليا وتلاه ولى عهده وأعقبهما زعيم ايطاليا موسليني فاستعدت ايطاليا وأرغمت الشعب بالاستعداد للزيارتين الأوليتين أما لزيارة موسليني فقد أخذت تستعد لها ستة أشهر قبل وصوله وبالرغم من كل ذلك فقد كانت أعظم احتفالات الشعب قوة وأكثرها نظاما وأعمها سروراً وأظهرها ابتهاجاً واخلصها صدقا واسماها معنى وانضرها جمالا واملاها وفاء وروعة وجلالا هذا الاحتفال الذى قام به الشعب ليستقبل أميره المفدى وزعيمه المعظم الاوحد وسيده المحبوب المطاع ، لقد اشتركت الامة فى المدن والقرى والاحياء البدوية بصفة لم يسبق لها مثيل وكان نصيب الشباب فى ذلك وافر ولاينكر ما للشيوخ من اليد الطولى فألفت اللجان لتنسيق الاحتفالات والاستقبالات فى كل من درنه والبيضاء والمرج وبنغازى وجدابيه وسلوق وقامت جميع هذه اللجان العامه والخاصة وغيرها المؤلفة من الشيوخ والشبان بنصيبها الذى أخذته على عاتقها كمسؤلية تراها من أوجب الفروض المقدسة والتى لا يصح فيها التهاون مهما كان الحال وتفرغ الكتاب والشعراء لتناول ترجمة سمو الامير وبيته المجيد واندفع تيار الأمة الجارف الذى لايقف أمام قوته واقف في طريقه التي رسمها وأخذت جريدة بنغازى الغراء تصور الحالة يوما فيوما وتصف الموقف وقد أعطت المقام مع صغر حجمها بعض حقه فاقبل الجميع على اقتنائها وحفظ أعدادها وأقيمت أقواس النصر فى كثير من المدن وأفخمها ذينيك القوسين الذين أقيما بمدينة بنغازى عاصمة برقه وقد ظهر الشباب الناهض بمظهر يلفت الانظار سيما فى مدينة درنه وبنغازي والمرج وجدابيه وقد اشترك في حراسة دار سمو الامير ومصاحبته فى تنقلاته وتجولاته رغم وجود حرس الشرف الخاص بسموه فاخذ الشباب مقعده الأول من سمو الامير ونعجز عن وصف استقبال سموه في كل من طبرق وأم الرزم ودرنه والقبه وشحات والبيضاء والغريب والمرج وتوكره وبنغازى وسلوق وجدابيه فكأن جميع سكان برقه اجتمعوا فى صعيد واحد

من هذه البلاد المذكورة أما الطرق الموصلة بين بلاد أخرى فكانت غاصة بحيث لايستطيع المارة أن يسلكوا لهم مسلكا الا بصعوبة وكانت تدفقات الامة من كل حدب وصوب أشبه باسراب النمل وأفواج الجراد ولا يكاد يسمع من الضجيج الذى ملا الافاق الا هذه الكلمة الخالدة التى كانت تصدر من أعماق القلوب وقرارة النفوس (يحيا الامير) فتبعث في النفس ارتياحا وفى القلب طمانينه وفي الجسم قوة وحماساوقدأقيمت لسموه حفلات وطنيه رائعة فى كل من المدن التي سبق ذكرها ابتداء من طبرق الى جدابيه عدا الحفلات الرسميه التى أقيمت لسموه من رءساء الادارات العسكريه البريطانيه والمؤسات والهيئات وقدمت لسموه بعض الهدايا فتنازل بقبولها أجابة لالحاح وطلب أمته ومنها فرس أصيل مسرج قدمته قبائل الحاسا وفرس آخر أصيل مسرج قدمته قبائل العواقير وفرس أصيل مع مسدس حلبى بالذهب النقي من أهالى منطقة جدابيه وقد كتب بجانب المسدس هذه العبارة (من أهالي منطقة جدابيه الى سمو الامير مع التاريخ) وكان العرب لايقدرون هدية اسمي وأجل من الخيل والسلاح لانهم يرون فى ذلك رمز العلو والقوة والجهاد وأعظم هذه الهدايا تلك الهدية التي قدمها الشعب البنغازى النبيل باسم برقه وهى سيف محلي بالذهب النقى ومزخرف بأبدع فنون الجمال صنع بمدينة بنغازى وقام أحد أفراد الطائفه الاسرائيليه بتقديم هدية باسمه الى سمو الامير فتقبلها شاكراً وهي سوطاً زين مقبضه بالذهب ونقش عليه اسم سموه وتاريخ الاهدا : والقيت بين يد سموه خطب الترحيب والقصائد وفي كل حفلة أقيمت لسموه وبكل مدينة وقريه مربها بلسان أقطاب وزعماء وشيوخ وشباب الامة وقضاتها الشرعيين وموظفي الادارات ورءساء اللجان والجمعيات والمؤسسات والهيئات بضيق المقام بنالو اردنا أن نثبتها هنا.

تصرفات غير منتظرة

لا ينكر الليبيون ما كان لمصر حكومة وشعباً من الاياد البيضاء نحوهم ومن المحاسن الكثيره والعطف الاخوى والشعور الانساني والحنو الاسلامي في كثير من مختلف الظروف الامر الذى حدا بنا أن نثبت شيئا من ذلك (انظر صحيفة ٣٤٤) من كتابنا هذا واذ وقفنا عند هذا الحد وتركنا ماسواه نكون قد أخفينا جانبا من الحقيقه فكما كان لمصر من المحاسن نحو الشعب الليبي كان لها من المساوى ما جعلنا نأسف . لقد خيل للشعب الليبي أن الشعور الحسن الذى كانت تفيض به مصر هو محدود ومن بعض أفراد كانوا يعملون به وقد ذهب بذهابهم والا فكيف يتلاشا ذلك الشعور ويتقلص ظله حتى لم نعد نرى له أثرا ، لقد قامت مصر وقعدت لحادث الاعتداء الايطالى سنة ١٩١١ في حين أن حكومتها سرعان ما التزمت الحياد وقد كان يعتقد الكثير من سياسى ومؤرخي ذلك العهد أن سبب فشل الحكومة العثمانيه فى حربهم ضد ايطاليا يرجع لاتخاذ مصر خطة الحياد وكانت حكومة مصر والشعب المصرى بالرغم من هذا الحياد يعطفون على القضيه الليبيه ويقدمون البراهين على ذلك فى شتى ألوانه وعندما عقد الصلح بين الحكومة العثمانيه وايطاليا طبقت الحكومة المصريه خطة الحياد بكل معانيه حسب النظم الدوليه وكان في اعتقاد الليبيين أن هناك اعتبارات أخرى هى فوق هذه النظم الاوهي الاعتبارات الاسلاميه فتجاهلتها الحكومة المصريه وأعني بها تلك الاعتبارات النزيهة التي لا تتقيد بقانون وضعي يعمل به حينا ويرفض أحيانا حسب رغبة واضعة ومثل هذا الاعتبار الاسلامي والتقليد القومي هو الذى حدا بصاحب الجلاله العربي العظيم الملك عبد العزيز آل سعود عندما التجأ اليه السيد رشيد عالي الكيلاني العراقى كما هو معروف عند الجميع ، أن الشعب الليبي لا يتعرض لمصر فى حيادها ولا ينكر عليها العمل لصالحها ولا يطلب منها أن تزج بنفسها فى حرب مع ايطاليا من اجلنا ولكن الذى يلومها به كما يلوم الصديق الوفي صديقه والشقيق شقيقه هو التنصل السريع عن مساعدته ونزول مصر من أعلاقمة الموة الى أسفل مهاوى الجفا فبعد ما كانت الصحافة تحفل بموقف الشعب

الليبي والكتاب ينادون بمعاونته والخيرون يهرعون لمساعدته ببذل سخي والشعراء يشيدون باعماله والحديث عنه هو الشغل الشاغل لجميع المجتمعات والنوادي عموميه كانت أو خصوصية واذا بكل ذلك ينقطع فجأة كانه لم يكن وليته وقف عند هذا الحد بل أخذ الكثير من اخواننا المصريين ونزلاء مصر المحميين برعايتها يعملون من وراء الستار لصالح ايطاليا وتثبيت أقدامها في ليبيا واذا بالنفوذ الايطالى فى مصر يقيد حركات الزعماء الليبيين بمصر واذا بالحكومة المصريه تعاملنا معاملة العدآء فتقفل الحدود وتمنع البضائع من صدورها الى ليبيا وماكان الشعب الليبي قد تعود منها ذلك واذا بالصوت الوحيد الذى يشق عنان السمآء ويخترق الافاق بمصر ليصل الى الشعب الليبي والى بقية الشعوب العربيه الاسلاميه هو صوت المحسن الاسلامى العظيم الامير عمر طوسون وبعض شخصيات تؤيده وتشد أزره وان كانوا قليلون فالامير عمر وحده الذى كان يعمل من أجل الشعب الليبي الى آخر حياته كما بدأ .

مما لاشك فيه ولا غبار عليه أن مصلحة الشعب الليبى في الواقع هى مصلحة مصر وان دفاع الليبيون عن بلادهم هو الدفاع عن مصر بالذات وان ليبيا هى الباب الذي يدخل به الى مصر وهو الثغرة التى تهدد مصر بالخطر كما أثبتت ذلك الحرب الكونيه الثانيه ولكن مصر التي هي محط آمال العروبة ومحل زعامة الشرق العربى وملجأ الاحرار المضطهدين عاملت الشعب الليبي بعكس مايرجوه فكان تجاهلها لهذا الشعب حربا عضوما عليه واتسعت الدعاية الايطاليه فى مصر العزيزه وعندما اشتعلت نار الحرب الثانيه بين الحكومة السنوسيه الحره وبين ايطاليا سنة ١٩٢٣ كان الشعب الليبى ينظر الى مصر كالام الرءوم والشقيقة الكبرى والمرجع الذى يرد اليه فى جميع الملمات فكان أول عمل من الحكومه المصريه ان حجزت الزعماء الليبيين فى مربوط سنة ١٩٢٣ كما سبق ذكره وكاد الامر أن يؤدي لولا لطف الله الى تسليمهم لايطاليا ثم بادرت الحكومه المصريه بالتهاون في مسألة الجغبوب فسلمته لايطاليا لقمة سائغة ولم تفكر فيما يترتب علي ذلك من الضرر على الشعب الليبى أولا وعلى مصر نفسها ثانيا وعندما زار ملك ايطاليا مصر حجزت الحكومة المصريه الكثير من الزعماء الليبيين ووضعت قسما منهم تحت الرقابة أرضاء للمفوضية الايطاليه .

لجأ الكثير من الليبيين عقب انهيار الحركة الوطنيه الى مصر وتشتتوا في صعيد مصر وريفها وفى البحيرة والصحراء الغربيه طلبا لضمان العيش وحفظ الكرامة فقاسوا معيشة الضنك ولم تمد لهم يد المساعده من الحكومة المصريه ولكن لا تنكر ما لبعض الافراد المصريين من المواقف المحموده وطبعاً أن المساعدة الفرديه لا تجدى نفعا وتكون نتيجتها محصوره سيما وان المحتاجين كثيرون ومن بين من تقدم بالمساعدات الفيئة بعد الاخرى سمو الامير طوسون وبعض القبائل العربيه بمصر تلك التي يتصل نسبها باهل برقه كقبيلة الرماح وعلى رأسها سعادة حمد باشا الباسل وأخيه عبد الستار بك الباسل وقبائل عربان الجوازى وزعيمهم سعادة علي بك عمر المصرى وقبائل الجميات وفي مقدمتهم طاهر بك المصرى وقبائل أولاد على بالصحراء الغربيه وسعادة صالح باشا لملوم وما قام به نحو عائلة الكزه وكذلك جمعية الشبان المسلمين فقد أسدت هى الاخرى مساعدات قيمة لا تنكر .

أن مصر العزيزه كعبة القاصدين ومحجة الوافدين وقبلة آمال العرب حكومة وشعبا وعلى رأسها الملك المعظم ساكن الجنان فؤاد الأول رحمه الله ثم خليفته ووارث عرشه الملك الصالح فاروق الأول لم تبرح تسدي المعاونات الكثيره للاجئين اليها على إختلاف السنتهم والوانهم وجنسيتهم وأوطانهم وهذا ما يجعل الشعب الليبي يتطلع لنصيبه من هذه المساعدات وهوامة يربطها بمصر الدين واللغه والجنس والجوار والاخاء والمصالح المشتركه فكان وبالاسف نصيبه الاهمال عندما سعر اوار الحرب الكونيه الثانيه ثم أن مصر مابرحت تمهد السبل لطلاب العلم على اختلاف أشكالهم وتفتح لهم أبواب جامعاتها ومعاهدها وخزائنها وكان الشعب الليبي يظن أنه يحتل المكان الاول من هذه العناية فكان نصيبه الاهمال أيضا أما الصحافة المصريه المؤقره التي هي ارفع وأجل من أن توصف بالتهاون في حق الشعب الليبي أصبحت لا ترفع صوتها نحو الشعب الليبي الا تكلفا وفي شيء لا يذكر كأنها لم تكن صحافة الامس القريب حينما كانت تملا صفحاتها مشيدة بأعمال الليبيين وجهادهم وتتبع حركاتهم ، أما اليوم وتحت الضغط السياسى ومجاملة لايطاليا وما شابه ذلك من ظروف السياسة التى تتلون فقد قطعت كل علاقة ببرقه بل أخذ بعضها بعمل لصالح ايطاليا .

عندما اشتعلت نار الحرب الكونيه الثانيه بادرت الحكومة المصريه باعتقال بعض الاحرار الليبيين الذين لجئوا الى مصر فرارا من ايطاليا قبل الحرب بما لايقل عن خمسة عشر سنه وأكثر وقد تركوا ديارهم وأموالهم فنظرت اليهم الحكومة المصريه كأنهم رعايا ايطاليين فى حين أن مصر أعلم من يعلم بما لقيه هؤلاء المجاهدون فى سبيل كره ايطاليا وأسوأ ماساء الشعب الليبي هو ما تكبده أثناء هذه الحرب الثانيه من الخسائر التى كانت شقيقته مصر من أكبر عواملها وها نحن نسوق من ذلك نبذة يسيره مع تقدير الشعب الليبي وحبه واحترامه لمصر حكومة وشعبا ولجلالة الملك فاروق وبذلك طبع الشعب الليبى :

بليت ليبيا بانسحاب وزحف الجيوش المتحاربه ما الله وحده يعلمه واستمرت هذه الزحوف والانسحابات من أول سنة ١٩٤١ الى أوائل سنة ١٩٤٣ فزحف الجيش البريطاني ثم انسحب تحت الهجوم الايطالى المعزز بقوات المانيه ثم انسحب هذان الاخيران تحت ضغط الهجوم الانجليزى تحت قيادة الجنرال (ريشي) ثم انسحب هذا الاخير تحت عنف هجوم (روميل) الذى وصل إلى (العلمين) ثم انسحب هذا الاخير تحت شدة الهجوم البريطانى بقيادة الجنرال (مونتجمرى) الي غير رجعة ولا يخفى ما لقوة هذه الهجومات والانسحابات من التأثير على جميع مرافق الحياه بليبيا التي امتلئت جوانبها وغصت دواخلها وضاقت أطرافها بهذه الجيوش المتحاربه طيلة ثلاث سنوات لايدخل الي برقه ولايخرج منها الا القوافل المحملة بأدوات الفتك والفناء والجيوش الجرارة التي تأتى عادة على الرطب واليابس وكان العرب يلاقون صنوف العذاب الاليم من المجاعة الضاربة والعراء والمرض والموت التي تنوعت أسبابه ومنها الغارات المتواليه ليلا ونهار بدون انقطاع مدة الثلاث سنين عداما بلي به الشعب من الفتك بابنائه من جراء الزحف والانسحاب وإن كان وقوع البعض من ذلك بدون قصد أما عن هول المشانق ورمى أبناء الشعب بالرصاص وذبح الانفس البشريه كما تذبح الشياه والزج بابناء البلاد في السجون وشحنهم فى البواخر لنفيهم إلي ايطاليا أو قذفهم لحيتان البحر فحدث عنه ولا حرج وهذا أقل مايلاقيه أهل ليبيا من ايطاليا وقد نوه عن هذه السياسة الخرقاء السكرتير الادارى لحكومة ايطاليا بطرابلس البرفسور كباني في كتاب

دوري بعث به الي دوائر حكومته عقب الانسحاب البريطاني الاول من برقه وقد أثبتنا منه فقرات بكتابنا هذا .

كانت الزراعة أثناء هذه المدة المذكورة معطلة وقد أصيبت الحيوانات بالجدب العام سنة كاملة أما الجدب الخاص بناحية من نواحي برقه فكان مستمرا طيلة الثلاث سنين وليست هناك سوقا للايراد أو الاستصدار وكانت جميع الاراضي والابار الصالحة لرعاية وسقاية الحيوان والزراعة أولا لتجاء الاهالى اليها عندما تدعوا الحالة ملغمة بالدينا ميت الذى فتك ولايزال يفتك بارواح الكثير من أبناء الشعب ومع كل هذا فقد كان الشعب الليبي يقابل الدعايه المحوريه ضد مصر أودخول مصر بالازدراء ويسأل الله أن يجعله كيش الفداء لمصر العزيزة كنانة الله في أرضه ومصدر العلوم الاسلاميه وحافظة تراث العروبة ومحط الآمال وليس هناك يوما أشد حسرة على الليبيين من أن يقال أن جيش المحور وصل أوسيصل الي مصر فيدنسها وهكذا حتي جاءت سنة ١٩٤٣ بطرد الجيوش المحوريه الى تونس فاوربا كما يعلمه الجميع وهناك تنفس من بقي من أبناء ليبيا الصعداء وصار يترقب أن تقاسمه مصر أعز مالديها لسد الرمق وستر العورة وأن مصر ستحنو على اختها ليبيا حنوا اسلاميا عربيا فهل حقق هذا الرجاء المتواضع ؟

أخذ الليبيون اللاجئون الي مصر من سنوات عديدة يعودون الى بلادهم زرافاتا ووحدانا وأخذت الحكومة المصريه تضيق الخناق على العائدين فأخذ كل مامعهم من الغذاء والكساء وتشددت بان لاتسمح بتصدير أى شيء لشقيقتها وجارتها ليبيا خضوعا لقانون (التموين) الذى أحدثته ظروف الحرب أوالسياسة المقصوده فعاد الليبيون صفر اليدين وقد صودرت نقودهم وأمتعتهم وملابسهم وحوكم بعضهم بمختلف أنواع الحكم لالاي جناية الالأنه إشترى بضائع من مصر بنقوده أو عاد بما كان معه من الحيوانات وغيرها فتغاضا الليبيون عن مساوى شقيقتهم مصر المحبوبه وأخذ كل فرد من الليبيين يتحل لمصر اعذارا كي لايثبت في مخيلته سوء ظن بمصر وبذلك أخذ يغالط الحقائق الظاهره وقد تكون بعض هذه الاعذار أو جلها صحيحا ، كان الليبيون من شدة مامهم فيه وأقل مايقال عن حالتهم ان موتاهم دفنوا بغير اكفان وان نساءهم الطاهرات قد لبسن الخيش ليسترن بذلك عوراتهن وان الرجال أخذوا يرتدون ماتصل اليه

أيديهم من فضلات لباس الجيوش المتحاربه وقد تركت في ميادين القتال وقد حوكم الكثير منهم على مالبسه باعتباره من حاجيات الجيوش المحظر استعمالها على المدنيين .

(اذا لم يكن غير الاسنة مركبا فلا يسع المضطر الا ركوبها)

فتحت هذا الضغط وشدته أخذ الليبيون يدخلون الى مصر باعتبار أن مصر بلاد عربي اسلامى شقيق وبأيديهم نقوداأو حيوانات ليشترون بذلك حاجياتهم الضروريه ومن الامثال البدوية المعروفه (الحران جاع سرق) فكانت الحكومة المصريه تصادر كل ماتصل اليه يدها غير حاسبة ان هذا الشعب العربي المسلم الوفى المخلص في حاجة الي المساعدة والعطف وأن هناك اعتبارات تحتم المساعده ومن بين ماصادرته الحكومة في مرة من المرات الكثيره مالا تقل قيمته عن ماية الف جنيه هى من خالص أموال الليبيين ومن عصارة عرق جبينهم لاحق للحكومة المصرية فيه الا ان قيمة هذا المبلغ كان مشتراه من الاسواق المصرية وكان قانون نظام التموين يمنع ذلك فكانما ذلك يصدر الى عدو لمصر ، ثم أن المهاجرين الذين آوتهم مصر كما سبق ذكره كان بعضهم قد دخلها بحيوانات وحلي وملابس ومفروشات ونقود وقد دفعوا عنها الضرائب الجمركيه واستثمروا بمصر مابقى بايديهم ومنهم من التجأ الى من تربطه به أواصر الدم كعائلة الكزه التي التجأت الى عائلة لملوم ومنهم من كان عاملا بمصر فجمع بعمله شيئا من المال، ولما أراد هؤلاء المهاجرين العودة لوطنهم باعوا ما بأيديهم من حيوانات وأخذوا معهم أشياء من المؤنة والكساء بدل ماباعوه فصادرته الحكومة المصريه وإنى لاذكر من بين أولئك الذين جردوا من كل ما كان معهم هم ورفاقهم الزعيمين الليبيين صالح باشا الاطيوش ، عبد الحميد بك العبار وغير هؤلاء من الكثير الذى لايتسع المقام لذكرهم ، ان الشعب الليبي مجمع على ان ذلك سياسة مقرره وخطة مدبرة نسجتها يد الاستعمار سياسة التكدير وهو بذلك يخلق الاعذار لشقيقته مصر ، أن فى حب الشعب الليبي لاخيه الشعب المصرى وعلاقة عرب ليبيا بأبناء عمومتهم بمصر وهم قبائل الجوازى والفوائد والرماح والحرابي وأولاد على والهنادى وغيرهم لعامل قوى علي استمرار الوفاء والاخلاص ومن أكبر العوامل على استمرار روح المحبه والولاء ونمو هذه الروح مايعلمه الشعب الليبي من حسن العلائق ودوام المحبة بين البيت العلوى المجيد والبيت السنوسي الكريم وكانت

هذه العلائق من القديم فقد ابتدأت بين والى مصر إبراهيم باشا وتوفيق باشا من جهة وبين الامام السيد محمد السنوسى من جهة أخرى وكانت بين خديوي مصر إسماعيل باشا والامام السيد محمد المهدى وكانت بين خديوى مصر عباس باشا حلمى والمجاهد الكبير السيد احمد الشريف وكانت بين الاول وسلفه السلطان حسين كامل جهة وسمو الامير السيد ادريس السنوسي من جهة أخرى ثم ازدادت وتوطدت بين ساكن الجنان صاحب الجلالة الملك العظيم فؤاد الاول وصاحب السمو الامير السيد ادريس المهد السنوسى.

وبيننا لم علمتم ذاك معرفة ان المعارف فى أهل النهى ذمم

كانت الامة الليبيه ولاتزال تشعر بكل ما تشعر به مصر من السرور فى الحالات المسرة والالم فى حالات التألم بالرغم من الضغط الايطالي الذى يعمل بقوته ليقتل هذا الشعور وعندما توفى الملك فؤاد الأول حزنت الامه الليبيه وشعرت بالفراغ الذى أحدثه الفقيد العظيم فلا يقل حزن الشعب الليبي عن حزن مصر كما أن الافراح الليبيه لاتقل عن الافراح المصريه بمناسبة جلوس الملك فاروق المعظم وزاحه الكريم وقد هرع بهاتين المناسبتين سكان البدو الى المدن ليستمعوا حفلات الجلوس الملكى والزواج من المذياع بشوق وتلهف وكان المتعلمون يتتبعون ذلك ويحتفظون بكل صحيفة تذكر شيئا عن ملك مصر والشعب المصرى وكان أبهج الايام بليبيا ذلك اليوم الذى إرتفع فيه كابوس الاكتئاب عن مصر وانضمامها لعصبة الامم وكانوا يتتبعون سياسة مصر الداخلية والخارجيه باهتمام عظيم كأنهم مصريون وكانوا يشترون الصحف المصريه بكل ثمن وأقل هذه الأثمان السجن والاعتقال وتفتيش المحال ومصادرة المكاتب من لدن السلطات الايطاليه الغاشمة مقابل حصولها علي الصحف المصريه اذا كانت غير الصحف التي تخدم إيطاليا وتبادلها عطف بعطف وطبعا أنها مغبوضة عند الليبيين ولايقام لها وزن وكان الشعب الليبي ولايزال يحتفظ لسراى عابدين العامره وساكنه جلالة الملك فاروق عنايته بسمو الامير المحبوب السيد محمد ادريس المهدى السنوسي ومن المناسبات التي جمعت بين الوطنيين الخلص وبعض الليبيين الفلائل الملتصقين بايطالية والمحبذين إنتصارها في هذه الحرب الاخيره هو الاجماع وتوحيد الرأى على حب مصر والتوسل الي الله تعالى أن يحفظها من العدوان الايطالي ففى هذه النطقه وحدها اتصل الفريقان المختلفان في غير

هذه النقطة ، أن تلك الفئة القليلة الملتصقه بايطاليا لم تبرح بجانبها وتنتظر انتصارها الاعلي مصر فعند ذلك نجدهم وقد إنقلبوا وطنيون من الطراز الاول وقد نسوا وتناسوا كل ماعدا مصر ولا أستطيع أن أصف تأثر الليبيين عندما حصل حادث القصاصين المشئوم وكم لهج أفراد الشعب الليبي بالحمد لله والثناء على سلامة الفاروق .

الادب والادباء

كان الادب ولم يزل فى برقه بضاعة رائجة لن تبور وان الاديب محل الاحترام كما هو الحال فى كل بلاد مثقف وان كان الادباء دائما يشكون حظهم ويظنون أنهم غرباء فى هذا العالم الذى لازينة له الا بهم ، كان بينغازي ودرنه في القرن الماضي عدد من الادباء لا بأس به ولكن الظروف التي مرت بالبلاد أضاعت ما كان قد قيد من ذلك المنتوج الادبى العظيم أما اذا تتبعنا الادب و نهضته آبان ازدهار المعهد الجغبوبى فاننا نجده قد نال حظا وافرا من حيث سموه والعناية به وخصوصا ما اتصل منه بالاخلاق والحكمة ذلك الادب العاطفى الذي ليس فيه مساس بالاخلاق والفضيله ، الادب النفسانى الذى لايخرج عن سياج الدين الكريم ، الادب العفيف البعيد عن الغزل المكشوف الادب الذى يمحى من النفوس أرد ان الرذيلة ومما يدلنا على العناية بالادب هو أن غالب العلماء الذين انجبهم المعهد الجغبوبي نجدهم يجيدون الشعر بصفة تجعلهم في صفوف الادباء المعروفين فى مختلف العصور الاسلاميه ولكن الذى يؤسف له هو ضياع ماجادت به قرائحهم ولا لوم عليهم فى ذلك فانهم اعتنوا بقيده وتدوينه كما اعتنا معاصروهم بحفظه فكثيرا ما كان تلاميذ المدارس القرآنيه والعلميه يحفظون أشعار الشعراء عن ظهر قلب ولكن موت أولئك الادباء ورواتهم وعوامل الانقلاب التى مرت على برقه هى السبب الوحيد فى ضياع تلك الثروة الادبيه الرائعة ومن هذه العوامل نقل المكتبة الجغبوبيه الى (الكفره) ثم الى (قرو) بالسودان وبالعكس وتوزيع قسما كبيرا من المكتبه علي الزوايا السنوسيه في طرابلس وبرقه وغيرها وظروف الحرب فى الجنوب مع فرنسا وفى الشمال مع ايطاليا واستيلاء الاولى على الزوايا

بالسودان والاخيرة علي جميع الزوايا ببرقه وأخيرا على الجغبوب والكفرة وقد وصلت أيديهم الى جميع المكاتب المذكوره وإحراقها بالنار وأخذوا ماأرادوا أخذه الامر الذى أفقدنا ذلك التراث الادبي الهائل والذى يعد كمرآة لسمو الثقافة وتقدم الفكر ببرقه والمكانة العلمية التي وصل اليها المعهد الجغبوبى الصحراوي .

إن هـذه العوامل المذكورة وغيرها مما لم نذكره جعلت من العسير أن نتحصل علي شيء يذكر من ذلك اللهم الا النزر اليسير .

لقد توسع الادباء في ميدان الادب الرحب وقطفوا من أزهار حدائقه النضره ماراق لهم واشبعوا نفوسهم من ثمراته اليانعه وكان الامام العظيم السيد محمد المهدى السنوسي يشجع على الولوج فى هذا الميدان الفسيح وكان يأمر بعض من يضمهم مجلسه الكريم بقراءه بعض القصائد وكانت ترفع الى مقامه كل قصيده حدثت من أحد الشعراء وكان رضي الله عنه ينظر الى والده العظيم وبرامجه الاصلاحية العامة وتعاليمه السامية بنظرة هى أرفع مما ينظر بها الابن الي أبيه فالسيد المهدى لاسلطان للعاطفة عليه ولكن للحقيقه سلطانها ولذلك كان يحب أن يسمع ماقيل في حق السيد محمد السنوسى مثل قصيده أحمد باشا المنتصر المعروفة با(لتائيه) وقصيدة السيد عبد الرحيم المحبوب التي رثي بها السيد محمد السنوسى ويسمع الكثير من أشعار الشيخ علي الليثى (شاعر الحضرة الخديويه) وتلميذ السيد السنوسي وأشعار عبد الله باشا فكري فكان ذلك بمثابة التشجيع للادباء.

لقد نظم السيد محمد المهدى أبياتا وهي الاولى من نوعها اذ لايعرف عنه أنه نظم شعرا غيرها وأمر السيد أحمد الشريف السنوسي بعرضها على الادباء بدون أن يخبر بقائلها ويعود له بآراء من عرضت عليهم وكانت الابيات حول نسب السيد محمد السنوسى فتناولها السيد أبوسيف مقرب وتصرف فيها وعندما علم أنها من نظم السيد المهدى تألم حياء واستاء لتصرفه الذى كان محل سرور واعجاب السيد المهدى والى القارى تلك الابيات .

سلسلة من عسجد قد نظمت ... بالجوهر المضيء من ضوء سما
فانبعثت شعشعة من نورها ... أجلت ظلاما كان قبل قد طما
وابتهجت بابن (السنوسى) الذى ... شمس علاه بهرت شمس السما

فانظر هنا منثور در تنظرن روضا نضيرا ناميا منمنما

وإلى القارىء تصرف السيد أبى سيف :

سلسلة أعلامها جواهر مضيئة بنور اسماً من سما

فانبعثت شعشعة من نورها (أجلت ظلاما كان قبل قد طما)

(وابتهجت بابن السنوسى الذى) قد فاق نور سره شمس السما

(فانظر هنا منشور در تنظرن) روضا نضيرا جاده غيث هما

بالرغم من تشجيع السيد المهدى للادب فقد كان للحياء والحشمة اللتين يتحلى بهما كل تلميذ أمام أستاذه وكل عالم أمام السيد المهدى تأثير عظيم فى شاعرية الادباء وكانوا يرون أن الادب الذى لايتصل بالدين والخلق لايجب أن يحفل به وان كانوا يقولونه في مناسباته وهاأنا ذا أسوق دليلا بسيطا عن هذا الرأى كما ترآلى :

توفي جدى السيد عمر الاشهب وكان والدى في عنفوان شبابه بالجنبوب فاكتنفته الاحزان لموت والده ففاضت شاعريته بما كان يخالج فكره من الالم سيما وقد توفيت والدته أيضا وعندما سمع بذلك شيخه السيد فالح الظاهرى سر سروراً عظيما ودعي تلميذه المذكور لان يسمعه ماقاله فاستحا التلميذ ومنعه التواضع من الاعتراف بانه يقول الشعر ومضت أيام وشهور والسيد فالح يحاول كي يسمع شيئا من تلميذه فلما أعجزته المحاولة اتخذ طريقا ليعلم به عن شاعرية تلميذه فامره بأن يتناول معه الغذاء وقد دعا لذلك قسما من تلاميذه وجلهم من الادباء وخصص الداعى مقعد كل فرد من المدعوين بحيث يكون السيد أحمد بن إدريس مواجهاً للسيد فالح وامر هذا الأخير أحد الخواص بأن يضع كسرة من الخبز تحت الآنيه من الجانب الذى يلى السيد أحمد لكي تميل الآنية إلي جهة السيد فالح حيث سيمتنع السيد أحمد من أغماس خبزه ، حصل كل هذا وفعلا امتنع السيد أحمد فسأله أحد رفاقه قائلا مالك لاتغمس خبزك ؟ فأجاب المسئول بدون أن يشعر أنه فى حضرة شيخه قائلا (تباعد عني الفول حتى تركته) فاكمل السيد عبد الرحيم شلبى البيت بقوله (فصبرا جميلا عن طبيخ تباعدا) فضحك السيد فالح حتي أغر ورقت عيناه وأراد أن يداعب تلميذيه فانبهما بقوله تحد يتمونا لظنكما أنكما تقولا الشعر وحدكما وقال من قصيدة طويله .

عبد الرحيم وأحمد الفتيان الشاعران من الكرى منعانى
ظنا بأن الشعر مقصور على فكريهما وبذاك يعتقدان

وأخذ هذا الموقف دوراً أدبيا رائعا بين الاستاذ السيد فالح وتلميذيه ومن معهم من أدباء الاخوان .

أمر الاستاذ الأعظم السيد المهدى بتدوين قصائد الشعراء وكل مايتصل بالناحية الاديبه نظما ونثرا فدون الكثير من ذلك وكانت هناك مجموعة كبيره مخطوطة وقد سميت (بسفينة الاخوان) تحتوى على قسم كبير من القصائد وكانت كل زاوية من الزوايا تحتفظ بنسخة منها كما حفظت منها نسخ بمكتبه الجغبوب والكفره فضلا عما يحرزه الافراد في حوزهم الخاص وكنت اطلعت على نسخة كانت محفوظة بزاوية (البيه) جالو وفي سنة ١٩٢٨ سلم لى السيد ابراهيم بن العربي الغمارى أوراقا كثيرة من تلك المجموعه وكل من عرف بالادب وقتذاك من الاخوان فهو بين صفحات تلك الموسوعه قسم كبير من ثمرات تفكيره ولكنها ضاعت هى الأخرى وعسى أن توجد تلك المجموعة أو بعضها عند بعض ماكانوا يملكونها ولنذكر الآن عن أسماء بعض الادباء البارزين في عهدى السيد محمد السنوسى وخليفته السيد المهدي كما سنثبت شيئا من اشعارهم ثم نختم ذلك بذكر طائفة من أدباء برقه المعاصرين ولعلنا سنتوفق إلى جمع شيء من ذلك التراث فنعمل على نشره فى كتاب خاص والله الموفق .

من بين الادباء البارزين في عهد الامام السيد محمد السنوسى ، السيد فالح الظاهرى وقد كان له اطلاع رائع خصوصا فى التطور والنظرات الاجتماعيه وحرية فكر لايوجد لها في وقته مكان ثم السيد أبوسيف مقرب البرعصي ، السيد عبدالله السني ، السيد أحمد الطائفي ، السيد محمد بن صادق ، السيد على عبدالحق القوصى ، السيد أحمد بن حسن وفا السيد عمران بن بركه ، السيد علي الليثي شاعر الحضرة الخدويه ، السيد أبو القاسم العيساوى ، السيد محمد عبد المتعال ، السيد عبد الرحيم المغبوب وغيرهم ممن لايتسع المقام لسرد اسمائهم .

أما في عهد السيد المهدى الذى عاصره كثير من الشعراء المذكورين فهناك مجموعة طيبة نذكر منها من تحضرنا أسماؤهم .

السادة: أحمد بن إدريس الاشهب ، محمد بن عبد الله السنى ، عبد العزيز العيساوى ، محمد بن عبدالله التواتى ، عبد الرحيم شلبى ، محمد على عبد المولى ، عبد السلام السنى ، آدم الفزانى وكثير غيرهم ومن بين هؤلاء الشعراء من يعد في طليعة الكتاب وللسادة أحمد بن إدريس ، محمد السنى ، عبد العزيز العيساوى ميزة خاصة فى الكتابة الادبيه فلكل منهم باع طويل انا لا ينقيد بناحية خاصه وقد كان نائب الخليفه السيد أحمد الشريف السنوسى يعتمد كثيرا على السيد أحمد بن إدريس فى تحرير الرسائل السياسيه المهمه وقد أخبرني السيد محمد عابد السنوسى أن عمه السيد المهدى رضى الله عنه قال له خذ من الكتابة واسلوبها عن خالك يعنى به السيد أحمد بن إدريس وله عدة مواضيع شيقه منها قصة المولد النبوى الشريف فقد ألفها بزاوية (واو) فزان سنة ١٣٣٥ حسب طلب السيد محمد عابد السنوسى وله رسالة شعريه فى (الشاى) وأخري فى لغات الطيور وله نظم متن الاجرميه وقد أسماه (هدية الصغار) وكثيرا ما كان يراسل أحبته برسائل شعريه ونثريه متنوعه وبالاختصار فقد أوجد كل واحد من أولئك السادة مجموعة طيبه نظما كانت أو نثرا وعلي ما أعتقد أن مكتبه صاحب السمو الامير السيد إدريس السنوسي لا تخلو من وجود بعض الشيء فيها فقد خصص سموه جماعة من الخطيطين بجدابيه سنة ١٩٢٠ لقيد كل مايوجد من تراث أدباء برقه وكانت لسموه عناية خاصه بهذا الموضوع ولكن ظروف سموه وهجرته من بلاده لعلها تكون قد ضيعت شيئا من ذلك، نقد تعسر علينا وكتابنا تحت الطبع أن نستقصى مالشعراء برقه منذ شروق عهد السيد محمد السنوسي ونرجوا الله أن يمكننا من جمع الأهم منه على الاقل لاننا نحاول ذلك لان فى شعرهم الشيق السامى مايملؤ الذهن والقلب والنفس والآن نذكر عن أسماء بعض شعراء وكتاب برقه المعاصرين . إن برقه التى لم تخل سابقا من الادباء الذين يزينون المجتمع بأدبهم تزخر الآن بطائفة كبيرة من الأدباء وأكثرهم من الشباب الناهض بالرغم مما كانت عليه فى العهد الايطالى الغابر الذى لم تنل برقه أثناءه حظها من التعليم ويكفى من التعليق على ذلك العهد بهذه المناسبة هذه الحجة البالغة وقد اقتطفناها من محاضرة القاها مدير الاوقاف الاسلاميه الاستاذ خليل أفندى القلال بجمعية عمر المختار في شهر يونيو سنة ١٩٤٣ قال (قضينا معظم حياتنا نئن تحت الاستعباد مدة طويله تسيطرت علينا

فيها يد المستبد فحرمتنا لذة العلم وأوصدت فى وجوهنا أبوابه وأبعدتنا عن مناهله ففى مدة الاحتلال الاسود التى نزهو عن الثلاثين سنة حرمنا من المشاركة فى الفنون والعلوم العصريه فلا تاريخ لنا يدرس ولا لغة لنا تلقن ولا آداب لنا تنشر بل حجب عنا حتى مطالعة الجرائد والمجلات فبقينا منعزلين عن العالم العربي وعن الحياة الاجتماعيه)

بالرغم من هذه الحالة التي وصفها المحاضر بايجاز هاهي برقه تحفل ولله الحمد بمجموعة طيبة من الكتاب والشعراء نذكر بينهم من تحضرنا أسماؤهم والكتاب تحت الطبع :

من الشعراء السادة الافاضل السيد الزبير بن السيد أحمد الشريف السنوسى ، أحمد رفيق المهدوى شاعر برقه الكبير ، عبدالقادر الحصادى شاعر درنه ، محمد البشير المغيربي ، إبراهيم أسطى عمر ، فؤاد شنيب ، عبد السلام عمران ، الحسين الحلافي ، ابراهيم محمد الهوني ، على الساحلي منصور المحجوب وجلهم فى الوقت نفسه من خيرة الكتاب ، أما الكتاب الافاضل فمن بينهم السادة السيد قاسم السنوسي ، السيد على صفى الدين السنوسى ، الشيخ محمد الاخضر العيساوى ، الشيخ عبد الحميد الديباني ، سعادة عمر باشا منصور ، عمر بك شنيب ، خليل القلال ، محمد الساقزلى ، مصطفى بن عامر ، صالح بويصير ، محمد بن عامر ، محمد الصابرى ، عبد الجواد الفريطيس ، رشيد كاهيه ، سالم بن عامر . حامد الشويهدى ، محمود مخلوف ، علي فلاق ، حسين يوسف مازق ، محمد سرقيوه ، محمد بوكر ، عبدالله سكته ، عبد الرزاق شقلوف ، المبروك الجبانى ، محمد السعداويه ، توفيق نورى ، عبد السلام بسيكرى ، سالم الاطرش ، سليمان الجربى ، عبد الكريم جبريل ، سليمان منصور الحداد ، حسين غرور ، حسين الغناوى ، مصطفى بن سعود ، محمد بن صويد ، محمد عابد عبدالمولى ، السنوسي الغزالى ، أحمد الغزالى ، إبراهيم الغمارى ، عمر بن إدريس ، محمد عبد السلام الغمارى ، مبارك شحاته ، يوسف بن كاطو ، وهبي البورى ، منصور ستيته ، منير البعباع ، فتحى العابديه ، فرج جليل وغيرهم ممن غابت عنى أسماؤهم وفيما يلى تثبت شيئامن نوع الادب لشعراء عهد السيد محمد السنوسي وعهد السيد المهدى رضي الله عنهما وجزاهما عن الاسلام والمسلمين خيرا :

دعى سيادة السيد محمد عابد السنوسى ذاة مرة الكثير من علماء وأدباء الاخوان الى حفلة أقامها باحدى ضواحي الجغبوب وكان من بين المدعوين السادة أبي سيف مقرب ،

أحمد بن إدريس الاشهب ، محمد الريفي ، العربي الغماري ، أحمد أبي سيف ، محمد الاشهب واتفق رأى المدعون أن يتخذوا موقفا حيال السيد أحمد بن إدريس ليثيروا بذلك ثائرته وكان له جوادا أصيلا وكان من بين رفاقه من يركب جواداً خسيس الطبع ومن أحط الخيول صفة وقد إشترك سيادة الداعي في هذه المؤامره التى دبرت للسيد أحمد وعندما أراد القوم أن يركبوا خيولهم أمر السيد محمد عابد باحضار الجواد الخسيس ليركبه السيد أحمد بن إدريس فى حين أن جواده الخاص به امتطاه أحد الرفاق بأمر السيد محمد عابد فاستسلم السيد أحمد لامر سيادة الداعى بدون أن يعلم شيئا من الامر وركب القوم قبل صلاة الفجر مسرعين لادائها بمسجد الجغبوب وركضوا بخيولهم تاركين السيد أحمد يعانى هول جواده الجديد (الحرون) الذى أبي أن يرافق الخيل عندما أخذت تركض وأخذ يدور حول نفسه فان همزه راكبه يتخبط ذات اليمين وذات الشمال حتى يخشى راكبه الوقوع وإن سمع أى حركة يزداد تخبطه كان به مس من الجن وإن نزل الراكب لايستطيع الركوب من جديد وان قاده استعصي وكان السيد أحمد لايعرف الطريق المؤديه للجغبوب وهكذا صار في حالة متعبة حتى أشرقت الشمس فاقتفي أثر الرفاق متبعا وطأ أقدامهم الى أن وصل وهناك رفع تقريراً أدبيا مطولا الى العلامة الجليل السيد أحمد الريفى شاكيا ومدعيا ضد جميع رفاقه واستنبط الحجج التى تبرر دعواه وتثبت حقه وذلك بشيء من آي الذكر الحكيم وشيء من الحديث الشريف وشيء من أقوال الادباء والحكماء وبعض أبيات من نظمه الخاص بالموقف فى قالب أدبى رائع يجعل السامع أسير مايسمعه واستهل دعواه بالآية الشريفه (والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة ويخلق مالا تعلمون) واسترسل فى الموضوع بابيات هى من قوله منها :

أيامن له فضل على الناس عائد ... فما أنت الا فى المكارم واحد

حقوقى أضاعوها كرام صحبتهم ... فمن لى بحقي نحو من هو (عابد) ؟

ومنها : لقد تركوني هائما في طريقهم ... وما أنا عن تلك (الطريقة) حائد

وكان الكثير من طلاب العلم بالمعهد الجغبوبي يحفظ عن ظهر قلب هذه الدعوى التى ضاعت منا كما كانوا يحفظون كلمة الدفاع التي كانت هى الأخرى لاتقل عن الدعوى وقد قام بوضعها السيد أبوسيف مقرب بصفته وكيلا عن المدعي عليهم ، وصلت الدعوي إلى

السيد أحمد الريفى فاخذ فى استجواب المدعى عليهم وهنا تقدم السيد أبو سيف بدفاعه وقد ضاع منا هو الاخر اللهم الا بعض مقتطفات عثرنا عليها بورقة قديمه تثبت منها ماتمكنا من نقله : (ركب أستاذنا السيد محمد عابد فى ليلة من الليالى وأمر جماعته بالركوب معه ، وفى الليل بقية سعه ، ومن بينهم خاله الاقرب ، السيد أحمد بن إدريس الاشهب أركبه على يعبوب سابح ، يدرك السانح والبارح ، يبارى الرياح ، ويسخر بذات الجناح ـ فسار مع الجماعه ، ورافقهم نحو ساعة ، ثم أنه أملته الفضاريف ، وعدم صبر العطاريف ، فركن إلى الراحة ، ونزل للاستراحه ، ولم ينهض للحوق الاتراب ، بل وضع جنبه على التراب ، حتي طلع الفجر وأضاء ، وأظنه صلى الصبح قضاء ، ثم سار يقفو الاثر ، فوجد مايدل على أن مركوب أخيه محمد الاشهب قد عثر ، ففرح وانسر ، وقال عسي أنه إنضر ، ثم أتى الى الرفاق ، وهم فى حالة اتفاق واتساق ، فشق العصا شقا وأدعى أن له عليهم حقا ـ وصار يطالبهم مطالبة غريم ـ وسعر خصاما لا يبرح تسعيره ولا يريم ـ بقوله لم لاتتامون مثلي أو تفعلون فى السير كفعلى ـ فقلنا له سرنا بسير الامير ـ فنخسنا الخيل بالركاب وبالمسلة اكتدنا الحمير ـ وأنت ايها الفاضل راكب علي حصان له أرخاء سرحان وتقريب تتقل ـ وراكبه لا يستطيع لشدة وانشاط مرحه ان يتقل ـ وكنت قد قلت فينا مباريا بعض واصفيه .

ومهر اذا أضمرته يوم غاية ... حسبت الصبا القت اليك لجامها

وإن خلت فى يوم السباق أجلها ... تخلفك قد صلت وأنت إمامها

هذا ماحصل من القصه ـ فانظر مانصه ـ وأحكم بهذا الرد الجميل على من عليه النص والدليل ـ وتحدث للناس أقضيه ، والفراسه الاياسيه تستخرج مافى الاخيبه ـ وقد يستريح للنفثة المصدور ـ والله يعلم خائنة الاعين ومانخفى الصدور ـ وكانت هذه المحاوره سنة ١٣١٣ هـ ان السيد احمد بن ادريس كان يعرف بين زملائه بالنكته الرائعه وقوة الحجه وكان يرتجل قصائده فى وقتها بالمناسبة ولكن من امعس النظر فى شعره ونثره يحكم بأنه كاتبا لاشاعرا وان كان رفاقه يرونه من خيرة الشعراء والآن نذكر شئا مما تحصلنا عليه من قول الشعراء المذكورين :

قال السيد فالح الظاهرى

قد بات والدمع فى الاماق منضودا ... من شادن خالف الاعلان موعودا
يسامر النجم ماتمضى أجنته ... ويمترى أن يكون الغمض موجودا
وللغرام حريق فى جوانحه ... أعيا العواذل اخفاء وتخميداً
مالصبابة أمست لاتفارقه ... والشوق عن غيره قد بات مطرودا
وهو أمر من وصال الحب ليس له ... حظ وان كان فى الهجران محدودا
أنلت يابدر قدرا منه ماحفظت ... منه العشائر يوما أنسه سودا
وقد رددت حليف الياس منك فتي ... لا ينكر الفضل والمعروف والجودا
قد يتعب النفس فى ارضاء قاصده ... وقد يزيد الى أن يتعب القودا
فصيدك الله يامن لست أذكره ... الا وظلت بنار الشوق موقودا
الا تعمدت وصلى إن وصلك لي ... سريجارى فؤادا فيك معمودا
حرمتنى منك حتى في الخيال وما ... تخشي تلافى أخلت الصب جامودا ؟
ان زرت أحييت نفساً حرة نخذت ... محمدا شافعا والله معبودا

وله من قصيدة أخرى

أمسى بقلبي على يبزر ... عسال قد تعود الهز
يهز تيها وليس يدرى ... كم قد أقاسى من ذلك الهز
مجوز عنده اغتيالى ... مهفهف صدغه ملوز
ورب قدم عديم فهم ... يخال حبي حب ابن (الغز)

وله أيضامن قصيدة بعث بها الى قائمقام جالو مصطفي بك كاهيه مع قسامن (اللويزه) وقد طلبها مصطفي بك

أصباه أو قد أحال ميزه ... ظبي يرد النقا وحيزه
على قلوب الورى خفيف ... لو لم يكن ردفه رويزه
الورد من وجنتيه يجنا ... ومن جفنيه آمنت بيزه
والنرجس الغض ناظراه ... ياهف كبد تلفي وخيزة
وثغره الاقحوان زاه ... وقلبه القرقف المزيزه

قد نور الياسمين يحكي جبينه المؤنق الدريزه
وفرعه ضفت ريحان سقته ريا (أنوا) الجويزه
قد همت وجدا به ينافي وجدا مرىء القيس من عنيزه
مهذب ريض عن خلافي فارتاض يستوضح الرميزه
أخلافه الشيح والخزامي والجل نثرا روى (اللويزه)
منها أتتكم فلتقبلوها مع الفتي (طاهر) الجزيزه

وله رحمه الله من قصيدة بعث بها الي الاخوان بالجعبوب من بلاده الحمراء بالحجاز :

سرى طيفكم ليلا فحاكاه في المسرى على بعد مابين (الجغابيب) والحمراء
عجبت له أنى أهتدى لى وبيننا مهامه ينبو الوهم عن جعلها مسرى
أأحبابنا والله من غير النوى ودادى ولا أخلت خلاوى لكم ذكرا
أهش بريح (الجربياء) اذا سرت وان أضرمت فى القلب من شوقكم جمرا
ويهوى مهاوى النجم منى حاسد من النجم مابين (العوائد والشعرى)

وله من قصيدة طويلة معاتبا

لها الله عينا تنثر الدمع كلما ترجيته درا أفاضته أحمرا
بفرقة إخوان علي تأثروا جهارا بصفو العيش حتى تكدرا
فمالى واخوانى اذا حان حائن لديهم علي قلبى لهيبا مسعرا
ومنها : بخلتم علينا بالعزاء لفقيه مصارعهم دمعي لها قد تحدرا
فان كنتم حملتمونى جناية لساع وشي بى عندكم ثم زورا
فوالله ما قصرت فيما يسركم ليالى أبليكم بلاء ليكفرا
حربت عليكم في المواطن كلها ودافعت عنكم بالكلاكل والذرى

وللسيد أحمد الطائفي

دلال منك هجرك أم جفاء كلا الحالين لي فيه الوفاء
فهجر الدل محبوب وعذب به أهل الغرام لهم رضاء
وهجر الصد يطلبه المعنى ليعذب عند غايته اللقاء
وكم قاسيت هجرا من حبيب فكان لغاية الهجر الصفاء

ومنها : حويت محاسنا لو ان أعمي ... تخيلها لفارقه العماء
ومن رزق المحاسن ليس يدرى ... بأن الحسن للعشاق داء
سواد الخال جزء من فؤادى ... به حظ العنا وكذا الشقاء
ووجنة خده فى الجسم روح ... فان فقدت بدا فيه الفناء

وللسيد على عبد الحق القوصي الصعيدى

وأرى لليلي العامريه منزلا ... بالاسد يحرس والمهابة بابه
يعطى العفاة من المداد لانه ... بالجود يعرف والندى حجابه
قد أشرعت بيض الصوارم والقنا ... باكف من بيض الدروع ثيابه
وتحفرت بالعادات خنادق ... من حوله فهو المنيع حجابه
سطعت شموس الحسن فى آفاقه ... فلذاك طارقة العيون تهابه

وله من قصيدة أخرى

لوسامحوا مهجورهم أو زاروا ... بالطيف ماقعدت به أوزار
ومنها : ياسيف دين الله ياقطب الهدى ... ياخير من قرت به أبصار
ياقائما بالأمر لم يوجد سوا ... ك له تقلد مابدت أطوار
ياصاحب الخلق العظيم وأيها الـ ... ـصبر الكريم الشاكر الصبار
جتناك ضرمسنا وأهلنا ... أسرى عزيز الكون من يمتار
أنت الحفيظ على حزائن ربنا ... وبحجر أمتك الانام صغار
ببضاعة الارواح مزجات فأو ... ف الكيل وامنن أيها المكثار
فجزائل الصدقات للفقر آجزا ... المتصدقين الله ما ماروا
عن فعلنا جهدا بيوسف أنفس ... فى حب غي أغض يامتار
ومنها : وشرآئها جهلا ببخس ناقد ... من جيفة ما أن لها مقدار
تالله قدا وثرت لاتثريب قل ... الله يغفر ايها الغفار
الق القميص على عيون وجوه أبـ ... ـيضت يعد من ريحك الابصار
وقل أدخلو مصر الامانى آمنـ ... ـين المركاسات الفيوض تدار
أبناءك الغر الالي خصصتهم ... بمناقب سبقت بها الاقدار

بشراهم بشراهم غبطتهم الا ... غواث اذ بخلت بك الاعصار
فهم العصابة أهل أن تهلك فما ... فى الارض يعبد بعدها الجبار
فهنوا وطاب النصح ما أخذتهم ... فى الله لومة لائم اذ غاروا
صدعوا بأمر الله أجلالاله ... والدين فى يد قابضيه النار
تحيي بقاع الارض ما نزلوا بها ... فكانهم بوجوهها أمطار
صاموا علي الدنيا وضرتها فما ... لهم بغير من ابتغوا أفطار
صرفوا نقود العمر فيه ومالهم ... الا القيام بحقه أوطار
يستغفرون من الكمال متى دعوا ... في كل أطوار الرضا أو طاروا
خافوه أجلالا وزلفاه رجوا ... ما استعبدتهم جنة او نار
من كل شائبه سواه تجردوا ... لم تسطع إسترقاقهم اغيار
أنسابه اعتلقوا به والناس قد ... عكفوا على عجل هو الدينار
ملك القناعة احرزوا وجلالة ... التقوى ملوك دستهم أطمار

والسيد أبى سيف مقرب بمناسبة تحول السيد المهدى من الجنوب الى الكفره .

أيا سائق الوجناء تقلي الفيافيا ... وتوردها آل المفاوز صافيا
نؤم بها ركنا ركينا وددته ... قريبا لسعي حوله وطوافيا
ونجعل ماء (للابيض) يمنه ... فتصبح في فج يمج الافاعيا
ومرت مرورات تمر بموره ... فيقدح زندا في الحنادس واريا
إذا جئت ربعا حل معناه علية ... وبالسيد (المهدى) أصبح عاليا
فبلغ سلامي ساكينه وأفصحن ... واياك والتقصير فى شرح حاليا

ومنها : وخيم بداد كلته محاسن ... بواد وكان النازلون بوادبا
(زوية) أهل الفخران جئت حيهم ... ترى العز فى نادى (زوية) باديا
وأهل فتى أمضا من السيف عزمه ... وان كان للضيفان بالبشر باديا
اذا مادعوا يوما الي شن غارة ... رأيت المنايا الحمر تعلوا المذاكيا
فكم من جريح قد أباحوا وأجحفوا ... بمال غنى لايخافون عاديا
فارشدهم للرشد من جل بينهم ... فلا زال مهديا ولازال هاديا

أعام له في المكرمات مناقب ... ثواقب اخفا ضوءهن الدراريا
وأيد طوال بالتطاول لم تزل ... تطوق أعناق العفاة الاياديا
وعزم مضيء في الخطوب صقيله ... يبارى صقيلات الغرار المواضيا
وهمته أسنا من الدهر رتبة ... بها قد غدا فوق السماكين راقيا
هو ابن (السنوسى) الذى غيث علمه ... هما ونما نفعا فعم النواحيا
فكم من جهول أسود اللون خلقة ... كساه لبوس العلم أبيض صافيا
وكم بدوى فى الفلا خلف نوقه ... يبول على الاعقاب أشعث حافيا
تلافاه فى مهوى الضلالة هاديا ... فاصبح نجما بالهداية عاليا
يهاديه ابناء القياصر رهبة ... فيزداد بالرد البليغ تعاليا
(سليمان) فى ذا الفعل كان مقدما ... وأنت الذى من بعده جئت تاليا

الى أن يقول :

وقل الذى يرجوه للدين ناصرا ... سيأتيك في جيش يجر العواليا
يقود جيوشا ضاق عن بعضها الفضا ... تذيق العدا كاس الردى والدواهيا
كتائب من سام وحام تجمعت ... وما جمعت الا الاسود الضواريا
أسود لها سر الحديد ملابس ... وأعينها كالجمر أحمر قانيا
وأضفارها بيض الضبا أن سطت بها ... تقد مع الهام الطلا والتراقيا
ومن بعدها تأتى جيوش (ببرقه) ... بوارقها تعش العيون العواشيا
تلاميذ لا يعدون امرا راده ... بواد وأشراف تبيد الاعاديا
إذا حملوا تحت (العقاب) تخالهم(١) ... صقورا على الاشلا توالى التهاديا
كتائب أمثال الجبال رزانة ... وان حملت خلت الهضاب جواريا
فكم جدلوا يوم الجدال أجادلا ... وكم أغمدوا فى الهام عضبا يمانيا
أولئك أقوام على الموت بايعوا ... مبايعة أضحى بها الصبر راضيا

---

(١) العقاب اسم راية النبى صلى الله عليه وسلم وهى سودة اللون وقد اتخذ بنوا العباس هذا اللون شعار رايتهم وكانما الشاعر تنبأ لان تكون رايتنا الوطنيه كذلك سوداء نوصفها باسم راية النبى صلى الله عليه وسلم .

ولولى انتظار الامر من سيد الورى (وسلطانا الغازى) لاصح غازيا
فتى عام في نعمآئه من له أنما ولم يرض الا أن تعم الاقاصيا
فشيد مجدا محكم الاس قبله وأعلا مناراً لم يكن قبل خافيا
فاكرم به فرعا شبيهاً بأصله مشابهة منها استفدنا التساويا

إلى أن يقول :

أيا بن رسول الله ياخير من خدت له النجب كالاوتار خوصا صواديا
أتيت الحمى سعيا أأمل زورة تمحص أوزارى وتعلى مكانيا
فلا زلت يامولاى للدين كافلا ولازال مدحى فى عروضك كافيا

وللعلامة الفاضل السيد عبدالله السني رئيس زاوية مزده يمدح السيد محمد المهدى من قصيدة خالدة .

هام سما قدرا وعزا وسوددا ونال مقاما ماله غيره أهل
منيع الحمى لايلحق الضيم جاره مريع الحيا ماعاب نائله المطل
يعنفنى العذال جهلا وما دروا بأني من ذكراه لى يعذب العذل
ومنها : فقاموا بما قاموا وفاء بحقه وهان عليهم دونه المال والاهل
ولا وهنوا مما يهين ولا ونوا وكم ملهم فيه الغناء فما ملوا
فاولاهم المولا رضا لرضائه ونالوا به فخرا على كل من يتلوا
هو السيد (المهدي) أهدى من اهتدى وانجب من وجه الهدى قد غلا يجلو
واكفؤ من للدين أصبح كافلا على حين ماقد كان يسلمه الكل
وأيمن من ترجوه امة جده يكون لها ظلا وقد اعوز الظل
ومنها : وفجر أنهار العلوم أفاضة فاخصب مامن قبل أمحله المحل
وأجرى ينابيع المعارف للحجا به اتصلت من بعد ما فلها الجهل
ونادر في كل البلاد مآثرا بها كل نادفيه السنة تتلوا
متى حل فى أرض تهلل نورها فاضحت به كالروض باكره الهطل
هو المرتجا للدين ينصر حزبه فتعضده الانصار والنصر والنصل

يجر بحورا من بنى العرب ترتمى ... بأمواج آفات هى الضرب والقتل
إذاصففت تحت (العقاب)جنوده ... تخال خيالا فوقها شعل شعل
وان زحفوا يوم اللقاء حسبتهم ... سيول خيول برقها ببرق يعلو
كان مثار النقع من حومة الوغي ... غيوم بها برق الصوارم ينهل
وما رعده الا زلازل غارة ... وما وبله الا الجماجم تنهل
فتطهر أرض طالما قد تنجست ... بأوثانهم سيل الدماء لها غسل
وتلبس من نسج العلا حلة الهدى ... يعطرها من أمره القسط والعدل
ويخفى ظلام الجهل أشراق نوره ... وتنهمر الخيرات ليس لها مهل
أمام الهدي نافى الردى قاهر العدى ... فدونك عجل قد تطاولنا الذل
نجد من بنى الاسلام أخلص عصبة ... جحاجيح أبطال متي قلت لايالوا
بهم من نحارير كماة عياهل ... لهم فى ميادين الحروب يد تبلو
يسلون فى داج الخطوب اذابدت ... مهند أفكار صوازمها صقل
يقودونهم أشبالك الغرانهم ... بهم في ميادين الوغي ضرب الطبل
ليوث اذا ما ألحم القوم أقدموا ... تخل علي الاعداء من باسهم ثكل
هم القوم ان قالوا فثق بمقالهم ... (فلاشك عندى ان سيعقبه الفعل)
وان حسروا يوم الوغى عن نصالهم ... تخال رجوما للشياطين قد سلوا
وان عطفوا بعد القراع الى الحي ... رأيت وجوه الحسن بالبشر تنهل
فاكرم بهم من سادة شيدوا لنا ... معالم يجرى في جوانبها الفضل
أيابن رسول الله ياخير من هدا ... وأحرز ملك الارض وهو له حل
وقلده الرحمن اعباء جده ... فصار على المنهاج آثاره يتلو
فلا زلت تحمى المجد والجود للورى ... ولازالت المداح آثاركم تتلو

ولسيدى محمد السنى من قصيدة عصماء يمدح بها السيد المهدى .

بالله هل أبصرت عيناك أو سمعت ... أذناك فى زمن قد عمه البطر
عصابة سلكوا نهج الرسول علي ... بصيرة ودعوا لله فانتصروا
ولم يضرهم خلاف من مخالفهم ... بل من يعاد يعود وهو منكسر

الا امام الهدي المهدى واسرته ... أكرم بهم من هداة للهدى نشروا
ومنها : فاخضر وجه أديم الارض باسمة ... والعلم والفضل والتقوى لها ثمر
وأخصبت بصفوف الدين يانعة ... قطوفها بجنان الخلد مدخر
فالعيش رغد وكل الناس مغتبط ... والدين زاه وداع الحق منتصر
هم سادة من كرام الناس الناس ثابتة ... في الدين ماسامهم ضعف ولا خور
طووا على الصدق أحشاء مهذبة ... هم الهداة على نهج الهدى عبروا
مدوا موائدهم للخلق مترعة ... قوم ورود وقوم بالمنى صدروا
ومنها : سبحان من يسعد الاشياء بحكمته ... حتى البقاع لها سعد ومفتخر
سل وادى (جغبوب) عما كان في حقب ... عليه ينبئك والانباء تعتبر
مهد العلوم ومأوى الطالبين لها ... روض الفضائل فهو (الازهر النضر)
نعم وسل بعده أرضا تبواها ... داراً فأمست بها الخيرات تنتشر
طابت وطاب بها المأوي لذى شجن ... دارا السلامة للاسلام مهتجر
تأوى الوفود لها من كل ناحية ... مأوى الحجيج اذا ماجاه يعتمر
يحثهم لاعج الشوق البراح لمن ... اخلاقه العز لاتحصى فتحصر
يلذ في وصله لدغ الشدايد فلا ... رباح من أجلها يستسهل الوعر
ومنها : كف به النفع للاسلام منبسط ... وللاعادي به البأساء والضرر
ومنها : أسلكت أمة طه سفن سنته ... لما طغى موج بحر الكفر يز دفر
وفقت بالنصر فالاعداء من فرق ... منكم على بعد أعيادهم الحذر
الله أكبر أن القوم فى قلق ... تكاد أوصالهم بالخوف تنبتر
مخائل الحق لاحت وهى تنبؤنا ... حضور موعد صدق كان ينتظر
قد آن للبيض أن ينهل وابلها ... وعن سناها لسان الصلد ينحسر
تغدوا لصوارم فى أيد الضراغم من ... آل الرسول لها فى الكفر معتبر
تدعو نزالا فتحكى فى تراجمها ... وقع الصواعق في الظلماء تستعر
ترمى الجماجم من أوكارها فترى ... بها المعاجم للاهمال تتحدر
تجلل الترب أوصالا ممزقة ... كانت تبجلها التيجان والحبر

فتملا الارض عدلا مثلما ملئت ظلما وروض رباها بالهدى عطر
لله من أورث الشيل (السنوسى) من نفع لامة خير الخلق ينتشر
فأصبحت حلل الاسلام سابغة للناس لا يشتكي ضيق ولا قصر
ياخير داع الى نهج الهدى فدعا وخير من يرتجيه البائس الحصر
عليك منى سلاما كلما سطعت شمس الهدى بكم أو أعبق الزهر

وللسيد حسن بن أحمد وفا من قصيدة طويلة

أهيم اشتيا قالا بدارة جلجل شغفت ولادار الهند ولادعد
ولكن فؤادى با (لجفابيب) هائم وطرفي قريح الجفن من ألم السهد
اذا لاح من احياء (برقة) بارق يخدد قاني مدمعي صفحة الخد
راصبو الي الاوطان إذ مر ذكرها على سمع خال لايفيق من الوجد
ديار بها الاقمار تطلع في الضحى وتشرق بالانوار في فلك السعد
إذا مارمآها الطرف تنسية (جلقا) وتنسيه الحاظ الظبا فى ربى نجد
يضوع بريا ها ونشرا ريحها أريج الكبا والمندل الرطب والرند
إذا ما الصبا مرت عليها تعطرت بأرواحها الاكوان بالمسك والند
اذا قلنا لى ليس فى الارض جنة فهذى بأرباب البها جنة الخلد
يحن لها قلبي وكل جوارحى كما حن مقصوص الجناح الي الورد
فهل تسمح الأيام منها بزورة وانظر فيها طلعة السيد (المهدى)

ومنها : تقلد من نظم الكمال قلائدا فرائدها من معدن العلم والزهد
وحاكت له أيد المفاخر حلة مطرزة الاطراف بالعز والمجد
تقي اذا ما أنفك عن صوم يومه يحلى الليالي بالتهجد والورد
أقام لطلاب الهداية والتقي من العلم أعلاما علي سبل الرشد

ومنها : ولما رآه الدهر أصبح باسما بثغر الرضا بعد التعبس والحقد
وقال لمن يبغي طريقا الى العلا عليك بهذا الحبر والجهبذ الفرد

ومنها : فكم من محب لاحظته عيونها فأصبح من أهل السعادة والرشد
وكم رشقت باغ باسهم سرها فأصبح بعد العز في حفرة اللحد

ولسيدى عبد الرحيم بن أحمد المحبوب (المغبوب) ردا على سيدى فالح

أيا فالحا أفلحت فاسمو الى العلا ... وفاخر جهاراً قد حظيت باسعد
وناقح (كحسان ونجل رواحة ... وكعب) وناقس فى القريض وانشد
واطرب بترخيم المديح جموعنا ... واطنب وقيت اللوم غير مفند
ومنها : أنى وسبيل الرشد أظلم ليله ... فعاد ضحى أكرم به من مجدد
تدرع عن سهم الجهول بصفوة ... به قد سلوا عن كل الف ومولد
علي حبه باعوا النفوس وأوجفوا ... اليه ضمار القود من كل فدفد
إذا دجت الاحلاك يبدو دويهم ... برنات شوق مع زفير مصعد
يؤوب شتيت البال بالرعب خصمهم ... ويحظى مصافيهم بعز مسرمد
كماة حماة ماعرتهم نقيصة ... ولايشتكي جار لهم ضيم معتد
ود يدنهم علم وحلم وعفة ... وحث علي نهج الطريق المحمدي
أولئك يوم الروع ذخرى وملجيء ... إذا أزم هالت وعيل تجلدى
خليلى عج بالركب نحو ديارهم ... وزاحم على نهل الزلال المبرد
ومرغ خدود الذل بين ربوعهم ... ونادى الارقوا بدمع مبدد

وله أيضا يرثى زميله العلامة الجليل الفاضل السيد عبدالله التواتي وكيل السيد السنوسى بالاقطار الحجازيه وقد قتله اللصوص غيلة .

عهدى بروض السنى يهتز من طرب ... وبلبل الانس يشفينا بألحان
والدهر سلم لسلمى فهى آمنة ... ولاتقول حذار اليوم عادانى
ومنها : واليوم ينكرها من كان يألفها ... مستبدلا وصلها دهراً بهجران
لاتأمن الدهران وافاك مبتسما ... فهو الخؤون ولو آلا بايمان
ظللت من غدره حيران في وله ... بالامس أضحكنى واليوم أبكانى
أشكو الى الله ماالقاه من أسف ... شب الغضا بين احشاءى وأضنانى
عادا جفوني لذيذ النوم مذ فقدت ... رأياك (يابن التواتي) ملجؤ العاني
أذكرتني من أهيل (البئر) صبرهم ... واذكرونى جفا (رعل وذكوان)
أنت الشهيد الذى قد طاب مضجعه ... وهم لعمرى فى لعن وخسران

بنوا (اللهياه) لازالوا لها حصناً .....)
هلا أتوك جهار الا أبالهم لتطعم الصاب منهم كل خوان
أني لسراق (عوف) بل أراذلهم يصادموا أسد الهيجا بميدان
لكنهم قوم غدر تلك شيمتهم أشقى البرية من عجم وعربان
تبالهم ساء في الاسلام صنعهم كم حاربوا الله وامتازوا بعصيان
أقسمت ان ساعد المقدور فى زمن لنغرين الوحوش لحم سامان
ونوردن الحياد الصاقات على ماء (المجيرمة) الغبرا بفرسان
من كل ليث عبوس الوجه ذى لبلد يقد بالعضب هام الغادر الجاني
يطهر الارض من (عوف) ويبرئ ما بين الجوانح من غل واضغان
لم يقتلوك ولكن راح روحك فى أعلا الفراديس من روح وريحان
أصبحت يابن التواني بالرضي جذلا تميس بين رياض ذات أفنان
بشراك حي الالى حيو بمنزلة حللتها كابن (خطاب وعثمان)

وللسيد أبي القاسم العيساوى القصيدة الآتيه وتكتب بطريقة عجيبه فتكون شبه دائرة مقسمة إلى إثنى عشر زاوية وتقرأ بطريقة خاصة من أعلا إلى أسفل ومن اليمين إلى الشمال وبالعكس وتعكس آخر كلمة من كل بيت فتكون أول كلمة من كل بيت ولكننا شبتها هنا بالطريقة المعروفه :

جرس الهدهد فى أفق العلا بشر الناس بما يرجو بلج
جلب الناس له أولادهم وأرادوا نحوه أبن درج
جرد الساعى اليه نفسه بعد جد جاء فى سير لعج
جعل الله له الناس أتبا عاً تبعوه كعقيق فى سبج
جبس من حاد عن نحو الهدي وسراه من أووا أين ولج
جلو نفس رامها من جاءه اذ على نور (الجنايب) نفج
جفن من جاءوا بتعظيم يرى قرلا اثم عليه أو حرج
جرح الخير الذي يسرى سرى بعدد نياه من اخراه فلج
جلف الناوي على اللب فنا ل كبدر فى استنار لادعج

جعد عصر (ابن السنوسى)الذى جدد الدين وفى العلم درج
جمد الظلم وأبدي ضده فاستقام مثل شخص قد مهج
جهم ناس وسرات شرفوا باتباع من من الغوث لهج
جهل من لادرى نور الهدى وهو فرع الغوث والغوث ودج
جدو عم الارض (مهدى) الورى بل غدا كنز وفي الدنيا فرج
جرف السرسما مع (صنوه) مع كرام لهم الحب بعج
جعب القوم فابدوا (قبة) أرخت بالخير فاز من سرج

صاحب السمو الامير السيد محمد إدريس السنوسى يتوسط الوفدين الانجليزى والايطالى با(لزوبتينه) ويرى عن يمينه ضابط ايطالى فالسيد صفى الدين باشا السنوسى وعن شماله ضابط انجليزى فعلي باشا العابديه (انظر الى صحيفة ٣٦٧)

سمو الامير السيد ادريس السنوسى

ويرى الى جانبه الجنرال الكونت ديمرتينو وهمايونقعان المعاهده بالا بار (انظر الى صحيفه ٣٧٣)

طائفة من الاخوان والمشايخ السنوسيين

ويرى السيد صالح باشا العوامى جالساً ويرى السيد عمر باشا المختار مرتديا برنسا سنة ١٩٢٠

مجموعة من المشايخ والاهالى تستقبل سمو الامير بالابار سنة ١٩٢٦

سيادة السيد الصديق رضا السنوسى
الناظر العام بالادوار الحربيه سنة ١٩٢٦
(انظر صحيفة ٤٣٧)

السيد عمر المختار وقد أخذ البوليس الايطالى في تجريده من لبوسه وربط يديه لتسليمه الى الجلاد (انظر صحيفة ٤٩٢)

صاحب السعاده
عمر باشا منصور كاهيه

صاحب السياده
السيد على الخطابى باشا

صاحب السياده
السيد هلال السنوسي باشا

صاحب السياده السيد صفى الدين باشا السنوسى
قائد القوات السنوسيه بطرابلس وقد وقف عن شماله
ضابط سنوسي وعن يمينه ضابطان يوم احتلال قصر
ابن وليد (انظر صحيفة ٣٠١)

رئيس الوفد الاميري السيد صفى الدين السنوسى

وقد ظهر المختار بن إدريس ليقدم المرحبين كما ظهر الشيخ أبو سيف يس والسيد مبارك السوسى والشيخ محمود أبو هدمه

الوفد الأميري حول المائدة التي أقامتها بلدية بنغازى وقد ظهر فى الوسط السيد أحمد ابن ادريس السنوسى ومن اليمين السيد محي الدين السنوسى

يرى المجاهد الكبير الشيخ عبد الله الاشهب وكيل زاوية مسوس
وقد جلس الى الجانب الايمن بين رفاقه من الزعماء المجاهدين سنة ١٩١٢

صاحب السمو الامير السيد ادريس السنوسي
وقد جلس بمكتبه با(لزويتينه) سنة ١٩١٧

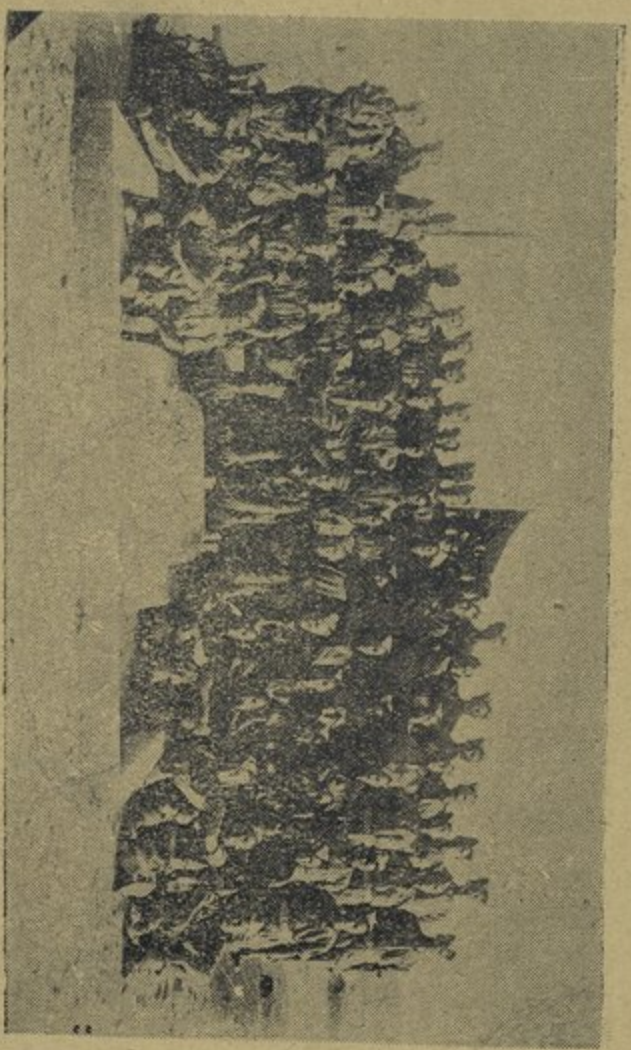

قسم من الجيش المصرى الذى تكون بمصر سنة ١٩٤٠

صاحب العزة السيد إبراهيم بك الشلحى
يارو سمو الامير ووكيل الخاصه الاميريه

صورة تمثل الهجوم العربي ببرقة

المجاهد الكبير القائد الاعلي للقوات السنوسية
السيد أحمد الشريف السنوسي سنة ١٩١٢ م

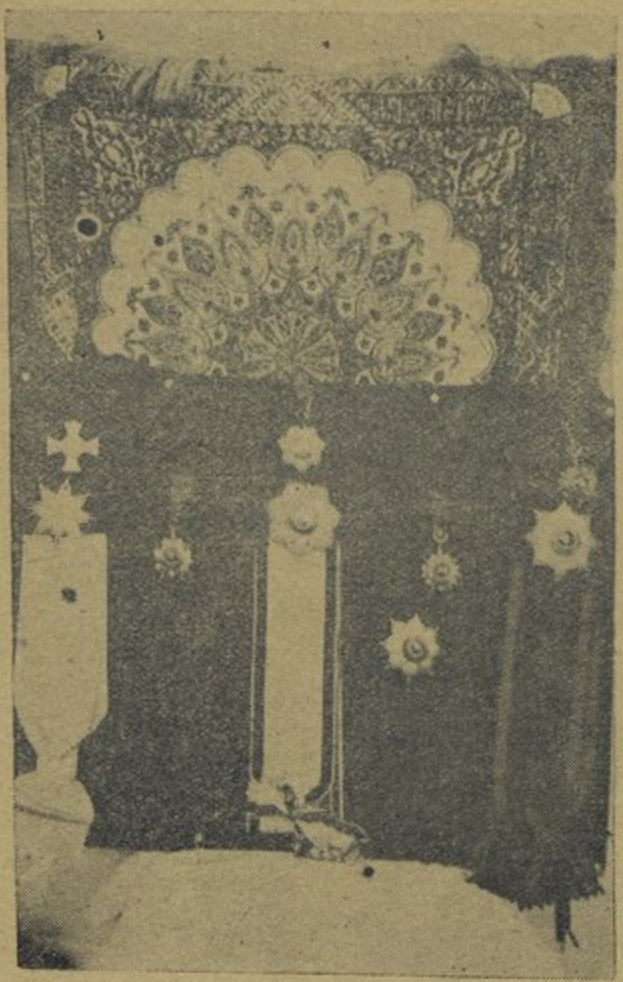

الاوسمة التى يحملها نائب الخليفه ـ السيد أحمد الشريف السنوسى
وهي (المجيدى الاول) والعثماني الرابع والثاني والاول والنيشان المرصع مع الاوشحه
ويرى من الشمال النيشان الحربي الالماني مع الوشاح وغيره من الاوسمه

هو الامير السيد محمد إدريس امهدى السنوسى سنة ١٩١٥ م

كلمة الختام

أشرنا فى مواطن كثيرة من كتابنا هذا كما سيرى القارىء الي اننا استثنينا بعض أشياء في نفس الكتاب منها قسم من الادب الشعبي الرائع والذى هو بمثابه التاريخ فى كثير من الحوادث ونبذة بسيطه عن أدبآ ئنا الشعبيين وذكر أسماء بعض الوقائع المشهوره بين الوطنيين والطليان من سنة ١٩١١ الى سنة ١٩٣١م في زمانها ومكانها كما استخلصناها من المصادر الموثوق بها وتوصلنا اليها بعد مجهودات كبيره وعدد المعارك التى كنا قد إخترناها من بين المعارك الكثيرة كانت ٢٢٨ معركة الى غير ذلك مما سيرى القارىء اننا أشرنا اليه ولم يجده وها نحن نلفت النظر للاسباب التى جعلتنا نؤجل ما كنا أردنا إثباته، لقد فاجأتنا ونحن على وشك الانتهاء من الطبع ظروف طارئه اضطرنا الي الاكتفاء فى هذه الطبعة بما طبع وستكون اضافة ماتركناه الى كتابنا في الطبعة الثانيه والله الموفق.

قبل أن أختم كتابى يجدر بي أن الفت نظر مواطنى الاعزاء الى ماقاسيته فى سبيل اخراج هذا الكتاب وما اصطدمت به من شتى العراقيل كشكل مبتدء في عمل شاق وكما هي عادة كل عامل في هذه الحياة الامر الذي سبب بقاءى بمصر أكثر من ١٩ شهرا والله تعالى يعلم ماتكبدته وكابدته وحسبي أن أردد قول الشاعر عفا الله عنه.

أجامل من الفي وأضحك ساخرا ... ولى عندما أخلو بنفسي مأتم

لقد قال لي أحد مواطنى الاعزاء (ان اقامتك يافلان ومحاولاتك وما لقيته بمصر يصح أن يكون تاريخا خاصا فاذا استعرضت فيه كل مالقيته لايقل في حجمه عن التاريخ الذى جئت لطبعه) انني غادرت بلادى لالاى غرض الا لطبع كتابى فتركت أهلي وضربت صفحاً عن كل مايجب علي نحو حياتي العائليه وأشغالى الخصوصيه والله يعلم ماأصابنى من جراء ذلك وها ناذا أكتفى بهذه الاشارة الوجيزة عن الشرح الذى لاأظن أن هناك فى بلادى من يحتاجه والآن وقد تم طبع كتابي اتوجه بالشكر الخالص والثناء العاطر لجميع مواطنيي الاعزاء من الاعيان والشيوخ والشباب في الحضر والباديه سيما أهل منطقة جدابيه فقد جاءوا يوم سفرى يدعوننى للبقاء مدة بسيطة كي

يتمكنوا من فتح اكتتاب لدفع الاشتراكات مقدما كتشجيع لى في مهمتي وعندما شكرتهم ورفضت التأخير تقدم الشباب الاجدابى الوثاب و ناولنى مبلغاً وقدره ٨٦ جنيها مصريا قيمة إشتراكاتهم ، وأتوجه أيضا بشكرى الى كل من صالح باشا الاطيوش وعلى باشا العبيدى وعبد الحميد بك العبار والشيخ سليمان رقرق على ماقدموه لى من الوثائق التاريخيه والتمنيات الحسنه ثم أتوجه بالشكر الي سعادة عبد الله باشا لملوم لمساعدته الفعاله فكان لسعادته بذلك فضل المتقدم ولاأنسي أنني لما وصلت الى مصر واصطدمت بالعقبات الشديدة حتي خالجني الشك في النجاح تقدم السادة الآتية أسماؤهم: السيد محيي الدين الشريف السنوسي ، السيد المهدى هلال السنوسي والسيد ابراهيم بك الشلحى وفضيلة الاستاذ السيدالاخضرالعيساوى والعمده يس المبرى والشيخ محمد سيف النصر وسعادة البشير بك السعداوى و منصور بك قداره و الحاج أحمد بشير المزداوى والشيخ مراجع سالم الرخ وحسين المرتضى الحاسى فقد حبوني بعطف وتشجيع جعلنى أخلق من من الفشل نجاحا ومن التزعزع صمودا ومن الضعف قوة وقاسموني ما كنت فيه من الآم فلهم جميعاً خالص شكرى وعاطر ثناءى ؟

المؤلف

تقاريض

وصلتنا هذه الكلمة التاليه من صاحب السيادة فرع الدوحة النبويه الطاهره وزهرة الشجرة السنوسيه الزاهرة الحسيب النسيب السيد على بن السيد صفي الدين الشريف السنوسي قال حفظه الله .

حضرة . . . . . .

أهدى اليكم التحيات المقرونه بالاعجاب وبعد

فقد اطلعت على تاريخك الفخم المسمي « برقه العربيه أمس واليوم » فكنت أقرأ وأسمع وأنا فى كلا الحالتين معجب مقدر ذلك المجهود الذى بذلتموه في جمع ماتشتت وما تفرق من هذه الحلقات التى كانت مفقوده أو ان أكثرها كان مفقودا لافقد ان الضياع وانما هو فقدان الحريه الفكرية عند الذين يهمهم الامر أعنى أمر هذا الجهاد المتواصل الذى ما فتيء زمنا دون أن يعمل ويمن في العمل ويكد ويجد في الكد كل ذلك فى سبيل قضية الحرية وحياة الوطن المقدس .

وقد كنت نقرأ شيئا من هذه الحلقات فى بعض الكتب فكانت تمر علينا مرا الجمل المعترضة فهى أقرب شيء فى كتابتها الى المجيئى عفواً منها الي القصد كما كنا نقرأ شذرات فى بعض الصحف كانت تكتب مواضيع متصلة ببرقه وليدة وقتها ومناسبه ظروفها وهذا الشيء المأخوذ من الكتب وهذه الشذرات الصحفيه كانت لاتغنى شيئاعن التاريخ بل كانت لاتعطي الفكرة الواضحة الجليه عن برقه ولاعن رجالات برقه فكانت لاترضى عقول الشيوخ الدارسة كما كانت لاتشفى غلة الشباب المتعطش وما أحوج الشباب الى معرفة آثار السلف ، وما أحوجه الى الاستيعاب مما خلف لهمن تراث الاعمال الجليلة ومن أثر الجهاد العظيم ليسير على المنهاج ويهتدي السبل النويمة وما أحوج الشيوخ الي الذكرى ليقربوا عهداً بعيداً كاد النسيان أن يجن عليه جنابة طول العهد وكبر السن .

وحيث قد وفقت الى جمع هذه الحلقات وصهرها في بوتقة أفكارك ثم سبكها فى قالب تاريخى حافل بجلائل أعمال قومك وبني وطنك فلا يسع برقه الفتيه المتسلحه في

شيوخها ذوى الهمم العاليه وشبابها ذوى العزائم القويه فلا يسعها الا أن تقدر التقدير العظيم وتثنى الثناء العاطر فقد أظهرت لها شيئا كان قديما هو طلبها وظالتها فاثبت بذلك أنك ابن بارها ، وما الشباب الا قلب وطنه النابض الذي يحيا الوطن بحياته وما الوطن الا هذه الكتلة الحية المفكرة العاملة من مجموع شبابه الناهض والتاريخ أنما هو تسجيل لحوادث الزمن الغابره حلوها ومرها حقيرها وجليلها لا للعلم بهذه النتائج فحسب وانما لتكون عبرا لمن أراد أن يلحظ العبر وتبقى درساً لمن اراد أن يدرس الأثر ، فليتخذ الجيل النظرات الصحيحة نبراساً علي منوالها يسير وغرضا الي هدفها يرمي ويتجنب الهنات التى ليس هناك بد من ان يقع فيها انسان اذ هو بشر مهما كان .

والحياة انما هى ممرح لتمثل عليه صور من اخلاق الانسان وأنواع من عقول الخليقه تختلف روعة وعظمة وهزلا واستخفافا باختلاف أفكار أصحابها واستعدادهم الفطرى والمأدى وما التاريخ الامرآة لهذه الحياه فى بعض جهاتها تنعكس عليها جسام أمورهم وشريف مواقفهم وعظيم مواقبهم فيكون بذلك صورة صادقة لخلجات تلك النفوس العظيمه وآية واضحة لافكار الافذاذ من الرجال فقد يكون السلف شرع فى البداية فعلى الخلف أن يتمم ، وقد يكون السلف بدأ وتمم فعلى الخلف السير علي المنوال ، واتباع السبيل ويعمل في البداية الجديده ، يعمل فيها من جديد فينهض ويستنهض ويستيقظ ليحيا حياة طارفاً ماظهر منها تليدا ماخفى منها .

والتقاليد الموروثه خير من المبتدعة والامور المتبعة جديرة بالنجاح الا ان رؤى فى الابتداع الملاءمة والخير وفى ترك المتبع النجاح والصلاح أحيانا هنالك يكون الابتداع جميلا وترك المتبع حسنا لكن الاحتراس قبل الاقدوم علي كلا الامرين فلا أقل من أن يكون واجباً . .

إذ الحقيقه لامراء فيها أن الانسان انما يسير فى دياجى بحذر ويسأل خالقة الهداية كاتبنا المؤرخ : أنت اليوم قد وفقت فيما اقدمت عليه من هذا العمل العظيم ولربما غيرك قديما حاول فلم يستطع ولربما سلك ولم يوفق ، لكنك أنت بفضل مجهودك الجبار يسرت لك السبل فاستطعت أن تصل الى ماتريد وآية ذلك مارأيته بنفسى عن كتب فكثيرا مارأيتك منقباً باحثاً عن أثر قد يكون عزب عنك بسبب حفظه عند غيرك لتضمه الى .

ما وسع جهدك أن تجمعه وكثيرا ماراًيتك وهذا الامر قد عمك فأخذ شيئاً من فكرك وجزءا غير قليل من وقتك فكنت لاأراك الاسائلا باحثاً ممنعا فى السؤال موفقا في البحث وأخيرا مسطراً كاتبا متأكداً من صواب ماسطرت ومن صدق ما كتبت وانى لاتخيل عرائس الشعر وقد رقصت با أطربها من نشيد الافكار على توقيع الحان الخلود فيأبى عليك القلم عند تلك الساعة الحلوة الخالصة من كل شائبه يأبى عليك الا أن يسجل تاريخ حقبة من الزمن مع هذا اللحن الخالد فيكون خالداً بخلوده ليغنيه ويردده أشبال الجيل والمستقبل كما غناه ورددده من قبلهم أسود الماض المجيد : حييت يارفه وجعل طالعك السعود ، وختاما لك الشكر الجزيل مناولك الجزاء الافى من وطنك .

بنغازى البركه فى أول ربيع الاول سنة ١٣٦٤ هجريه .

١٦ فبراير سنة ١٩٤٥ م الامضاء : على صفي الدين الشريف السنوسي

وقد وصلنا هذه الكلمة التاليه من الاستاذ الفاضل حامد أفندي ابراهيم الشويهدي ناظر مدرسة البركه نثبتها هنا .

حضرة الفاضل .....

ان التاريخ كما لايخفى خير شاهد علي مجد من سلف وخير أسوة يسير عليها من خلف وأصبح ميدان يتباري فيه المخلصون من الادباء والكتاب لابراز الحقائق والتعريف بالدقائق من اطوار حياة الامة وسجل حوادثها واننا أمة تفخر باتصالها باجداد ابرار شادوا الدين وفتحوا البلاد ونشروا بها العدل والمساواه واخضعوا الجبابرة العتاة وخلصوا العالم من شر الويلات والحسرات ، أمة لها ماض مجيد زاخر بجلايل الاعمال فياض بالعبر الخالدة ولها رجال سنوا الانظمة وساسوا الرعيه بالعدل ونشروا بينها العلوم والآداب وجابوا الفيافى والقفار واكتشفوا أسرار الصحراء وطلاسم البيداء ولها الي جانب هذا أحقاب طوت ذكريات مريرة انتابت هذه الامه قلب لها الزمان فيها ظهر المجن واذاقها صروف القسوة وأفانين المحن ، وقد عاشت هذه الامة ساعات السرور والحبور كما ذاقت لواذع الظروف القاسية من هذا الدهر العنيد ، ولكن الشر كالخير فقد كان لهذه الظروف فضلها على الامة فهى التى خلقت من رجالها الصناديد العظام والغطارفة الكرام والشجعان البواسل والابطال المغاوير والباسمين للخطوب

والضاحكين من الشدائد والصاخرين من الاهوال والثابتين ثبات الجبال والصابرين حقا على الباساء والضراء وحين البأس .

وقد خلف هؤلاء الاجداد الا ماجد احفادا كراما يجرى فى عروقهم دم العروبه الصافى الذى صقلته طبيعة البحر الابيض المتوسط مهد المدنيات العظيمة فجعلت منهم الرجال المتطلعين الى العلا الواثبين للنهوض الاذكياء النابغين والاخاذين بتلابيب العلوم واذيال المعارف لاينقصهم سوى بعض الحقائق الجليه عن تاريخ أجدادهم الفاتحين وآبائهم المبرزين وأن أعمال الامم المجيدة ووقائعها الشهيره وأساطير شجاعتها وصحائف بطولتها وتراجم رجالها العظماء وحسن بلائهم كل هذه الفضائل تصبح ناقصة القيمة مسلوبة الفائدة اذا لم يقيض لها الله أحد أبنائها البررة ورواتها الثقاة من يسجل هذه الحوادث وينشر تلك الصحائف ويبرزها للاحفاد والاتراب في قالب يحملهم علي احتذاء حذو اسلافهم والتمثل بآدابهم والتغنى بشجاعتهم والسير علي منوالهم واني أيها المؤلف الكريم والصديق العزيز لواثق من أن الله تعالي قيضك لهذه المهمة السامية فأنا الذى عهدتك باحثا ومنقبا عن حقائق الاخبار وجلى الحوادث منذ زمن بعيد وان أنسى لن أنس فصولك الرائعة ومجموعاتك وأحاديثك الظريفة عن تاريخ البلاد وأيام أبنائها المشهورة التى كنت تطلعني عليها الفينة بعد الفينة فى العاصمه الاولى للامارة السنوسيه عندما كنت بها سنة ١٩٣٧م ولله ما كنا شديدى التطلع الي هذا اليوم الذى نرى فيه الاحلام تتحقق والاماني تصدق والاسباب تتهيأ لابراز هذه الصحائف المجيده التي قدر لها الله أن تظل احقابا طويله من الزمن فى عالم الكتمان واسرار الاكوان واني كوطني أولا وكرجل من رجال التعليم أعد نفسى من القوامين علي تربية ابناء الوطن واعدادهم المسؤلين امام الله وامام الضمير على طبع هذا النشئ المبارك بالطابع القومى العربي الاسلامى وأخذهم علي احسن الاساليب وانجعها لنضمن لهذا الوطن العزيز ابناء بررة يكونون له فى المستقبل اكثر نفعا واتم تضامنا واشد اخلاصاً وأعظم تفانيا فى سبيله واحرص ما يكون على نهوضه وبلوغه اوج الكمال فى كل مضمار واخيراً كرجل عرف شخصيتك ووقف علي اتعابك فى جميع الحوادث وتتبع ـ غير قاصد ـ مدى اهتمامك وتحريك الحقائق وراجح الاقوال التى اعتمدت عليها فى هذا التأليف ارجو وآمل رجاء

لا يعد منه اليقين وأملا لا يكاد يكون واقفاً محدوساً فى أنك أخرجت لنا الضالة المنشودة والمعتمد الصادق فى تاريخ الوطن العزيز وسيرساداته الاماجد وساسته الاعلام وأمرائه فروع الدوحة المحبوبة الشريفة آل البيت السنوسى المجيد وأنك أوجدت لنا الشيء الذى تطمئن له النفوس وتركن إليه الافئدة ويغترف الذشأ من معينه الفياض ما يعيننا على تحقيق الاماني وبلوغ المرام وسيكون عملك المرجع المفصل الصحيح الذى يجد فيه المربى قبل كل أحد خير معين له فى ناحيه تاريخ الوطن الذى طالما شاقت نفسه إلى الالمام به وإلى تقديمه إلى تلاميذه سايغا لا تشوبه شائبة واني بينما أرجو لك التوفيق والنجاح فى مهمتك أتمني لعملك هذا عموم النفع وكبير الافادة ليطمئن قلبك ببلوغ ما قصدت إليه وتقر عينيك بعملك الجليل ويزداد فخرا بصداقتك أخوك المخلص .

بنغازى البركة ذي القعدة سنة ١٣٦٤ حامد ابراهيم الشديهدى

وجاءتنا الكلمة التالية من فضيلة نائب القاضي الشرعى السيد محمد عابدعبدالمولى:

حمدا لمن جعل تاريخ السابقين تبصرة وذكرى للاحقين وصلاة وسلاما عن سيدنا محمد الذى قص الله عليه أحسن القصص فأطلعه على عجائب الاخبار وغرائب القصص أما بعد فان الانسان يميل بطبعه لاستماع الاخبار ويشتاق بفطرته لمعرفه ما كان في سالف الاعصار خصوصا إذا كان ذلك متعلق باحوال وطنه الذى ترابا فيه صغيرا ونشأ على محبته كبيرا ليكون على بينة من أمره ويعرف فى خدمته الصادقه ما بقى من عمره وقد أتيح لى أن تصفحت الكتاب القيم الذي ألفه الاديب السيد محمد الطيب بن العلامة الكبير السيد أحمد بن ادريس بن عمر الاشهب وقد أتحفه براعه العربية وإذا به لا ينفرد بميزه السبق فحسب ولكنه يجمع الى دقة البحث واستقامة التفكير براعة العرض واقامة التعبير أخذ من الاقوال أصحها ومن العبارات أوضحها نهج فيه نهج المؤلفين الاجلاء فجاء تاريخا قيما عن حوادث وأحوال بلادنا برقة وهو اول حسنة من نوعها في هذه البلاد ومجهود قيم بذله هذا الاخ الفاضل ونحن أحوج ما يكون اليه والامل أن يكون أول حجر أساسى لوضع غيره مما يجمع كل ما تحتاجه بلادنا من البحث العام ويسودنا الاعتقاد أن مواطنينا الكرام لا يتأخرون عن القيام نحو هذا الغرض الاسمى من جديد وأنا لنقابل عمل هذا الاخ الكريم بما نقابل به الاعمال الصالحة والمبرات

الخالدة ونشجعه بكل قوانا على المضى فى مواصلة جهاده فى هذا السبيل فجزاه الله خيرا على عمله المجيد ووفق كل من سلك هـذا السبيل الى طرق النجاح والفلاح : تو كره

فى ٢٧ ـ ٤ ـ ١٩٤٥ محمد عابد عبد المولي .

وصلتنا أيضا هذه الكلمة التالية من حضرة الفاضل السيد ابراهيم به السيد العربي الغماري : الحمد لله الذى يغير ولا يتغير والصلاة والسلام على نبيه محمد الذى خلد التاريخ وأضاء الطريق الحق لسكان هذا العالم البشرى ، وكانوا يتخبطون فى ظلمات الجهل ، وبعد لقد تصفحت الكتاب التاريخى الذى ألفه أخونا الاديب الفاضل السيد محمد الطيب بن العلامة السيد أحمد بن ادريس بن العلامة السيد عمر الاشهب فالفيته الضالة المنشودة وقد نحى فيه نحو المؤرخين الكرام ورتبه ترتيباً يأخذ بالالباب فى عبارات سهلة وأسلوب رائع متين يستميل القارىء ويستهويه وقد دعم بحقائق وحوادث أخرجها من مخبئها مستندا الى رواياة الثقاة والمشتغلين بتدوين الحوادث فنهج فيه منهج المؤرخين العظام فجاء كتابا قيما جامعا لكثير من الوقائع والتطورات التي لو قلبنا فى البحث عنها صفحات الكتب لما وجدناها محفوظة بسبب الحوادث التي مرت ببرقه ولم يوجد من يعتنى بتسجيل حوادثها واذا كان هناك من سجلها فلم تخرج الينا حتى الآن ، وانى كوطنى غيور على وطنيته وبلاده أشكر لحضرة المؤلف جميل عنايته والله تعالي يتولى جزاءه وينفع به وبكتابه .

المرج ١٠ ـ ٤ ـ ١٩٤٥ ابراهيم بن العربى الغمارى

وقد وصلتنا هذه الرسالة التالية من أحد أعيان واحة هون وهو كاتب المحكمة الشرعية بها الأستاذ سالم علي عكاشة :

تتبعت بعين الامعان والتثبت كتاب برقه لمؤلفه الاستاذ الفاضل محمد الطيب ابن ادريس الاشهب فألفيته والحق يقال مثلا أعلا وتذكرة كبرى عن مساوى الايطاليين في برقه وبما أن اقامة المؤلف هناك فقد شاهد الاكثر مما سجلته الحوادث وسطرته يد الفساد الايطاليه ، هـذا وقد اجتمعت بحضرة المؤلف في مدينة طرابلس وأطلعني على بعض مواضيع من الكتاب سنة ١٩٣٧ كما أطلع عليه الكثير ممن له فيهم ثقة وطنية صادقة فلم يألوا جهدا فى مساعدته بمده بالمعلومات لمواصلة عمله وتقفى آثار الايطاليين

في كل ما جاءوا به من الاعمال السيئة ، ولما سمحت له الظروف بهزيمة الايطاليين من برقه أبرزه الي حيز الوجود شريطا سينمائيا حافلا بحوادث بلادنا عامة ومرآه تنعكس عليها أعمال الايطاليين الشوهاء ، أبرز حضرة المؤلف كتابه تحت ظل العلم الوطني الخفاق ورعاية سمو الأمير المحبوب ، والكتاب المذكور أصدق مصدر عن الحرب السنوسية الايطالية لأن جل الاعمال التي جرت وقتذاك كان مشاهدا لها بعيني رأسه وما سواها أخذها من أفواه العامة ومذكرات الخاصة فبمزيد الابتهاج والسرور نشكر غيرة المؤلف على مجهوده النبيل شكرا يتمشى مع الحق ما دام للحق أنصار .

هون ٥ مايو سنة ١٩٤٥ سالم علي عكاشة

(تم بحمد الله)

مراجع الكتاب

(١) السراج الوهاج مخطوط تأليف المجاهد الكبير السيد أحمد الشريف السنوسى

(٢) مخطوطات للسيد أحمد الشريف السنوسي

(٣) حاضر العالم الاسلامى تأليف الكاتب لوثروب ستودارد الامريكي
وقد علق عليه أمير البيان الامير شكيب أرسلان

(٤) اليقظه القوميه ـ الاستعمار الايطالى الفرنسى فى بلاد العرب ـ الاستعمار الانجليزى فى بلاد العرب وجميعها للمؤرخ أمين سعيد

(٥) رفع الستار عما جاء فى كتاب عمر المختار لفضيلة العالم الازهرى الشيخ الاخضر العيساوى

Libya
1911-1943

فهرست

	صحيفه
الاهـــداء	
مقدمة الـكتاب	١٠
التعريف بليبيا	٢١
سكان ليبيا فى الزمن القديم	٢٥
الطرق والموانى والآثار	٢٨
مدن برقه	٢٩
إقتصاديات البـلاد	٥٤
مزروعات البـلاد وحيواناتها والمنتوجات	٥٩
القبائل العربيـه	٦٠
المحاسن والعادات العربيه والبدويه	٧٧
الكرم البدوى ونشرة الاخبار	٧٩
حل المشـاكل عند البدو	٨٢
الرحل المحبوب	٨٢
المراه البدويه والحجاب	٨٣
الادب البدوى	٨٧
الاخـــلاق	٩٥
الطوائف	١٠١
ماأهمله التـاريخ	١٠٣
اجلاء الفوائد عقب حربهم مع الجارنة	١٠٧
الحرب بين قبائل الجارنه واجلاء الجوازى	١٠٩
واقعـة زغبـا	١١٥
الحرب بين البراعصه والعبيدات	١٢٢
ولاة برقه	١٢٩
برقه والسيد محمد بن على السنوسي	١٣٣
نسب السيد محمد على السنوسي، مولده، نشأته، تعليمه	١٣٤
زواج السيد السنوسى	١٤٢
رفاق السيد السنوسى من الاخوان	١٤٢
سفر السيد السنوسى الى الحجاز	١٦٧
السيد أحمد الريفى	١٦٩
عودة السيد السنوسي الى برقه	١٧٠
وفاة السيد السنوسى	١٧٢
عظمة السنوسى وماثره	١٧٧
السيد المهدى السنوسى	٢٠٢
عاصمـة الزوايا	٢٠٨
زيارة رشيد باشا	٢١٠
البريد ونظامه في عهد السيد المهدى	٢١٢
إهتمام السيد المهدى بتسوية المشاكل	٢١٣
رحلة السيد المهدى الي الـكفره	٢١٧
أثر الرحلة فى النفوس	٢٢١
السيد محمد الشريف	٢٢٨

	صفحة
يارو الحضرة السلطانية يزور السيد المهدى	٢٣٠
مكانة الابل عند العرب	٢٣٥
رحلة السيد المهدي إلى السودان	٢٣٧
عواصم الزوايا	٢٤٠
الحرب السنوسية الفرنسية	٢٤١
وفاة السيد المهدى	٢٤٦
خليفة السيد المهدي	٢٥٠
السيد أحمد الشريف السنوسى	٢٥٢
الغزو الايطالى	٢٥٥
السنوسيون فى الميدان	٢٥٩
أنور باشا	٢٦٥
المرحلة الثانية من النضال	٢٦٨
عزيز على المصرى	٢٧٢
السيد أحمد الشريف يتجول في دواخل برقة	٢٩٧
عيون المعسكرات	٢٨٤
المفاوضة بين الترك والطليان	٢٨٧
الصلح واستقلال طرابلس وبرقة	٢٨٨
السنوسيون فى طرابلس	٢٩١
تقدم القوات السنوسية	
صوب مصراته	٣٠١
القيادة السنوسية الجنوبية	٣٠٣
مساعى إيطاليا لاغراء السيد أحمد	٣٠٤
القيادة السنوسية العليا	٣١٠

	صفحة
نائب الخليفة	٣١٢
السيد أحمد الشريف والانجليز	٣١٤
سفر السيد أحمد الشريف إلي تركيا	٣١٨
أعمال السيد أحمد الشريف بتركيا	٣٢٠
وفاة السيد أحمد الشريف	٣٢٢
صدى الوفاة	٣٢٣
فئات الشعراء تشارك قراع السيوف	٣٢٧
العالم الاسلامى وبرقة	٣٤٤
سمو الأمير السيد محمد إدريس السنوسى	٣٥٠
حياة السيد إدريس الخاصة	٣٥٤
سفر السيد إدريس إلى الحجاز	٣٥٦
السيد إدريس السنوسى باشا بالسلوم	٣٥٧
السيد إدريس فى برقة	٣٥٩
الأمير السيد إدريس	٣٦١
جداية العاصمة	٣٦٢
التعليم	٣٦٤
الوكيل العام	٣٦٦
الوفد الانجليزى	٣٦٧
الطمأنينة	٣٦٨
سمو الامير بالحجاز	٣٧٠
تعديل المعاهدة السنوسية الايطالية	٣٧٣
سفر سمو الامير الى روما	٣٧٥
عناية الامير بالقطر الشقيق	٣٧٩
التوجيه الجديد	٣٨٧

	صفحة
سفر سمو الامير الي مصر	٣٩٣
الغدر الاثيم	٣٩٩
عود علي بدء	٤٠١
الادوار السنوسية	٤٠٥
المرحلة الثانية من النضال	٤٠٧
معركة بئر الغبى	٤١٢
عودة السيد صفى الدين من طرابلس	٤١٤
معركتي البريقة وبئر بلال الثانيتين	٤١٥
الفواخر واخراجهم بالقوة	٤١٨
نظام معسكرات المغاربة والعواقير	٤٢٢
المعركة الاولى بالحيل	٤٢٤
الهدو فى معسكر العواقير والمغاربة	٤٣٠
الناظر العام ببرقة	٤٣٧
مضار الانانية	٤٤١
احتلال الجغبوب	٤٤٣
الطليان والعواقير	٤٤٦
الطليان والمغاربة	٤٤٩
السيد رضا السنوسى فى الاسر	٤٥٥
احتلال جالوا وأوجله	٤٦٠
الاتصال بالسيد عمر المختار	٤٦٣
السيد الحسن رضا	٤٦٧
مساعى السيد محمد عابد السنوسى	٤٧٤
سفاح برقه	٤٧٩
مكتبة الكفرة العظيمة	٤٨٤

	صفحة
الاسلاك الشائكة	٤٨٦
القبض على السيد عمر المختار	٤٨٨
غرسياني فى ايطاليا	٤٩٠
محاكمة السيد عمر المختار وقتله	٤٩٢
تابين الشهيد	٤٩٣
كلمة اجمالية	٥٠١
الحرب الكونية الثانية	٥١٤
الضحايا	٥٢٢
٩ أغسطس العيد القومي	٥٢٦
الادارة العسكرية البريطانية ببرقة	٥٣٦
البلديات	٥٣٧
المجلس البلدى	٥٤٠
الاوقاف الاسلامية	٥٤٣
المعارف	٥٤٥
مكتب النشر	٥٤٩
الصحافة	٥٥٠
الوفد الاميرى ببرقة	٥٥٢
سمو الامير يزور برقة	٥٥٧
تصرفات غير منتظرة	٥٦٢
الادب والادباء	٥٦٩
صور	٥٨٨
كلمة الختام	٦٠٢
تقاريض	٦٠٤
مراجع الكتاب	٦١١
الخطا والصواب	٦١٥

الخطأ والصواب

لايخلو كتابنا من هفوات نحويه أو لغويه حيث أتـا لم تتكلف وجود مصحح فنى فى هذه الطبعه والامل أنها لاتؤثر في المعنى المقصود وهو سرد الحوادث التاريخيه وها نحن نصحح ما وقفنـا عليـه من الغلطات المطبعيـه وماغرب عنا نتركه لفطنة القارىء الكريم .

صحيفة	سطر	خطأ	صواب
٢٤	٦	فتح جنوب بما	فتقع جنوبي
٢٤	٢٢	والقوى	والقرى
٢٦		BereniceBarce-Tolemaide	
٢٦	١٤	فعـادة	فعادت
٢٦	٢٢	النقوديرداد	النفوذيزداد
٢٨	١	والمدانى	والموانى
٢٨	٨	اللان	الآن
٣١	١٣	لوجدوها	لوجودها
٣٤	٢١	وضن	وظن
٣٥	١	الفسل	الليـل
٤١	٢٥	عمر	ياعمر
٤٩	٢٥	ستين وقد	ستين سنة
٥٤	٤	والضمان	والضان
٥٨	٢١	تمام	إتمام
٦٠	٧	بطي	بطن
٦٢	٤	نابي	بأبي
٦٦	٢٥	الموضفين	الموظفين

صحيفة	سطر	خطـأ	صـواب
٧٠	٢١	بالسعاوى	بالسعـادى
٧٠	٢٥	والسراجنه	والسراحنـه
٧٢	٤	الادن	الاردن
٧٢	١٠	ن	أن
٧٢	١٣	أجادا	جادا
٧٤	١٢	اكرا	اكراه
٧٧	٨	السد	السيد
٧٨	١٣	الواطي	اللواطى
٧٨	١٦	ماركبت	ياماركبت
٨٠	١٢	الهار	النهار
٨٣	١٧	بالحين	باالحين
٨٦	٤	تلسقه	تلصقه
٨٦	٤	بحبن	بحبى
٨٦	١١	بحراح	بجراح
٨٧	٩	بالغه	باللغة
٩٠	١	تلكيمه	تكليمة
٩٠	١٦	انحيين	انحيين

صحيفة	سطر	خطأ	صواب
٩٠	٢٠	الكونيل	الكلونيل
٩٠	٢٤	،	،
٩١	٧	يقود	يقول
٩٧	٤	قوة	قوم
٩٧	٧	يحى	يحيي
٩٧	١٦	يفرض	يفرضه
٩٧	٢١	الشراب	الجورب
٩٩	٢٠	وأحس	وأحسن
١٠٠	١	سوق	بسوق
١٠٠	١٢	جعلتا	جعلت
١٠١	١٥	كواطنين	كمواطنين
١٠٩	٦	خلواتها	فلواتها
١١٠	٢٤	المسفعفون	المستضعفون
١١٢	١٤	سوق	سلوق
١١٤	٩	الاخيره ان جاء	الاخيرة جاء
١١٥	٨	بوقع	بموقع
١١٥	٢١	واریاح	ورياح
١١٧	٣	مني	من
١١٧	١٠	نركبه	يركبه
١١٨	١٦	نركب	يركب
١١٨	٢٠	ولاهل	والاهل
١١٩	٢٤	القلم	العلم
١٢٠	٢٥	فلولى	فلولا
١٢١	١٣	لولى	لولا
١٢٤	١٠	العبيدت	العبيدات
١٢٧	١١	عدوهن	عدوك
١٢٧	١١	خير	مكسب
١٢٨	٢٥	يبرم	يوم
١٣٠	٢١	كاصم	كاظم
١٣٢	١٦	الى ٢٨/٩٤٦	ـ ٢٨/٦/١٩٤٠
١٣٦	٣	تدعى	تدعو
١٤٣	٢١	مستمع	يستمع
١٤٥	١	الجغبوى	الجغبوبى
١٤٥	١٠	ولم	وله
١٤٥	٢١	أصران	اصر على ان
١٤٦	١	زليفتن	زليتن
١٤٧	١٩	كباهم	كبارهم
١٤٧	٢٣	عطف عناية	عطف وعناية
١٤٧	٢٥	والدهم عاش	والدهم، عاش
١٤٨	٥	٣٢١٣	١٣١٣
١٤٩	٦	الدار	لدار
١٤٩	٢١	أوجله	الكفرة
١٥٠	٦	علامته	علامة
١٥٠	٦	نبوغا وتخرج	نبوغا ملفتا
١٥٠	٨	المجددين عنه	المجددين وتخرج
١٥١	١	البيضاؤ	البيضاء
١٥١	١٩	الاخير	الآخر
١٥١	٣		١٢١٣
١٥٤	١٣	فيتيه	فتيته
١٥٥	١٣	فاضرب	فاضطرب
١٥٥	٢٥	الحقيه	الحقيقة

صحيفه	سطر	خطا	صواب
١٥٧	١٩	القران	القرآن
١٥٨	٢		١٩٣٧
١٥٨	٥		١٩٣٠
١٦٠	١		سوى
١٦٠	٩	نجي	نجبي
١٦١	٢٢	المصره	المبصره
١٦١	٢٣	وعاده	ودعاه
١٦٢	٤	تنبت	نبتت
١٦٢	٧	نحد	نجد
١٦٢	٢٢	الاخرون	الاخيرون
١٦٢	١٨	الرعبه	الرغبه
١٦٥	٢٣		الزاوية
١٦٥	٢٣	منعا	معنا
١٦٦	٣	ومرة	ومرت
١٦٧	١٧	لراية	لرؤيه
١٦٩	١٠	حمد	أحمد
١٧٣	٢١		معيى
١٧٩	١٤	عند	عندك
١٧٩	١٥	كبيرا	كبير
١٨٠	١		البارود
١٨٠	٨	وكان أن	وكان عصره
١٨٠	١٧	الطراق	الطرائق
١٨٠	٢١	الرائق معرفه	الرائق فى معرفة
١٨١	١٣	تشغل	شغل
١٨١	٢٥	خطا من	خطا في
١٨٢	٩	مقر	مقره
٢٠٠	٣	هذه الرساله	هذه هى الرسالة
٢٠٠	٩	لزاوية	الزاويه
٢٠٢	٢	ولدي	ولد
٢٠٢	٢	الابعاء	الاربعاء
٢١١	٧	الايام خدم	الايام انه خدم
٢١٩	١٠		والاستعانه
٢٢٣	١٩		واكفهر
٢٢٣	٢٢	الاس	الاساء
٢٢٤	١٢	ماه ضر	ماضره
٢٣٠	١	عند	عنده
٢٣٧	٢٣		بنهرى ومى جنرب
٢٣٨	١٤	اطمان	طمان
٢٣٩	٨	الجغبوب	الجنوب
٢٣٩	١٧	الغربانى	الغريانى
٢٤١	١٩	وتتألف	وكانت
٢٤٢	١٢	المعزكة	المعركة
٢٤٤	١١	الاضطرانات	الاضطرابات
٢٤٥	١	الى أعيان	الى احد أعيان
٢٤٧	١٦	الطاهرى	الطاهرة
٢٤٨	٧	وراء	ورآوه
٢٤٩	٣	انتهي	انتها
٢٥١	٦	مطمئنه	اذا مطمئنة
٢٥١	١٦	أحمد سعادته	احمدان سعادته
٢٥٨	٨	أهيليو	أميليو

صحيفة	سطر	خطأ	صواب
٢٦٩	٦	بينكم	بينهم
٢٧١	٨	الكلماة	الكماة
٢٧٢	٦	لايمكنني	فلا يمكنني
٢٧٣	١٥	ولد	والد
٢٨٤	١٩	غنى التعريف	غنى عن
٢٩٠	٦	أبوشاوي	أبوشادى
٢٩٢	٩		الزاويه
٢٩٢	١٤	كوسا	كوسن
٢٩٣	٢٠	خصاره	خسارة
٢٩٥	٥	يمكن ان	يمكن الاتصال
٢٩٩	٥	حفى	صفى
٣٠٤	٧	..	تنزل
٣٠٧	٩	..	كتاب بهذا
٣٠٧	٢٥	..	والامطار
٣١٢	٢٣		عمران السكورى
٣١٧	١٢	هذ اعد	هذا عدا
٣١٩	٢	عدوا عذا	أعدى
٣٢٠	٩	الشديف	الشريف
٣٢٥	٢٣	به في	به إلي
٣٢٩	١٤	درنها	دونها
٣٣٢	٣	الاجنة	الاجبة
٣٣٣	١٣	وجردوا	وجرجروا
٣٣٦	٥	تمبح	تمج
٣٣٦	٢٢	لادعاى	لاعادى
٣٣٨	٤	فل	أفل

صحيفة	سطر	خطأ	صواب
٣٤٥	١٥	الليه	الليبيه
٣٥٠	١٩	المذكره	المذكورة
٣٥٢	١	يحفظ ..	حفظ
٣٥٩	٢	١٣١٤هـ١٩٤٤-١٣٣٤هـ١٩١٤	
٣٦٠	١	السيد	اليه
٣٦١	٢١	باشا أن ..	باشافي ان
٣٦٣	٢٠	بجداميه	بجدابيه
٣٦٣	٢٥	سلنسطه	سلنطه
٣٦٥	١١	الجنبوى	الجنبوبي
٣٦٧	٥	حسين	حسنين
٣٧١	١٤	الهدى	الهوني
٣٧٤	١٦	الخليطه	الخلطيه
٣٨٦	١٦	ربيع	ربيع الاول
٣٨٧	١٢	ضر ..	نصر
٣٩٤	١٨	المدافقه	المدافعة
٤٠١	٨	بدىء	بدء
٤٠٣	١٣	فان الايطاليون	فالايطاليون
٤٠٤	١٦	ينبغض	ينبض
٤٠٧	٥	البردين	البدين
٤٠٨	٥	الاسير	الايسر
٤٠٨	٢٠	وارجله	واوجله
٤٠٩	١١	عمل	مقر عمل
٤١٢	٣	الزوية	الزاوية
٤١٣	٢٢	فصبحنا	فصحبنا
٤١٦	١٥	أو كبيرة	ولا كبيرة

صحيفة	سطر	خطا	صواب
٤١٧	١٥		١٣٤٢
٤١٩	٢٠	أنجيب	أنجيه
٤٢٣	١	مشيشه	حشيشه
٤٢٩	١٢	باموج	بامواج
٤٣١	٢٤	شسيه	شيشه
٤٣٢	١٧	١٣٠٢	١٣٤٢
٤٣٣	٤	ليطلع	ليستطلع
٤٣٥	٢	السطات	السلطات
٤٣٧	١٨	الخظير	الخضر
٤٤١	٢٠	المغاريه	المغاربه
٤٥٣	٢	جميع بيعه	جميع مايريدون
٤٥٣	١٨	مرف	مر
٤٥٤	٥	الاولى	اذلا
٤٩٠	٢		١١ سبتمبر
٤٩٢	٧	جوهرى	جهورى
٤٩٣	٢١	١٨سبتمبر	١٦ سبتمبر
٤٩٤	٢٣	نقل	قتل
٤٩٥	٢٠	والفرق	الغرق
٤٩٧	١٣	يتعددها	يتعدوها
٤٩٨	٣	مكان فترك	مكان آخر
٤٩٨	٨	حقا حياه	حقا أنها لحياة
٤٩٩	١٤	علاقها	علاتها
٥٠٠	٨	فيها	فيهما
٥٠٠	١٦	المعز	المعزه
٥٥١	٣	الاسقامه	الاستقامه
٥٥١	٢٢	الانجليزيه	الانجليزيه والعربيه
٥٥٢	٢١	أولئك	فى أولئك
٥٥٣	٤	بابدى	باآدى
٥٥٤	٦	مادية	مآدب
٥٥٦	٢٥	بزوتكم	بزورتكم
٥٥٧	١٨	٣	٣٠
٥٦٠	٢١	سيما	لاسيما
٥٦١	١	بلادأخرى	كل بلادوأخرى
٥٦١	٨	والمؤسات	والمؤسسات
٥٦١	١٧	يد	يدى
٥٦٢	٢٣	الموة	الموده
٥٦٧	٢٠	سياسه	وسياسة
٥٦٨	١	وتوفيق	وعباس باشا الاول
٥٦٨	٤	كامل جهة	كامل من جهة
٥٦٨	٧	لم	لو
٥٦٨	١٢	وزاجه	وزواجه
٥٦٩	١٤	اردان	ادران
٥٧٣	٨	من	فن
٥٧٤	٦	نذكر بينهم	نذكر من بينهم
٥٧٤	١٨	الغناوى	الغناى
٥٨٠	٢٠	بداد	بوادى
٥٨١	١٠	سلمان	سليمان
٥٨١	١٥	سر	سرد
٥٨١	١٩	التهاديا	التهاويا
٥٨٢	١	لاج	لاصبح

صحيفة	سطر	خطأ	—	صواب
٥٨٤	١٤	العز	—	الغر
٥٨٥	٣	يستكى	—	يشتكي
٥٨٥	٧	الهند	—	لهند
٥٨٥	١٠	راجبو	—	واصبو
٥٨٧	١٧	الهدم	—	الهدهد
٦١١	٣	السنرسي	—	السنوسى

اعـــلان

سنطبع في أقرب فرصة ممكنه الكتب التاليه وجميعها لمؤلف (برقه العربيه أمس واليوم) وهى :

(١) **قادة الامم العربيه** : كتاب يشتمل على معلومات شيقه وأنباء قيمه عن أصحاب الجلالة والسمو والفخامة ملوك وأمراء ورءساء الدول العربيه مزين بالصور

(٢) **قبائل برقه العربيه** : بحث خاص في القبائل العربيه وزعمائها وانسابها وعاداتها وتقاليدها

(٣) **أعيان برقه** : معلومات عامه عن أعيان برقةوعن سيرهم وأعمالهم

الى المطبعة

طبع كتابنا بمطبعة الهوارى لصاحبها ومديرها الاستاذ مختار حسن الهوارى ولقد رأيت أثناء تردد على المطبعه من حضرته ماجعلنى مدينا بالشكر والثناء .

لقد كان مثال المسلم الصحيح فى نزعته والعربى الصميم فى أخلاقه وكان يعتنى برواد محله من أرباب المصالح ولايخفي ماللظروف التى عاقتنا عن الاستمرار فى الطبع منذ إبتدائنا فى العمل وفى ذلك مافيه من الخسارة عليه فكان يتحمل ذلك بصدر رحب ولايفوتنى أن أشكر موظفى مطبعته ولاسيما الاسطي محمد خليل رئيس القسم الفني للجمع والطبع الخاص لطبع الكتب وزميله الاسطى علام غانم وزميلهم الاسطى أحمد فؤاد الذين قاموا بطبع كتابنا وأشرفوا عليه بعناية واخلاص في العمل فجزى الله الجميع عنا خير الجزاء .

مطبعة الهوارى ١٧٧ شارع محمد على بمصر

انتهى الطبع بحمد الله وتوفيقه في شهر جمادي الآخر سنة ١٣٦٦هـ ١٩٤٧م

الأشهب، محمد الطيب
برقة العربية امس واليوم
AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARIES
01057020